SÜLEYMANİYE E. G. KÜTÜPHANESİ

Kısmı	Esad ef.
Yeni	
Eski	65
Tasnif No.	297.1

سورة الشعراء ١	النمل ٢	القصص ١٠	العنكبوت ١٧	الروم ٢٤	لقمان	
السجدة ٢٨	الاحزاب ٣٢	السبأ ٤٤	الملائكة ٥٣	يس ٥٩	الصافات ٦٩	
ص ٧٩	الزمر ٩٠	المؤمن ١٠٠	حم السجدة ١٠٩	حمعسق ١١٥	الزخرف ١٢١	
الدخان ١٢٨	الجاثية ١٣١	الاحقاف ١٣٤	القتال ١٣٩	الفتح ١٤٤	الحجرات ١٤٨	
ق ١٤٩	الذاريات ١٥٠	الطور ١٥٣	النجم ١٥٥	القمر ١٦٠	الرحمن ١٦٣	الواقعة ١٦٦
الحديد ١٧١	المجادلة ١٨٥	الحشر ١٨٨	الممتحنة ١٩٢	الصف ١٩٥	الجمعة ١٩٨	
المنافقون ١٩٧	التغابن ١٩٨	الطلاق ٢٠٠	التحريم ٢٠١	الملك ٢٠٣	القلم ٢٠٦	الحاقة ٢٠٩
المعارج ٢١١	نوح عليه السلام ٢١٣	الجن ٢١٥	المزمل ٢١٨	المدثر ٢١٩	القيمة ٢٢٢	الانسان ٢٢٤
المرسلات ٢٢٦	النبأ ٢٢٨	النازعات ٢٣٢	عبس ٢٣٦	التكوير ٢٣٨	الانفطار ٢٤٠	
المطففين ٢٤١	الانشقاق ٢٤٣	البروج ٢٤٤	الطارق ٢٤٦	الاعلى ٢٤٧	الغاشية ٢٤٨	الفجر ٢٤٩ البلد ٢٥١
الشمس ٢٥٢	الليل ٢٥٢	الضحى ٢٥٣	الانشراح ٢٥٣	التين ٢٥٤	العلق ٢٥٥	القدر ٢٥٦

طسم تلك آيات الكتاب المبين قد مر ما يتعلق به من الكلام بالاجمال والتفصيل في اشباهه نتلو عليك اى نقرأ بواسطة جبرائيل عليه السلام ويجوز ان يكون التلاوة مجازا من التنزيل من نبأ موسى وفرعون مفعول نتلو اى بعض نبأهما بالحق متعلق بمحذوف هو حال من فاعل نتلو او من مفعوله او صفة لمصدر اى نتلو عليك بعض نبأهما ملتبسين او ملتبسا بالحق له وتلاوة ملتبسة بالحق لقوم يؤمنون متعلق بنتلو وتخصيصهم بذلك مع عموم الدعوة والبيان للكل لانهم المنتفعون به ان فرعون علا في الارض استيناف جاريجرى التفسير للمجمل الموعود وتصديره بحرف التاكيد للاعتناء بتحقيق مضمون ما قبله بعده اى انه تجبر وطغى في ارض مصر وجاوز الحد والمعهود في الظلم والعدوان وجعل اهلها شيعا اى فرقا يشيعونه في كل ما يريده من الشر والفساد او يشيع بعضهم بعضا في طاعته او اضافة استخدام اى استخدم كل صنف من عمل ويتسخره فيه من بناء وحرث وحفر وغير ذلك من الاعمال الشاقة ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية او فرقا مختلفة قد اغرى بينهم العداوة والبغضاء لئلا تتفق كلمتهم يستضعف طائفة منهم وهو بنو اسرائيل والجملة اما حال من فاعل جعل او صفة لشيعا او استيناف وقوله يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم بدل منها وكان ذلك لان كاهنا قال له يولد في بني اسرائيل مولود يذهب ملكك على يده وما ذاك الا لغاية حمقه اذ لو صدق خاف شدة القتل وان كذب فما وجهه انه كان من المفسدين اى الراسخين في الفساد والظلم العظيمة من قتل المعصومين من اولاد الانبياء عليهم السلام ونريد ان نمن اى نتفضل على الذين استضعفوا في الارض على الوجه المذكور بانجائهم من بأسه وصيغة المضارع في نريد لحكاية حال ماضية وهو معطوف على ان فرعون على الخ لتناسبهما في الوقوع في حيز التفسير للبناء او حال من يستضعف بتقدير المبتدإ اى يستضعفهم فرعون ونحن نريد نمن عليهم وليس من ضرورة مقارنة الارادة للاستضعاف مقارنة المراد لما ان تعلق الارادة بالمن تعلق استقبالي على ان منة الله تع عليهم بالخلاص لما كانت في شرف الوقوع جاز اجراؤها مجرى الواقع المقارن له ووضع الموصول موضع الضمير لابانة قدر النعمة في المنة بذكر حالتهم السابقة المباينة لها ونجعلهم ائمة يقتدى بهم في امور الدين بعد ان كانوا اتباعا مسخرين للاخرين ونجعلهم الوارثين لجمع ما كان منتظما في سلك ملك فرعون وقومه وراثة معهودة فيما بينهم كما ينبئ عنه تعريف الوارثين وتاخير ذكر وراثتهم له عن ذكر جعلهم ائمة مع تقدمها عليه زمانا للاحتراز عن الامامة ولئلا ينفصل عنه ما بعده مع كونه من روادفه اعني قوله ونمكن لهم في الارض الخ اى نسلطهم على مصر والشام يتصرفون فيهما كيف يشاؤن واصل التمكين ان تجعل للشيء مكانا يتمكن فيه ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم اى من الموصوفين

الاف وصح
اولئك
اورلوملوته
٢٦٣

المستضعفين ما كانوا يحذرون ويجتنبون في دفعهم من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم
وقرئ يرى بالياء ورفع ما بعده على الفاعلية فاوحينا الى ام موسى بالهام او رؤيا ان
ارضعيه ما امكنك اخفاؤه فاذا خفت عليه بان يحس الجيران عن بكائه ويتنبهوا عليه فالقيه
في اليم في البحر وهو النيل ولا تخافي عليه ضيعة بالغرق فلا شدة ولا تحزني انا رادوه اليك
عن قريب بحيث تامنين عليه وجاعلوه من المرسلين والجملة تعليل للنهي عن الخوف
والحزن واثبار الجملة الاسمية وتصديرها بحرف التحقيق للاعتناء بتحقيق مضمونها اي انا
فاعلون لرده وجعله من المرسلين للمحالة روي ان بعض القوابل الموكلات من
قبل فرعون بحبالى بني اسرائيل كانت مصافية لام موسى عم فعالت لها لينفعني حبك
اليوم فعالجتها فلما وضع الى الارض نالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل
حبه في قلبها ثم قالت ما حملك الا لاقتل مولودك واخبر فرعون ولكني وجدت لابنك في
قلبي محبة ما وجدت مثلها لاحد فاحفظيه فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته في خرقته
فالقته في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلفوا شيئا فرجعوا وهي
لا تدري مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله تع النار عليه بردا
وسلاما فلما الح فرعون في طلب الولدان اوحى الله تع اليها ما اوحى وقد روي انها ارضعت
ثلثة اشهر في تابوت ثم ذري مطلي بالقار من داخله وخارجه في قوله تع فالتقطه
فصيحة معطوفة على جملة مترتبة على ما قبلها من الامر بالالقاء قد حذفت تعويلا على
دلالة الحال وايذانا بكمال سرعة الامتثال اي فالقته في اليم بعد ما جعلته في التابوت حسبما
امرت به فالتقطه آل فرعون اي اخذوه اخذ اعتناء به وصيانة له عن الضياع قال
ابن عباس رض وغيره كان لفرعون يومئذ بنت لم يكن له ولد غيرها وكانت من اكرم
الناس اليه وكان بها برص شديد عجزت الاطباء عن علاجه فقالوا لا نبرأ الا من
قبل البحر يؤخذ منه شبه الانس يوم كذا وساعة كذا من شهر كذا حين تشرق الشمس
فيوخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون في مجلس له على شفير النيل
ومعه امراته آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد الذي كان فرعون مصر في زمن
يوسف الصديق عليه السلم وقيل كانت من بني اسرائيل من سبط موسى وقيل كانت عمته
حكاه السهيلي واقبلت بنت فرعون في جواريها حتى جلست على شاطئ النيل فاذا بتابوت
في النيل تضربه الامواج فتعلق بشجرة فقال فرعون ايتوني به فابتدروا بالسفن فاخرجوه
بين يديه فعالجوه ففتحوه فلم يقدروا عليه وقصدوا كسره فاعياهم فنظرت آسية فرات
نورا في خوف التابوت لم يره غيرها فعالجته ففتحته فاذا هو بصبي صغير في مهده واذا
نور بين عينيه وهو يمص ابهامه لبنا فالقى الله تع محبته في قلوب القوم وعمدت ابنة
فرعون الى حقنة ريقه فلطخت به برصها فبرات من ساعتها وقيل لما نظرت الى وجهه
برات فقالت العواة من قوم فرعون انا نظن ان هذا هو الذي نحذر منه فرى في

ع ضلع لجمع خناثى
خنثى ه
وقفها ه

جمع جنبة

في البحر فرقا منك فاقتله فلم فرعون بقتله فاستوهبته آسية فتركه كما سياتي واللام في قوله تع ليكون
لهم عدوا وحزنا لام العاقبة ابرز مدخولها في معرض العلة لالتقاطهم تشبيها له في الترتب عليه بالغرض
الحامل عليه وقرئ حزنا وهما لغتان كالسقم والسقم جعل عليه السلم نفس الحزن ايذانا بقوة سببيته لحزنهم
ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين اي في كل ما ياتون وما يذرون فلا غرو في ان قتلوا لاجله
الولد الذي اخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون روي انه ذبح في طلبه ثم تسعون الفا وليد
او كانوا مذبحين فعاقبهم الله تع بان ربى عدوهم على ايديهم فالجملة اعتراضية لتاكيد خطائهم او بيان
الموجب لما ابتلوا به وقرئ خاطين على انه تخفيف خاطئين او على انه بمعنى متعدين الصواب الى الخطاء
وقالت امراة فرعون اي لفرعون حين اخرجته من التابوت قرة عين لي ولك اي هو قرة عين لنا
لما انها لما رات ايات الله تع فيه ايقنت انه من امر الله تع وانه لا يقتل ولو قال
لي كما هو لك لهداه الله تع كما هداها لا تقتلوه خاطبته بلفظ الجمع تعظيما لياسه فيما تريده عسى ان ينفعنا
فان فيه مخايل اليمن ودلالة النجابة وذلك لما رات فيه من العلامات المذكورة او نتخذه ولدا اي نتبناه
فانه خليق بذلك وهم لا يشعرون حال من آل فرعون والتقدير فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا
وحزنا وقالت امراته لا تقتل وكيت وكيت وهم لا يشعرون بانهم على خطاء عظيم فيما صنعوا من الالتقاط
ورجاء النفع منه والتبني له وقول من قال ان فرعون الآية اعتراض وقع بين المعطوفين لتاكيد خطائهم
وقيل حال من احدى ضميري تتخذه على ان الضمير للناس اي وهم لا يعلمون انه يغرنا وقد تبنياه
واصبح فواد ام موسى فارغا صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد
فرعون كقوله تع وافئدتهم هواء اي خلاء لا عقول فيها ويعضده انه قرئ فرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ اي
هدر وقيل فارغا من الهم والحزن لغاية وثوقها بوعد الله تع او لسماعها ان فرعون عطف عليه وتبناه
ان كادت لتبدي به اي انها كادت لتظهر بموسى ان يامره وقصته من فرط الحيرة والدهشة والفرح
لتبنيه لولا ان ربطنا على قلبها بالصبر والثبات لتكون من المؤمنين اي المصدقين بوعد الله تع او من
الواثقين بحفظه لا يتبنى فرعون وتعطفه وقرئ موسى اجراء للضمة في جارة الواو مجرى ضمها في استدعاء
همزتها همزة واو وجوه وهو علة الربط وجواب لو محذوفة لدلالة ما قبله عليه وقالت لاخته مريم تقصيه
اي اتبعي اثره وتتبعي خبره فبصرت به اي ابصرته عن جنب عن بعد وقرئ بسكون النون وعن جانب
والكل بمعنى وهم لا يشعرون انها تقصه وتعرف حاله او انها اخته والتعبير عنها باخوته عم وان
قيل لبنتها للتصريح بمدار المحبة الموجبة للامتثال بالامر وحرمنا عليه المراضع اي منعناه ان يرتضع
من المرضعات والمراضع جمع مرضع وهي المراة التي ترضع او مرضع وهو الرضاع او موضعه على
الذي من قبل اي من قبل قصها اثره فقالت عند رويتها لعدم قبوله الذي واعتناء فرعون بامره
وطلبهم من يقبل ثديها هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم اي لاجلكم وهم له ناصحون لا يقصرون في
ارضاعه وتربيته روي ان هامان لما سمعه منها قال انها لتعرفه واهله فجيء بها حتى خبر بحاله فقالت
انما اردت وهم للملك ناصحون فامر بها فرعون بان تاتي بمن يكفله فاتت بامه وموسى على يد فرعون يلعب
وهو يعلله فدفعته اليها فلما وجد ريحها ليانس والتقم ثديها فقال من انت منه فعد ابى كل ثدي الا

حقيقة لكنا تبنياه ه

قوله اي اقسم بانعامك علي بالمغفرة قدر متعلق الباء وجعل ما مصدرية وجعل انعامه تعالى عليه بالمغفرة
مقسما به ولا ادري كيف علم ان الله تعالى غفر له وقد كان هذا قبل ان اوحي الله اليه وعين ان الجواب المقدر
هو قوله لاتوبن اي لارجعن عما فرط مني من الذلة وجعل قوله فلن اكون معطوفا على الجواب المقدر
فتكون الجملة الخبرية التي اكدت بالجملة القسمية هي المجموع المعطوف عليه المقدر وما عطف عليه قوله
او استعطاف عطف على قوله قسم جعل الاستعطاف قسيما للقسم مع ان النحاة صرحوا بان القسم
على قسمين قسم للاستعطاف وقسم لغير الاستعطاف وقالوا القسم جملة انشائية تؤكد بها
جملة اخرى فان كانت الاخرى خبرية فالقسم لغير الاستعطاف وان كانت طلبية فهو للاستعطاف
ولم يجعله المصنف والزمخشري قسما لان القائل اذا قال بالله لافعلن كذا انعقدت اليمين على القائل واما لو قال بالله افعل كذا لا ينعقد اليمين لا على المتكلم ولا على المخاطب فلذلك لم يجعلاه من القسم ومن جعله قسما من القسم اعتبر الظاهر لان صورته صورة القسم من حيث انه يؤكد الطلب على المستعطف وليس قسم على الحقيقة لان شرطه ان تؤكد به جملة خبرية موجبة او منفية وعلى تقدير ان يكون قوله بما انعمت علي استعطافا مؤكدا بجملة طلبية مقدرة وهي اعصمني يكون قوله فلن اكون ظهيرا جوابا للامر المقدر مباعنه

ثديك فقالت اني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فقرره في يدها واجرى
عليها فرجعت به الى بيتها من يومها وذلك قوله تعالى فرددناه الى امه كي تقر عينها بوصول
ولدها اليها ولا تحزن بفراقه ولتعلم ان وعد الله حق اي جميع ما وعده من رده وجعله من
المرسلين حق لا خلف فيه بمشاهدة بعضه وقياس بعضه عليه ولكن اكثرهم لا يعلمون ان
الامر كذلك فيرتابون فيه او ان الغرض الاصلي من الرد علمها بذلك وما سواه تبع وفيه تعريض
بما فرط منها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون فلما بلغ اشده اي المبلغ الذي لا يزيد عليه نشوءه
وذلك من ثلثين الى اربعين سنة فان العقل يكمل حينئذ وروي انه لم يبعث نبي الا على
رأس الاربعين واستوى اي اعتدل قده او عقله آتيناه حكما اي نبوة وعلما بالدين
او علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل فعلا يستجهل فيه وهو
اوفق لنظم القصة لانه تعالى استنبأه بعد الهجرة في المراجعة وكذلك ومثل ذلك الذي فعلناه
بموسى وامه نجزي المحسنين على احسانهم ودخل المدينة اي مصر من قصر فرعون وقيل
منف او حايين او عين الشمس من نواحيها على حين غفلة من اهلها في وقت لا يعتاد
دخولها او لا يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل بين العشائين فوجد فيها
رجلين يقتتلان هذا من شيعته اي ممن شايعه على دينه وهم بنو اسرائيل وهذا من عدوه اي
من مخالفيه دينا وهم القبط والاشارة على الحكاية فاستغاثه الذي من شيعته اي سأله
ان يغيثه بالاعانة كما ينبئ عنه تعديته بعلى وقرئ استعانه على الذي من عدوه فوكزه
موسى اي ضرب القبطي بجمع كفه وقرئ فلكزه اي فضرب به صدره فقضى عليه
فقتله واصله انهى حياته من قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر قال هذا من عمل الشيطان لانه
لم يكن مأمورا بقتل الكفار او لانه كان مأمونا فيما بينهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك في عصمته
لكونه خطأ وانما عده من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر عنه جريا على سنن المقربين
في استعظام ما فرط منهم ولو كان من محقرات الصغائر انه عدو مضل مبين ظاهر العداوة
والاضلال قال توسيطه بين كلاميه عم لابانة ما بينهما من المخالفة من حيث انه مناجاة
ودعاء بخلاف الاول رب اني ظلمت نفسي اي بقتله فاغفر لي ذنبي فغفر له ذلك
انه هو الغفور الرحيم اي المبالغ في مغفرة ذنوب عباده ورحمتهم قال رب
بما انعمت علي اما قسم محذوف الجواب اي اقسم بانعامك علي بالمغفرة لاتوبن
فلن اكون بعد هذا ابدا ظهيرا للمجرمين واما استعطاف اي بحق انعامك علي
اعصمني فلن اكون معينا لمن يؤدي معاونته الى الجرم وعن ابن عباس رضي الله عنه انه عليه السلام لم يستثن
فابتلي به مرة اخرى وهذا يؤيد الاول وقيل معناه بما انعمت علي من القوة اعين
اولياءك فلن استعملها في مظاهرة اعدائك فاصبح في المدينة خائفا يترقب
يترصد الاستقادة او الاجناد فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه اي يستغيثه
برفع الصوت من الصراخ قال له موسى انك لغوي مبين اي بين الغواية تسببت

اي باصابعه

فعلى هذا القول لا تكون الباء للقسم ولا للاستعطاف بل تكون للسببية اي بسبب ما انعمت علي من القوة اشكرك فلن استعملها الا في مظاهرة اولئك لا ادع احدا من اعدائك

طلب القودة
الاجناد جمع جنده

تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر فلما ان اراد موسى ان يبطش بالذي هو عدو لهما
اي لموسى وللاسرائيلي اذ لم يكن على دينهما ولان القبط كانوا اعداء لبني اسرائيل على الاطلاق
وقرئ يبطش بضم الطاء قال اي الاسرائيلي ظانا انه عليه السلام يبطش به حسبما يوهمه تسميته اياه
غويا يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس قالوا لما سمع القبطي قول
الاسرائيلي علم ان موسى هو الذي قتل ذلك الفرعوني فانطلق الى فرعون فاخبره بذلك
وامر فرعون بقتل موسى عليه السلام وقيل قاله القبطي ان تريد اي ما تريد الا ان تكون جبارا
في الارض وهو الذي يفعل كل ما يريده من الضرب والقتل ولا ينظر في العواقب وقيل
للتعظم الذي لا يتواضع لامر الله تعالى وما تريد ان تكون من المصلحين بين الناس بالقول
والفعل وجاء رجل من اقصى المدينة اي كائن من آخرها او جاء من آخرها يسعى
اي يسرع صفة لرجل او حال منه على ان الجار والمجرور صفة له لا متعلق بجاء فان تخصصه
يلحقه بالمعارف قيل هو مؤمن آل فرعون واسمه حزقيل وقيل شمعون وقيل شمعان
قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك اي يتشاورون بسببك فان كلا من
المتشاورين يأمر الآخرين ويأتمر فاخرج اي من المدينة اني لك من الناصحين اللام
للبيان لما ان معمول الصلة لا يتقدمها فخرج منها اي من المدينة خائفا يترقب لحوق
الطالبين قال رب نجني من القوم الظالمين خلصني منهم فاحفظني من لحوقهم ولما توجه
تلقاء مدين اي نحو مدين وهو قرية شعيب عليه السلام سميت باسم مدين بن ابرهيم ولم تكن تحت
سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمانية ايام قال عسى ربي ان يهديني سواء
السبيل توكلا على الله تعالى وثقة بحسن توفيقه وكان لا يعرف الطرق فعن له ثلث
طرائق فاخذ في الوسطى وجاء الطلاب فشرعوا في الآخرين وقيل خرج حافيا الا بورق الشجر
فما وصل حتى سقط خف قدميه وقيل جاء ملك على فرس وبيده عنزة فانطلق به الى
مدين ولما ورد ماء مدين اي وصل اليه وهو بئر كانوا يسقون منها وجد عليه اي فوق
شفيرها امة جماعة كثيفة من الناس يسقون اي مواشيهم ووجد من دونهم في موضع
اسفل منهم امرأتين تذودان اي تمنعان ما معهما من الاغنام عن التقدم الى البئر كيلا يختلط
باغنامهم مع عدم الفائدة في التقدم قال عليه السلام لها حين رآهما على ما هما عليه من التأخر
والذود ما خطبكما ما شأنكما فيما انتما عليه من التأخر والذود ولم لا تباشران السقي كذاب هؤلاء
قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء اي عادتنا ان لا نسقي حتى يصرف الرعاة مواشيهم
بعد ريها عن الماء عجزا عن مساجلتهم وحذرا عن مخالطة الرجال لا انا لا نسقي اليوم الى
تلك الغاية وحذف مفعول السقي والذود والاصدار لما ان الغرض هو بيان تلك الافعال
انفسها اذ هي التي دعت موسى عم الى ما صنع في حقهما من المعروف فانه عم انما رحمهما
لكونهما على الذياد المعجز والعفة وكونهما على السقي غير مبالين بهما وما رحمهما لكون مذودهما
غنما ومسقيهم ابلا مثلا وقرئ لا نسقي من الاسقاء ويصدر من الصدور والرعاء بضم الراء وهو

لشجر

اي على رأسها ٥

عادة

الري القناعة من الماء ٥

اسم جمع كالرخال واما الرعاء فجمع قياسي كصيام وقيام وقوله تع وابونا شيخ كبير ابلاء منهما للعذر اليه
عليه السلم في توليهما للسقي بانفسهما كانهما قالتا انا امرأتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة
الرجال ومزاحمتهم وما لنا رجل يقوم بذلك وابونا شيخ كبير السن قد اضعفه الكبر فلا بد لنا من تاخير السقي
الى ان يقضي الناس اوطارهم من الماء فسقى لهما رحمة عليهما والكلام في حذف مفعوله كما مر آنفا وروي
ان الرعاة كانوا يضعون على راس البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجال وقيل عشرة وقيل اربعون وقيل
مائة فيقله وحده مع ما كان به من الوصب والجراحة والجوع ولعله عم زاحمهم في السقي لهما فوضع
الحجر على البئر لتعجيزه عليه السلم عن ذلك فان الظاهر انه عليه السلم غبما شاهد حالهما سارع الى السقي لهما وقد روي
انه دفعهم عن الماء الى ان سقى لهما وقيل كانت هناك بئر اخرى عليها الصخرة المذكورة وروي انه عم
سالهم دلوا من ماء فاعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكان لا ينزعها الا اربعون فاستقى بها وصبها في
الحوض ودعا بالبركة وروي غنمهما واصدرهما ثم تولى الى الظل الذي كان هناك فقال رب اني لما انزلت
الي اي اي شيء انزلته الي من خير جل او قل وحمله الاكثرون على الطعام بمعونة المقام فقير اي محتاج ولتضمنه
معنى السؤال والطلب جيء بلام الدعامة لتقوية العمل وقيل المعنى لما انزلت الي من خير عظيم هو خير الدارين
صرت فقيرا في الدنيا لانه كان في سعة من العيش عند فرعون قاله عم اظهارا للتبجح والشكر على ذلك
فجاءته احديهما قيل هي كبراهما واسمها صفراء او صفراء وقيل صغراهما واسمها صفيراء اي جاءته عقيب
ما رجعتا الى ابيهما روي انهما لما رجعتا الى ابيهما قبل الناس واغنامهما حفل بطان قال لهما ما اعجلكما
قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحديهما اذهبي فادعيه لي وقوله تع تمشي حال من فاعل
جاءت وقوله تعالى على استحياء متعلق بمحذوف هو حال من ضمير تمشي اي جاءته تمشي كائنة على استحياء ومعناه
انها كانت على استحياء حالتي المشي والمجيء معا لا عند المجيء فقط وتنكير استحياء للتفخيم قيل جاءته متخفرة
اي شديدة الحياء وقيل قد استترت بكم درعها قالت استيناف مبني على سؤال نشأ من
حكاية مجيئها اياه عم كانه قيل فماذا قالت له عم فقيل قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا
اي جزاء سقيك لنا اسندت الدعوة الى ابيها وعللتها بالجزاء لئلا يوهم كلامها ريبة وفيه من الدلالة
على كمال العقل والحياء والعفة ما لا يخفى روي انه عم اجابها فانطلقا وهي امامه فالزقت
الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها امشي خلفي وانعتي لي الطريق ففعلت حتى اتيا دار شعيب
عليهما السلم فلما جاءه وقص عليه القصص اي ما جرى عليه من الخبر المقصوص فانه مصدر سمي به
المفعول كالعلل قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين الذي يلوح من ظاهر النظم الكريم ان موسى عم
انما اجاب المستدعية من غير تلعثم ليتبرك برؤية شعيب عم ويستظهر برايه لا لياخذ بمعروفه اجرا
حسبما صرحت به الا يرى الى ما روي ان شعيبا لما قدم اليه طعاما قال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع
الارض ذهبا ولا ناخذ على المعروف ثمنا ولم يتناول حتى قال شعيب عليهما السلم هذه عادتنا مع كل من ينزل
بنا فتناول بعد ذلك على سبيل التقبل لمعروف مبتدا كيف لا وقد قص عليه قصصه وعرفه انه من
بيت النبوة من اولاد يعقوب عليهما السلم ومثله حقيق بان يضيق ويكرم لا سيما في دار نبي من انبياء الله تع
عليهم الصلوة والسلم وقيل ليس بمستنكر منه عم ان يقبل الاجر لاضطرار الفقر والفاقة وقد روي عن عطاء بن السائب

جمع رخل وهي الانثى من ولد الضان ٥

جمع الوطر بمعنى الحاجة ٥

لسقوط خفه وقت المجيء ٥

اي الحجر العظيم ٥

تولى

بتقديم الجيم على الحاء بمعنى الفرح يقال بحجه فتبحج اي افرحه ففرح صحاح

اسم لما يعلل به

لا على سبيل وجه الاجرة

السائب انه عليه السلم رفع صوته بدعائه ليسمعها ولذلك قيل له ليجزيك الخ ولعله عم انما فعله ليكون
ذريعة الى استدعائه لا استيفاء الاجر قالت احديهما وهي التي استدعته الى ابيها وهي التي زوجها
من موسى عم يا ابت استاجره اي لراي الغنم والقيام بامرها ان خير من استاجرت القوي
الامين تعليل جار مجرى الدليل على انه حقيق بالاستيجار وللمبالغة في ذلك جعل خيرا اسما لان وذكر الفعل على
صيغة الماضي للدلالة على انه امين مجرب روي ان شعيبا عم قال لها وما اعلمك بقوته وامانته
فذكرت ما شاهدت منه عم من اقلال الحجر ونزع الدلو وانه صوب راسه حتى بلغته رسالته وامرها
بالمشي خلفه قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تاجرني اي تكون اجيرا لي او تبني
من اجرته كذا اذا اثبته اياه فقوله تعالى ثماني حجج على الاول ظرف وعلى الثاني مفعول به على تقدير مضاف
اي رعية ثماني حجج ونقل عن المبرد انه يقال اجرت داري ومملوكي غير ممدود واجرت ممدودا
والاول اكثر فعلى هذا يكون المفعول الثاني محذوفا والمعنى على ان تاجرني نفسك وقوله تع ثماني حجج ظرف
كالوجه الاول فان اتممت عشرا في الخدمة والعمل فمن عندك اي فهو من عندك بطريق التفضل لا من
عندي بطريق الالزام عليك وهذا من شعيب عرض لرايه على موسى عم واستدعاء منه للعقد لا انشاء و
تحقيق له بالفعل وما اريد ان اشق عليك بالزام اتمام العشر او المناقشة في مراعاة الاوقات واستيفاء
الاعمال واشتقاق المشقة من الشق فان ما يصعب عليك يشق عليك اعتقادك في اطاقته ويوزع رايك
في مزاولته ستجدني ان شاء الله من الصالحين في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالعهد
ومراده عليه السلم بالاستثناء التبرك به وتفويض امره الى توفيقه تع لا تعليق صلاحه بمشيته تع قال
ذلك بيني وبينك مبتدا وخبر اي ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم وثابت
بيننا جميعا لا يخرج عنه واحد منا لا انا عما شرطت علي ولا انت عما شرطت على نفسك وقوله تعالى
ايما الاجلين اي اكثرهما او اقصرهما قضيت اي وفيتكه باداء الخدمة فيه فلا عدوان علي تصريح
بالمراد وتقرير لامر الخيرة اي لا عدوان علي بطلب الزيادة على ما قضيته من الاجلين وتعميم انتفاء العدوان
لكلا الاجلين بصدد المشارطة مع عدم تحقق العدوان في اكثرهما راسا للقصد الى التسوية بينهما في الانتفاء
اي كما لا اطالب بالزيادة على العشر لا اطالب بالزيادة على الثماني وايما الاجلين قضيت فلا اثم
علي يعني كما لا اثم علي في قضاء الاكثر لا اثم علي في قضاء الاقصر فقط وقرئ اي الاجلين ما قضيت
فما مزيدة لتاكيد القضاء كما انها في القراءة الاولى مزيدة لتاكيد ابهام اي وشياعها وقرئ ايما بسكون
الياء كقول من قال تنظرت نصرا والسماكين ايهما علي من الغيث استهلت مواطره
والله على ما نقول من الشروط الجارية بيننا وكيل شاهد وحفيظ فلا سبيل لاحد منا الى
الخروج عنه اصلا وليس ما حكي عنهما عم تمام ما جرى بينهما من الكلام في انشاء عقد النكاح وعقد الاجارة
بل هو بيان لما عزما عليه واتفقا على اتباعه حسبما يتوقف عليه مساق القصة اجمالا من غير تعرض
لبيان مواجب العقدين في تلك الشريعة تفصيلا روي انهما لما اتما العقد قال شعيب لموسى
ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي وكانت عنده عصي الانبياء عليهم السلم فاخذ عصا هبط
بها ادم عليه السلم من الجنة ولم يزل الانبياء يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب عليه السلم فمسها

اطاقته

معالجة

عليهما السلام

اى حسد الشعيب بتلك العصا

وكان مكفوفا فضن بها فقال غيرها فما وقع في يده الا هي سبع مرات فعلم ان له شانا وقيل
اخذها جبريل عم بعد موت آدم عم فكانت معه حتى لقي بها موسى ليلا وقيل اودعها شعيبا
ملك في صورة رجل فامر بنته ان تاتيه بعصا فاتته بها فردها سبع مرات فلم يقع في يدها
غيرها فدفعها اليه ثم ندم لانها وديعة فتبعه فاختصما فيها ورضيا ان يحكم بينهما اول طالع
فاتاهما الملك فقال القياها فمن رفعها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطقها ورفعها موسى عليه السلم
وعن الحسن رض ما كانت الا عصا من الشجر اخذ عترضها اعتراضا وعن الكلبي رحمه
الشجرة التي منها نودي شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما اصبح قال له شعيب عم
صلوات الله عليهما السلم اذا بلغت مفرق الطريق فلا تاخذ على يمينك فان الكلاء وان كان بها
اكثر الا ان فيها تنينا اخشاه عليك وعلى الغنم فاخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على
كفها ومشى على اثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله فنام فاذا بالتنين قد اقبل فحاربته
العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى عم دامية فلما ابصرها دامية والتنين مقتولا
ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب عليه السلم مس الغنم فوجدها ملئ البطون غزيرة اللبن فاخبره
موسى عليهما السلم بالشان ففرح وعلم ان لموسى والعصا شانا وقال له اني وهبت لك من
نتاج غنمي هذا العام كل ادرع ودرعاء فاوحي اليه في المنام ان اضرب بعصاك مستقى
الغنم ففعل ثم سقى فما اخطات واحدة الا وضعت ادرع ودرعاء فوفى له بشرطه والفاء
في قوله تع فلما قضى موسى الاجل فصيحة اى فعقد العقدين وباشر موسى ما التزمه فلما
اتم الاجل وسار باهله نحو مصر باذن من شعيب عليهما السلم روي انه عليه السلم قضى ابعد الاجلين
ومكث عنده بعد ذلك عشر سنين ثم عزم على العود الى مصر فاستاذنه في ذلك فاذن له فخرج
باهله آنس من جانب الطور اى ابصر من الجهة التي تلي الطور نارا قال لاهله امكثوا
اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر اى بخبر الطريق وقد كانوا ضلوه وجذوة اى عود غليظ
سواء كانت في راسه نار او لا قال قائلهم باتت حواطب ليلى يلتمس لها جزل الجذى
غير خوار ولا دعر وقال والقى على قبس من النار جذوة شديدا عليها حرها والتهابها
ولذلك بين بقوله تع من النار وقرئ بكسر الجيم وبضمها وكلها لغات لعلكم تصطلون
اى تستدفئون فلما اتاها اى النار التي آنسها نودي من شاطئ الوادي الايمن اى
اتاه النداء من الشاطئ الايمن بالنسبة الى موسى عم في البقعة المباركة متصل بالشاطئ
او صلة لنودي من الشجرة بدل اشتمال من شاطئ لانها كانت نابتة على الشاطئ
ان يا موسى اني انا الله رب العالمين وهذا وان خالف لفظا لما في طه والنمل لكنه
موافق له في المعنى المراد وان الق عصاك عطف على ان يا موسى وكلاهما مفسر لنودي
والفاء في قوله تع فلما راها تهتز فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت تعويلا على دلالة
الحال عليها واشعارا بغاية سرعة تحقق مدلولاتها اى فالقاها فصارت ثعبانا فاهتزت
فلما راها تهتز كانها جان اى في سرعة الحركة مع غاية عظم جثتها ولى مدبرا اى منهزما من الخوف

اى دفع الشعيب عصا الى موسى ثم ذهب الى عقب موسى فتنازعا

اى قائمة بالتركى دكلب طور من ٥

الملئ بمعنى المملوء

طى

الخوف ولم يعقب اى لم يرجع يا موسى اى قيل يا موسى اقبل لا تخف انك من الآمنين عن
المخاوف فانه لا يخاف لدى المرسلون اسلك يدك في جيبك اى ادخلها فيه تخرج بيضاء من غير سوء
اى عيب واضمم اليك جناحك اى يديك المبسوطتين لتنفي بهما الحية كالخائف الفزع بادخال
اليمنى تحت العضد الايسر واليسرى تحت الايمن او بادخالهما في الجيب فيكون تكريرا لغرض آخر هو ان يكون
ذلك في وجه العدو اظهار جراة ومبدا لظهور معجزة ويجوز ان يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب
العصا ثعبانا استعارة من حال الطائر فانه اذا خاف نشر جناحيه واذا امن واطمان ضمهما اليه من الرهب
اى من اجل الرهب اذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك وقرئ بضم الراء وسكون
الهاء وبضمها والكل لغات فذانك اشارة الى العصا واليد وقرئ بتشديد النون فالمخفف مثنى ذاك
والمشدد مثنى ذلك برهانان حجتان نيرتان وبرهان فعلان لقولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان
من قولهم بره الرجل اذا ابيض ويقال للمراة البيضاء برهاء وبرهرهة ونظيره تسمية الحجة سلطانا
من السليط وهو الزيت لانارتها وقيل هو فعلال لقولهم برهن ومن قوله تع من ربك متعلقة بمحذوف
هو صفة لبرهانان اى كائنان منه تعالى الى فرعون وملائه واصلان ومنتهيان اليهم انهم كانوا قوما فاسقين
خارجين عن حدود الظلم والعدوان فكانوا احقاء بان نرسلك اليهم بهاتين المعجزتين الباهرتين
قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون بمقابلتها واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله
معي ردءا اى معينا وهو في الاصل اسم ما يعاون به كالدفء وقرئ ردا بالتخفيف يصدقني بتلخيص الحق
وتقرير الحجة بتوضيحها وتزييف الشبهة اني اخاف ان يكذبون ولساني لا يطاوعني عند المحاجة وقيل
المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه اسند اليه اسناد الفعل الى السبب وقرئ يصدقني بالجزم
على انه جواب الامر قال سنشد عضدك باخيك اى سنقويك به فان قوة الشخص بشدة اليد على
مزاولة للامور ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد ونجعل لكما سلطانا اى تسلطا وغلبة وقيل
حجة وليس بذاك فلا يصلون اليكما باستيلاء او محاجة باياتنا متعلق بمحذوف قد صرح به بمواضع
اخر اى اذهبا باياتنا او بنجعل اى نسلطكما باياتنا او بمعنى لا يصلون اى تمتنعون منهم بها وقيل هو قسم
وجوابه لا يصلون وقيل هو بيان للغالبون في قوله تع انتما ومن اتبعكما الغالبون بمعنى انه صلة لما يبينه
او صلة له على ان اللام للتعريف لا بمعنى الذي فلما جاءهم موسى باياتنا بينات اى واضحات
الدلالة على صحة رسالة موسى عم منه تع والمراد بها العصا واليد اذ هما اللتان اظهرهما موسى عم
اذ ذاك والتعبير عنهما بصيغة الجمع قد مر في سورة طه قالوا ما هذا الا سحر مفترى اى سحر مختلق لم يفعل
قبل هذا مثله او سحر تعمله ثم تفتريه على الله تع او سحر موصوف بالافتراء كسائر اصناف السحر
وما سمعنا بهذا اى السحر او ادعاء النبوة في آبائنا الاولين اى واقعا في ايامهم وقال موسى ربي
اعلم بمن جاء بالهدى من عنده يريد به نفسه وقرئ قال بغير واو لانه جواب عن مقالهم ووجه
العطف ان المراد حكاية القولين ليوازن السامع بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد ومن تكون له
عاقبة الدار اى العاقبة المحمودة في الدار وهي الدنيا وعاقبتها الاصلية هي الجنة لانها خلقت مجازا الى
الآخرة ومزرعة لها والمقصود بالذات منها الثواب واما العقاب فمن نتائج اعمال العصاة وسيئات

اسم لما يدفى به ٥

اى مكان الجزاء

الغواة وقرئ يكون بالياء التحتانية انه لا يفلح الظالمون اى لا يفوزون بمطلوب ولا ينجون عن محذور
وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى قاله اللعين بعد ما جمع السحرة وتصدى للمعارضة
فكان من امرهم ما كان فاوقد لى يا هامان على الطين اى اصنع آجرا فاجعل لى منه صرحا اى قصرا رفيعا
لعلى اطلع الى اله موسى كانه توهم انه لو كان لكان جسما فى السماء يمكن الرقى اليه ثم قال وانى لاظنه
من الكاذبين او اراد ان يبنى له رصدا يترصد منه اوضاع الكواكب فيرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول
وتبدل دولة وقيل المراد بنفى العلم نفى المعلوم كما فى قوله تعالى قل اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات والارض
فان معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية فانه لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها
انتفاء المعلومات ولا كذلك العلوم الانفعالية قيل اول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك امر باتخاذه
على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظم ولذلك نادى هامان باسمه بيا فى وسط الكلام واستكبر هو
وجنوده فى الارض ارض مصر بغير الحق بغير استحقاق وظنوا انهم الينا لا يرجعون بالبعث
للجزاء وقرئ بفتح الياء وكسر الجيم من رجع رجوعا والاول من رجع رجعا وهو انسب بالمقام فاخذناه
وجنوده عقيب ما بلغوا من الكفر والعتو اقصى الغايات فنبذناهم فى اليم قد مر تفصيله وفيه من تفخيم شان
الاخذ وتهويله واستحقار الماخوذين المنبوذين ما لا يخفى كانه تعالى اخذهم مع كثرتهم فى كف وطرحهم فى البحر
ونظيره قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه
فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وبينها للناس ليعتبروا بها وجعلناهم اى صيرناهم فى عهدهم ائمة
يدعون الناس الى النار الى ما يؤدى اليها من الكفر والمعاصى اى قدوة يقتدى بهم اهل الضلال لما صرفوا اختيارهم
الى تحصيل تلك الحالة وقيل سميناهم ائمة دعاة الى النار كما فى قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد
الرحمن اناثا فالانسب ح ان يكون الجعل بعدهم فيما بين الامم ويكون الدعوة الى نفس النار وقيل
معنى الجعل منع الالطاف الصارفة عن ذلك ويوم القيمة لا ينصرون بدفع العذاب عنهم بوجه
من الوجوه واتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة طردا وابعادا من الرحمة ولعنا من اللاعنين حيث
لا يزال يلعنهم الملائكة عليهم السلام والمؤمنون خلفا عن سلف ويوم القيمة هم من المقبوحين من المطرودين
المبعدين وقيل من الموسومين بعلامة منكرة كزرقة العيون وسواد الوجه قاله ابن عباس رض يقال قبحه
الله وقبحه اذا جعله قبيحا وقال ابو عبيدة من المقبوحين من المهلكين ويوم القيمة اما متعلق بالمقبوحين
على ان اللام للتعريف لا بمعنى الذى او بمحذوف يفسره ذلك كانه قيل وقبحوا يوم القيمة نحو لعملكم
من القالين ولقد آتينا موسى الكتاب اى التورية من بعد ما اهلكنا القرون الاولى هم اقوام نوح
وهود وصالح ولوط عليهم السلام والتعرض لبيان ايتائها بعد اهلاكهم للاشعار بمساس الحاجة الداعية
اليه تمهيدا لما يعقبه من البيان الحاجة الداعية الى انزال القرآن الكريم على رسول الله صلعم فان اهلاك
القرون الاولى من موجبات اندراس معالم الشرائع وانطماس آثارها واحكامها المؤدية
الى اختلال نظام العالم وفساد احوال الامم المستدعيين للتشريع الجديد بتقرير الاصول
الباقية على مر الدهور وترتيب الفروع المتبدلة بتبدل العصور وتذكير احوال الامم
الخالية الموجبة للاعتبار وكانه قيل ولقد آتينا موسى التورية على حين حاجة الى ايتائها

اى انى لعملكم من القالين الآية

ايتائها بصائر للناس اى انوارا لقلوبهم تبصر بها الحقائق وتميز بين الحق والباطل حيث
كانت عميا عن الفهم والادراك بالكلية فان البصيرة نور القلب الذى به يستبصر كما ان البصر
نور العين الذى به تبصر وهدى اى هداية الى الشرائع والاحكام التى هى سبل الله تعالى ورحمة
حيث ينال من عمل به رحمة الله تعالى وانتصاب الكل على الحالية من الكتاب على انه نفس البصائر
والهدى والرحمة او على حذف المضاف اى ذا بصائر الخ وقيل على العلة اى آتيناه الكتاب للبصائر
والهدى والرحمة لعلهم يتذكرون ليكونوا على حال رجى منهم التذكر وقد مر تحقيق القول فى ذلك
عند قوله تعالى لعلكم تتقون من سورة البقرة وقوله تعالى وما كنت بجانب الغربى شروع فى بيان ان
انزال القرآن الكريم ايضا واقع فى زمان شدة مساس الحاجة اليه واقتضاء الحكمة له البتة
وقد صدر بتحقيق كونه وحيا صادقا من عند الله عز وجل ببيان ان الوقوف على ما فصل من
الاحوال لا يتسنى الا بالمشاهدة او التعلم ممن شاهدها وحيث انتفى كلاهما تبين انه يوحى
من علام الغيوب لا محالة على طريقة قوله تعالى وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم الآية
اى وما كنت بجانب الجبل الغربى او المكان الغربى الذى وقع فيه الميقات على حذف الموصوف
الى الصفة كمسجد الجامع اذ قضينا الى موسى الامر اى عهدنا اليه واحكمنا امر نبوته بالوحى وايتاء
التورية وما كنت من الشاهدين اى من جملة الشاهدين للوحى وهم آل السبعون المختارون
للميقات حتى تشاهد ما جرى من امر موسى فى ميقاته وكتبة التورية له فى الالواح فتخبره للناس
ولكنا انشأنا قرونا اى ولكنا خلقنا بين زمانك وزمان موسى قرونا كثيرة فتطال عليهم العمر
وتمادى الامد فتغيرت الشرائع والاحكام وعميت عليهم الانبياء لا سيما على آخرهم فاقتضى
الحال التشريع الجديد فاوحينا اليك فحذف المستدرك اكتفاء بذكر ما يوجبه ويدل عليه قوله تعالى
وما كنت ثاويا فى اهل مدين نفى لاحتمال كون معرفته عليه السلام للقصة بالسماع ممن شاهدها
اى وما كنت مقيما فى اهل مدين من شعيب والمؤمنين به وقوله تعالى تتلو عليهم اى تقرأ على اهل مدين
بطريق التعلم منهم آياتنا الناطقة بالقصة اما حال من المستكن فى ثاويا او خبر ثان لكنت
ولكنا كنا مرسلين اياك وموحين اليك تلك الآيات ونظائرها وما كنت بجانب الطور اذ نادينا
اى وقت ندائنا موسى انى انا الله رب العالمين واستنبائنا اياه وارسالنا له الى فرعون
ولكن رحمة من ربك اى ولكن ارسلناك بالقرآن الناطق بما ذكر بغيره لرحمة عظيمة كائنة منا
لك وللناس وقيل علمناك وقيل عرفناك ذلك وليس بذاك كما ستعرفه والالتفات الى اسم
الرب للاشعار بعلة الرحمة وتشريفه عليه السلام بالاضافة وقد اكتفى عن ذكر المستدرك ههنا بذكر
ما يوجبه من جهته تعالى كما اكتفى فى الاول بذكر ما يوجبه من جهة الناس وصرح به فيما بينهما تنصيصا على ما هو
المقصود واشعارا بانه المراد فيهما ايضا ولله در شان التنزيل وقوله تعالى لتنذر قوما متعلق
بالفعل المعلل بالرحمة فهو ما ذكرنا من ارساله عليه السلام بالقرآن حتما لما انه المعلل بالانذار لا تعليم
ما ذكر وقرئ رحمة بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى ما اتيهم من نذير من قبلك صفة
لقوما اى لم يأتهم نذير لوقوعهم فى فترة بينك وبين عيسى وهى خمسمائة وخمسون سنة او بينك وبين اسماعيل

بناء على ان دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببني اسرائيل لعلهم يتذكرون اي يتعظون بانذارك
وتغيير الترتيب الوقوعي بين قضاء الامر والثواء في اهل مدين والنداء للتنبيه على ان كلا من ذلك
برهان مستقل على ان حكايته عليه السلم للقصة بطريق الوحي الالهي ولو ذكر اولا نفي ثوابه عم في اهل
مدين ثم نفي حضوره عم عند النداء ثم نفي حضوره عند قضاء الامر كما هو الموافق للترتيب الوقوعي
لربما توهم ان الكل دليل واحد على ما ذكر كما مر في قصة البقرة ولولا ان تصيبهم مصيبة اي عقوبة
بما قدمت ايديهم اي بما اقترفوا من الكفر والمعاصي فيقولوا عطف على تصيبهم داخل في حيز لولا الا متناعية
على ان مدار انتفاء ما يجاب به هو امتناعه لا امتناع المعطوف عليه وانما ذكر في حيزها للايذان بانه
السبب الملجئ لهم الى قولهم ربنا لولا ارسلت الينا رسولا اي هلا ارسلت الينا رسولا مؤيدا
من عندك بالآيات فنتبع آياتك الظاهرة على يده وهو جواب لولا الثانية ونكون من المؤمنين
بها وجواب لولا الاولى محذوف ثقة بدلالة الحال عليه والمعنى لولا قولهم هذا عند اصابة عقوبة
جناياتهم التي قدموها ما ارسلناك لكن لما كان قولهم ذلك محققا لا محيد عنه ارسلناك قطعا لمعاذيرهم
بالكلية فلما جاءهم اي اهل مكة الحق من عندنا وهو القرآن المنزل عليه عليه السلم قالوا تعنتا واقتراحا
لولا اوتي يعنونه عليه السلم مثل ما اوتي موسى من الكتاب المنزل جملة واما اليد والعصا فلا تعلق
لهما بالمقام كسائر معجزاته عليه السلم وقوله تع اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل رد عليهم واظهار
لكون ما قالوه تعنتا محضا لا طلبا لما يرشدهم الى الحق اي الم يكفروا من قبل هذا القول بما اوتي
موسى من الكتاب كما كفروا بهذا الحق وقوله تع قالوا استيناف مسوق لتقرير كفرهم المستفاد
من الانكار السابق وبيان كيفيته وقوله تع سحران خبر لمبتداء محذوف اي هما يعنون ما اوتي محمد
وما اوتي موسى عليهما السلم سحران تظاهرا اي تعاونا بتصديق كل واحد منهما الآخر وذلك انهم بعثوا
رهطا منهم الى رؤساء اليهود في عيد لهم فسألوهم عن شانه عم فقالوا انا نجده في التورية لنعته وصفته
فلما رجع الرهط واخبروهم بما قالت اليهود قالوا ذلك وقوله تع وقالوا انا بكل واحد من الكتابين
كافرون تصريح بكفرهم بهما وتاكيد لكفرهم المفهوم من تسميتهما سحرا وذلك لغاية عتوهم وتماديهم في الكفر
والطغيان وقرئ ساحران تظاهرا يعنون موسى ومحمدا عليهما السلم هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم
الجليل فتامل ودع عنك ما قيل وقيل الا ترى الى قوله تع قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى
منهما مما اوتياه من التورية والقرآن وسميتموهما سحرين فانه نص فيما ذكر وقوله تع اتبعه جواب
للامر اي ان تاتوا به اتبعه ومثل هذا الشرط مما ياتي به من يدل بوضوح حجته وسنوح محجته لان
الاتيان بما هو اهدى من الكتابين امر بين الاستحالة فيوسع دائرة الكلام للتبكيت والافحام
ان كنتم صادقين اي في انهما سحران مختلفان وفي ايراد كلمة ان مع امتناع صدقهم نوع تهكم بهم فان
لم يستجيبوا لك اي فان لم يفعلوا وانما عبر عنه بالاستجابة ايذانا بانه عم على كمال امن من امره
كان امره عم لهم بالاتيان بما ذكر دعاء لهم الى امر يريد وقوعه والاستجابة تتعدى الى الدعاء بنفسه
والى الداعي باللام فيحذف الدعاء عند ذلك غالبا ولا يكاد يقال استجاب الله له دعاءه
فاعلم انما يتبعون اهواءهم الزائغة من غير ان يكون لهم متمسك ما اصلا اذ لو كان لهم ذلك

اي لا عدول ٥

ذلك لاتوا به ومن اضل ممن اتبع هواه استفهام انكاري للنفي اي لا اضل ممن اتبع هواه بغير هدى
من الله اي هو اضل من كل ضال وان كان ظاهر السبك لنفي الاضل لا لنفي المساوي كما مر في
نظائره مرارا وتقييد اتباع الهوى بعدم الهدى من الله تعالى لزيادة التقرير والاشباع في التشنيع
والتضليل والا فمقارنته لهدايته تعالى بينة الاستحالة ان الله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا
انفسهم بالانهماك في اتباع الهوى والاعراض عن الآيات الهادية الى الحق المبين ولقد وصلنا
لهم القول وقرئ بالتخفيف اي انزلنا القرآن عليهم متواصلا بعضه اثر بعض حسبما تقتضيه الحكمة
والمصلحة او متتابعا وعدا ووعيدا قصصا وعبرا ومواعظ ونصائح لعلهم يتذكرون فيؤمنون بما فيه
الذين آتيناهم الكتاب من قبله اي من قبل ايتاء القرآن وهم يؤمنون وهم مؤمنوا اهل الكتاب
وقيل اربعون من اهل الانجيل اثنان وثلثون جاؤا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام واذا يتلى
اي القرآن عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا اي الحق الذي كنا نعرف حقيته وهو استيناف
لبيان ما اوجب ايمانهم وقوله تعالى انا كنا من قبله اي من قبل نزوله مسلمين بيان لكون ايمانهم به امرا
متقادم العهد لما شاهدوا ذكره في الكتب المتقدمة وانهم على دين الاسلام قبل نزول القرآن
اولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت يؤتون اجرهم مرتين مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة
على ايمانهم بالقرآن بما صبروا بصبرهم وثباتهم على الايمانين او على الايمان بالقرآن قبل النزول وبعده
او على اذى من هاجرهم من اهل دينهم ومن المشركين ويدرؤن بالحسنة السيئة اي يدفعون
بالطاعة المعصية لقوله عم اتبع الحسنة السيئة تمحها ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير
واذا سمعوا اللغو من اللاغين اعرضوا عنه عن اللغو تكرما كقوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما
وقالوا لهم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم بطريق المشاركة والتوديع لا نبتغي
الجاهلين لا نطلب صحبتهم ولا نريد مخالطتهم انك لا تهدي هداية موصلة الى البغية لا محالة
من احببت من الناس ولا تقدر على ان تدخله في الاسلام وان بذلت فيه غاية المجهود وجاوزت
في السعي كل حد معهود ولكن الله يهدي من يشاء ان يهديه فيدخله في الاسلام وهو اعلم بالمهتدين
بالمستعدين لذلك والجمهور على انها نزلت في ابي طالب فانه لما احتضر جاء رسول الله صلعم
وقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج بها لك عند الله قال يا ابن اخي قد علمت انك لصادق
ولكني اكره ان يقال جزع عند الموت ولولا ان يكون عليك وعلى بني ابيك غضاضة بعدي
لقلتها ولاقررت بها عينك عند الفراق لما ارى من شدة وجدك ونصيحتك ولكني سوف اموت
على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف
من ارضنا نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف حيث اتى النبي صلعم فقال
نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب وانما نحن اكلة راسي
ان يتخطفونا من ارضنا فرد عليهم بقوله تع اولم نمكن لهم حرما آمنا اي الم نعصمهم ولم نجعل مكانهم
حرما ذا امن لحرمة البيت الحرام الذي تتناحر العرب حوله وهم آمنون يجبى اليه وقرئ تجبى
اي تجمع ويحمل اليه ثمرات كل شيء من كل اوب والجملة صفة اخرى لحرما دافعة لما عسى يتوهم من

تضررهم بانقطاع الميرة رزقا من لدنا فاذا كان حالهم ما ذكر وهم عبدة اصنام فكيف يخافون
التخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد ولكن اكثرهم لا يعلمون اى جهلة لا يتفطنون
او لا يتفكرون ليعلموا ذلك وقيل هو متعلق بقوله تعالى من لدنا اى قليل منهم يتدبرون فيعلمون ان
ذلك رزق من عند الله تعالى اذ لو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقا على انه مصدر مؤكد لمعنى يجى او
حال من الثمرات على انه بمعنى مرزوق لتخصصها بالاضافة ثم بين ان الامر بالعكس وانهم احقاء بان يخافوا
باس الله تعالى بقوله وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها اى وكثير من اهل قرية كانت حالهم كحال هؤلاء
فى الامن وخفض العيش والدعة حتى اشروا فدمرنا عليهم وخربنا ديارهم فتلك مساكنهم خاوية بما ظلموا
لم تسكن من بعدهم من بعد تدميرهم الا قليلا اى الا زمانا قليلا اذ لا يسكنها الا المارة يوما او بعض
يوم او لم يبق من يسكنها الا قليلا من شوم معاصيهم وكنا نحن الوارثين منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف تصرفهم
فى ديارهم وسائر ذات ايديهم وانتصاب معيشتها بنزع الخافض او بجعلها ظرفا بنفسها كقولك
زيد ظنى مقيم او باضمار زمان مضاف اليه او بجعله مفعولا لبطرت بتضمين معنى كفرت وما كان ربك
مهلك القرى بيان للعناية الربانية اثر بيان اهلاك القرى المذكورة اى وما صح وما استقام بل استحال
فى سنته المبنية على الحكم البالغة او ما كان فى حكمه الماضى وقضائه السابق ان يهلك القرى قبل الانذار
بل كانت عادته ان لا يهلكها حتى يبعث فى امها اى فى اصلها وقصبتها التى هى اعمالها وتوابعها
لكون اهلها افطن وانبل رسولا يتلو عليهم اياتنا الناطقة بالحق ويدعوهم اليه بالترغيب والترهيب
وذلك لالزام الحجة وقطع المعذرة بان يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك والالتفات
الى نون العظمة لتربية المهابة وادخال الروعة وقوله تعالى وما كنا مهلكى القرى عطف على ما كان ربك
وقوله تعالى الا واهلها ظالمون استثناء مفرغ من اعم الاحوال اى وما كنا مهلكين لاهل القرى بعد
ما بعثنا فى امها رسولا يدعوهم الى الحق ويرشدهم اليه فى حال من الاحوال الا حال كونهم ظالمين بتكذيب
رسولنا والكفر باياتنا فالبعث غاية لعدم صحة الاهلاك بموجب السنة الالهية لا لعدم وقوعه حتى يلزم
تحقق الاهلاك عقيب البعث وقد مر تحقيقه فى سورة بنى اسرائيل وما اوتيتم من شىء من امور الدنيا
فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها اى فهو شىء شانه ان يتمتع ويتزين به اياما قلائل وما عند الله
وهو الثواب خير فى نفسه من ذلك لانه لذة خالصة عن شوائب الالم وبهجة كاملة عارية عن سمة
الهم وابقى لانه ابدى افلا تعقلون الا تتفكرون هذا الامر الواضح فتستبدلون الذى هو ادنى
بالذى هو خير وقرئ بالياء على الالتفات المبنى على اقتضاء سوء صنيعهم الاعراض عن مخاطبتهم
افمن وعدناه وعدا حسنا اى وعدا بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود فهو لاقيه اى مدركه
لا محالة لاستحالة الخلف فى وعده تعالى ولذلك جئ بالجملة الاسمية المفيدة لتحققه البتة وعطفت
بالفاء المنبئة عن معنى السببية كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا الذى هو مشوب بالالام
منغص بالاكدار مستتبع للتحسر على الانقطاع ومعنى الفاء الاولى ترتيب انكار التشابه
بين اهل الدنيا واهل الاخرة على ما قبلها من ظهور التفاوت بين متاع الحيوة الدنيا وبين
ما عند الله تعالى اى ابعد هذا التفاوت الظاهر يسوى بين الفريقين وقوله تعالى ثم هو يوم القيمة

القيمة من المحضرين عطف على متعناه داخل معه فى حيز الصلة مؤكد لانكار التشابه ومقرر له كانه قيل كمن متعناه
متاع الحيوة الدنيا ثم نحضره او احضرناه يوم القيمة النار او العذاب وايثار الجملة الاسمية للدلالة على التحقق
حتما وفى جعله من جملة المحضرين من التهويل ما لا يخفى وثم للتراخى فى الزمان او فى الرتبة وقرئ ثم هو بسكون الهاء تشبيها
للمنفصل بالمتصل ويوم يناديهم منصوب بالعطف على يوم القيمة لاختلافهما عنوانا وان اتخذ اذانا او باضمار
اذكر فيقول تفسير للنداء اين شركائى الذين كنتم تزعمون اى الذين كنتم تزعمونهم شركائى فحذف
المفعولان معا ثقة بدلالة الكلام عليهما قال استيناف مبنى على حكاية السؤال كانه قيل فماذا صدر عنهم فقيل
قال الذين حق عليهم القول وهم شركاؤهم من الشياطين او رؤساؤهم الذين اتخذوهم اربابا من دون
الله تعالى بان اطاعوهم فى كل ما امروهم به ونهوا عنه ومعنى حق عليهم القول انه ثبت مقتضاه وتحقق مؤداه
وهو قوله تعالى لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وغيره من ايات الوعيد وتخصيصهم بهذا الحكم مع شموله
للاتباع ايضا لاصالتهم فى الكفر واستحقاق العذاب حسبما يشعر به قوله تعالى لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم
ومسارعتهم الى الجواب مع كون السؤال للعبدة اما لتفطنهم ان السؤال عنهم لاستحضارهم وتوبيخهم بالاضلال
وجزمهم بان العبدة سيقولون هؤلاء اضلونا واما لان العبدة قد قالوه اعتذارا وهؤلاء انما قالوا ما قالوه
ردا لقولهم الا انه لم يحك قول العبدة ايجازا لظهوره ربنا هؤلاء الذين اغوينا اى هم الذين اغويناهم فحذف
الراجع الى الموصول ومرادهم بالاشارة بيان انهم يقولون ما يقولون بمحضر منهم وانهم غير قادرين على انكاره
ورده وقوله تعالى اغويناهم كما غوينا هو الجواب حقيقة وما قبله تمهيد له اى ما اكرهناهم على الغى وانما اغو
بطريق الوسوسة والتسويل لا بالقسر والالجاء فغووا باختيارهم غيا مثل غينا باختيارنا
ويجوز ان يكون الذين صفة لاسم الاشارة واغويناهم الخبر تبرانا اليك منهم ومما اختاروه
من الكفر والمعاصى هوى منهم وهو تقرير لما قبله ولذلك لم يعطف عليه وكذا قوله تعالى ما كانوا
ايانا يعبدون اى ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون اهواءهم وقيل ما مصدرية
متصلة بقوله تعالى تبرانا اى تبرانا من عبادتهم ايانا وقيل ادعوا شركاءكم اما تهكما بهم او
تبكيتا لهم فدعوهم لفرط الحيرة فلم يستجيبوا لهم ضرورة عدم قدرتهم على الاستجابة و
النصرة ورأوا العذاب قد غشيهم لو انهم كانوا يهتدون لوجه من وجوه الحيل يدفعون
به العذاب او الى الحق لما لقوا ما لقوا وقيل لو للتمنى اى تمنوا لو انهم كانوا مهتدين
ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين عطف على ما قبله سئلوا اولا عن اشرا
وثانيا عن جوابهم للرسل الذين نهوهم عن ذلك فعميت عليهم الانباء يومئذ اى
صارت كالعمى عنهم لا تهتدى اليهم واصله فعموا عن الانباء وقد عكس للمبالغة والتنبيه
على ان ما يحضره الذهن يفيض عليه ويصل اليه من خارج فاذا اخطأه لم يكن له حيلة الى
استحضاره وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء والاشتباه والمراد بالانباء اما
ما طلب منهم مما اجابوا به الرسل او جميع الانباء وهى داخلة فيه دخولا اوليا واذا كانت
الرسل عليهم السلام يفوضون العلم فى ذاك المقام الهائل الى علام الغيوب مع نزاهتهم عن غائلة
المسئول فما ظنك باولئك الضلال من الامم فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضا عن

بناهم

كهم

مشكلة

الجواب لفرط الدهشة او العلم بان الكل سواء في الجهل فاما من تاب من الشرك وآمن وعمل صالحا
اي جمع بين الايمان والعمل الصالح فعسى ان يكون من المفلحين اي الفائزين بالمطلوب عنده تعالى
الناجين عن المهروب وعسى للتحقيق على عادة الكرام او للترجي من قبل التائب بمعنى فليتوقع الافلاح
وربك يخلق ما يشاء ان يخلقه ويختار ما يشاء اختياره من غير ايجاب عليه ولا منع له اصلا
ما كان لهم الخيرة اي التخير كالطيرة بمعنى التطير والمراد نفي الاختيار المؤثر عنهم وذلك
مما لا ريب فيه وقيل المراد انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ما روي
انه منزل في قول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم والمعنى لا يبعث الله
تعالى الرسل باختيار المرسل اليهم وقيل معناه ويختار الذي كان لهم فيه الخير والصلاح سبحان الله
اي تنزه بذاته تنزها خاصا به من ان ينازعه احد او يزاحم اختياره اختياره وتعالى عما يشركون
عن اشراكهم او عن مشاركة ما يشركون به وربك يعلم ما تكن صدورهم كعداوة رسول الله صلعم
وحقده وما يعلنون كالطعن فيه وهو الله اي المستحق للعبادة لا اله الا هو لا احد يستحقها
الا هو له الحمد في الاولى والآخرة لانه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها على الخلق كافة يحمده المؤمنون
في الآخرة كما حمدوه في الدنيا بقولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده
ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده وله الحكم اي القضاء النافذ في كل شيء من غير مشاركة فيه لغيره
واليه ترجعون بالبعث لا الى غيره قل تقريرا لما ذكر ارأيتم اي اخبروني ان جعل الله عليكم الليل
سرمدا دائما من السرد وهو المتابعة والاطراد والميم مزيدة كما في دلامص من الدلاص يقال
درع دلاص اي ملساء لينة الى يوم القيمة باسكان الشمس تحت الارض او تحريكها حول الافق
الغائر من اله غير الله صفة لاله يأتيكم بضياء صفة اخرى له عليها يدور امر التبكيت والالزام كما في
قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض وقوله فمن يأتيكم بماء معين ونظائرهما خلا انه قصد بيان
انتفاء الموصوف بانتفاء الصفة ولم يقل هل اله الخ لايراد التبكيت والالزام على زعمهم وقرئ بضياء
بهمزتين افلا تسمعون هذا الكلام الحق سماع تدبر واستبصار حتى تزعنوا له وتعملوا بموجبه
قل ارأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة باسكانها في وسط السماء او بتحريكها
على مدار فوق الافق من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه استراحة من متاعب الاشغال و
لعل تجريد الضياء عن ذكر منافعه لكونه مقصودا بذاته ظاهر الاستتباع لما نيط به من المنافع افلا
تبصرون هذه المنفعة الظاهرة التي لا يخفى على من له بصر ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار
لتسكنوا فيه اي في الليل ولتبتغوا من فضله في النهار بانواع المكاسب ولعلكم تشكرون
ولكي تشكروا نعمته تع فعل ما فعل او لتعرفوا نعمته تع وتشكروه عليها ويوم يناديهم منصوب باذكر فيقول
اين شركائي الذين كنتم تزعمون تقريع اثر تقريع للاشعار بانه لا شيء اجلب لغضب الله
عز وجل من الاشراك كما لا شيء ادخل في مرضاته من توحيده سبحانه وقوله تع ونزعنا عطف على يناديهم
وصيغة الماضي للدلالة على التحقق او حال من فاعله باضمار قد والالتفات الى نون العظمة لابراز
كمال الاعتناء بشأن النزع وتهويله اي اخرجنا من كل امة من الامم شهيدا نبيا يشهد عليهم بما كانوا

عليه السلم ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله تع حتى خسف بداره وامواله فما كان له من فئة جماعة
مشفقة ينصرونه من دون الله بدفع العذاب عنه وما كان من المنتصرين اي الممتنعين منه بوجه
من الوجوه يقال نصره من عدوه فانتصر اي منعه فامتنع واصبح الذين تمنوا مكانه منزلته
بالامس منذ زمان قريب يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده
ويقدر اي يفعل كل واحد من البسط والقدر بمحض مشيته لا لكرامة توجب البسط ولا لهوان
يقتضي القبض وويكأن عند البصريين مركب من وي للتعجب وكأن للتشبيه والمعنى ما اشبه
الامر ان الله يبسط الخ وعند الكوفيين من ويك بمعنى ويلك وان وتقديره ويك اعلم ان الله
وانما يستعمل عند التنبه على الخطاء والتندم والمعنى انهم قد تنبهوا على خطائهم في تمنيهم وتندموا
على ذلك لولا ان من الله علينا لخسف بنا كما خسف به وقرئ لخسف على البناء للمفعول وبنا هو
القائم مقام الفاعل وقرئ لا تخسف بنا كقولك انقطع وقرئ لتخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون
لنعمة الله تع او المكذبون برسله وبما وعدوا من ثواب الآخرة تلك الدار الآخرة اشارة
تعظيم وتفخيم كأنه قيل تلك التي سمعت خبرها وبلغك وصفها نجعلها للذين لا يريدون علوا في
الارض اي غلبة وتسلطا ولا فسادا اي ظلما وعدوانا على العباد كدأب فرعون وقارون
وفي تعليق الموعد بترك ارادتهما لا بترك انفسهما مزيد تحذير منهما وعن علي رض ان الرجل
ليعجبه ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها والعاقبة الحميدة للمتقين
اي الذين يتقون ما لا يرضاه الله تع من الافعال والاقوال من جاء بالحسنة فله بمقابلتها
خير منها ذاتا ووصفا وقدرا ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات وضع فيه
الموصول والظاهر موضع الضمير لتهجين حالهم بتكرير اسناد السيئة اليهم الا ما كانوا يعملون
اي الا مثل ما كانوا يعملون فحذف المثل واقيم مقامه ما كانوا يعملون مبالغة في المماثلة ان
الذي فرض عليك القرآن اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل به لرادك الى معاد
اي معاد يمتد اليه اعناق الهمم ويرنو اليه احداق الامم وهو المقام المحمود الذي وعدك
ان يبعثك فيه وقيل هو مكة المعظمة على انه تع قد وعده وهو بمكة في اذية وشدة من اهلها
انه مهاجريه منها ثم يعيده اليها بعز ظاهر وسلطان قاهر وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة في
مهاجره وقد اشتاق الى مولده ومولد آبائه وحرم ابرهيم عم فنزل جبريل عم فقال اتشتاق
الى مكة قال نعم فاوحاها اليه قل ربي اعلم من جاء بالهدى وما يستحقه من الثواب والنصر ومن
منتصب بفعل يدل عليه اعلم اي يعلم وقيل باعلم على انه بمعنى عالم ومن هو في ضلال مبين
وما استحقه من العذاب والاذلال يعني بذلك نفسه والمشركين وهو للوعيد السابق وكذا
قوله تع وما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب اي سيردك الى معادك كما القى اليك الكتاب
وما كنت ترجوه الا رحمة من ربك ولكن القاه اليك رحمة منه ويجوز ان يكون استثناء
محمولا على المعنى كأنه قيل وما القى اليك الكتاب الا رحمة اي لاجل الترحم فلا تكونن ظهيرا للكافرين
بمداراتهم والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم ولا يصدنك اي الكافرون عن آيات الله اي عن

قرأتها والعمل بها بعد اذ انزلت اليك وفرضت عليك وقرئ يصدنك من اصد المنقول
من صد اللازم واربع الناس الى ربك الى عبادته وتوحيده ولا تكونن من المشركين بسائهم
في الامور ولا تدع مع الله الها آخر هذا وما قبله للتهييج والايجاب في قطع اطماع المشركين عن
مساعدته عم لهم واظهار ان المنهي عنه في الفجع والشنيعة بحيث ينهى عنه من لا يكن صدوره عنه
اصلا لا اله الا هو وحده كل شيء الا وجهه الا اذا نه فان ما عداه كائنا ما كان ممكن في حد ذاته
عرضة للهلاك والعدم له الحكم اى القضاء النافذ في الخلق واليه ترجعون عند البعث
للجزاء بالحق والعدل عن النبي صلعم من قرأ طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق بموسى
وكذب ولم يبق ملك في السموات والارض الا شهد له يوم القيمة انه كان صادقا

الم الكلام فيه كالذي مر مرارا في نظائره من الفواتح الكريمة خلا ان ما بعده لا يحتمل ان يتعلق به تعلقا
اعرابيا احسب الناس الحبان ونظائره لا يتعلق بمعاني المفردات بل بمضامين الجمل المفيدة
لثبوت شيء لشيء او انتفاء شيء عن شيء بحيث تحصل منها مفعولاه اما بالفعل كما في عامة المواقع
واما بنوع تصرف فيها كما في الجمل المصدرة بان والواقعة صلة للموصول الاسمي او الحرفي فان كلا
منها صالح لان يسبك منها مفعولاه لان قوله تعالى احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم
لا يفتنون في قوة ان يقال احسبوا ان تفهم متروكين بلا فتنة بخ وان يقولوا آمنا او ان يقال
احسبوا اتركهم غير مفتونين بقولهم آمنا حاصلا متحققا والمعنى انكار الحسبان المذكور واستبعاده
وتحقيق انه تع يمتحنهم بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض ما تشتهيه النفس ووظائف
الطاعات وفنون المصائب والانفس والاموال ليتميز المخلص من المنافق والراسخ في الدين من
المتزلزل فيه ويجازيهم بحسب مراتب اعمالهم فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضي غير الخلاص
من الخلود في النار روى انها نزلت في اناس من الصحابة رضع جزعوا من اذية المشركين وقيل في
عمار قد عذب في الله وقيل في مهجع مولى عمر بن الخطاب رضع رماه عامر بن الحضرمي بسهم يوم بدر
فقتله فجزع عليه ابواه وامرأته وهو اول من استشهد يومئذ من المسلمين فقال رسول الله صلعم
سيد الشهداء مهجع وهو اول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة ولقد فتنا الذين من قبلهم
متصل بقوله تع احسب او بقوله تع لا يفتنون والمعنى ان ذلك سنة قديمة مبنية على الحكم البالغة
جارية فيما بين الامم كلها فلا ينبغي ان يتوقع خلافها والمعنى ان الامم الماضية قد اصابهم من
ضروب الفتن والمحن ما هو اشد مما اصابكم وعبر عنه قوله تع وكاين من
نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا الآيات
وعن النبي صلعم قد كان من قبلكم يؤخذ فيوضع المنشار على رأسه فيفرق فرقتين ما يصرفه
ذلك عن دينه ويمشط بامشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه فليعلمن
الله الذين صدقوا في قولهم آمنا وليعلمن الكاذبين في ذلك والقاء الترتيب بعدها على ما يقتضيه

يفصح عنه ما قبلها من وقوع الامتحان واللام جواب القسم والالتفات الى الاسم الجليل لادخال
الروعة وتربية المهابة وتكرير الجواب لزيادة التاكيد والتقرير اى فوالله ليتعلقن علمه بالامتحان
تعلقا حاليا يتميز به الذين صدقوا في الايمان الذي اظهروه والذين هم كاذبون فيه مستمرون على
الكذب ويترتب عليه اجزيتهم من الثواب والعقاب لذلك قتل المعنى ليميزن او ليجازين وقرئ
وليعلمن من الاعلام اى وليعرفنهم الناس اولتسمهم بسمة يعرفون بها يوم القيمة كبياض الوجوه
وسوادها ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا اى يفوتونا فلا نقدر على مجازاتهم
بمساوي اعمالهم وهو ساد مسد مفعولي حسب لاشتماله على مسند ومسند اليه وام منقطعة
ومافيها من معنى بل للاضراب والانتقال عن التوبيخ بانكار حسبانهم متروكين غير مفتونين الى التوبيخ
بانكار ما هو ابطل من الحسبان الاول وهو حسبانهم ان لا يجازوا بسيئاتهم وهم وان لم يحسبوا
انهم يفوتونه تعا ولم يجترئوا انفسهم بذلك لكنهم حيث اصروا على المعاصي ولم يتفكروا في العاقبة
نزلوا منزلة من يطمع في ذلك كما في قوله تع يحسب ان ماله اخلده ساء ما يحكمون اى بئس الذي
يحكمونه حكمهم ذلك من كان يرجو لقاء الله اى يتوقع ملاقاة جزائه ثوابا او عقابا او ملاقاة حكمه
يوم القيمة وقيل يرجو لقاء الله عز وجل في الجنة وقيل يرجو ثوابه وقيل يخاف عقابه
وقيل لقاؤه تع عبارة عن الوصول الى العاقبة من تلقي ملك الموت والبعث والحساب والجزاء
على تمثيل تلك الحال بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد علم مولاه بجميع ما كان يأتي ويذر
فاما ان يلقاه ببشر وكرامة لما رضي من افعاله او بضده لما سخطه فان اجل الله الآتي عارة
عن غاية زمان ممتد عينت لامر من الامور وقد يطلق على كل ذلك الزمان والاول هو الانسب
في الاستعمال اى فان الوقت الذي عينه تع لذلك لآت لا محالة من غير صارف يلويه
ولا عاطف يثنيه لان اجزاء الزمان على التعاقب والتصرم دائما فلا بد من اتيان ذلك الآجل
ايضا البتة واتيان وقته موجب لاتيان اللقاء حتما والجواب محذوف اى فليثق من الاعمال
ما يورثه الى حسن الثواب وليحذر ما يسوقه الى سوء العذاب كما في قوله تعا من كان يرجو لقاء
ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وفي الوعد والوعيد ما لا يخفى وقيل
فليبادر بما يحقق امله ويصدق رجاءه او ما يوجب القربة والزلفى وهو السميع لاقوال
العباد العليم باحوالهم من الاعمال الظاهرة والعقائد ومن جاهد في طاعة الله عز وجل فانما
يجاهد لنفسه لعود منفعتها اليها ان الله لغني عن العالمين فلا حاجة له الى طاعتهم وانما امرهم بها
تعريضا لهم للثواب الموجب لرحمته والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم
الكفر بالايمان والمعاصي بما يشبعها من الطاعات ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون
اى احسن جزاء اعمالهم لا جزاء احسن اعمالهم فقط ووصينا الانسان بوالديه اى باتيان
والديه وايلائهما فعلا ذا حسن او ما هو في حد ذاته حسن لفرط حسنه كقولهم بعو وقولوا للناس حسنا
ووصى يجري مجرى امر معنى وتصرفا غير انه يستعمل فيما كان في المامور به نفع عائد الى الموصي او غيره
وقيل هو بمعنى قال فالمعنى وان قلنا احسن بوالديك حسنا وقيل انتصاب حسنا بمضمر على

تقدير قول مفسر للتوصية اى وقلنا اولهما او افعل بهما حسنا وهو اوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف
على بوالديه وقرئ حسنا واحسانا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم اى بالهيته عبر
عن نفيها بنفي العلم بها للايذان بان ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فكيف
بما علم بطلانه فلا تطعهما في ذلك فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا بد من اضمار القول
ان لم يضمر فيما قبل وفي تعليق النهي عن طاعتهما بمجاهدتهما في التكليف اشعار بان موجب النهي فيما
دونها من التكليف ثابت بطريق الاولوية الي مرجعكم اى مرجع من آمن منكم ومن اشرك
ومن بر بوالديه ومن عق فانبئكم بما كنتم تعملون بان اجازي كلا منكم بعمله ان خيرا فخير وان شرا
فشر والآية نزلت في سعد بن ابي وقاص عند اسلامه حيث حلفت امه حمنة بنت ابي سفيان
ابن امية ان لا تنتقل من الضح الى الظل ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد فلبثت ثلثة ايام
كذلك وكذا التي في سورة لقمان وسورة الاحقاف وقيل نزلت في عياش بن ابي ربيعة
المخزومي وذلك انه هاجر مع عمر بن الخطاب رض حتى نزلت المدينة فخرج ابو جهل والحارث
اخواه لامه اسماء فنزلا بعياش وقالا له ان من دين محمد صلعم صلة الارحام وبر الوالدين وقد
تركت امك ولا تطعم ولا تشرب ولا تاوي بيتا حتى تراك فاخرج معنا وقتلا منه في الذروة والغارب
واستشار عمر رض فقال هما يخدعانك ولك علي ان اقسم مالي بيني وبينك فما زالا به حتى اطاعهما وعصى
عمر رض فقال عمر رض اما اذا عصيتني فخذ ناقتي فليس في الدنيا بعير يلحقها فان رابك منها ريب فارجع فلما انتهوا
الى البيداء قال ان ناقتي قد كلت فاحملني معك فنزل ليوطئ لنفسه وله فاخذاه فشداه وثاقا وجلده كل
واحد مائة جلدة وذهبا به الى امه فقالت لا تزال في عذاب حتى ترجع عن دين محمد والذين آمنوا وعملوا
الصالحات لندخلنهم في الصالحين اى في زمرة الراسخين في الصلاح والكمال منتهى درجات المؤمنين
وغاية مأموله انبياء الله المرسلين قال الله تع حكاية عن سليمان عم وادخلني في رحمتك في عبادك الصالحين
وقال في حق ابرهيم عم وانه في الآخرة لمن الصالحين او في مدخل الصالحين وهي الجنة ومن الناس من يقول
آمنا بالله فاذا اوذي في الله اى في شانه تع بان عذبهم الكفرة على الايمان جعل فتنة الناس اى ما يصيبه
من اذيتهم كعذاب الله في الشدة والهول فيرتد عن الدين مع انه لا قدر لها من نفخة من عذابه تعالى اصلا ولئن
جاء نصر من ربك اى فتح وغنيمة ليقولن بضم اللام نظرا الى معنى من كما ان الافراد فيما سبق بالنظر الى
لفظها وقرئ بالفتح انا كنا معكم اى مشايعين لكم في الدين فاشركونا في المغنم وهم ناس من ضعفة المسلمين
كانوا اذا مستهم اذى من الكفار وافقوهم وكانوا يكتمونه من المسلمين فرد عليهم ذلك بقوله تعالى
اليس الله باعلم بما في صدور العالمين اى باعلم منهم بما في صدورهم من الاخلاص والنفاق حتى يفعلوا
ما يفعلون من الارتداد والاخفاء عن المسلمين وادعاء كونهم منه لنيل الغنيمة وهذا هو الاوفق لما سبق
وما لحق من قوله تعالى وليعلمن الله الله آمنوا اى بالاخلاص وليعلمن المنافقين سواء كان كفرهم باذية
الكفرة اولا اى ليجزينهم بما لهم من الايمان والنفاق وقال الذين كفروا للذين آمنوا بيان لحملهم للمؤمنين
على الكفر بالاستمالة بعد بيان حملهم لهم عليه بالاذية والوعيد ووصفهم بالكفر ههنا دون ما سبق لما ان مساق
الكلام لبيان جنايتهم وفيما سبق لبيان جناية من اضلوه واللام للتبليغ اى قالوا مخاطبين لهم اتبعوا سبيلنا

سبيلنا اى اسلكوا طريقتنا التي نسلكها في الدين عبر عن ذلك بالاتباع الذي هو المشي خلف
ماش آخر تنزيلا للمسلك منزلة السالك فيه او اتبعونا في طريقتنا ولنحمل خطاياكم اى ان كان
ذلك خطيئة يؤاخذ عليها بالبعث كما تقولون وانما امروا انفسهم بالحمل عاطفين له على امرهم
بالاتباع للمبالغة في تعليق الحمل بالاتباع والوعيد لتخفيف الاوزار عنهم ان كان ثمة وزر
فرد عليهم بقوله تعالى وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء وقرئ من خطيئاتهم اى وما هم
بحاملين شيئا من خطاياهم التي التزموا ان يحملوا كلها على ان من الاولى للتبيين والثانية
مزيدة للاستغراق والجملة اعتراض او حال انهم لكاذبون حيث اخبروا في ضمن وعدهم
بالحمل بانهم قادرون على انجاز ما وعدوا فان الكذب كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه
يتطرق اليه باعتبار ما يلزم مدلوله كما مر في قوله تع انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين
وليحملن اثقالهم بيان لما يستتبعه قولهم ذلك في الآخرة من المضرة لانفسهم بعد
بيان عدم منفعته لمخاطبيهم اصلا والتعبير عن الخطايا بالاثقال للاذان بغاية ثقلها
وكونها فادحة واللام جواب قسم مضمر اى وبالله ليحملن اثقال انفسهم كاملة واثقالا اخر
مع اثقالهم لما تسببوا له بالاضلال والحمل على الكفر والمعاصي من غير ان ينتقص من اثقال من
اضلوه شيء ما اصلا وليسألن يوم القيمة سؤال تقريع وتبكيت عما كانوا يفترون
اى يختلقونه في الدنيا من الاكاذيب والاباطيل التي من جملتها كذبهم هذا ولقد ارسلنا نوحا
الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما شروع في بيان افتتان الانبياء عليهم السلم
باذية اممهم اثر بيان افتتان المؤمنين باذية الكفار تاكيدا للانكار على الذين يحسبون
ان يتركوا بمجرد الايمان بلا ابتلاء وحثا لهم على الصبر فان الانبياء عليهم السلم حيث ابتلوا بما اصابهم
من جهة اممهم من فنون المكاره وصبروا عليها فلان يصبر هؤلاء اولى واحرى قالوا كان عمر
نوح عم الفا وخمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين سنة وعن وهب انه عاش
الفا واربعمائة سنة ولعل ما عليه النظم الكريم للدلالة على كمال العدد فان تسعمائة
وخمسين قد يطلق على ما يقرب منه ولما في ذكر الالف من تخييل طول المدة فان المقصود من
القصة تسلية رسول الله صلعم وتثبيته على ما كان عليه من مكابدة ما يناله من الكفرة و
اظهار ركاكة رأي الذين يحسبون انهم يتركون بلا ابتلاء واختلاف المميز لما في التكرير
من نوع بشاعة فاخذهم الطوفان اى عقيب تمام المدة المذكورة والطوفان يطلق
على كل ما يطوف بالشيء على كثرة وشدة من السيل والريح والظلام وقد غلب على طوفان
الماء وهم ظالمون اى والحال انهم مستمرون على الظلم لم يتأثروا بما سمعوا من نوح عليه السلم
من الآيات ولم يرعووا عما هم عليه من الكفر والمعاصي هذه المدة المتمادية فانجيناه اى نوحا عليه السلم
واصحاب السفينة اى ومن ركب فيها معه من اولاده واتباعه وكانوا ثمانين وقيل
ثمانية وسبعين وقيل عشرة وقيل ثمانية نصفهم ذكور ونصفهم اناث وجعلناها
اى السفينة او الحادثة والقصة آية للعالمين يتعظون بها وابرهيم نصب بالعطف

بالفاء

انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر
قومك من قبل ان يأتيهم عذاب
اليم قال يا قوم اني لكم نذير
مبين ان اعبد الله يغفر لكم
من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى
ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر
لو كنتم تعلمون

على نوحا وقيل باضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين ابرهيم اذ قال لقومه على الاول
ظرف للارسال اي ارسلناه حين تكامل عقله وقدر على النظر والاستدلال وترقى من رتبة الكمال الى
درجة التكميل حيث تصدى لارشاد الخلق الى طريق الحق وعلى الثاني بدل اشتمال من ابرهيم اعبدوا الله
اي وحده واتقوه ان تشركوا به شيئا ذلكم اي ما ذكر من العبادة والتقوى خير لكم اي مما انتم عليه
ومعنى التفضيل مع انه لا خيرية فيه قطعا باعتبار زعمهم الباطل ان كنتم تعلمون اي الخير والشر وتميزون
احدهما من الآخر او ان كنتم تعلمون شيئا من الاشياء بوجه من الوجوه فان ذلك كاف في الحكم بخيرية ما ذكر
من العبادة والتقوى انما تعبدون من دون الله اوثانا بيان لبطلان دينهم وشريته في نفسه بعد
بيان شريته بالنسبة الى الدين الحق اي انما تعبدون من دونه تعالى اوثانا هي في نفسها تماثيل مصنوعة
لكم ليس فيها وصف غير ذلك وتخلقون افكا اي وتكذبون كذبا حيث تسمونها آلهة وتدعون
انها شفعاؤكم عند الله تعالى او تعملونها وتنحتونها للافك وقرئ تخلقون بالتشديد للتكثير في الخلق
بمعنى الكذب والافتراء وتخلقون بحذف احدى التائين من تخلق بمعنى تكذب وتخرص وقرئ افكا
على انه مصدر كالكذب واللعب او نعت بمعنى خلقا ذا افك ان الذين تعبدون من دون الله
بيان لشريته ما يعبدونه من حيث انه لا يكاد يجديهم نفعا لا يملكون لكم رزقا اي لا يقدرون على
ان يرزقوكم شيئا من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله فانه هو الرزاق ذو القوة الامين
واعبدوه وحده واشكروا له على نعمائه متوسلين الى مطالبكم بعبادته مقيدين بالشكر
للعبيد ومستجلبين للمزيد اليه ترجعون اي بالموت ثم البعث لا الى غيره فافعلوا ما امرتكم به وقرئ
ترجعون من رجع رجوعا وان تكذبوا اي تكذبون فيما اخبرتكم به من انكم اليه ترجعون بالبعث
فقد كذب امم من قبلكم تعليل للجواب اي فلا تضروني بتكذيبكم فان من قبلكم من الامم قد كذبوا
من قبلي من الرسل وهم شيث وادريس ونوح عليهم السلام فلم يضروا تكذيبهم شيئا وانما خبر انفسهم
حيث تسببت لما حل بهم من العذاب فكذا تكذيبكم وما على الرسول الا البلاغ المبين اي التبليغ الذي
لا يبقى معه شك وما عليه ان يصدقه قومه البتة وقد خرجت عن عهدة التبليغ بما لا مزيد عليه
فلا يضرني تكذيبكم بعد ذلك اصلا اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق كلام مستانف مسوق
من جهته تعالى للانكار على تكذيبهم بالبعث مع وضوح دليله وسنوح سبيله والهمزة لانكار عدم
رؤيتهم الموجب لتقريرها والواو للعطف على مقدر اي الم ينظروا ولم يعلموا علما جاريا مجرى الرؤية
في الجلاء والظهور كيفية خلق الله تعالى الخلق ابتداء من مادة ومن غير مادة اي قد علموا
ذلك وقرئ بصيغة الخطاب لتشديد الانكار وتاكيده وقرئ يبدأ وقوله تعالى ثم يعيده
عطف على اولم يروا لا على يبدئ لعدم وقوع الرؤية عليه فهو اخبار بانه تعالى يعيد الخلق قياسا
على الابداء وقد جوز العطف على يبدئ بتاويل الاعادة بانشائه تعالى كل سنة مثل ما انشاه
في السنة السابقة من النبات والثمار وغيرهما فان ذلك مما يستدل به على صحة البعث ووقوعه
من غير ريب ان ذلك اي ما ذكر من الاعادة على الله يسير اذ لا يفتقر فعله الى شيء اصلا قل
سيروا في الارض امر لابرهيم عليه السلام ان يقول لهم ذلك اي سيروا فيها فانظروا كيف بدأ الخلق

الخلق اي كيف خلقهم ابتداء على اطوار مختلفة وطبائع متغايرة واخلاق شتى فان ترتيب النظر
على السير في الارض مؤذن بتتبع احوال الاصناف الخلق القاطنين في اقطارها ثم الله ينشئ
النشأة الآخرة بعد النشأة الاولى التي شاهدتموها والتعبير عن الاعادة التي هي محل النزاع
بالنشأة الآخرة المشعرة بكون المبدأ نشأة اولى للتنبيه على انهما شأن واحد من شئون الله
تعالى حقيقة واسما من حيث ان كلا منهما اختراع واخراج من العدم الى الوجود لا فرق بينهما الا
بالاولية والآخرية وقرئ النشاءة بالمد وهما لغتان كالرأفة والرآفة ومحلها النصب
على انها مصدر مؤكد لينشئ بحذف الزوائد والاصل الانشاءة او بحذف العامل اي ينشئ
فينشئون النشأة الآخرة كما في قوله تعالى وانبتها نباتا حسنا والجملة معطوفة على جملة سيروا
في الارض داخلة معها في حيز القول واظهار الاسم الجليل وايقاعه مبتدأ مع اضماره في بدء
الابراز مزيد الاعتناء ببيان تحقق الاعادة بالاشارة الى علة الحكم وتكرير الاسناد وقوله تعالى
ان الله على كل شيء قدير تعليل لما قبله بطريق التحقيق فان من علم قدرته تعالى على جميع الاشياء
التي من جملتها الاعادة لا يتصور ان يتردد في قدرته عليها ولا في وقوعها بعد ما اخبر به يعذب
اي بعد النشأة الآخرة من يشاء ان يعذبه وهم المنكرون لها ويرحم من يشاء ان يرحمه
وهم المصدقون بها والجملة تكملة لما قبلها وتقديم التعذيب لما ان الترهيب انسب بالمقام
من الترغيب واليه تقلبون عند ذلك لا الى غيره فيفعل بكم ما يشاء من التعذيب والرحمة
وما انتم بمعجزين له تعالى عن اجراء حكمه وقضائه عليكم في الارض ولا في السماء اي بالتواري
في الارض او الهبوط في مهاويها ولا بالتحصن في السماء التي هي افسح منها لو استطعتم
الرقي فيها كما في قوله تعالى ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا
او القلاع الذاهبة فيها وقيل في السماء صفة لمحذوف معطوف على انتم اي ولا من في
السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير يسخركم مما يصيبكم من بلاء يظهر من الارض
او ينزل من السماء ويدفعه عنكم والذين كفروا بآيات الله اي بدلائله التكوينية والتنزيلية
الدالة على ذاته وصفاته وافعاله فيدخل فيها النشأة الاولى الدالة على تحقق البعث والآيات
الناطقة به دخولا اوليا وتخصيصها بدلائل وحدانيته تعالى لا يناسب المقام ولقائه الذي
ينطق به تلك الآيات اولئك الموصوفون بما ذكر من الكفر بآياته تعالى ولقائه يئسوا من
رحمتي اي ييأسون منها يوم القيمة وصيغة الماضي للدلالة على تحققه او يئسوا منها في
الدنيا لانكارهم البعث والجزاء واولئك لهم عذاب اليم وفي تكرير اسم الاشارة
وتكرير الاسناد وتنكير العذاب ووصفه بالاليم من الدلالة على كمال فظاعة حالهم ما لا يخفى
اي اولئك الموصوفون بالكفر بآيات الله تعالى ولقائه وباليأس من رحمته الممتازون
بذلك عن سائر الكفرة لهم بسبب تلك الاوصاف القبيحة عذاب لا يقادر قدره في الشدة
والايلام فما كان جواب قومه بالنصب على انه خبر كان واسمها قوله تعالى الا ان قالوا اقتلوه
او حرقوه وقرئ بالرفع على العكس وقد مر ما فيه في نظائره وليس المراد انه لم يصدر عنهم بصدد

الجواب عن حجج ابرهيم عليه السلم الا هذه المقالة الشنيعة كما هو المتبادر من ظاهر النظم الكريم بل ان ذلك هو الذي استقر
عليه جوابهم بعد اللتيا والتي في المرة الاخيرة والا فقد صدر عنهم من الخرافات والاباطيل ما لا يحصى فانجاه الله
من النار الفاء فصيحة اي فالقوه في النار فانجاه الله تعالى منها بان جعلها عليه عليه السلم بردا وسلاما حسبما بين في
مواضع اخر وقد مر في سورة الانبياء كيفية القائه عليه السلم فيها وانجائه تع اياه تفصيلا قيل لم ينتفع يومئذ بالنار
في موضع اصلا ان في ذلك اي في انجائه منها لايات بينة عجيبة هي حفظه تعالى اياه من حرها واخمادها في
زمان يسير وانشاء روض في مكانها لقوم يؤمنون واما من عداهم فهم عن اجتلائها غافلون ومن الفوز
بمغانم اثارها محرومون وقال اي ابرهيم عليه السلم مخاطبا لهم انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم
في الحيوة الدنيا اي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وائتلافكم وثاني مفعولي اتخذتم محذوفا اي
اوثانا الهة ويجوز ان يكون مودة هو المفعول بتقدير المضاف او بتاويلها بالمودودة او بجعلها نفس المودة
مبالغة اي اتخذتم اوثانا سبب المودة بينكم او مودودة او نفس المودة وقرئ مودة منونة ناصبة
للظرف وقرئت بالرفع والاضافة على انها خبر مبتدا محذوف اي هي مودودة او نفس المودة او سبب
مودة بينكم والجملة صفة اوثانا او خبر على ان ما مصدرية او موصولة قد حذف عائدها وهو المفعول الاول وقرئت
مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم على احد الوجهين وقرئ انما مودة بينكم والمعنى ان اتخاذكم
اياها مودة بينكم ليس الا في الحيوة وقد اجريتم احكامه حيث فعلتم بي ما فعلتم لاجل مودتكم لها انتصارا مني كما
ينبئ عنه قوله تع وانصروا الهتكم ثم يوم القيمة ينقلب الامور ويتبدل التواد تباغضا والتلاطف تلاعنا حيث
يكفر بعضكم وهم العبدة ببعض وهم الاوثان ويلعن بعضكم بعضا اي يلعن كل فريق منكم ومن الاوثان
حيث ينطقها الله تع الفريق الاخر ومأواكم النار اي هي منزلكم الذي تاوون اليه ولا ترجعون منه ابدا
وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها كما خلصني ربي من النار التي القيتموني فيها وجمع الناصر لوقوعه في مقابلة
الجمع اي ما لاحد منكم من ناصر اصلا فامن له لوط اي صدقه في جميع مقالاته لا في نبوته وما دعا اليه من
التوحيد فقط فانه كان منزها عن الكفر وما قيل انه امن له حين راى النار لم تحرقه ينبغي ان يحمل على ما ذكرنا
او على ان يراد بالايمان الرتبة العالية منها وهي التي لا يرتقي اليها الا همم الافراد الكمل ولوط هو ابن اخته
عليهما السلم وقال اني مهاجر اي من قومي الى ربي الى حيث امرني به انه هو العزيز الغالب على امره فيمنعني من
اعدائي الحكيم الذي لا يفعل فعلا الا وفيه حكمة ومصلحة فلا يامرني الا بما فيه صلاحي وروي انه هاجر
من كوثى من سواد الكوفة مع لوط وسارة ابنة عمه الى حران ثم منها الى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سندوم
ووهبنا له اسحق ويعقوب ولدا نافلة حين ايس من عجوز عاقر وجعلنا في ذريته النبوة فكثر منهم الانبياء
عليهم السلم والكتاب اي جنس الكتاب المتناول للكتب الاربعة واتيناه اجره بمقابلة هجرته الينا في الدنيا
باعطاء الولد والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتما اهل الملل اليه والثناء والصلاة عليه الى اخر
الدهر وانه في الاخرة لمن الصالحين اي الكاملين في الصلاح ولوطا منصوب اما بالعطف على نوحا او
على ابرهيم والكلام في قوله تع اذ قال لقومه كالذي مر في قصة ابرهيم عليه السلم انكم لتاتون الفاحشة اي الفعلة
المتناهية في القبح وقرئ ائنكم ما سبقكم بها من احد من العالمين استيناف مقرر لكمال قبحها فان اجماع
جميع افراد العالمين على التحاشي عنها ليس الا لكونها مما يشمئن منه الطباع وتنفر منه النفوس ائنكم لتاتون

اللتيا بفتح اللام والتاء وفتح الياء المشددة تصغير التي فتامل

خمدت النار سكنت ٥

لتاتون الرجال وتقطعون السبيل وتتعرضون للسابلة اي بالفاحشة
حيث روي انهم كانوا كثيرا ما يفعلونها بالغرباء وقيل تقطعون سبيل النساء
بالاعراض عن الحرث واتيان ما ليس بحرث وقيل تقطعون السبيل بالقتل واخذ
المال وتاتون في ناديكم اي تفعلون في مجلسكم الجامع لاصحابكم المنكر كالجماع والضراط وحل
الازار وغيرها مما لا خير فيه من الافاعيل المنكرة وعن ابن عباس رض هو الخذف بالحصى
والرمي بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل الازرار والسباب
والفحش في المزاح وقيل السخرية بمن مر بهم وقيل المجاهرة في ناديهم بذلك العمل فما كان
جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين اي فما كان
جوابا من جهتهم شيء من الاشياء الا هذه الكلمة الشنيعة اي لم يصدر عنهم في هذه المرة من
مرات مواعظ لوط عليه السلم وقد كان اوعدهم فيها بالعذاب واما ما في سورة الاعراف
من قوله تعالى وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم الاية وما في سورة النمل من
قوله تعالى فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم الاية فهو الذي صدر عنهم
بعد هذه المرة وهي المرة الاخيرة من مرات المقاولات الجارية بينهم وبينه عليه السلم
قال رب انصرني اي بانزال العذاب الموعود على القوم المفسدين بابتداع
الفاحشة وسنها فيما بعدهم والاصرار عليها واستعمال العذاب بطريق الاستهزاء
وانما وصفهم بذلك مبالغة في استنزال العذاب عليهم ولما جاءت رسلنا ابرهيم
بالبشرى اي بالبشارة بالولد والنافلة قالوا اي لابرهيم عليه السلم في تضاعيف الكلام
حسبما فصل في سورة هود وسورة الحجر انا مهلكوا اهل هذه القرية اي قرية سندوم
والاضافة لفظية لان المعنى على الاستقبال ان اهلها كانوا ظالمين تعليل للاهلاك
باصرارهم على الظلم وتماديهم في فنون الفساد وانواع المعاصي قال ان فيها لوطا
فكيف تهلكونها قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله ارادوا انهم غير غافلين
عن مكان لوط عليه السلم بل عمن لم يتعرض له ابي اعيم من اتباعه المؤمنين وانهم معتنون
بشانهم اتم اعتناء حسبما يفصح عنه تصدير الوعد بالتنجية فيها بالقسم اي والله
لننجينه واهله الا امراته كانت من الغابرين اي الباقين في العذاب او القرية
ولما ان جاءت رسلنا المذكورون بعد مفارقتهم لابرهيم عليه السلم لوطا سيء بهم
اعتراهم المساءة بسببهم مخافة ان يتعرض لهم قومه بسوء وكلمة ان صلة لتاكيد
ما بين الفعلين من الاتصال وضاق بهم ذرعا اي ضاق بشانهم وتدبير امرهم ذرعه
اي طاقته كقولهم ضاقت يده وبازائه رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا به قادرا
عليه وذلك ان طويل الذراع ينال ما لا ينال قصير الذراع وقالوا ريثما شاهدوا
فيه مخائل التضجر من جهتهم وعاينوا انه قد عجز والتي حتى الت به الحال الى ان
قال لو ان لي بكم قوة او اوي الى ركن شديد لا تخف اي من قومك علينا ولا تحزن

عن مدافعة قومه بعد اللتيا صح

اى على شئ وقيل باهلاكنا اياهم انا منجوك واهلك مما يصيبهم من العذاب
الا امرأتك كانت من الغابرين وقرئ لننجينه ومنجوك من الانجاء واياما
كان فمحل الكاف الجر على المختار ونصب اهلك باضمار فعل او بالعطف على محلها
باعتبار الاصل انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء استيناف
مسوق لبيان ما اشير اليه بوعد التنجية من نزول العذاب عليهم والرجز العذاب الذى
يقلق المعذب اى يزعجه من قولهم ارتجز اذا ارتجس واضطرب وقرئ منزلون
بالتشديد بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم المستمر ولقد تركنا منها اى من
القرية آية بينة اى قصتها العجيبة واثار ديارها الحرية وقيل الحجارة الممطورة
فانها كانت باقية بعدها وقيل الماء الاسود على وجه الارض لقوم يعقلون
يستعملون عقولهم فى الاستبصار والاعتبار وهو متعلق اما بتركنا او ببينة
والى مدين اخاهم شعيبا متعلق بمضمر معطوف على ارسلنا فى قصة نوح
اى وارسلنا الى مدين شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وحده وارجوا
اليوم الآخر اى توقعوه وما يقع فيه من فنون الاهوال وافعلوا اليوم
من الاعمال ما تأمنون غائلته وقيل وارجوا ثوابه بطريق اقامة المسبب
مقام السبب وقيل الرجاء بمعنى الخوف ولا تعثوا فى الارض مفسدين فكذبوه
فاخذتهم الرجفة اى الزلزلة الشديدة وفى سورة هود واخذت الذين
ظلموا الصيحة اى صيحة جبريل عليه السلم فانها الموجبة للرجفة بسبب تموجها
للهواء وما يجاورها من الارض فاصبحوا فى دارهم اى بلدهم او منازلهم و
الافراد لامن اللبس جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا وثمود لمنصوبان
باضمار فعل ينبئ عنه ما قبله اى اهلكنا وقرئ ثمودا بتاويل الحى وقد تبين لكم
من مساكنهم اى وقد ظهر لكم اهلاكنا اياهم من جهة مساكنهم بالنظر اليها عند
اجتيازكم بها ذهابا الى الشام وايابا منه وزين لهم الشيطان اعمالهم من فنون
الكفر والمعاصى فصدهم عن السبيل السوى الموصل الى الحق وكانوا مستبصرين
متمكنين من النظر والاستدلال ولكنهم لم يفعلوا او متبينين ان العذاب
لاحق بهم باخبار الرسل عليهم السلم لهم ولكنهم لجوا حتى لقوا ما لقوا وقارون وفرعون
وهامان معطوف على عادا قيل تقديم قارون لشرف نسبه ولقد جاءهم موسى
بالبينات فاستكبروا فى الارض وما كانوا سابقين معلقين فائتين من
قولهم سبق طالبه اذا فاته ولم يدركه ولقد ادركهم امر الله عز وجل اى ادراك
فتداركوا نحو الدمار والهلاك فكلا تفسير لما ينبئ عنه عدم سبقهم بطريق
الابهام اى فكل واحد من المذكورين اخذنا بذنبه اى عاقبناه بجنايته لا بعضه
دون بعض كما يشعر به تقديم المفعول فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا تفصيل للاخذ

للاخذ اى ريحا عاصفا فيها حصباء وقيل ملكا رماهم بها وهم قوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة
كمدين وثمود ومنهم من خسفنا به الارض كقارون ومنهم من اغرقنا كقوم نوح وفرعون وقومه
وما كان الله ليظلمهم بما فعل بهم فان ذلك مح من جهته تعالى ولكن كانوا انفسهم يظلمون
بالاستمرار على مباشرة ما يوجب ذلك من انواع الكفر والمعاصى مثل الذين اتخذوا من دون الله
اولياء فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا كمثل العنكبوت بيتا فيما نسجته فى الوهن والخور بل
ذلك اوهن من هذا لان له حقيقة وانتفاعا فى الجملة او مثلهم بالاضافة الى الموحد كمثله
بالاضافة الى رجل يبنى بيتا من حجر وجص والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
والغالب فى الاستعمال التانيث وتاؤه كتاء طاغوت ويجمع على عناكب وعنكبوتات واما
العكاب والعكب والاعكب فاسماء الجموع وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت
حيث لا يرى شئ يدانيه فى الوهن والوهى لو كانوا يعلمون اى شيئا من الاشياء لجزموا ان
هذا مثلهم او ان دينهم اوهن من ذلك ويجوز ان يجعل بيت العنكبوت عبارة عن دينهم تحقيقا
للتمثيل فالمعنى وان اوهن ما يعتمد به فى الدين دينهم ان الله يعلم ما تدعون من دونه من
شئ على اضمار القول اى قل للكفرة ان الله الخ وما استفهامية منصوبة بيدعون معلقة ليعلم
ومن للتبيين او نافية ومن مزيدة وشئ مفعول تدعون او مصدرية وشئ عبارة عن المصدر
او موصولة مفعول ليعلم ومفعول يدعون عائد المحذوف وقرئ يدعون بالياء والكلام على الاولين
تجهيل لهم وتاكيد للمثل وعلى الاخيرين وعيد لهم وهو العزيز الحكيم تعليل على المعنيين فان اشراك
ما لا يعد شيئا بمن هذا شانه من فرط الغباوة وان الجماد بالنسبة الى القادر القاهر على كل
شئ البالغ فى العلم واتقان الفعل الغاية الغاصية كالمعدوم البحت وان من هذه صفاته قادر
على مجازاتهم وتلك الامثال اى هذا المثل وامثاله نضربها للناس تقريبا لما بعد من افهامهم
وما يعقلها على ما هى عليه من الحسن واستتباع الفوائد الا العالمون الراسخون فى العلم المتدبرون
فى الاشياء على ما ينبغى وعنه صلى الله عليه وسلم انه تلا هذه فقال العالم من عقل عن الله تعالى وعمل
بطاعته واجتنب سخطه خلق الله السموات والارض بالحق اى محقا مراعيا للحكم والمصالح
على انه حال من فاعل خلق او ملتبسة بالحق الذى لا محيد عنه مستتبعة للمنافع الدينية والدنيوية
على انه حال من مفعوله فانها مع اشتمالها على جميع ما يتعلق به معاشهم شواهد دالة على شئونه تعالى
المتعلقة بذاته وصفاته كما يفصح عنه قوله تعالى ان فى ذلك لآية للمؤمنين دالة على ما ذكر من شئونه
سبحانه وتخصيص المؤمنين بالذكر مع عموم الهداية والارشاد فى خلقهما للكل لانهم المنتفعون
بذلك اتل ما اوحى اليك من الكتاب تقربا الى الله تعالى بقراءته وتذكرا لما فى تضاعيفه من المعانى
وتذكيرا للناس وحملا لهم على العمل بما فيه من الاحكام ومحاسن الادب ومكارم الاخلاق واقم الصلوة
اى داوم على اقامتها وحيث كانت الصلوة منتظمة للصلوة المكتوبة المؤداة بالجماعة وكان امره عليه السلام
باقامتها متضمنا لامر الامة بها علل بقوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر كانه قيل وصل بهم
ان الصلوة تنهاهم عن الفحشاء والمنكر ومعنى نهيها عنهما انها سبب للانتهاء عنهما لانها

مناجاة لله تعالى فلابد ان تكون مع اقبال تام على طاعته واعراض كلي عن معاصيه قال ابن مسعود
وابن عباس رض في الصلوة منتهى ومزدجر عن معاصي الله تعالى فمن لم يأمره صلوته بالمعروف ولم تنهه
عن المنكر فصلاته وبال عليه وروى انس رض ان فتى من الانصار كان يصلي مع رسول الله صلعم
ثم لا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له عليه السلم حاله فقال ان صلوته ستنهاه فلم يلبث
ان تاب وحسن حاله ولذكر الله اكبر اي وللصلوة اكبر من سائر الطاعات وانما عبر عنها به كما في
قوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله للايذان بان ما فيها من ذكر الله تعالى هو العمدة في كونها مفضلة على الحسنات
ناهية عن السيئات وقيل ولذكر الله تعالى عن الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما اكبر في
الزجر عنهما وقيل ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون منه
ومن سائر الطاعات فيجازيكم بها احسن المجازاة ولا تجادلوا اهل الكتاب من اليهود والنصارى
الا بالتي هي احسن اي بالخصلة التي هي احسن كمقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة
بالنصح والسورة بالاناة على وجه لا يدل على الضعف ولا يؤدي الى اعطاء الدنية
وقيل منسوخ باية السيف الا الذين ظلموا منهم بالافراط في الاعتداء والعناد او باثبات
الولد وقولهم يد الله مغلولة ونحو ذلك فانه يجب ح المدافعة بما يليق بحالهم وقولوا آمنا
بالذي انزل الينا من القرآن وانزل اليكم اي وبالذي انزل اليكم من التورية والانجيل وقد
مر تحقيق كيفية الايمان بهما في خاتمة سورة البقرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل
الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وبكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان
قالوا حقا لم تكذبوهم والهنا والهكم واحد لا شريك له في الالوهية ونحن له مسلمون مطيعون
خاصة وفيه تعريض بحال الفريقين حيث اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله
وكذلك تجريد للخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده
وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه في الفضل اي مثل ذلك الانزال البديع
الموافق لانزال سائر الكتب انزلنا اليك الكتاب اي القرآن الذي من جملته هذه الآية الناطقة
بما ذكر من المجادلة بالحسنى فالذين آتيناهم الكتاب من الطائفتين يؤمنون به اريد بهم عبد الله
ابن سلام واحزابه من اهل الكتابين خاصة كان من عداهم لم يؤتوا الكتاب حيث لم يعملوا بما
فيه او من تقدم عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم حيث كانوا مصدقين بنزوله حسبما
شاهدوا في كتابيهما وتخصيصهم بايتاء الكتاب للايذان بان من بعدهم من معاصري رسول
الله صلعم قد نزع عنهم الكتاب بالنسخ فلم يؤتوه والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان
ايمانهم به مترتب على انزاله على الوجه المذكور ومن هؤلاء اي ومن العرب او اهل مكة على الاول
او ممن في عصره عليه السلام على الثاني من يؤمن به اي بالقرآن وما يجحد بآياتنا عبر عن الكتاب بالآيات للتنبيه
على ظهور دلالتها على معانيها وعلى كونها من عند الله تعالى واضيفت الى نون العظمة لمزيد تفخيمها وغاية تشنيع
من يجحد بها الا الكافرون المتوغلون في الكفر المصممون عليه فان ذلك يصدهم عن التامل فيما يؤديهم الى معرفة
حقيقتها وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه وما كنت تتلو من قبله اي ما كنت قبل انزالنا اليك الكتاب

الكتاب تقدر على ان تتلو شيئا من كتاب ولا تخطه ولا تقدر على ان تخطه بيمينك حسبما هو المعتاد او ما
كانت عادتك ان تتلوه ولا ان تخطه اذا لارتاب المبطلون اي لو كنت ممن يقدر على التلاوة
والخط او ممن يعتادها لارتابوا وقالوا لعله التقطه من كتب الاوائل وحيث لم تكن كذلك لم يبق في
شانك مناريب اصلا وتسميتهم مبطلين في ارتيابهم على التقدير المفروض لكونهم مبطلين في اتباعهم
للاحتمال المذكور مع ظهور نزاهته عليه السلم عن ذلك بل هو اي القرآن آيات بينات واضحات
ثابتة راسخة في صدور الذين اوتوا العلم من غير ان يلتقط من كتاب يحفظونه بحيث لا يقدر احد على
تحريفه وما يجحد بآياتنا مع كونها كما ذكر الا الظالمون المتجاوزون للحدود في الشر والمكابرة والفساد وقالوا
لو انزل عليه آيات من ربه مثل ناقة صالح وعصى موسى ومائدة عيسى عليهم السلم قل انما الآيات عند الله ينزلها
حسبما يشاء من غير دخل لاحد في ذلك قطعا وانما انا نذير مبين ليس من شاني الا الانذار بما اوتيت من
الآيات اولم يكفهم كلام مستانف وارد من جهته تع ردا على اقتراحهم وبيانا لبطلانه والهمزة للانكار والنفي
والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اقصر ولم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات انا انزلنا عليك
الكتاب الناطق بالحق المصدق لما بين يديه من الكتب السماوية وانت بمعزل من مدارستها وممارستها
يتلى عليهم في كل زمان ومكان او يتلى على اليهود بتحقيق ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك ان في ذلك
الكتاب العظيم الشان الباقي على مر الدهور لرحمة اي نعمة عظيمة وذكرى لقوم يؤمنون اي لقوم همهم
الايمان لا التعنت كاولئك المقترحين وقيل ان ناسا من المؤمنين اتوا رسول الله صلعم بكتف فيها
بعض ما تقوله اليهود فقال كفى بها ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاء به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت قل كفى
بالله بيني وبينكم شهيدا بما صدر عني وعنكم يعلم ما في السموات والارض اي من الامور التي من جملتها
شاني وشانكم فهو تقرير لما قبله من كفايته تع شهيدا والذين آمنوا بالباطل وهو ما يعبد من دون الله تعالى
وكفروا بالله مع تعاضد موجبات الايمان به اولئك هم الخاسرون المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا
الكفر بالايمان بان ضيعوا الفطرة الاصلية والادلة السمعية الموجبة للايمان والآية من قبيل المجادلة
بالتي هي احسن حيث لم يصرح بنسبة الايمان بالباطل والكفر بالله والخسران اليهم بل ذكر على منهاج الابهام
كما في قوله تع وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ويستعجلونك بالعذاب على طريقة الاستهزاء بقولهم
متى هذا الوعد وقولهم امطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب ونحو ذلك ولولا اجل مسمى قد
خربه الله تع لعذابهم وبينه في اللوح لجاءهم العذاب المعين لهم حسبما استعجلوا به قيل المراد بالاجل
يوم القيمة لما روي انه تع وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يعذب قومه بعذاب الاستيصال وان
يؤخر عذابهم الى يوم القيمة وقيل يوم بدر وقيل وقت فنائهم باجالهم وفيه بعد ظاهر لما انهم ما كانوا
يوعدون بفنائهم الطبيعي ولا كانوا يستعجلون به وليأتينهم جملة مستانفة مبينة لما اشير اليه في الجملة السابقة
من مجيء العذاب عند محل الاجل اي وبالله ليأتينهم العذاب الذي عين لهم عند حلول الاجل بغتة
اي فجاءة وهم لا يشعرون اي باتيانه ولعل المراد باتيانه كذلك انه لا ياتيهم بطريق التعجيل عند استعجالهم
والاجابة الى مسئولهم فان ذلك اتيان برايهم وشعورهم لا انه ياتيهم وهم غارون آمنون لا يخطرونه
بالبال كدأب بعض العقوبات النازلة على بعض الامم بياتا وهم نائمون او ضحى وهم يلعبون لما ان

بمعنى المهموم اي المراد

ايتان عذاب الآخرة وعذاب يوم بدر ليس من هذا القبيل يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ اى بالعذاب فى الدنيا استهزاء وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ استيناف مسوق لغاية تجهيلهم وركاكة آرائهم وفيه دلالة على ان ما استعجلوه عذاب الآخرة اى يستعجلونك بالعذاب فى الحال ان محل العذاب الذى لا عذاب فوقه محيط بهم كائنة فيمن يستعجلونك بالعذاب وان العذاب لمحيط بهم اى سيحيط بهم والمتاجى بالجملة الاسمية دلالة على تحقق الاحاطة واستمرارها او تنزيلا لحال السبب منزلة حال المسبب فان الكفر والمعاصى الموجبة لدخول جهنم محيطة بهم وقيل ان الكفر والمعاصى هى النار فى الحقيقة لكنها ظهرت فى هذه النشأة بهذه الصور وقدم تفصيلة شؤن الاعراف عند قوله تع والوزن يومئذ الحق ولام الكافرين اما للعهد ووضع موضع المضمر للاشعار بعلة الحكم او للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ ظرف لمضمر قد طوى ذكره ايذانا بغاية كثرته وفظاعته كانه قيل يوم يغشاهم العذاب الذى اشير اليه باحاطة جهنم بهم يكون من الاحوال والاهوال ما لا يعبر به المقال وقيل ظرف للاحاطة مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ اى من جميع جهاتهم وَيَقُولُ اى الله عز وجل ويعضده القراءة بنون العظمة او بعض ملئكته بامره ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ اى جزاء ما كنتم تعملونه فى الدنيا على الاستمرار من السيئات التى من جملتها الاستعجال بالعذاب يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا خطاب تشريف لبعض الذين لا يتمكنون من اقامة امور الدين كما ينبغى لمانع من جهة الكفرة وارشاد لهم الى الطريق الاسلم إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ اى ان لم تتيسر لكم العبادة فى بلد ولم تتيسر لكم اظهار دينكم فيها فاخرجوا الى حيث يتيسر لكم ولكم وعن على رضى الله عنه من فر بدينه من ارض الى ارض ولو كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق ابرهيم ومحمد عليهما السلام والفاء جواب شرط محذوف اى ان عنّ لكم ان ارضى واسعة ان لم تخلصوا العبادة لى فى ارض فاخلصونى فى غيرها ثم حذف الشرط وعوض تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص فى الاخلاص كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ جملة مبتدئة جئ بها حثا على المسارعة فى الامتثال بالامر اى كل نفس من النفوس واحدة مرارة الموت وكربه فراجعة الى الحكم وجزائنا بحسب اعمالها فمن كانت هذه عاقبته فليس بدّ من التزود والاستعداد لها وقرئ يرجعون وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ لنسكننهم مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا اى علالى وهو مفعول ثان للتبوئة وقرئ لنثوينهم من الثواء بمعنى الاقامة والانتصاب غرفا حينئذ اما بنزع الخافض او بتشبيه الظرف المؤقت بالمبهم كما فى قوله تعالى لأقعدن لهم صراطك المستقيم تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ صفة لغرفا خَالِدِينَ فِيهَا اى فى الغرف او فى الجنة نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ اى الاعمال الصالحة والمخصوص بالمدح محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه وقرئ نعم اجر العاملين الَّذِينَ صَبَرُوا اما صفة للعاملين او نصب على المدح اى صبروا على اذية المشركين وشدائد المهاجرة وغير ذلك من المحن والمشاق ولم يتوكلوا فيما يأتون ويذرون الا على الله تعالى وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا روى ان النبى عليه السلام لما امر المؤمنين الذين كانوا بمكة بالمهاجرة الى المدينة قالوا كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت اى وكم من دابة لا تطيق حمل رزقها لضعفها او لا تدخره وانما تصبح ولا معيشة عندها اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ثم انها مع ضعفها وتوكلها وايأسها مع قوتكم واحتيالكم سواء فى انه لا يرزقها وايأكم

وايأكم الا الله تعالى لان رزق الكل باسباب هو المسبب لها وحث فلا تخافوا الفقر بالهجرة وَهُوَ السَّمِيعُ لمقالتكم الْعَلِيمُ بنياتكم وفيه وعد ووعيد وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ اى اهل مكة مِنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ اذ لا سبيل لهم الى الانكار ولا الى التردد فيه فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ فكيف يصرفون عن الاقرار بشهادة العقل بالانكار واستبعاد من جهة تعاطى الفعل بموجبه اى

وليتمتعوا من نعمة الايجاد اى يتعاجنون الاشراك ليكونوا كافرين بما اتيناهم من نعمة الايجاد
التى حقها ان يشكر وبها فسوف يعلمون اى عاقبة ذلك وغائلته حين يرون العذاب
اولم يروا اى الم ينظروا ولم يشاهدوا انا جعلنا اى بلدهم حرما امنا مصونا عن النهب
والتعدى سالما اهله من كل سوء ويتخطف الناس من حولهم قتلا وسبيا اذ كانت العرب حولهم نغارون
اى ابعد ظهور الحق الذى لا ريب فيه بالباطل خاصة يؤمنون دون الحق ونعمة الله
يكفرون وهى المستوجبة للشكر حيث يشركون به غيره وتقديم الصلة فى الموضعين
لاظهار كمال شناعة ما فعلوا ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان زعم ان له
شريكا اى هو اظلم من كل ظالم وان كان سبك النظم دالا على نفى الاظلم من غير تعرض
لنفى المساوى وقدم مرارا اوكذب بالحق لما جاءه اى بالرسول او بالقران وفى لما تشفه
لهم بان يتاملوا حين جاءهم بل شاهدوا الى التكذيب اثر دى اثر اليس فى جهنم مثوى
للكافرين تقرير لثوائهم فيها كقول من قال السم خير من ركب المطايا اى الاستقرار
الثواء فيها وقد فعلوا ما فعلوا من الافتراء على الله والتكذيب بالحق الصريح او انكار
واستبعاد لاجترائهم على ما ذكر من الافتراء والتكذيب مع علمهم بحال الكفرة اى الم يعلموا
ان فى جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا على ما فعلوا والذين جاهدوا فينا اى فى شاننا
ولوجهنا خالصا اطلق المجاهدة لتتم جهاد الاعادى الظاهرة والباطنة لنهدينهم سبلنا
سبل السير الى المراد الوصول الى جنابنا او لنزيدنهم هدايتنا الى سبيل الخير وتوفيقا لسلوكها
كقوله تع والذين اهتدوا زادهم هدى وفى الحديث من عمل بما علم ورثه الله تع
علم ما يعلم وان الله لمع المحسنين معية النصرة والمعونة وعنه عليه
السلام من قرء سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المومنين والمنافقين

سورة الروم

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الكلام فيه كالذى مر فى امثاله من الفواتح الكريمة غلبت الروم فى ادنى الارض اى ادنى
ارض العرب منهم اذ هى الارض المعهودة عندهم وهى اطراف الشام اوفى اوفى ارضهم
من العرب على ان اللام عوض عن المضاف اليه فان محالها هى ارض الجزيرة وسى ادنى
ارض الروم الى فارس وعن ابن عباس رض الاردن وفلسطين وقرئ فى ادانى الارض
وهم اى الروم من بعد غلبهم اى من بعد مغلوبيتهم وقرى بسكون اللام وهى لغة كالجلب
والجلب سيغلبون اى سيغلبون فارس فى بضع سنين روى ان فارس غزوا الروم
حتى اقوهم بازرعات وبصرى وقيل بالجزيرة كما مر فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون
وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم واياى اهل كتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر
اخواننا على اخوانكم فلنظهرن عليكم فقال ابوبكر رض لا يقرن الله اعينكم فوالله لنظهرن الروم

الروم على فارس بعد بضع سنين فقال ابى بن خلف اللعين كذبت اجعل بيننا اجلا اناجيك
عليه فناجيه على عشر قلائص من كل منهما وجعلا الاجل ثلث سنين فاخبره ابوبكر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده فى الخطر وماده فى الاجل فجعلا
مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابى من جرح رسول الله عليه السلم وظهرت الروم على فارس عند
راس سبع سنين وذلك يوم الحديبية وقيل كان النصر يوم بدر للفريقين فاخذ ابوبكر
الخطر من ورثة ابى فجاء به رسول الله عليه السلم فقال تصدق به وكان ذلك قبل تحريم القمار وهذه
الآيات من البينات الباهرة الشاهدة بصحة النبوة وكون القران من عند الله عز وجل حيث
اخبرت عن الغيب الذى لا يعلمه الا العليم الخبير وقرئ غلبت على البناء للفاعل وسيغلبون
على البناء للمفعول والمعنى ان الروم غلبت على ريف الشام وسيغلبهم المسلمون وقد غزاهم
المسلمون فى السنة الثامنة من نزولها ففتحوا بعض بلادهم فاضافة الغلبة الى الفاعل لله الامر
من قبل ومن بعد اى فى اول الوقتين وفى آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كانه قيل من قبل
كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين
والمعنى ان كلا من كونهم مغلوبين اولا وغالبين آخرا لبس الا بامر الله تع وقضائه وتلك
الايام نداولها بين الناس وقرئ من قبل ومن بعد بالجر من غير تقدير مضاف اليه واقتطاعه
كما قيل قبلا وبعدا بمعنى اولا وآخرا ويومئذ اى يوم اذ يغلب الروم على فارس يفرح المؤمنون
تع من غلبتهم بنصر الله وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له وغبط من شمت بهم
من كفار مكة وكون ذلك من دلايل غلبة المومنين على الكفار وقيل نصر الله اظهار صدق المومنين
فيما اخبروا به المشركين من غلبة الروم على فارس وقيل نصره تع انه ولى بعض الظالمين بعضا
وفرق بين كلمتيهم حتى تناقضوا وتعاونوا وقل كل مهما شوكة الآخر وفى ذلك قوة وعن ابى سعيد
الخدرى رض انه وافق ذلك يوم بدر وفيه من نصر الله العزيز للمومنين وفرحهم بذلك ما لا يخفى و
الاول هو الانسب لقوله تع ينصر من يشاء اى من يشاء ان ينصره من عباده على عدوه وتغليبه
عليه فانه استيناف مقرر لمضمون قوله تع لله الامر من قبل ومن بعد وهو العزيز المبالغ فى القوة
والغلبة فلا يعجزه من يشاء ان ينصر عليه كائنا من كان الرحيم المبالغ فى الرحمة فينصر من يشاء
ان ينصره اى فريق كان والمراد بالرحمة هى الدنيوية اما على القراءة المشهورة فظاهر لان كلى الفريقين لا يستحق الرحمة الاخروية واما على القراءة الاخيرة فلان المسلمين وان كانوا
مستحقين لها لكن المراد بها ههنا نصرهم الذى هو من آثار الرحمة الدنيوية وتقديم وصف العزة
لتقدمه فى الاعتبار وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان ما قبله فى معنى الوعد كانه قيل وعدهم الله
وعدا لا يخلف الله وعده اى وعد كان مما يتعلق بالدنيا والآخرة لاستحالة الكذب عليه
سبحانه واظهار الاسم فى موقع الاضمار لتعليل الحكم وتفخيمه والجملة استيناف مقرر لمعنى المصدر
وقد جوز ان يكون حالا منه فيكون كالمصدر الموصوف كانه قيل وعد الله وعدا غير مخلف
ولكن اكثر الناس لا يعلمون اى ما سبق من شئونه يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهو

القلوص
انا فلرى اوزرع زرع
وعند البعض شوك
زرع زرعهم وفى زرعهم
بزرعا شش اولد
الكاف زايدة زرعهم
حق فلان فى كذا

اى نذر انما
خطر اوكدوله
دير لركه بارش
يرند هركيم كچيرسه
اكاويرليور

ما يشاهدونه من زخارفها وملاذها وسائر احوالها الموافقة لشهواتهم الملائمة لاهوائهم المستدعية
لانهماكهم فيها وعكوفهم عليها لا تمتعهم بزخارفها وتنعمهم بملاذها كما قيل فانهما ليسا مما علموه منها بل من افعالهم
المترتبة على علومهم وتنكير ظاهرا للتحقير والتخسيس دون الوحدة كما توهم اي يعلمون ظاهرا حقيرا خسيسا
دون الوحدة من الدنيا وهم عن الآخرة التي هي الغاية القصوى والمطلب الاسنى هم غافلون
لا يخطرونها بالبال ولا يدركون من الدنيا ما يؤدي الى معرفتها من احوالها ولا يتفكرون فيها كما سيأتي والجملة
معطوفة على يعلمون وايرادها اسمية للدلالة على استمرار غفلتهم ودوامها وهم الثانية تكرير للاولى او مبتداء
وغافلون خبره والجملة خبر للاولى وهو على الوجهين منا وعلى تمكن غفلتهم عن الآخرة المحققة لمقتضى الجملة
المتقدمة تقريرا لجهالتهم وتشبيها لهم بالبهائم المقصور ادراكاتها من الدنيا على ظواهرها الخسيسة دون احوالها
التي هي من مبادي العلم بامور الآخرة واشعارا بان العلم المذكور وعدم العلم رأسا سيان اولم يتفكروا
انكار واستقباح لقصر نظرهم على ما ذكر من ظاهر الحيوة الدنيا مع الغفلة عن الآخرة والواو للعطف على مقدر
يقتضيه المقام وقوله تعالى في انفسهم ظرف للتفكر وذكره مع ظهور استحالة كونه في غيرها لتحقق امره وتصوير حال
المتفكرين وقوله تعالى ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الخ متعلق اما بالعلم الذي يؤدي اليه التفكر
ويدل عليه او بالقول الذي يترتب عليه كما في قوله تعالى ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا
باطلا اي اعلموا ظاهر الحيوة الدنيا فقط او اقصروا النظر عليه ولم يحدثوا التفكر في قلوبهم فيعلموا انه تعالى ما خلقهما
وما بينهما من المخلوقات التي هم من جملتها ملتبسة بشيء من الاشياء الا ملتبسة بالحق او يقولوا هذا
القول معترفين بمضمونه اثر ما علموه والمراد بالحق هو الثابت الذي يحق ان يثبت لا محالة لابتنائه على
الحكمة البالغة والغرض الصحيح الذي هو استشهاد المكلفين بذواتها وصفاتها واحوالها المتغيرة على وجود
صانعها عز وجل ووحدته وعلمه وقدرته وحكمته واختصاصه بالمعبودية وصحة اخباره التي من جملتها احياؤهم
بعد الفناء بالحيوة الابدية ومجازاتهم بحسب اعمالهم غبما تبين المحسن من المسيء وامتازت درجات افراد
كل من الفريقين حسب امتياز طبقات علومهم واعتقاداتهم المترتبة على انظارهم فيما نصب في المصنوعات
من الآيات والدلايل والامارات والمخايل كما نطق به قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام
وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره عليه السلام
بقوله ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله وقد مر تحقيقه في اوايل سورة هود
عليه السلام وقوله تعالى واجل مسمى عطف على الحق اي وباجل معين قدره الله تعالى لبقائها لا بد لها من ان تنتهي
اليه لا محالة وهو وقت قيام الساعة هذا وقد جوز ان يكون قوله تعالى في انفسهم صلة للتفكر على معنى اولم يتفكروا
في انفسهم التي هي اقرب المخلوقات اليهم وهم اعلم بشؤونها واخبر باحوالها منهم باحوال ما عداها فيتدبروا
ما اودعها الله تعالى ظاهرا وباطنا من غرايب الحكم الدالة على التدبير دون الاهمال وانه لا بد لها من انتهاء
الى وقت يجازيها الحكيم الذي دبر امرها على الاحسان احسانا وعلى الاساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك ان سائر
الخلائق كذلك امرها جار على الحكمة والتدبير وانه لا بد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت وانت خبير بان امر
معاد الانسان ومجازاته بما عمل من الاساءة والاحسان هو المقصود بالذات والمحتاج الى الاثبات
فجعله ذريعة الى اثبات معاد ما عداه مع كونه بمعزل من الجزاء تعكيس للامر فتدبر وقوله تعالى وان كثيرا من

من الناس بلقاء ربهم لكافرون تذييل مقرر لما قبله ببيان ان اكثرهم غير مقتصرين على ما ذكر من الغفلة
عن احوال الآخرة والاعراض عن التفكر فيما يرشدهم الى معرفتها من خلق السموات والارض وما بينهما من
المصنوعات بل هم منكرون جاحدون لبقاء حسابه تعالى وجزائه بالبعث اولم يسيروا
توبيخ لهم بعدم اتعاظهم بمشاهدة احوال امثالهم الدالة على عاقبتهم ومآلهم والهمزة لتقرير
المنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اقعدوا في اماكنهم ولم يسيروا في الارض
وقوله تعالى فينظروا عطف على يسيروا داخل في حكم التقرير والتوبيخ والمعنى انهم قد ساروا
في اقطار الارض وشاهدوا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الامم المهلكة كعاد
وثمود وقوله تعالى كانوا اشد منهم قوة الخ بيان لمبدأ احوالهم ومآلها يعني انهم
كانوا اقدر منهم على التمتع بالحيوة الدنيا حيث كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض اي
قلبوها للزراعة والحرث وقيل لاستنباط المياه واستخراج المعادن وغير ذلك
وعمروها اي عمرها اولئك بفنون العمارات من الزراعة والغرس والبناء وغيرها مما يعد
عمارة لها اكثر مما عمروها اي عمارة اكثر كما وكيفا وزمانا من عمارة هؤلاء اياها كيف لا وهم
اهل واد غير ذي زرع لا تبسط لهم في غيره وفيه تهكم بهم حيث كانوا مغترين بالدنيا
مفتخرين بمتاعها مع ضعف حالهم وضيق عطنهم اذ هو مدار امرها على التبسط في البلاد والتسلط
على العباد والتقلب في اكناف الارض باصناف التصرفات وهم ضعفة ملجأون الى واد
لا نفع فيه يخافون ان يتخطفهم الناس وجاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او الآيات
الواضحات فما كان الله ليظلمهم اي فكذبوهم فاهلكهم فما كان الله ليهلكهم من غير جرم يستدعيه
من قبلهم والتعبير عن ذلك بالظلم مع ان اهلاكه تعالى اياهم بلا جرم ليس من الظلم في شيء على ما
تقرر من قاعدة اهل السنة لاظهار كمال نزاهته تعالى عن ذلك بابرازه في معرض ما يستحيل
صدوره عنه تعالى وقد مر في سورة الانفال وسورة آل عمران ولكن كانوا انفسهم يظلمون
بان اجترؤا على اقتراف ما يوجبه من المعاصي العظيمة ثم كان عاقبة الذين اساؤا
اي عملوا السيئات وضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالاساءة والاشعار بعلة الحكم السوء
اي العقوبة التي هي اسوأ العقوبات وافظعها التي هي العقوبة بالنار فانها تانيث الاسوء
كالحسنى تانيث الاحسن او مصدر كالبشرى وصف به العقوبة مبالغة كانها نفس السوء
وهي مرفوعة على انها اسم كان وخبرها عاقبة وقرئ على العكس وهو ادخل في الجزالة وقوله تعالى
ان كذبوا بآيات الله علة لما اشير اليه من تعذيبهم الدنيوي والاخروي اي لان كذبوا او بان
كذبوا بآيات الله المنزلة على رسله عليهم السلام ومعجزاته الظاهرة على ايديهم وقوله تعالى وكانوا
بها يستهزؤن عطف على كذبوا داخل معه في حكم العلية وايراد الاستهزاء بصيغة المضارع
للدلالة على استمراره وتجدده هذا هو اللائق بجزالة النظم الجليل وقد قيل وقيل الله يبدؤ
الخلق اي ينشؤهم ثم يعيده بعد الموت بالبعث ثم اليه ترجعون الى موقف الحساب
والجزاء والالتفات للمبالغة في الترهيب وقرئ بالياء ويوم تقوم الساعة التي هي وقت
اعادة الخلق ورجعهم اليه يبلس المجرمون اي يسكتون متحيرين لا ينبسون يقال

والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اى اذا علمتم ذلك فسبحوا الله تعالى اى نزهوه اعما ذكر سبحان اى تسبيحه اللايق به فى هذه الاوقات واحمدوه فان الاخبار بثبوت الحمد له تعالى ووجوبه على المبرين من اهل السموات والارض فى معنى الامر به على ابلغ وجه واكده وتوسيط بين اوقات التسبيح للاعتناء بشانه والاشعار بان حقها ان يجمع بينها كما ينبئ عنه قوله تعالى وحين تمسون وقوله تعالى فسبح بحمد ربك وقوله صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح وحين يمسى سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وقوله عليه السلم من قال حين يصبح وحين يمسى سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يات احد يوم القيمة بافضل مما جاء به الا احد قال مثل ما قال او زاد عليه وقوله عليه السلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وغير ذلك مما لا يحصى من الآيات والاحاديث وتخصيصها بتلك الاوقات للدلالة على ان ما يحدث فيها من آيات قدرية تع واحكام رحمة ونعمة تستوجب مواظبة تنزيهه تع واستحقاقه الحمد وموجبته لتسبيحه وتحميده حتما وقوله تع وعشيا عطف على حين تمسون وتقديمه على حين تظهرون لمراعاة الفواصل وتغيير الاسلوب طلبا انه لا يخفى ما فى العشى من الدخول فى العشاء والصباح والظهيرة ولعل السر فى ذلك انه ليس من الاوقات التى يختلف فيها احوال الناس وتتغير تغيرا ظاهرا مصححا لوصفهم بالخروج عما قبلها والدخول فيها كالاوقات المذكورة فان كلا منها وقت يتغير فيه الاحوال تغيرا ظاهرا اما فى المساء والصباح فظاهر واما فى الظهيرة فلانها وقت تعاطى البخر وعن الشعبى بالقيلولة كما مر فى سورة النور وقيل المراد بالتسبيح والحمد الصلوة لاشتمالها عليهما وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الآية جامعة للصلوات الخمس يمسون صلوتا المغرب والعشاء ويصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر وتظهرون صلوة الظهر ولذلك ذهب الحسن الى انها مدنية اذ كان يقول ان الواجب بمكة ركعتان فى اى وقت اتفقتا وانما فرضت الخمس بالمدينة والجمهور على انها فرضت بمكة وهو الحق لحديث المعراج وفى آخره هن خمس صلوات كل يوم وليلة عن النبى صلى الله عليه وسلم من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الآية وعنه عليه السلم من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته فى يومه ومن قالها حين يمسى ادرك ما فاته فى ليلته وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون اى تمسون فيه وتصبحون فيه

يخرج الحى من الميت كالانسان من النطفة والطير من البيضة ويخرج الميت من الحى كالنطفة والبيضة من الحيوان ويحيى الارض بالنبات بعد موتها يبسها وكذلك مثل ذلك الاخراج تخرجون من قبوركم وقرئ تخرجون بفتح التاء وضم الراء وهذا نوع تفصيل لقوله تعالى الله يبدؤا الخلق ثم يعيده ومن آياته الباهرة الدالة على انكم تبعثون دلالة اوضح مما سبق فان دلالة بدء خلقهم على اعادتهم اظهر من دلالة اخراج الحى من الميت واخراج الميت من الحى ومن دلالة احياء الارض بعد موتها عليها ان خلقكم اى فى ضمن خلق آدم عليه السلم ما مر مرارا من ان خلقه عليه السلم منطو على خلق ذريته انطواء اجماليا من تراب لم يتم رائحة الحيوة قط والمناسبة بقياس انه يخرج احد الضدين من الآخر وبيان ان الابداء والاعادة متساويان بالنسبة الى قدرته فقال يخرج الحى من الميت

يعنى جسيكم بالمطر الذى يمطر بالماء البحر المسجور كما مر فتحيون به وقال مقاتل يرسل الله تعالى يوم القيمة ماء الحيوان من السما السابعة من البحر المسجور على الارض بين النفختين فينبت عظام الموتى

ناطقة فالبس اذا سكت وابس من ان يحج وقرئ بفتح اللام من ابلسه اذا افحمه واسكته ولم يكن لهم من شركائهم شفعاؤا يخبرونهم من عذاب الله تعالى كما كانوا يزعمونه وصيغة الجمع لوقوعها فى مقابلة الجمع اى لم يكن لواحد منهم شفيع اصلا وكانوا بشركائهم كافرين اى بالهيتهم وشركتهم لله سبحانه حيث وقفوا على كنه امرهم وصيغة الماضى للدلالة على تحققه وقيل كانوا فى الدنيا كافرين بسببهم وليس بذاك اذ ليس فى الاخبار به فايدة يعتد بها ويوم تقوم الساعة اعيد لتهويله وتفظيع ما يقع فيه وقوله تعالى يومئذ يتفرقون تهويل له اثر تهويل وفيه رمز الى ان التفرق يقع فى بعض منه وصير يتفرقون لجميع الخلق المدلول عليهم بما تقدم من بدئهم واعادتهم ورجعهم لا المجموعين خاصة وليس المراد بتفرقهم ان كل فرد منهم عن الآخر بل تفرقهم الى فريقى المؤمنين والكافرين كما فى قوله تعالى فريق فى الجنة وفريق فى السعير وذلك بعد تمام الحساب وقوله تعالى فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون تفصيل وبيان لاحوال ذينك الفريقين والروضة كل ارض ذات نبات وماء ورونق ونضارة وتنكيرها للتفخيم والمراد بها الجنة والحبور السرور يقال حبره اذا مسره مسرورا تمثل له وجهه وقيل الحبرة كل نعمة حسنة والتحبير التحسين واختلفت فيه الاقاويل لاحتماله وجوه جمع المسار عن ابن عباس ومجاهد يكرمون وعن قتادة ينعمون وعن ابن عيينة يزين على رؤسهم وعن وكيع السماع فى الجنة وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفى آخر القوم اعرابى فقال يا رسول الله هل فى الجنة من سماع قال عليه السلم يا اعرابى ان فى الجنة لنهرا حافتاه الابكار من كل بيضاء حوصاء تبغين باصوات لم يسمع الخلائق بمثلها قط قد لك افضل نعيم الجنة قال الراوى فسالت ابا الدرداء عما يتغنين قال بالتسبيح وروى ان فى الجنة اشجارا عليها اجراس من فضة فاذا اراد اهل الجنة السماع بعث الله تعالى ريحا من تحت العرش فتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا واما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا التى من جملتها هذه الآيات الناطقة بما فصل ولقاء الآخرة صرح بذلك مع اندراجه فى تكذيب الآيات للاعتناء بامره وقوله تعالى فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة من الكفر والتكذيب بآياته تعالى ولقاء الآخرة للايذان بكمال تميزهم بذلك عن غيرهم وانتظامهم فى سلك الشياطين وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار ببعد منزلتهم فى الشر اى اولئك الموصوفون بما فصل من القبايح فى العذاب محضرون على الدوام لا يغيبون عنه ابدا فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والارض وعشيا وحين تظهرون اثر ما بين حال فريقى المؤمنين العاملين للصالحات والكافرين المكذبين بالآيات وما لهما من الثواب والعذاب امروا بما ينجى من الثانى ويفضى الى الاول من تنزيه الله عز وجل عن كل ما لا يليق بشانه سبحانه ومن حمده تعالى على نعمه العظام وتقدم الاول على الثانى للايذان بتحليته متقدمة على التخلية والله

بينه وبين ما انتم عليه في ذاتكم وصفاتكم ثم اذا انتم بشر تنتشرون اى فاجأتم بعد ذلك وقت كونكم بشرا
تنتشرون في الارض وهذا مجمل ما فصل في قوله تع يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم
من تراب الخ ومن لطفه الآية ومن آياته الدالة على ما ذكر من البعث وما بعده من الجزاء ان خلق لكم اى
لاجلكم من انفسكم ازواجا فان خلق اصل ازواجكم حواء من ضلع آدم عليه السلم متضمن لخلقهن من انفسكم
على ما عرفته من التحقيق او من جنسكم لا من جنس آخر وهو الاوفق لقوله تع لتسكنوا اليها اى لتألفوها
وتميلوا اليها وتطمئنوا بها فان المجانسة من دواعي التضام والتعارف كما ان المخالفة من اسباب
التنافر والتفرق وجعل بينكم اى بين الازواج اما على تغليب الرجال على النساء في الخطاب او على حذف ظرف
معطوف على الظرف المذكور اى جعل بينكم وبينهن كما مر في قوله تع لا نفرق بين احد من رسله وقيل او بين افراد
الجنس اى بين الرجال والنساء وبأيا قوله تع مودة ورحمة فان المراد بهما ما كان منهما بعصمة الزواج
قطعا اى جعل بينكم بالزواج الذي شرعه لكم تواددا وتراحما من غير ان يكون بينكم سابقة معرفة ولا رابطة صحيحة
للتعاطف من قرابة او رحم قيل المودة والرحمة من قبل الله تع والعرك من الشيطان وعن الحسن المودة كناية
عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال تع ورحمة منا ان في ذلك اى فيما ذكر من خلقهم من تراب وخلق ازواجهم من
انفسهم والقاء المودة والرحمة بينهم وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار اليه للاشعار بعد منزلته لآيات
عظيمة لا يكتنه كنهها كثيرة لا يقادر قدرها لقوم يتفكرون في تضاعيف تلك الافاعيل المتينة المبنية على الحكم
البالغة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها مع التنبيه على ان ما ذكر ليس بآية فذة كما ينبئ عنه قوله تع ومن
آياته بل هي مشتملة على آيات شتى ومن آياته الدالة على ما ذكر من امر البعث وما يتلوه من الجزاء خلق السموات
والارض اما من حيث ان القادر على خلقهما بما فيهما من المخلوقات بلا مادة مستعدة لها اظهر قدرة على اعادة
ما كان حيا قبل ذلك واما من حيث ان خلقهما وما فيهما ليس لامر معاش البشر ومعاده كما يفصح عنه قوله تع هو الذي
خلق لكم ما في الارض جميعا وقوله تع وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء
ليبلوكم ايكم احسن عملا واختلاف السنتكم اى لغاتكم بان علم كل صنف لغة او الهمه وضعها واقدره عليها
او اجناس نطقكم واشكاله فانك لا تكاد تسمع منطقين متماثلين في الكيفية من كل وجه والوانكم بياض
الجلد وسواده وتوسط فيما بينهما او تخطيطات الاعضاء وهيآتها والوانها وحلاها بحيث وقع بها التمايز
بين الاشخاص حتى ان المؤمنين مع توافق موادهما واسبابهما والامور الملابقة لهما في جميع حليته
التخليق يختلفان في شئ من ذلك لا محالة وان كانا في غاية التشابه وانما نظم هذا في سلك الآيات الآفاقية
من خلق السموات والارض مع كونه من الآيات الانفسية الحقيقة بالانتظام في سلك ما سبق من خلق انفسهم
وازواجهم للايذان باستقلاله والاحتراز عن توهم كونه من تتمات خلقهم ان في ذلك اى فيما ذكر من خلق
السموات والارض واختلاف الالسنة والالوان لآيات عظيمة في انفسها كثيرة في عددها للعالمين اى
المتصفين بالعلم كما في قوله تع وما يعقلها الا العالمون وقرئ بفتح اللام وفيه دلالة على كمال وضوح الآيات
وعدم خفائها على احد من الخلق كافة ومن آياته منامكم بالليل والنهار للاستراحة القوى النفسانية وتقوى
القوى الطبيعية وابتغاؤكم من فضله فيهما فان كلا من المنام وابتغاء الفضل يقع في الملوين وان كان
الاغلب وقوع الاول في الاول والثاني في الثاني او منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار كما هو المعتاد والموافق لبيار

لسائر الآيات الواردة في ذلك خلا انه فصل بين القرينين الاوليين بالقرينين الاخيرين للايذان
زمانيهما والزمان مع ما وقع فيه كشئ واحد مع اعانة اللف على الاتحاد ان في ذلك لآيات
لقوم يسمعون اى شانهم ان يسمعوا الكلام سماع تفهم واستبصار حيث يتأملون في تضاعيف
هذا البيان ويستدلون بذلك على شؤونه تع ومن آياته يريكم البرق الفعل اما مقدر بان كما في
قول من قال الا ايهذا الزاجري احضر الوغا اى ان احضر او منزل منزلة المصدر وبه فسر المثل
المشهور تسمع بالمعيدي خير من ان تراه او هو على حاله صفة لمحذوف اى آية يريكم بها البرق
كقول من قال وما الدهر الا تارتان فمنها اموت واخرى ابتغي العيش اكدح اى فمنها
تارة اموت فيها واخرى ابتغي فيها او ومن آياته شئ او سحاب يريكم البرق خوفا من
الصاعقة او للمسافر وطمعا في الغيث او للمقيم ونصبهما على العلة لفعل يشاركه
المذكور فان ارأتهم البرق متلزم لرؤيتهم اياه او للمذكور بغته على تقدير مضاف كخوف اراءة او
وطمع او على تأويل الخوف والطمع بالاخافة والاطماع كقولك فعلته رغما للشيطان او على الحال
نحو كلمته شفاها وينزل من السماء ماء وقرئ بالتخفيف فيحيي به الارض بالنبات بعد موتها
يبسها ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون فانها من الظهور بحيث يكفي في ادراكها مجرد
العقل عند استعانته في استنباط اسبابها وكيفية تكوينها ومن آياته ان تقوم السماء
والارض بأمره اى بارادته تع لقيامهما والتعبير عنها بالامر للدلالة على كمال القدرة والغنى
عن المبادي والاسباب وليس المراد بقيامهما انشاءهما لانه قد بين حاله بقوله تع ومن آياته خلق
السموات والارض واقامتهما بغير معتمد محسوس كما قيل فان ذلك من تتمات انشائهما وان
لم يصح به تعويلا على ما ذكر في غير موضع من قوله تع خلق السموات بغير عمد ترونها الآية بل قيامهما
واستمرارهما على ما هما عليه الى اجلهما الذي نطق به قوله تع فيما قبل ما خلق الله السموات والارض
الا بالحق واجل مسمى وحيث كانت هذه الآية متأخرة عن سائر الآيات المعدودة متصلة
بالبعث في الوجود اخرت عنهن وجعلت متصلة به في الذكر ايضا فقيل ثم اذا دعاكم دعوة
من الارض اذا انتم تخرجون فانه كلام مسوق للاخبار بوقوع البعث ووجوده بعد انقضاء
اجل قيامهما مترتب على تعداد آياته الدالة عليه غير منتظم في سلكها كما قيل كانه قيل ومن آياته قيام
السموات والارض على هيئتهما بامره تع الى اجل مسمى قدره الله تع لقيامهما ثم اذا دعاكم اى بعد
انقضاء الاجل من الارض واستم في قبوركم دعوة واحدة بان قال ايتها الموتى اخرجوا فاجأتم الخروج
منها وذلك قوله تع يوم تدعون فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا ومن الارض متعلق بدعاكم اذ يكفي في ذلك كون المدعو
فيها يقال دعوته من اسفل الوادي فطلع الي لا تخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها وله خاصة
من في السموات والارض من الملائكة والثقلين خلقا وملكا وتصرفا ليس لغيره شركة في ذلك بوجه
من الوجوه كل له قانتون اى منقادون لفعله لا يمتنعون عليه في شأن من شؤونه تع وهو الذي
يبدؤا الخلق ثم يعيده بعد موتهم وتكريره لزيادة التقرير والتمهيد لما بعده من قوله تع وهو اهون
عليه اى بالاضافة الى قدركم والقياس على اصولكم والا فهما عليه سواء وقيل اهون بمعنى يهين

وتذكير الضمير مع رجوعه الى الاعادة لما انها مأولة بان يعيد وقيل هو راجع الى الخلق وليس بذاك
واما ما قيل من ان الانشاء بطريق التفضل الذي يتخير فيه الفاعل بين الفعل والترك والاعادة
من قبيل الواجب الذي لا بد من فعله حتما فكان اقرب الى الحصول من الانشاء المتردد بين الحصول
وعدمه فبمعزل من التحصيل اذ ليس المراد باهونية الفعل اقربيته الى الوجود باعتبار كثرة الامور
الداعية للفاعل الى ايجاده وفق اقتضائها لتعلق قدرته به بل اسهلية تأتيه وصدوره عنه بعد
تعلق قدرته بوجوده وكونه واجبا بالغير ولا تفاوت في ذلك بين ان يكون ذلك التعلق بطريق
الايجاب او بطريق الاختيار **وله المثل الاعلى** اي الوصف الاعلى العجيب الشان من القدرة العامة
والحكمة التامة وسائر صفات الكمال التي ليس لغيره ما يدانيها فضلا عما يساويها ومن فسره بقول
لا اله الا الله اراد به الوصف بالوحدانية **في السموات والارض** متعلق بمضمون الجملة المتقدمة
على معنى انه تعالى قد وصف به وعرف فيهما على السنة الخلائق والسنة الدلائل وقيل متعلق بالاعلى
وقيل بمحذوف هو حال منه او من المثل او من ضميره في الاعلى **وهو العزيز** القادر الذي لا يعجز عن
بدء ممكن واعادته **الحكيم** الذي يجري الافعال على سنن الحكمة والمصلحة **ضرب لكم مثلا** يتبين به
بطلان الشرك **من انفسكم** اي منتزعا من احوالها التي هي اقرب الامور اليكم واعرفها عندكم واظهرها
دلالة على ما ذكر من بطلان الشرك لكونها بطريق الاولوية وقوله تعالى **هل لكم** الخ تصوير للمثل اي هل لكم
مما ملكت ايمانكم من العبيد والاماء **من شركاء فيما رزقناكم** من الاموال وما يجري مجراها مما تتصرفون
فيها فمن الاولى ابتدائية والثانية تبعيضية والثالثة مزيدة لتاكيد النفي المستفاد من الاستفهام
بقوله تعالى **فانتم فيه سواء** تحقيق لمعنى الشركة وبيان لكونهم وشركائهم متساوين في التصرف فيما
ذكر من غير مزية لهم عليها على ان هناك محذوفا معطوفا على انتم لا انه عام للفريقين بطريق التغليب
اي هل ترضون لانفسكم والحال ان عبيدكم امثالكم في البشرية واحكامها ان يشاركوكم فيما رزقناكم
وهو مستعار لكم فانتم وهم فيه سواء شرع يتصرفون فيه كتصرفكم من غير فرق بينكم وبينهم **تخافونهم**
خبر آخر لانتم او حال من ضمير الفاعل في سواء اي تهابون ان تستبدوا بالتصرف فيه بدون رايهم **كخيفتكم**
انفسكم اي خيفة كائنة مثل خيفتكم من الاحرار المساهمين لكم فيما ذكر والمعنى نفي مضمون ما فصل من
الجملة الاستفهامية اي لا ترضون بان يشارككم فيما هو معار لكم مماليككم وهم امثالكم في البشرية غير مخلوقين
لكم بل لله تعالى فكيف تشركون به سبحانه في المعبودية التي هي من خصائصها الذاتية مخلوقة بل مصنوع مخلوقة
حيث تصنعونه بايديكم ثم تعبدونه **كذلك** اي مثل ذلك التفصيل الواضح **نفصل الآيات** اي نبينها
ونوضحها لا تفصيلا ادنى منه فان التمثيل تصوير للمعاني المعقولة بصورة المحسوس وابراز لاوابد
المدركات على هيئة المانوس فيكون في غاية الايضاح والبيان **لقوم يعقلون** اي يستعملون عقولهم
في تدبر الامور وتخصيصهم بالذكر مع عموم تفصيل الآيات للكل لانهم المنتفعون بها **بل اتبع الذين ظلموا**
اعراض عن مخاطبتهم ومحاولة ارشادهم الى الحق بضرب المثل وتفصيل الآيات واستعمال المقدمات
الحقة المعقولة وبيان لاستحالة تبعيتهم للحق كانه قيل لم يعقلوا شيئا من الآيات المفصلة بل
اتبعوا **اهواءهم** الزائغة ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بانهم في ذلك الاتباع ظالمون

ظالمون واضعون للشيء في غير موضعه او ظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد **بغير علم** اي جاهلين ببطلان
ما اتوا هكبين عليه لا يلويهم عنه صارف حسبما يصرف العالم اذا اتبع الباطل علمه ببطلانه **فمن يهدي من**
اضل الله اي خلق فيه الضلال لصرف اختياره الى كسبه اي لا يقدر على هدايته احد **وما لهم** اي لمن اضله الله
تعالى والجمع باعتبار المعنى **من ناصرين** يخلصونهم من الضلال ويحفظونهم من تبعاته وآفاته على معنى ليس لواحد منهم
ناصر واحد على ما هو قاعدة مقابلة الجمع بالجمع **فاقم وجهك للدين** تمثيل لاقباله على الدين واستقامته وثباته
عليه واهتمامه بترتيب اسبابه فان من اهتم بشيء محسوس بالبصر عقد عليه طرفه وسدد اليه نظره وقوم له
وجهه مقبلا به عليه اي فقوم وجهك له وعدله غير ملتفت يمينا وشمالا وقوله تعالى **حنيفا** حال من المامور او من
الدين **فطرت الله** الفطرة الخلقة وانتصابها على الاغراء اي الزموا او عليكم فطرة الله فان الخطاب للكل
كما يفصح عنه قوله تعالى منيبين والافراد في اقم لما ان الرسول صلى الله عليه وسلم امام الامة فامره عليه السلام
مستتبع لامرهم والمراد بلزومها الجريان على موجبها وعدم الاخلال به باتباع الهوى وتسويل الشياطين وقيل
على المصدر اي فطر الله فطرة وقوله تعالى **التي فطر الناس عليها** صفة لفطرة الله مؤكدة لوجوب الامتثال بالامر
فان خلق الله الناس على فطرته التي هي عبارة عن قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه او عن ملة الاسلام من موجبات
لزومها والتمسك بها قطعا فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه ادى بهم اليها وما اختاروا عليها دينا آخر ومن غوى
منهم فباغواء شياطين الانس والجن ومنه قوله عليه السلام حكاية عن رب العزة كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم
الشياطين عن دينهم وامروهم ان يشركوا بي غيري وقوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان
يهودانه وينصرانه وقوله تعالى **لا تبديل لخلق الله** تعليل للامر بلزوم فطرته تعالى او لوجوب الامتثال به اي لا صحة ولا
استقامة لتبديله بالاخلال بموجبه وعدم ترتيب مقتضاه عليه باتباع الهوى وقبول وسوسة الشيطان
وقيل لا يقدر احد على ان يغيره فلا بد حينئذ من حمل التبديل على تبديل نفس الفطرة بازالتها راسا ووضع فطرة
اخرى مكانها غير مصححة لقبول الحق والتمكن من ادراكه ضرورة ان التبديل بالمعنى الاول مقدور بل واقع قطعا
فالتعليل حينئذ من جهة ان سلامة الفطرة متحققة في كل احد فلا بد من لزومها بترتيب مقتضاها عليها وعدم
الاخلال به بما ذكر من اتباع الهوى وخطوات الشيطان **ذلك** اشارة الى الدين المامور باقامة الوجه
له او الى لزوم فطرة الله المستفاد من الاغراء او الى الفطرة ان فسرت بالملة والتذكير بتاويل المذكور او باعتبار
الخبر **الدين القيم** المستوي الذي لا عوج فيه **ولكن اكثر الناس لا يعلمون** ذلك فيصدون عنه صدورا
منيبين اليه حال من الضمير في الناصب المقدر لفطرة الله او في اقم لعمومه للامة حسبما اشير اليه وما بينهما اعتراض
اي راجعين اليه من اناب اذا رجع مرة بعد اخرى وقوله تعالى **واتقوه** اي من مخالفة امره عطف على المقدر
المذكور وكذا قوله تعالى **واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين** المبدلين لفطرة الله تعالى تبديلا **من الذين**
فرقوا دينهم بدل من المشركين باعادة الجار وتفريقهم لدينهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف اهوائهم
وفائدة الابدال التحذير عن الانتماء الى حزبه من احزاب المشركين ببيان ان الكل على الضلال المبين وقرئ
فارقوا اي تركوا دينهم الذي امروا به **وكانوا شيعا** اي فرقا تشايع كل منها امامها الذي اضلها **كل حزب**
بما لديهم من الدين المعوج المؤسس على الرأي الزائغ والزعم الباطل **فرحون** مسرورون ظنا منهم انه
حق وانى له ذلك فالجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من تفريق دينهم وكونهم شيعا وقد جوز ان يكون فرحون

صفة كل على ان الجار هو الظرف المتقدم اعني من الذين فرقوا او لا يخفى بعده واذا مس
الناس ضر اى شدة دعوا ربهم منيبين اليه راجعين من دعاء غيره ثم اذا اذاقهم
منه رحمة خلاصا من تلك الشدة اذا فريق منهم بربهم الذى كانوا دعوه منيبين اليه
يشركون اى فاجاء فريق منهم الاشراك وتخصيص هذا الفعل ببعضهم لما ان بعضهم
ليسوا كذلك كما فى قوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد اى مقيم على الطريق القصد او متوسط
فى الكفر لانزجاره فى الجملة ليكفروا بما اتيناهم اللام فيه للعاقبة وقيل للامر التهديدى كقوله
تعالى فتمتعوا غير انه التفت فيه للمبالغة وقرئ ليتمتعوا فسوف تعلمون عاقبة تمتعكم وقرئ
بالياء على ان تمتعوا ماض والالتفات الى الغيبة فى قوله تعالى ام انزلنا عليهم للايذان بالاعراض
عنهم وتعديد جنايا تهم لغيرهم بطريق المباثة سلطانا اى حجة واضحة وقيل ذا سلطان
اى ملكا معه برهان فهو يتكلم تكلم دلالة كما فى قوله تعالى هذا كتابنا ينطق علينا بالحق او تكلم نطق
بما كانوا به يشركون باشراكهم به تعالى او بالام الذى بسببه يشركون واذا اذقنا الناس رحمة
اى نعمة من صحة وسعة فرحوا بها بطرا واشرا لاحمدا وشكرا وان تصبهم سيئة شدة
بما قدمت ايديهم بشوم معاصيهم اذا هم يقنطون فاجوا القنوط من رحمة تعالى وقرئ
بكسر النون اولم يروا اى الم ينظروا ولم يشاهدوا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
فحالهم لم يشكروا ولم يحتسبوا فى السراء والضراء كالمؤمنين ان فى ذلك لايات لقوم يؤمنون
فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة فات ذا القربى حقه من الصلة والصدقة وسائر
الميراث والمسكين وابن السبيل ما يستحقانه والخطاب للنبى صلعم اولمن بسط له كما يؤذن
به الفاء ذلك خير للذين يريدون وجه الله ذاته او جهته ويقصدون بمعروفهم اياه تعالى خالصا
او جهة التوجه اليه لا جهة اخرى واولئك هم المفلحون حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم
وما آتيتم من ربوا زيادة خالية عن العوض عند المعاملة وقرئ اتيتم بالقصر اى غشيتموه
اورهقتموه من اعطاء ربوا ليربوا فى اموال الناس ليزيدوا بزكوى اموالهم فلا يربوا عند
الله اى لا يبارك فيه وقرئ لتربوا اى لتزيدوا اوليتصيروا ذوى ربوا وما آتيتم من زكوة
تريدون وجه الله اى تبتغون به وجهه تعالى خالصا فاولئك هم المضعفون اى ذوو الاضعاف
من الثواب ونظير المضعف المقوى والموسر لذى اليسار او الذين ضعفوا
ثوابهم واموالهم بالبركة وقرئ بفتح العين وفى تغيير النظم الكريم والالتفات من الخاصة
ما لا يخفى الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم
من شىء اثبت له تعالى لوازم الالوهية وخواصها ونفاها راسا عما اتخذوه شركاء له تعالى
من الاصنام وغيرها مؤكدا بالانكار على ما دل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق
ثم استنتج منه تنزهه عن الشركاء بقوله تعالى سبحانه وتعالى عما يشركون وقد جوز ان يكون
الموصول صفة والخبر هل من شركائكم والرابط قوله تعالى من ذلكم لانه بمعنى من افعاله ومن الاولى
والثانية تفيدان شيوع الحكم فى جنس الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم المنفى وكل

المنفى وكل منهما مستقلة بالتاكيد وقرئ تشركون بصيغة الخطاب ظهر الفساد فى البر والبحر
كالجدب والموتان وكثرة الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار او تسلطة
الظلم وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرى والبحور بما كسبت ايدى الناس بشوم معاصيهم
او بكسبهم ايا ما وقيل ظهر الفساد فى البر بقتل قابيل اخاه هابيل وفى البحر بان جلندى كان باخذ كل
سفينة غصبا ليذيقهم بعض الذى عملوا اى بعض جزائه فان عامة فى الاخرة واللام للعلة او
للعاقبة وقرئ لنذيقهم بالنون لعلهم يرجعون عما كانوا عليه قل سيروا فى الارض فانظروا كيف
كان عاقبة الذين من قبل ليشاهدوا اثارهم كان اكثرهم مشركين استيناف للدلالة
على ان ما اصابهم لغشوة الشرك فيما بينهم او كان الشرك فى اكثرهم وما دونه من المعاصى فقيل
منهم فاقم وجهك للدين القيم اى البليغ الاستقامة من قبل ان ياتى يوم لا مرد له لا يقدر
احد على رده من الله متعلق بيات او بمرد لانه مصدر والمعنى لا يرده الله تعالى لتعلق ارادته
القديمة بمجيئه يومئذ يصدعون اصله يتصدعون اى يتفرقون فريق فى الجنة وفريق فى السعير
من كفر فعليه كفره اى وبال كفره وهو النار الموبدة ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون
اى يسوون منزلا فى الجنة وتقديم الظرف فى الموضعين للدلالة على الاختصاص ليجزى الذين
آمنوا وعملوا الصالحات من فضله متعلق بيصدعون وقيل بيمهدون اى يتفرقون
بتفريق الله تعالى فريقين ليجزى كلا منهما حسب اعمالهم وحيث كان جزاء المؤمن المحسن هو المقصود
بالذات اثر ذكره فى معرض الغاية وعبر عنه بالفضل لما ان الاثابة بطريق التفضل لا الوجوب
واشير الى جزاء الفريق الاخر بقوله تعالى انه لا يحب الكافرين فان عدم محبته تعالى كناية عن بغضه الموجب
لغضبه المستتبع للعقوبة لا محالة ومن آياته ان يرسل الرياح اى الشمال والصبا والجنوب
فانها رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها
ريحا وقرئ الريح على ارادة الجنس مبشرات بالمطر وليذيقكم من رحمته وهى المنافع التابعة لها
وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها او الروح الذى يهب معها وباللام متعلقة
بيرسل والجملة معطوفة على مبشرات على المعنى كانه قيل ليبشركم بها وليذيقكم او بمحذوف يفهم من ذكر
الارسال تقديره وليذيقكم وليكون كذا او كذا يرسلها لا لامر آخر لا تعلق له بمنافعكم ولتجرى
الفلك بسوقها بامره ولتبتغوا من فضله تجارة البحر ولعلكم تشكرون ولتشكروا نعمة الله
فيما ذكر من الغايات الجليلة ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم كما ارسلناك الى
قومك فجاءوهم بالبينات اى جاء كل رسول قومه بما يخصه من البينات كما جئت قومك بينات
والفاء فى قوله تعالى فانتقمنا من الذين اجرموا فصيحة اى فكذبوهم فانتقمنا منهم واغا وضع موضع
ضميرهم الموصول للتنبيه على مكان المحذوف والاشعار بكونه علة للانتقام وفى قوله تعالى وكان حقا
علينا نصر المؤمنين مزيد تشريف وتكرمة للمؤمنين حيث جعلوا مستحقين على الله تعالى ان ينصرهم
واشعار بان الانتقام من الكفرة لاجلهم وقد يوقف على حقا على انه متعلق بالانتقام ولعل توسيط
الآية الكريمة بطريق الاعتراض بين ما سبق وما لحق من احوال الرياح واحكامها لانذار الكفرة و

الناس
ن

المومنين
نان

وتحذيرهم عن الاخلال بموجب الشكر المطلوب بقوله تعالى لعلكم تشكرون بمقابلة النعم المعدودة المبوبة
بارسالها كيلا يحل بهم مثل ما حل بالامم من الانتقام اللّٰهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ استيناف مسوق
لبيان ما اجمل فيما سبق من احوال الرياح فَتُثِيرُ سَحَابًا فيبسطه مُتَّصِلًا تارة فِي السَّمَاءِ فِي جِهَةٍ كَيْفَ
يَشَاءُ سايرا وواقعا مطبقا وغير مطبق من جانب دون جانب الى غير ذلك فيجعله كِسَفًا تارة اخرى
اى قطعا وقرئ بسكون السين على انه مخفف جمع كسفة او مصدر وصف به فَتَرَى الْوَدْقَ المطر يخرج
مِنْ خِلَالِهِ فى التارتين فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ اى بلادهم وازراعهم إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ
فاجاؤا الاستبشار يحيى الخصب وَإِنْ كَانُوا إِنْ مخففة من إِنَّ وضمير الشان الذى هو اسمها محذوف
اى وان الشان كانوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ اى المطر مِنْ قَبْلِهِ تكرير للتاكيد والايذان بطول عهدهم بالمطر
واستحكام يائسهم منه وقيل الضمير للمطر او السحاب او الارسال وقيل للكسف على القراءة بالسكون وليس
بواضح واقرب من ذلك ان يكون الضمير للاستبشار ومن متعلقة بينزل ليفيد سرعة تقلب قلوبهم من اليأس
الى الاستبشار بالاشارة الى غاية تقارب زمانيهما بيان اتصال اليأس بالتنزيل المتصل بالاستبشار
بشهادة اذا الفجائية لَمُبْلِسِينَ خبر كانوا واللام فارقة اى آيسين فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ
اللّٰهِ المترتبة على تنزيل المطر من النبات والاشجار وانواع الثمار والغاء للدلالة
على سرعة ترتبها عليه وقرئ اثر بالتوحيد وقوله تع كَيْفَ يُحْيِي اى الله تعالى الْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَا فى جيز النصب بنزع الخافض وكيف معلق لانظر اى فانظر الى احيائه البديع للارض
بعد موتها وقيل على الحالية بالتاويل وايا ما كان فالمراد بالامر بالنظر التنبيه على عظم قدرته
تعالى وسعة رحمته مع ما فيه من التمهيد لما يعقبه من امر البعث وقرئ يحيى بالتانيث على الاسناد
الى ضمير الرحمة إِنَّ ذَٰلِكَ العظيم الشان الذى ذكر بعض شؤونه لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ لقادر على احيائهم فانه
احداث لمثل ما كان فى مواد ابدانهم من القوى الحيوانية كما ان احياء الارض احداث لمثل ما كان
فيها من القوى النباتية او لمحييهم البتة وقوله تعالى وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ تذييل مقرر لمضمون ما قبله اى
مبالغ فى القدرة على جميع الاشياء التى من جملتها احياؤهم لما ان نسبة قدرته الى الكل سواء
وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ اى الاثر المدلول عليه بالآثار او النبات المعبر عنه بالآثار فانه
اسم جنس يعم القليل والكثير مُصْفَرًّا بعد خضرته وقد جوز ان يكون الضمير للسحاب لانه اذا كان مصفرا
لم يمطر ولا يخفى بعده واللام فى ولئن موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط والفاء فى فرأوه فصيحة
واللام فى قوله تع لَظَلُّوا لام جواب القسم الساد مسد الجوابين اى وبالله لئن ارسلنا ريحا
حارة او باردة فضربت زرعهم بالصفار فرأوه مصفرا لَيَظَلُّنَّ مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ من غير
تلعثم وفيه من ذمهم بعدم تثبتهم وسرعة تزلزلهم بين طرفى الافراط والتفريط ما لا يخفى حيث
كان الواجب عليهم ان يتوكلوا على الله تعالى فى كل حال ويلجؤا اليه بالاستغفار اذا احتبس عنهم القطر
ولا ييأسوا من روح الله تعالى ويبادروا الى الشكر بالطاعة اذا اصابهم برحمته ولا يفرطوا
فى الاستبشار وان يصبروا على بلائه اذا اعترى زرعهم آفة ولا يكفروا بنعمائه فعكسوا الامر
وابوا ما يجديهم وانوا بما يرديهم فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ لما انهم مثلهم لانسداد مشاعرهم عن الحق

الحق وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ تقييد الحكم بما ذكر لبيان كمال سوء حال الكفرة والتنبيه
على انهم جامعون لخصلتى السوء بنوا سماعهم عن الحق واعراضهم عن الاصغاء ولو كان فيهم احداهما
لكفاهم ذلك فكيف وقد جمعوهما فان الاصم المقبل الى المتكلم ربما يفطن من اوضاعه وحركاته شيئا
من كلامه وان لم يسمعه اصلا واما اذا كان معرضا عنه فلا يكاد يفهم منه شيئا وقرئ بالياء المفتوحة
ورفع الصم وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ سموا عميا اما لفقدهم المقصود الحقيقى
من الابصار او لعمى قلوبهم وقرئ تهدى العمى إِنْ تُسْمِعُ اى ما تسمع إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا
فَهُمْ مُسْلِمُونَ منقادون لما نامرهم به من الحق اللّٰهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ
مبتدأ وخبر اى ابتداكم ضعفا وجعل الضعف اساس امركم كقوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا
اى خلقكم من اصل ضعيف هو النطفة ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً وذلك عند بلوغكم الحلم او تعلق
بابدانكم الروح ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً اذ اخذ منكم السن وقرئ بضم الضاد فى الكل
وهو اقوى لقول ابن عمر رض قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقرانى من ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر
والتنكير مع التكرير لان المتقدم غير المتاخر يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ من الاشياء التى من جملتها ما ذكر من
الضعف والقوة والشيبة وَهُوَ الْعَلِيمُ القدير المبالغ فى العلم والقدرة فان التردد
فيما ذكر من الاطوار المختلفة من اوضح دلايل العلم والقدرة وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ اى القيمة
سميت بها لانها تقوم فى آخر ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة وصارت علما لها كالنجم
للثريا والكوكب للزهرة يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ ما لَبِثُوا اى فى القبور او فى الدنيا والاول هو الاظهر
لان لبثهم مغيا بيوم البعث كما سيأتى وليس لبثهم فى الدنيا كذلك وقيل فيما بين فناء الدنيا
والبعث وانقطاع عذابهم وفى الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث اربعون وهو محتمل
للساعات والايام والاعوام وقيل لا يعلم انها اربعون سنة او اربعون الف سنة
غَيْرَ سَاعَةٍ استقلوا مدة لبثهم نسيانا او كذبا او تخمينا كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ مثل ذلك الصرف
كانوا يصرفون فى الدنيا عن الحق والصدق وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ فى الدنيا من
الملئكة والانس لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللّٰهِ فى علمه او قضائه او ما كتبه وعينه او فى اللوح او القرآن
وهو قوله تعالى وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ ردوا بذلك ما قالوه وايدوه باليمين
كانهم من فرط حيرتهم لم يدروا ان ذلك هو البعث الموعود الذى كانوا ينكرونه وكانوا
يسمعون انه يكون بعد فناء الخلق كافة ويقدرون لذلك زمانا مديدا او ان لم يعتقدوا
تحققه فرد العالمون مقالتهم وبنهوهم على انهم لبثوا الى غاية بعيدة كانوا يسمعونها وينكرونها
ويكتبهم بالاخبار بوقوعها حيث قالوا فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ الذى كنتم توعدون فى الدنيا
وَلَٰكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ انه حق فتستعجلون بها استهزاء والغاء جواب شرط محذوف
كما فى قول من قال قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا فَيَوْمَئِذٍ
لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ اى عذرهم وقرئ تنفع بالتاء محافظة على ظاهر التانيث

وان توسط بينهما فاصل **وَهُمْ يَنْهَوْنَ** لا يدعون الى ما يقتضي اعتابهم اى ازالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه في الدنيا من قولهم استعتبني فلان فاعتبته اى استرضاني فارضيته **وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ** اى وبالله لقد بينا لهم كل حال ووصفنا لهم كل صفة كانها في غرابتها مثل وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشان كصفة المبعوثين يوم القيمة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم ويفعل بهم من رد اعتذارهم **وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ** من ايات القرآن الناطقة بامثال ذلك **لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا** لفرط عتوهم وعنادهم وقساوة قلوبهم مخاطبين للنبي صلعم والمؤمنين **إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ** اى مزورون **كَذَلِكَ** مثل ذلك الطبع الفظيع **يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** لا يطلبون العلم ولا يتحرون الحق بل يصرون على خرافات اعتقدوها وترهات ابتدعوها فان اجمل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق فاصبر على ما تشاهد منهم من الاقوال الباطلة والافعال السيئة **إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ** وقد وعدك بالنصرة واظهار الدين واعلاء كلمة الحق ولا بد من انجازه والوفاء به لا محالة **وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ** لا يحملنك على الخفة **الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ** بما تتلو عليهم من الايات البينة بكذبهم اياها وايذائهم لك باباطيلهم التي من جملتها قولهم انك لمبطلون فانهم شاكون ضالون ولا يستبعد منهم امثال ذلك وقرئ بالنون المخففة وقرئ ولا يستخفنك من الاستخفاف اى لا يقتنك فيملكوك ويكونوا احق بك من المؤمنين وايا ما كان فالنظم الكريم وان كان نهيا للكوفة عن استخفافه عليه السلم واستخفافه لكنه في الحقيقة نهي له عليه السلم عن التاثر من استخفافهم والافتتان بفتنتهم على طريق الكناية كما في قوله تع ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا عن **رَسُولُ اللَّهِ** صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك يسبح الله تعالى بين السماء والارض وادرك ما ضيع يومه وليلته

الٓمٓ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ سلف بيانه في نظائره **الْحَكِيمِ** اى ذي الحكمة لاشتماله عليها او وصف له بحقيقة تعالى او اصله الحكيم منزله او قائله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا فاستكن في الصفة المشبهة وقيل الحكيم فعيل بمعنى مفعل كما قالوا اعقدت اللبن اى معقد وهو قليل وقيل بمعنى فاعل **هُدًى وَرَحْمَةً** بالنصب على الحالية من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة وقرئا بالرفع على انهما خبران آخران للاسم الاشارة او لمبتدإ محذوف **لِلْمُحْسِنِينَ** اى العاملين للحسنات فان اريد بها مشاهيرها المعهودة في الدين فقوله تع **الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ** بيان لما علموا من الحسنات على طريقة قوله تع الا لمعي الذي يظن بك الظن كان قد رات اى وقد سمحا وان اريد بها جميع الحسنات فهو تخصيص لهذه الثلاث بالذكر من بين سائر شعبها لاظهار فضلها وانافتها على غيرها وتخصيص الوجه الاول بصورة كون الموصول صفة للمحسنين والوجه الاخير بصورة كونه مبتدأ تما لا وجه له **أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** الفائزون بكل مطلوب الناجون من كل مهروب لحيازتهم قصبات العلم والعمل وقد مر ما فيه من التعال في مطلع سورة البقرة بما لا مزيد عليه ومن

وَمِنَ النَّاسِ محله الرفع على الابتداء باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف ومن في قوله تعالى **مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ** موصولة او موصوفة محلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعض الناس او وبعض من الناس الذي يشتري او فريق يشتري على ان مناط الافادة والمقصود بالاصالة هو اتصافهم بما في حيز الصلة او الصفة لا كونهم ذوات اولئك المذكورين كما مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر الآية **وَلَهْوُ الْحَدِيثِ** ما يلهي عما ينبغي من المهمات كالاحاديث التي لا اصل لها والاساطير التي لا اعتداد بها والمضاحيك وسائر ما لا خير فيه من فضول الكلام والاضافة بمعنى من التبيينية ان اريد بالحديث المنكر وبمعنى التبعيضية ان اريد به الاعم من ذلك وقيل نزلت الآية في النضر بن الحارث اشترى كتب الاعاجم وكان يحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد عليه السلم يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم بحديث رستم واسفنديار والاكاسرة وقيل كان يشتري القيان ويحملهن على معاشرة من اراد الاسلام ومنعه عنه **لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ** اى دينه الحق الموصل اليه تعالى او عن قراءة كتابه الهادي اليه تعالى وقرئ ليضل بفتح الياء اى ليثبت ويستمر على ضلاله او ليزداد فيه **بِغَيْرِ عِلْمٍ** اى بحال ما يشتريه او بالتجار حيث استبدل الشراء البحث بالخير المحض **وَيَتَّخِذَهَا** بالنصب عطفا على يضل والضمير للسبيل فانه مما ذكر ويؤنث وهو دين الاسلام او القرآن اى ويتخذها **هُزُوًا** مهزوا به وقرئ ويتخذها بالرفع عطفا على يشتري وقرئ ويتخذها **أُولَٰئِكَ** اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في الفعلين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بذكر المشار اليه للايذان ببعد منزلتهم في الشرارة اى اولئك الموصوفون بما ذكر من الاشتراء للاضلال **لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ** لما انتصفوا به من اماتتهم الحق باثيار الباطل عليه وترغيب الناس عنه **وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ** اى على المشتري افرد الضمير فيه وفيما بعده كالضمائر الثلاثة الاول باعتبار لفظة من بعد ما جمع فيما بينهما باعتبار معناها **آيَاتُنَا** التي هي آيات الكتاب الحكيم وهدى ورحمة للمحسنين **وَلَّىٰ** اعرض عنها غير معتد بها **مُسْتَكْبِرًا** مبالغا في التكبر كان لم يسمعها حال من ضمير ولى او من ضمير مستكبرا والاصل كانه فحذف ضمير الشان وخففت المثقلة اى مشبها حال رجل حال من لم يسمعها وهو سامع وفيه رمز الى ان من سمعها لا يتصور منه التولية والاستكبار لما فيه من الامور الموجبة للاقبال عليها والخضوع لها على طريقة قول من قال كانك لم ترغ على ابن ظريف **كَأَنْ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا** حال من ضمير لم يسمعها اى مشبها حاله حال من في اذنيه ثقل مانع من السماع ويجوز ان يكون استيناف وقرئ في اذنيه بسكون الذال **فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** اى فاعلمه بان العذاب المفرط في الايلام لاحق به لا محالة وذكر البشارة للتهكم **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** بيان لحال المؤمنين بآياته تع اثر بيان الكافرين بها اى الذين آمنوا بآياته وعملوا بموجبها **لَهُمْ** بمقابلة ما ذكر من ايمانهم واعمالهم **جَنَّاتُ النَّعِيمِ** اى نعيم جنات فعكس للمبالغة والجملة خبر ان والاحسن ان يجعل لهم هو الخبر لان وجنات النعيم مرتفعا به على الفاعلية وقوله تع **خَالِدِينَ فِيهَا** حال من الضمير في لهم او من جنات النعيم

لاشتماله على ضميرهما والعامل ما تعلق به اللام وعد الله حقا مصدران مؤكدان الاول لغته والثاني لغيره لان قوله
تعالى لهم جنات النعيم في معنى وعدهم الله جنات النعيم فاكد معنى الوعد بالوعد واما حقا فدال على معنى الثبات
اكد به معنى الوعد ومؤكد بهما جميعا لهم جنات النعيم وهو العزيز الذي لا يغلبه شئ يمنعه من انجاز وعده او تحقيق
وعيده الحكيم الذي لا يفعل الا ما يقتضيه الحكمة والمصلحة خلق السموات بغير عمد الخ استيناف مسوق للاستشهاد
بما فصل فيه على عزته تعالى التي هي كمال القدرة وحكمته التي هي كمال العلم وتمهيد قاعدة التوحيد وتقريره وابطال امر
الاغراك وتبكيتا له والعمد جمع عماد كاهب جمع اياب وهو ما يعمد به اي يسند يقال عمدت الحايط اذا اقمت
اي بغير دعايم على ان الجمع لتعدد السموات وقوله تعالى ترونها استيناف جئ به للاستشهاد
على ما ذكر من خلقه تعالى لها غير معمودة بما شاهدتم لها كذلك او صفة لعمد اي خلقها بغير عمد
مرئية على ان التقييد للمزالة انه تعالى عمدها بعمد لا ترى هي عمد القدرة والقى في الارض
رواسي بيان لصنعه البديع في قرار الارض اثر بيان صنعه الحكيم في قرار السموات اي القى
فيها جبالا ثوابت وقدم ما فيه من الكلام في سورة الرعد ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم
فان بساطة اجزائها تقتضي تبدل احيازها واوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته
او لشئ من لوازمه بحيز معين ووضع مخصوص وبث فيها من كل دابة من كل نوع من
انواعها وانزلنا من السماء ماء هو المطر فانبتنا فيها بسبب ذلك الماء من كل زوج كريم
من كل صنف كثير المنافع والالتفات الى نون العظمة في الفعلين لابراز مزيد الاعتناء
بامرهما وهذا اي ما ذكر من السموات والارض وما تعلق بهما من الامور المعدودة خلق
الله اي مخلوقه فاروني ماذا خلق الذين من دونه حتى استحقوا به المعبودية وماذا نصب لخلق او مام تقع بالابتداء وخبره ذا بصلته وارونى
متعلق به وقوله تعالى بل الظالمون في ضلال مبين اضراب عن تبكيتهم بما ذكر الى التسجيل عليهم
بالضلال البين المستدعي للاعراض عن مخاطبتهم بالمقدمات المعقولة لاستحالة ان
يفهموا منها شيئا فيهتدوا به الخ لعلم بطلان ما هم عليه او تناثر من الالزام والتبكيت فثنى جروا
عنه ووضع الظاهر موضع ضميرهم للدلالة على انهم باشتراكهم واضعون للشئ في غير موضعه وممعنون
عن الحق وظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد ولقد آتينا لقمان الحكمة كلام
مستانف مسوق لبيان بطلان الشرك وهو لقمان بن باعورا من اولاد ازر بن اخت ايوب
عليه السلام او خالته وعاش حتى ادرك داود عليه السلام واخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعثه
وقيل كان قاضيا في بني اسرائيل والجمهور على انه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة تعرف العلما
استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الافعال
الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته انه صحب داود عليه السلام شهورا وكان يسرد الدرع
فلم يسأله عنها فلما تمها لبسها فقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكمة وقليل
فاعلمه تعالى بداود عليه السلم بحق ما سميت حكيما وان داود قال له يوما كيف اصبحت قال
اصبحت في يدي غيري فتفكر داود فيه فصعق صعقة وامره مولاه بان يذبح شاة ويأتي

ويأتي باطيب مضغتين منها فاتى بالسان والقلب ثم بعد ايام امره بان ياتي باخبث مضغتين منها
فاتى بهما ايضا فساله عن ذلك فقال بهما اطيب شئ اذا طابا واخبث شئ اذا خبثا ومعنى ان اشكر لله
اي اشكر له تعالى على ان ان مفسرة فان اتيان الحكمة في معنى القول وقوله تعالى ومن يشكر الخ استيناف مقرر
لمضمون ما قبله موجب للامتثال بالامر اي ومن يشكر له تعالى فانما يشكر لنفسه لان منفعته التي هي ارتباط العبد
واستجلاب المزيد مقصورة عليها ومن كفر فان الله غني عن كل شئ فلا يحتاج الى شكر ليتضرر بكفر من كفر
حميد حقيق بان يحمده وان لم يحمده احد او محمود بالفعل ينطق بحمده جميع المخلوقات بلسان الحال وعدم النهوض
للكونه تعالى مشكورا مما ان الحمد متضمن للشكر بل هو رأسه كما قال عليه السلم الحمد راس الشكر لم يشكر الله عبد لم يحمده
فاشارة له تعالى اثبات الشكر له قطعا واذ قال لقمن لابنه انعم وقيل اشكر وقيل ماتان وهو يعظه يا بني
تصغير اشفاق وقرئ يا بنيّ باسكان الياء وبكسرها لا تشرك بالله قيل كان ابنه كافرا فلم ينل به حتى
اسلم ومن وقف على لا تشرك جعل بالله قسما ان الشرك لظلم عظيم تعليل للنهي او لانتهاء عن الشرك
ووصينا الانسان بوالديه الخ كلام مستانف اعترض به على نهج الاستطراد في اثناء وصيته تعالى تاكيدا
لما قبلها من النهي عن الشرك وقوله تعالى حملته امه الى قوله في عامين اعتراض بين المفسر والمفسر وقوله تعالى
وهنا حال من امه اي ذات وهن او مصدر مؤكد لفعل هو الحال اي تهن وهنا وقوله تعالى على وهن صفة
للمصدر اي كائنا على وهن اي تضعف ضعفا فوق ضعف فانها لا تزال تتضاعف ضعفها وقرئ وهنا
على وهن بالتحريك يقال وهن يهن وهنا ووهن يوهن وهنا وفصاله في عامين اي فطامه في تمام
عامين وهي مدة الرضاع عند ابي حنيفة رحمه الله وعند ابي حنيفة رحمه الله ثلثون شهرا وقد بين وجهه في موضعه وقرئ
وفصله ان اشكر لي ولوالديك تفسير لوصينا وما بينهما اعتراض مؤكد للوصية ولذلك قال عليه السلم لمن قال له
من ابر امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم ابوك الي المصير تعليل لوجوب الامتثال بالامر اي الي الرجوع
لا الى غيري فاجازيك على ما صدر عنك من الشكر والكفر وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به
اي بشركته له تعالى في استحقاق العبادة علم فلا تطعهما في ذلك وصاحبهما في الدنيا معروفا اي صحابا
معروفا يقتضيه الشرع ويقتضيه المروة واتبع سبيل من اناب الي بالتوحيد والاخلاص في الطاعة
ثم الي مرجعكم اي مرجعك ومرجع من اناب الي فانبيكم عند رجوعكم بما كنتم تعملون بان اجازي
كلا منكم بما صدر عنه من الخير والشر وقوله تعالى يا بني الخ شروع في حكاية بقية وصايا لقمان اثر تقرير ما
مطلعها من النهي عن الشرك وتاكيد بالاعتراض انها ان تك مثقال حبة من خردل اي ان الخصلة
من الاساءة والاحسان ان تك مثلا في الصغر كحبة الخردل وقرئ برفع مثقال على ان الضمير للقصة
وكان تامة والتانيث لاضافة المثقال الى الحبة كما في قول من قال كما شرقت صدر القناة من
الدم اولان المراد به الحسنة او السيئة فتكن في صخرة او في السموات او في الارض اي تستكن
مع كونها في اقصى غايات الصغر والخفاء في اخفى مكان واحرزه كجوف الصخرة او حيث كان
في العالم العلوي او السفلي يات بها الله اي يحضرها ويحاسب عليها ان الله لطيف يصل علمه الى
كل خفي خبير بكنهه وبعد ما امره بالتوحيد الذي هو اول ما يجب على الانسان في ضمن النهي عن الشرك
وبنهه على كمال علم الله تعالى وقدرته امره بالصلوة التي هي اكمل العبادات تكميلا له من حيث العمل بعد

بعد تكميله من حث الاعتقاد وفعال مستقيلا له يا بني اقم الصلوة تكميلا لنفسك وامر بالمعروف
وانه عن المنكر تكميلا لغيرك واصبر على ما اصابك من الشدايد والمحن لا سيما
فيما امرت به ان ذلك اشارة الى كل ما ذكر وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد
بالمشار اليه لما مر مرارا من الاشعار ببعد منزلته في الفضل من عزم الامور اى مما عزمه الله
تعالى وقطعه على عباده من الامور لمزيد مزيتها مصدر اطلق على المفعول وقد جوز ان يكون
بمعنى الفاعل من قوله تعالى فاذا عزم الامر اى جد والجملة تعليل لوجوب الامتثال بما سبق
من الامر والنهى وايذان بان ما بعدها ليس بمثابته ولا تصعر خدك للناس اى لا تملهم
ولا تولهم صفحة وجهك كما هو ديدن المتكبرين من الصعر وهو الصيد وهو داء يصيب البعير
فيلوى منه عنقه وقرئ ولا تصاعر وقرئ ولا تصعر من الافعال والكل بمعنى مثل علاه
وعالاه واعلاه ولا تمش في الارض مرحا اى فرحا مصدر وقع موقع الحال او مصدر
مؤكد لفعل هو الحال اى تمرح مرحا او لاجل المرح والبطر ان الله لا يحب كل مختال فخور
تعليل للنهى او موجبه وتاخير الفخور مع كونه بمقابلة المصعر حده عن المختال وهو بمقابلة الماشي
مرحا لرعاية الفواصل واقصد في مشيك بعد الاجتناب عن المرح فيه اى توسط بين البدب
والاسراع وعن عليكم سرعة المشي يذهب بهاء المؤمن وقول عائشة في عمر رضا كان اذا
مشى اسرع فالمراد به ما فوق دبيب المتماوت وقرئ بقطع الهمزة من اقصد الرامي اذا
سدد سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك وانقص منه واقصر ان انكر الاصوات
اى اوحشها لصوت الحمير تعليل للامر على ابلغ وجه واكده مبني على تشبيه الرافعين اصواتهم
بالحمير وتمثيل اصواتهم بالنهاق واذ افراط في التحذير عن رفع الصوت والتنفير عنه
وافراط الصوت مع اضافته الى الجمع لما ان المراد ليس بيان حال صوت كل واحد من آحاد
هذا الجنس حتى يجمع كل بيان حال صوت هذا الجنس من بين اصوات سائر الاجناس وقوله
الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض رجوع الى سنن ما سلف قبل
قصة لقمان من خطاب المشركين وتوبيخ لهم على اصرارهم على ما هم عليه من مشاهدتهم
لدلايل التوحيد والمراد بالتسخير اما جعل المسخر بحيث ينفع المسخر له اعم من ان يكون منقادا
له يتصرف فيه كيف يشاء ويستعمله حسما يريد كعامة ما في الارض من الاشياء المسخرة
للانسان المستعملة له من الجماد والحيوان او لا يكون كذلك بل يكون سببا لحصول مراده
من غير ان يكون له دخل في استعماله كجميع ما في السموات من الاشياء التي ينتفع
بها مصالح العباد معاشا او معادا او اما جعله منقادا للامر مذللا على ان معنى لكم للحكم
فان جميع ما في السموات والارض من الكاينات مسخرة لله تعالى مستتبعة لمنافع الخلق
وما يستعمله الانسان جما يشاء وان كان مسخرا له بحسب الظاهر فهو في الحقيقة مسخر
لله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة محسوسة ومعقولة معروفة لكم وغير معروفة
وقدم شرح النعمة وتفصيلها في الفاتحة وقرئ اصبغ بالصاد وهو جار في كل سين قارنه

قارنه الغين او الخاء او القاف كما تقول في سخ صلخ وفي سقر صقر وفي سايغ
صايغ وقرئ نعمة ومن الناس من يجادل في الله في توحيده وصفاته بغير علم متفاد
من دليل ولا هدى من جهة الرسول عليه السلم ولا كتاب منير انزله الله سبحانه بل مجرد
التقليد واذا قيل لهم اى لمن يجادل والجمع باعتبار المعنى اتبعوا ما انزل الله
قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا يريدون به عبادة الاصنام اولو كان الشيطان
يدعوهم اى اباهم لا انفسهم كما قيل فان مدار انكار الاتباع واستبعاده كون
المتبوعين تابعين للشيطان لا كون انفسهم كذلك اى ايتبعونهم ولو كان الشيطان
يدعوهم فيما هم عليه من الشرك الى عذاب السعير فهم متوجهون اليه حسب دعوتهم والجملة
في حيز النصب على الحالية وقد مر تحقيقه في قوله تعالى اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا
يهتدون من سورة البقرة بما لا مزيد عليه ومن يسلم وجهه لله بان فوض اليه مجامع
اموره واقبل عليه بكليته وحيث عدى باللام قصد معنى الاختصاص وقرئ ما تشديد
وهو محسن اى في اعماله آت بها جامعة بين الحسن الذاتي والوصفي وقد مر في خر
سورة النحل فقد استمسك بالعروة الوثقى اى تعلق بواثق ما يتعلق به من الاسباب
وهو تمثيل لحال المتوكل المشتغل بالطاعة بحال من اراد ان يترقى الى شاهق جبل
فتمسك بواثق عرى الحبل الممتد الى منه والى الله لا الى احد غيره عاقبة الامور فيجازيه
احسن الجزاء ومن كفر فلا يحزنك كفره فانه لا يضرك في الدنيا ولا في الآخرة وقرئ فلا
يحزنك من احزن المنقول من حزن بكسر الزاء وليس بمستبعد الينا مرجعهم لا الى غيرنا
فنبئهم بما عملوا في الدنيا من الكفر والمعاصي بالعذاب في العقبى والجمع في الضمايرالثلاثة
باعتبار معنى من كما ان الافراد في الاول باعتبار لفظها ان الله عليم بذات الصدور
تعليل للتنبئة المعبر بها عن التعذيب نمتعهم قليلا ممتعا او زمانا قليلا فان ما نزوى
وان كان بعد امد طويل بالنسبة الى ما يدوم قليل ثم نضطرهم الى عذاب غليظ ثقيل عليهم
ثقل الاجرام الغلاظ او يضم الى الاحراق الضغط والتضييق ولئن سالتهم من
خلق السموات والارض ليقولن الله لغاية وضوح الامر بحيث اضطروا الى الاعتراف
به قل الحمد لله على ان جعل دلايل التوحيد بحيث لا يكاد ينكرها المكابرون ايضا بل اكثرهم
لا يعلمون شيئا من الاشياء فلذلك لا يعملون بمقتضى اعترافهم وقيل لا يعلمون ان
ذلك يلزمهم لله ما في السموات والارض فلا يستحق العبادة فيها غيره ان الله هو
الغني عن العالمين الحميد المستحق للحمد وان لم يحمده احد او المحمود بفعل يحمده كل مخلوق
بلسان الحال ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام اى لو ان الاشجار اقلام وتوحيد
الشجرة لما ان المراد تفصيل الآحاد والبحر يمده من بعده اى من بعد نفاد مياهه سبعة
ابحر اى والحال ان البحر المحيط بسعته يمده الابحر السبعة مدا لا ينقطع ابدا او كتبت
بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله ما نفدت كلمات الله ونفدت تلك

فقد استمسك اى فقد اعتصم بامر وثيق
عروة من جبل متين يامن
انقطاعه

الاقلام والمداد كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي وقرئ يمده من الامداد بالياء والتاء واسناد
المد الى الابحر السبعة دون البحر المحيط مع كونه اعظم منها واطم لانها هي المجاورة للجبال ومنابع المياه الجارية
واليها تنصب الانهار العظام اولا ومنها ينصب الى البحر المحيط ثانيا وايثار جمع القلة في الكلمات للايذان
بان ما ذكر لا يفي بالقليل منها فكيف بالكثير ان الله عزيز لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج عن علمه وحكمته امر فلا تنفد
كلماته المؤسسة عليهما ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة اي الا كخلقها وبعثها في سهولة التأني اذ لا يشغله
شان عن شان لان مناط وجود الكل تعلق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية حسبما يفصح عنه قوله تعالى
انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ان الله سميع يسمع كل مسموع بصير يبصر كل مبصر لا يشغله
علم بعضها عن علم بعض فكذلك الخلق والبعث الم تر قيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل عام
لكل احد ممن يصلح للخطاب وهو الاوفق لما سبق وما لحق اي الم تعلم علما قويا جاريا مجرى الرؤية ان الله
يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل اي يدخل كل واحد منهما في الآخر ويضيفه اليه فيتفاوت بذلك
حالة زيادة ونقصانا وسخر الشمس والقمر عطف على يولج والاختلاف بينهما صيغة لما ان ايلاج احد
الملوين في الآخر متجدد في كل حين واما تسخير النيرين فامر لا تعدد فيه ولا تجدد وانما التعدد والتجدد في آثاره
وقد اشير الى ذلك حيث قيل كل يجري اي بحسب حركته الخاصة وحركته القسرية على المدارات اليومية المتخالفة
المتعددة بحسب تعدد الايام جريا مستمرا الى اجل مسمى قدره الله تعالى لجريهما وهو يوم القيمة كما روي عن
الحسن فانه لا ينقطع جريهما الا حينئذ والجملة على تقدير عموم الخطاب اعتراض بين المعطوفين لبيان الواقع
بطريق الاستطراد وعلى تقدير اختصاصه به عليه السلام يجوز ان تكون حالا من الشمس والقمر فان جريانهما الى يوم
القيمة من جملة ما في حيز رؤيته عليه السلام هذا وقد جعل جريانهما عبارة عن حركتهما الخاصة بهما في فلكهما والاجل
المسمى عن منتهى دورتهما وجعل مدة الجريان للشمس سنة وللقمر شهرا فالجملة حينئذ بيان لحكم تسخيرهما وتنبيه على
كيفية ايلاج احد الملوين في الآخر وكون ذلك بحسب اختلاف جريان الشمس على مداراتها اليومية فكلما كان
جريانها متوجها الى سمت الراس تزداد القوس التي هي فوق الارض اكبرا فيزداد النهار طولا بانضمام بعض
اجزاء الليل اليه الى ان يبلغ المدار الذي هو اقرب المدارات الى سمت الراس وذلك عند بلوغها الى راس السرطان ثم ترجع
متوجهة الى التباعد عن سمت الراس فلا تزال القسي التي فوق الارض تزداد صغرا فيزداد النهار قصرا بانضمام
بعض اجزائه الى الليل الى ان يبلغ المدار الذي هو ابعد المدارات اليومية عن سمت الراس وذلك عند بلوغها
برج الجدي وقوله تعالى وان الله بما تعملون خبير عطف على ان الله يولج الخ داخل معه في حيز الرؤية على تقديري
خصوص الخطاب وعمومه فان من شاهد مثل ذلك الصنع الرائق والتدبير اللائق لا يكاد يغفل عن كون صانعه
عز وجل محيطا بجلائل اعماله ودقائقها ذلك اشارة الى ما تلي من الآيات الكريمة وما فيه من معنى البعد للايذان
ببعد منزلتها في الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بان الله هو الحق اي بسبب بيان انه تعالى هو الحق الهيته فقط
ولاجله لكونها ناطقة بحقية التوحيد وان ما يدعون من دونه الباطل اي ولاجل بيان بطلان الهية ما يدعونه
من دونه تعالى لكونها شاهدة بذلك شهادة بينة لا ريب فيها وقرئ بالتاء والتصريح بذلك مع ان الدلالة
على اختصاص حقية الالهية به تعالى مستتبعة للدلالة على بطلان الهية ما عداه لابراز كمال الاعتناء بامر التوحيد
وللايذان بان الدلالة على بطلان ما ذكر بطريق الاستتباع فقط بل بطريق الاستقلال ايضا وان الله هو العلي

العلي الكبير اي وبيان انه تعالى هو المترفع عن كل شيء المتسلط عليه فان ما في تضاعيف
الآيات الكريمة مبين لاختصاص العلو والكبرياء به تعالى اي بيان هذا وقيل ذلك اي
ما ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص الباري تعالى به بسبب انه
الثابت في ذاته الواجب من جميع جهاته او الثابت الهيته وانت خبير بان حقيته
تعالى وعلوه وكبرياءه وان كانت صالحة لمناطية ما ذكر من الاحكام المعدودة
لكن بطلان الهية الاصنام لا دخل لها في المناطية قطعا فلا مساغ لنظمه في سلك الاسباب
بل هو تعكيس للامر ضرورة ان الاحكام المذكورة هي المقتضية لبطلانها لا ان
بطلانها يقتضيها الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمت الله باحسانه في تهيئة اسبابه
وهو استشهاد آخر على باهر قدرته وغاية حكمته وشمول انعامه والباء اما متعلقة
بتجري او بمقدر هو حال من فاعله اي ملتبسة بنعمته تعالى وقرئ الفلك بضم اللام وبنعمات
الله وعين فعلات يجوز فيه الكسر والفتح والسكون ليريكم من آياته اي بعض دلائل وحدته
وعلمه وقدرته وقوله تعالى ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور تعليل لما قبله اي ان
فيما ذكر لآيات عظيمة في ذاتها كثيرة في عددها لكل من يبالغ في الصبر على المشاق فيتعب
نفسه في التفكر في الانفس والآفاق ويبالغ في الشكر على نعمائه وهما صفتا المؤمن فكانه قيل
لكل مؤمن واذا غشيهم اي علاهم واحاط بهم موج كالظلل كما يظل من جبل او سحاب
او غيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال دعوا الله مخلصين له الدين لزوال
ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما يوهاهم من الدواهي والشدائد فلما نجيهم
الى البر فمنهم مقتصد اي مقيم على القصد السوي الذي هو التوحيد او متوسط في
الكفر لانزجاره في الجملة وما يجحد بآياتنا الا كل ختار غدار فانه نقض للعهد الفطري
او رفض لما كان في البحر والختر اشد الغدر واقبحه كفور مبالغ في كفران نعم الله تعالى
يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده اي لا يقضي عنه
وقرئ لا يجزي من اجزا اذا اغنى والعائد الى الموصول محذوف اي لا يجزي فيه
ولا مولود عطف على والد او هو مبتدأ خبره هو جاز عن والده شيئا وتغيير النظم
للدلالة على ان المولود اولى بان يجزي وقطع طمع من توقع من المؤمنين ان ينفع اباه
الكافر في الآخرة ان وعد الله بالثواب والعقاب حق لا يمكن اخلافه اصلا فلا تغرنكم
الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور اي الشيطان المبالغ في الغرور بان يحملكم على
المعاصي بتغرينها لكم ويرجيكم التوبة والمغفرة ان الله عنده علم الساعة علم وقت
قيامها لما روي ان الحارث بن عمرو اتى رسول الله عليه السلام فقال متى الساعة واني قد القيت
حباتي في الارض فمتى السماء تمطر وحمل امرأتي ذكرا او انثى وما اعمل غدا واين اموت
فنزلت وعنه عليه السلام مفاتح الغيب خمس وتلى هذه الآية وينزل الغيث في اياته الذي
قدره والى محله الذي عينه في علمه وقرئ ينزل من الانزال ويعلم ما في الارحام

من ذكر او انثى او تام او ناقص وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ من النفوس مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا من خير او شر ورجا بعزم على شئ منهما فيفعل خلافه وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ كما لا تدري في اي وقت تموت وفي ان ملك الموت مر على سليمان عليهما السلام فجعل ينظر الى الى رجل من جلسائه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كانه يريدني فمر الريح ان تحملني وتلقيني ببلاد الهند ففعل ثم قال الملك لسليمان عليهما السلام كان دوام نظر اليه تعجبا منه حيث كنت امرت بان اقبض روحه بالهند وهو عندك ونبه العلم الى الله تعالى والتدرية الى العبد للايذان بانه ان اعمل حيلة وبذل في التعرف وسعه لم يدر ما هو لاحق به من كسب وعاقبته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليل عليه وقرئ بالتاء ارضن وشبه سيبويه تانيثها بتانيث كل في كلتهن اِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ مبالغ في العلم فلا يعزب عن علمه شئ من الاشياء التي من جملتها ما ذكر خَبِيرٌ يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لقمان كان لقمان رفيقا له يوم القيمة واعطى من الحسنات عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

الٓمٓ اما اسم للسورة فمحله الرفع على انه خبر لمبتداء محذوف اي هذا مسمى بالم والا اشارة اليها قبل جريان ذكرها قد عرفت سرها واما مسرود على نمط التعديد فلا محل له من الاعراب وقوله تنزيل الكتاب على الاول خبر بعد خبر على انه مصدر اطلق على المفعول مبالغة وعلى الثاني خبر لمبتداء محذوف اي المؤلف من جنس ما ذكر تنزيل الكتاب وقيل خبر لالم اي المسمى به تنزيل الكتاب وقد مر مرارا ان ما يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه واذ لا عهد بالتسمية قبل فحقها الاخبار بها وقوله تعالى لا رَيْبَ فِيهِ خبر ثالث على الوجه الاول وثان على الاخيرين وقيل خبر لتنزيل الكتاب فقوله تعالى مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ متعلق بمضمر هو حال من الضمير المجرور اي كائنا منه لا بتنزيل لان المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر والاوجه ح انه الخبر ولا ريب فيه حال من الكتاب او اعتراض والضمير في فيه راجع الى مضمون الجملة كانه قيل لا ريب في ذلك اي في كونه منزلا من رب العالمين ويؤيد قوله تعالى اَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ فان قولهم هذا انكار منهم لكونه من رب العالمين فلا بد ان يكون مورده حكما مقصودا بالافادة لا قيدا للحكم بنفي الريب عنه وقد رد عليهم ذلك وابطل حيث جئ بام المنقطعة انكارا له وتكجيبا منه لغاية ظهور بطلانه واستحالة كونه مفترى ثم اضرب عنه الى بيان حقية ما انكروه حيث قيل بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ باضافة اسم الرب الى ضميره عليه السلام بعد اضافته فيما سبق الى العالمين تشريفا له عليه السلام ثم ايد ذلك ببيان غايته حيث قيل لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ فان بيان غاية الشئ وحكمته لا سيما عند كونها غاية جميلة ومنافع جليلة في وقت شدة الحاجة اليها مما يقرر وجود الشئ ويؤكده لا محالة ولقد كانت قريش اضل الناس واجهلهم بطرق الهداية بارسال الرسول وتنزيل الكتاب حيث لم يبعث اليهم من رسول قبله عليه السلام اي ما اتاهم من نذير من قبل انذارك او من قبل زمانك والترجي معتبر من جهته عليه السلام اي لتنذرهم راجيا للاهتداء او لرجاء اهتدائهم واعلم ان ما ذكر من التاييد انما يتسنى على ما ذكر من كون تنزيل الكتاب مبتدأ او خبرا على سائر الوجوه فلا تاييد اصلا لان قوله تعالى من رب العالمين خبر رابع على الوجه الاول وخبر ثالث على الوجهين الاخيرين واياما كان فكونه من رب العالمين حكم مقصود الافادة لا قيد لحكم آخر فتدبر اَللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ مر تبيانه فيما سلف مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ اي ما لكم اوا جاوز تم رضاه تعالى احد ينصركم ويشفع لكم ويخيركم من يأسه او ما لكم سواه ولي ولا شفيع بل هو الذي يتولى مصالحكم وينصركم في مواطن النصر على ان الشفيع عبارة عن الناصر مجازا فاذا اخذ لكم لم يبق لكم ولي ولا نصير اَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ اي الا تستمعون هذه المواعظ فلا تتذكرون بها او تسمعون بها فلا تتذكرون بها فالانكار على الاول متوجه الى عدم السماع وعدم التذكر معا وعلى الثاني على عدم التذكر مع تحقق ما يوجبه من السماع يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ قيل يدبر امر الدنيا باسباب سماوية من الملئكة وغيرها نازلة آثارها واحكامها الى الارض ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ اي يثبت في علمه موجودا بالفعل فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ اي في قرية من الزمان متطاولة والمراد بيان طول امتداد ما بين تدبير الحوادث وحدوثها من الزمان وقيل يدبر امر الحوادث اليومية باسبابها في اللوح المحفوظ فينزل بها الملئكة ثم يعرج اليه في زمان هو كالف سنة مما تعدون فان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام وقيل يقضي قضاء الف سنة فينزل الملك ثم يعرج بعد الالف لالف آخر وقيل يدبر امر الدنيا جميعا الى قيام الساعة ثم يعرج اليه الامر كله عند قيامها وقيل يدبر الامور به من الطاعات منزلا من السماء الى الارض بالوحي ثم لا يعرج اليه خالصا الا في مدة متطاولة تعلقه المخلصين والاعمال الخلص وانت خبير بان قلة الاعمال الخالصة لا يقتضي بطء عروجها الى السماء بل قلتها وقرئ يعدون بالياء ذٰلِكَ اشارة الى الله عز وجل باعتبار اتصافه بما ذكر من خلق السموات والارض والاستواء على العرش والانفراد بالولاية والنصرة وتدبير امر الكاينات على ما ذكر من الوجه البديع وهو مبتدأ خبره ما بعده اي ذلك العظيم الشان عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فيدبر امرهما حسبما يقتضيه الحكمة الْعَزِيزُ الغالب على امره الرَّحِيمُ على عباده وبهما جزءان آخران وفيه ايماء الى انه تعالى متفضل في جميع ما ذكر فاعل بالاحسان الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ خبر آخر او نصب على المدح اي حسن كل مخلوق خلقه اذ ما من مخلوق خلقه الا وهو مرتب على ما يقتضيه الحكمة واوجبته المصلحة فجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت حسنا وحسن كما قال تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسن اي يحسن معرفته ويعرفه معرفة حسنة بتحقيق واتيان وقرئ خلقه على انه بدل اشتمال من كل شئ والضمير للبدل منه اي حسن خلق كل شئ وقيل بدل الكل على ان الضمير لله تعالى والخلق بمعنى المخلوق اي حسن

كل مخلوقاته وقيل هو مفعول ثان لاحسن على تضمينه معنى اعطى اى اعطى كل شئ خلقه اللائق به بطريق
الاحسان والتفضل وقيل هو مفعول الاول وكل شئ مفعوله الثانى والخلق بمعنى المخلوق وضميره لله
سبحانه على تضمين الاحسان معنى الالهام والتعريف والمعنى الهم خلقه كل شئ مما يحتاجون اليه وقال
ابو البقاء عرف مخلوقاته كل شئ يحتاجون اليه فيؤول الى معنى قوله تعالى الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى وبدأ
خلق الانسان من بين جميع المخلوقات من طين على وجه بديع يحار العقول فى فهمه حيث بدء آدم
عليه السلام على فطرة عجيبة منطوية على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لخروج كل فرد
منها الى الفعل بحسب استعداداتها المتفاوتة قربا وبعدا كما ينبئ عنه قوله تعالى ثم جعل نسله اى
ذريته سميت بذلك لانها تنسل وتنفصل منه من سلالة من ماء مهين هو المنى الممتهن ثم سواه
اى عدله بتكميل اعضائه فى الرحم وتصويرها على ما ينبغى ونفخ فيه من روحه اضافه اليه تعالى تشريفا له
وايذانا بانه خلق عجيب وصنع بديع وان له شانا له مناسبة الى حضرة الربوبية وان اقصى ما ينتهى اليه
العقول البشرية من معرفته هذا القدر الذى يعبر عنه تارة بالاضافة اليه تعالى واخرى بالنسبة الى امره
كما فى قوله تعالى قل الروح من امر ربى وجعل لكم السمع والابصار والافئدة الجعل ابداعى واللام متعلقة
به والتقديم على المفعول الصريح لما مر مرات من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع
طول يخل تقديمه بجزالة النظم الكريم اى خلق لمنفعتكم تلك المشاعر لتعرفوا انعامه كوظائف اعضائها نعما
جليلة لا يقادر قدرها وسائل الى التمتع بسائر النعم الدينية والدنيوية الفائضة عليكم وتشكروها
بان تصرفوا كلا منها الى ما خلق هو له فتدركوا بسمعكم الآيات التنزيلية الناطقة بالتوحيد والبعث
وبابصاركم الآيات التكوينية الشاهدة بهما وتستدلوا بما فيكم على حقيتها وقوله تعالى قليلا
ما تشكرون بيان لكفرهم تلك النعم بطريق الاعتراض التذييلى على ان القلة بمعنى النفى كما ينبئ عنه ما بعده
اى شكرا قليلا او زمانا قليلا تشكرون وفى حكاية احوال الانسان من مبدا فطرته الى نفخ الروح فيه بطريق
الغيبة وحكاية احواله بعد ذلك بطريق الخطاب المبنى عن استعداده للفهم وصلاحيته له من الخاصة ما لا
غاية وراءه وقالوا اكلام مستانف مسوق لبيان اباطيلهم بطريق الالتفات ايذانا بان ما ذكر من عدم شكرهم
بتلك النعم موجب للاعراض عنهم وتعديد جنايا تهم لغيرهم بطريق المباثة أإذا ضللنا فى الارض اى صرنا
ترابا مخلوطا بترابها بحيث لا نتميز منه او غبنا فيها بالدفن وقرئ ضللنا بكسر اللام من باب علم وضللنا
بالصاد المهملة من ضل اللحم اذا انتن وقيل من الضلة وهى الارض اى صرنا من جنس الضلة
قيل القائل ابى بن خلف ورضاهم بقوله اسند القول الى الكل والعامل فى اذا ما يدل عليه قوله تعالى
أإنا لفى خلق جديد وهو نبعث او نجدد خلقنا والهمزة لتذكير الانكار السابق وتاكيده وقرئ
إنا على الخبر وايا ما كان فالمعنى على تاكيد الانكار لا الانكار التاكيد كما هو المتبادر من تقدم الهمزة على
ان فانها موخرة عنها فى الاعتبار وانما تقدمها عليها لاقتضائها الصدارة بل هم بلقاء ربهم
كافرون اضراب وانتقال من بيان كفرهم بالبعث الى زمان ما هو ابلغ واشنع منه وهو
كفرهم بالوصول الى العاقبة وما يلقونه فيها من الاحوال والاهوال جميعا قل بيانا للحق
ورد اعلى زعمهم الباطل يتوفاكم ملك الموت لا كما تزعمون ان الموت من الاحوال

الاحوال الطبيعية العارضة للحيوان بموجب الجبلة اى يقبض ارواحكم بحيث لا يدع فيكم
شيئا او لا يترك منكم احدا على اشد ما يكون من الوجوه واعظمها من ضرب وجوهكم
وادباركم الذى وكل بكم اى يقبض ارواحكم واحصاها اجالكم ثم الى ربكم ترجعون ما
للحساب والجزاء ولو ترى اذ المجرمون وهم القائلون أإذا ضللنا فى الارض
الآية او جنس المجرمين وهم من جملتهم ناكسوا رؤسهم عند ربهم من الحياء والخزى
عند ظهور قبائحهم التى اقترفوها فى الدنيا ربنا اى يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا
اى صرنا ممن يبصر ويسمع وحصل لنا الاستعداد لادراك الآيات المبصرة والآيات
المسموعة وكنا من قبل عميا صما لا ندرك شيئا فارجعنا الى الدنيا نعمل عملا صالحا
حسبما تقتضيه تلك الآيات وقوله تعالى انا موقنون ادعاء منهم لصحة الافئدة والابصار
على فهم معانى الآيات والعمل بموجبها كما ان ما قبله ادعاء لصحة مشاعرى البصر والسمع
كانهم قالوا وايقنا وكنا من قبل لا نعقل شيئا اصلا وانما عدلوا الى الجملة الاسمية المؤكدة
اظهارا لثباتهم على الايقان وكمال رغبتهم فيه وكل ذلك للجد فى الاستدعاء طمعا فى
الاجابة الى ما سالوه من الرجعة وانى لهم ذلك ويجوز ان يقدر كل من الفعلين مفعولا
مناسبا لما يبصرونه ويسمعونه فانهم حينئذ شاهدون الكفر والمعاصى على صور منكرة
هائلة وتخبرهم الملئكة بان مصيرهم الى النار للمحالة فالمعنى ابصرنا قبح اعمالنا وكنا
نراها فى الدنيا حسنة وسمعنا ان مردنا الى النار وهو الانسب بما بعده من الوعد
بالعمل الصالح هذا وقد قيل المعنى وسمعنا منك تصديق رسلك وانت خبير
بان تصديقه تعالى لهم يكون باظهار مدلول ما اخبروا به من الوعد والوعيد لا بالاخبار
بانهم صادقون حتى يسمع وقيل وسمعنا قول الرسل اى سمعناه سمع طاعة واذعان
ولا تقدر لترى مفعول اذ المعنى لو تكون منك رؤية فى ذلك الوقت او تقدر ما ينبئ عنه صلة
اذ والمضى فيها وفى لو باعتبار ان الثابت فى علم الله تعالى بمنزلة الواقع وجواب لو
محذوف اى لرايت امرا فظيعا لا يقادر قدره والخطاب لكل احد ممن يصلح له كائنا
من كان اذ المراد بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الفظاعة الى حيث لا تختص استغرابها
واستفظاعها برائ دون رائ ممن اعتاد مشاهدة الامور البديعة والدواهى
الفظيعة بل كل من تاتى منه الرؤية يتعجب من هولها وفظاعتها هذا ومن علل عموم
الخطاب بالقصد الى بيان ان حالهم قد بلغت من الظهور الى حيث يمتنع خفاؤها
البتة فلا تختص رؤيته برائ دون رائ بل كل من ياتى منه الرؤية فله مدخل فى هذا الخطاب
فقد نائ عن تحقيق الحق لان المقصود بيان كمال فظاعته حالهم كما يفصح عنه الجواب
المحذوف لا بيان كمال ظهورها فانه مسوق مساق المسلمات فتدبر ولو شئنا
لاتينا كل نفس هداها مقدر بقول معطوف على ما قدر قبل قوله تعالى ربنا ابصرنا
اى وتقول لو شئنا اى لو تعلقت مشيتنا تعلقا فعليا بان نعطى كل نفس من

النفوس البرة والفاجرة ما تهتدي به الى الايمان والعمل الصالح لاعطيناها اياه في
الدنيا التي هي دار الكسب وما اخرناه الى دار الجزاء ولكن حق القول مني اي سبقت
كلمتي حيث قلت لابليس عند قوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين فالحق
والحق اقول لاملأن جهنم منك ومن تبعك منهم اجمعين وهو المعنى بقوله تع لاملأن
جهنم من الجنة والناس اجمعين كما يلوح به تقديم الجنة على الناس فبموجب ذلك
القول لم نشأه اعطاء الهدى على العموم بل منعناه من اتباع ابليس الذين انتم
من جملتهم حيث صرفتم اختياركم الى الغي باغوائه ومشيتنا لافعال العباد منوطة
باختيارهم اياها فلما لم تختاروا الهدى واخترتم الضلالة لم نشأه اعطاءه
لكم وانما اعطينا الذين اختاروه من النفوس البرة وهم المعنيون بما سيأتي من
قوله تع انما يؤمن باياتنا الآية فيكون مناط عدم مشية اعطاء الهدى في الحقيقة
سوء اختيارهم لا تحقق القول وانما قيدنا المشية بما مر من التعلق الفعلي
بافعال العباد عند حدوثها لان المشية الازلية من حيث تعلقها بما سيكون من افعالهم
اجمالا متقدمة على تحقق كلمة العذاب فلا يكون عدمها منوطا بتحققها وانما مناطه علمه تع
انه لا يصرف اختيارهم فيما سيأتي الى الغي وايثارهم له على الهدى فلو اريدت هي من
تلك الحيثية لاستدرك بعدمها ونيط ذلك بما ذكر من المناط على منهاج قوله تعالى
ولو علم الله فيهم لاسمعهم فمن توهم ان المعنى ولو شئنا لاعطينا كل نفس ما عندنا
من اللطف الذي لو كان منهم اختياره لاهتدوا ولكن لم نعطهم لما علمنا منهم اختيار
الكفر وايثاره فقد اشتبه عليه الشئون والفاء في قوله تع فذوقوا لترتيب
الامر بالذوق على ما يعرب عنه ما قبله من نفي الرجع الى الدنيا او على الوعيد المحكي
والباء في قوله تع بما نسيتم لقاء يومكم هذا للايذان بان تعذيبهم ليس لمجرد سبق
الوعيد به فقط بل هو وسبق الوعيد ايضا بسبب موجب له من قبلهم كانه قيل لا رجع
لكم الى الدنيا او حق وعيدي فذوقوا بسبب نسيانكم لقاء هذا اليوم الهائل و
ترككم التفكر فيه والاستعداد له بالكلية انا نسيناكم اي تركناكم في العذاب ترك
المنسي بالمرة وقوله تعالى وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون تكرير للتاكيد والتشديد
وتعيين المفعول المطوي للذوق والاشعار بان سببه ليس مجرد ما ذكر من النسيان
بل له اسباب اخر من فنون الكفر والمعاصي التي كانوا مستمرين عليها في الدنيا وعدم نظم
الكل في سلك واحد للتنبيه على استقلال كل منها في استيجاب العذاب وفي ابتهام المذوق
اولا وبيانه ثانيا بتكرير الامر وتوسيط الاستيناف المنبئ عن كمال السخط بينهما
من الدلالة على غاية التشديد في الانتقام منهم ما لا يخفى وقوله تع انما يؤمن باياتنا
استيناف مسوق لتقرير عدم استحقاقهم لايتاء الهدى والاشعار بعدم
ايمانهم لو اوتوه بتعيين من يستحقه بطريق القصر كانه قيل انكم لا تؤمنون

تؤمنون باياتنا ولا تعملون بموجبها عملا صالحا ولو رجعناكم الى الدنيا كما تدعون حسبما ينطق به قوله تعالى
ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانما يؤمن الذين اذا ذكروا بها اي وعظوا خروا سجدا اثر
ذي اثير من غير تردد ولا تلعثم فضلا عن التسويف الى معاينة ما نطقت به من الوعد والوعيد اي سقطوا
على وجوههم وسبحوا بحمد ربهم اي ونزهوه عند ذلك عن كل ما لا يليق به من الامور التي من جملتها العجز
عن البعث ملتبسين بحمده تع على نعمائه التي اجلها الهداية بايتاء الآيات والتوفيق للاهتداء بها
والتعرض لعنوان الربوبية بطريق الالتفات مع الاضافة الى ضميرهم للاشعار بعلة التسبيح والتحميد
وبانهم يفعلونهما بملاحظة ربوبيته تع لهم وهم لا يستكبرون اي والحال انهم خاضعون له تع لا يستكبرون
عما فعلوا من الخرور والتسبيح والتحميد تتجافى جنوبهم اي تنبو وتتنحى عن المضاجع اي الفرش ومواضع
المنام والجملة مستانفة لبيان بقية محاسنهم وهم المتهجدون بالليل قال النبي انس رض نزلت
فينا معاشر الانصار كنا نصلي المغرب فلا نرجع الى رحالنا حتى نصلي العشاء مع النبي عليه السلم وعن
انس ايضا انه قال نزلت في اناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يصلون من صلوة المغرب الى
صلوة العشاء وهي صلوة الاوابين وهو قول ابي حازم ومحمد بن المنكدر وهو مروي عن ابن عباس رض
وقال عطاء هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الآخرة والفجر في جماعة والمشهور ان المراد منه
صلوة الليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والاوزاعي وجماعة لقوله عليه السلم افضل الصيام بعد شهر
رمضان شهر الله المحرم وافضل الصلوة بعد الفريضة صلوة الليل وعن النبي عليه السلم في تفسيرها قيام
العبد من الليل وعنه عليه السلم اذا جمع الله الاولين والآخرين جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق
كلهم سيعلم اهل الجمع من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون
وهم قليل ثم يرجع فيقول ليقم الذين يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون
جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقوله تعالى يدعون ربهم حال من ضمير جنوبهم اي داعين له تعالى
على الاستمرار خوفا من سخطه وعذابه وعدم قبول عبادته وطمعا في رحمته ومما رزقناهم من المال
ينفقون في وجوه البر والحسنات فلا تعلم نفس من النفوس لا ملك مقرب
ولا نبي مرسل فضلا عمن دعاهم ما اخفي لهم اي لاولئك الذين عددت
نعوتهم الجليلة من قرة اعين مما تقر به اعينهم وعنه عليه السلم يقول الله عز وجل اعددت
لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر مثله
ما اطلعتم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقرئ ما اخفي
لهم وما نخفي لهم وما اخفيت لهم على صيغة المتكلم وما اخفي لهم على البناء للفاعل وهو الله
سبحانه وقرئ قرات اعين لاختلاف انواعها والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة
او استفهامية علق عنها الفعل جزاء بما كانوا يعملون اي جزوا جزاء او اخفي
لهم للجزاء بما كانوا يعملونه في الدنيا من الاعمال الصالحة قيل هؤلاء القوم اخفوا
اعمالهم فاخفى الله تع ثوابهم افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا اي ابعد ظهور ما بينهما
من التباين البين يتوهم كون المؤمن الذي حكيت اوصافه الفاضلة كالفاسق

فلا تعلم نفس ما اخفي لهم ما استفهام مبتداء واخفي لهم مجهولا خبره والضمير راجع الى ما والجملة في محل النصب بتعلم سدت مسد المفعولين [illegible] من قرة اعين هي ما تقر به اعينهم وتسكن اليه انفسهم في محل النصب حال من فاعل اخفي والمعنى لا تعلم نفس ما من ملك مقرب ولا نبي مرسل اي نوع من الثواب ادخر الله لاولئك واخفاه من جميع خلائقه ثم لا يعلمه الا هو جزاء بما كانوا يعملون

الذي ذكرت احواله لا يستوون التصريح به مع افادة الانكار نفي المشابهة بالمرة على
ابلغ وجه واكده لبناء التفصيل الآتي عليه والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد
فيما سبق باعتبار لفظها وقوله تعالى اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات
المأوى تفصيل لمراتب الفريقين في الآخرة بعد ذكر احوالهما في الدنيا واضيفت
الجنة الى المأوى لانها المأوى الحقيقي وانما الدنيا منزل مرتحل عنه لا محالة وقيل المأوى
جنة من الجنات واياما كان فلا يبعد ان يكون فيه رمز الى ما ذكر من تجافيهم عن مضاجعهم
التي هي مأواهم في الدنيا نزلا اي ثوابا وهو في الاصل ما يعد للنازل من الطعام
والشراب وانتصابه على الحالية بما كانوا يعملون في الدنيا من الاعمال الصالحة او باعمالهم
واما الذين فسقوا اي خرجوا عن الطاعة فمأواهم اي ملجأهم ومنزلهم النار
مكان جنات المأوى للمؤمنين كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها استئناف
لبيان كيفية كون النار مأواهم يروى انه يضربهم لهب النار فيرتفعون الى طبقاتها
حتى اذا قربوا من بابها وارادوا ان يخرجوا منها يضربهم اللهب فيهوون الى
قعرها وهكذا يفعل بهم ابدا وكلمة في للدلالة على انهم مستقرون فيها وانما الاعادة
من بعض طبقاتها الى بعض وقيل لهم تشديدا عليهم وزيادة في غيظهم ذوقوا
عذاب النار الذي كنتم به اي بعذاب النار تكذبون على الاستمرار في الدنيا
ولنذيقنهم من العذاب الادنى اي عذاب الدنيا وهو ما محنوا به من السنة
سبع سنين والقتل والاسر دون العذاب الاكبر الذي هو عذاب الآخرة لعلهم
لعل الذين يشاهدونه وهم في الحيوة يرجعون يتوبون عن الكفر روي ان الوليد بن
عتبة فاخر عليا رض يوم بدر فنزلت هذه الآيات ومن اظلم ممن ذكر بآيات
ربه ثم اعرض عنها بيان اجمالي لحال من قابل آيات الله تعالى بالاعراض بعد بيان
حال من قابلها بالسجود والتسبيح والتحميد وكلمة ثم لاستبعاد الاعراض عنها عقلا
مع غاية وضوحها وارشادها الى سعادة الدارين كما في بيت الحماسة لا يكشف الغماء
الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها اي هو اظلم من كل ظالم وان كان سبك
التركيب على نفي الاظلم من غير تعرض لنفي المساوي وقد مر مرارا انا من المجرمين اي من
كل من اتصف بالاجرام وان هانت جريمته منتقمون فكيف ممن هو اظلم من كل ظالم
واشد جرما من كل جرم ولقد آتينا موسى الكتاب اي التوراة عبر عنها
باسم الجنس لتحقيق المجانسة بينها وبين الفرقان والتنبيه على ان اتياه لرسول الله صلعم
كاتيانها لموسى عليه السلم فلا تكن في مرية من لقائه من لقاء الكتاب الذي هو الفرقان
كقوله وانك لتلقى القرآن والمعنى انا آتينا موسى مثل ما آتيناك من الكتاب
ولقيناه من الوحي مثل ما لقيناك من الوحي فلا تكن في شك من انك لقيت
مثله ونظيره وقيل من لقاء موسى الكتاب او من لقائك موسى وعنه عليه السلم رأيت

رأيت ليلة اسري بي موسى رجلا آدم طوالا جعدا كانه من رجال شنوءة وجعلناه
اي الكتاب الذي آتيناه موسى هدى لبني اسرائيل قيل لم يتعبد بما في التوراة
ولد اسمعيل وجعلنا منهم ائمة يهدون بقيتهم بما في تضاعيف الكتاب من الحكم
والاحكام الى طريق الحق او يهدونهم الى ما فيه من دين الله وشرايعه بامرنا اياهم
بذلك او بتوفيقنا لذلك لما صبروا هي لما التي فيها معنى الجزاء نحو احسنت اليك
لما جئتني والضمير للائمة تقديره لما صبروا جعلناهم ائمة او هي ظرف بمعنى الحين
اي جعلناهم ائمة حين صبروا والمراد صبرهم على مشاق الطاعات ومقاساة
الشدائد في نصرة الدين او صبرهم عن الدنيا وقرئ لما صبروا اي لصبرهم وكانوا
بآياتنا التي في تضاعيف الكتاب يوقنون لامعانهم فيها النظر والمعنى
كذلك لنجعلن الكتاب الذي آتيناه هدى لامتك ولنجعلن منهم ائمة يهدون
مثل تلك الهداية ان ربك هو يفصل اي يقضي بينهم قيل بين الانبياء
واممهم وقيل بين المؤمنين والمشركين يوم القيمة فيميز بين المحق والمبطل فيما كانوا
فيه يختلفون من امور الدين اولم يهد لهم الهمزة للانكار والواو للعطف
على منوي يقتضيه المقام وفعل الهداية اما من قبيل فلان يعطي في ان المراد
ايقاع نفس المراد الفعل بلا ملاحظة المفعول واما بمعنى التبيين والمفعول
محذوف والفاعل ما دل عليه قوله تعالى كم اهلكنا اي اغفلوا ولم يفعل الهداية لهم او
ولم يبين لهم ملال امرهم كثرة اهلاكنا من قبلهم من القرون مثل عاد وثمود وقوم
لوط وقرئ نهد لهم بنون العظمة وقد جوز ان يكون الفاعل على القراءة الاولى ايضا
ضميره تعالى فيكون قوله تعالى كم اهلكنا الخ استئنافا مبينا لكيفية هدايته تعالى يمشون
في مساكنهم اي يمرون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم ويشاهدون آثار هلاكهم
والجملة حال من ضمير لهم وقرئ يمشون للتكثير ان في ذلك اي فيما ذكر من كثرة اهلاكنا
للامم الخالية العاتية او في مساكنهم لآيات عظيمة في انفسها كثيرة في عددها
افلا يسمعون هذه الآيات سماع تدبر واتعاظ اولم يروا انا نسوق الماء
الى الارض الجرز اي التي جرز نباتها اي قطع وازيل بالمرة وقيل هو اسم
موضع باليمن فنخرج به من تلك الارض زرعا تأكل منه اي من ذلك الزرع
انعامهم كالتبن والقصيل والورق وبعض الحبوب المخصوصة بها وقرئ يأكل
بالياء وانفسهم كالحبوب التي يقتاتها الانسان والثمار افلا يبصرون
اي الا ينظرون فلا يبصرون ذلك ليستدلوا به على كمال قدرته تعالى وفضله
ويقولون كان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين او يفصل
بيننا وبينهم وكان اهل مكة اذا سمعوه يقولون بطريق الاستعجال تكذيبا
واستهزاء متى هذا الفتح اي النصر او الفصل بالحكومة ان كنتم صادقين

استهزاء

في ان الله تع ينصركم او يفصل بيننا وبينكم قل تبكيتا لهم وتحقيقا للحق يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم
ولا هم ينظرون يوم الفتح يوم القيمة وهو يوم الفصل بين المؤمنين واعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل
هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن يوم فتح مكة والعدول عن تطبيق الجواب على ظاهر سؤالهم للتنبيه على انه ليس
مما ينبغي ان يسال عنه لكونه امرا بينا غنيا عن الاخبار به وكذا ايمانهم واستنظارهم يومئذ وانما المحتاج الى
الاخبار البيان عدم نفع ذلك الايمان وعدم الانظار كانه قيل لا تستعجلوا فكاني بكم قد آمنتم فلم ينفعكم واستنظرتم
فلم تنظروا وهذا على الوجه الاول ظاهر واما على الاخيرين فالموصول عبارة عن المقتولين يومئذ لا عن كافة
الكفرة كما في الوجه الاول كيف لا وقد نفع الايمان الطلقاء يوم الفتح وناسا آمنوا يوم بدر فاعرض عنهم
ولا تبال بتكذيبهم وانتظر النصرة عليهم وهلاكهم انهم منتظرون قيل اي الغلبة عليكم كقوله تع فتربصوا انا
معكم متربصون والاظهر ان يقال انهم منتظرون هلاكهم كما في قوله تع هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام
الاية ويقرب منه ما قيل وانتظر عذابنا انهم منتظروه فان استعجالهم المذكور وعكوفهم على ما هم عليه من الكفر والمعاصي
في حكم انتظارهم العذاب المترتب عليه لا محالة وقرئ على صيغة المفعول على معنى انهم احقاء بان ينتظر هلاكهم
او فان الملئكة ينتظرونه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك اعطي من الاجر كانما
احيى ليلة القدر وعنه عليه السلم من قرا الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة ايام

سورة الاحزاب

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي اتق الله في ندائه عليه السلم بعنوان النبوة تنويه بشانه وتنبيه على سمو مكانه والمراد بالتقوى المامور
به الثبات عليه والازدياد منه فان له بابا واسعا وعرضا عريضا لا ينال مداه ولا تطع الكافرين
اي المجاهرين بالكفر والمنافقين المضمرين له اي فيما يعود بوهن في الدين واعطاء دنية
فيما بين المسلمين روي ان ابا سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور
السلمي قدموا عليه عليه السلم في الموادعة التي كانت بينه عليه السلم وبينهم وقام معهم عبد الله بن
ابي ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارفض ذكر الهتنا
وقل انها تشفع وتنفع ومذعك وربك فشق ذلك على النبي عليه السلم وهموا بقتلهم فنزلت
اي اتق الله في نقض العهد ونبذ الموادعة ولا تساعد الكافرين من اهل مكة والمنافقين
من اهل المدينة فيما طلبوا اليك ان الله كان عليما حكيما مبالغا في العلم والحكمة فيعلم
جميع الاشياء من المصالح والمفاسد فلا يامرك الا بما فيه مصلحة ولا ينهاك الا عما فيه
مفسدة ولا يحكم الا بما يقتضيه الحكمة البالغة فالجملة تعليل للامر والنهي مؤكد لوجوب
الامتثال بهما واتبع اي في كل ما تاتي وتذر من امور الدين ما يوحى اليك من ربك من الايات
التي من جملتها هذه الاية الامرة بتقوى الله الناهية عن مساعدة الكفرة والمنافقين
والتعرض لعنوان الربوبية لتاكيد وجوب الامتثال بالامر ان الله كان بما تعملون خبيرا
قيل الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والجمع للتعظيم وقيل له وللمؤمنين وقيل للغائبين
بطريق الالتفات ولا يخفى بعده نعم يجوز ان يكون للكل على ضرب من التغليب وايا ما كان فالجملة

فالجملة تعليل للامر والنهي مؤكد لوجوب الامتثال بهما وتاكيد لموجبه اما على الوجهين الاولين فبطريق الترغيب
والترهيب كانه قيل ان الله خبير بما تعملونه من الامتثال وتركه فيرتب على كل منهما جزاءه ثوابا وعقابا واما على الوجه
الاخير فبطريق الترغيب فقط كانه قيل ان الله خبير بما يعمله كلا الفريقين فيرشدك الى ما فيه صلاح حالك وانتظام
امرك ويطلعك على ما يعملونه من المكايد والمفاسد ويامرك بما ينبغي لك ان تعمله في دفعها وردها فلا بد من
اتباع الوحي والعمل بمقتضاه حتما وتوكل على الله اي فوض جميع امورك اليه وكفى بالله وكيلا حافظا موكولا
اليه كل الامور ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه شروع في القاء الوحي الذي امر عليه السلم باتباعه وهذا مثل
ضربه الله تع تمهيدا لما يعقبه من قوله تع وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم
ابناءكم وتنبيها على ان كون المظاهر منها اما وكون الدعي ابنا اي بمنزلة الام والابن في الاثار والاحكام المعهودة
فيما بينهم في الاستحالة بمنزلة اجتماع قلبين في جوف واحد وقيل هو رد لما كانت العرب تزعم من ان اللبيب
الاريب له قلبان ولذلك قيل لابي معمر او لجميل بن اسد الفهري ذو القلبين اي ما جمع الله قلبين في رجل
وذكر الجوف لزيادة التقرير كما في قوله تع ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ولا زوجية وامومة في امراة ولا دعوة
ونبوة في شخص لكن لا بمعنى نفي الجمع بين احكام الزوجية واحكام الامومة ونفي الجمع بين حقيقة الدعوة
والنبوة كما في القلب ولا بمعنى نفي الجمع بين احكام الزوجية واحكام الامومة ونفي الجمع بين احكام الدعوة
واحكام النبوة لابطال ما كانوا عليه من اجراء احكام الامومة على المظاهر منها واجراء احكام النبوة على
الدعي ومعنى الظهار ان يقول لزوجته انت علي كظهر امي ماخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك
وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان طلاقا في الجاهلية وهو في الاسلام يقتضي الطلاق او الحرمة الى اداء
الكفارة كما عدي الى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهار للكناية عن البطن الذي هو عموده فان ذكره قريب
من ذكر الفرج او للتغليظ في التحريم فانهم كانوا يحرمون اتيان الزوجة وظهرها الى السماء وقرئ اللاي وقرئ
اللاء وقرئ تظاهرون بحذف احدى التائين من تتظاهرون وتظاهرون بادغام التاء الثانية في الظاء
وتظهرون من اظهر بمعنى تظهر وتظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من ظهر ظهورا
وادعياء جمع دعي وهو الذي يدعى ولدا على الشذوذ لاختصاص افعلاء بفعيل بمعنى فاعل كتقي واتقياء
كانه شبه به في اللفظ فجمع جمعه كقتلاء واسراء ذلكم اشارة الى ما يفهم مما ذكر من الظهار والدعاء او الى الاخير
الذي هو المقصود من مساق الكلام اي دعاكم بقولكم هذا ابني قولكم بافواهكم فقط من غير ان يكون له
مصداق وحقيقة في الاعيان فاذن هو بمعزل من استتباع احكام النبوة كما زعمتم والله يقول الحق
المطابق للواقع وهو يهدي السبيل اي سبيل الحق لا غير فدعوا اقوالكم وخذوا بقوله عز وجل ادعوهم لابائهم
اي انسبوهم اليهم وخصوهم بهم وقوله تع هو اقسط عند الله تعليل له والضمير لمصدر ادعوا كما في قوله تع
اعدلوا هو اقرب للتقوى واقسط افعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل
اي الدعاء لابائهم بالغ في العدل والصدق في حكم الله تع وقضائه فان لم تعلموا اباءهم فتنسبوهم اليهم
فاخوانكم فهم اخوانكم في الدين ومواليكم واولياؤكم فيه اي فادعوهم بالاخوة الدينية والمولوية وليس عليكم
جناح اي اثم فيما اخطاتم به اي فيما فعلتموه من ذلك مخطئين بالسهو او النسيان او سبق اللسان
ولكن ما تعمدت قلوبكم اي ولكن الجناح فيما تعمدت قلوبكم بعد النهي او ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح وكان الله

غفورا رحيما لعفوه عن المخطئ وحكم التبني بقوله هو ابني اذا كان عبدا للقائل العتق
على كل حال ولا يثبت نسبه منه الا اذا كان مجهول النسب وكان بحيث يولد مثله لمثل
المتبني ولم يقر قبله بنسبه من غيره النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم اي في كل امر
من امور الدين والدنيا كما يشهد به الاطلاق فيجب عليهم ان يكون عليه السلام احب اليهم من
انفسهم وحكمه انفذ عليهم من حكمها وحقه اثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه اقدم من شفقتهم
عليها روي انه عليه السلام اراد غزوة تبوك فامر الناس بالخروج فقال ناس نستاذن اباءنا
وامهاتنا فنزلت وقرئ وهو اب لهم اي في الدين فان كل نبي اب لامته من حيث انه اصل
فيما به الحياة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة وازواجه امهاتهم اي منزلات منازلهن
في التحريم واستحقاق التعظيم واما فيما عدى ذلك فهن كالاجنبيات ولذلك قالت عائشة رض لسنا
امهات النساء واولوا الارحام اي ذووا القرابات بعضهم اولى ببعض في التوارث وهو نسخ
لما كان في صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة في الدين في كتاب الله في اللوح او فيما
انزله وهو هذه الاية او اية المواريث او فيما فرض الله تعالى من المؤمنين والمهاجرين بيان لاولي
الارحام او صلة لاولي اي اولوا الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين
ومن المهاجرين بحق الهجرة الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا استثناء من اعم ما يقدر
الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف الوصية او منقطع كان ذلك في الكتاب
مسطورا اي كان ما ذكر من الايتين ثابتا في اللوح او القران وقيل في التوراة واذ اخذنا
من النبيين ميثاقهم اي اذكر وقت اخذنا من النبيين كافة عهودهم بتبليغ
الرسالة والدعاء الى الدين الحق ومنك ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى
ابن مريم تخصيصهم بالذكر مع اندراجهم في النبيين اندراجا بينا للايذان بمزيد
مزيتهم وفضلهم وكونهم من مشاهير ارباب الشرائع واساطين اولي العزم من الرسل
وتقديم نبينا عليهم الصلوة والسلام لابانة خطره الجليل واخذنا منهم ميثاقا غليظا
اي عهدا عظيم الشان او مؤكدا باليمين وهذا هو الميثاق الاول بعينه واخذه هو اخذه
والعطف مبني على تنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي تفخيما لشانه كما في قوله تعالى
ونجيناهم من عذاب غليظ اثر قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة
منا وقوله تعالى ليسئل الصادقين عن صدقهم متعلق بمضمر مستانف مسوق لبيان
ما هو داع الى ما ذكر من اخذ الميثاق وغاية له لا باخذنا فان المقصود تذكير نفس الميثاق
ثم بيان الغرض منه بيانا قصديا كما ينبئ عنه تغيير الاسلوب بالالتفات الى الغيبة اي
فعل الله ذلك ليسئل يوم القيمة الانبياء ووضع الصادقين موضع ضميرهم للايذان
من اول الامر بانهم صادقون فيما سئلوا عنه وانما السؤال لحكمة تقتضيه اي ليسال
الانبياء الذين صدقوا عهودهم عما قالوه لقومهم او عن تصديقهم اياهم تبكيتا لهم كما في
قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم او المصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق

مصدق الصادق صادق وتصديقه صدق واما ما قيل من ان المعنى ليسئل المؤمنين
الذين صدقوا عهدهم حين اشهدهم على انفسهم عن صدقهم عهدهم فيأباه مقام تذكير
ميثاق النبيين وقوله تعالى واعد للكافرين عذابا اليما عطف على ما ذكر من المضمر لا على اخذنا
كما قيل والتوجيه بان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم لاثابة المؤمنين او بان المعنى ان
الله تعالى اكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل اثابة المؤمنين تعسف ظاهر مع انه مفض
الى كون بيان اعداد العذاب الاليم للكافرين غير مقصود بالذات نعم يجوز عطفه على
ما دل عليه قوله تعالى ليسئل الصادقين كانه قيل فاثاب المؤمنين واعد للكافرين الاية
يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم ان جعل النعمة مصدرا فالجار متعلق
بها والا فهو متعلق بمحذوف هو حال منها اي كائنة عليكم اذ جاءتكم جنود ظرف لنفس
النعمة او لثبوتها لهم وقيل منصوب باذكروا على انه بدل اشتمال من نعمة الله والمراد
بالجنود الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثني عشر
الفا فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باقبالهم ضرب الخندق على المدينة باشارة سلمان
الفارسي ثم خرج في ثلاثة الاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم
وامر بالذراري والنساء فرفعوا في الاطام واشتد الخوف وظن المؤمنون كل ظن
ونجم النفاق في المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر
لا نقدر ان نذهب الى الغائط ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا ان
فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود وعكرمة بن ابي جهل وهبيرة بن ابي وهب
ونوفل بن عبد الله وضرار بن الخطاب ومرداس اخو بني محارب قد ركبوا خيولهم
وتيمموا من الخندق مكانا مضيقا فضربوا خيولهم فاقتحموا فجالت بهم في السبخة بين
الخندق وسلع فخرج علي بن ابي طالب رض في نفر من المسلمين حتى اخذ عليهم الثغرة التي
اقتحموا منها فاقبلت الفرسان نحوهم وكان عمرو معلما ليرى مكانه فقال له علي رض يا عمرو
اني ادعوك الى الله ورسوله والاسلام قال لا حاجة لي اليه قال فاني ادعوك الى النزال
قال يا ابن اخي والله لا احب ان اقتلك قال علي لكني والله احب ان اقتلك فحمي عمرو عند
ذلك وكان غيورا مشهورا بالشجاعة واقتحم عن فرسه فعقره او ضرب وجهه ثم اقبل
على علي فتناولا وتجاولا فضربه علي رض ضربة فيها نفسه فلما قتله انهزمت خيله حتى
اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلان منبه بن عثمان بن عبد الدار ونوفل بن
عبد الله بن المغيرة المخزومي قتله ايضا علي رض وقيل لم يكن بينهم الا التراهي بالنبل و
الحجارة حتى انزل الله تعالى النصر وذلك قوله تعالى فارسلنا عليهم ريحا عطف على جاءتكم
مسوق لبيان النعمة اجمالا وسياتي بقيتها في اخر القصة وجنودا لم تروها وهم
الملئكة عليهم السلام وكانوا الفا بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فاحصرتهم
وسفت التراب في وجوههم وامر الملئكة فقلعت الاوتاد وقطعت الاطناب

واطفأت النيران واكفأت القدور وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في
قلوبهم الرعب وكبرت الملئكة في جوانب العسكر هم فقال طليحة بن خويلد الاسدي
اما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجا النجا فانهزموا من غير قتال وكان الله بما تعملون
من حفر الخندق وترتيب مبادي الحراب وقيل من التجائكم اليه ورجائكم من فضله
وقرئ بالياء اي بما يعمله الكفار اي من التحرز والمحاربة او من الكفر والمعاصي
بصيرا ولذلك فعل ما فعل من نصركم عليه والجملة اعتراض مقرر لما قبله اذ جاؤكم
بدل من اذ جاءتكم من فوقكم من اعلى الوادي من جهة المشرق وهم بنو غطفان
ومن تابعهم من اهل نجد قايدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل في هوازن
وضامتهم اليهود والنصارى من قريظة والنضير ومن اسفل منكم اي من اسفل
الوادي من قبل المغرب وهم قريش ومن شايعهم من الاحابيش وبني كنانة واهل
تهامة وقايدهم ابو سفيان وكانوا عشرة الاف واذ زاغت الابصار عطف
على ما قبله داخل معه في حكم التذكير اي حين مالت عن سننها وانحرفت عن مستوى
نظرها حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شيء فلم تلتفت الا الى عدوها لشدة
الروع وبلغت القلوب الحناجر لان الرئة تنتفخ من شدة الفزع فيرتفع
القلب بارتفاعها الى راس الحنجرة وهو منتهى الحلقوم وقيل هو مثل في اضطراب
القلوب ووجيبها وان لم تبلغ الحناجر حقيقة والخطاب في قوله تعالى وتظنون
بالله الظنونا لمن يظهر الايمان على الاطلاق اي تظنون بالله تعالى انواع الظنون
المختلفة حيث ظن المخلون الثبت القلوب ان الله تع ينجز وعده في اعلا
دينه كما يعرب عنه ما سيحكى عنهم من قولهم هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق
ورسوله الاية او يمتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب
والمنافقون ما يحكى عنهم مما لا خير فيه والجملة معطوفة على زاغت وصيغة
المضارع لاستحضار الصورة والدلالة على الاستمرار وقرئ الظنون بغير الف
وهو القياس وزيادتها لمراعاة الفواصل كما تزاد في القوافي هنالك ظرف
زمان او ظرف مكان لما بعده اي في ذلك الزمان الهائل او المكان الدحض ابتلي
المؤمنون اي عوملوا معاملة من يختبر فظهر المخلص من المنافق والراسخ
من المتزلزل وزلزلوا زلزالا شديدا من الهول والفزع وقرئ بفتح
الزاء واذ يقول المنافقون عطف على اذ زاغت وصيغة المضارع لما مر
من الدلالة على استمرار القول واستحضار صورته والذين في قلوبهم مرض
اي ضعف اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله من اعلاء الدين والظفر الا غرورا
اي وعد غرور وقيل قولا باطلا القائل معتب بن قشير واحزابه راضون به
قال بعدنا محمد بفتح كنوز كسرى وقيصر واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا

هذا الا وعد غرور واذ قالت طائفة منهم هم اوس بن قيظي واتباعه وقيل عبد الله بن ابي واشياعه
يا اهل يثرب هو اسم المدينة المطهرة وقيل اسم بقعة وقعت المدينة في ناحية منها وقد نهى النبي صلى الله
عليه وسلم ان تسمى بها كراهة لها وقال هي طيبة او طابة كانهم ذكروها بذلك الاسم مخالفة له صلى الله عليه وسلم
ونداؤهم اياهم بعنوان اهليتهم لها ترشيح لما بعده من الامر بالرجوع اليها لا مقام لكم لا موضع اقامة
لكم او لا اقامة لكم ههنا يريدون المعسكر وقرئ بفتح الميم اي لا قيام او لا موضع قيام لكم فارجعوا اي الى منازلكم
بالمدينة مرادهم الامر بالفرار لكنهم عبروا عنه بالرجوع ترويجا لمقالهم وايذانا بانه ليس من قبيل الفرار المذموم وقيل
المعنى لا قيام لكم في دين محمد عليه السلم فارجعوا الى ما كنتم عليه من الشرك او فارجعوا عما بايعتموه عليه واسلموه الى اعدائه
او لا مقام لكم في يثرب فارجعوا كفارا ليتسنى لكم المقام بها والاول هو الانسب لما بعده فان قوله تعالى ويستاذن
فريق منهم النبي معطوف على قالت وصيغة المضارع لما مر من استحضار الصورة وهم بنو حارثة وبنو سلمة
استاذنوه عليه السلم في الرجوع ممتثلين بامرهم وقوله تعالى يقولون بدل من يستاذن او حال من فاعله او استيناف
مبني على السؤال عن كيفية الاستيذان ان بيوتنا عورة اي غير حصينة معرضة للعدو والسراق فاذن
لنا حتى نحصنها ثم نرجع الى العسكر والعورة في الاصل الخلل اطلقت على المختل مبالغة وقد جوز ان يكون
تخفيف عورة من عورت الدار اي اختلت وقد قرئ بها والاول هو الانسب بمقام الاعتذار كما
يفصح عنه تصدير مقالهم بحرف التحقيق وما هي بعورة والحال انها ليست كذلك ان يريدون ما يريدون
بالاستيذان الا فرارا من القتال ولو دخلت عليهم اسند الدخول الى بيوتهم واوقع عليهم لما ان المراد
فرض دخولها وهم فيها لا فرض دخولها مطلقا كما هو المفهوم لو لم يذكر الجار والمجرور ولا فرض الدخول عليهم
مطلقا كما هو المفهوم لو اسند الى الجار والمجرور من اقطارها اي من جميع جوانبها لا من بعضها دون بعض
فالمعنى لو كانت بيوتهم مختلة بالكلية ودخلها كل من اراد من اهل الدعارة والفساد ثم سئلوا من جهة
طايفة اخرى عند تلك النازلة والرجفة الهايلة الفتنة اي الردة والرجعة الى الكفر مكان ما سئلوا الان
من الايمان والطاعة لاتوها لاعطوها غير مبالين بما دهاهم من الداهية الدهياء والغارة الشعواء وقرئ
لاتوها بالقصر اي لفعلوها وجاؤها وما تلبثوا بها بالفتنة اي ما لبثوها وما اخروها الا يسيرا ريثما يسمع السؤال
والجواب من الزمان فضلا عن التعلل باختلاف البيوت مع سلامتها كما فعلوا الان وقيل ما لبثوا بالمدينة
بعد الارتداد الا يسيرا والاول هو اللايق بالمقام هذا واما تخصيص فرض الدخول بتلك العساكر المتحزبة
فمع منافاته للعموم المستفاد من تجريد الدخول عن الفاعل ففيه ضرب من فساد الوضع لما عرفت من
ان مساق النظم الكريم لبيان انهم اذا دعوا الى الحق تعللوا بشيء يسير وان دعوا الى الباطل سارعوا اليه اثر
ذي اثير من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم ففرض الدخول عليهم من جهة العساكر المذكورة واسناد سؤال
الفتنة والدعوة الى الكفر الى طائفة اخرى مع ان العساكر هم المعروفون بعداوة الدين المباشرون
لقتال المؤمنين المصرون على الاعراض عن الحق المجدون في الدعاء الى الكفر والضلال بمعزل من التقريب
ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار فان بني حارثة عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم احد حين فشلوا الا يعودوا لمثله وقيل هم قوم غابوا عن وقعة بدر وراوا ما اعطى الله اهل بدر من الكرامة
والفضيلة فقالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن وكان عهد الله مسئولا مطلوبا مقتضى حتى يوفى به وقيل

مسئولا عن الوفاء به ومجازى عليه قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل فانه لابد لكل
شخص من حتف انف او قتل سيف في وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم واذا لا تمتعون
الا قليلا اي وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتاخير لم يكن ذلك التمتيع الا تمتيعا قليلا او زمانا قليلا قل من
ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة اي او يصيبكم بسوء ان اراد بكم
رحمة فاختصر الكلام او حمل الثاني على الاول لما في العصمة من معنى المنع ولا يجدون لهم من دون الله وليا
ينفعهم ولا نصيرا يدفع عنهم الضرر قد يعلم الله المعوقين منكم اي المثبطين للناس عن رسول الله
صلعم وهم المنافقون والقائلين لاخوانهم من منافقي المدينة هلم الينا وهو صوت سمي به فعل متعد
نحو احضر او قرب ويستوي فيه الواحد والجماعة على لغة اهل الحجاز واما بنو تميم فيقولون هلم يا رجل
وهلموا يا رجال اي قربوا انفسكم الينا وهذا يدل على انهم عند هذا القول خارجون من المعسكر
متوجهون نحو المدينة ولا ياتون البأس اي الحرب والقتال الا قليلا اي اتيانا او زمانا او بأسا قليلا
فانهم يعتذرون ويثبطون ما امكن لهم ويخرجون مع المؤمنين يوهمونهم انهم معهم ولا تراهم
يبارزون ويقاتلون الاشياء قليلا اذا اضطروا اليه كقوله تعالى ما قالوا الا قليلا وقيل انه من تتمة
كلامهم معناه ولا ياتي اصحابه محمد حرب الاحزاب ولا يقاومونهم الا قليلا اشحة عليكم اي بخلاء عليكم
بالمعاونة او النفقة في سبيل الله او الظفر والغنيمة جمع شحيح ونصبه على الحالية من فاعل ياتون
او من المعوقين او على الذم فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم في احداقهم
كالذي يغشى عليه من الموت صفة لمصدر ينظرون او حال من فاعله او لمصدر تدور او حال من
اعينهم اي ينظرون نظرا كائنا كنظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخورا ولو اذا بك
او ينظرون كائنين كالذي الخ او تدور اعينهم دورانا كائنا كدوران عينه او تدور اعينهم كائنة
كعينه فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم سلقوكم ضربوكم فالسنة حداد وقالوا وفروا قسمتنا
فانا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليه واتسلق البسط بقهر باليد او
باللسان وقرئ صلقوكم اشحة على الخير نصب على الحالية او الذم ويؤيده القراءة بالرفع اولئك
الموصوفون بما ذكر من صفات السوء لم يؤمنوا بالاخلاص فاحبط الله اعمالهم اي اظهر بطلانها
اذ لم يثبت لهم اعمال فتبطل او ابطل تصنعهم ونفاقهم فلم يبق مستتبعا لمنفعة دنيوية اصلا وكان
ذلك الاحباط على الله يسيرا هينا وتخصيص يسره بالذكر مع ان كل شيء عليه تعالى يسير لبيان ان اعمالهم
حقيقة بان يظهر حبوطها لكمال تعاضد الدواعي وعدم الصوارف بالكلية يحسبون الاحزاب
لم يذهبوا اي هؤلاء لجبنهم يظنون ان الاحزاب لم ينهزموا ففروا الى داخل المدينة وان يات
الاحزاب كرة ثانية يودوا لو انهم بادون في الاعراب تمنوا انهم خارجون الى البدو حاصلون
بين الاعراب وقرئ بدي جمع باد كغاز وغزى يسئلون كل قادم من جانب المدينة وقرئ
يسالون اي يتسالون ومعناه يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك او يتسالون الاعراب
كما يقال رايت الهلال وتراءيناه فان صيغة التفاعل قد تجرد عن معنى كون ما اسندت اليه فاعلا من
وجه ومفعولا من وجه ويكتفى بتعدد الفاعل كما في المثال المذكور ونظائره عن انبائكم عما جرى عليكم ولو كانوا

كانوا فيكم هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال ما قاتلوا الا قليلا رياء وخوفا من التعيير لقد
كان لكم في رسول الله اسوة حسنة خصلة حسنة حقها ان يؤتسى بها كالثبات في الحرب ومقاساة
الشدائد او هو في نفسه قدوة يحق التاسي به كقولك في البيضة عشرون منا حديدا اي هي في نفسها هذا القدر
من الحديد وقرئ بكسر الهمزة وهي لغة فيها لمن كان يرجو الله واليوم الآخر اي ثواب الله او لقاءه او
ايام الله واليوم الآخر خصوصا وقيل هو مثل كقولك ارجو زيدا وفضله فان اليوم الآخر من ايام الله تعالى
ولمن كان صلة لحسنة او صفة لها وقيل بدل من لكم والاكثرون على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه وذكر الله
اي وقرن الرجاء ذكر الله كثيرا اي ذكرا كثيرا فان المثابرة على ذكره تعالى تؤدي الى ملازمة الطاعة وبها يتحقق
الائتساء برسول الله عليه السلام ولما راى المؤمنون الاحزاب بيان لما صدر عن خلص المؤمنين عند اشتباه
الشؤون واختلاط الظنون بعد حكاية ما صدر عن غيرهم اي لما شاهدوهم حسبما وصفوا لهم قالوا هذا
مشيرين الى ما شاهدوه من حيث هو من غير ان يخطر ببالهم لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتانيثه فانهما من
احكام اللفظ كما مر في قوله تعالى فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربي وجعله اشارة الى الخطب او البلاء من نتائج
النظر الجليل فتدبر نعم يجوز التذكير باعتبار الخبر الذي هو ما وعدنا الله ورسوله فان ذلك العنوان
اول ما يخطر ببالهم عند المشاهدة ومرادهم بذلك ما وعدوه بقوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم
مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء الى قوله الا ان نصر الله قريب وقوله عليه السلام سيشتد
الامر باجتماع الاحزاب سائرون اليكم بعد تسع ليال او عشر وقرئ بكسر الراء وفتح الهمزة وصدق الله
ورسوله اي ظهر صدق خبر الله تعالى ورسوله او صدقا في النصرة والثواب كما صدقا في البلاء واظهار
الاسم للتعظيم وما زادهم اي ما راوه الا ايمانا بالله تعالى وبمواعيده وتسليما لاوامره ومقاديره
من المؤمنين اي المؤمنين بالاخلاص مطلقا لا الذين حكيت محاسنهم خاصة رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه من الثبات مع الرسول عليه السلام والمقاتلة لاعداء الدين وهم رجال من الصحابة رض نذروا انهم
اذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان ابن عفان وطلحة
ابن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر وغيرهم رضعم
ومعنى صدقوا اتوا بالصدق من صدقني اذا قال الصدق ومحل ما عاهدوا النصب اما بطرح الخافض
عنه وايصال الفعل اليه كما في قولهم صدقني سن بكره اي في سنه واما بجعل المعاهد عليه مصدوقا على
المجاز كانهم خاطبوه خطاب من قال لكوماته نحرتني الاعداء اي ان لم تنحري وقالوا له سنفي بك
وحيث وفوا به فقد صدقوه ولو كانوا نكثوه لكذبوه ولكان مكذوبا فمنهم من قضى نحبه تفصيل لحال
الصادقين وتقسيم لهم الى قسمين والنحب النذر وهو ان يلتزم الانسان شيئا من اعماله ويوجبه
على نفسه وقضاؤه الفراغ منه والوفاء به ومحل الجار والمجرور الرفع على الابتداء على احد الوجهين
المذكورين في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله الآية اي فبعضهم او فبعض منهم من خرج عن
العهدة كحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر عم انس بن مالك وغيرهم رضعم فانهم قد قضوا نذورهم
سواء كان النذر على حقيقته بان يكون ما نذروه افعالهم الاختيارية التي هي المقاتلة المعناة بما ليس
منها ولا يدخل تحت النذر وهو الموت شهيدا او كان مستعارا لالتزامه على ما سياتي ومنهم اي وبعضهم

او وبعض منهم مَنْ يَنْتَظِرُ اى قضاء نحبه لكونه موقتا كعثمان وطلحة وغيرهما ممن استشهد بعد ذلك
رضع فانهم مستمرون على نذورهم قد قضوا بعضها وهو الثبات مع رسول الله عليه السلم والقتال الى
حين نزول الآية الكريمة ومنتظرون لقضاء بعضها الباقى وهو القتال الى الموت شهيدا اذ او يجوز ان
يكون النحب مستعارا لالتزام الموت شهيدا اما بتنزيل التزام اسبابه التى هى افعال اختيارية للناذر
منزلة التزام نفسه واما بتنزيل نفسه منزلة اسبابه وايراد الالتزام عليه وهو الاليق بمقام
المدح واما ما كان مضى وصفهم بالانتظار المبنئ عن الرغبة فى المنتظر شهادة حقة بكمال اشتياقهم
الى الشهادة واما ما قيل من ان النحب استعير للموت لانه كنذر لازم فى رقبة كل حيوان فمما لا يستقيم
وذهاب برونقها واخراج للنظم الكريم عن مقتضى المقام بالكلية وَمَا بَدَّلُوا عطف على صدقوا وقوله
فاعليه اى وما بدلوا عهدهم وما غيروه تَبْدِيلًا اى تبديلا ما قالا صلا ولا وصفا بل ثبتوا عليه راعين
فيه مراعين لحقوقه على احسن ما يكون اما الذين قضوا فظاهر واما الباقون فيشهد به انتظارهم
اصدق شهادة وتعميم عدم التبديل للفريق الاول مع ظهور حالهم للايذان بمساواة الفريق الثانى
لهم فى الحكم ويجوز ان يكون ضمير بدلوا للمنتظرين خاصة بناء على ان المحتاج الى البيان حالهم وقد روى
ان طلحة رضى الله عنه ثبت مع رسول الله عليه السلم يوم احد حتى اصيبت يده فقال عليه السلم اوجب طلحة
الجنة وفى رواية اوجب طلحة وعنه عليه السلم فى رواية جابر من سره ان ينظر الى شهيد يمشى على الارض
فلينظر الى طلحة بن عبيد الله وفى رواية عائشة رضى الله عنها من سره ان ينظر الى شهيد يمشى على الارض
وقد قضى نحبه فلينظر الى طلحة وهذا يشير الى ان من الاولين حكما لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ
متعلق بمضمر مسوق بطريق التعليل لبيان ما هو داع الى وقوع ما حكى من الاحوال
والاقوال على التفصيل وغايته له كما مر فى قوله تعالى ليسئل الصادقين عن صدقهم كانه قيل ووقع جميع
ما وقع ليجزى الله الصادقين بما صدر عنهم من الصدق والوفاء قولا وفعلا وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ
بما صدر عنهم من الاعمال والاقوال المحكية اِنْ شَاءَ تعذيبهم اَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ان تابوا وقيل متعلق
بما قبله من نفى التبديل المنطوق واثباته المومئ به كان المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد
المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى وقيل تعليل لصدقوا وقيل لما يفهم من قوله تعالى وَمَا زَادَهُمْ اِلَّا
اِيمَانًا وَتَسْلِيمًا وقيل لما يستفاد من قوله تعالى ولما راى المؤمنون الاحزاب كانه قيل ابتلاهم الله تعالى برؤية
ذلك الخطب ليجزى الآية قتامل وبالله التوفيق اِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا اى لمن تاب وهو اعتراض فيه
بعث الى التوبة وقوله تعالى وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا رجوع الى حكاية بقية القصة وتتمة النعمة المشار اليها
اجمالا بقوله تعالى فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها معطوف اما على الضمير المقدر قبل قوله تعالى ليجزى الله
كانه قيل اثر حكاية الامور المذكورة وقع ما وقع من الحوادث ورد الله الخ واما على ارسلنا وقد مر تحقيقه
بينهما بيان كون ما مثل بهم واقعة طامة تحيرت بها العقول والافهام وداهية تامة تحاكت منها الركب
وزلت الاقدام وتفصيل ما صدر عن فريقى اهل الايمان واهل الكفر والنفاق من الاحوال والاقوال لاظهار
عظم النعمة وابانة خطرها الجليل ببيان وصولها اليهم عند غاية احتياجهم اليها اى فارسلنا عليهم ريحا وجنودا
لم تروها ورود ذلك الذى كفروا والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة وقوله تعالى

تفصيل مج

تعالى بِغَيْظِهِمْ حال من الموصول اى ملتبسين به وكذا قوله تعالى لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ابتداخل او تعاقب اى غير ظافرين
بخير او الثانية بيان للاولى او استيناف وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ بما ذكر من ارسال الريح والجنود وكان
اللَّهُ قَوِيًّا على احداث كل ما يريد عَزِيزًا غالبا على كل شئ وَاَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ اى عاونوا الاحزاب
المردودة مِنْ اَهْلِ الْكِتَابِ وهم بنو قريظة مِنْ صَيَاصِيهِمْ من حصونهم جمع صيصية وهى ما يتحصن به ولذلك
تقال لقرن الثور والظبى وشوكة الديك وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ الخوف الشديد بحيث استسلموا
انفسهم للقتل واهليهم واولادهم للاسر بما ينطق به قوله تعالى فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَاْسِرُونَ فَرِيقًا من غير ان
يكون من جهتهم حراك فضلا عن المخالفة والاستعصاء روى ان جبريل عم اتى رسول الله عليه السلم صبيحة الليلة
التى انهزم فيها الاحزاب ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا السلاح فقال اتضع لامتك الملئكة ما وضعوا
السلاح ان الله يامرك ان تسير الى بنى قريظة واناعامد اليهم فاذن فى الناس ان لا يصلوا العصر الا بنى قريظة
فحاصروهم احدى وعشرين او خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون على حكمى فابوا فقال على حكم
سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم ونسائهم فكبر النبى عليه السلم فقال لقد حكمت بحكم
الله من فوق سبعة ارقعة فقتل منهم سبعمائة مقاتل وقيل من ثمانمائة الى تسع مائة واسر سبعمائة وقرئ تَاْسِرُونَ
بضم السين كما قرئ الرُّعْبَ بضم العين ولعل تاخير المفعول فى الجملة الثانية مع ان مساق الكلام لتفصيله
وتقسيمه كما فى قوله تعالى فريقا كذبتم وفريقا تقتلون وقوله تعالى فريقا كذبوا وفريقا يقتلون لمراعاة الفواصل
وَاَوْرَثَكُمْ اَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ اى حصونهم واموالهم نقودهم واثاثهم ومواشيهم روى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قسم عقارهم للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار فى ذلك فقال عليه السلم انكم فى منازلكم
فقال عمر رضى الله عنه اما الخمس كما خمست يوم بدر قال عليه السلم لا انما جعلت هذه لى طعمة دون الناس قالوا رضينا
بما صنع الله ورسوله وَاَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا اى اورثكم فى علمه وتقديره ارضا لم تقبضوها بعد كفارس والروم
وقيل كل ارض تفتح الى يوم القيمة وقيل خيبر وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا فقد شاهدتم بعض مقدوراته من
ايراث الاراضى التى تسلمتموها فعسوا عليها ما عدا يا اَيُّهَا النَّبِىُّ قُلْ لِاَزْوَاجِكَ اِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا
اى السعة والتنعم فيها وَزِينَتَهَا وزخارفها فَتَعَالَيْنَ اى اقبلن باراداتكن واختياركن لاحدى الخصلتين
كما يقال اقبل يكلمنى وذهب يكلمنى وقام يهددنى اُمَتِّعْكُنَّ بالجزم جوابا للامر وكذا وَاُسَرِّحْكُنَّ اى
اعطكن المتعة واطلقكن سَرَاحًا جَمِيلًا طلاقا من غير ضرار وقرئ بالرفع على الاستيناف روى انهن
سالنه عليه السلم ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدا بعائشة فخيرها فاختارت الله ورسوله
والدار الآخرة ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر لهن الله ذلك فنزل لا يحل لك النساء من
بعد واختلف فى ان هذا التخيير هل كان تفويض الطلاق اليهن حتى يقع الطلاق بنفس الاختيار او لا فذهب
الحسن وقتادة واكثر اهل العلم الى انه لم يكن تفويض الطلاق وانما كان تخيير البين بين الاراديتين على
انهن ان اردن الدنيا فارقهن عليه السلم كما ينبئ عنه قوله تعالى فَتَعَالَيْنَ اُمَتِّعْكُنَّ وَاُسَرِّحْكُنَّ وَذَهَبَ آخرون
الى انه كان تفويضا للطلاق اليهن حتى لو انهن اخترن انفسهن كان ذلك طلاقا وكذا اختلف فى حكم
التخيير فقال عمر وابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهم اذا اختار رجل امراته فاختارت زوجها لا يقع شئ اصلا
ولو اختارت نفسها وقعت طلقة بائنة عندنا ورجعية عند الشافعى وهو قول عمر بن عبد العزيز

وابن ابي ليلى وسعيد وروى عن زيد بن ثابت انها ان اختارت زوجها يقع طلقة واحدة وان
اختارت نفسها يقع ثلث طلقات وهو قول الحسن وروايته عن مالك وروى عن علي رضا انها
اذا اختارت نفسها فواحدة بائنة وروى عنه ايضا انها ان اختارت زوجها لا يقع شئ اصلا وعليه
اجماع فقهاء الامصار وقد روى عن عائشة رضا خيرنا رسول الله عليه السلم فاخترناه ولم يعده طلاقا وتقدم
التمتيع على التسريح من باب الكرم وفيه قطع لمعاذير هن من اول الامر والمتعة في المطلقة التي لم يدخل
بها ولم يفرض لها صداق عند العقد واجبة عندنا وفيما عداهن مستحبة وهي درع وخمار وملحفة
بحسب السعة والاقتار الا ان يكون نصف مهر مثلها اقل من ذلك فحينئذ يجب لها الاقل منها ولا
ينقص من خمسة دراهم وان كنتن تردن الله ورسوله اي تردن رسوله وذكر الله عز وجل للايذان
بجلالة محله عليه السلم عنده تعالى والدار الاخرة اي نعيمها الذي لا قدر عنده للدنيا وما فيها جميعا فان الله
اعد للمحسنات منكن بمقابلة احسانهن اجرا عظيما لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته ومن للتبيين
لان كلهن محسنات وتجريد الشرطية الاولى عن الوعيد للمبالغة في تحقيق معنى التخيير والاحتراز عن
شائبة الاكراه وهو السر فيما ذكر من تقديم التمتيع على التسريح وفي وصف السراح بالجميل
يا نساء النبي تلوين للخطاب وتوجيه له اليهن لاظهار الاعتناء بنصحهن وندائهن بهما
وفيما بعده بالاضافة اليه عليه السلم لانها التي يدور عليها ما يرد عليهن من الاحكام من يات
منكن بفاحشة كبيرة مبينة ظاهرة القبح من بين بمعنى تبين وقرئ بفتح الياء والمراد بها
كل ما اقترن من الكبائر وقيل هي عصيانهن لرسول الله عليه السلم ونشوزهن وظلمهن منه ما
يشق عليه او ما يضيق به خلقه ويعتم لاجله وقرئ تات بالفوقانية يضاعف لها العذاب
ضعفين اي بعذابين ضعفي عذاب غيرها اي مثليه لان الذنب منهن اقبح فان زيادة
قبحه تابعة لزيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعف حد الرقيق وعوتب
الانبياء عليهم السلم بما لا يعاتب به الامم وقرئ يضعف على البناء للمفعول ويضاعف ويضعف
بنون العظمة على البناء للفاعل ونصب العذاب وكان ذلك على الله يسيرا لا يمنعه عن التضعيف
كونهن نساء النبي صلى الله عليه وسلم بل يدعوه اليه اعانة حقه ومن يقنت منكن وقرئ بالتاء اي
ومن يدم على الطاعة لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين مرة على الطاعة والتقوى
واخرى على طلبهن رضى رسول الله عليه السلم بالقناعة وحسن المعاشرة وقرئ يعمل بالياء حملا على لفظ
من ونؤتها على ان فيه ضمير اسم الله تعالى واعتدنا لها في الجنة زيادة على اجرها المضاعف رزقا كريما
مرضيا يا نساء النبي لستن كاحد من النساء اصل احد وحد بمعنى الواحد ثم وضع في النفي عاما
فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل والشرف
ان اتقيتن مخالفة حكم الله تعالى ورضى رسوله او ان اتصفتن بالتقوى كما هو اللائق بحالكن فلا
تخضعن بالقول عند مخاطبة الناس اي لا تجبن بقولكن خاضعا ليناعلى سنن قول المريبات والموسات
فيطمع الذي في قلبه مرض اي فجور وريبة وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهي على انه نهي لمريض القلب
عن الطمع عقيب نهيهن عن الاطماع بالقول الخاضع كانه قيل فلا تخضعن بالقول فلا يطمع مريض القلب

القلب وقلن قولا معروفا بعيدا من الريبة والاطماع بجد وخشونة من غير تخنيث او قولا حسنا مع
كونه خشنا وقرن في بيوتكن امر من قر يقر من باب علم واصله اقررن فحذفت الراء الاولى
والقيت فتحتها على ما قبلها كما في ظلن ظلتن او من قار يقار اذا اجتمع وقرئ بكسر القاف من وقر يقر
وقارا اذا اثبت واستقر واصله اوقرن فعل به ما فعل بعدن من وعد او من قر يقر حذفت
احدى رائيي اقررن ونقلت كسرتها الى القاف كما تقول ظلن ولا تبرجن اي لا تتبخترن في مشيكن
تبرج الجاهلية الاولى اي تبرجا مثل تبرج النساء في الجاهلية القديمة وهي ما بين آدم ونوح وقيل ما بين
ادريس ونوح عليهم السلم وقيل الزمان الذي ولد فيه ابراهيم عليه السلم كانت المرأة تلبس درعا من لؤلؤ
فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وقيل زمن داود وسليمان عليهما السلم والجاهلية الاخرى
ما بين عيسى ومحمد عليهما السلم وقيل الجاهلية الاولى جاهلية الكفر والجاهلية الاخرى الفسوق في الاسلام
ويؤيده قوله عليه السلم لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر او جاهلية اسلام قال بل جاهلية كفر
واقمن الصلوة وآتين الزكوة امرن بهما لانافتهما على غيرهما وكونهما اصلى الطاعات البدنية
والمالية واطعن الله ورسوله اي في كل ما تأتين وما تذرن ولا سيما فيما امرتن به ونهيتن عنه
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اي الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل لامرهن ونهيهن على
الاستيناف ولذلك عمم الحكم بتعميم الخطاب لغيرهن وصح بالمقصود حيث قيل بطريق النداء
او المدح اهل البيت مراد بهم من حوام بيت النبوة ويطهركم من اوضار الاوزار والمعاصي تطهيرا
بليغا واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير لمزيد التنفير عنها وهذه كما ترى اية بينة
وحجة نيرة على كون نساء النبي عليه السلم من اهل بيته قاضية ببطلان رأي الشيعة في تخصيصهم
اهلية البيت بفاطمة وعلي وابنيه رضي الله عنهم اما تمسكوا به من ان رسول الله صلعم خرج ذات غداة
وعليه مرط مرحل من شعر اسود وجلس فجاءت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله فيه ثم جاء
الحسن والحسين فادخلهما فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت فانما يدل على
كونهم من اهل البيت لا على ان من عداهم ليسوا كذلك ولو فرضت دلالته على ذلك لما اعتد بها
لكونها في مقابلة النص واذكرن ما يتلى في بيوتكن اي اذكرن للناس بطريق العظة والتذكير
ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة من الكتاب الجامع بين كونه آيات الله البينة في انفسها
على صدق النبوة بنظمه المعجز وكونه حكمة منطوية على فنون العلوم والشرايع وهو تذكير بما انعم
عليهن حيث جعلهن اهل بيت النبوة ومهبط الوحي وما شاهدن من برجاء الوحي مما يوجب
قوة الايمان والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء والائتمار فيما كلفنه والتعرض للتلاوة في البيوت
وكون النزول فيها مع انه الانسب لكونها مهبطا للوحي لعمومها لجميع الآيات ووقوعها في كل البيوت
وتكرارها الموجب لتمكنهن من الذكر والتذكير بخلاف النزول وعدم تعيين التالي لتعم تلاوة جبريل
وتلاوة عليها السلام وتلاوتهن وتلاوة غيرهن تعليما وتعلما ان الله كان لطيفا خبيرا يعلم ويدبر
ما يصلح في الدين ولذلك فعل ما فعل من الامر والنهي او يعلم من يصلح للنبوة ومن يتأهل ان
يكون من اهل بيته ان المسلمين والمسلمات اي الداخلين في التسلم المنقادين لحكم الله تع من الذكور

والاناث والمؤمنين والمؤمنات المصدقين بما يجب ان يصدق به من الفريقين والقانتين و
القانتات المداومين على الطاعات القائمين بها والصادقين والصادقات في القول والعمل و
الصابرين والصابرات على الطاعات وعن المعاصي والخاشعين والخاشعات المتواضعين لله بقلوبهم
وجوارحهم والمتصدقين والمتصدقات بما وجب في مالهم والصائمين والصائمات الصوم المفروض
والحافظين فروجهم والحافظات عن الحرام والذاكرين الله كثيرا والذاكرات بقلوبهم والسنتهم
اعد الله لهم بسبب ما عملوا من الحسنات المذكورة مغفرة لما اقترفوا من الصغاير لانهن مكفرات بما عملوا
من الاعمال الصالحة واجرا عظيما على ما صدر عنهم من الطاعات والآية وعد لهن ولامثالهن على الطاعة
والتدرع بهذه الخصال الحميدة روي ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن قلن يا رسول
الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير افما فينا خير نذكر به انا نخاف الا تقبل منا طاعة فنزلت وقيل
السايلة ام سلمة وروي انه لما نزل في نساء النبي عليه السلم ما نزل قال نساء المؤمنين فيما نزل فينا شيء فنزلت
وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضروري واما عطف الزوجين على الزوجين فلتغاير
الوصفين فلا يكون ضروريا ولذلك ترك في قوله تعالى مسلمات مؤمنات وفايدته الدلالة على ان مدار اعداد
ما اعد لهم جمعهم بين هذه النعوت الجميلة وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اي ما صح وما استقام لرجل ولا امرأة
من المؤمنين اذا قضى الله ورسوله امرا اي اذا قضى رسول الله وذكر الله تعالى لتعظيم امره للاشعار
بان قضاءه عليه السلم قضاء الله عز وجل لانه نزل في زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب
خطبها رسول الله عليه السلم لزيد بن حارثة فابت هي واخوها عبد الله وقيل في ام كلثوم بنت عقبة بن
ابي معيط وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فزوجها من زيد فسخطت هي واخوها وقالا انما اردنا
رسول الله فزوجنا عبده ان يكون لهم الخيرة من امرهم اي ان يختاروا من امرهم ما شاؤا بل يجب
عليهم ان يجعلوا رأيهم تبعا لرأيه عليه السلم واختيارهم تلوا لاختياره وجمع الضميرين لعموم مؤمن ومؤمنة
لوقوعهما في سياق النفي وقيل الضمير الثاني للرسول عليه السلم والجمع للتعظيم وقرئ تكون بالتاء ومن
يعص الله ورسوله في امر من الامور ويعمل فيه برأيه فقد ضل طريق الحق ضلالا مبينا اي بين الانحراف
عن سنن الصواب واذ تقول اي واذكر وقت قولك للذي انعم الله عليه بتوفيقه للاسلام
وتوفيقك لحسن تربيته ومراعاته وانعمت عليه بالعمل بما وفقك الله له من فنون الاحسان التي من
جملتها تحريره وهو زيد ابن حارثة وايراده بالعنوان المذكور لبيان منافاة حاله لما صدر عنه عليه السلم
من اظهار خلاف ما في ضميره اذ هو انما يقع عند الاستحياء او الاحتشام وكلاهما مما لا يتصور في حق زيد
امسك عليك زوجك اي زينب وذلك انه عليه السلم ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت في نفسه حالة
جبلية لا يكاد يسلم عنها البشر فقال سبحان مقلب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها
لزيد ففطن لذلك فوقع في نفسه كراهة صحبتها فاتى النبي عليه السلم وقال اريد ان افارق صاحبتي
فقال ما لك ارابك منها شيء قال لا والله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم علي فقال
امسك عليك زوجك واتق الله في امرها فلا تطلقها اضرارا وتعللا بتكبرها وتخفي في نفسك
ما الله مبديه وهو نكاحها ان طلقها وتخشى الناس تعييرهم اياك به والله احق ان تخشاه ان

ان كان فيه ما يخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء وحده بل على الاخفاء مخافة قالة
الناس واظهار ما ينافي اضماره فان الاولى في امثال ذلك ان يصمت او يفوض الامر الى رأيه فلما قضى
زيد منها وطرا بحيث لم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها وقيل قضاء الوطر كناية
عن الطلاق مثل لا حاجة لي فيك زوجناكها وقرئ زوجتكها والمراد الامر بتزويجها منه عليه السلم
وقيل جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده انها كانت تقول لسائر نساء النبي
عليه السلم ان الله تعالى تولى نكاحي وانتن زوجكن اولياؤكن وقيل كان زيد السفير في
خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد عدل بقوة ايمانه لكيلا يكون على المؤمنين حرج ضيق و
مشقة في ازواج ادعيائهم اي في حق تزوجهن اذا قضوا منهن وطرا فان لهم في رسول
الله اسوة حسنة وفيه دلالة على ان حكمه عليه السلم وحكم الامة سواء الا ما خصه الدليل
وكان امر الله اي ما يريد تكوينه من الامور او مأموره الحاصل بكن مفعولا مكتوما لا محالة
اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ما كان على النبي من حرج اي ما صح وما استقام في الحكمة
ان يكون له ضيق فيما فرض الله له اي قسم له وقدر من قولهم فرض له في الديوان كذا ومنه
فروض العساكر لاعطياتهم سنة الله اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا
مؤكد لما قبله من نفي الحرج اي سن الله ذلك سنة في الذين خلوا مضوا من قبل من الانبياء
عليهم السلم حيث وسع عليهم في باب النكاح وغيره ولقد كانت لداود عليه السلم مائة امرأة
وثلثمائة سرية ولسليمان عليه السلم ثلثمائة امرأة وسبعمائة سرية وقوله تعالى وكان امر الله
قدرا مقدورا اي قضاء مقضيا وحكما مبتوتا اعتراض وسط بين الموصولين الجاريين
مجرى الواحد للمسارعة الى تقرير نفي الحرج وتحقيقه الذين يبلغون رسالات الله صفة
للذين خلوا او مدح لهم بالنصب او بالرفع وقرئ رسالة الله ويخشونه في كل ما يأتون ويذرون
لا سيما في امر تبليغ الرسالة حيث لا يحرمون منها حرفا ولا تأخذهم في ذلك لومة لائم ولا يخشون
احدا الا الله في وصفهم بقصرهم الخشية على الله تعالى تعريض بما صدر عنه عليه السلم من الاحتراز
عن لائمة الخلق بعد التصريح في قوله تعالى وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وكفى بالله حسيبا
كافيا للمخاوف فينبغي ان لا يخشى غيره او محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب ان يكون حق
الخشية منه تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم اي على الحقيقة حتى يثبت بينه وبين ما يثبت
بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه عليه السلم ابا للطاهر
والقاسم وابرهيم لانهم لم يبلغوا الحلم ولو بلغوا لكانوا رجالا له عليه السلم لا لهم ولكن رسول
الله اي كان رسول الله وكل رسول ابو امته لكن لا حقيقة بل بمعنى انه شفيق ناصح لهم وسبب
لحيوتهم الابدية وما زيد الا واحد من رجالكم الذين لا ولاد بينهم وبينه عليه السلم فحكمه حكمهم وليس
للتبني والادعاء حكم سوى التقريب والاختصاص وخاتم النبيين اي كان آخرهم الذي
ختموا به وقرئ بكسر التاء اي كان خاتمهم ويؤيده قراءة ابن مسعود ولكن نبيا ختم
النبيين وايا ما كان فلو كان له ابن بالغ لكان نبيا ولم يكن هو عليه السلم خاتم النبيين كما يروى

انه قال في ابرهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده عليهما السلام لان معنى كونه خاتم
النبيين انه لا ينبأ احد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل انما ينزل عاملا على شريعة محمد عليه الصلوة
الى قبلته كانه بعض امته وكان الله بكل شئ عليما من جملة هذه الاحكام والحكم التي بينها لكم وكنتم منها
في شك مريب يا ايها الذين امنوا اذكروا الله بما هو اهله من التهليل والتحميد والتمجيد والتقديس ذكرا
كثيرا يعم الاوقات والاحوال وسبحوه ونزهوه عما لا يليق به بكرة واصيلا اي اول النهار واخره
على ان تخصيصهما بالذكر ليس لقصر التسبيح عليهما دون سائر الاوقات بل لافادته فضلهما على سائر الاوقات
لكونهما مشهودين فاوراد التسبيح به من بين الاذكار مع اندراجه فيها لكونه العمدة فيها وقيل كلا الفعلين
متوجه اليهما كقولك صم وصل يوم الجمعة وقيل المراد بالتسبيح الصلوة هو الذي يصلي عليكم الخ استئناف
جار مجرى التعليل لما قبله من الامرين فان صلوته تعالى عليهم مع عدم استحقاقهم لها وغناءه عن العالمين عما يوجب
عليهم المداومة على ما يستوجبه تعالى عليهم من ذكره تعالى وتسبيحه وقوله تعالى وملائكته عطف على المستكن في
يصلي لمكان الفصل المغني عن التاكيد بالمنفصل لكن لا على ان يراد بالصلوة الرحمة اولا والاستغفار ثانيا
فان استعمال اللفظ الواحد في معنيين متغايرين مما لا مساغ له بل على ان يراد بهما معنى مجازي عام يكون
كلى المعنيين فردا حقيقيا له وهو الاعتناء بما فيه خيرهم وصلاح امرهم فان كلا من الرحمة والاستغفار فرد
حقيقي له او الترحم والانعطاف المعنوي المأخوذ من الصلوة المشتملة على الانعطاف الصوري الذي
هو الركوع والسجود ولا ريب في ان استغفار الملئكة ودعاءهم للمؤمنين ترحم عليهم واما ان ذلك بسبب
الرحمة لكونهم مجابي الدعوة كما قيل فاعتباره ينزع الى الجمع بين المعنيين المتغايرين فتدبر ليخرجكم من الظلمات
الى النور متعلق بيصلي اي يعتني بامركم هو وملائكته ليخرجكم بذلك من ظلمات المعصية الى نور الطاعة
وقوله تعالى وكان بالمؤمنين رحيما اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اي كان بكافة المؤمنين الذين انتم من
زمرتهم رحيما ولذلك يفعل بكم ما يفعل من الاعتناء باصلاحكم بالذات وبالواسطة ويهديكم الى الايمان والطاعة او كان بكم رحيما على ان المؤمنين مظهر وضع موضع المضمر مدحا لهم واشعارا بعلة الرحمة وقوله تعالى
تحيتهم يوم يلقونه سلام بيان للاحكام الاجلة لرحمته تعالى بهم بعد بيان آثارها العاجلة التي هي الغاية
بامرهم وهدايتهم الى الطاعة اي ما يحيون به على انه مصدر اضيف الى مفعوله يوم لقائه عند الموت
او عند البعث من القبور او عند دخول الجنة تسليم عليهم من الله عز وجل تعظيما لهم او من الملئكة تشريفا
لهم بالجنة او تكرمة لهم كما في قوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم او اخبار بالسلامة عن كل
مكروه وآفة وقوله تعالى واعد لهم اجرا كريما بيان لآثار رحمته الفائضة عليهم بعد دخول الجنة عقيب
بيان آثار رحمته الواصلة اليهم قبل ذلك ولعل ايثار الجملة الفعلية على الاسمية المناسبة لما قبلها بان
يقال مثلا واجرهم اجر كريم او ولهم اجر كريم للمبالغة في الترغيب والتشويق الى الموعود وبيان ان الاجر
الذي هو المقصد الاقصى من بين سائر آثار الرحمة موجود بالفعل مهيا لهم مع ما فيه من مراعاة الفواصل
يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا على من بعثت اليهم تراقب احوالهم ونشاهد اعمالهم وتتحمل معهم
الشهادة عما صدر عنهم من التصديق والتكذيب في سائر ما هم عليه من الهدى والضلال وقوله تعالى
يوم القيمة اداء مقبولا فيما لهم وما عليهم وهو حال مقدرة ومبشرا وندير ا تبشر المؤمنين بالجنة وتنذر

وتنذر الكفار بالنار وداعيا الى الله اي الى الاقرار به وبوحدانيته وسائر
ما يجب الايمان به من صفاته وافعاله باذنه اي بتيسيره اطلق عليه مجازا لما انه
من اسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بانها امر صعب المنال وخطب في غاية الاعضال
لا تتاتى الا بامداد من جناب قدسه كيف لا وهو صرف للوجوه عن القبل المعهودة
وادخال للاعناق في قلادة غير معهودة وسراجا منيرا يستضاء به في ظلمات الجهل
والغواية ويهتدى بانواره الى مناهج الرشد والهداية وبشر المؤمنين عطف
على مقدر يقتضيه المقام وستدعيه النظام كانه قيل فراقب احوال الناس وبشر
المؤمنين منهم بان لهم من الله فضلا كبيرا اي على مؤمني سائر الامم في الرتبة والشرف
او زيادة على اجور اعمالهم بطريق التفضل والاحسان ولا تطع الكافرين والمنافقين
نهي عن مداراتهم في امر الدعوة واستعمال لين الجانب في التبليغ والمسامحة في الانذار
كنى عن ذلك بالنهي عن طاعتهم مبالغة في الزجر والتنفير عن المنهي عنه بنظمه في سلكها
وتصويره بصورتها ومن حمل النهي على التهييج والالهاب فقد ابعد عن التحقيق
مراحل وذرع اذاهم اي لا تبال باذيتهم لك بسبب نصبك في الدعوة والانذار
وتوكل على الله في كل ما تاتي وما تذر من الشؤون التي من جملتها هذا الشان فانه
يكفيكم وكفى بالله وكيلا موكولا اليه الامور في كل الاحوال واظهار الاسم الجليل في
موقع الاضمار لتعليل الحكم وتاكيد استقلال الاعتراض التذييلي ولما وصف عليه
السلام بنعوت جمة قوبل كل منها بخطاب مناسبة ظاهرا انه لم يذكر مقابل الشاهد
صريحا وهو الامر بالمراقبة ثقة بظهور دلالة مقابل المبشر عليه وهو الامر بالبشير حسبما
ذكر آنفا وقوبل النذير بالنهي عن مداراة الكفار والمنافقين والمسامحة في انذارهم
كما تحققته وقوبل الداعي الى الله تعالى باذنه بالامر بالتوكل عليه من حيث انه عبارة عن الاستمداد
منه تعالى والاستعانة به وقوبل السراج المنير بالاكتفاء بمتبوع فان من ايده الله تعالى بالقوة
القدسية ورشحه للتبتل وجعله سراجا منيرا يهدي الخلق من ظلمات الغي الى نور الرشاد
حقيق بان يكتفي به عن كل ما سواه يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن
من قبل ان تمسوهن اي تجامعوهن وقرئ تماسوهن بضم التاء بمعنى تخالطوهن
من عدة باي تيعتدونها انتم تعدونها تعدونها تستوفونها بان تعدوا عددها
من عددت الدراهم فاعتدها وحقيقته عددها لنفسه وكذلك كلته فاكتاله
والاسناد الى الرجال للدلالة على ان العدة حق الازواج كما اشعر به قوله تعالى مما لكم
وقرئ تعتدونها على ابدال احدى الدالين بالياء او على انه من الاعتداد بمعنى تعتدونها
منها والخلوة الصحيحة في حكم المس وتخصيص المؤمنات مع عموم الحكم للكتابيات
للتنبيه على ان المؤمن من شانه ان يتخير لنطفته ولا ينكح الا مؤمنة وفائدته ثم
اراحة ما عسى يتوهم ان تراخي الطلاق ربما يمكن الاصابة فيؤثر في العدة كما

مؤمنة

يؤثر في النسب فمتعوهن اى ان لم تكن مفروضا لها في العقد فان الواجب للمفوضة
لها نصف المفروض دون المتعة فانها مستحبة عندنا في رواية وفي اخرى
غير مستحبة وسرحوهن اى اخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة سراحا جميلا
من غير ضرار ولا منع حق ولا استماع لتفسيره بالطلاق السني لانه انما يتسنى في المدخول
بهن يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن اى
مهورهن فانها اجور الابضاع وايتاؤها اما اعطاؤها معجلة او تسميتها في العقد
وايا ما كان فتقتضي الاحلال له عليه السلم قبل توقف الحل عليه ضرورة انه يصح العقد
بلا تسمية ويجب مهر المثل او المتعة على تقدير الدخول وعدمه بل لاثيار الافضل
والاولى له عم تقييد احلال المملوكة بكونها مسبية في قوله تعالى وما ملكت يمينك
مما افاء الله عليك فان المسبية لا يتحقق بدء امرها وما جرى عليها وكتقييد القرائب
بكونهن مهاجرات معه في قوله تعالى وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك
وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك ويحتمل تقييد الحل بذلك بحسب علمه عليه السلم خاصة
ويعضده قول انتهائي بنت ابي طالب خطبني رسول الله عليه السلم فاعتذرت اليه
فعذرني ثم انزل الله تعالى الآية فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء وامرأة
مؤمنة بالنصب عطفا على مفعول احللنا اذ ليس لمعناه انشاء الاحلال الناجز على
اعلام مطلق الاحلال المنتظم لما سبق ولحق وقرئ بالرفع على انه مبتدأ خبره محذوف
اى احللنا لك ايضا ان وهبت نفسها للنبي اى ملكته بضعها باى عبارة كانت
بلا مهر ان انفق ذلك كما ينبئ عنه تنكيرها لكن لا مطلقا بل عند ارادته عليه السلم استنكاحها
كما نطق به قوله تع ان اراد النبي ان يستنكحها اى ان تملك بضعها كذلك اى بلا مهر
فان ذلك جار منه عليه السلم مجرى القبول وحيث لم يكن هذا اتصالا في كون تمليكها بلفظ الهبة
لم يصلح ان يكون مناطا للخلاف في انعقاد النكاح بلفظ الهبة ايجابا او سلبا واتفق
في اتفاق هذا العقد فعن ابن عباس رض لم يكن عنده عليه السلم احد منهن بالهبة
وقيل الموهوبات اربع ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الانصارية
وام شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وارادة عليه السلم في الموضعين بعنوان
النبوة بطريق الالتفات للتكرمة والايذان بانها المناط للثبوت الحكم فيختص به
عليه السلم حسب اختصاصها به كما ينطق به قوله تعالى خالصة لك اى خلص لك
احلالها خالصة اى خلوصا فان الفاعلة في المصادر غير عزيز كالعافية والكاذبة
او خلص احلال ما احللنا لك من المذكورات على التعدد المذكور خالصة ومعنى قوله
تعالى من دون المؤمنين على الاول ان الاحلال المذكور في المادة المعهودة غير
متحقق في حقهم بل المتحقق فيه احلال البعض المعدود على الوجه المعهود وقرئ خالصة
بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى ذاك خلوص لك وخصوص او هي اى تلك المرأة

المرأة او الهبة خالصة لك لا تتجاوز المؤمنين حيث لا تحل لهم بغير مهر المثل ولا تصح الهبة بل يجب
مهر المثل وقوله تعالى قد علمنا ما فرضنا عليهم اى على المؤمنين في ازواجهم اى في حقهن اعتراض
مقرر لما قبله من خلوص الاحلال المذكور لرسول الله عليه السلم وعدم تجاوزه للمؤمنين بيان انه
قد فرض عليهم من شرائط العقد وحقوقه ما لم يفرض عليه عليه السلم تكرمة له وتوسعة عليه اى قد
علمنا ما ينبغي ان يفرض عليهم في حق ازواجهم وما ملكت ايمانهم وعلى اى احد وای صيغة
يحق ان يفرض عليهم فرضنا ما فرضنا على ذلك الوجه وخصصناك ببعض الخصائص لكيلا يكون
عليك حرج اى ضيق واللام متعلقة بخالصة باعتبار ما فيها من معنى ثبوت الاحلال
وحصوله له عليه السلم لا باعتبار اختصاصه به عليه السلم لان مدار انتفاء الحرج هو الاول لا الثاني
الذي هو عبارة عن عدم ثبوته لغيره وكان الله غفورا لما يعسر التحرز عنه رحيما ولذلك
وسع الامر في مواقع الحرج ترجي من تشاء منهن اى تؤخرها وتترك مضاجعتها وتؤوي اليك
من تشاء وتضم اليك من تشاء منهن وتضاجعها او تطلق من تشاء منهن وتمسك
من تشاء وقرئ ترجئ بالهمزة والكل بمعنى واحد ومن ابتغيت اى طلبت ممن عزلت
طلقت بالرجعة فلا جناح عليك في شيء مما ذكر وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لان
اما ان يطلق ان يمسك فاذا امسك صاحب او ترك وقسم او لم يقسم واذا طلق فاما ان
يخلي المعزولة او يبتغيها وروي انه ارجأ منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وام حبيبة
فكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت مما اوى الله عائشة وحفصة وام سلمة وزينب
وارجى خمسا واوى اربعا وروي انه كان يسوي بينهن مع ما اطلق له وخير الاسوة
فانها وهبت ليلتها لعائشة وقالت لا تطلقني حتى احشر في زمرة نسائك ذلك اى ما ذكر
من تفويض الامر الى مشيتك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما اتيتهن كلهن
اى اقرب الى قرة عيونهن ورضاهن جميعا لانه حكم كلهن فيه سواء ثم ان سويت بينهن
وجدن ذلك تفضلا منك وان ربحت بعضهن علمن انه بحكم الله فتطمئن به نفوسهن
وقرئ تقر بضم التاء وفتح القاف ونصب اعينهن وتقر على البناء للمفعول وكلهن تاكيد لنون يرضين
وقرئ بالنصب على انه تاكيد لهن والله يعلم ما في قلوبكم من الضمائر والخواطر فاجتهدوا في
احسانها وكان الله عليما مبالغا في العلم فيعلم كل ما تبدونه وتخفونه حليما لا يعاجل بالعقوبة
فلا تغتروا باناتها فانه امهال لا اهمال لا يحل لك النساء بالياء لان تانيث الجمع
غير حقيقي ولوجود الفصل وقرئ بالتاء من بعد اى من بعد التسع وهو في حقه كالاربع في حقنا
وقال ابن عباس وقتادة من بعد هؤلاء التسع اللاتي خيرهن فاخترنك وقيل من بعد اختيار
الله ورسوله ورضاهن بما تؤتينهن من الوصل والهجران ولا ان تبدل بحذف احدى
التائين بهن اى بهؤلاء التسع من ازواج بان تطلق واحدة منها وتنكح مكانها اخرى
ومن مزيدة لتاكيد الاستغراق اراد الله لهن كرامة وجزاء على ما اخترن ورضين
فقصر رسوله عليهن وهن التسع اللاتي توفي عليه السلم عنهن وهن عائشة بنت ابي بكر

من

وحفصة بنت عمر وام حبيبة بنت ابي سفيان وسودة بنت زمعة وام سلمة بنت ابي امية
وصفية بنت حيي الخيبرية وميمونة بنت الحارث الهلالية وزينب بنت جحش الاسدية وجويرية
بنت الحارث المصطلقية وقال عكرمة المعنى لا يحل لك النساء من بعد الاجناس الاربعة
اللاتي احللنا هن لك بالصفة التي تقدم ذكرها من الاعرابيات والغرائب او من الكتابيات
او من الاماء بالنكاح وبايثاره قوله تعالى ولا ان تبدل بهن فان معنى احلال الاجناس
المذكورة احلال نكاحهن فلابد ان يكون معنى التبدل بهن احلال نكاح غيرهن بدل احلال
نكاحهن وذلك انما يتصور بالفسخ الذي ليس من الوظايف البشرية ولو اعجبك حسنهن اي
حسن الازواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل لا من مفعوله وهو من ازواج لتوغله
في التنكير قبل تقديره مفروضا اعجابك بهن وقدر تحقيقا في قوله تعالى ولامة مؤمنة خير من مشركة
ولو اعجبتك وقيل هي اسماء بنت عميس الخثعمية امراة جعفر بن ابي طالب اي هي ممن
اعجبه عليه السلم حسنهن واختلف في ان الاية محكمة او منسوخة فقيل بقوله ع ترجي من
تشاء منهن وتوي اليك من تشاء وقيل بقوله تعالى انا احللنا لك وترتيب النزول
ليس على ترتيب المصحف وقيل بالسنة وعن عايشة رض ما مات رسول الله عليه السلم
حتى احل له النساء وقال انس مات عليه السلم على التحريم الا ما ملكت يمينك استثناء من النساء
لانه يتناول الازواج والاماء وقيل منقطع وكان الله على كل شيء رقيبا حافظا مهيمنا
فاحذروا مجاوزة حدوده وتخطي حلاله الى حرامه يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي
شروع في بيان ما يجب مراعاته على الناس من حقوق نساء النبي عليه السلم اثر بيان ما يجب
مراعاته عليه عليه السلم من الحقوق المتعلقة بهن وقوله تعالى الا ان يؤذن لكم استثناء مفرغ
من اعم الاحوال اي لا تدخلوها في حال من الاحوال الا حال كونكم ماذونا لكم وقيل من اعم
الاوقات اي لا تدخلوها في وقت من الاوقات الا وقت ان يؤذن لكم ورد عليه بان النحاة
نصوا على ان الوقوع موقع الظرف مختص بالمصدر الصريح دون المؤول لا يقال آتيك
ان يصيح الديك وانما يقال آتيك صياح الديك وقوله تعالى الى طعام متعلق بيؤذن بتضمين معنى
الدعاء للاشعار بانه لا ينبغي ان يدخلوا على الطعام بغير دعوة وان تحقق الاذن كما يشعر
به قوله تعالى غير ناظرين اناه اي غير منتظرين وقته او ادراكه وهو حال من فاعل لا تدخلوا
على ان الاستثناء واقع على الوقت والحال معا عند من يجوزه او من المجرور في لكم
وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير من هو له بلا ابراز الضمير ولا مساغ له عند
البصريين وقرئ بالامالة لانه مصدر اني الطعام اي ادرك ولكن اذا دعيتم فادخلوا
استدراك من النهي عن الدخول بغير اذن وحث على الاجابة دلالة بينة على ان المراد بالاذن الى
الطعام هو الدعوة اليه فاذا طعمتم فانتشروا فتفرقوا ولا تمكثوا لانه خطاب لقوم
كانوا يتحينون طعام النبي عليه السلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم
وباشالهم والا لما جاز لاحد ان يدخل بيوته عليه السلم باذن لغير الطعام ولا اللبث بعد

بعد الطعام لامر مهم ولا مستانسين لحديث اي لحديث بعضكم بعضا او لحديث اهل البيت
بالتسمع له عطف على ناظرين او مقدر بفعل اي ولا تدخلوا ولا تمكثوا مستانسين ان ذلكم اي
الاستيناس الذي كنتم تفعلونه من قبل كان يوذي النبي لتضييق المنزل عليه وعلى اهله وايحاشه للاشتغال
بما لا يعنيه وصده عن الاشتغال بما يعنيه فيستحيي منكم اي من اخراجكم لقوله تعالى والله لا يستحيي
من الحق فانه يستدعي ان يكون المستحيي منه امرا حقا متعلقا بهم لا انفسهم وما ذلك الا اخراجهم فيستحيي
ان لا يتركهم حياء ان لا يتركهم وذلك لكرم تركه تعالى وامركم بالخروج والتعبير عنه بعدم الاستحياء للمشاكلة
وقرئ لا يستحي بحذف الياء الاولى والقاء حركتها الى ما قبلها واذا سالتموهن الضمير لنساء النبي
المدلول عليهن بذكر بيوته ع متاعا اي شيئا يتمتع به من الماعون وغيره فاسالوهن اي المتاع
من وراء حجاب اي ستر روي ان عمر رض قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت
امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه عليه السلم كما يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل
منهم يد عايشة رض فكره ذلك فنزلت ذلكم اي ما ذكر من عدم الدخول بغير اذن وعدم الاستيناس
للحديث عند الدخول وسوال المتاع من وراء حجاب اطهر لقلوبكم وقلوبهن اي اكثر تطهيرا من
الخواطر الشيطانية وما كان لكم اي وما صح وما استقام لكم ان تؤذوا رسول الله اي ان تفعلوا في
حياته فعلا يكرهه ويتاذى به ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا اي من بعد وفاته او فراقه ان
ذلكم اشارة الى ما ذكر من ايذائه عليه السلم ونكاح ازواجه من بعده وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد
منزلته في الشر والفساد كان عند الله عظيما اي امرا عظيما واثما عظيما لا يقادر قدره وفيه من تعظيم
لشان رسوله عليه السلم وايجاب حرمته حيا وميتا ما لا يخفى ولذلك بالغ تعالى في الوعيد حيث قال
ان تبدوا شيئا مما لا اخر فيه كنكاحهن على السنتكم او تخفوه في صدوركم فان الله كان بكل شيء عليما
فيجازيكم باصدر عنكم من المعاصي البادية والخافية لا محالة وفي هذا التعميم مع البرهان على المقصود
مزيد تهويل وتشديد ومبالغة في الوعيد لا جناح عليهن في اباءهن ولا ابنايهن ولا اخوانهن ولا
ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن استيناف لبيان من لا يجب الاحتجاب عنهم روي انه لما نزلت
اية الحجاب قال الاباء والابناء والاقارب يا رسول الله او نكلمهم ايضا من وراء الحجاب
فنزلت وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمى العم ابا في قوله تعالى واله
ابايك ابرهيم واسمعيل واسحق اولانه اكتفى عن ذكرهما بذكر ابناء الاخوة وابناء الاخوات
فان مناط عدم لزوم الاحتجاب بينهن وبين الفريقين عين ما بينهن وبين العم والخال من العومة
والخولة لما انهن عمات لابناء الاخوة وخالات لابناء الاخوات وقيل لانه كره ترك الاحتجاب
منهما مخافة ان يصفاهن لابنائهما ولا نسايهن اي نساء المؤمنات ولا ما ملكت ايمانهن
من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة وقدم في سورة النور واتقين الله في كل ما تاتين
وما تذرن لا سيما فيما امرن به ونهين عنه ان الله كان على كل شيء شهيدا لا يخفى
عليه خافية ولا يتعاوت في علمه الاحوال ان الله وملايكته وقرئ وملايكته بالرفع عطفا على محل
ان واسمها عند الكوفيين وحملا على حذف الخبر لدلالة ما بعده عليه على راي البصريين يصلون

على النبي قيل الصلوة من الله تع الرحمة ومن الملئكة الاستغفار وقال ابن عباس رض اراد
ان يرحمه والملئكة يدعون له وعنه ايضا يصلون يبركون وقال ابو العالية صلوة الله تع عليه ثناؤه
عليه عند الملئكة وصلوتهم دعاؤهم له فينبغي ان يراد بها في يصلون معنى مجازي عام يكون كل
واحد من المعاني المذكورة فردا حقيقيا له اي يعتنون بما فيه خيره وصلاح امره ويهتمون
باظهار شرفه وتعظيم شانه وذلك من الله سبحانه بالرحمة ومن الملائكة بالدعاء
والاستغفار يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه اغتنموا انتم ايضا بذلك فانكم اولى به
وسلموا تسليما قائلين اللهم صل على محمد وسلم او نحو ذلك وقيل المراد بالتسليم
انقياد امره والاية دليل على وجوب الصلوة والسلم عليه مطلقا من غير تعرض لوجوب
التكرار وعدمه قيل يجب ذلك كلما جرى ذكره لقوله عليه السلم رغم انف رجل ذكرت
عنده فلم يصل علي وقوله عليه السلم من ذكرت عنده فلم يصل علي دخل النار فابعده الله
ويروى انه عليه السلم قال وكل الله تعالى بي ملكين فلا اذكر عند مسلم فيصلي علي الا قال ذانك
الملكان غفر الله لك وقال الله تع وملئكته جوابا لذينك الملكين امين ولا اذكر عند مسلم
فلا يصلي علي الا قال ذانك الملكان لا غفر الله لك بقول الله تع وملئكته جوابا لذينك
الملكين امين ومنهم من قال يجب في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره عليه السلم كما قيل في آية
السجدة وتشميت العاطس وكذلك في كل دعاء في اوله وآخره ومنهم من قال بالوجوب
في العمر مرة وكذا قال في اظهار الشهادتين والذي يقتضيه الاحتياط ويستدعيه معرفة
علو شانه عليه السلم ان يصلي عليه كلما جرى ذكره الرفيع واما الصلوة عليه في الصلوة بان
يقال اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد
فليست بشرط في جواز الصلوة عندنا وعن ابرهيم النخعي ان الصحابة كانوا يكتفون عن ذلك
بما في التشهد وهو السلام عليك ايها النبي واما الشافعي رحمه الله فقد جعلها شرطا واما الصلوة
على غير الانبياء عليهم السلم فيجوز تبعا ويكره استقلالا لانه في العرف شعار ذكر الرسل ولذلك كره
ان يقال محمد عز وجل مع كونه عزيزا جليلا ان الذين يؤذون الله ورسوله اريد بالايذاء
اما فعل ما يكرهانه من الكفر والمعاصي مجازا لاستحالة حقيقة التاذي في حقه تع وقيل في
ايذائه تع هو قول اليهود والنصارى والمشركين يد الله مغلولة وثالث ثلاثة والمسيح
ابن الله والملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه تع عن ذلك علوا كبيرا وقيل قول
الذين يلحدون في آياته وفي ايذاء الرسول عليه السلم هو قولهم شاعر ساحر كاهن مجنون وقيل
هو كسر رباعيته وشج وجهه الكريم يوم احد وقيل طعنهم في نكاح صفية والحق هو العموم
فيهما واما ايذاؤه عليه السلم خاصة بطريق الحقيقة وذكر الله عز وجل لتعظيمه والايذان بجلالة
مقداره عنده تع وان ايذاءه عليه السلم ايذاء له سبحانه لعنهم الله طردهم وابعدهم من رحمته
في الدنيا والآخرة بحيث لا يكادون ينالون فيهما شيئا منهما واعد لهم مع ذلك عذابا مهينا
يصيبهم في الآخرة خاصة والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات يفعلون بهم ما يتاذون

به من قول او فعل وتقييده بقوله تع بغير ما اكتسبوا اي بغير جناية يستحقون بها الاذية بعد اطلاقه فيما
قبله للايذان بان اذى الله ورسوله لا يكون الا غير حق واما اذى هؤلاء فمنه ومنه فقد احتملوا بهتانا
واثما مبينا اي ظاهرا بينا قيل انها نزلت في منافقين كانوا يؤذون عليا رض ويسمعونه ما لا خير فيه
وقيل في اهل الافك وقال الضحاك والكلبي في زناة يتبعون النساء اذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن
وكانوا لا يتعرضون الا للاماء ولكن ربما كان يقع منهم التعرض للحرائر ايضا جهلا او تجاهلا لاتحاد
الكل في الزي واللباس والظاهر عمومه لكل ما ذكر ولما سيأتي من اراجيف المرجفين يا ايها النبي بعد ما
بين سوء حال المؤذين زجرا لهم عن الايذاء امر النبي عليه السلام بان يامر بعض المتاذين منهم بما يدفع ايذاءهم
في الجملة من التستر والتميز عن مواقع الايذاء فقل قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن
من جلابيبهن الجلباب ثوب اوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة على راسها وتبقي منه ما ترسله الى
صدرها وقيل هي الملحفة وكل ما يتستر به اي يغطين بها وجوههن وابدانهن اذا برزن لداعية من الدواعي
ومن للتبعيض لما مر من ان المعهود التلفع ببعضها وارخاء بعضها وعن السدي تغطي احدى عينيها
وجبهتها والشق الآخر الا العين ذلك اي ما ذكر من التغطي ادنى اقرب ان يعرفن ويميزن عن الاماء
والقينات اللاتي هن مواقع تعرضهم وايذائهم فلا يؤذين من جهة اهل الريبة بالتعرض لهن وكان
الله غفورا لما سلف منهن من التفريط رحيما بعباده حيث يراعي من مصالحهم امثال هاتيك الجزئيات
لئن لم ينته المنافقون عما هم عليه من النفاق واحكامه الموجبة للايذاء والذين في قلوبهم مرض عما هم عليه
من التزلزل وما يستتبعه مما لا خير فيه والمرجفون في المدينة من الفريقين عما هم عليه من نشر اخبار السوء
عن سرايا المسلمين وغير ذلك من الاراجيف الملفقة المستتبعة للاذية واصل الارجاف التحريك من الرجفة
التي هي الزلزلة وصفت به الاخبار الكاذبة لكونها متزلزلة غير ثابتة لنغرينك بهم لنامرنك بقتالهم او
جلائهم او بما يضطرهم الى الجلاء ونحرضنك على ذلك ثم لا يجاورونك عطف على جواب القسم وثم للدلالة
على ان الجلاء ومفارقة جوار الرسول عليه السلم اعظم ما يصيبهم فيها اي في المدينة الا قليلا زمانا او جوارا قليلا ريثما
يتبين حالهم من الانتهاء وعدمه ملعونين نصب على الشتم او الحال على ان الاستثناء وارد عليه ايضا
على راي من يجوزه كما مر في قوله تع غير ناظرين اناه ولا سبيل الى انتصابه عن قوله تع اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا
تقتيلا لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها سنة الله في الذين خلوا من قبل اي سن الله ذلك في الامم
الماضية سنة وهي ان يقتل الذين نافقوا الانبياء عليهم السلم وسعوا في توهين امرهم بالارجاف ونحوه اينما ثقفوا
ولن تجد لسنة الله تبديلا اصلا لابتنائها على اساس الحكمة التي عليها يدور فلك التشريع يسئلك الناس
عن الساعة اي عن وقت قيامها كان المشركون يسألونه عليه السلم عن ذلك استعجالا بطريق الاستهزاء
واليهود امتحانا لما ان الله تعالى عمى وقتها في التوراة وساير الكتب قل انما علمها عند الله لا يطلع عليه ملكا
مقربا ولا نبيا مرسلا وقوله تع وما يدريك خطاب مستقل له عليه السلم غير داخل تحت الامر مسوق لبيان انها مع
كونها غير معلومة للخلق مرجوة المجيء عن قريب اي اي شيء يعلمك بوقت قيامها اي لا يعلمك شيء اصلا
لعل الساعة تكون قريبا اي شيئا قريبا او تكون الساعة في وقت قريب وانتصابه على الظرفية ويجوز ان
يكون التذكير باعتبار ان الساعة في معنى اليوم او الوقت وفيه تهديد للمستعجلين وتبكيت للمتعنتين والاظهار

في حيز الاضمار للتهويل وزيادة التقرير وتاكيد استقلال الجملة كما اشير اليه ان الله لعن الكافرين على الاطلاق
اي طردهم وابعدهم من رحمته العاجلة والآجلة واعد لهم مع ذلك سعيرا نارا شديدة الاتقاد يقاسونها
في الآخرة خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا يحفظهم ولا نصيرا يخلصهم لها يوم تقلب وجوههم في النار
ظرف لعدم الوجدان وقيل لخالدين وقيل لنصيرا وقيل مفعول لاذكر اي يوم تصرف وجوههم فيها
من جهة الى جهة كاللحم يشوى في النار او تطبخ في القدر فيدور به الغليان من جهة الى جهة او من حال الى حال او يطرحون
فيها مقلوبين منكوسين وقرئ تقلب بحذف احدى التائين من تتقلب وتقلب باسناد الفعل الى
نون العظمة ونصب وجوههم وتقلب باسناده الى السعير وتخصيص الوجوه بالذكر لما انها اكرم الاعضاء ففيه
مزيد تقطيع للامر وتهويل للخطب ويجوز ان يكون عبارة عن كل الجسد فقوله تعالى يقولون استيناف مبني على
سؤال نشأ من حكاية حالهم الفظيعة كانه قيل فماذا يصنعون عند ذلك فقيل يقولون متحسرين على ما فاتهم يا ليتنا
اطعنا الله واطعنا الرسولا فلا نبتلي بهذا العذاب او حال من ضمير وجوههم او من نفسها او هو العامل في يوم
وقالوا عطف على يقولون والعدول الى صيغة الماضي للاشعار بان قولهم هذا ليس مستمرا كقولهم السابق بل هو ضرب
اعتذار ارادوا به ضربا من التشفي بمضاعفة عذاب الذين القوهم في ذلك الورطة وان علموا عدم قبوله في حق
خلاصهم منها ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرئ ساداتنا
للدلالة على الكثرة والتعبير عنهم بعنوان السيادة والكبر لتقوية الاعتذار والا فهم في مقام التحقير والاهانة
فاضلونا السبيلا بما زينوا لنا الاباطيل والالف للاطلاق كما في واطعنا الرسولا ربنا آتهم ضعفين من
العذاب اي مثلي العذاب الذي آتيتناه لانهم ضلوا واضلوا والعنهم لعنا كبيرا اي شديدا عظيما
وقرئ كثيرا وتصدير الدعاء بالنداء تكريرا للمبالغة في الجوار واستدعاء الاجابة يا ايها الذين آمنوا
لا تكونوا كالذين آذوا موسى قيل نزلت في شان زيد وزينب وما سمع فيه من قالة الناس فبرأه الله
مما قالوا اي فاظهر براءته عليه السلام مما قالوا في حقه اي من مضمونه ومؤداه الذي هو الامر المعيب وذلك ان
قارون اغرى مومسة على قذفه عليه السلام بنفسها بان دفع اليها مالا عظيما فاظهر الله تعالى براءته عن ذلك
بان اقرت المومسة بالمصانعة الجارية بينها وبين قارون وفعل بقارون ما فعل كما فصل في سورة القصص
وقيل اتهمه ناس بقتل هارون عند خروجه معه الى الطور فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به حتى رواه
غير مقتول وقيل احياه الله تعالى فاخبرهم ببراءته وقيل قرقوه بعيب في بدنه عن برص او
ادرة لفرط تستره حياء فاطلعهم الله تعالى على براءته بان فر الحجر بثوبه حين وضعه عليه عند
اغتساله والقصة مشهورة وكان عند الله وجيها ذا قربة ووجاهة وقرئ وكان عبدا
لله وجيها يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله اي في كل ما تاتون وما تذرون لا سيما في ارتكاب
ما يكرهه فضلا عما يؤذي رسوله عليه السلام وقولوا في كل شان من الشؤون قولا سديدا قاصدا
الى الحق من سد يسد سدادا يقال سدد السهم نحو الرمية اذا لم يعدل به عن سمتها
والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب الجائر عن العدل والقصد يصلح لكم اعمالكم
يوفقكم للاعمال الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة عليها ويغفر لكم ذنوبكم ويجعلها مكفرة
باستقامتكم في القول والعمل ومن يطع الله ورسوله في الاوامر والنواهي التي من جملتها

جملتها هذه التكليفات فقد فاز في الدارين فوزا عظيما لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته انا عرضنا
الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها لما بين عظم
شان طاعة الله ورسوله ببيان مآل الخارجين عنها من العذاب الاليم ومنال المسارعين
لها من الفوز العظيم عقب ذلك ببيان عظم شان ما يوجبها من التكاليف الشرعية
وصعوبة امرها بطريق التمثيل مع الايذان بان ما صدر عنهم من الطاعة وتركها صدر عنهم
بعد القبول والالتزام وعبر عنها بالامانة تنبيها على انها حقوق مرعية اودعها الله تعالى
المكلفين وائتمنهم عليها واوجب عليهم تلقيها بحسن الطاعة والانقياد وامرهم بمراعاتها
والمحافظة عليها وادائها من غير اخلال بشيء من حقوقها وعبر عن اعتبارها بالنسبة الى
استعداد ما ذكر من السموات وغيرها بالعرض عليهن لاظهار مزيد الاعتناء بامرها والرغبة
في قبولهن لها وعن قبولها بالحمل لتحقيق معنى الصعوبة المعتبرة فيها بجعلها من قبيل الاجسام
الثقيلة التي يستعمل فيها القوى الجسمانية التي اشدها واعظمها ما فيهن من القوة والشدة
والمعنى ان تلك الامانة في عظم الشان بحيث لو كلفت هاتيك الاجرام العظام التي هي
مثل في القوة والشدة مراعاتها وكانت ذات شعور وادراك لابين قبولها واشفقن
منها ولكن صرف الكلام عن سننه بتصوير المفروض بصورة المحقق روما لزيادة تحقيق
المعنى المقصود بالتمثيل وتوضيحه وحملها الانسان اي عند عرضها عليه اما باعتبارها
بالاضافة الى استعداده او بتكليفه اياها يوم الميثاق اي تكلفها والتزمها مع ما فيه من
ضعف البنية ورخاوة القوة وهو اما عبارة عن قبولها لها بموجب استعداده الفطري او
عن اعترافه بقوله بلى وقوله تعالى انه كان ظلوما جهولا اعتراض وسط بين الحمل وغايته
للايذان من اول الامر بعدم وفائه بما عهده وتحمله اي انه كان مفرطا في الظلم مبالغا في
الجهل اي بحسب غالب افراده الذين لم يعملوا بموجب فطرتهم السليمة او اعترافهم السابق
دون من عداهم من الذين لم يبدلوا فطرة الله تبديلا والى الفريق الاول اشير بقوله عز
وجل ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات اي حملها الانسان
ليعذب الله بعض افراده الذين لم يراعوها ولم يقابلوها بالطاعة على ان اللام للعاقبة
فان التعذيب وان لم يكن غرضا له من الحمل لكن لما ترتب عليه بالنسبة الى بعض افراده ترتب
الاغراض على الافعال المعللة بها ابرز في معرض الغرض اي كان عاقبة حمل الانسان
لها ان يعذب الله تعالى هؤلاء من افراده لخيانتهم الامانة وخروجهم عن الطاعة بالكلية والى
الفريق الثاني اشير بقوله تعالى ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات اي كان عاقبة حمله لها
ان يتوب الله تعالى على هؤلاء من افراده اي يقبل توبتهم لعدم خلعهم ربقة الطاعة عن رقابهم
بالمرة وتلافيهم لما فرط منهم من فرطات قل ما يخلو عنها الانسان بحكم جبلته وتداركهم لها
بالتوبة والانابة والالتفات الى الاسم الجليل اولا لتهويل الخطب وتربية المهابة والاظهار في موقع
الاضمار ثانيا لابراز مزيد الاعتناء بامر المؤمنين توفية لكل من مقامي الوعيد والوعد حقه والله

تعالى اعلم وجعل الامانة التي شانها ان تكون من جهته تع عبارة عن الطاعة التي هي من افعال
المكلفين التابعة للتكليف بمعزل من التقريب وحمل الكلام على تقرير الوعد الكريم الذي ينبئ عنه
قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما بجعل تعظيم شان الطاعة ذريعة الى ذلك
بان من قام بحقوق مثل هذا الامر العظيم الشان وراعاها فهو جدير بان يفوز بخير الدارين يأباه
وصفه بالظلم والجهل اولا وتعليل الحمل بتعذيب فريق والتوبة على فريق ثانيا وقيل
المراد بالامانة مطلق الانقياد الشامل للطبيعي والاختياري ويعرضها استدعاؤها الذي يعم
طلب الفعل من المختار وارادة صدوره من غيره وتحملها الخيانة فيها والامتناع عن ادائها
فيكون الاباء امتناعا عن الخيانة واتيانا بالمراد فالمعنى ان هذه الاجرام مع عظمها
وقوتها ابين الخيانة لامانتنا واتين بما امرناهن به كقوله تعالى اتينا طائعين وخانها
الانسان حيث لم يات بما امرناه به انه كان ظلوما جهولا وقيل انه تعالى لما خلق هذه
الاجرام خلق فيها فهما وقال لها اني فرضت فريضة وخلقت جنة لمن اطاعني فيها ونارا
لمن عصاني فقلن نحن مسخرات لما خلقنا لا نحتمل فريضة ولا نبغي ثوابا ولا عقابا ولما خلق آدم عم
عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله ما يشق عليها جهولا بوخامة عاقبته وقيل المراد
بالامانة العقل او التكليف ويعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن وبابائهن
الاباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة والاستعداد لها وتحمل الانسان قابليته واستعداده
لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية وهذا قريب من التحقيق فتامل
والله الموفق وقرئ ويتوب الله على الاستيناف وكان الله غفورا رحيما مبالغا في المغفرة
والرحمة حيث تاب عليهم وغفر لهم فرطاتهم واثاب بالفوز على طاعاتهم قال
عليه السلام من قرأ سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض اي له تعالى خلقا وملكا وتصرفا بالايجاد والاعدام
والاحياء والاماتة جميع ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما فكانه قيل له جميع
المخلوقات كما مر في آية الكرسي ووصفه تعالى بذلك لتقرير ما افاده تعليق الحمد المعرف بلام الحقيقة
بالاسم الجليل من اختصاص جميع افراده به تعالى على ما بين في فاتحة الفاتحة ببيان تفرده تعالى
واستقلاله بما يوجب ذلك وكون كل ما سواه من الموجودات التي من جملتها الانسان تحت ملكوته تع
ليس لها في حد ذاتها استحقاق الوجود فضلا عما عداه من صفاتها بل كل ذلك نعم فائضة عليها
من جهته عز وجل فما هذا شانه فهو بمعزل من استحقاق الحمد الذي مداره الجميل الصادر عن القادر
بالاختيار فظهر اختصاص جميع افراده به تعالى وقوله وله الحمد في الآخرة بيان لاختصاص الحمد
الاخروي به تعالى اثر بيان اختصاص الدنيوي به على ان الجار متعلق اما بنفس الحمد او بما تعلق به الخبر
من الاستقرار واطلاقه عن ذكر ما يشعر بالمحمود عليه ليس للاكتفاء بذكر كونه في الآخرة عن التعيين

التعيين كما اكتفى فيما سبق بذكر كون المحمود عليه في الدنيا عن ذكر كون الحمد ايضا فيها بل ليعم النعم الاخروية
كما في قوله تعالى الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الجنة وقوله تعالى الذي احلنا دار المقامة من
فضله الآية وما يكون ذريعة الى نيلها من النعم الدنيوية كما في قوله تعالى الحمد لله الذي هدانا لهذا اي كما جزاؤه هذا
من الايمان والعمل الصالح والفرق بين الحمدين مع كون نعمتي الدنيا والآخرة بطريق التفضل ان الاول على
نهج العبادة والثاني على وجه التلذذ والاغتباط وقد ورد في الخبر انهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس
وهو الحكيم الذي احكم امور الدين ودبرها حسبما تقتضيه الحكمة الخبير ببواطن الاشياء ومكنوناتها
وقوله تعالى يعلم ما يلج في الارض حينئذ تفصيل لبعض ما يحيط به علمه من الامور التي نيطت بها مصالحهم الدنيوية
والدينية اي يعلم ما يدخل فيها من الغيث والكنوز والدفائن والاموات ونحوها وما يخرج منها كالحيوان والنبات
وماء العيون ونحوها وما ينزل من السماء كالملائكة والكتب والمقادير ونحوها وقرئ وما تنزل بالتشديد وبنون
العظمة وما يعرج فيها كالملائكة واعمال العباد والابخرة والادخنة وهو الرحيم للحامدين على ما ذكر من نعمه
الغفور للمفرطين في ذلك بلطفه وكرمه وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة ارادوا بضمير المتكلم جنس
البشر قاطبة لا انفسهم او معاصريهم فقط كما ارادوا بنفي اتيانها نفي وجودها بالكلية لا عدم حضورها مع تحققها
في نفس الامر وانما عبروا عنه بذلك لانهم كانوا يوعدون باتيانها ولان وجود الامور الزمانية المستقبلة لا سيما
اجزاء الزمان لا يكون الا بالاتيان والحضور وقيل هو استبطاء لاتيانها الموعود بطريق الهزء والسخرية كقولهم
متى هذا الوعد قل بلى رد لكلامهم واثبات لما نفوه على معنى ليس الامر الا اتيانها وقوله تعالى وربي لتاتينكم
تاكيد له على اتم الوجوه واكملها وقرئ لياتينكم على تاويل الساعة باليوم او الوقت وقوله تعالى عالم الغيب الخ
امداد للتاكيد وتسديد له اثر تسديد وكسر لسورة نكيرهم واستبعادهم فان تعقيب القسم بجلائل نعوت المقسم
به على الاطلاق يؤذن بفخامة شان المقسم عليه وقوة ثباته وصحته لما ان ذلك في حكم الاستشهاد على الامر ولا ريب
في ان المستشهد به كلما كان اجل واعلا كانت الشهادة آكد واقوى والمستشهد عليه احق بالثبوت واولى
لا سيما اذا خص بالذكر من النعوت ما له تعلق لا خاص بالمقسم عليه كما نحن فيه فان وصفه بعلم الغيب الذي اشهر
افراده وادخلها في الخفاء هو المقسم عليه تنبيه لهم على علة الحكم وكونه مما لا يحوم حوله شائبة ريب ما وفائدة الامر
بهذه المرتبة من اليمين ان لا يبقى للمعاندين عذر ما اصلا فانهم كانوا يعرفون امانته ونزاهته عن وصمة الكذب
فضلا عن اليمين الفاجرة وانما لم يصدقوه مكابرة وقرئ علام الغيب وعالم الغيوب بالرفع على المدح
لا يعزب عنه اي لا يبعد وقرئ بكسر الزاء مثقال ذرة مقدار اصغر نملة في السموات ولا في الارض
اي كائنة فيهما ولا اصغر من ذلك اي من مثقال ذرة ولا اكبر اي منه ورفعهما على الابتداء والخبر وقوله تع
الا في كتاب مبين هو اللوح المحفوظ والجملة مؤكدة لنفي العزوب وقرئ ولا اصغر ولا اكبر بفتح الراء على
نفي الجنس ولا يجوز ان يعطف المرفوع على مثقال ولا المفتوح على ذرة بانه فتح في حيز الجر لامتناع الصرف
لما ان الاستثناء يمنعه الا ان يجعل الضمير في عنه للغيب ويجعل المثبت في اللوح خارجا عنه لبروزه للمطا
فيكون المعنى لا ينفصل عن الغيب شيء الا مسطورا في اللوح ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات
علة لقوله تعالى لتاتينكم وبيان لما يقتضي اتيانها اولئك اشارة الى الموصول من حيث اتصافه بما في حيز
الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل والشرف اي اولئك الموصوفون بالصفات الجليلة

بعين له

لهم بسبب ذلك مغفرة لما فرط منهم من بعض فرطات قلما يخلو عنها البشر ورزق كريم لا تعب فيه ولا من
عليه والذين سعوا في آياتنا بالقدح فيها وصد الناس عن التصديق بها معاجزين اى مسابقين كى
يفوتونا او قرئ معجزين اى مثبطين عن الايمان من اراده اولئك لهم عذاب الكلام فيه كالذى مر
آنفا ومن قوله تعالى من رجز للبيان قال قتادة الرجز سوء العذاب وقوله تعالى اليم بالرفع صفة عذاب
اى اولئك الساعون لهم عذاب من جنس سوء العذاب شديد الايلام وقرئ اليم بالجر صفة لرجز
ويرى الذين اوتوا العلم اى يعلم اولوا العلم من اصحاب رسول الله صلعم ومن شايعهم من علماء
الامة اومن آمن من علماء اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب واضرابهما رض الذى انزل اليك
من ربك اى القرآن هو الحق بالنصب على انه مفعول ثان ليرى والمفعول الاول هو الموصول
الثانى وهو ضمير الفصل وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر هو المفعول الثانى ليرى وقوله ليرى الخ مستانف
مسوق للاستشهاد باولى العلم على الجهلة الساعين فى الآيات وقيل منصوب عطفا على يجزى اى
وليعلم اولوا العلم عند مجئ الساعة معاينة انه الحق حسبما علموه الآن برهانا ويجعله ابلغ على المكذبين
وقد جوز ان يراد باولى العلم من لم يؤمن من الاحبار اى ليعلموا يومئذ انه هو الحق فيزدادوا
حسرة وغما ويهدى عطف على الحق عطف الفعل على الاسم لانه فى تاويله كما فى قوله تعالى صافات
ويقبضن اى وقابضات كانه قيل ويرى الذين اوتوا العلم الذى انزل اليك الحق وهاديا
الى صراط العزيز الحميد الذى هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى وقيل مستانف وقيل حال
من الذى انزل على اضمار مبتداء اى وهو يهدى كما فى قول من قال بحوت وارهنهم مالكا وقال الذين
كفروا اهم كفار قريش قالوا مخاطبا بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنون به النبى عم وانما قصدوا
بالتنكير الظن والسخرية قاتلهم الله تعالى ينبئكم اى يحدثكم بعجب عجاب وقرئ ينبيكم من الانباء اذا مزقتم
كل ممزق اى اذا متم ومزقت اجسادكم كل تمزيق وفرقت كل تفريق بحيث صرتم ترابا ورفاتا
انكم لفى خلق جديد اى تستقرون فيه عدل اليه عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث مثل تبعثون او
تخلقون خلقا جديدا للاشعار فى الاستبعاد والتعجيب وكذلك تقديم الظرف والعامل فيه ما دل
عليه المذكور لا نفسه لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وجديد فعيل بمعنى فاعل من جد فهو جديد وقيل
فهو قليل وقيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب اذا قطعه ثم شاع افترى على الله كذبا فيما
قاله ام به جنة اى جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه والاستدلال بهذا الترديد على ان بين الصدق
والكذب واسطة هو ما لا يكون من الاخبار عن بصيرة بين الفساد لظهور كون الافتراء اخص من
الكذب بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد جواب من جهة الله تعالى
عن ترديدهم الوارد على طريقة الاستفهام بالاضراب عن شقيه وابطالهما واثبات قسم ثالث
كاشف عن حقيقة الحال ناع عليهم سوء حالهم وابتلاهم بما قالوا فى حقه عم كانه قيل ليس الامر
كما زعموا بل هم فى كمال اختلاف العقل وغاية الضلال عن الفهم والادراك الذى هو الجنون
حقيقة وفيما يؤدى اليه ذلك من العذاب ولذلك يقولون ما يقولون وتقديم العذاب على ما يوجبه
ويستتبعه للمسارعة الى بيان ما يسوءهم ويغث فى اعضادهم والاشعار بغاية سرعة ترتبه عليه

عليه كانه سابقه فيجعله ووصف الضلال بالبعد الذى هو وصف الضال للمبالغة ووضع
الموصول موضع ضميرهم للتنبيه بما فى حيز الصلة على ان علة ما ارتكبوه واجترؤا عليه من الشناعة
الفظيعة كفرهم بالآخرة وما فيها من فنون العقاب ولولاه لما فعلوا ذلك خوفا من غائلته وقوله
افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض استيناف مسوق لتهويل ما اجترؤا
عليه من تكذيب آيات الله تعالى واستعظام ما قالوا فى حقه عم وانه من العظايم الموجبة لنزول
اشد العقاب وحلول افظع العذاب من غير ريب فى تاخير والفاء للعطف على مقدر تقتضيه
المقام وقوله تعالى ان نشا نخسف بهم الخ بيان لما ينبئ عنه ذكر احاطتهما بهم من المحذور المتوقع من جهتهما وفيه
تنبيه على انه لم يبق من اسباب وقوعه الا تعلق المشية به اى افعلوا ما فعلوا من المنكر الهائل
المستتبع للعقوبة فلم ينظروا الى ما احاط بهم من جميع جوانبهم بحيث لا مفر لهم عنه ولا محيص ان
نشا نجر يا على موجب جناياتهم نخسف بهم الارض كما خسفنا بما تعارون او نسقط عليهم كسفا
اى قطعا من السماء كما اسقطنا بها على اصحاب الايكة لاستيجابهم ذلك بما ارتكبوه من الجرايم
وقيل هو تذكير بما يعاينون مما يدل على كمال قدرته وما يحتمل فيه ازاحة لاستحالة العبث
حتى جعلوه افتراء وهزوا وتهديد عليها والمعنى اعموا فلم ينظروا الى ما احاط بجوانبهم من السماء
والارض ولم يتفكروا انهم اشد خلقا امهى وان نشاء نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا
لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات فتامل وكن على الحق المبين وقرئ يخسف ويسقط بالياء
لقوله تعالى افترى على الله وكسفا بسكون السين ان فى ذلك اى فيما ذكر من السماء والارض من حيث
احاطتها بالناظرين من جميع الجوانب او فيما تلى من الوحى الناطق باذكر لآية واضحة لكل عبد منيب
شانه الانابة الى ربه فانه اذا تامل فيها او فى الوحى المذكور ينزجر عن تعاطى القبايح وينيب اليه تعالى وقيه
حث بليغ على التوبة والانابة وقد اكد ذلك بقوله تعالى ولقد آتينا داود منا فضلا اى آتيناه من
انابته وصحة توبته فضلا على سائر الانبياء عليهم السلام اى نوعا من الفضل وهو ما ذكر بعد فان معجزة خاصة
به عليه السلام او على سائر الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن فتنكيره للتفخيم ومنا لتاكيد
فخامته الزايدة بفخامة الاضافة كما فى قوله تعالى وآتيناه من لدنا علما وتقديمه على المفعول الصريح للاهتمام بالمقدم
والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فاذا ورد بها تمكن عندما فضل تمكن
يا جبال اوبى معه من التاويب اى ارجعى معه التسبيح او النوحة على الذنب وذلك اما بان
يخلق الله تعالى فيها صوتا مثل صوته كما خلق الكلام فى الشجرة او بان يتمثل له ذلك وقرئ اوبى من الاوب
اى ارجعى معه فى التسبيح كلما رجع فيه وكان كلما سبح عليه السلم يسمع من الجبال ما يسمع من المسبح معجزة
له عليه السلم وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تسعده على نوحه باصدائها والطير
باصواتها وهو بدل من آتينا باضمار قلنا او من فضلا باضمار قولنا والطير بالنصب عطفا على فضلا
بمعنى وسخرنا له الطير لان اتيانها اياه عليه السلم تسخيرها له فلا حاجة الى اضماره كما نقل عن الكسائى ولا الى
تقدير مضاف اى تسبيح الطير كما نقل عنه فى رواية وقيل عطفا على محل الجبال وفيه من التكلف لفظا
ومعنى ما لا يخفى وقرئ بالرفع عطفا على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بالحركة الاعرابية وقد جوز

انتصابه على انه مفعول معه والاول هو الوجه وفي تنزيل الجبال والطير منزلة العقلاء المطيعين لامره تعالى
المذعنين لحكمه المشعر بانه ما من حيوان وجماد وصامت وناطق الا وهو منقاد لمشيته غير ممتنع على
ارادته من الفخامة المعربة عن غاية عظمة شانه تعالى وكمال كبريائه ما لا يخفى على اولي الالباب والنا له الحديد
اي جعلناه لينا في نفسه كالشمع يصرفه في يده كيف يشاء من غير احماد بنار ولا ضرب بمطرقة
او جعلناه بالنسبة الى قوته التي آتيناها اياه لينا كالشمع بالنسبة الى ساير القوى البشرية ان اعمل
امرناه ان اعمل على ان ان مصدرية حذف عنها الباء وفي حملها على المفسرة تكلف لا يخفى سابغات
واسعات وقرئ صابغات وهي الدروع الواسعة الضافية وهو عليه السلم اول من اتخذها وكانت
قبل صفائح قالوا كان عليه السلم حين ملك على بني اسرائيل يخرج متنكرا فيسال الناس ما تقولون في داود فيثنون
عليه فقيض الله تعالى له ملكا في صورة آدمي فساله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فريع داود
فساله عنها فقال لولا انه يطعم عياله من بيت المال فعند ذلك سال ربه ان يسبب له ما يستغني به عن
بيت المال فعلمه تعالى صنعة الدروع وقيل كان يبيع الدرع باربعة آلاف فينفق منها على نفسه
وعياله ويتصدق على الفقراء وقدر في السرد السرد نسج الدروع اي اقتصد في نسجها بحيث تتناسب
حلقها وقيل قدر مساميرها فلا تعملها دقاقا ولا غلاظا ورد بان دروعه عليه السلم لم تكن مسمرة
كما ينبئ عنه الانة الحديد وقيل معنى قدر في السرد لا تصرف جميع اوقاتك اليه بل مقدار ما يحصل به
القوت واما الباقي فاصرفه الى العبادة وهو الانسب بقوله تعالى واعملوا صالحا عمم الخطاب حسب
عموم التكليف له عليه السلم ولاهله اني بما تعملون بصير تعليل للامر او لوجوب الامتثال به ولسليمان الريح
اي وسخرنا الريح وقرئ برفع الريح اي ولسليمان الريح مسخرة وقرئ الرياح غدوها شهر ورواحها
شهر اي جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشي كذلك والجملة اما مستانفة او حال من الريح وقرئ
غدوتها وروحتها وعن الحسن كان يغدو اي من دمشق فيقيل باصطخر ثم يروح فيكون رواحه
بكابل وقيل كان يتغدى بالري ويتعشى بسمرقند ويحكى ان بعضهم راى مكتوبا في منزل بناحية
دجلة كتبه بعض اصحاب سليمان عليه السلم نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر
فقلناه ونحن رائحون عنه فبائتون بالشام ان شاء الله تعالى واسلنا له عين القطر اي
النحاس المذاب اساله من معدنه كما الان الحديد لداود عليهما السلم فنبع منه ينبوع الماء من الينبوع
ولذلك سمي عينا وكان ذلك باليمن وقيل كان يسيل في الشهر ثلثة ايام وقوله تعالى ومن الجن من
يعمل بين يديه اما جملة من مبتدا او خبر او من يعمل عطف على الريح ومن الجن حال متقدمة
باذن ربه بامره تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن يزغ منهم عن امرنا اي ومن يعدل منهم عما امرناه
به من طاعة سليمان وقرئ يزغ على البناء للمفعول من ازاغه نذقه من عذاب السعير اي عذاب
النار في الآخرة روي عن السدي كان معه ملك بيده سوط من نار كلما استعصى عليه ضربه من
حيث لا يراه الجني يعملون له ما يشاء تفصيل لما ذكر من عملهم وقوله تعالى من محاريب الخ بيان لما يشاء
اي من قصور حصينة ومساكن شريفة سميت بذلك لانها يذب عنها ويحارب عليها وقيل
هي المساجد وتماثيل وصور الملائكة والانبياء عليهم السلم على ما اعتادوه فانها كانت تعمل في المساجد

المساجد ليراها الناس ويعبدوا مثل عباداتهم وحرمة التصاوير شرع جديد وروي انهم
عملوا اسدين في اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان
ذراعيهما واذا قعد اظله النسران باجنحتهما وجفان جمع جفنة وهي الصحفة كالجواب
كالحياض الكبار جمع جابية من الجباية لاجتماع الماء فيها وهي من الصفات الغالبة
كالدابة وقرئ باثبات الياء قيل كان يقعد على الجفنة الف رجل وقدور راسيات
ثابتات على الانشاء في لا تنزل عنها لعظمها اعملوا آل داود شكرا حكاية لما قيل لهم و
شكرا نصب على انه مفعول له او مصدر لاعملوا لان العمل للمنعم شكر له او لفعله المحذوف
اي اشكروا شكرا او حال اي شاكرين او مفعول به اي اعملوا شكرا وقليل من عبادي الشكور
اي المتوفر على اداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه اكثر اوقاته ومع ذلك لا يوفي حقه لان التوفيق
للشكر نعمة تستدعي شكرا آخر لا الى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر
وروي انه عليه السلم جزا ساعات الليل والنهار على اهله فلم تكن تاتي ساعة من الساعات
الا وانسان من آل داود قائم يصلي فلما قضينا عليه الموت اي على سليمان عم ما دلهم
اي الجن او آله على موته الا دابة الارض اي الارضة اضيفت الى فعلها وقرئ بفتح الراء
وهو تاثر الخشبة من فعلها يقال ارضت الارضة ارضا فارضت ارضا مثل اكلت
القوادح اسنانه اكلا فاكلت اكلا تاكل منساته اي عصاه من نسات البعير اذا طردته
لانها يطرد بها ما يطرد وقرئ منسأته بالف ساكنة بدلا من الهمزة وبهمزة ساكنة وباخراجها
بين بين عند الوقف ومنساته على مفعالة كميضاة في ميضاة ومن ساته اي من طرف
عصاه من نباءة القوس وفيه لغتان كما في قحة بالكسر والفتح وقرئ اكلت منساته فلما خر
تبينت الجن من تبينت الشيء اذا علمته بعد التباسه عليك اي علمت الجن علما بينا بعد
التباس الامر عليهم ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين اي انهم لو كانوا
يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته عليه السلم حيثما وقع فلم يلبثوا بعده حولا في تسخيره الى
ان خر او من تبين الشيء اذا ظهر وتجلى اي ظهرت الجن وان مع ما في حيزها بدل اشتمال
من الجن اي ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب الخ وقرئ تبينت الجن على البناء للمفعول
على ان المتبين في الحقيقة هو ان مع ما في صلتها لانه بدل وقرئ تبينت الانس والضمير
في كانوا للجن في قوله تعالى ومن الجن من يعمل وفي قراءة ابن مسعود تبينت الانس ان
الجن لو كانوا يعلمون الغيب روي ان داود اسس بنيان بيت المقدس في
موضع فسطاط موسى فتوفي قبل تمامه فوصى به الى سليمان عم فاستعمل فيه الجن والشياطين
فباشروه حتى اذا حان اجله وعلم به سال ربه ان يعمي عليهم موته حتى يفرغوا منه ولتبطل
دعواهم علم الغيب فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكئا
على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقي كذلك وهم فيما امروا به من الاعمال حتى اكلت
الارضة عصاه فخر ميتا وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه اينما صلى عم فلم يكن

ينظر اليه شيطان فى صلوته الا احترق فمر به يوما شيطان فنظر فاذا سليمان قد خر ميتا
فنحوا عنه فاذا العصا قد اكلتها الارضة فاراد وا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة
على العصا فاكلت منها فى يوم وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة
وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلث عشرة سنة وبقى فى ملكه اربعين
سنة وابتداء بناء بيت المقدس لاربع مضين من ملكه لقد كان لسبإ بيان لاجارض
الكافرين بنعم الله تعالى اثر بيان احوال الشاكرين لها اى لاولاد سبإ بن يشجب بن
يعرب بن قحطان وقرئ بمنع الصرف على انه اسم القبيلة وقرئ بقلب الهمزة الفا ولعله
اجراج لها بين فى مساكنهم وقرئ بكسر الكاف كالمسجد وقرئ بلفظ الجمع اى مواضع سكناهم
وهى باليمن يقال له مارب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلث ليال آية دالة بملاحظة احوالها
السابقة واللاحقة على وجود الصانع المختار القادر على كل ما يشاء من الامور البديعة الجارية
للحسن والمسئ معاضدة للبرهان السابق كما فى قصتى داود وسليمان عما جنتان بدل
من اية او خبر لمبتدإ محذوف اى هى جنتان وفيه معنى المدح ويؤيده قراءة النصب
على المدح والمراد بهما جماعتان من البساتين عن يمين وشمال جماعة عن يمين بلدهم وجماعة
عن شماله كل واحدة من تينك الجماعتين فى تقاربهما وتضامهما كانها جنة واحدة او بستان
كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله كلوا من رزق ربكم واشكروا له حكاية لما قيل لهم
على لسان نبيهم تكميلا للنعمة وتذكيرا لحقوقها او لما نطق به لسان الحال او بيان لكونهم احقاء
بان يقال لهم ذلك بلدة طيبة وربّ غفور استيناف مبين لما يوجب الشكر
المامور به اى بلدتكم بلدة طيبة وربكم الذى رزقكم ما فيها من الطيبات وطلب منكم الشكر
ربّ غفور لفرطات من يشكره وقرئ الكل بالنصب على المدح فيل كان اطيب البلاد
هواء واخصبها وكانت المراة تخرج وعلى راسها المكتل فتعمل بيديها وتسير فيما بين الاشجار
فيمتلى المكتل مما يتساقط فيه من الثمار ولم يكن فيه من موذيات الهوام شئ فاعرضوا عن الشكر
بعد ابانة الايات الداعية لهم اليه قيل ارسل الله اليهم ثلثة عشر نبيا فدعوهم الى الله تعالى
وذكروهم بنعمه وانذروهم عقابه فكذبوهم فارسلنا عليهم سيل العرم اى سيل الامر العرم
اى الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه وصعب او المطر الشديد وقيل
العرم جمع عرمة وهى الحجارة المركومة وقيل هو اسم للبناء
الذى يجعل سدا او قيل هو البناء الرصين الذى بنته الملكة بلقيس بين الجبلين بالصخر
والقار وحشت به مآء العيون والامطار وتركت فيها خروقا على ما يحتاجون اليه فى سقيهم
وقيل العرم الجرذ الذى نقب عليهم ذلك السد وهو الفار الاعمى الذى يقال له الخلد سلطه
الله تعالى على سدهم فنقبه ففرق بلادهم وقيل العرم اسم الوادى وقرئ العرم بسكون
الراء فالواو كان ذلك فى الفترة التى كانت بين عيسى والنبى عليهما السلام وبدلناهم بجنتيهم اى
اذهبنا جنتيهم واتينا بدلهما جنتين ذواتى اكل خمط اى ثمر بشع فان الخمط كل نبت اخذ
طعما من مرارة حتى لا يمكن اكله وقيل هو الحامض والمر من كل شئ وقيل هو كل
شجرة يقال لها فسوة الضبع على صوت الخشخاش لا ينتفع بها وقيل هو الاراك او كل
شجر ذى شوك والتقدير اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقرئ
اكل خمط بالاضافة وتخفيف اكل واثل وشئ من سدر قليل معطوف على اكل لا على خمط
فان الاثل هو الطرفا وقيل شجر يشبهه اعظم منه ولا ثمر له وقرئ واثلا وشيئا عطفا على
جنتين قيل وصف السدر بالقلة لما ان جناه وهو النبق مما يطيب اكله ولذلك
يغرس فى البساتين والصحيح ان السدر صنفان صنف يؤكل من ثمره وينتفع بورقه
لغسل اليد وصنف له ثمرة عفصة لا تؤكل اصلا ولا ينتفع بورقه وهو الضال والمراد ههنا
هو الثانى حتما وقال قتادة كان شجرهم خير الشجر فصيره الله تعالى من شر الشجر بما
وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم ذلك اشارة الى مصدر قوله تعالى جزيناهم
او الى ما ذكر من التبديل وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد رتبته فى الغظاعة ومحله على
الاول النصب على انه مصدر مؤكد للفعل المذكور وعلى الثانى النصب على انه مفعول ثان له اى ذلك
الجزاء الفظيع جزيناهم لاجزاء آخر او ذلك التبديل جزيناهم لا غيره بما كفروا بسبب كفرهم
النعمة حيث نزعنا ها منهم ودوصنعنا مكانها ضدها او بسبب كفرهم بالرسل وهل نجازى
الا الكفور اى وما نجازى هذا الجزاء الا المبالغ فى الكفران او الكفر وقرئ نجازى على البناء
للفاعل وهو الله عز وجل وهل نجازى على البناء للمفعول ورفع الكفور وهل نجزى على البناء
للمفعول ايضا وهذا بيان ما اوتوا من النعم الحاضرة فى مساكنهم وما فعلوا بها من الكفران
وما فعل بهم من الجزاء وقوله تعالى وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها حكاية لما اوتوا
من النعم البادية فى مسايرهم ومتاجرهم وما فعلوا بها من الكفران وما حاق بهم بسبب ذلك
تكملة لقصتهم وبيانا لعاقبتهم واتعالم يذكر الكل معا لما فى التثنية والتكرير من زيادة بينة
وتذكير وهو عطف على كان لسبإ لا على ما بعده من الجمل الناطقة بافعالهم او باجزيتها
اى وجعلنا مع ما آتيناهم فى مساكنهم من فنون النعم بينهم اى بين بلادهم وبين القرى
الشامية التى باركنا فيها للعالمين قرى ظاهرة متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها
فهى ظاهرة لاعين اهلها او راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة غير بعيدة عن مسالكهم
حتى تخفى عليهم وقدرنا فيها السير اى جعلنا ما فى نسبة بعضها الى بعض على مقدار
معين يليق بحال ابناء السبيل قيل كان الغادر من قرية يقيل فى اخرى والرائح منها يبيت فى اخرى الى ان يبلغ الشام كل ذلك كان تكميلا لما اوتوا من انواع النعماء
وتوفيرا لها فى الحضر والسفر سيروا فيها على ارادة القول اى وقلنا لهم سيروا فى تلك
القرى ليالى وايامًا اى متى شئتم من الليالى والايام آمنين من كل ما تكرهونه
لا يختلف الامن فيها باختلاف الاوقات او سيروا فيها امنين وان تطاولت
مدة سفركم وامتدت ليالى وايامًا كثيرة او سيروا فيها لياليَ اعماركم وايامها لا تلقون

فيها إلا الأمن لكن لا على الحقيقة بل على تنزيل تمكينهم من السير المذكور وتسوية مباديه وأسبابه على الوجه المذكور منزلة
أمرهم بذلك فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وقرئ يا ربنا بطروا النعمة وسئموا أطيب العيش وملوا العافية
فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو إسرائيل الثوم والبصل مكان المن والسلوى وقالوا لو كان جنى جناننا
أبعد لكان أجدر أن نشتهيه وسألوا أن يجعل الله تعالى بينهم وبين الشام وبين مفاوز وقفارا ليركبوا فيها
الرواحل ويتزودوا الأزواد ويتطاولوا فيها على الفقراء فعجل الله تعالى لهم الإجابة بتخريب تلك القرى المتوسطة
وجعلها بلقعا لا يسمع فيها داع ولا مجيب وقرئ بعد وربنا بعد بين أسفارنا وبعد بين أسفارنا على النداء
وإسناد الفعل إلى بين ورفعه به كما يقال سير فرسخان وبوعد بين أسفارنا وقرئ ربنا باعد بين أسفارنا
وبين سفرنا وبعد برفع ربنا على الابتداء والمعنى على خلاف الأول وهو استبعاد مسائرهم مع قصرها ودنوها
وسهولة سلوكها لفرط تنعمهم وغاية ترفههم وعدم اعتدادهم بنعم الله تعالى كأنهم يتشاجون على الله ويتحا نون
عليه وظلموا أنفسهم حيث عرضوها للسخط والعذاب حين بطروا النعمة أو غمطوها فجعلناهم أحاديث
أي جعلناهم بحيث يتحدث الناس بهم متعجبين من أحوالهم ومعتبرين بعاقبتهم ومآلهم ومزقناهم كل
ممزق أي فرقناهم كل تفريق على أن الممزق مصدر أو كل مطرح ومكان تفريق على أنه اسم مكان وفي عبارة التمزيق
الخاص بتفريق المتصل وخرقه من تهويل الأمر والدلالة على شدة التأثير والإيلام ما لا يخفى أي مزقناهم تمزيقا
لا غاية وراءه بحيث يضرب به الأمثال في كل فرقة ليس بعدها وصال حتى لحق غسان بالشام وأنمار بيثرب
وجذام بتهامة والأزد بعمان وأصل قصتهم على ما رواه الكلبي عن أبي صالح أن عمرو بن عامر من أولاد سبأ
وبينهما اثنا عشر أبا وهو الذي يقال له مزيقيا بن ماء السماء أخبرته طريفة الكاهنة بخراب سد مأرب وتفريق
سيل العرم الجنتين وعن أبي زيد الأنصاري أن عمرا رأى جرذا يحفر السد فعلم أنه لا بقاء له بعد وقيل إنه
كان كاهنا وقد علمه بكهانته فباع أملاكه وسار بقومه وهم ألوف من بلد إلى بلد حتى انتهى إلى مكة المعظمة وأهلها جرهم
وكانوا قهروا الناس وحازوا ولاية البيت على بني إسمعيل عليه السلام وغيرهم فأرسل إليهم ثعلبة بن عمرو بن عامر
يسألهم المقام معهم إلى أن يرجع إليه رواده الذين أرسلهم إلى أصقاع البلاد يطلبون له موضعا يسعه ومن
معه من قومه فأبوا فاقتتلوا فانهزمت جرهم ولم يفلت منهم إلا السريد وأقام ثعلبة بمكة وما حولها
في قومه وعساكره حولا فأصابتهم الحمى فاضطروا إلى الخروج وقد رجع إليه رواده فافترقوا فرقتين فرقة
توجهت نحو عمان وهم الأزد وكندة وحمير ومن يتلوهم وسار ثعلبة نحو الشام فنزل الأوس والخزرج
ابنا حارثة بن ثعلبة بالمدينة وهم الأنصار ومضت غسان فنزلوا بالشام وانخزعت خزاعة بمكة فأقام
بها ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر وهو لحي فولي أمر مكة وحجابة البيت ثم جاءهم أولاد إسمعيل عم
فسألوهم السكنى معهم وحولهم فأذنوا لهم في ذلك وروي عن ابن عباس أن فروة ابن مسيك الغطيفي
سأل النبي عليه السلام عن سبأ فقال عم هو رجل كان له عشرة أولاد ستة منهم سكنوا اليمن وهم مذحج وكندة
والأزد والأشعريون وحمير وأنمار منهم بجيلة وخثعم وأربعة منهم سكنوا الشام وهم لخم وجذام
وعاملة وغسان لما هلكت أموالهم وخربت بلادهم تفرقوا أيدي سبأ شذر مذر فنزلت طوائف
منهم بالحجاز فمنهم خزاعة نزلوا بظاهر مكة ونزلت الأوس والخزرج بيثرب فكانوا أول من سكنها
ثم نزل عندهم ثلاث قبائل من اليهود بنو قينقاع وبنو قريظة والنضير فخالفوا الأوس والخزرج وأقاموا

وأقاموا عندهم ونزلت طوائف أخر منهم بالشام وهم الذين تنصروا فيما بعد وهم غسان وعاملة
ولخم وجذام وتنوخ وتغلب وغيرهم وسبأ تجمع هذه القبائل كلها والجمهور على أن جميع العرب
قسمان قحطانية وعدنانية والقحطانية شعبان سبأ وحضرموت والعدنانية شعبان
ربيعة ومضر وأما قضاعة فمختلف فيها فبعضهم ينسبونها إلى قحطان وبعضهم إلى عدنان والله تعالى أعلم
إن في ذلك أي فيما ذكر من قصتهم لآيات عظيمة لكل صبار شكور أي شأنه الصبر عن الشهوات
ودواعي الهوى وعلى مشاق الطاعات والشكر على النعم وتخصيص هؤلاء بذلك لأنهم المنتفعون بها
ولقد صدق عليهم إبليس ظنه أي حقق عليهم ظنه أو وجده صادقا وقرئ بالتخفيف أي صدق
في ظنه أو صدق يظن ظنه ويجوز تعدية الفعل إليه بنفسه لأنه نوع من القول وقرئ بنصب إبليس
ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده ظنه صادقا ومع التخفيف بمعنى قال له الصدق حين خيله
إغواءهم وبرفعهما والتخفيف على الإبدال وذلك إما ظنه بسبأ حتى رأى انهماكهم في الشهوات
أو ببني آدم حين شاهد آدم عم قد أصغى إلى وسوسته قال إن ذريته أضعف منه عزما وقيل
ظن ذلك عند إخبار الله تعالى الملائكة أنه يجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وقال لأضلنهم
ولأغوينهم فاتبعوه أي أهل سبأ والناس إلا فريقا من المؤمنين إلا فريقا هم المؤمنون لم
يتبعوه على أن من بيانية وتقليلهم بالإضافة إلى الكفار أو إلا فريقا من فرق المؤمنين
لم يتبعوه وهم المخلصون وما كان له عليهم من سلطان أي تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء
وقوله تعالى إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك استثناء مفرغ من أعم العلل
ومن موصولة أي وما كان نسلطه عليهم إلا ليتعلق علمنا بمن يؤمن بالآخرة متميز ممن هو في
شك منها تعلقا حاليا يترتب عليه الجزاء أو إلا ليتميز المؤمن من الشاك أو إلا ليؤمن من قدر
إيمانه ويشك من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغة وربك على كل شيء
حفيظ أي محافظ عليه فإن فعيلا ومفاعلا صيغتان متآخيتان قل أي للمشركين إظهارا لبطلان
ما هم عليه وتبكيتا لهم ادعوا الذين زعمتم أي زعمتموهم آلهة وهما مفعولا زعم ثم حذف الأول
تخفيفا لطول الموصول بصلته والثاني لقيام صفته أعني قوله تعالى من دون الله مقامه ولا سبيل
إلى جعله مفعولا ثانيا لأنه لا يلتئم مع الضمير كلاما وكذا لا يملكون لأنهم لا يزعمونه والمعنى ادعوهم
فيما يهمكم من جلب نفع أو دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم إن صح دعواكم ثم أجاب عنهم إشعارا
بتعين الجواب وأنه لا يقبل المكابرة فقال لا يملكون مثقال ذرة من خير وشر ونفع وضر في السموات
ولا في الأرض أي في أمر ما من الأمور وذكرهما للتعميم عرفا أو لأن آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة
والكواكب وبعضها أرضية كالأصنام أو لأن الأسباب القريبة للخير والشر سماوية وأرضية
والجملة استئناف لبيان حالهم وما لهم أي لآلهتهم فيهما من شرك أي شركة لا خلقا ولا ملكا
ولا تصرفا وما له أي لله تعالى منهم من آلهتهم من ظهير يعينه في تدبير أمورهما ولا تنفع الشفاعة
عنده أي لا توجد رأسا كما في قوله ولا ترى الضب بها ينجحر لقوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده إلا
بإذنه وإنما علق النفي بنفعها لا بوقوعها تصريحا بنفي ما هو غرضهم من وقوعها وقوله تعالى إلا لمن أذن له

استثناء مفرغ من اعم الاحوال اى لاتنفع الشفاعة فى حال من الاحوال الا كائنة لمن اذن له فى
الشفاعة من النبيين والملئكة ونحوهم من المتاهلين لمقام الشفاعة فبتين حرمان الكفرة
منها بالكلية اما من جهة اصنامهم فلظهور انتفاء الاذن لها ضرورة استحالة الاذن فى الشفاعة
لجماد لايعقل ولاينطق واما من جهة من يعبدونه من الملئكة فلان اذنهم مقصور على الشفاعة
للمستحقين لها لقوله تعالى لايتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا ومن البين ان الشفاعة
للكفرة بمعزل من الصواب اولا تنفع الشفاعة من الشفعاء المتاهلين لها فى حال من الاحوال
الا كائنة لمن اذن له اى للحلة وفى شانه من المستحقين للشفاعة واما من عداهم من غير المستحقين
لها فلا تنفعهم اصلا وان فرض وقوعها وصدورها عن الشفعاء اذلم يوذن لهم فى شفاعتهم بل فى
شفاعة غيرهم فعلى هذا يثبت حرمانهم عن شفاعة هولاء بعبارة النص وعن شفاعة الاصنام
بدلالته اذحين حرموها من جهة القادرين على شفاعة بعض المحاجين اليها فلان يحرموها من
جهة العجزة عنها اولى وقرئ اذن له مبنيا للمفعول حتى اذا فزع عن قلوبهم اى قلوب الشفعاء
والمشفوع لهم من المومنين واما الكفرة فهم من موقف الاستشفاع بمعزل وعن التفزيع عن
قلوبهم بالف منزل والتفزيع ازالة الفزع ثم ترك ذكر الفزع واسند الفعل الى الجار والمجرور
وحتى غاية لما ينبئ عنه ما قبلها من الاشعار بوقوع الاذن لمن اذن له فانه مسبوق بالاستيذان
المستدعى للترقب فى الانتظار للجواب كانه سئل كيف يوذن لهم فقيل يتربصون فى موقف
الاستيذان والاستدعاء ويتوقفون على وجل وفزع مليا حتى اذا ازيل الفزع عن قلوبهم بعد
الليا والتى وظهرت لهم تباشير الاجابة قالوا اى المشفوع لهم اذ هم المحاجون الى الاذن
والمهتمون بامره ماذا قال ربكم اى فى شان الاذن قالوا اى الشفعاء لانهم المباشرون
للاستيذان بالذات المتوسطون بينهم وبينه عزوجل بالشفاعة الحق اى قال ربنا القول
الحق وهو الاذن فى الشفاعة للمستحقين لها وقرئ الحق مرفوعا اى ما قاله الحق وهو العلى
الكبير من تمام كلام الشفعاء قالوه اعترافا بغاية عظمة جناب العزة عزوجل وقصور شان
كل من سواه اى هو المتفرد بالعلو والكبرياء ليس لاحد من اشراف الخلائق ان يتكلم
الا باذنه وقرئ فزع مخففا بمعنى فزع وقرئ فزع على البناء للفاعل وهو الله وحده وقرئ
فزع بالراء المهملة والعين المعجمة اى نفى الوجل عنها واقشى من فزع الزاد اذا لم يبق منه
شئ وهو من الاسناد المجازى لان الفزاع وهو الخلو حال ظرفه عند نفاده فاسند اليه على
عكس قولهم جرى النهر وعن الحسن تخفيف الراء واصله فزع الوجل عنها وقشى ثم حذف
الفاعل واسند الى الجار والمجرور وبه يعرف حال التفريغ وقرئ افرنقع عن قلوبهم بمعنى
انكشف عنها قل من يرزقكم من السمٰوٰت والارض امر عليه السلم بتبكيت المشركين بحملهم على
الاقرار بان الههم لايملكون مثقال ذرة منها وان الرازق هو الله تعالى فانهم لاينكرونه
كما ينطق به قوله تعالى قل من يرزقكم من السمٰوٰت والارض ام من يملك السمع والابصار فسيقولون
الله وحيث كانوا يتلعثمون احيانا فى الجواب مخافة الالزام قيل له عليه السلم قل الله اذ لا جواب

جواب سواه عندهم ايضا وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلل مبين اى وان احد الفريقين
من الذين يوحدون المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية ويخصونه بالعبادة والذين يشركون به
فى العبادة الجماد النازل فى ادنى مراتب الامكان لعلى احد الامرين من الهدى والضلال اى
وهذا ابعد مما سبق من التعريب البليغ الناطق بتعيين من هو على الهدى ومن هو فى الضلال
ابلغ من التصريح بذلك لجريانه على سنن الانصاف المكت للخصم الالد وقرئ وانا واياكم
اما على هدى او فى ضلل مبين واختلاف الحارين للايذان بان الهادى كمن استعلى
منارا ينظر الاشياء ويتطلع عليها والضال كانه منغمس فى ظلام لايرى شيا او محبوس
فى مطمورة لايستطيع الخروج منها قل لا تسئلون عما اجرمنا ولا نسئل عما تعملون
وهذا ابلغ فى الانصاف وابعد من الجدل والاعتساف حيث اسند فيه الاجرام الى
اريد به الزلة وترك الاولى الى انفسهم ومطلق العمل الى المخاطبين مع ان اعمالهم اكبر الكبائر
قل يجمع بيننا ربنا يوم القيمة عند الحشر والحساب ثم يفتح بيننا بالحق اى يحكم بيننا ويفصل
بعد ظهور حال كل منا ومنكم بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار وهو الفتاح الحاكم
البفيصل فى القضايا المتعلقة العليم بما ينبغى ان يقضى به قل ارونى الذين الحقتم به الى المحقومهم
به شركاء اريد بامرهم برأة الاصنام مع كونها بمرأى منه عليه السلم اظهار خطائهم العظيم
واطلاعهم على بطلان رايهم اى اروبنها لانظر باى صفة الحقتموها بالله الذى ليس كمثله شئ
فى استحقاق العبادة وفيه فرد تبكيت لهم بعد الزام الحجة عليهم كلا ردع لهم عن المشاركة
بعد ابطال المقايسة بل هو الله العزيز الحكيم اى الموصوف بالغلبة القاهرة والحكمة الباهرة فان
شركاءكم التى هى اخس الاشياء واذلها من هذه الرتبة العالية والضمير امالله عزوعلا او
للشان كما فى قل هو الله احد وما ارسلناك الا كافة للناس اى الا ارسالة عامة حاصلة
لهم فى الابلاغ فهى حال من الكاف والتاء للمبالغة ولا سبيل الى جعلها حالا من الناس لاستحالة
تقدم الحال على صاحبها المجرور بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك فيحملهم جهلهم
على ما هم عليه من الغى والضلال ويقولون من فرط جهلهم وغاية عتيهم متى هذا الوعد ان كنتم
الاستهزاء يعنون به المبشر به والمنذر عنه او الموعود لقوله تعالى ليجمعنا ربنا ثم يفتح بيننا
ان كنتم صادقين مخاطبين لرسول الله صلعم والمومنين به قل لكم ميعاد يوم اى وعد يوم
او زمان وعر والاضافة للتبيين وقرئ ميعاد يوم منونين على البدل وبوما باضمار
اعنى للتعظيم لا تستاخرون عنه عند مجاءته ساعة ولا تستقدمون صفة لميعاد
وفى هذا الجواب من المبالغة فى التهديد ما لا يخفى حيث جعل الاستيخار فى الاستحالة
كالاستقدام الممتنع عقلا وقدر بيانا مرارا ويجوز ان يكون نفى الاستيخار والاستقدام
غير مقيد بالمجاءة فيكون وصف الميعاد بذلك لتحقيقه وتقريره وقال الذين كفروا
لن نومن بهذا القران ولا بالذى بين يديه اى من الكتب القديمة الدالة على البعث
وقيل ان كفار مكة سالوا اهل الكتاب عن رسول الله صلعم فاخبروهم انهم يجدون نعته

في كتبهم فغضبوا فقالوا ذلك وقيل الذي بين يديه القيمة ولو ترى اذ الظالمون المنكرون للبعث موقوفون
عند ربهم اي موقف المحاسبة يرجع بعضهم الى بعض القول اي يتجاوزون ويتراجعون القول
يقول الذين استضعفوا بدل من يرجع الخ اي يقول الاتباع للذين استكبروا في الدنيا واستتبعوهم
في الغي والضلال لولا انتم اي لولا اضلالكم وصدكم لنا عن الايمان لكنا مؤمنين باتباع الرسول عليه السلم
قال الذين استكبروا للذين استضعفوا استيناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال الذين استكبروا
في الجواب فقيل قالوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين منكرين لكونهم هم
الصادين لهم عن الايمان مثبتين انهم هم الصادون بانفسهم بسبب كونهم راسخين في الاجرام وقال
الذين استضعفوا للذين استكبروا اضرابا عن اضرابهم وابطالا له بل مكر الليل والنهار اي بل
صدنا مكركم بنا بالليل والنهار فحذف المضاف اليه واقيم مقامه الظرف اتساعا او جعل ليلهم ونهارهم
ماكرين على الاسناد المجازي وقرئ بل مكر الليل والنهار بالتنوين ونصب الظرفين اي بل صدنا مكركم في
الليل والنهار على ان التنوين عوض عن المضاف اليه او مكر عظيم على انه للتفخيم وقرئ بل مكر الليل والنهار
بالرفع والنصب اي تمكرون الاغواء مكرا دائبا لا تفترون عنه فالرفع على الفاعلية اي بل صدنا مكركم الاغواء
في الليل والنهار على ما سبق من الاتساع في الظرف باقامته مقام المضاف اليه والنصب على المصدرية
اي بل تكرون الاغواء مكر الليل والنهار اي مكرا دائبا وقوله تعالى اذ تامروننا ظرف للمكر اي بل مكركم الدائم وقت
وقت امركم لنا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا على ان المراد بمكرهم اما نفس امرهم بما ذكر كما في قوله تعالى يا قوم
اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا فان الجعلين المذكورين نعمة من الله تعالى واي نعمة
واما امور اخر مقارنة لامرهم داعية الى الامتثال به من الترغيب والترهيب وغير ذلك واسروا
الندامة لما راوا العذاب اي اضمر الفريقان الندامة على ما فعلا من الضلال والاضلال
واخفاها كل منهما عن الآخر مخافة التعيير او اظهروها فانه من الاضداد وهو المناسب لحالهم
وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا اي في اعناقهم والاظهار في موضع الاضمار للتنويه
بذمهم والتنبيه على موجب اغلالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون اي لا يجزون الا جزاء ما كانوا
يعملونه او الا بما كانوا يعملونه على نزع الجار وما ارسلنا في قرية من القرى من نذير الا قال
مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون تسلية لرسول الله صلعم مما يبتلى به من قومه من التكذيب
والكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة الاموال والاولاد والمفاخرة بحظوظ الدنيا وزخارفها
والتكبر بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم من اجله وقولهم اي الفريقين خير مقاما
واحسن نديا بانه لم يرسل قط الى اهل قرية من نذير الا قال مترفوهم مثل ما قال مترفوا
اهل مكة في حقه عليه السلم وكادوا به نحو ما كادوا به عليه السلم وقاسوا امور الآخرة الموهومة
او المفروضة عندهم على امور الدنيا وزعموا انهم لو لم يكرموا على الله تعالى لما رزقهم طيبات
الدنيا ولولا ان المؤمنين هانوا عليه تعالى لما حرموها وعلى ذلك الراي الركيك بنوا احكامهم
وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين اما بناء على انتفاء العذاب الاخرى
راسا او على اعتقاد انه تعالى اكرمهم في الدنيا فلا يهينهم في الآخرة على تقدير وقوعها قل ردا عليهم

عليهم وحسما لمادة طمعهم الفارغ وتحقيقا للحق الذي عليه يدور امر الدين ان ربي يبسط الرزق
لمن يشاء ان يبسط له ويقدر على من يشاء ان يقدره عليه من غير ان يكون لاحد من الفريقين
داع الى ما فعل به من البسط والقدر فربما يوسع على العاصي ويضيق على المطيع وربما يعكس الامر
وربما يوسع عليهما معا وقد يضيق عليهما وقد يوسع على شخص تارة ويضيق عليه اخرى بفعل
كلا من ذلك حسبما يقتضيه مشيته المبنية على الحكم البالغة فلا ينقاس على ذلك امر الثواب والعذاب
اللذين مناطهما الطاعة وعدمها وقرئ ويقدر بالتشديد ولكن اكثر الناس لا يعلمون
ذلك فيزعمون ان مدار البسط هو الشرف والكرامة ومدار القدر هو الهوان ولا يدرون
ان الاول كثيرا ما يكون بطريق الاستدراج والثاني بطريق الابتلاء ورفع الدرجات وما اموالكم
ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى كلام مستانف من جهته عز وعلا خوطب به الناس بطريق
التلوين والالتفات مبالغة في تحقيق الحق وتقرير ما سبق اي وما جماعة اموالكم واولادكم
بالجماعة التي تقربكم عندنا قربة فان الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء في حكم التانيث
او بالخصلة التي قربكم وقرئ بالذي اي بالشيء الذي الا من آمن وعمل صالحا استثناء
مفرغ من مفعول يقربكم اي وما الاموال والاولاد تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذي
انفق امواله في سبيل الله تعالى وعلم اولاده الخير ورباهم على الصلاح ورشحهم للطاعة وقيل
من اموالكم واولادكم على حذف المضاف اي الا اموال من الخ فاولئك اشارة الى من
والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في الفعلين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع
قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل اي فاولئك المنعوتون
بالايمان والعمل الصالح لهم جزاء الضعف اي ثابت لهم ذلك على ان الجار والمجرور خبر
لما بعده والجملة خبر لاولئك وفيه تاكيد لتكرر الاسناد او يثبت لهم ذلك على ان الجار
والمجرور خبر لاولئك وما بعده مرتفع على الفاعلية واضافة الجزاء الى الضعف من اضافة
المصدر الى المفعول اصله فاولئك لهم ان يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ثم جزاء
الضعف ومعناه ان يضعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا فما فوقها وقرئ جزاء الضعف
على فاولئك لهم الضعف جزاء وجزاء الضعف بالرفع على ان الضعف بدل من جزاء
بما عملوا من الصالحات وهم في الغرفات اي غرفات الجنة آمنون من جميع المكاره
وقرئ بفتح الراء وسكونها وقرئ في الغرفة على ارادة الجنس والذين يسعون في آياتنا
بالرد والطعن فيها معاجزين سابقين لانبيائنا او زاعمين انهم يفوتوننا اولئك في
العذاب محضرون لا يجديهم ما عولوا عليه نفعا قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء
اي يوسعه عليه تارة من عباده ويقدر له اي يضيقه عليه تارة اخرى فلا تخشوا الفقر وانفقوا
في سبيل الله وتعرضوا لنفحاته تعالى وما انفقتم من شيء فهو يخلفه عوضا اما عاجلا واما آجلا
وهو خير الرازقين فان غيره واسطة في ايصال رزقه لا حقيقة لرازقيته ويوم يحشرهم
واذا تتلى عليهم آياتنا بينات بيان لبعض آخر من كفرانهم اي اذا تتلى عليهم بلسان

الرسول عليه السلام آياتنا الناطقة بحقية التوحيد وبطلان الشرك قالوا ما هذا يعنون رسول
الله عليه السلام إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم فيستتبعكم بما يستبدعه من
غير أن يكون هناك دين إلهي وإضافة الآباء إلى المخاطبين لا إلى أنفسهم لتحريك
عرق العصبية منهم مبالغة في تقريرهم على الشرك وتنفيرهم عن التوحيد وقالوا ما هذا
يعنون القرآن الكريم إلا إفك أي كلام مصروف عن وجهه لا مصداق له في الواقع
مفترى باسناده إلى الله تعالى وقال الذين كفروا للحق أي لأمر النبوة أو الإسلام أو القرآن
على أن العطف لاختلاف العنوان بأن يراد بالأول معناه وبالثاني نظمه المعجز لما جاءهم
من غير تدبر ولا تأمل فيه إن هذا إلا سحر مبين أي ظاهر سحريته وفي تكرير الفعل والتصريح
بذكر الكفرة وما في اللامين من الإشارة إلى القائلين والمقول فيه وما في لما من المسارعة
إلى البت بهذا القول الباطل إنكار عظيم له وتعجيب بليغ منه وما آتيناهم من كتب يدرسونها
فيها دليل على صحة الإشراك كما في قوله تعالى أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون
وقوله تعالى أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون وقرئ يدرسونها ويدرسونها
بتشديد الدال يفتعلون من الدرس وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير يدعوهم إليه
وينذرهم بالعقاب إن لم يشركوا وقد بان من قبل أن لا وجه له بوجه من الوجوه
فمن أين ذهبوا هذا المذهب الزائغ وهذا غاية تجهيل لهم وتسفيه لرأيهم ثم هددهم
بقوله تعالى وكذب الذين من قبلهم من الأمم المتقدمة والقرون الخالية كما كذبوا وما
بلغوا معشار ما آتيناهم أي ما بلغ هؤلاء عشر ما آتيناهم أولئك من القوة وطول
العمر وكثرة المال أو ما بلغ أولئك عشر ما آتينا هؤلاء من البينات والهدى فكذبوا
رسلي عطف على كذب الذين الخ بطريق التفصيل والتفسير كقوله تعالى كذبت قوم نوح
فكذبوا عبدنا الخ فكيف كان نكير أي إنكاري لهم بالتدمير فليحذر هؤلاء من مثل ذلك
قل إنما أعظكم بواحدة أي ما أرشدكم وأنصح لكم إلا بخصلة واحدة هي ما دل عليه
قوله تعالى أن تقوموا لله على أنه بدل منها أو بيان لها أو خبر مبتدأ محذوف أي هي أن
تقوموا من مجلس رسول الله عليه السلام أو تنتصبوا للأمر خالصا لوجه الله تعالى معرضا
عن المماراة والتقليد مثنى وفرادى أي متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فإن
الازدحام يشوش الأفهام ويخلط الأفكار بالأوهام وفي تقديم مثنى إيذان بأنه
أوثق وأقرب إلى الاطمئنان ثم تتفكروا في أمره عليه السلام وما جاء به لتعلموا حقيقته وحقيته
وقوله تعالى ما بصاحبكم من جنة استئناف مسوق من جهته تعالى للتنبيه على
طريقة النظر والتأمل بأن مثل هذا الأمر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والآخرة
لا يتصدى لادعائه إلا مجنون لا يبالي بافتضاحه عند مطالبته بالبرهان وظهور عجزه
أو مؤيد من عند الله مرشح للنبوة واثق بحجته وبرهانه وإذ قد علمتم أنه عليه السلام أرجح
العالمين عقلا وأصدقهم قولا وأنزههم نفسا وأفضلهم علما وأحسنهم عملا

عملا وأجمعهم للكمالات البشرية وجب أن تصدقوه في دعواه فكيف وقد انضم إلى ذلك
معجزات تخر لها صم الجبال ويجوز أن يتعلق بما قبله على معنى ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم
من جنة وقد جوز أن تكون ما استفهامية على معنى ثم تتفكروا أي شيء به من آثار الجنون
إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد هو عذاب الآخرة فإنه عليه السلام مبعوث
في نسم الساعة قل ما سألتكم من أجر أي أي شيء سألتكم من أجر على الرسالة فهو لكم والمراد
نفي السؤال رأسا كقول من قال لمن لم يعطه شيئا إن أعطيتني شيئا فخذه وقيل ما موصولة
أريد بها ما سألهم بقوله تعالى ما أسألكم عليه من أجر إلا ما شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا وقوله تعالى
لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى واتخاذ السبيل إليه تعالى منفعتهم الكبرى وقرباه عليه السلام
قرباهم إن أجري إلا على الله وهو على كل شيء شهيد مطلع يعلم صدقي وخلوص نيتي و
قرئ إن أجري بسكون الياء قل إن ربي يقذف بالحق أي يلقيه وينزله على من يجتبيه من
عباده أو يرمي به الباطل فيدمغه أو يرمي به في أقطار الآفاق فيكون وعدا بإظهار
الإسلام وإعلاء كلمة الحق علام الغيوب صفة محمولة على محل إن واسمها أو بدل من المستكن
في يقذف أو خبر ثان لإن أو خبر مبتدأ محذوف وقرئ بالنصب صفة لرمى أو مقدرا بأعني
وقرئ بكسر العين وبالفتح كصبور مبالغة غائب قل جاء الحق أي الإسلام والتوحيد
وما يبدئ الباطل وما يعيد أي زهق الشرك بحيث لم يبق أثره أصلا مأخوذ من هلاك الحي
فإنه إذا هلك لم يبق له إبداء ولا إعادة فجعل مثلا في الهلاك بالمرة ومنه قول عبيد
أقفر من أهله عبيد فليس يبدي ولا يعيد وقيل الباطل إبليس أو الصنم
والمعنى لا ينشئ خلقا ولا يعيد أو لا يبدئ خيرا لأهله ولا يعيد وقيل
ما استفهامية منصوبة بما بعدها قل إن ضللت عن الطريق الحق فإنما
أضل على نفسي فإن وبال ضلالي عليها لأنه بسببها إذ هي الحاطة بالذات
والأمارة بالسوء وبهذا الاعتبار قوبل الشرطية بقوله تعالى وإن اهتديت
فبما يوحي إلي ربي لأن الاهتداء بهدايته وتوفيقه وقرئ ربي بفتح
الياء إنه سميع قريب يعلم قول كل من المهتدي والضال وفعله وإن بالغ في
إخفائهما ولو ترى إذ فزعوا عند الموت أو البعث أو يوم بدر وعن ابن
عباس رضي الله عنهما أن ثمانين ألفا يغزون الكعبة ليخربوها فإذا دخلوا
البيداء خسف بهم وجواب لو محذوف أي لرأيت أمرا هائلا فلا فوت
فلا يفوتون الله عز وجل بهرب أو تحصن وأخذوا من مكان قريب
من ظهر الأرض أو من الموقف إلى النار أو من صحراء بدر إلى قليبها
أو من تحت أقدامهم إذا خسف بهم والجملة معطوفة على فزعوا وقيل
على لا فوت على معنى إذ فزعوا فلم يفوتوا وأخذوا ويؤيده أنه قرئ وأخذ
بالعطف على محله أي فلا فوت هنا وهناك أخذ وقالوا آمنا به

اى بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد مر ذكره فى قوله تعالى ما بصاحبكم
وانى لهم التناوش التناوش التناول السهل اى ومن اين
لهم ان يتناولوا الايمان تناولا سهلا من مكان بعيد فكانه فى
حيز التكليف وهم منه بمعزل بعيد وهو تمثيل حالهم فى الاستخلاص
بالايمان بعد ما فات عنهم وبعد بحال من يريد ان يتناول الشئ من
خلوة تناوله من ذراع فى الاستحالة وقرئ بالهمز على قلب الواو
لضمها وهو من ناشت الشئ اذا طلبته وعن ابى عمرو التناءش
بالهمز التناول من بعد من قولهم ناشت اذا ابطأت وتاخرت
ومنه قول من قال تمنى نئيشا ان يكون اطاعنى وقد حدثت
بعد الامور امور وقد كفروا به اى بمحمد صلى الله عليه
وسلم او بالعذاب الشديد الذى انذرهم اياه من قبل
من قبل ذلك فى اوان التكليف ويقذفون بالغيب ويرجمون
بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم فى حق الرسول صلى الله عليه
وسلم من المطاعن او فى العذاب المذكور من بت القول بنفيه
من مكان بعيد من جهة بعيدة من حاله عليه السلم حيث ينسبونه
الى الشعر والسحر والكذب وان ابعد شئ مما جاء به الشعر والسحر
وابعد شئ من عادته المعروفة فيما بين الدانى والقاصى الكذب
ولعله تمثيل لحالهم فى ذلك بحال من يرى شيئا لا يراه من مكان
بعيد لا مجال للوهم فى لحوقه وقرئ ويقذفون على ان الشيطان
يلقى اليهم ويلقنهم ذلك وهو معطوف على قد كفروا به على حكاية
الحال الماضية او على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف فى
تحصيل ما ضيعوه من الايمان فى الدنيا وحيل بينهم وبين ما يشتهون
من نفع الايمان والنجاة من النار وقرئ باشمام الضم
للحاء كما فعل باشياعهم من قبل اى باشباههم
من كفرة الامم الدارجة انهم كانوا فى شك
مريب اى موقع فى الريبة او ذى ريبة والاول
منقول ممن يصح ان يكون مريبا من الاعيان الى المعنى
والثانى من صاحب الشك الى الشك كما يقال
شعر شاعر والله اعلم بالصواب عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبأ لم يبق
رسول ولا نبى الا كان له يوم القيمة رفيقا ومصافحا

سورة الملائكة بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاطر السموات والارض مبدعهما من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتجيه من الفطر وهو
الشق وقيل الشق طولا كانه شق العدم باخراجهما منه واضافته محضة لانه بمعنى الماضى فهو نعت
للاسم الجليل ومن جعلها غير محضة جعله بدلا منه وهو قليل فى المشتق جاعل الملائكة الكلام فى اضافته
وكونه نعتا او بدلا كما قبله وقوله تعالى رسلا منصوب به على الوجه الثانى من الاضافة بالاتفاق واما على
الاول فكذلك عند الكسائى واما عند البصريين فبمضمر يدل هو عليه لان اسم الفاعل اذا كان بمعنى الماضى لا يعمل
عندهم الا معرفا باللام وقال ابو سعيد السيرافى اسم الفاعل المتعدى الى اثنين يعمل فى الثانى لان باضافته
الى الاول تعذرت اضافته الى الثانى فتعين نصبه له وعلل بعضهم ذلك بانه بالاضافة اشبه المعرف باللام
فعمل عمله وقرئ جاعل بالرفع على المدح وقرئ الذى فطر السموات والارض وجعل الملائكة اى جاعلهم
وسائط بينه تعالى وبين انبيائه والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحى والالهام
والرؤيا الصادقة او بينه تعالى وبين خلقه ايضا حيث يوصلون اليهم آثار قدرته وصنعه هذا على
تقدير كون الجعل تصييريا اما على تقدير كونه ابداعيا فرسلا نصب على الحالية وقرئ رسلا بسكون السين
اولى اجنحة صفة لرسلا واولو اسم جمع لذو كما ان اولاء اسم جمع لذا ونظيرهما فى الاسماء المتمكنة
المخاض والخلفة وقوله تعالى مثنى وثلث ورباع صفات لاجنحة اى ذوى اجنحة متعددة متفاوتة
فى العدد حسب تفاوت ما لهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون ويسرعون بها والمعنى ان
من الملئكة خلقا لكل واحد منهم جناحان وخلقا اجنحة كل منهم ثلثة وخلقا آخر لكل منهم اربعة اجنحة
وروى ان صنفا من الملائكة لهم ستة اجنحة بجناحين منها يلفون اجسادهم وباخرين منها
يطيرون فيما امروا به من جهته تعالى وجناحان منها مرخيان على وجوههم حياء من الله عز وجل
وعن رسول الله عليه السلم انه رأى جبرئيل عم ليلة المعراج وله ستمائة جناح وروى انه سأله
عليه السلم ان يتراءى له فى صورته فقال انك لن تطيق ذلك قال انى احب ان تفعل فخرج عليه السلم فى ليلة
مقمرة فاتاه جبريل عليه السلم فى صورته فغشى عليه عليه السلم ثم افاق وجبريل مسنده واحدى يديه
على صدره والاخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت ارى ان شيئا من الخلق هكذا فقال
جبريل عم فكيف لو رايت اسرافيل له اثنان عشر جناحا جناح منها بالمشرق وجناح منها بالمغرب
وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل الاحايين لعظمة الله عز وجل حتى يعود مثل الوضع وهو
العصفور الصغير يزيد فى الخلق ما يشاء استيناف مقرر لما قبله من تفاوت احوال الملئكة
فى عدد الاجنحة ومؤذن بان ذلك من احكام مشيته تعالى لا لامر راجع الى ذواتهم ببيان حكم كلى
ناطق بانه تعالى يزيد فى اى خلق كان كل ما يشاء ان يزيده بموجب مشيته تعالى ومقتضى حكمته من
الامور التى لا يحيط بها الوصف وما روى عن النبى عم من تخصيص بعض المعانى بالذكر من
الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن فبيان لبعض المواد المعهودة بطريق التمثيل
لا بطريق الحصر فيها وقوله تعالى ان الله على كل شئ قدير تعليل بطريق التحقيق للحكم المذكور فان
شمول قدرته تعالى لجميع الاشياء مما يوجب قدرته تعالى على ان يزيد كل ما يشاؤه ايجابا بينا ما يفتح

الله

للناس من رحمة عبر عن ارسالها بالفتح ايذانا بانها انفس الخزائن التي يتنافس فيها المتنافسون
واعزها منالا وتنكيرها للاشاعة والابهام اي اي شيء يفتح الله من خزائن رحمة اية رحمة كانت
من نعمة وصحة وامن وعلم وحكمة الى غير ذلك مما لا يحاط به فلا ممسك لها اي لا احد يقدر على امساكها
وما يمسك اي اي شيء يمسك فلا مرسل له اي لا احد يقدر على ارساله واختلاف الضميرين
لما ان مرجع الاول مفسر بالرحمة ومرجع الثاني مطلق يتناولها وغيرها كائنا ما كان وفيه اشعار
بان رحمته سبقت غضبه من بعده اي من بعد امساكه وهو العزيز الغالب على كل ما يشاء من الامور
التي من جملتها الفتح والامساك الحكيم الذي يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة
تذييل مقرر لما قبلها ومعرب عن كون كل من الفتح والامساك بموجب الحكمة التي عليها يدور امر
التكوين وبعد ما بين سبحانه انه الموجد للملك والملكوت والمتصرف فيهما بالقبض والبسط
من غير ان يكون لاحد في ذلك دخل ما بوجه من الوجوه امر قاطبة او اهل مكة خاصة بشكر نعمه فقال
يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم اي انعامه عليكم ان جعلت النعمة مصدرا او كائنة عليكم
ان جعلت اسما اي راعوها واحفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وتخصيص العبادة والطاعة
بموليها ولما كانت نعم الله تعالى مع تشعب فنونها منحصرة في نعمة الايجاد ونعمة الابقاء نفى ان يكون
في الوجود شيء غير تعالى يصدر عنه احدى النعمتين بطريق الاستفهام الانكاري المنادي باستحالة
ان يجاب عنه بنعم فقال هل من خالق غير الله اي هل خالق مغاير له تعالى موجود على ان خالق مبتدأ
محذوف الخبر زيدت عليه كلمة من لتاكيد العموم وغير الله نعت له في قراءة الجر باعتبار لفظه
وقرئ بالنصب على الاستثناء وقوله تعالى يرزقكم من السماء والارض اي بالمطر والنبات كلام مبتدأ
على التقادير لا محل له من الاعراب داخل في حيز النفي والانكار ولا مساغ لما قبله من انه صفة
اخرى لخالق مرفوعة المحل او مجرورته لان معناه نفي وجود خالق موصوف بوصفي المغايرة والرازقية
معا من غير تعرض لنفي وجود ما اتصف بالمغايرة فقط ولا لما قيل من انه الخبر للمبتدأ ولا لما قيل
من انه مفسر بمضمر ارتفع به قوله تعالى من خالق على الفاعلية اي هل يرزقكم من خالق الخ لما ان معناهما
نفي رازقية خالق مغاير له تعالى من غير تعرض لنفي وجوده راسا مع انه المراد حتما الا ترى الى قوله تعالى
لا اله الا هو فانه استيناف مسوق لتقرير النفي المستفاد منه قصدا او جار مجرى الجواب عما يوهمه
الاستفهام صورة فحيث كان هذا ناطقا بنفي الوجود لتعين ان يكون ذلك ايضا والفاء في
قوله تعالى فانى تؤفكون لترتيب انكار عدولهم عن التوحيد الى الاشراك على ما قبلها كانه قيل واذا
تبين تفرده تع بالالوهية والخالقية والرازقية فمن اي وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك
وقوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله
عليه السلم بين خطابي الناس مسارعة الى تسليته عليه السلم بعموم البلية اولا والاشارة الى الوعد
والوعيد ثانيا اي وان استمروا على ان يكذبوك فيما بلغت اليهم من الحق المبين بعد ما اقمت
عليه الحجة والقمتهم الحجر فتاس باولئك الرسل في المصابرة على ما اصابهم من قبل قومهم فوضع
موضعه ما ذكر اكتفاء بذكر السبب عن ذكر المسبب وتنكير الرسل للتفخيم الموجب لمزيد التسلية والتوجه

الى المصابرة اي رسل اولي شان خطير وذو عدد كثير والى الله ترجع الامور لا الى غيره فيجازي كلا منك
ومنهم بما انتم عليه من الاحوال التي من جملتها صبرك وتكذيبهم وفي الاقتصار على ذكر اختصاص المرجع بالله تعالى
مع ابهام الجزاء ثوابا وعقابا من المبالغة في الوعد والوعيد ما لا يخفى وقرئ ترجع بفتح التاء من الرجوع
والاول ادخل في التهويل يا ايها الناس رجوع الى خطابهم وتكرير النداء لتاكيد العظة والتذكير ان وعد
الله المشار اليه برجع الامور اليه تعالى من البعث والجزاء حق ثابت لا محالة من غير خلف فلا تغرنكم الحيوة
الدنيا بان يذهلكم التمتع بمتاعها ويلهيكم التلهي بزخارفها عن تدارك ما يهمكم يوم حلول الميعاد والمراد نهيهم
عن الاغترار بها وان توجه النهي صورة اليها كما في لا ارينك ههنا ولا يغرنكم بالله وعفوه وكرمه تعالى الغرور
اي المبالغ في الغرور وهو الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار قائلا اعملوا بما شئتم ان الله غفور يغفر
الذنوب جميعا فان ذلك وان امكن لكن تعاطي الذنوب بهذا التوقع من قبيل تناول السم تعويلا
على دفع الطبيعة وتكرير فعل النهي للمبالغة فيه ولاختلاف الغرورين في الكيفية وقرئ الغرور بالضم
على انه مصدر او جمع غار كقعود جمع قاعد ان الشيطان لكم عدو عداوة قديمة لا يكاد تزول وتقديم
لكم للاهتمام به فاتخذوه عدوا بمخالفتكم له في عقائدكم وافعالكم وكونكم على حذر منه في مجامع احوالكم وقوله تعالى
انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب السعير تقرير لعداوته وتحذير من طاعته بالتنبيه على ان غرضه في دعوة
شيعته الى اتباع الهوى والركون الى ملاذ الدنيا ليس تحصيل مطالبهم ومنافعهم الدنيوية كما هو مقصد
المتحابين في الدنيا عند سعي بعضهم في حاجة بعض بل هو تربطهم والقاؤهم في العذاب
المخلد من حيث لا يحتسبون الذين كفروا لهم بسبب كفرهم واجابتهم لدعوة الشيطان و
اتباعهم لخطواته عذاب شديد لا يقادر قدره مديد لا يبلغ مداه والذين امنوا وعملوا
الصالحات لهم بسبب ما ذكر من الايمان والعمل الصالح الذي من جملته عداوة الشيطان
مغفرة عظيمة واجر كبير لا غاية لهما افمن زين له سوء عمله فراه حسنا اما تقرير لما سبق
من التباين البين بين عاقبتي الفريقين ببيان تباين حاليهما المؤديين الى تينك
العاقبتين والفاء لانكار ترتب ما بعدها على ما قبلها اي ابعد حال كونهما كما ذكر يكون من
زين له الكفر من جهة الشيطان فانهمك فيه كمن استقبحه واجتنبه واختار الايمان والعمل
الصالح حتى لا يكون عاقبتاهما كما ذكر فحذف ما ذكر حذف لدلالة ما سبق عليه وقوله تعالى
فان الله يضل تقرير له وتحقيق للحق ببيان ان الكل بمشيئته تعالى اي فانه تعالى
يضل من يشاء ان يضله لاستحسانه واستحبابه الضلال وصرف اختياره اليه فرده
اسفل سافلين ويهدي من يشاء ان يهديه لصرف اختياره الى الهدى فيرفعه الى
اعلى عليين واما تمهيد لما يعقبه من نهيه عليه السلام عن التحسر والتحزن عليهم لعدم اسلامهم
ببيان انهم ليسوا باهل لذلك بل لان يضرب عنهم صفحا ولا يبالي بهم قطعا اي ابعد
كون حالهم كما ذكر تتحسر عليهم فحذف لما دل عليه قوله تعالى فلا تذهب نفسك عليهم
حسرات دلالة بينة واما تمهيد لصرفه عليه السلم عما كان عليه من الحرص الشديد على اسلامهم
والمبالغة في دعوتهم اليه ببيان استحالة تحولهم عن الكفر لكونه في غاية الحسن عندهم

كون حالهما ساكه

اي ابعد ما ذكر من زين له الكفر من قبل الشيطان فرآه حسنا فانهمك فيه يقبل الهداية حتى تطمع
في اسلامه وتتعب نفسك في دعوته فحذف ما حذف لدلالة ما مر من قوله تعالى فان الله يضل
من يشاء الخ على انه ممن شاء الله تعالى ان يضله فمن استفهامية يهدي من اضل الله وما
لهم من ناصرين وقرئ فلا تذهب نفسك عليهم وقوله تعالى حسرات اما مفعول له اي فلا
تهلك نفسك للحسرات والجمع للدلالة على تضاعف اغتمامه عليه السلم على احوالهم او على كثرة
قبائح اعمالهم الموجبة للتاسف والتحسر وعليهم صلة تذهب كما يقال هلك عليه حبا ومات
عليه حزنا او هو بيان للمتحسر عليه ولا يجوز ان يتعلق بحسرات لان المصدر لا يتقدم عليه
صلته واما حال كان كلها صارت حسرات وقوله تعالى ان الله عليم بما يصنعون اي من القبائح
تعليل لما قبله على الوجوه الثلثة مع ما فيه من الوعيد عن ابن عباس رض انها نزلت في ابي
جهل ومشركي مكة والله الذي ارسل الرياح مبتداء وخبر وقرئ الريح وصيغة المضارع
في قوله تعالى فتثير سحابا لحكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة
على كمال القدرة والحكمة ولان المراد بيان احداثها لتلك الخاصية ولذلك اسند اليها
او للدلالة على استمرار الاثارة فسقناه الى بلد ميت وقرئ بالتخفيف فاحيينا به
الارض اي بالمطر النازل منه المدلول عليه بالسحاب فان بينهما تلازما في الذهن كما في
الخارج او بالسحاب فانه سبب السبب بعد موتها اي يبسها وايراد الفعلين على
صيغة الماضي للدلالة على التحقق واسنادهما الى نون العظمة المنبئ عن اختصاصهما
به تعالى لما فيهما من مزيد الصنع ولتكميل المماثلة بين احياء الارضين وبين البعث الذي
شبه بقوله تعالى كذلك النشور في كمال الاختصاص بالقدرة الربانية والكاف في حيز
الرفع على الخبرية اي مثل ذلك الاحياء الذي تشاهدونه احياء الاموات في صحة المقدورية
وسهولة التاتي من غير تفاوت بينهما اصلا سوى الالف في الاول دون الثاني وقيل في
كيفية الاحياء يرسل الله تعالى من تحت العرش ماء فينبت منه اجساد الخلق من كان
يريد العزة هم المشركون الذين كانوا يتعززون بعبادة الاصنام كقوله تعالى
واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا والذين كانوا يتعززون بهم من
الذين آمنوا بالسنتهم كما في قوله تعالى الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون
المؤمنين ايبتغون عندهم العزة والجمع بين كان ويريد للدلالة على دوام
الارادة واستمرارها فلله العزة جميعا اي له تعالى وحده لا لغيره عزة الدنيا
وعزة الاخرة اي فليطلبها منه لا من غيره فاستغنى عن ذكره بذكر دليله ايذانا
فان اختصاص العزة به تعالى موجب لتخصيص طلبها به تعالى وقوله تعالى اليه يصعد
الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد
والعمل الصالح وصعودهما مجاز عن قبوله تعالى اياهما وصعود الكتبة بصحيفتهما
وتقديم الجار والمجرور عبارة عن كمال الاعتداد به كقوله تعالى هو يقبل التوبة عن عباده

عباده ويأخذ الصدقات اي اليه يصل الكلم الطيب الذي به يطلب العزة لا الى الملائكة الموكلين باعمال العباد
فقط وهو يعز صاحبه ويعطي طلبته بالذات والمستكن في يرفعه للكلم فان مدار قبول العمل هو التوحيد
ويؤيده القراءة بنصب العمل او للعمل فانه يحقق الايمان ويقويه ولا ينال الدرجات العالية الا به وقرئ
يصعد من الاصعاد على البنائين والمصعد هو الله سبحانه او المتكلم به او الملك وقيل الكلم الطيب
يتناول الذكر والدعاء والاستغفار وقراءة القرآن وعنه عليه السلم انه سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر اذا قاله العبد عرج به الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل وعن ابن
مسعود رض ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وتبارك
الله الا اخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه ثم صعد بهن فما يمر بهن على جمع من الملائكة الا استغفروا
لقائلهن حتى يحيي بهن وجه رب العالمين ومصداقه قوله عز وجل اليه يصعد الكلم الطيب الخ والذين يمكرون
السيئات بيان لحال الكلم الخبيث والعمل السيئ واهلهما بعد بيان حال الكلم الطيب والعمل الصالح و
انتصاب السيئات على انه صفة للمصدر المحذوف اي يمكرون المكرات السيئات وهي مكرات قريش بالنبي
عليه السلم في دار الندوة وتدارؤهم الرأي في احدى الثلث التي هي الاثبات والقتل والاخراج لهم بسبب
مكراتهم عذاب شديد لا يقادر قدره ولا يؤبه عنده لما يمكرون ومكر اولئك وضع اسم الاشارة موضع ضميرهم
للايذان بكمال تميزهم بما هم فيه من الشر والفساد عن سائر المفسدين واشتهارهم بذلك وما فيه من معنى البعد
للتنبيه على ترامي امرهم في الطغيان وبعد منزلتهم في العدوان اي ومكر اولئك المفسدين الذين ارادوا ان يمكروا
به عليه السلم هو يبور اي هو يهلك ويفسد خاصة لا من مكروا به ولقد ابارهم الله تعالى بعد ابارة مكراتهم حيث
اخرجهم من مكة وقتلهم واثبتهم في قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم الثلث التي اكتفوا في حقه عليه السلم بواحدة منهن
والله خلقكم من تراب دليل آخر على صحة البعث والنشور اي خلقكم ابتداء منه في ضمن خلق آدم عليه السلم
خلقا اجماليا كما مر تحقيقه مرارا ثم من نطفة اي ثم خلقكم منها خلقا تفصيليا ثم جعلكم ازواجا اي اصنافا
او ذكرانا واناثا وعن قتادة جعل بعضكم زوجا لبعض وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه الا ملتبسة
بعلمه تابعة لمشيته وما يعمر من معمر اي من احد وانما سمي معمرا باعتبار مصيره اي وما يمد في عمر احد
ولا ينقص من عمره اي من عمر احد على طريقة قولهم لا يثبت الله عبدا ولا يعاقبه الا بالحق لكن لا على
معنى لا ينقص عمره بعد كونه زايدا بل على معنى لا يجعل من الابتداء ناقصا وقيل الزيادة والنقص
في عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة اثبت في اللوح مثل ان يكتب فيه ان حج فلان فعمره ستون والا
فاربعون واليه اشار صلعم بقوله الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في الاعمار وقيل
المراد بالنقص ما يمر من عمره وينقص فانه يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب تحت
ذلك ذهب يوم ذهب يومان وهكذا حتى ياتي على آخره وقرئ لا ينقص على البناء للفاعل و
من عمره بسكون الميم الا في كتاب عن ابن عباس رض انه اللوح وقيل علم الله عز وجل وقيل صحيفة
كل انسان ان ذلك اي ما ذكر من الخلق وما بعده مع كونه مجازا للعقول والافهام على الله
يسير لاستغنائه عن الاسباب فكذلك البعث وما يستوي البحران هذا عذب فرات
سائغ شرابه وهذا ملح اجاج مثل ضرب للمؤمن والكافر والفرات الذي يكسر العطش والسائغ

جواب النفي

الذي يسهل انحداره لعذوبته والاجاج الذي يحرق بملوحته وقرئ سيغ كسيد وسيغ
بالتخفيف وملح ككتف وقوله تعالى ومن كل اي من كل واحد منهما تأكلون لحما طريا وتستخرجون
اي من المالح خاصة حلية تلبسونها اما استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم والمنافع
واما تكملة للتمثيل والمعنى كما انهما وان اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان من حيث
انهما متفاوتان فيما هو المقصود بالذات من الماء لما خالط احدهما ما افسده وغيره
عن كمال فطرته لا يساوي الكافر المؤمن وان شاركه في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة
ونحوهما لتباينهما فيما الخاصية العظمى لبقاء احدهما على فطرته الاصلية وحيازته لكماله
اللائق دون الآخر او تفضيل للاجاج على الكافر من حيث انه يشارك العذب في منافع
كثيرة والكافر خلو من المنافع بالكلية على طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك
فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج
منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله والمراد بالحلية اللؤلؤ والمرجان
وترى الفلك فيه اي في كل منهما وافراد ضمير الخطاب مع جمعه فيما سبق وما لحق لان
الخطاب لكل احد يتأتى منه الرؤية دون المنتفعين بالبحرين فقط مواخر شواق للماء بجريها
مقبلة ومدبرة بريح واحدة لتبتغوا من فضله من فضل الله تعالى بالنقلة فيها واللام
متعلقة بمواخر وقد جوزت تعلقها بما يدل عليه الافعال المذكورة اي فعل ذلك لتبتغوا من فضله
ولعلكم تشكرون اي ولتشكروا على ذلك وحرف الترجي للايذان بكونه مرضيا عنده تعالى
يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل بزيادة احدهما ونقص الآخر باضافة بعض
اجزاء كل منهما الى الآخر وسخر الشمس والقمر عطف على يولج واختلافهما صيغة لما ان ايلاج
احد الملوين في الآخر متجدد حينا فحينا واما تسخير النيرين فامر لا تعدد فيه وانما المتعدد
والمتجدد آثاره وقد اشير اليه بقوله تعالى كل يجري اي بحسب حركته الخاصة وحركته القسرية
على المدارسة اليومية المتعددة حسب تعدد ايام السنة جريانا مستمرا لاجل مسمى
قدره الله تعالى لجريانهما وهو يوم القيمة كما روي عن الحسن رض وقيل هو جريانهما عبارة
عن حركتيهما الخاصتين بهما في فلكيهما والاجل المسمى عن منتهى دوريتهما ومدة الجريان
للشمس سنة وللقمر شهر وقد مر تفصيله في سورة لقمن ذلكم اشارة الى فاعل الافاعيل
المذكورة وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية العظمة وهو مبتدأ وما بعده اخبار
مترادفة اي ذلكم العظيم الشان الذي ابدع هذه الصنائع البديعة الله ربكم
له الملك وفيه من الدلالة على ان ابداعه تعالى لتلك البدائع مما يوجب ثبوت
تلك الاخبار له ما لا يخفى ويجوز ان يكون الاخير كلاما مبتدأ في مقابلة قوله تعالى والذين
تدعون من دونه ما يملكون من قطمير للدلالة على تفرده تعالى بالالوهية والربوبية
وقرئ يدعون بالياء التحتانية والقطمير لفافة النواة وهو مثل في القلة والحقارة
ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم استيناف مقرر لمضمون ما قبله كاشف عن جلية حال

حال ما يدعونه بانه جماد ليس من شانه السماع ولو سمعوا على الفرض والتقدير ما استجابوا لكم
لعجزهم عن الافعال بالمرة لا لما قيل من انهم متبرؤون منكم ومما تدعون لهم فان ذلك مما لا
يتصور منهم في الدنيا ويوم القيمة يكفرون بشرككم اي يجحدون باشراككم لهم وعبادتكم
اياهم بقولهم ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك مثل خبير اي لا يخبر بالامر مخبر مثل
خبير اخبركم به وهو الحق سبحانه فانه الخبير بكنه الامور دون سائر المخبرين والمراد
تحقيق ما اخبر به من حال آلهتهم ونفي ما يدعون لهم من الالهية يا ايها الناس
انتم الفقراء الى الله في انفسكم وفيما يعن لكم من امر مهم او خطب ملم وتعريف
الفقراء للمبالغة في فقرهم كانهم لكثرة افتقارهم وشدة احتياجهم هم الفقراء
فحسب وان افتقار سائر الخلائق بالنسبة الى فقرهم بمنزلة العدم ولذلك قال تعالى
وخلق الانسان ضعيفا والله هو الغني الحميد اي المستغني على الاطلاق المنعم
على سائر الموجودات المستوجب للحمد ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد
ليسوا على صفتكم بل مستمرون على الطاعة او بعالم آخر غير ما تعرفونه وما ذلك
اي ما ذكر من الاذهاب بهم والاتيان بآخرين على الله بعزيز بمتعذر ولا متعسر
ولا تزر وازرة اي لا تحمل نفس آثمة وزر اخرى اثم نفس اخرى بل انما تحمل
كل منهما وزرها واما ما في قوله تعالى وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم من حمل
المضلين اثقالا غير اثقالهم فهو حمل اثقال اضلالهم مع اثقال ضلالهم وكلاهما اوزارهم
ليس فيها من اوزار غيرهم شيء وان تدع مثقلة اي نفس اثقلها الاوزار الى حملها ليحمل بعض اوزارها
لا يحمل منه شيء لم يجب بحمل شيء منه ولو كان ذا قربى ذا قربة من الداعي وقرئ ذو قربى وهذا نفي
للحمل اختيارا والاول نفي له اجبارا انما تنذر استيناف مسوق لبيان من يتعظ بما ذكر اي انما
تنذر بهذه الانذارات الذين يخشون ربهم بالغيب اي يخشونه تعالى غائبين عن عذابه او عن
الناس في خلواتهم او يخشون عذابه وهو غائب عنهم واقاموا الصلوة اي راعوها كما ينبغي وجعلوها
منارا منصوبا وعلما مرفوعا اي انما ينفع انذارك وتحذيرك هؤلاء من قومك دون من عداهم من
اهل التمرد والعناد ومن تزكى اي تطهر من اوضار الاوزار والمعاصي بالتأثر من هذه الانذارات
فانما يتزكى لنفسه لاقتصار نفعه عليها كما ان من تدنس بها لا يتدنس الا عليها وقرئ من ازكى فانما
يزكى وهو اعتراض مقرر لخشيتهم واقامتهم الصلاة لانهما من معظم مبادي التزكي والى الله المصير
لا الى احد غيره استقلالا او اشتراكا فيجازيهم على تزكيهم احسن الجزاء وما يستوي الاعمى والبصير
اي الكافر والمؤمن ولا الظلمات ولا النور اي ولا الباطل ولا النور ولا الحق وجمع الظلمات مع افراد
النور لتعدد فنون الباطل واتحاد الحق ولا الظل ولا الحرور اي ولا الثواب ولا العقاب
وادخال لا على المتقابلين لتذكير نفي الاستواء وتوسيطها بينهما للتأكيد والحرور فعول من الحر غلب
على السموم وقيل السموم ما يهب نهارا والحرور ما يهب ليلا وما يستوي الاحياء ولا الاموات
تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين ابلغ من الاول ولذلك كرر الفعل واوثر صيغة الجمع في الطرفين تحقيقا

للتباين بين افراد الفريقين وقيل تمثيل للعلماء والجهلة ان الله يسمع من يشاء ان يسمعه ويوفقه
لفهم آياته والاتعاظ بعظاته وما انت بمسمع من في القبور ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالاموات
واشباع في اقناطه عليه السلام من ايمانهم ان انت الا نذير ما عليك الا الانذار واما الاسماع البتة
فليس من وظائفك ولا حيلة لك اليه في المطبوع على قلوبهم انا ارسلناك بالحق اي محقين او محقا انت
او ارسالا مصحوبا بالحق ويجوز ان يتعلق بقوله بشيرا ونذيرا اي بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد
الحق وان من امة اي ما من امة من الامم الدارجة في الازمنة الماضية الا خلا اي مضى فيها نذير من نبي
او عالم ينذرهم والاكتفاء بذكره للعلم بان النذارة قرينة البشارة لا سيما وقد اقترنا آنفا ولان
الانذار هو الانسب بالمقام وان يكذبوك اي تموا على تكذيبك فلا تبال بهم وبتكذيبهم فقد كذب الذين
من قبلهم من الامم العاتية جاءتهم رسلهم بالبينات اي المعجزات الظاهرة الدالة على نبوتهم وبالزبر
كصحف ابرهيم وبالكتاب المنير كالتورية والانجيل والزبور على ارادة التفصيل دون الجمع ويجوز ان يراد بهما
واحد والعطف لتغاير العنوانين ثم اخذت الذين كفروا وضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في
حيز الصلة والاشعار بعلة الاخذ فكيف كان نكير اي انكاري بالعقوبة وفيه مزيد تشديد وتهويل لها الم تر
استيناف مسوق لتقرير ما قبله من اختلاف احوال الناس ببيان ان الاختلاف
والتفاوت امر مطرد في جميع المخلوقات من النبات والجماد والحيوان والرؤية قلبية
اي الم تعلم ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به بذلك الماء والالتفات لاظهار
كمال الاعتناء بالفعل لما فيه من الصنع البديع المنبئ عن كمال القدرة والحكمة ثمرات
مختلفا الوانها اي اجناسها او اصنافها على ان كلا منها ذو اصناف مختلفة او هيئتها
واشكالها او الوانها من الصفرة والخضرة والحمرة وغيرها وهو الاوفق لما في قوله تعالى
ومن الجبال جدد اي ذو جدد اي خطط وطرائق ويقال جدة الحمار للخطة السوداء على
ظهره وقرئ جدد بالضم جمع جديدة بمعنى الجدة وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح
بيض وحمر مختلف الوانها بالشدة والضعف وغرابيب سود عطف على بيض
او على جدد كانه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد غرابيب وهو
تاكيد لمضمر يفسره ما بعده فان الغربيب تاكيد للاسود كالفاقع للاصفر والقاني للاحمر ومن
حق التاكيد ان يتبع المؤكد ونظيره في الصفة قول النابغة والمؤمن العائذات الطير
يمسحها وفي مثله مزيد تاكيد لما فيه من التكرار باعتبار الاضمار والاظهار ومن الناس
والدواب والانعام مختلف الوانه اي ومنهم بعض مختلف الوانه او وبعضهم
مختلف الوانه على ما مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وايراد الجملتين اسميتين
مع مشاركتهما لما قبلهما من الجملة الفعلية في الاستشهاد بمضمونهما على تباين الناس في
الاحوال الباطنة لما ان اختلاف الجبال والناس والدواب والانعام فيما ذكر من
الالوان امر مستمر فعبر عنه بما يدل على الاستمرار واما اخراج الثمرات المختلفة
فحيث كان امرا حادثا عبر عنه بما يدل على الحدوث ثم لما كان فيه نوع خفاء علق به الرؤية

الرؤية بطريق الاستفهام التقريري المنبئ عن الحمل عليها والترغيب فيها بخلاف احوال الجبال
والناس وغيرهما فانها مشاهدة غنية عن التامل فلذلك جردت عن التعليق بالرؤية فتدبر
وقوله تعالى كذلك مصدر تشبيهي لقوله تعالى مختلف اي صفة لمصدره المؤكد تقديره مختلف
اختلافا كائنا كذلك اي كاختلاف الثمار والجبال وقرئ الوانها وقرئ والدواب
بالتخفيف مبالغة في الهرب من التقاء الساكنين وقوله تعالى انما يخشى الله من عباده
العلماء تكملة لقوله تعالى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب بتعيين من يخشاه عز وجل
من الناس بعد بيان اختلاف طبقاتهم وتباين مراتبهم اما في الاوصاف المعنوية
فبطريق التمثيل واما في الاوصاف الصورية فبطريق التصريح توفية لكل واحدة منهما حقها
اللائق بها من البيان اي انما يخشاه تعالى بالغيب العالمون به وبما يليق به من صفاته الجليلة
وافعاله الجميلة لما ان مدار الخشية معرفة المخشي والعلم بشئونه فمن كان اعلم به تعالى
كان اخشى منه عز وجل كما قال عليه السلام انا اخشاكم لله واتقاكم له ولذلك عقب بذكر افعاله
الدالة على كمال قدرته وحيث كان الكفرة بمعزل من هذه المعرفة امتنع انذارهم بالكلية
وتقديم المفعول لان المقصود حصر الفاعلية ولو اخر انعكس الامر وقرئ برفع الاسم
الجليل ونصب العلماء على ان الخشية مستعارة للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا ان الله عزيز
غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه
ان الذين يتلون كتاب الله اي يداومون على قراءته او متابعة ما فيه حتى صارت سمة
لهم وعنوانا والمراد بكتاب الله تعالى القرآن وقيل جنس كتب الله تعالى فيكون ثناء على المصدقين
من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين منهم وليس بذاك فان صيغة المضارع منادية
باستمرار مشروعية تلاوته والعمل بما فيه واستتباعهما لما سياتي من توفية الاجور
وزيادة الفضل وحملها على حكاية الحال الماضية مع كونه تعسفا ظاهرا مما لا سبيل اليه
كيف لا والمقصود الترغيب في دين الاسلام والعمل بالقرآن الناسخ لما بين يديه من
الكتب فالتعرض لبيان حقيتها قبل انتساخها والاشباع في ذكر استتباعها لما ذكر من
الفوائد العظيمة مما يورث الرغبة في تلاوتها والاقبال على العمل بها وتخصيص التلاوة
بما لم ينسخ منها باطل قطعا لما ان الباقي مشروعا ليس الا حكمها لكن لا من حيث انه حكمها
بل من حيث انه حكم القرآن واما تلاوتها فبمعزل من المشروعية واستتباع الاجر
بالمرة فتدبر واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية كيف ما اتفق
من غير قصد اليهما وقيل السر في المسنونة والعلانية في المفروضة يرجون تجارة
تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر ان وقوله تعالى لن تبور اي لن تكسد ولن تهلك
بالخسران اصلا صفة للتجارة جيء بها للدلالة على انها ليست كسائر التجارات
الدائرة بين الربح والخسران لانه اشتراء باق بفان والاخبار برجائهم من اكرم
الاكرمين عدة قطعية بحصول مرجوهم وقوله تعالى ليوفيهم اجورهم متعلق بلن تبور

وهو الخروج عن الطريق المستقيم لغة

على معنى انه ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله تعالى ليوفيهم اجور اعمالهم ويزيدهم من فضله
على ذلك من خزاين رحمته ما يشاء وقيل بمضمر دل عليه ما عد من افعالهم المرضية اي فعلوا
ذلك ليوفيهم الخ وقيل يرجون على ان اللام للعاقبة انه غفور شكور تعليل لما قبله من التوفية
والزيادة اي غفور لفرطاتهم شكور لطاعاتهم اي مجازيهم عليها وقيل هو خبر ان الذين و
يرجون حال من واو انفقوا والذي اوحينا اليك من الكتاب وهو القرآن ومن للتبيين او
الجنس ومن للتبعيض وقيل اللوح ومن للابتداء هو الحق مصدقا لما بين يديه اي احقه
مصدقا لما تقدمه من الكتب السماوية حال موكدة لان حقيته تستلزم موافقته اياه في العقائد واصول
الاحكام ان الله بعباده لخبير بصير محيط ببواطن امورهم وظواهرها فلو كان في احوالك ما ينافي
النبوة لم يوح اليك مثل هذا الحق المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب وتقديم الخبير للتنبيه على ان العمدة
هي الامور الروحانية ثم اورثنا الكتاب اي قضينا بتوريثه منك او نورثه والتعبير عنه بالماضي
لتقرره وتحققه وقيل اورثناها من الامم السالفة اي اخرناه عنهم واعطيناه الذين اصطفينا
من عبادنا وهم علماء الامة من الصحابة ومن بعدهم ممن يسير سيرتهم او الامة باسرهم فان الله تعالى
اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم امة وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء
الى افضل رسله عليهم الصلوات وليس من ضرورة وراثة الكتاب مراعاته حق رعايته لقوله تعالى
فخلف من بعدهم ورثوا الكتاب الآية فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير في العمل به وهو المرجاء لامر الله
ومنهم مقتصد يعمل به في اغلب الاوقات ولا يخلو من خلط السيئ ومنهم سابق بالخيرات باذن
الله قيل هم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقيل هم المداومون على اقامة
مواجبه علما وعملا وتعليما وفي قوله تعالى باذن الله اي بتيسيره وتوفيقه تنبيه على عزة منال هذه الرتبة
وصعوبة ماخذها وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم
والمقتصد الذي خلط الصالح بالسيئ والسابق الذي ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته
مكفرة وهي معنى قوله عليه السلام اما الذين سبقوا فاولئك يدخلون الجنة ويرزقون بغير حساب
واما المقتصد فاولئك يحاسبون حسابا يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك يحبسون في طول
الحشر ثم يتلقاهم الله تعالى برحمته وقد روي ان عمر رض قال وهو على المنبر قال رسول الله
عليه السلام سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له ذلك اشارة الى السبق بالخيرات
وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الشرف
هو الفضل الكبير من الله عز وعلا لا ينال الا بتوفيقه تعالى جنات عدن اما بدل من الفضل
الكبير بتنزيل السبب منزلة المسبب او مبتدا خبره يدخلونها وعلى الاول هو مستانف وجمع
الضمير لان المراد بالسابق الجنس وتخصيص حال السابقين وما لهم بالذكر والسكوت عن الفريقين
الآخرين وان لم يدل على حرمانهما من دخول الجنة مطلقا لكن فيه تحذيرا لهما من التقصير وتحريضا على
السعي في ادراك شاو السابقين وقرئ جنات عدن وجنة عدن على النصب بفعل يفسره الظاهر
وقرئ يدخلونها على البناء للمفعول يحلون فيها خبر ثان او حال مقدرة وقرئ يحلون من حليت المرأة

الانتماء
الانتساب

المرأة فهي حالية من اساور هي جمع اسورة جمع سوار من ذهب من الاولى تبعيضية والثانية
بيانية اي يحلون بعض اساور من ذهب كانه افضل من سائر افرادها ولؤلؤا بالنصب
عطفا على محل من اساور وقرئ بالجر عطفا على ذهب اي من ذهب مرصع من لؤلؤ او من
ذهب في صفاء اللؤلؤ ولباسهم فيها حرير وتغيير الاسلوب قد مر سره في سورة الحج وقالوا
اي يقولون وصيغة الماضي للدلالة على التحقق الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وهو ما اهمهم
من خوف سوء العاقبة وعن ابن عباس رض حزن الاعراض والآفات وعنه حزن الموت
وعن الضحاك حزن وسوسة ابليس وقيل هم المعاش وقيل حزن زوال النعم والظاهر
انه الجنس المنتظم لجميع احزان الدين والدنيا وقرئ الحزن وعن رسول الله عليه السلام ليس على
اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في محشرهم ولا في مسيرهم وكاني باهل لا اله الا الله
يخرجون من قبورهم ينفضون التراب عن وجوههم ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن
ان ربنا لغفور اي للمذنبين شكور للمطيعين الذي احلنا دار المقامة اي دار الاقامة
التي لا انتقال عنها ابدا من فضله من انعامه وتفضله من غير ان يوجبه شيء من قبلنا لا يمسنا
فيها نصب تعب ولا يمسنا فيها لغوب كلال والفرق بينهما ان النصب نفس المشقة
والكلفة واللغوب ما يحدث منه من الفتور والتصريح بنفي الثاني مع استلزام نفي الاول له
وتكرير الفعل المنفي للمبالغة في بيان انتفاء كل منهما والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم
لا يحكم عليهم بموت ثان فيموتوا ويستريحوا ونصبه باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا على
يقضى كقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولا يخفف عنهم من عذابها بل كلما خبت زيد اسعارها
كذلك اي مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي كل كفور مبالغ في الكفر او الكفران لا جزاء اخف وادنى
منه وقرئ يجزى على البناء للمفعول واسناده الى الكل وقرئ نجازي وهم يصطرخون فيها
يستغيثون والاصطراخ افتعال من الصراخ استعمل في الاستغاثة لجهر المستغيث صوته
ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل باضمار القول وتقييد العمل الصالح بالوصف
المذكور للتحسر على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف به والاشعار بان استخراجهم لتلافيه وانهم
كانوا يحسبونه صالحا وللان تبين خلافه وقوله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر جواب
من جهته تعالى وتوبيخ لهم والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام وما نكرة
موصوفة اي الم نمهلكم او الم نؤخركم ولم نعمركم عمرا يتذكر فيه من تذكر اي يتمكن فيه المتذكر من
التذكر والتفكر قيل هو اربعون سنة وعن ابن عباس ستون سنة وروي ذلك عن علي رض
وهو العمر الذي اعذر الله تعالى فيه الى ابن آدم قال عليه السلام اعذر الله الى امرئ اخر اجله
حتى بلغ ستين سنة وقوله تعالى وجاءكم النذير عطف على الجملة الاستفهامية لانها في معنى
قد عمرناكم كما في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك ووضعنا الخ لانه في معنى قد شرحنا له والمراد بالنذير
رسول الله عليه السلام او ما معه من القرآن وقيل العقل وقيل الشيب وقيل موت الاقارب
والاقتصار على ذكر النذير لانه الذي يقتضيه المقام والفاء في قوله تعالى فذوقوا لترتيب الامر بالذوق

أي تدارك

على ما قبلها من التعبير ومجئ التذير وفي قوله تعالى فما للظالمين من نصير للتعليل ان الله عالم غيب
السموات والارض بالاضافة وقرئ بالتنوين ونصب غيب على المفعولية اى لا يخفى عليه
خافية فيهما فلا يخفى عليه احوالهم انه عليم بذات الصدور قيل انه تعليل لما قبله لانه اذا علم مضمرات
الصدور وهي اخفى ما يكون كان اعلم بغيرها هو الذي جعلكم خلائف الارض تعليل للتحذير
خليفة وخليف والاول يجمع خلائف والثاني خلفاء والمعنى انه تعالى جعلكم خلفاء في ارضه
والقى اليكم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها واباح لكم منافعها او جعلكم خلفاء من قبلكم
من الامم واورثكم ما بايديهم من متاع الدنيا لتشكروه بالتوحيد والطاعة فمن كفر منكم مثل هذه
النعمة السنية وغمطها فعليه كفره اى وبال كفره لا يتعداه الى غيره وقوله تعالى ولا يزيد الكافرين
كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا بيان لوبال الكفر وغائلته وهو مقت
الله تعالى اياهم اى بغضه الشديد الذي ليس وراءه اخرى وصغار وخسار الاخرة الذي
ما بعده شر وخسار والتكرير لزيادة التقرير والتنبيه على ان اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين
الهائلين اليقيني بطريق الاستقلال والاصالة قل لبكيتهم ارأيتم شركاءكم الذين
تدعون من دون الله اى الهتكم والاضافة اليهم لانهم جعلوهم شركاء لله تع من غير ان
يكون له اصل ما اجمالا وقيل جعلوهم شركاء لانفسهم فيما عملكوه وباتاه سبأ
النظم الكريم وسيأتي ارونى ماذا خلقوا من الارض بدل اشتمال من ارأيتم كأنه قيل
اخبروني عن شركائكم ارونى اى جزء خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات اى ام
لهم شركة مع الله سبحانه في خلق السموات ليستحقوا بذلك شركة في الالوهية ذاتية
ام اتيناهم كتابا ينطق بانا اتخذناهم شركاء فهم على بينة منه اى حجة ظاهرة من ذلك
الكتاب بان لهم شركة جعلية ويجوز ان يكون ضمير اتيناهم للمشركين كما في قوله تعالى
ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم وقرئ على بينات وجمعه ايذانا الى ان الشرك امر خطير لابد
في اثباته من تعاضد الدلائل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا لا يقفى انواع الحجج
في ذلك اضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تغرير الاسلاف للاخلاف واضلال الرؤساء
للاتباع بانهم شفعاؤهم عند الله يشفعون لهم بالترتب اليهم ان الله يمسك السموات
والارض ان تزولا استيناف مسوق لبيان غاية قبح الشرك وهو له اى يمسكهما
كراهة زوالهما او يمنعهما ان تزولا الان الامساك منع ولئن زالتا ان امسكهما
اى ما امسكهما من احد من بعده اى من بعد امساكه تع او من بعد الزوال والجملة سادة
مسد الجوابين ومن الاولى مزيدة لتاكيد العموم والثانية للابتداء انه كان حليما غفورا
غير معاجل بالعقوبة التي تستوجبها جناياتهم حيث امسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا
بهدا جسما قال الله تع تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وقرئ ولو ان الله
واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم بلغ قريشا
قبل مبعث رسول الله عليه السلم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم فعال لعن الله اليهود

اليهود والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن اتانا رسول لنكونن اهدى من احد
الامم اليهود والنصارى وغيرهم او من الامة التي يقال لها احدى الامم تفضيلا لها
على غيرها في الهدى والاستقامة فلما جاءهم نذير وهو النذير المذكور ما زادهم اى النذير او مجيئه الا نفورا
ابتاعدا عن الحق استكبارا في الارض بدل من نفورا او مفعول له ومكر السيئ اصله وان مكروا السيئ ثم ومكر السيئ
ثم ومكر السيئ وقرئ بسكون الهمزة في الوصل ولعله اضطاس ظن سكونا او وقفة
خفيفة وقرئ ومكر سيئا ولا يحيق المكر السيئ الا باهله فهل ينظرون اى ما ينتظرون
الا سنة الاولين اى سنة الله عز وجل فيهم بتعذيب مكذبيهم فلن تجد لسنة
الله تبديلا بان يضع موضع العذاب غير العذاب ولن تجد لسنة الله تحويلا
بان ينقله من المكذبين الى غيرهم والفاء لتعليل ما يفيده الحكم بانتظارهم العذاب
من مجيئه ونفي وجدان التبديل والتحويل عبارة عن نفي وجودهما بالطريق البرهاني
وتخصيص كل منهما بنفي مستقل لتاكيد انتفائهما اولم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم استشهاد على ما قبله من جريان سنته تع على تعذيب
المكذبين بما شاهدوه في مسايرهم الى الشام واليمن والعراق من آثار دمار
الامم الماضية العالية والهمزة للانكار والنفي داخلوا للعطف على مقدر يليق
بالمقام اى اقعدوا فلم يسيروا في مساكنهم ولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة
من قبلهم وكانوا اشد منهم قوة او اطول اعمارا مما فهم طول المدى وما اغنى عنهم شدة
القوى ومحل الجملة النصب على الحالية وقوله تعالى وما كان الله ليعجزه من شيء اى ليسبقه ويفوته في
السموات ولا في الارض اعتراض مقرر لما فهم مما قبله من استيصال الامم السالفة وقوله تعالى انه
كان عليما قديرا مبالغا في العلم والقدرة ولذلك جميع اعمالهم السيئة فعاقبهم بموجبها تعليل لذلك
ولو يؤاخذ الله الناس جميعا بما كسبوا من السيئات كما فعل باولئك ما ترك على ظهرها اى على ظهر الارض
من دابة من نسمة تدب عليها من بني آدم وقيل ومن غيرهم ايضا من شوم معاصيهم وهو المروي
عن ابن مسعود رض وانس رض ويعضد الاول قوله تعالى ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى وهو يوم القيمة
فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا فيجازيهم عند ذلك باعمالهم ان خيرا فخير وان
شرا فشر عن النبي عليه السلم من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اى باب شئت

يس اما مسرود على نمط التعديد فلا حظ له من الاعراب او اسم للسورة كما نص عليه الخليل وسيبويه
وعليه الاكثرون فمحله الرفع على انه خبر مبتدإ محذوف او النصب على انه مفعول لفعل مضمر وعليها مدار
قراءة يا سين بالرفع والنصب اى هذه يا سين او اقرأ يا سين ولا مساغ للنصب باضمار فعل القسم
لان ما بعده مقسم به وقد ابو الجمع بين قسمين على شيء واحد قبل انقضاء الاول ولا محال للعطف

لاختلافهما اعرابا وقيل هو مجرور باضمار باء القسم مفتوح لكونه غير منصرف كما سلف في فاتحة سورة البقرة
من ان ما كانت من هذه الفواتح مفردة مثل صاد وقاف ونون او كانت موازنة لمفرد نحو طاسين
وياسين وحاميم الموازنة لهابيل وقابيل يتأتى فيها الاعراب اللفظي ذكره سيبويه في باب اسماء
السور من كتابه وقيل هما حركتا بناء كما في حيث واين حسبما يشهد بذلك قراءة ياسين كجير وقيل الفتح
والكسر تحريك للجد في الهرب من التقاء الساكنين عن ابن عباس رض ان معناه يا انسان في لغة
طي قالوا المراد به رسول الله عليه السلم ولعل اصله يا انيسين فاقتصر على شطره كما قيل من الله في ايمن الله
والقرآن بالجر على انه مقسم به ابتداء وقد جوز ان يكون عطفا على يس على تقدير كونه مجرورا باضمار باء
القسم الحكيم اي المتضمن للحكمة او الناطق بها بطريق الاستعارة او المتصف بها على الاسناد المجازي
وقد جوز ان يكون الاصل الحكيم قائله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر
استكن في الصفة المشبهة كما مر في صدر سورة لقمان انك لمن المرسلين جواب للقسم والجملة لرد
انكار الكفرة بقولهم في حقه عليه السلم لست مرسلا وهذه الشهادة منه عز وجل من جملة ما اشير اليه بقوله تعالى
في جوابهم قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم وفي تخصيص القرآن بالاقسام به اولا وبوصفه بالحكيم ثانيا تنويه
بشأنه وتنبيه على انه كما يشهد برسالته عليه السلم من حيث نظمه المعجز المنطوي على بدايع الحكم يشهد بها
من هذه الحيثية ايضا لما ان الاقسام بالشيء استشهاد به على تحقق مضمون الجملة الاسمية القسمية
وتقوية لثبوته فيكون مشاهدا به ودليلا عليه قطعا وقوله تعالى على صراط مستقيم خبر آخر لان او
حال من المستكن في الجار والمجرور على انه عبارة عن الشريعة الشريفة بكمالها لا عن التوحيد فقط
وفائدته بيان ان شريعته عليه السلم اقوم الشرائع واعدلها كما يعرب عنه التنكير التفخيمي والوصف
اثر بيان انه عليه السلم من جملة المرسلين بالشرائع تنزيل العزيز الرحيم نصب على المدح وقرئ
بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وبالجر على انه بدل من القرآن واياما كان فهو مصدر بمعنى
المفعول عبر به عن القرآن بيانا لكمال عراقته في كونه منزلا من عند الله عز وجل كانه نفس التنزيل
واظهارا لفخامته الاضافية بعد بيان فخامته الذاتية بوصفه بالحكمة وفي تخصيص الاسمين
الكريمين المعربين عن الغلبة التامة والرأفة العامة حث على الايمان به ترهيبا وترغيبا
واشعار بان تنزيله ناشئ عن غاية الرحمة حسبما نطق به قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين وقيل النصب على انه مصدر مؤكد لفعله المضمر اي ننزل تنزيل العزيز الرحيم على انه
استيناف مسوق لبيان ما ذكر من فخامة شأن القرآن وعلى كل تقدير ففيه فضل تأكيد
لمضمون الجملة القسمية لتنذر متعلق بتنزيل على الوجه الاول وبعامله المضمر على الوجه
الاخير اي لتنذر به كما في صدر الاعراف وقيل هو متعلق بما يدل عليه لمن المرسلين اي
انك مرسل لتنذر قوما ما انذر آباؤهم اي لم ينذر آباؤهم الاقربون لتطاول مدة الفترة
على ان ما نافية فيكون صفة مبينة لغاية احتياجهم الى الانذار او الذي انذره او شيئا
انذره آباؤهم الابعدون على انها موصولة او موصوفة فيكون مفعولا ثانيا لتنذر او
انذار آبائهم الاقدمين على انها مصدرية فيكون نعتا لمصدر مؤكد اي لتنذر انذارا كائنا مثل

مثل انذارهم فهم غافلون على الاوجه الاول متعلق بنفي الانذار مترتب عليه والضمير للفريقين
اي لم ينذر آباؤهم فهم جميعا لاجله غافلون وعلى الوجوه الباقية متعلق بقوله تعالى لتنذر او بما
يفيده انك لمن المرسلين وارد بتعليل انذاره عليه السلم او ارساله بغفلتهم المحوجة اليهما
على ان الضمير للقوم خاصة فالمعنى فهم غافلون عنه اي عما انذر آباؤهم الاقدمون لامتداد
المدة واللام في قوله تعالى لقد حق القول على اكثرهم جواب اي والله لقد ثبت وتحقق
عليهم البتة لكن لا بطريق الجبر من غير ان يكون من قبلهم ما يقتضيه بل بسبب اصرارهم الاختياري
على الكفر والانكار وعدم تأثرهم من التذكير والانذار وغلوهم في العتو والطغيان ودمائهم
في اتباع خطوات الشيطان بحيث لا يلويهم صارف ولا يثنيهم عاطف كيف لا والمراد بما
حق من القول قوله تعالى لابليس عند قوله لاغوينهم اجمعين لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم
اجمعين وهو المعنى بقوله تعالى لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين كما يلوح به تقديم الجنة
على الناس فانه كما ترى قد اوقع فيه الحكم بادخال جهنم على من تبع ابليس وذلك تعليل له
بتبعيته قطعا وثبوت القول على هؤلاء الذين عبر عنهم باكثرهم انما هو لكونهم من جملة اولئك
المصرين على تبعية ابليس ابدا واذ قد تبين ان مناط ثبوت القول وتحققه عليهم اصرارهم على
الكفر الى الموت ظهر ان قوله تعالى فهم لا يؤمنون متفرع في الحقيقة على ذلك لا على ثبوت القول وقوله
انا جعلنا في اعناقهم اغلالا تقرير لتصميمهم على الكفر وعدم ارعوائهم عنه بتمثيل حالهم بحال الذين
غلت اعناقهم فهي الى الاذقان اي فالاغلال منتهية الى اذقانهم فلا تدعهم يلتفتون الى
الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤسهم له فهم مقمحون رافعون رؤسهم غاضون
ابصارهم بحيث لا يكادون يرون الحق او ينظرون الى جهته وجعلنا من بين ايديهم سدا
ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون اما تتمة للتمثيل وتكميل له اي تكميل اي وجعلنا
مع ما ذكر من امامهم سدا عظيما ومن ورائهم سدا كذلك فغطينا بهما ابصارهم فهم بسبب
ذلك لا يقدرون على ابصار شيء ما اصلا واما تمثيل مستقل فان ما ذكر من جعلهم محصورين
بين سدين هائلين قد غطيا ابصارهم بحيث لا يبصرون شيئا قطعا كاف في الكشف عن كمال
فظاعة حالهم وكونهم محبوسين في مهمة مطمورة الغي والجهالات محرومين عن النظر في الادلة
والآيات وقرئ سدا بالضم وهي لغة فيه وقيل ما كان من عمل الناس فهو بالفتح وما كان
من خلق الله فالضم وقرئ فاغشيناهم من الغشاء وقيل الآيتان في بني مخزوم وذلك
ان ابا جهل حلف لئن رأى رسول الله عم يصلي ليرضخن رأسه فاتاه وهو عليه السلم
يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها
بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم بذلك فقال مخزومي احزانا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعمى الله
تعالى بصره وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم بيان لشأنهم بطريق التصريح اثر
بيانه بطريق التمثيل اي مستو عندهم انذارك اياهم وعدمه حسبما مر تحقيقه في سورة
البقرة وقوله تعالى لا يؤمنون استيناف مؤكد لما قبله مبين لما فيه من اجمال ما فيه الاستواء

تعالى

أي يكسره

او حال مؤكدة له او بدل منه ولما بين كون الانذار عندهم كعدمه عقب ببيان من يتاثر عنه فقيل انما تنذر اى انذارا مستتبعا للاثر من اتبع الذكر اى القرآن بالتدبر فيه او الوعظ ولم يصر على اتباع خطوات الشيطان وخشى الرحمن بالغيب اى خاف عقابه وهو غائب عنه على انه حال من الفاعل او المفعول او خافه فى سره حيث لا يراه احد فاثر عليه رحمته فانه متتبع قهارا كما انه رحيم غفار كما نطق به قوله تعالى نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم وان عذابى هو العذاب الاليم فبشره بمغفرة عظيمة وكجر كريم لا يقادر قدره والفاء لترتيب البشارة او الامر بها على ما قبلها من اتباع الذكر والخشية انا نحن نحيى الموتى بيان لشان عظيم ينطوى على الانذار والتبشير انطواء اجماليا اى نبعثهم بعد مماتهم وعن الحسن احياؤهم اخراجهم من الشرك الى الايمان فهو حينئذ عدة كريمة بتحقيق المبشر به ونكتب ما قدموا اى ما اسلفوه من الاعمال الصالحة وغيرها وآثارهم التى ابقوها من الخير كعلم علموه او كتاب الفوه او جبيس وقفوه او بناء بنوه من المساجد والرباطات والقناطر وغير ذلك من وجوه البر ومن السيئات كتاسيس قوانين الظلم والعدوان وترتيب مبادى الشر والفساد فيما بين العباد وغير ذلك من فنون الشرور التى احدثوها وسنوها لمن بعدهم من المفسدين وعبر عنها بآثار المشائين الى المساجد ولعل المراد اعم من ذلك فيدخل فيه آثار الاقدام ونحوها وقرئ وكتب على البناء للمفعول ورفع آثارهم وكل شئ من الاشياء كائنا ما كان احصيناه فى امام مبين اصل عظيم الشان مظهر لجميع الاشياء مما كان ومما سيكون وهو اللوح المحفوظ وقرئ كل شئ بالرفع واضرب لهم مثلا اصحاب القرية ضرب المثل يستعمل تارة فى تطبيق حالة غريبة بحالة اخرى كما فى قوله ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط واخرى فى ذكر حالة غريبة وبيانها للناس من غير قصد الى تطبيقها بنظيرة لها كما فى قوله تعالى وضربنا لكم الامثال على احد الوجهين اى بينا لكم احوالا بديعة هى فى الغرابة كالامثال فالمعنى على الاول اجعل اصحاب القرية مثلا لهؤلاء فى العلو فى الكفر والاصرار على تكذيب الرسل اى طبق حالهم على ان مثلا مفعول ثان لاضرب واصحاب القرية مفعوله الاول اخر عنه ليتصل به ما هو شرح وبيان له والقرية انطاكية على ما ذكر وبين لهم قصتها هى فى الغرابة كالمثل وقوله اصحاب القرية بدل منه بتقدير المضاف او بيان له والقرية انطاكية اذ جاءها المرسلون بدل اشتمال من اصحاب القرية وهم رسل عيسى عليه السلام الى اهلها ونسبة ارسالهم اليه تعالى قوله تعالى اذ ارسلنا اليهم اثنين بناء على انه كان بامره تعالى لتكميل التمثيل وتتميم التسلية وهما يحيى ويونس وقيل غيرهما فكذبوهما اى فاتياهم فدعواهم الى الحق فكذبوهما فعززنا اى قوينا فقال عززنا المطر الارض اذا اشتد بها وقرئ بالتخفيف من عزه اذا غلبه وقهره وحذف المفعول للدلالة ما قبله عليه وللاشعار بان المقصد ذكر المعزز به فقالوا اى جميعا انا اليكم مرسلون مؤكدين كلامهم لسبق الانكار لما ان تكذيبهما تكذيب للثالث لاتحاد كلمتهم وذلك انهم كانوا عبدة اصنام فارسل اليهم عيسى عليه السلام اثنين فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب ياسين فسالهما

فسألهما فاخبراه قال امعكما آية فقالا نشفى المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض منذ سنتين فمسحه فقام فآمن حبيب وشفى الخبر وشفى على ايديهما خلق وبلغ خبرهما الى الملك فقال لهما ألنا آلهة سوى الهتنا قالا نعم من اوجدك والهتك قال حتى انظر فى امركما فتبعهما الناس وقيل ضربوهما وقيل حبسهم بعث عيسى عليه السلام شمعون فدخل خفية او عاشر حاشية الملك حتى استانسوا به ورفعوا خبره الى الملك فانس به فقال له يوما بلغنى انك حبست رجلين فلما سمعت ما يقولانه قال لا لاجل الغضب لالهتى وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذى خلق كل شئ وليس له شريك فقال صفاه واوجزا فقالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما تتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله تعالى حتى انشق له بصره فاخذ اترقتين فوضعاهما فى حدقتيه فصار مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون ارأيت لو سألت الهتك حتى تصنع مثل هذا فيكون لك له الشرف قال ليس لى عنك سر ان الهتنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلى ويتضرع ويحسبون انه منهم ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة ايام فقام وقال انى دخلت فى سبعة ادوية من النار وانا احذركم ما انتم فيه فآمنوا وقال فتحت ابواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلثة قال الملك ومن هم قال شمعون وهذان فتحت الملك فلما رأى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصح فآمن وآمن قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبرئيل عليه السلم فهلكوا هكذا قالوا ولكن لا يساعده سياق النظم الكريم حيث اقتصر فيه على حكاية تماديهم فى العناد والاجتراء وركوبهم متن المكابرة فى الحجاج ولم يذكر فيه ممن يؤمن احد سوى حبيب وقوله تعالى الملك وقوما من حواشيه آمنوا كان الظاهر ان يظاهر الرسل وبا عدوهم قتلوا فى ذلك او قتلوا اكداب النجار الشهيد ولكان لهم فيه ذكر ما بوجه من الوجوه اللهم الا ان يكون ايمان الملك بطريق الخفية على خوف من عتاة ملائه فيعتزل عنهم معتذرا بعذر من الاعذار قالوا اى اهل انطاكية الذين لم يؤمنوا مخاطبين للثلثة ما انتم الا بشر مثلنا من غير مزية لكم علينا موجبة لاختصاصكم بما تدعونه ورفع بشر لانتقاض النفى المقتضى لاعمال ما بالا وما انزل الرحمن من شئ مما تدعونه من الوحى والرسالة ان انتم الا تكذبون فى دعوى رسالته قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون استشهدوا بعلم الله تعالى وهو يجرى مجرى القسم مع ما فيه من تحذيرهم معارضة علم الله تعالى وزادوا اللام المؤكدة لما شاهدوا منهم من شدة الانكار وما علينا اى من جهة ربنا الا البلاغ المبين اى الا تبليغ رسالته تبليغا ظاهرا بينا بالآيات الشاهدة بالصحة وقد خرجنا عن عهدته فلا موا خذة لنا بعد ذلك من جهة ربنا او ما علينا شئ نطالب به من جهتكم الا تبليغ الرسالة على الوجه المذكور وقد فعلناه فاى شئ تطلبون منا حتى تصدقونا بذلك قالوا لما ضاقت عليهم الحيل وعيتت بهم العلل انا تطيرنا بكم تشاءمنا بكم حيث كانوا يتيمنون بكل ما يوافق شهواتهم وان كان مستجلبا لكل شر ووبال ويتشاءمون بالاتوا ان كان مستتبعا لسعادة الدارين او بناء على ان الدعوة لا تخلو عن الوعيد بما يكرهونه من اصابة ضر متعلق بانفسهم واموالهم ان لم يؤمنوا فكانوا ينفرون عنه وقد روى انه حبس عنهم القطر فقالوه لئن لم تنتهوا اى عن مقالتكم هذه لنرجمنكم بالحجارة وليمسنكم منا عذاب اليم لا يقادر

فتها

قدره قالوا طائركم اى سبب شومكم معكم لا من قبلنا وهو سوء عقيدتكم وقبح اعمالكم وقرئ طيركم
اين ذكرتم اى وعظتم بما فيه سعادتكم وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه اى تطيرتم وتوعدتم
بالرجم والتعذيب وقرئ بالف بين همزتين وبفتح ان بمعنى انطيرتم لان ذكرتم وان ذكرتم وان ذكرتم
بغير استفهام واين ذكرتم بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو ابلغ بل انتم قوم مسرفون اضراب عما
يقتضيه الشرطية من كون التذكير سببا للشوم او مصححا للتوعد اى ليس الامر كذلك بل انتم قوم عادتكم الاسراف
فى العصيان فلذلك اتاكم الشوم او فى الظلم والعدوان ولذلك توعدتم وتشاءمتم بمن يجب اكرامه
والتبرك به وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى هو حبيب النجار وكان ينحت اصنامهم وهو من آمن برسول
الله عليه السلم وبينهما ستمائة سنة كما آمن به تبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن بنبى غيره عليه السلم
احد قبل مبعثه وقيل كان فى غار يعبد الله تع فلما بلغه خبر الرسل عليهم السلم اظهر دينه قال استيناف
وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية مجيئه ساعيا كانه قيل فماذا قال عند مجيئه فقيل قال يا قوم اتبعوا
المرسلين تعرض لعنوان رسالتهم حثا لهم على اتباعهم كما ان خطابهم بيا قوم لتاليف قلوبهم واستمالتها
نحو قبول نصيحته وقوله اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون تكرير للتاكيد وللتوسل به الى وصفهم
بما يرغبهم فى اتباعهم من التنزه عن الغرض الدنيوى والاهتداء الى خير الدنيا والدين وما لى لا اعبد
الذى فطرنى تلطف فى الارشاد بايراده فى معرض المناصحة لنفسه وامخاض النصح حيث اراهم انه
اختار لهم ما يختار لنفسه والمراد تقريعهم على ترك عبادة خالقهم الى عبادة غيره كما ينبئ عنه قوله تعالى
واليه ترجعون مبالغة فى التهديد ثم عاد الى المساق الاول فقال ءاتخذ من دونه آلهة انكار ونفى
لاتخاذ الآلهة على الاطلاق وقوله تع ان يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئا اى لا تنفعنى
شيئا من النفع ولا ينقذون من ذلك الضر بالنصرة والمظاهرة استيناف سيق لتعليل النفى
المذكور وجعله صفة لآلهة كما ذهب اليه بعضهم ربما يوهم ان هناك آلهة ليست كذلك وقرئ ان
يردن بفتح الياء على معنى ان يوردنى ضرا اى يجعلنى موردا للضر انى اذا اى اذا اتخذت من دونه
آلهة لفى ضلال مبين فان اشراك ما ليس من شانه النفع ولا دفع الضر بالخالق المقتدر الذى لا قادر
غيره ولا خير الا خيره ضلال بين لا يخفى على احد ممن له تمييز فى الجملة انى آمنت بربكم خطاب منه
للرسل بطريق التلوين قيل لما نصح قومه بما ذكر هموا برجمه فاسرع نحو الرسل قبل ان يقتلوه فقال
ذلك وانما اكده لاظهار صدوره عنه بكمال الرغبة والنشاط واضاف الرب الى ضميرهم روما لزيادة
التقرير واظهارا للاختصاص والاقتداء بهم كانه قال بربكم الذى ارسلكم او الذى تدعوننا الى الايمان به
فاسمعون اى اسمعوا ايمانى واشهدوا لى به عند الله تع وقيل الخطاب للكفرة شافههم بذلك
اظهارا للتصلب فى الدين وعدم المبالاة بالقتل واضافة الرب الى ضميرهم لتحقيق الحق والتنبيه
على بطلان ما هم عليه من اتخاذ الاصنام اربابا وقيل للناس جميعا قيل ادخل الجنة قيل له ذلك
لما قتلوه اكراما له بدخولها حينئذ كسائر الشهداء وقيل لما هموا بقتله رفعه الله تع الى الجنة
قاله الحسن وعن قتادة ادخله الله الجنة وهو فيها حى يرزق وقيل معناه البشرى بدخول
الجنة وانه من اهلها وانما لم يقل له لان الغرض بيان المقول لا المقول له لظهوره وللمبالغة فى

فى المسارعة الى بيانه والجملة استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية حاله ومقاله كانه
قيل كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب فى دينه والتسخى بروحه لوجهه تع فقيل قيل ادخل الجنة
وكذلك قوله تع قال يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين فانه جواب
عن سؤال نشأ من حكاية حاله كانه قيل فماذا قال عند نيله تلك الكرامة السنية فقيل قال
الخ وانما تمنى علم قومه بحاله لتحملهم ذلك على اكتساب مثله بالتوبة عن الكفر والدخول فى الايمان و
الطاعة جريا على سنن الاولياء فى كظم الغيظ والترحم على الاعداء او ليعلموا انهم كانوا
على خطاء عظيم فى امره وانه كان على الحق وان عداوتهم لم تكسبه الا سعادة وقرئ من
المكرمين وما موصولة او مصدرية والباء صلة يعلمون او استفهامية وردت على الاصل
والباء متعلق بغفر اى باى شئ غفر لى ربى يريد به تفخيم شان المهاجرة عن ملتهم والمصابرة
على اذيتهم وما انزلنا على قومه من بعده من بعد قتله او رفعه من جند من السماء
لاهلاكهم والانتقام منهم كما فعلناه يوم بدر والخندق بل كفينا امرهم بصيحة ملك
وفيه استحقار لهم ولاهلاكهم وايماء الى تفخيم شان الرسول عليه السلم وما كنا منزلين وما
صح فى حكمتنا ان ننزل لاهلاك قومه جندا من السماء لما ان قدرنا لكل شئ سببا حيث
اهلكنا بعض من اهلكنا من الامم بالحاصب وبعضهم بالصيحة وبعضهم بالخسف وبعضهم
بالاغراق وجعلنا انزالنا الجند من خصائصك فى الانتصار من قومك وقيل
ما موصولة معطوفة على جند اى وما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وامطار
شديدة وغيرها ان كانت اى ما كانت الاخذة او العقوبة الا صيحة واحدة
صاح بها جبريل عليه السلم وقرئ الا صيحة بالرفع على ان كانت تامة وقرئ الا زقية
واحدة من زقا الطائر اذا صاح فاذا هم خامدون ميتون شبهوا بالنار الخامدة
رمزا الى ان الحى كالنار الساطعة فى الحركة والالتهاب والميت كالرماد كما قال لبيد
وما المرء الا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع يا حسرة على العباد
تعالى فهذه من الاحوال التى حقها ان تحضرى فيها وهى ما دل عليه قوله تع ما يأتيهم
من رسول الا كانوا به يستهزءون فان المستهزئين بالناصحين الذين نيطت
بنصائحهم سعادة الدارين احقاء بان يتحسروا ويتحسر عليهم المتحسرون وقد تلهف
على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين وقد جوز ان يكون تحسر عليهم من جهته تعالى
بطريق الاستعارة لتعظيم ما جنوه على انفسهم ويؤيده قراءة يا حسرتا لان المعنى يا حسرتى
ونصبها لطولها بما تعلق بها من الجار وقيل باضمار فعلها والمنادى محذوف
وقرئ يا حسرة التاء العباد بالاضافة الى الفاعل او المفعول ويا حسرة على العباد باجراء
الوصل مجرى الوقف الم يروا اى الم يعلموا وهو معلق عن العمل فى قوله تع كم اهلكنا
قبلهم من القرون لان كم لا يعمل فيها ما قبلها وان كانت خبرية لان اصلها الاستفهام
خلا ان معناه نافذ فى الجملة كما نفذ فى قولك الم تر ان زيدا لمنطلق وان لم يعمل فى لفظه

أنهم إليهم لا يرجعون بدل من كم أهلكنا على المعنى ای الم يروا كثرة اهلاكنا من قبلهم من المذكورين آنفا ومن غيرهم كونهم غير راجعين اليهم وقرئ بالكسر على الاستيناف وقرئ الم يروا من أهلكنا والبدل اخ بدل اشتمال وإن كل جميع لدينا محضرون بيان لرجوع الكل الى المحشر بعد بيان عدم الرجوع الى الدنيا وإن نافية وتنوين كل عوض من المضاف اليه ولما بمعنى الا وجميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف لما بعده والمعنى ما كلهم الا مجموعون لدينا محضرون للحساب والجزاء وقيل محضرون معذبون فكل عبارة عن الكفرة وقرئ لما بالتخفيف على ان إن مخففة من الثقيلة واللام فارقة ومامزيدة للتاكيد والمعنى ان كلهم مجموعون الخ وآية لهم الارض الميتة بالتخفيف وقرئ بالتشديد قولك آية خبر مقدم للاهتمام وتنكيرها للتفخيم ولهم اما متعلقة بها لانها بمعنى العلامة او بمضمر هو صفة لها والارض مبتداء والميتة صفتها وقوله تعالى احييناها استيناف مبين لكيفية كونها آية وقيل آية مبتداء ولهم خبر والارض الميتة مبتداء موصوف واحييناها خبره والجملة خبر لآية وقيل الخبر لها هو الارض واحييناها صفتها لان المراد بها الجنس لا المعينة والاول هو الاولى لان مصب الفائدة هو كون الارض آية لهم لا كون الآية هي الارض واخرجنا منها حبا جنس الحب فمنه يأكلون تقديم الصلة للدلالة على ان الحب معظم ما يؤكل ويعاش به وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب اى من انواع النخل والعنب ولذلك جمعا دون الحب فان الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولاكذلك الدال على الانواع وذكر النخيل دون التمور ليطابق الحب والاعناب لاختصاص شجر بازيد النفع وآثار الصنع وفجرنا فيها وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى من العيون اى بعضا من العيون فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه او العيون ومن مزيدة على رأى الاخفش ليأكلوا من ثمره متعلق بجعلنا وتاخيره عن تفجير العيون لانه من مبادى الاثمار اى جعلنا فيها جنات من نخيل وفجرنا مبادى اثمارها ليأكلوا من ثمر ما ذكر من الجنات والنخيل باجراء الضمير مجرى اسم الاشارة وقيل الضمير لله تعالى بطريق الالتفات الى الغيبة والاضافة لان الثمر بخلقه تعالى وقرئ بضمتين وهى لغة فيه او جمع ثمار وبضمة وسكون وما عملته أيديهم عطف على ثمره وهو ما يتخذ منه من العصير والدبس ونحوهما وقيل ما نافية والمعنى ان الثمر بخلق الله تعالى لا بفعلهم ومحل الجملة النصب على الحالية ولو كد الاول قراءة عملت بلا هاء فان حذف العائد من الصلة احسن من الحذف من غيرها افلا يشكرون انكار واستقباح لعدم شكرهم للنعم المعدودة والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى ايرون هذه النعم او اتيتموها فلا تشكرون سبحان الذى خلق الازواج كلها استيناف مسوق لتنزيهه تعالى عما فعلوه من ترك شكره على الآلاء المذكورة واستعظام ما ذكر في حيز الصلة من بدائع آثار قدرته واسرار حكمته وروائع نعمائه الموجبة للشكر وتخصيص العبادة به والتعجيب من اخلالهم بذلك والاشارة بهذه وسبحان علم للتسبيح الذى هو التبعيد عن السوء اعتقادا او قولا اى اعتقاد البعد عنه والحكم به من سبح في الارض والماء اذا ابعد فيهما ومنه فرس سبوح اى واسع الجرى وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه اى ابعد سبحانه اى انزهه عما لا يليق به عقدا وعملا تنزيها خاصا به وفيه مبالغة من جهة الاشتقاق من التسبيح ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول عن المصدر الدال على الجنس الى الاسم الموضوع خاصة لا سيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع

مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران اريد به التنزه التام والتباعد الكلى عن السوء فعيل مبالغة من جهة اسناد التنزه الى الذات المقدسة فالمعنى تنزه ذاته عن كل ما لا يليق به تنزيها خاصا به فالجملة على هذا اخبار من الله تعالى بتنزيهه وبرائته عن كل ما لا يليق به مما فعلوه وما تركوه وعلى الاول حكم منه عز وجل بذلك وتلقين للمؤمنين ان يقولوه ويعتقدوا مضمونه ولا يخلوا به ولا يغفلوا عنه والمراد بالازواج الاصناف والانواع مما تنبت الارض بيان لها والمراد به كل ما ينبت فيها من الاشياء المذكور وغيرها ومن انفسهم اى خلق الازواج من انفسهم اى الذكور والانثى ومما لا يعلمون اى والازواج مما لم يطلعهم الله تعالى على خصوصياته لعدم قدرتهم على الاحاطة بها ولما لم يتعلق بذلك شئ من مصالحهم الدينية والدنيوية وانما اطلعهم على ذلك بطريق الاجمال لما يحيط به وقوتهم على عظم قدرته وسعة ملكه وسلطانه وآية لهم الليل جملة من خبر مقدم ومبتداء مؤخر كما مر وقوله نسلخ منه النهار جملة مبينة لكيفية كونه آية اى نزيله ونكشف عن مكانه مستعار من السلخ وهو ازالة ما بين الحيوان وجلده من الاتصال والاغلب في الاستعمال تعليقه بالجلد يقال سلخت الاهاب من الشاة وقد يعكس منه الشاة المسلوخة فاذا هم مظلمون اى داخلون في الظلام مفاجاة وفيه رمز الى ان الاصل هو الظلام والنور عارض والشمس تجرى لمستقر لها لحد معين ينتهى اليه دورها فشبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيرة او لكبد السماء فان حركتها فيه توجد ابطاء بحيث تظن ان لها هناك وقفة قال والشمس حيرى لها في الجو تدويم او لاستقرارها على نهج مخصوص او لمنتهى معين لكل يوم من المشارق والمغارب فان لها في دورها ثلثمائة وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لا تعود اليها الى العام القابل او لمنقطع جريها عند خراب العالم وقرئ الى مستقر لها وقرئ لا مستقر لها اى لا سكون لها فانها متحركة دايما وقرئ لا مستقر لها على ان لا نافية ليس ذلك اشارة الى جريها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته اى ذلكم الجرى البديع المنطوى على الحكم الرائقة التى تحار في فهمها العقول والافهام تقدير العزيز الغالب بقدرته على كل مقدور العليم المحيط علمه بكل معلوم والقمر قدرناه بالنصب باضمار فعل يفسره الظاهر وقرئ بالرفع على الابتداء اى قدرنا له منازل وقيل قدرنا مسيره منازل وقيل قدرناه ذا منازل وهى ثمانية وعشرون كسر البطين اكثريا الدبران الهقعة المنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العواء السماك الغفر الزبانى الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الحوت وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة في واحد منها لا يخطاها

ولا يتقاصر عنها فاذا كان في آخر منازله وهو الذي يكون قبيل الاجماع دق واستقوس
حتى عاد كالعرجون كالشمراخ المعوج فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ
كالعرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون القديم العتيق وقيل هو ما مر عليه
حول فصاعدا لا الشمس ينبغي لها اي يصح ويتسهل لها ان تدرك القمر في سرعة
السير فان ذلك يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان او في الآثار والمنافع
او في المكان بان تنزل في منزله او في سلطانه فتطمس نوره وايلاء حرف النفي
الشمس للدلالة على انها مسخرة لا يتسنى لها الا ما قدر لها ولا الليل سابق النهار
اي يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما آيتاهما وهما النيران وبالسبق
سبق القمر الى سلطان الشمس فيكون عكسا للاول وايراد السبق مكان الادراك
لانه الملائم لسرعة سيره وكل اي وكلهم على ان التنوين عوض من المضاف اليه الذي
هو الضمير العائد الى الشمس والقمر والجمع باعتبار التكاثر العارض لهما بتكاثر مطالعهما
فان اختلاف الاحوال يوجب تعددا ما في الذات او الى الكواكب فان ذكرهما
مشعر بها في فلك يسبحون يسيرون بانبساط وسهولة وآية لهم انا حملنا ذريتهم
اولادهم الذين يبعثونهم الى تجاراتهم او صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم
فان الذرية تطلق عليهن لا سيما مع الاختلاط وتخصيصهم بالذكر لما ان استقرارهم
في السفن اشق واستمساكهم فيها ابدع في الفلك المشحون اي المملو وقيل فلك
نوح عليه السلام وحمل ذرياتهم فيها حمل آبائهم الاقدمين وفي اصلابهم هؤلاء وذرياتهم
وتخصيص اعقابهم بالذكر دونهم لانه ابلغ في الامتنان وادخل في التعجيب الذي
عليه يدور كونه آية وخلقنا لهم من مثله مما يماثل الفلك ما يركبون من الابل
فانها سفائن البر او مما يماثل ذلك الفلك من السفن والزوارق وجعلها
مخلوقة لله تعالى مع كونها من مصنوعات العباد ليس لمجرد كون صنعهم باقدار الله تعالى
والهامه بل لمزيد اختصاص اصلها بقدرته تعالى وحكمته حسبما يعرب عنه قوله عز وجل و
اصنع الفلك باعيننا ووحينا والتعبير عن ملابستهم بهذه السفن بالركوب لانها
باختيارهم كما ان التعبير عن ملابسة ذريتهم بفلك نوح عم لكونها بغير شعور منهم
واختيار وان نشأ نغرقهم الخ من تمام الآية فانهم معترفون بمضمونه كما
ينطق به قوله تعالى واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين وقرئ نغرقهم
بالتشديد وفي تعليق الاغراق بمحض المشية اشعار بانه قد يكامل ما يوجب
اهلاكهم من معاصيهم ولم يبق الا تعلق مشيته تعالى به اي ان نشأ نغرقهم في اليم
مع ما حملناهم فيه من الفلك فحديث خلق الابل ح كلام جيء به في خلال الآية بطريق
الاستطراد لكمال التماثل بين الابل والفلك فكانها نوع منه او مع ما يركبون من
السفن والزوارق فلا صريخ لهم اي فلا مغيث لهم يحرسهم من الغرق ويدفعه

الشمراخ بالكسر خرما سلقمنك واوزم سلقمنك بداغي لغة اخرى

يدفعه عنهم قبل وقوعه وقيل فلا استغاثة لهم من قولهم اتاهم الصريخ ولا هم ينقذون اي ينجون منه
بعد وقوعه وقوله تعالى الا رحمة منا ومتاعا استثناء مفرغ من اعم العلل الشاملة للباعث
المتقدم والغاية المتاخرة اي لا يغاثون ولا ينقذون لشيء من الاشياء الا لرحمة عظيمة من قبلنا
داعية الى الاغاثة والانقاذ وتمتيع بالحيوة مترتب عليهما ويجوز ان يراد بالرحمة ما يقارن التمتيع من
الرحمة الدنيوية فيكون كلاهما غاية للاغاثة والانقاذ اي لنوع من الرحمة وتمتيع الى حين اي الى زمان قدر فيه
آجالهم كما قيل ولم اسلم لكي ابقى ولكن سلمت من الحمام الى الحمام واذا قيل لهم اتقوا بيان لاعراضهم
عن الآيات التنزيلية بعد بيان اعراضهم عن الآيات الآفاقية التي كانوا يشاهدونها وعدم تاملهم فيها اي
اذا قيل لهم بطريق الانذار بما نزل من الآيات او بغيره اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم من الآفات
والنوازل فانها محيطة بكم او ما يصيبكم من المكاره من حيث تحتسبون ومن حيث لا تحتسبون او من الوقائع
النازلة على الامم الخالية قبلكم والعذاب المعد لكم في الآخرة او من نوازل السماء ونوائب الارض او من عذاب
الدنيا وعذاب الآخرة او ما تقدم من الذنوب وما تاخر لعلكم ترحمون اما حال من واو اتقوا او غاية له اي
راجين ان ترحموا او كي ترحموا فتنجوا من ذلك لما عرفتم ان مناط النجاة ليس الا رحمة لله تعالى وجواب اذا محذوف
ثقة بانفهامه من قوله تعالى وما تاتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين انفهاما بينا اما اذا
كان الانذار بالآية الكريمة فبعبارة النص واما ان كان بغيرها فبدلالته لانهم حين اعرضوا عن آيات ربهم
فلان يعرضوا عن غيرها بطريق الاولوية كانه قيل واذا قيل لهم اتقوا العذاب اعرضوا حسبما اعتادوه
وما نافية وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددي ومن الاولى مزيدة لتاكيد العموم والثانية
تبعيضية واقعة مع مجرورها صفة لآية واضافة الآيات الى اسم الرب المضاف الى ضميرهم لتفخيم شانها
المستتبع لتهويل ما اجترؤا عليه في حقها والمراد بها اما الآيات التنزيلية فاتيانها نزولها والمعنى ما ينزل اليهم
آية من الآيات القرآنية التي من جملتها هذه الآيات الناطقة بما فصل من بدائع صنع الله تعالى وسوابغ
الآية الموجبة للاقبال عليها والايمان بها الا كانوا عنها معرضين على وجه التكذيب والاستهزاء واما ما يعمها
وغيرها من الآيات التكوينية الشاملة للمعجزات وغيرها من تعاجيب المصنوعات التي من جملتها الآيات
الثلث المعدودة آنفا فالمراد باتيانها ما يعم نزول الوحي وظهور تلك الامور لهم والمعنى ما يظهر لهم من الآيات
التي من جملتها ما ذكر من شئونه الشاهدة بوحدانيته تعالى وتفرده بالالوهية الا كانوا عنها معرضين تاركين
للنظر الصحيح فيها المؤدي الى الايمان به تعالى وايثاره على ان يقال الا اعرضوا عنها كما وقع مثله في قوله تعالى
وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر للدلالة على استمرارهم على الاعراض حسبما استمرار
اتيان الآيات وعن متعلقة بمعرضين قدمت عليه مراعاة للفواصل والجملة في حيز النصب على انها
حال من مفعول تاتي او من فاعله المتخصص بالوصف لاشتمالها على ضمير كل منها والاستثناء
مفرغ من اعم الاحوال اي ما ياتيهم من آية من آيات ربهم في حال من احوالهم الا حال اعراضهم عنها
او ما ياتيهم آية منها في حال من احوالها الا حال اعراضهم عنها واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله
اي اعطاكم بطريق التفضل والانعام من انواع الاموال عبر عنها بذلك تحقيقا للحق وترغيبا
في الانفاق على منهاج قوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك وتنبيها على جنايتهم في ترك الامتثال بالامر وكذلك

من التبعيضية اي اذا قيل لهم بطريق النصيحة انفقوا بعض ما اعطاكم الله تعالى من
فضله على المحتاجين فان ذلك مما يرد البلاء ويدفع المكاره قال الذين كفروا بالصانع
عز وجل وهم زنادقة كانوا بمكة للذين آمنوا تهكما بهم وبما كانوا عليه من تعليق الامور
بمشية الله تعالى انطعم حسبما تعظوننا به من لو يشاء الله اطعمه اي على زعمكم وعن
ابن عباس رض كان بمكة زنادقة اذا امروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله ايغفره
الله ونطعمه نحن وقيل قاله مشركو قريش حين استطعمهم فقراء المؤمنين من اموالهم التي
زعموا انهم جعلوها لله تعالى من الحرث والانعام يوهمون انه تعالى لما لم يشاء اطعامهم وهو
قادر عليه فنحن احق بذلك وما هو الا لفرط جهالتهم فان الله تعالى يطعم عباده باسباب من جملتها
حث الاغنياء على اطعام الفقراء وتوفيقهم لذلك ان انتم الا في ضلال مبين حيث
تامروننا بما يخالف مشية الله تعالى وقد جوز ان يكون جوابهم من جهته تعالى او حكاية لجواب
المؤمنين لهم ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين اي فيما تعدوننا به من قيام
الساعة مخاطبين لرسول الله عليه السلام والمؤمنين لما انهم ايضا كانوا يتلون عليهم آيات
الوعيد بقيامها ومعنى القرب في هذا اما بطريق الاستهزاء واما باعتبار قرب العهد بالوعد
ما ينظرون جواب من جهته تعالى اي ما ينتظرون الا صيحة واحدة هي النفخة الاولى تاخذهم مفاجاة
وهم يخصمون اي يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم شيء من مخايلها كقوله تعالى
فاخذتهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون فلا يغتروا بعد ظهور علائمها ولا يزعموا انها
لا تاتيهم واصل يخصمون يختصمون فسكنت التاء وادغمت في الصاد ثم كسرت الخاء
لالتقاء الساكنين وقرئ بكسر الياء للاتباع وبفتح الخاء على القاء حركة التاء عليه
وقرئ على الاختلاس وبالاسكان على تجويز الجمع بين الساكنين اذا كان الثاني مدغما وان
لم يكن الاول حرف مد وقرئ يخصمون من خصمه اذا جادله فلا يستطيعون توصية
في شيء من امورهم ان كانوا فيما بين اهليهم ولا الى اهلهم يرجعون اذا كانوا في خارج
ابوابهم بل تبغتهم الصيحة فيموتون حيثما كانوا ونفخ في الصور هي النفخة الثانية بينها وبين
الاولى اربعون سنة اي ينفخ فيه وصيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعها فاذا هم من الاجداث
اي القبور جمع جدث وقرئ بالفاء الى ربهم مالك امرهم على الاطلاق ينسلون يسرعون
بطريق الاجبار دون الاختيار لقوله تعالى لدينا محضرون وقرئ بضم السين قالوا اي في
ابتداء بعثهم من القبور يا ويلنا احضر فهذا اوانك وقرئ يا ويلتنا من بعثنا من مرقدنا
وقرئ من اهبنا من هب من نومه اذا انتبه وقرئ من هبنا بمعنى اهبنا وقيل اصله
هب بنا فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير قيل فيه ترشيح ورمز واشعار بانهم
لاختلاط عقولهم يظنون انهم كانوا نياما وعن مجاهد ان للكفار هجعة يجدون فيها طعم
النوم فاذا صيح باهل القبور يقولون ذلك وعن ابن عباس رض وابي بن كعب وقتادة
ان الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فاذا بعثوا بالنفخة الثانية

اي الاجداف
هي القبور ٥

الثانية وشاهدوا من اهوال القيمة ما شاهدوا دعوا بالويل وقالوا ذلك وقيل اذا عاينوا
جهنم وما فيها من الوان العذاب يصير عذاب القبر في جنبها مثل النوم فيقولون ذلك وقرئ
من بعثنا ومن هبنا بمن الجارة والمصدر والمرقد اما مصدر اي من رقادنا او اسم
مكان اريد به الجنس فينتظم مراقد الكل هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون جملة
من مبتدا وخبر وما موصولة محذوفة العائد او مصدرية وهو جواب من قبل الملائكة
او المؤمنين عدل به عن سنن سؤالهم تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها على ان الذي
يهمهم هو السؤال عن نفس البعث ماذا هو دون الباعث كانهم قالوا بعثكم الرحمن الذي
وعدكم ذلك في كتبه وارسل اليكم الرسل فصدقوكم فيه وليس الامر كما تتوهمونه حتى تسالوا
عن الباعث وقيل هو من كلام الكافرين حيث يتذكرون ما سمعوه من الرسل عليهم السلام
فيجيبون به انفسهم او بعضهم بعضا وقيل هذا صفة لمرقدنا وما وعد الخ خبر مبتدا
محذوف او مبتدا خبره محذوف اي ما وعد الرحمن لفظ وصدق المرسلون حق ان كانت
اي ما كانت النفخة التي حكيت آنفا الا صيحة واحدة حصلت من نفخ اسرافيل عليه السلام
في الصور فاذا هم جميع اي مجموعون لدينا محضرون من غير لبث ما طرفة عين وفيه
من تهوين امر البعث والحشر والايذان باستغنائهما عن الاسباب ما لا يخفى فاليوم
لا تظلم نفس من النفوس برة كانت او فاجرة شيئا من الظلم ولا تجزون الا
ما كنتم تعملون اي الا جزاء ما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من الكفر والمعاصي على
حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه للتنبيه على قوة التلازم والارتباط
بينهما كانهما شيء واحد او الا بما كنتم تعملونه اي بمقابلته او بسببه وتعميم الخطاب للمؤمنين
يرده انه تعالى يوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله اضعافا مضاعفة وهذه حكاية لما سيقال
لهم حين يرون العذاب المعد لهم تحقيقا للحق وتقريعا لهم وقوله تعالى ان اصحاب الجنة
اليوم في شغل فاكهون من جملة ما سيقال لهم يومئذ زيادة لحسرتهم وندامتهم فان
الاخبار بحسن حال اعدائهم اثر بيان سوء حالهم مما يزيدهم مساءة على مساءة
وفي هذه الحكاية مزجرة لهؤلاء الكفرة عما هم عليه ومدعاة الى الاقتداء بسيرة المؤمنين
والشغل هو الشان الذي يصد المرء ويشغله عما سواه من شؤونه لكونه اهم عنده من
الكل اما لايجابه كمال المسرة والبهجة او كمال المساءة والغم والمراد ههنا هو الاول
وما فيه من التنكير والابهام للايذان بارتفاعه عن رتبة البيان والمراد به ما هم فيه
من فنون الملاذ التي تلهيهم عما عداها بالكلية واما ان المراد به افتضاض الابكار او السماع
وضرب الاوتار او التزاور او ضيافة الله تعالى او شغلهم عما فيه اهل النار على الاطلاق
او شغلهم عن اهاليهم في النار لا يهمهم امرهم ولا يبالون بهم كيلا يدخل عليهم تنغيص في
نعيمهم كما روي كل واحد منها من واحد من اكابر السلف فليس مرادهم بذلك
حصر شغلهم فيما ذكروه فقط بل بيان انه من جملة اشغالهم وتخصيص كل منهم كلا من

تلك الامور بالذكر محمول على اقتضاء مقام البيان اياه وهو مع جاره خبر لان وفاكهون خبر آخر لها اي انهم
مستقرون في شغل واي شغل في شغل عظيم الشان متنعمون بنعيم مقيم فائزون بملك كبير والتعبير عن
حالهم هذه بالجملة الاسمية قبل تحققها بتنزيل المترقب المتوقع منزلة الواقع للايذان بغاية سرعة
تحققها ووقوعها ولزيادة مساءة المخاطبين بذلك وقرئ في شغل بسكون الغين وفي شغل
بفتحتين وبفتحة وسكون والكل لغات وقرئ فكهون وفكهون بضم الكاف وهي لغة كنطس و
فاكهين وفكهين على الحال من المستكن في الظرف وقوله تعالى هم وازواجهم في ظلال على الارائك
متكئون استيناف مسوق لبيان كيفية شغلهم وتفكههم وتكميلها بما يزيدهم بهجة وسرورا من شركة
ازواجهم لهم فيما هم فيه من الشغل والفكاهة على انهم مبتدأ وازواجهم عطف عليه ومتكئون خبر والجاران
صلتان له قدمتا عليه لمراعاة الفواصل او هو والجاران بما تعلقا به من الاستقرار اخبار مترتبة وقيل
الخبر هو الظرف الاول والثاني مستانف على انه متعلق بمتكئون وهو خبر لمبتدأ محذوف وقيل على انه
خبر مقدم ومتكئون مبتدأ مؤخر وقرئ متكئين بلا همز نصبا على الحال من المستكن في الظرفين او احدهما
وقيل هم تاكيد للمستكن في خبر ان ومتكئون خبر آخر لها وعلى الارائك متعلق به وكذا في ظلال او هذا
بمضمر هو حال من المعطوفين والظلال جمع ظل كشعاب جمع شعب او جمع ظلة كقباب جمع قبة ويؤيده
قراءة في ظلل والارائك جمع اريكة وهو السرير المزين بالثياب والستور قال ثعلب لا تكون اريكة
حتى يكون عليها حجلة وقوله تعالى لهم فيها فاكهة الخ بيان لما يتمتعون به في الجنة من المآكل والمشارب
ويتلذذون به من الملاذ الجسمانية والروحانية بعد بيان ما لهم فيها من مجالس الانس ومحافل القدس تكميلا
لبيان كيفية ما هم فيه من الشغل والبهجة اي لهم فيها فاكهة كثيرة من كل نوع من انواع الفواكه وما في قوله تعالى
ولهم ما يدعون موصولة او موصوفة عبر بها عن مدعو عظيم الشان معين او مبهم ايذانا
بانه الحقيق بالدعاء دون ما عداه ثم صرح به روما لزيادة التقرير بالتحقيق بعد التشويق كما
ستعرفه او هي باقية على عمومها قصد بها التعميم بعد تخصيص بعض المواد المعتادة
بالذكر وايا ما كان فهو مبتدأ ولهم خبره والجملة معطوفة على الجملة السابقة
وعدم الاكتفاء بعطف ما يدعون على فاكهة لئلا يتوهم كون ما عبارة عن توابع الفاكهة
وتتماتها والمعنى ولهم ما يدعون به لانفسهم من مدعو عظيم الشان او كل ما يدعون
به كائنا ما كان من اسباب البهجة وموجبات السرور وايا ما كان ففيه دلالة على انهم
في اقصى غاية البهجة والغبطة ويدعون يفتعلون من الدعاء كما اشير اليه مثل اشتوى و
اجتمل اذا شوى وجمل لنفسه وقيل بمعنى يتداعون كالارتماء بمعنى الترامي وقيل
بمعنى يتمنون من قولهم ادع علي ما شئت بمعنى تمنه علي وقال الزجاج هو من الدعاء
اي ما يدعو به اهل الجنة يأتيهم فيكون الافتعال بمعنى الفعل كالاحتمال بمعنى الحمل والارتحال
بمعنى الرحلة ويعضده القراءة بالتخفيف كما ذكره الكواشي وقوله تعالى سلام على التقدير
الاول بدل من ما يدعون او خبر لمبتدأ محذوف قولا مصدر مؤكد لفعل هو صفة لسلام
وما بعده من الجار متعلق بمضمر هو صفة له كانه قيل ولهم سلام او ما يدعون سلام يقال لهم

لهم قولا كائنا من جهة رب رحيم اي يسلم عليهم من جهته تعالى بواسطة الملك او بدونها
مبالغة في تعظيمهم قال ابن عباس رض والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين
واما على التقدير الثاني فقد قيل انه خبر لما يدعون ولهم لبيان الجهة كما يقال لزيد
الشرف متوفر على ان الشرف مبتدأ ومتوفر خبره والجار والمجرور لبيان من له ذلك
اي ما يدعون سالم لهم خالص لا شوب فيه وقولا حينئذ مصدر مؤكد لمضمون الجملة
اي عدة من رب رحيم والاوجه ان ينتصب على الاختصاص وقيل هو مبتدأ محذوف
الخبر اي لهم سلام اي تسليم قولا من رب رحيم او سلامة من الآفات فيكون قولا
مصدرا مؤكدا لمضمون الجملة كما سبق وقيل تقديره سلام عليهم فيكون حكاية
لما سيقال لهم من جهته تعالى يومئذ وقيل خبره الفعل المقدر ناصبا لقولا وقيل
خبره من رب رحيم وقرئ سلاما بالنصب على الحالية اي لهم مرادهم سالما خالصا
وقرئ سلم وهو بمعنى السلام في المعنيين وامتازوا اليوم عطف اما على الجملة
السابقة المسوقة لبيان احوال الجنة لكن لا على ان المقصود عطف فعل الامر
بخصوصه حتى يتمحل له مشاكل يصح عطفه عليه بل على انه عطف قصة سوء حال
هؤلاء وكيفية عقابهم على قصة حسن حال اولئك ووصف ثوابهم كما مر في قوله تعالى
وبشر الذين آمنوا الآية وكان تغيير السبك لتخييل كمال التباين بين الفريقين
وحاليهما واما على مضمر ينساق اليه حكاية حال اهل الجنة كانه قيل اثر بيان كونهم في
شغل عظيم الشان وفوزهم بنعيم مقيم يقصر عنه البيان فليقروا بذلك عينا وامتازوا
عنهم ايها المجرمون الى مصيركم وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك لكل كافر بيت
من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى واما ما قيل من المضمر فليمتازوا فبمعزل من
السداد لما ان المحكي عنهم ليس مصيرهم الى ما ذكر من الحال المرضية حتى ينسى ترتيب
الامر المذكور عليه بل انما هو استقرارهم عليها بالفعل وكون ذلك بطريق تنزيل المترقب
منزلة الواقع لا يجدي نفعا لان مناط الاضمار انسياق الافهام اليه وانصباب
نظم الكلام عليه فبعد ما نزلت تلك الحال منزلة الواقع بالفعل لما اقتضاه المقام
النكتة البارعة والحكمة الرائعة حسبما مر بيانه واسقط كونها مترقبة عن درجة
الاعتبار بالكلية يكون التصدي لاضمار شيء يتعلق به اخراجا للنظم الكريم عن الجزالة
بالمرة الم اعهد اليكم يا بني آدم الا تعبدوا الشيطان من جملة ما يقال لهم بطريق
التقريع والالزام والتبكيت بين الامر بالامتياز وبين الامر بدخول جهنم بقوله
تعالى اصلوها اليوم الخ والعهد الوصية والتقدم بامر فيه خير ومنفعة والمراد ههنا
ما كلفهم الله تعالى على السنة الرسل عليهم السلام من الاوامر والنواهي التي من جملتها قوله تعالى
يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة الآية وقوله تعالى ولا تتبعوا
خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين وغيرهما من الآيات الكريمة الواردة في هذا المعنى

وقيل هو الميثاق المأخوذ عليهم حين اخرجوا من ظهور بني آدم واشهدوا على انفسهم وقيل
هو ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته تعالى الزاجرة عن عبادة غيره
والمراد بعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم ويزينه لهم عبر عنها بالعبادة
لزيادة التحذير والتنفير عنها ولوقوعها في مقابلة عبادته عز وجل وقرئ اعهد بكسر
الهمزة واعهد بكسر الهاء واحهد بالحاء مكان العين واحد بالادغام وهي لغة بني
تميم انه لكم عدو مبين اي ظاهر العداوة وهو تعليل لوجوب الانتهاء عن المنهي عنه
وقيل تعليل للنهي وان اعبدوني عطف على الا تعبدوا على ان ان فيهما مفسرة للعهد
الذي فيه معنى القول بالنهي والامر او مصدرية حذف عنها الجار اي الم اعهد اليكم في
ترك عبادة الشيطان وفي عبادتي وتقديم النهي على الامر لما ان حق التخلية التقدم
على التحلية كما في كلمة التوحيد ولتتصل به قوله تعالى هذا صراط مستقيم فانه اشارة الى عبادته
تعالى التي هي عبارة عن التوحيد والاسلام وهو المشار اليه بقوله تعالى هذا صراط علي مستقيم
والمقصود بقوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم والتنكير للتفخيم واللام في قوله تعالى
ولقد اضل منكم جبلا كثيرا جواب قسم محذوف والجملة استيناف مسوق لتشديد
التوبيخ وتاكيد التقريع ببيان ان جناياتهم ليست بنقض العهد فقط بل به وبعدم الاتعاظ
بما شاهدوا من العقوبات النازلة على الامم الخالية بسبب طاعتهم للشيطان فالخطاب
لمتاخريهم الذين من جملتهم كفار مكة خصوا بزيادة التوبيخ والتقريع لتضاعف جناياتهم
والجبل بكسر الجيم والباء وتشديد اللام الخلق وقرئ بضمتين وتشديد وبضمتين
وتخفيف وبضمة وسكون وبكسرتين وتخفيف وبكسرة وسكون والكل لغات
وقرئ جبلا جمع جبلة كفطر وخلق في جمع خطرة وخلقة وقرئ جيلا بالياء وهو الصنف
من الناس اي وبالله لقد اضل منكم خلقا كثيرا او صنفا كثيرا عن ذلك الصراط المستقيم
الذي امرتكم بالثبات عليه فاصلا بهم لاجل ذلك ما اصابهم من العقوبات الهائلة
التي ملأ الآفاق اخبارها وبقي مدى الدهر آثارها والفاء في قوله تعالى افلم تكونوا
تعقلون للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اكنتم تشاهدون آثار عقوبتهم فلم تكونوا
تعقلون انها لضلالهم او فلم تكونوا تعقلون شيئا اصلا حتى ترتدعوا عما كانوا
عليه كيلا يحيق بكم العقاب وقوله تعالى هذه جهنم التي كنتم توعدون استئناف
يخاطبون به بعد تمام التوبيخ والتقريع والالزام والتبكيت عند اشرافهم على
شفير جهنم اي كنتم توعدونها على السنة الرسل عليهم السلام بمقابلة عبادة الشيطان
مثل قوله تعالى لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وقوله تعالى قال اذهب فمن
تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا وقوله تعالى قال اخرج منها مذءوما مدحورا
لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين وغير ذلك مما لا يحصى وقوله تعالى اصلوها
اليوم بما كنتم تكفرون امر تنكيل واهانة كقوله تعالى ذق انك انت الخ اي ادخلوها من

من فوق وقاسوا فنون عذابها اليوم بكفركم المستمر في الدنيا وقوله تعالى اليوم نختم على افواههم اي ختما
يمنعها عن الكلام التفات الى الغيبة للايذان بان ذكر احوالهم القبيحة استدعى ان يعرض عنهم
ويحكي احوالهم الفظيعة لغيرهم مع ما فيه من الايماء الى ان ذلك من مقتضيات الختم لان الخطاب
لتلقي الجواب وقد انقطع بالكلية وقرئ نختم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون
يروى انهم يجحدون ويخاصمون فيشهد عليهم جيرانهم واهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين
فحينئذ يختم على افواههم وتكلم ايديهم وارجلهم وفي الحديث يقول العبد يوم القيمة اني لا اجيز علي شاهدا
الا من نفسي فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا
فعنكن كنت اناضل وقيل تكليم الاركان وشهادتها دلالتها على افعالها وظهور آثار المعاصي عليها
وقرئ وتتكلم ايديهم وقرئ ولتكلمنا ايديهم وتشهد بلام كي والنصب على معنى ولذلك نختم على افواههم
ولتكلمنا ايديهم ولتشهد بلام الامر والجزم ولو نشاء لطمسنا على اعينهم الطمس تعفية شق العين
حتى تعود ممسوحة ومفعول المشية محذوف على القاعدة المستمرة التي هي وقوعها شرطا وكون مفعولها
مضمون الجزاء اي لو نشاء ان نطمس على اعينهم لفعلناه وايثار صيغة الاستقبال وان كان المعنى
على المضي لافادة ان عدم الطمس على اعينهم لاستمرار عدم المشية فان المضارع المنفي الواقع موقع
الماضي ليس بنص في افادة انتفاء استمرار الفعل بل قد يفيد استمرار انتفائه بحسب المقام كما مر في
قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير فاستبقوا الصراط اي فارادوا ان يستبقوا الى الطريق
الذي اعتادوا سلوكه على ان انتصابه بنزع الجار او هو بتضمين الاستباق معنى الابتداء او بالظرفية
فانى يبصرون الطريق وجهة السلوك ولو نشاء لمسخناهم بتغيير صورهم وابطال قواهم على مكانتهم
اي مكانهم الا ان المكانة اخص كالمقامة والمقام وقرئ على مكاناتهم اي لمسخناهم مسخا يجمدهم مكانهم
لا يقدرون ان يرجوه باقبال ولا ادبار ولا رجوع وذلك قوله تعالى فمستطاعوا مضيا ولا يرجعون اي
ولا رجوعا فوضع موضعه الفعل لمراعاة الفاصلة عن ابن عباس رض قردة وخنازير وقيل حجارة
وعن قتادة لاقعدناهم على ارجلهم وازمناهم وقرئ مضيا بكسر الميم وفتحها وليس مساق الشرطيتين
لمجرد بيان قدرته تعالى على ما ذكر من عقوبة الطمس والمسخ بل لبيان انهم بما هم عليه من الكفر ونقض العهد
وعدم الاتعاظ بما شاهدوا من آثار دمار امثالهم احقاء بان يفعل بهم في الدنيا تلك العقوبة كما فعل
بهم في الآخرة عقوبة الختم وان المانع من ذلك ليس الا عدم تعلق المشية الالهية به كانه قيل لو نشاء
عقوبتهم بما ذكر من الطمس والمسخ جريا على موجب جناياتهم المستدعية لها ولكنا لم نشأها جريا على
سنن الرحمة والحكمة الداعيتين الى امهالهم ومن نعمره اي نطل عمره ننكسه في الخلق اي نقلبه فيه
ونخلقه على عكس ما خلقناه اولا فلا يزال يتزايد ضعفه ويتناقص قوته وينتقص بنيته
ويتغير شكله وصورته حتى يعود الى حالة شبيهة بحال الصبي في ضعف الجسد وقلة العقل
والخلو عن الفهم والادراك وقرئ ننكسه من الثلاثي وننكسه من الانكاس افلا يعقلون اي
ايرون ذلك فلا يعقلون ان من قدر على ذلك يقدر على ما ذكر من الطمس والمسخ وان عدم ايقاعهما لعدم
تعلق مشيته تعالى بهما وقرئ تعقلون بالتاء لجري الخطاب قبله وما علمناه الشعر رد وابطال لما

كانوا يقولونه فى حقه عم من انه شاعر وما يقوله شعر اى ما علمناه الشعر بتعليم القرآن على معنى ان القرآن
ليس بشعر فان الشعر كلام متكلف موضوع ومقال مزخرف مصنوع منسوج على منوال الوزن والقافية
مبنى على خيالات واوهام واهنية فاين ذلك من التنزيل الجليل الحظ المنزه عن مماثلة كلام البشر
المشحون بفنون الحكم والاحكام الباهرة الموصلة الى سعادة الدنيا والاخرة ومن اين اشتبه
عليهم الشئون واختلط بهم الظنون قاتلهم الله انى يؤفكون **وما ينبغى له** وما يصح له الشعر ولا تأتى له لو
طلبه اى جعلناه بحيث لو اراد قرض الشعر لم يتات له كما جعلناه امتا لا يهتدى للخط ليكون الحجة
اثبت والشبهة ادحض **واما قولهم** انا ابن عبد المطلب لا كذب انا ابن عبد المطلب وقولهم هل انت
الا اصبع دميت وفى سبيل الله ما لقيت فمن قبيل الاتفاقات الواردة من غير قصد اليها
وعزم على تيسيرها وقيل الضمير له للقرآن اى وما ينبغى للقرآن ان يكون شعرا **ان هو** اى ما هو القرآن
الا ذكر اى عظة من الله عز وجل وارشاد للثقلين كما قال **ان هو الا ذكر للعالمين وقرآن مبين**
اى كتاب سماوى بين كونه كذلك او فارق بين الحق والباطل يقرأ فى المحاريب وتتلى فى
المعابد وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين فكم بينه وبين ما قالوا **لينذر** اى القرآن او
الرسول عليه السلام ويؤيده القراءة بالتاء وقرئ لينذر من نذر به اى علمه ولينذر مبنيا للمفعول من الانذار
من كان حيا اى عاقلا متاملا فان الغافل بمنزلة الميت او مؤمنا فى علم الله تعالى فان الحق لا بد له
بالايمان وتخصيص الانذار به لانه المنتفع به **ويحق القول** اى يجب كلمة العذاب **على الكافرين** المصرين
على الكفر وفى ايرادهم بمقابلة من كان حيا اشعار بانهم لخلوهم عن آثار الحياة واحكامها التى هى المعرفة
اموات فى الحقيقة **أولم يروا** الهمزة للانكار والتوبيخ والواو للعطف على جملة منفية تقديرها مستبعة
للمعطوف اى الم يتفكروا او الم يلاحظوا او لم يعلموا علما يقينيا متاخما للمعاينة **انا خلقنا لهم** اى لاجلهم
وانتفاعهم **مما عملت ايدينا** اى مما توليناه احداثه بالذات وذكر الايدى واسناد العمل اليها
استعارة تفيد مبالغة فى الاختصاص والتفرد بالاحداث والاعتناء به **انعاما** مفعول خلقنا
وتاخيره عن الجار والمجرور المتعلقين به مع ان حقه التقدم عليهما لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق
الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن لا
عند كون المقدم مبتدا عن كون المؤخر امرا ناقصا خطيرا كما فى النظم الكريم فان الاول المعرب عن كون الجار
من مناهم والثانى المفصح عن كونه من الامور الخطيرة يزيد ان النفس شوقا اليه ورغبة فى تلقيه
ولان فى تاخيره جمعا بينه وبين احكامه المتفرعة عليه بقوله تعالى **فهم لها مالكون** الايات اى خلقناها انعاما
واثرنا الجملة الاسمية على ذلك للدلالة على استقرار ملكيتهم لها واستمرارها واللام متعلقة
بمالكون مقوية لعمله اى فهم مالكون لها بتمليكنا اياها لهم متصرفون فيها بالاستقلال مختصون بالانتفاع
بها لا يزاحمهم فى ذلك غيرهم او قادرون على ضبطها متمكنون من التصرف فيها بما قدرنا وتمكينا
وتسخيرنا اياها لهم كما فى قول من قال اصبحت لا احمل السلاح ولا املك راس البعير ان نفرا
والاول هو الاظهر ليكون قوله تعالى **وذللناها لهم** تاسيسا لنعمة على حيالها لا تتمة لما قبلها اى صيرناها
منقادة لهم بحيث لا تستعصى عليهم فى شئ مما يريدون بها حتى الذبح حسبما ينطق به قوله تعالى **فمنها ركوبهم**

ركوبهم فان الفاء تفيد لتفريع احكام التذليل عليه وتفصيلها اى بعض منها ركوبهم اى مركوبهم
اى معظم منافعها الركوب وعدم التعرض للحمل لكونه من تتمات الركوب وقرئ ركوبتهم وهى بمعناه
كالحلوب والحلوبة وقيل الركوبة اسم جمع وقرئ ركوبهم اى ذو ركوبهم **ومنها يأكلون** اى وبعض
منها يأكلون لحمه **ولهم فيها** اى فى الانعام بكلا قسميها **منافع** اخر غير الركوب والاكل كالحلود والاصواف
والاوبار وغير ذلك كالحراثة بالبقر **ومشارب** من اللبن جمع مشرب وهذا المجمل قد فصل فى سورة النحل
افلا يشكرون اى ايشاهدون هذه النعم او يتمتعون بها فلا يشكرون المنعم بها **واتخذوا من دون**
الله اى متجاوزين الله الذى شاهدوا تفرده بتلك القدرة الباهرة وتفضله عليهم بهاتيك
النعم المتظاهرة **آلهة** من الاصنام واشركوا به تعالى فى العبادة **لعلهم ينصرون** رجاء ان ينصروا من
جهتهم فيما حزبهم من الامور او يشفعوا لهم فى الاخرة وقوله تعالى **لا يستطيعون نصرهم** استيناف
سيق لبيان بطلان رايهم وخيبة رجائهم وانعكاس تدبيرهم اى لا يقدر آلهتهم على نصرهم **وهم**
اى المشركون **لهم** اى لاجلهم **جند محضرون** يشيعونهم عند مساقهم الى النار وقيل معدون فى الدنيا
لحفظهم وخدمتهم والذب عنهم ولا يساعده مساق النظم الكريم فان الفاء فى قوله تعالى **فلا يحزنك قولهم**
لترتيب النهى على ما قبله فلا بد ان يكون عبارة عن حسرانهم وحرمانهم عما علقوا به اطماعهم الفارغة
وانعكاس الامر عليهم بترتب الشر على ما رتبوه لرجاء الخير فان ذلك مما يهون الخطب ويورث السلوة
واما كونهم معدين لخدمتهم وحفظهم فمعزل من ذلك والنهى وان كان بحسب الظاهر متوجها الى قولهم
لكنه فى الحقيقة متوجه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى له عم عن التاثر منه بطريق الكناية على ابلغ وجه
واكده فان النهى عن اسباب الشئ ومباديه المؤدية اليه نهى عنه بالطريق البرهانى وابطال للتسببية
وقد يوجه النهى الى المسبب وقرئ النهى عن التسبب كما فى قوله لا ارينك ههنا يريد به نهى مخاطبه عن
الحضور لديه والمراد بقولهم ما ينبئ ما ذكر من اتخاذهم الاصنام آلهة فان ذلك مما لا يخلو عن التفوه بقولهم
هؤلاء آلهتنا وانهم شركاء لله سبحانه فى المعبودية وغير ذلك مما يورث الحزن وقرئ يحزنك بضم
الياء وكسر الزاء من احزن المنقول من حزن اللازم وقوله تعالى **انا نعلم ما يسرون وما يعلنون** تعليل
صريح للنهى بطريق الاستيناف بعد تعليله بطريق الاشعار فان العلم بما ذكر مستلزم للمجازاة قطعا
اى انا نجازيهم بجميع جناياتهم الخافية والبادية التى لا يعزب عن علمنا شئ منها وفيه فضل تسلية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وتقديم السر على العلن اما للمبالغة فى بيان شمول علمه تعالى لجميع المعلومات كائنة ما كانت
او قدم منه ما يعلنونه مع استوائهما فى الحقيقة فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصولها صورا بل
وجود كل شئ فى نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفى هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة
واما لان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شئ يعلن الا وهو او مباديه مضمر فى القلب
ذلك فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية حقيقة **أولم ير الانسان انا خلقناه من**
نطفة كلام مستانف مسوق لبيان بطلان انكارهم البعث بعد ما شاهدوا فى انفسهم ما وضح دلائله
واعدل شواهده كما ان ما سبق مسوق لبيان بطلان اشراكهم بالله تعالى بعد ما عاينوا فيما يأتيهم ما يوجب
التوحيد والاسلام واما ما قيل من انه تسلية ثانية لرسول الله صلعم بتهوين ما يقولونه بالنسبة الى انكارهم

منة

الحشر فكلا والهمزة للانكار والتعجيب والواو للعطف على جملة مقدرة هي مستتبعة للمعطوف كما مر في
الجملة الانكارية السابقة اي الم يتفكر الانسان ولم يعلم علما يقينيا انا خلقناه من نطفة الخ او هي
عين الجملة السابقة اعيدت تاكيدا للنكير السابق وتمهيدا لانكار ما هو احق منه بالانكار والتعجيب
لما ان المنكر هناك عدم علمهم بما يتعلق بخلق اسباب معايشهم وههنا عدم علمهم بما يتعلق بخلق انفسهم
ولا ريب في ان علم الانسان باحوال نفسه اهم واحاطته بها اسهل واكمل فالانكار والتعجيب من الاخلال
بذلك اوخل كانه قيل الم يعلموا خلقه تعالى لاسباب معايشهم ولم يعلموا خلقه تعالى لانفسهم ايضا مع كون
العلم بذلك في غاية الظهور ونهاية الاهمية على معنى ان المنكر الاول بعيد قبيح والثاني ابعد واقبح ويجوز
ان تكون الواو لعطف الجملة الانكارية الثانية على الاولى على انها متقدمة في الاعتبار وان تقدم الهمزة
عليها لاقتضائها الصدارة في الكلام كما هو راي الجمهور وايراد الانسان مورد الضمير لان مدار الانكار
متعلق باحواله من حيث هو انسان كما في قوله تعالى او لا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا
وقوله تعالى فاذا هو خصيم مبين اي شديد الخصومة والجدال بالباطل عطف على الجملة المنفية
داخل في حيز الانكار والتعجيب كانه قيل اولم ير انا خلقناه من اخس الاشياء وامهنها ففاجاء خصومتنا
في امر يشهد بصحته وتحققه مبداء فطرته شهادة بينة وايراد الجملة الاسمية للدلالة على استقراره في
الخصومة واستمراره عليها روي ان جماعة من كفار قريش منهم ابي بن خلف الجمحي وابو جهل والعاص بن
وائل والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم ابي بن خلف الا ترون الى ما يقول محمد ان الله
يبعث الاموات ثم قال واللات والعزى لاصيرن اليه ولاخصمنه واخذ عظما باليا فجعل يفته
بيده ويقول يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما رم قال عليه السلم نعم ويبعثك ويدخلك جهنم فنزلت
وقيل معنى قوله تعالى فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعد ما كان ماء مهينا رجل مميز منطيق قادر على
الخصام مبين معرب عما في نفسه فصيح فهو ح معطوف على خلقناه غير داخل تحت الانكار والتعجيب بل
هو من متممات شواهد صحة البعث فقوله تعالى وضرب لنا مثلا معطوف ح على الجملة المنفية داخل في حيز
الانكار والتقبيح واما على التقدير الاول فهو عطف على الجملة الفجائية والمعنى ففاجاء خصومتنا وضرب
لنا مثلا اي اورد في شاننا قصة عجيبة في نفس الامر هي في الغرابة والبعد عن العقول كالمثل وهي
انكار احيائنا العظام او قصة عجيبة في زعمه واستبعدها وعدها من قبيل المثل وانكرها اشد الانكار
وهي احياؤنا اياها او جعل لنا مثلا ونظيرا من الخلق وقاس قدرتنا على قدرتهم ونفى الكل على العموم
وقوله تعالى ونسي خلقه اي خلقنا اياه على الوجه المذكور الدال على بطلان ما ضربه اما عطف على ضرب
داخل في حيز الانكار والتعجيب او حال من فاعله باضمار قد او بدونه وقوله تعالى قال استيناف وقع
جوابا عن سؤال نشاء من حكاية ضربه المثل كانه قيل اي مثل ضرب او ماذا قال فقيل قال من يحيي العظام
منكرا له اشد النكير مؤكدا له بقوله وهي رميم اي بالية اشد البلى بعيدة من الحيوة غاية البعد فالمثل
على الاول هو انكار احيائه تعالى للعظام فانه امر عجيب في نفس الامر حقيق لغرابته وبعده من العقول
بان يعد مثلا ضرورة جزم العقول ببطلان الانكار ووقوع المنكر لكونه كالانشاء بل اهون منه في قياس
العقل وعلى الثاني هو احياؤه تعالى لها فانه امر عجيب في زعمه قد استبعده وعده من قبيل المثل وانكره

وانكره اشد الانكار مع انه في نفس الامر اقرب شيء من الوقوع لما سبق من كونه مثل الانشاء
او اهون منه واما على الثالث فلا فرق بين ان يكون المثل هو الانكار او المنكر وعدم تانيث الرميم
مع وقوعه خبرا للمؤنث لانه اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرفات وقد تمسك بظاهر الاية
الكريمة من اثبت للعظم حيوة وبنى عليه الحكم بنجاسة عظم الميتة واما اصحابنا فلا يقولون بحياته
كالشعر ويقولون المراد باحياء العظام ردها الى ما كانت عليه من الغضاضة والرطوبة في بدن
حي حساس قل تبكيتا له بتذكير ما نسيه من فطرته الدالة على حقيقة الحال وارشاده الى طريقة
الاستشهاد بها يحييها الذي انشاها اول مرة فان قدرته كما هي لاستحالة التغير فيها والمادة
على حالها وهو بكل خلق عليم مبالغ في العلم بتفاصيل كيفيات الخلق والايجاد انشاء واعادة
محيط بجميع الاجزاء المتفتتة المتبددة لكل شخص من الاشخاص اصولها وفروعها واوضاع
بعضها من بعض من الاتصال والانفصال والاجتماع والافتراق فيعيد كلا من ذلك على
النمط السابق مع القوى التي كانت قبل والجملة اما اعتراض تذييلي مقرر لمضمون الجواب
او معطوفة على الصلة والعدول الى الجملة الاسمية للتنبيه على ان علمه تعالى بما ذكر امر مستمر ليس
كانشائه للمنشآت وقوله تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا بدل من الموصول الاول او عدم
الاكتفاء بعطف صلته على صلته للتاكيد ولتفاوتهما في كيفية الدلالة اي خلق لاجلكم ومنفعتكم منه
نارا على ان الجعل ابداعي والجاران متعلقان به قدما على مفعوله الصريح مع تاخرهما عنه رتبة لما مر
من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ووصف الشجر بالاخضر نظرا الى اللفظ وقد قرئ
الخضراء بالنظر الى المعنى وهو المرخ والعفار يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما
خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهو انثى فينقدح النار باذن
الله تعالى وذلك قوله تعالى فاذا انتم منه توقدون فمن قدر على احداث النار من الشجر الاخضر مع
ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيته كان اقدر على اعادة الغضاضة الى ما كان غضا فطرا عليه
اليبوسة والبلى وقوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض الخ استيناف مسوق من
جهته عز وجل لتحقيق مضمون الجواب الذي امر عليه السلم بان يخاطبهم بذلك ويلزمهم الحجة والهمزة للانكار
والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اليس الذي انشاها اول مرة وليس الذي جعل
لهم من الشجر الاخضر نارا وليس الذي خلق السموات والارض مع كبر جرمهما وعظم شانهما بقادر على ان
يخلق مثلهم في الصغر والقماءة بالنسبة اليهما فان بديهة العقل قاضية بان من قدر على خلقهما فهو على
خلق الاناسي اقدر كما قال تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقرئ يقدر وقوله تعالى بلى جواب
من جهته تعالى وتصريح بما افاده الاستفهام الانكاري من تقرير ما بعد النفي وايذان بتعين الجواب
نطقوا به او تلعثموا فيه مخافة الالزام وقوله تعالى وهو الخلاق العليم عطف على ما يفيده الايجاب اي بلى
هو قادر على ذلك وهو المبالغ في الخلق والعلم كيفا وكما انما امره اي شانه اذا اراد شيئا من الاشياء
ان يقول له كن اي ان يعلق به قدرته فيكون فيحدث من غير توقف على شيء آخر اصلا وهذا تمثيل لتاثير
قدرته تعالى فيما اراده بالامر المطاع المامور المطيع في سرعة حصول المامور به من غير توقف على شيء ما وقرئ

فيكون بالنصب عطفا على يقول فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء تنزيه له عز وعلا عما وصفوه تعالى به وتعجيب مما قالوا اى شأنه تع وقدم تحقيق معنى سبحان والفاء للاشارة الى ان ما فصل من شئونه تع موجبة لتنزيهه وتنزيهه اكمل ايجاب كما ان وصفه تعالى بالملكية الكلية المطلقة للاشعار بانها مقتضية لذلك اتم اقتضاء والملكوت مبالغة في الملك كالرحموت والرهبوت وقرئ ملكة كل شيء ومملكة كل شيء وملك كل شيء واليه ترجعون لا الى غيره وقرئ ترجعون بفتح التاء من الرجع وفيه من الوعد والوعيد ما لا يخفى عن ابن عباس رض كنت لا اعلم ما ورد في فضائل يس وقرأتها كيف خصت بذلك فاذا انه في هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء قلبا وان قلب القرآن يا سين من قرأ يا سين يريد بها وجه الله تعالى غفر الله تع له واعطى من الاجر كأنما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف فيها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قرأ يا سين وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان وقال صلى الله عليه وسلم ان في القرآن سورة يشفع قارئها ويغفر لمستمعها الا وهي سورة يس

سورة صافات

بسم الله الرحمن الرحيم

والصافات صفا اقسام من الله عز وجل بطوائف الملائكة الفاعلات للصفوف على ان المراد ايقاع نفس الفعل من غير قصد الى المفعول او الصافات انفسها اى الناظمات لها في سلك الصفوف بقيامها في مقاماتها المعلومة حسبما ينطق به قوله تع وما منا الا له مقام معلوم وعلى هذا المعينين مدار قوله تع وانا لنحن الصافون وقيل الصافات اقدامها في الصلاة وقيل اجنحتها في الهواء فالزاجرات زجرا اى الفاعلات للزجر او الزاجرات لما تنيط به زجرة من الاجرام العلوية والسفلية وغيرها على وجه يليق بالمزجور ومن جملة ذلك زجر العباد عن المعاصي وزجر الشيطان عن الوسوسة والاغواء وعن استراق السمع كما سيأتي وصفا وزجرا مؤكدان لما قبلهما اى صفا بديعا وزجرا بليغا واما ذكر الفاء في قوله تع فالتاليات ذكرا فمفعول التاليات اى التاليات ذكرا عظيم الشان من آيات الله تع وكتبه المنزلة على الانبياء عليهم السلم وغيرها من التسبيح والتقديس والتحميد والتمجيد وقيل هو ايضا مصدر مؤكد لما قبله فان التلاوة من باب الذكر ثم ان جعلت هذه الصفات ان اجريت على الكل فعطفها بالفاء للدلالة على ترتبها في الفضل اما بكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة او على العكس وان اجريت على كل واحدة منهن على طوائف معينة فهو للدلالة على ترتب الموصوفات في مراتب الفضل بمعنى ان طوائف الصافات ذوات فضل والزاجرات افضل والتاليات افضلهن فضلا او على العكس وقيل المراد بالمذكورات نفوس العلماء العاملين الصافات انفسها في صفوف الجماعات واقدامها في الصلوات الزاجرات بالمواعظ والنصائح التاليات آيات الله تع الدارسات شرائعه واحكامه وقيل طوائف الغزاة الصافات انفسهم

اى الغزاة

في مواطن الحروب كأنهم بنيان مرصوص او طوائف قوادهم الصافات لهم فيها الزاجرات الخيل للجهاد سوقا والعدو في المعارك طردا التاليات آيات الله تعالى وذكره وتسبيحه في تضاعيف ذلك والكلام في العطف ودلالته على ترتب الصفات في الفضل او ترتب موصوفاتها فيه كالذي سلف واما الدلالة على الترتب في الوجود كما في قوله تع يكاد زيتها للحارث الصباح فالغائر فغير ظاهرة في شيء من الطوائف المذكورة فانه لو سلم تقدم الصف على الزجر في الملائكة والغزاة فتأخر التلاوة عن الزجر غير ظاهر وقيل الصافات الطير من قوله تع والطير صافات والزاجرات كل ما يزجر عن المعاصي والتاليات كل من تلو كتاب الله وقيل الزاجرات القوارع القرآنية وقرئ بادغام التاء في الصاد والزاء والذال ان الهكم لواحد جواب للقسم والجملة تحقيق للحق الذي هو التوحيد بما هو المألوف في كلامهم من التوكيد القسمي وتمهيد لما يعقبه من البرهان الناطق به اعني قوله تع رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق فان وجودها وانتظامها على هذا النمط البديع من اوضح دلائل وجوب الصانع وعلمه وقدرته واعدل شواهد وحدته كما مر في قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ورب جر بان لان او جر لمبتدإ محذوف اى هو مالك السموات والارض وما بينهما من الموجودات ومربيها ومبلغها الى كمالاتها والمراد بالمشارق مشارق الشمس وكعادة الرب فيما لغاية ظهور آثار الربوبية فيها وتجددها كل يوم فانها ثلثمائة وستون مشرقا تشرق كل يوم من مشرق منها وبجسبها يختلف المغارب وتغرب كل يوم في مغرب منها واما قوله تع رب المشرقين ورب المغربين فلما مشرق الصيف والشتاء ومغاربهما انا زينا السماء الدنيا اى القربى منكم بزينة عجيبة بديعة الكواكب بالجر بدل من زينة على ان المراد بها الاسم اى ما يزان به لا المصدر فان الكواكب نفسها وان وضع بعضها من بعض زينة واى زينة وقرئ بالاضافة على اخفى بيانية لما ان الزينة مبهمة صادقة على كل ما يزان به فيقع الكواكب بيانا لها ويجوز ان يراد بزينة الكواكب ما زينت هي به وهو ضوءها وروى عن ابن عباس رض بزينة الكواكب بضوء الكواكب هذا واما على تقدير كون الزينة مصدرا فالمعنى على تقدير اضافتها الى الفاعل بان زانت الكواكب اياها واصله بزينة الكواكب وعلى تقدير اضافتها الى المفعول بان زان الله الكواكب وحسنها واصله بزينة الكواكب والمراد هو التزيين في رأى العين فان جميع الكواكب من الثوابت والسيارة تبدو للناظرين كأنها جواهر متلألئة في سطح سماء الدنيا بصور بديعة واشكال رائعة ولا يقدح في ذلك اركاز الثوابت في الفلك الثامن وما عدا القمر في الستة المتوسطة ان ثبت ذلك وحفظا منصوب اما بعطفه على زينة باعتبار المعنى كأنه قيل انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من كل شيطان مارد اى خارج عن الطاعة برمي الشهب واما باضمار فعله واما بتقدير فعل مؤخر معلل به كأنه قيل وحفظا من كل شيطان مارد زيناها بالكواكب كقوله تع انا زينا السماء الدنيا

الراجح سالما

جمع ايدجى صباح كدجى

بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وقوله تعالى لا يسمعون الى الملأ الاعلى كلام مستانف
مسوق لبيان حالهم بعد بيان حفظ السماء عنهم مع التنبيه على كيفية الحفظ وما يعتريهم
في اثناء ذلك من العذاب ولا سبيل الى جعله صفة لكل شيطان ولا جوابا عن سؤال مقدر
لعدم استقامة المعنى ولا علة للحفظ على ان يكون الاصل لئلا يستمعوا فتحذف اللام
كما حذفت من قولك جئتك ان تكرمني فيبقى ان لا يستمعوا ثم تحذف ان ويهدر عملها
كما في قول من قال الا ايها الزاجري احضر الوغا لما ان كل واحد من ذينك الحذفين غير
منكر بانفراده فاما اجتماعهما فمن انكر المنكرات التي تجب تنزيه ساحة التنزيل الجليل عن
امثالها واصل يسمعون يتسمعون والملأ الاعلى الملائكة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم
الكتبة وعنه اشراف الملائكة عليهم السلام اي لا يتطلبون السماع والاصغاء اليهم
وقرئ يسمعون بالتخفيف ويقذفون يرمون من كل جانب من جميع جوانب السماء
اذا قصدوا الصعود اليها دحورا علة للقذف اي للدحور وهو الطرد او حال بمعنى
مدحورا او مصدر مؤكد له لانهما من واد واحد وقرئ دحورا بفتح الدال اي قذفا دحورا
مبالغا في الطرد قد جوز ان يكون مصدرا كالقبول والولوع ولهم عذاب واصب
اي ولهم في الآخرة غير ما في الدنيا من عذاب الرجم بالشهب عذاب شديد دائم غير منقطع كقوله
تعالى واعتدنا لهم عذاب السعير الا من خطف الخطفة استثناء من واو يسمعون ومن
بدل منه والخطف الاختلاس والمراد اختلاس كلام الملائكة مسارقة كما يعرب عنه الخطفة
وقرئ بكسر الخاء والطاء المشددة وبفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها واصلهما اختطف
فاتبعه شهاب اي تبعه ولحقه وقرئ فاتبعه والشهاب ما يرى منقضا من السماء ثاقب
مضيء في الغاية كانه يثقب الجو بضوئه يرجم به الشياطين اذا صعدوا لاستراق
السمع فيقتلهم او يحرقهم او يخبلهم قالوا وانما يعود من مسلم منهم حيا طمعا في السلامة ونيل
المراد كراكب السفينة فاستفتهم فاستخبر مشركي مكة اهم اشد خلقا اي اقوى خلقة
وامتن بنية او اصعب خلقا واشق ايجادا ام من خلقنا من الملائكة والسماء
والارض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء
على غيرهم ويدل عليه اطلاقه ومجيئه بعد ذلك لا سيما قراءة من قرأ ام من عدونا وقوله
انا خلقناهم من طين لازب فانه الفارق بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم من الامم
كعاد وثمود ولان المراد اثبات المعاد ورد استحالتهم والامر فيه بالاضافة اليهم والى
من قبلهم سواء وقرئ لازم ولاتب بل عجبت اي من قدرة الله تعالى على هذه الخلائق
العظيمة وانكارهم للبعث ويسخرون من تعجبك وتقريرك للبعث وقرئ بضم التاء
على معنى انه بلغ كمال قدرتي وكثرة مخلوقاتي الى حيث عجبت منها وهؤلاء لجهلهم يسخرون
منها او عجبت من ان ينكروا البعث ممن هذه افاعيله ويسخروا ممن يجوزه والعجب من الله
تعالى اما على الفرض والتخييل او على معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة تعتري الانسان

الانسان عند استعظام الشيء وقيل انه مقدر بالقول اي قل يا محمد بل عجبت واذا ذكروا اي وداهم المستمر
انهم اذا وعظوا بشيء من المواعظ لا يذكرون لا يتعظون واذا ذكر لهم ما يدل على صحة البعث لا ينتفعون به
لغاية بلادتهم وقصور فكرهم واذا رأوا آية اي معجزة تدل على صدق القائل به يستسخرون يبالغون في السخرية
ويقولون انه سحر او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها وقالوا ان هذا اي ما يرونه من الآية الباهرة
الا سحر مبين ظاهر سحريته ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما اي كان بعض اجزائنا ترابا وبعضها عظاما
وتقديم التراب لانه منقلب من الاجزاء البادية والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون في قوله تعالى ائنا لمبعوثون
اي نبعث لا نفسه لان دونه خطوبا لو تفرد واحد منها لكفى في المنع وتقديم الظرف لتقوية الانكار بالبعث
بتوجيهه الى حالة منافية له غاية المنافاة وكذا تكرير الهمزة في ائنا للمبالغة والتشديد في ذلك وكذا تحلية
الجملة بان واللام لتاكيد الانكار لا لانكار التاكيد كما يوهمه ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة
كما في مثل قوله تعالى افلا تعقلون على راي الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور
وقرئ بطرح الهمزة الاولى وبطرح الثانية فقط او آباؤنا الاولون رفع على الابتداء وخبره محذوف عند سيبويه
اي وآباؤنا الاولون ايضا مبعوثون وقيل عطف على محل ان واسمها وقيل على الضمير في مبعوثون للفصل
بهمزة الانكار الجارية مجرى حرف النفي في قوله تعالى ما اشركنا ولا آباؤنا واياما كان فمرادهم زيادة الاستبعاد
بناء على انهم اقدم فبعثهم ابعد على زعمهم وقرئ او آباؤنا قل تبكيتا لهم نعم والخطاب في قوله تعالى وانتم داخرون
لهم ولآبائهم بطريق التغليب والجملة حال من فاعل ما دل عليه نعم اي كلكم مبعوثون والحال انكم صاغرون اذلاء وقرئ
نعم بكسر العين وهي لغة فيه فانما هي زجرة واحدة هي اما ضمير مبهم يفسره خبره او ضمير البعثة والجملة جواب شرط
مضمر او تعليل لنهي مقدر اي اذا كان كذلك فانما هي الخ او لا تستعصبوه فانما هي الخ والزجرة الصيحة من زجر
الراعي غنمه اذا صاح عليها وهي النفخة الثانية فاذا هم قائمون من مراقدهم احياء ينظرون يبصرون كما كانوا
او ينتظرون ما يفعل بهم وقالوا اي المبعوثون وصيغة الماضي للدلالة على التحقق والتقرر يا ويلنا اي هلاكنا
احضر فهذا اوان حضورك وقوله تعالى هذا يوم الدين تعليل لدعائهم الويل بطريق الاستئناف اي اليوم الذي
نجازى فيه باعمالنا وانما علموا ذلك لانهم كانوا يسمعون في الدنيا انهم يبعثون يحاسبون ويجزون باعمالهم فلما
شاهدوا البعث ايقنوا بما بعده ايضا وقوله تعالى هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون كلام الملائكة جوابا
لهم بطريق التوبيخ والتقريع وقيل هو ايضا من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء او الفرق بين
فرق الهدى والضلال وقوله تعالى احشر الذين ظلموا خطاب من الله عز وجل للملائكة او من بعضهم
لبعض لحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل من الموقف الى الجحيم وازواجهم اي اشباههم
ونظراءهم من العصاة عابدا لصنم مع عبدته وعابدا لكواكب مع عبدته كقوله تعالى وكنتم
ازواجا ثلثة وقيل قرناءهم من الشياطين وقيل نساءهم اللاتي على دينهم وما كانوا
يعبدون من دون الله من الاصنام ونحوها زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم قيل هو عام
مخصوص بقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية الكريمة وانت خبير بان الموصول عبارة
عن المشركين خاصة جيء به لتعليل الحكم بما في حيز صلته فلا عموم ولا تخصيص فاهدوهم الى صراط
الجحيم اي عرفوهم طريقها وجهوهم اليها وفيه تهكم بهم وقفوهم احبسوهم في الموقف كان

الملائكة سارعوا الى ما امروا به من حشرهم الى الجحيم فامروا بذلك وعلل بقوله تعالى انهم مسئولون
ايذانا من اول الامر بان ذلك ليس للعفو عنهم ولا يستريحوا بتاخير العذاب في الجملة بل ليسألوا
لكن لا عن عقائدهم واعمالهم كما قيل فان ذلك قد وقع قبل الامر بهم الى الجحيم بل عما ينطق به
قوله عز وجل ما لكم لا تناصرون بطريق التوبيخ والتقريع والتهكم اي لا ينصر بعضكم بعضا
كما كنتم تزعمون في الدنيا وتاخير هذا السؤال الى ذلك الوقت لانه وقت تنجز العذاب وشدة
الحاجة الى النصرة وحالة انقطاع الرجاء عنها بالكلية فالتوبيخ والتقريع حينئذ اشد وقعا
وتاثيرا وقرئ لا تتناصرون ولا تناصرون بالادغام بل هم اليوم مستسلمون منقادون
خاشعون لظهور عجزهم وانسداد باب الحيل عليهم او اسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز
فكلهم مستسلم غير منتصر واقبل حينئذ بعضهم على بعض هم الاتباع والرؤساء او الكفرة
والقرناء يتساءلون يسأل بعضهم بعضا سؤال توبيخ بطريق الخصومة والجدال قالوا استئناف
وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية تساؤلهم كانه قيل كيف تساءلوا فقيل قالوا اي
الاتباع للرؤساء او الكل للقرناء انكم كنتم تأتوننا في الدنيا عن اليمين عن اقوى الوجوه
وامتنها او عن الدين او عن الخير كانكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم فهلكنا مستعار
من يمين الانسان الذي هو اشرف الجانبين واقواهما وانفعهما ولذلك يسمى يمينا
ويتيمن بالسانح او عن القوة والقسر فتقسروننا على الغي وهو الاوفق للجواب او عن
الحلف حيث كانوا يحلفون انهم على الحق قالوا استئناف كما سبق اي قالوا الرؤساء
او القرناء بل لم تكونوا مؤمنين اي لم تمنعكم من الايمان بل لم تؤمنوا باختياركم واعرضتم
عنه مع تمكنكم منه وآثرتم الكفر عليه وما كان لنا عليكم من سلطان من قهر وتسلط نسلبكم
به اختياركم بل كنتم قوما طاغين مختارين الطغيان مصرين عليه فحق علينا اي لزمنا
وثبت علينا قول ربنا وهو قوله تعالى لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين انا
لذائقون اي العذاب الذي ورد عليه الوعيد فاغويناكم فدعوناكم الى الغي دعوة
غير ملجئة فاستجبتم لنا باختياركم واستحبابكم الغي على الرشد انا كنا غاوين فلا عتب علينا
في تعرضنا لاغوائكم بتلك المرتبة من الدعوة لتكونوا امثالنا في الغواية فانهم اي الاتباع
والمتبوعين يومئذ في العذاب مشتركون حسبما كانوا مشتركون في الغواية انا كذلك
اي مثل ذلك الفعل البديع الذي يقتضيه الحكمة التشريعية نفعل بالمجرمين المتناهين في
الاجرام وهم المشركون كما يعرب عنه التعليل بقوله تعالى انهم كانوا اذا قيل لهم بطريق الدعوة
والتلقين لا اله الا الله يستكبرون عن القبول ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر
مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين رد عليهم وتكذيب لهم ببيان ان ما جاء به من
التوحيد هو الحق الذي قام به البرهان واجمع عليه كافة الرسل عليهم السلام فاين الشعر والجنون
من ساحته الرفيعة انكم بما فعلتم من الاشراك وتكذيب الرسول عم والاستكبار لذائقوا
العذاب الاليم والالتفات لاظهار كمال الغضب عليهم وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون

النون كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وقرئ لذائقون العذاب على الاصل وما تجزون الا
ما كنتم تعملون اي الاجزاء ما كنتم تعملونه من السيئات او الا بما كنتم تعملونه منها الا عباد الله المخلصين
المخلصون استثناء منقطع من ضمير ذاقوا وما بينهما اعتراض جيء به مسارعة الى تحقيق الحق
ببيان ان ذوقهم العذاب ليس الا من جهتهم لا من جهة غيرهم اصلا وجعله استثناء من ضمير
تجزون على معنى ان الكفرة لا يجزون الا بقدر اعمالهم دون عباد الله المخلصين فانهم يجزون
اضعافا مضاعفة مما لا وجه له اصلا لا سيما جعله استثناء متصلا في تجزون لجميع المكلفين
فانه ليس في حيز الاحتمال فالمعنى انكم لذائقوا العذاب الاليم لكن عباد الله المخلصين الموحدين
ليسوا كذلك وقوله تعالى اولئك اشارة اليهم للايذان بانهم ممتازون بما اتصفوا به
من الاخلاص في عبادته تعالى عمن عداهم امتيازا بالغا منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة
وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في
الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى لهم اما خبر له وقوله تعالى رزق مرتفع على الفاعلية بما فيه
من الاستقرار او مبتدأ ولهم خبر مقدم والجملة الكبرى استئناف مبين لما افاده
الاستثناء اجمالا بيانا تفصيليا وقيل هي خبر للاستثناء المنقطع على انه متأول بالمبتدأ
وقوله تعالى معلوم اي معلوم الخصائص من حسن المنظر ولذة الطعم وطيب الرائحة ونحوها
من نعوت الكمال وقيل معلوم الوقت كقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وقوله تعالى
فواكه اما بدل من رزق او خبر مبتدأ مضمر اي ذلك الرزق فواكه وتخصيصها بالذكر لان ارزاق
اهل الجنة كلها فواكه اي ما يؤكل لمجرد التلذذ دون الاقتيات لانهم مستغنون عن القوة
لكون خلقتهم محكمة محفوظة من التحلل المحوج الى البدل وقيل لان الفواكه من اتباع سائر
الاطعمة فذكرها مغن عن ذكرها وهم مكرمون عند الله عز وجل لا يلحقهم هوان وذلك اعظم
المثوبات واليقها باولي الهمم وقيل مكرمون في نيله حيث يصل اليهم بغير تعب وسؤال كما
هو شان ارزاق الدنيا وقرئ مكرمون بالتشديد في جنات النعيم اي في جنات ليس فيها الا
النعيم وهو ظرف او حال من المستكن في مكرمون او خبر ثان لاولئك وقوله تعالى على سرر محتمل
للحالية والخبرية فقوله تعالى متقابلين حال من المستكن فيه او في مكرمون وقوله تعالى يطاف
عليهم اما استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية تكامل مجالس انسهم او حال من الضمير في
متقابلين او في احد الجارين وقد جوز كونه صفة لمكرمون بكأس باناء فيه خمر او بخمر فان
الكأس يطلق على نفس الخمر كما في قول من قال وكأس شربت على لذة واخرى تداويت
منها بها من معين متعلق بمضمر هو صفة لكأس اي كائنة من شراب معين او من نهر
معين وهو الجاري على وجه الارض الظاهر للعيون او الخارج من العيون من عان الماء
اذا نبع وصف به الخمر وهو للماء لانها تجري في الجنة في انهار كما يجري الماء قال تعالى
وانهار من خمر بيضاء لذة للشاربين صفتان ايضا لكأس ووصفها بلذة اما للمبالغة
كانها نفس اللذة او لانها تأنيث اللذ بمعنى اللذيذ ووزنه فعل قال ولذ كطعم الصرخدي

تركته

بارض العدى من خيفة الحدثان يريد به النوم لا فيها غول اى غائلة كما فى خمور الدنيا من غاله اذا اضره
واهلكه ومنه الغول ولا هم عنها ينزفون يسكرون من نزوف الشارب فنزيف ونزف
اذا ذهب عقله ويقال للمطعون نزف دمه كله اذا خرج دمه كله افرد هذا بالنفى مع اندراجه فيما قبله
من نفى الغول عنها لما انه من معظم مفاسد الخمر كانه جنس برأسه والمعنى لا فيها نوع من انواع الفساد
من مغص او صداع او خمار او غربدة او لغو او اثم ولا هم يسكرون وقرئ ينزفون بكسر الزاء من
انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه وقرئ ينزفون بضم الزاء من نزف ينزف بضم الزاء فيهما وعندهم قاصرات الطرف قصرن ابصارهن على ازواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم عين بخل
العيون جمع عيناء والبخل سعة العين كانهن بيض مكنون يشبههن ببيض النعام المصون من
الغبار ونحوه فى الصفاء والبياض المخلوط بادنى صفرة فان ذلك حسن الوان الابدان فاقبل
بعضهم على بعض يتساءلون معطوف على يطاف اى يشربون فيتحادثون على الشراب كما هو
عادة الشرب قال وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام فيقبل بعضهم على
بعض يتساءلون عن الفضائل والمعارف وعما جرى لهم وعليهم فى الدنيا فالتعبير عنه
بصيغة الماضى للتاكيد والدلالة على تحقق الوقوع حتما قال قائل منهم فى تضاعيف تحاورا
انى كان لى فى الدنيا قرين مصاحب يقول لى على طريقة التوبيخ ما كنت عليه من الاثام
والتصديق بالبعث انك لمن المصدقين اى بالبعث وقرئ بتشديد الصاد
من التصدق والاول هو الاوفق لقوله تعالى أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون
اى لمبعوثون ومجزيون من الدين بمعنى الجزاء او لمسوسون يقال دانه اى ساسه ومنه
الحديث العاقل من دان نفسه وقيل كان رجل تصدق بماله لوجه الله تعالى فاجتاحه
فاستجدى بعض اخوانه فقال ابن مالك قال تصدقت به لتعوضنى الله تعالى فى الاخرة
خيرا منه فقال انك من المصدقين بيوم الدين او من المتصدقين لطلب الثواب
والله لا اعطيك شيئا فيكون التعوض لذكر موتهم وكونهم ترابا وعظاما جاح لتاكيد انكار
الجزاء المبنى على انكار البعث قال اى ذلك القائل بعد ما حكى لجلسائه مقالة قرينه
الدنيا هل انتم مطلعون اى الى اهل النار لارائكم ذلك القرين يريد بذلك بيان صدقه
فيما حكاه وقيل القائل هو الله تعالى او بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون ان تطلعوا
على اهل النار لارائكم ذلك القرين فتعلموا اين منزلتكم من منزلتهم فقال انى فى الجنة
كوى ينظر منها اليها الى اهل النار فاطلع اى عليهم فرآى اى قرينه فى سواء الجحيم اى
وسطها وقرئ فاطلع على لفظ المضارع المنصوب وقرئ مطلعون فاطلع فرآه
بالتخفيف على لفظ الماضى والمضارع المنصوب يقال طلع علينا فلان واطلع فاطلع
بمعنى واحد والمعنى هل انتم مطلعون الى القرين فاطلع انا ايضا او عرض عليهم
الاطلاع فقبلوا ما عرض فاطلع هو بعد ذلك وان حصل الاطلاع منعديا فالمعنى انه
لما شرط فى اطلاعهم اطلاعهم كما هو دين الجلساء فكانهم مطلعون وقيل الخطاب على هذا

المغص بالغين قطع الامعاء او الوجع ٥

تتم

أى طلب الجدوى ٥

هذا للملئكة وقرئ مطلعون بكسر النون اراد مطلعونى ايائى فوضع المتصل موضع المنفصل
كقوله هم الفاعلونى الخير والآمرونه او شبه اسم الفاعل بالمضارع لما بينهما من التناسب
قال اى القائل مخاطبا لقرينه تالله ان كدت لتردين اى لتهلكنى بالاغواء وقرئ لتغوين
والتاء فيه معنى التعجب وان هى المخففة من ان وضمير الشان الذى هو اسمها
محذوف واللام فارقة اى تالله ان الشان كدت لتردينى ولولا نعمة ربى بالهداية
والعصمة لكنت من المحضرين اى من الذين احضروا العذاب كما احضرته انت
وانجاز انك وقوله تعالى افما نحن بميتين رجوع الى محاورة جلسائه بعد اتمام الكلام
مع قرينه تبجحا وابتهاجا بما آتاح الله عز وجل لهم من الفضل العظيم والنعيم المقيم
والهمزة للتقرير ومعنى التعجب والفاء للعطف على مقدر يقتضيه نظم الكلام اى
اى الحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين اى بمن شانه الموت وقرئ بمائتين الا موتتنا
الاولى التى كانت فى الدنيا وهى متناولة لما فى القبر بعد الاحياء للسؤال قاله
تصديقا لقوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وقيل ان اهل الجنة
اول ما دخلوا الجنة لا يعلمون انهم لا يموتون فاذا جئ بالموت على صورة كبش
املح وذبح قنودى يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت
يعلمونه فيقولون ذلك تحدثا بنعمة الله تعالى واغتباطا بها وما نحن بمعذبين كالكفار
فان النجاة من العذاب ايضا نعمة جليلة مستوجبة للتحدث بها ان هذا اى الامر
العظيم الذى نحن فيه لهو الفوز العظيم وقيل هو من قول الله عز وجل
تقريرا لقولهم وتصديقا له وقرئ لهو الرزق العظيم وهو ما يرزق من السعادة
العظمى لمثل هذا فليعمل العاملون اى لنيل هذا المرام الجليل يجب ان يعمل العاملون
لا للحظوظ الدنيوية الشريعة الانصرام المشوبة بفنون الآلام وهذا ايضا يحتمل
ان يكون من كلام رب العزة اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم اصل النزل ما يعد للنازل
والريع فاستعير للحاصل من الشئ فانتصابه على التمييز اى اذلك المذكور المعلوم
الذى حاصله اللذة والسرور خير نزلا ام شجرة الزقوم التى حاصلها الالم الدائم
ويقال النزل لما يقام ويهيأ من الطعام الحاضر للنازل فانتصابه على الحالية
والمعنى ان الرزق المعلوم نزل اهل الجنة واهل النار بدله شجرة الزقوم
فايهما خير فى كونه نزلا والزقوم اسم شجرة صغيرة الورق وقد فسرت بها تكون فى تهامة سميت به الشجا الموجوفة انا جعلناها فتنة للظالمين محنة وعذابا
لهم فى الآخرة وابتلاء فى الدنيا فانهم لما سمعوا ان فى النار شجرة قالوا كيف يكون ذلك
والنار تحرق الشجر ولم يعلموا ان من قدر على خلق حيوان يعيش فى النار ويتلذذ بها
اقدر على خلق الشجر فى النار وضغطه من الاحراق انها شجرة تخرج فى اصل الجحيم
فى قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها وقرئ نابتة فى اصل الجحيم طلعها اى حملها

البجحة بتقديم الجيم الثانية على الحاء

ع اى اعطى

ع اى منتنة بالترکیب

الذي يخرج منها مستعار من طلع النخلة لمشاركته له في الشكل او الطلوع من الشجر قالوا اول
التمر طلع ثم خلال ثم بلح ثم بسر ثم رطب ثم تمر كأنه رؤوس الشياطين في تناهي القبح والهول
وهو تشبيه بالمختل كتشبيه الفائق في الحسن بالملك وقيل الشياطين الحيات الهائلة
القبيحة المنظر لها اعراق وقيل ان شجرا يقال له الاستن خشنا منتنا مرا منكر الصورة
يسمى ثمرة رؤوس الشياطين فانهم لآكلون منها اي من الشجرة او من طلعها فالتانيث
مكتسب من المضاف اليه فمالئون منها البطون لغلبة الجوع او للقسر على اكلها وان كرهوها
ليكون ذلك بابا من العذاب ثم ان لهم عليها على الشجرة التي ملأوا منها بطونهم بعد ما شبعوا
منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم كما ينبئ عنه كلمة ثم ويجوز ان يكون لما في شرابهم
من مزيد الكراهة والبشاعة لشوبا من حميم لشرابا من غساق او صديد مشوبا بماء
حميم يقطع امعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم لما يشاب والاول مصدر سمي به
ثم ان مرجعهم اي مصيرهم وقد قرئ كذلك لالى الجحيم الى دركاتها او الى نفسها
فان الزقوم والحميم نزل تقدم اليهم قبل دخولها وقيل الحميم خارج عنها لقوله تعالى هذه جهنم التي
يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم في
الجحيم الى شجرة الزقوم فيأكلون منها الى ان يتملأوا ثم يسقون من الحميم ثم يردون الى الجحيم
ويؤيده انه قرئ ثم ان منقلبهم انهم الفوا آباءهم ضالين تعليل لاستحقاقهم ما ذكر
من فنون العذاب بتقليد الآباء في الدين من غير ان يكون لهم ولا لآبائهم شيء يتمسك به
اصلا اي وجدوهم ضالين في نفس الامر ليس لهم ما يصلح شبهة فضلا عن صلاحية الدليل
فهم على آثارهم يهرعون من غير ان يتدبروا انهم على الحق اولا مع ظهور كونهم على الباطل
بادنى تامل والاهراع الاسراع الشديد كانهم يرعجون ويحثون حثا على الاسراع على
آثارهم وقيل هو اسراع فيه شبه رعدة ولقد ضل قبلهم اي قبل قومك قريش اكثر
الاولين من الامم السالفة وهو جواب قسم محذوف وكذا قوله تعالى ولقد ارسلنا
فيهم منذرين اي انبياء اولي عدد كثير وذوي شأن خطير بينوا لهم بطلان ما هم عليه
وانذروهم عاقبته الوخيمة وتكرير القسم لابراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمون كل
من الجملتين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين من الهول والفظاعة لما لم يلتفتوا
الى الانذار ولم يرفعوا له رأسا والخطاب اما للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد
ممن يتمكن من مشاهدة آثارهم وحيث كان المعنى انهم اهلكوا اهلاكا فظيعا استثنى
عنهم المخلصون بقوله تعالى الا عباد الله المخلصين اي الذين اخلصهم الله بتوفيقهم
للايمان والعمل بموجب الانذار وقرئ بكسر اللام اي الذين اخلصوا دينهم لله تعالى
ولقد نادانا نوح نوع تفصيل لما اجمل فيما قبل ببيان احوال بعض المرسلين وحسن
عاقبتهم متضمن لبيان سوء عاقبة بعض المنذرين حسبما اشير اليه بقوله تعالى فانظر
كيف كان عاقبة المنذرين كقوم نوح وآل فرعون وقوم لوط وقوم الياس ولبيان حسن

حسن عاقبة بعضهم الذين اخلصهم الله تعالى ووفقهم للايمان كما اشار اليه الاستثناء كقوم
يونس عم ووجه تقديم قصة نوح على سائر القصص غني عن البيان واللام جواب قسم
محذوف وكذا في قوله تعالى فلنعم المجيبون اي وبالله لقد دعانا نوح حين يئس من ايمان
قومه بعد ما دعاهم اليه احقابا ودهورا فلم يزدهم دعاؤه الا فرارا ونفورا فاجبناه احسن
الاجابة فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف ما حذف ثقة بدلالة ما ذكر عليه والجمع دليل العظمة
والكبرياء ونجيناه واهله من الكرب العظيم اي من الغرق وقيل من اذية قومه
وجعلنا ذريته هم الباقين فحسب حيث اهلكنا الكفرة بموجب دعائه رب لا تذر على
الارض من الكافرين ديارا وقد روي انه مات كل من كان معه في السفينة
غير ابنائه وازواجهم او هم الذين بقوا متناسلين الى يوم القيمة قال قتادة رض
الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلم وكان له ثلثة اولاد سام وحام ويافث
فسام ابو العرب وفارس والروم وحام ابو السودان من المشرق الى المغرب
ويافث ابو الترك ويأجوج ومأجوج وتركنا عليه في الآخرين من الامم سلام على نوح
اي هذا الكلام بعينه وهو وارد على الحكاية كقولك قرأت سورة انزلناها والمعنى
يسلمون عليه تسليما ويدعون له على الدوام امة بعد امة وقيل ثم قول مقدر
اي فقلنا وقيل ضمن تركنا معنى قلنا وقوله تعالى في العالمين متعلق بالجار والمجرور
ومعناه الدعاء بثبات هذه التحية واستمرارها ابدا في العالمين من الملائكة و
الثقلين جميعا وقوله تعالى انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لما فعل به عليه السلم من
التكرمة السنية من اجابة دعائه احسن اجابة وابقاء ذريته وتبقية ذكره
الجميل وتسليم العالمين عليه الى آخر الدهر بكونه من زمرة المعروفين بالاحسان
الراسخين فيه وان ذلك من قبيل مجازاة الاحسان بالاحسان وذلك اشارة
الى ما ذكر من الكرامات السنية التي وقعت جزاء له عم وما فيه من معنى البعد مع قرب
العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل والشرف والكاف
متعلقة بما بعدها اي مثل ذلك الجزاء الكامل نجزي الكاملين في الاحسان لا جزاء
ادنى منه وقوله تعالى انه من عبادنا المؤمنين تعليل لكونه من المحسنين بخلوص عبوديته
وكمال ايمانه وفيه من الدلالة على جلالة قدرهما ما لا يخفى ثم اغرقنا الآخرين اي المغايرين
لنوح واهله وهم كفار قومه اجمعين وان من شيعته اي ممن شايعه في اصول
الدين لابراهيم وان اختلفت فروع شرائعهما ويجوز ان يكون بين شريعتيهما
اتفاق كلي او اكثري وعن ابن عباس رض من اهل دينه وعلى سنته او ممن شايعه
على التصلب في دين الله ومصابرة المكذبين وما كان بينهما الا نبيان هود
وصالح عليهما وكان بين نوح وابراهيم الفان وستمائة واربعون سنة اذ جاء
ربه منصوب باذكر او متعلق بما في الشيعة من معنى المشايعة بقلب سليم

أي من آفات القلوب او من العلائق الشاغلة عن التبتل الى الله عز وجل ومعنى المحض به ربه اخلاصه له كانه جاء به متحفا اياه بطريق التمثيل اذ قال لابيه وقومه ما ذا تعبدون بدل من الاولى او ظرف جاء او سلم اى اى شئ تعبدون افكا مفعول له او حال بمعنى افكين او مفعول به بمعنى تريدون افكا ثم فسر الافك فقدم المفعول على الفعل للعناية به ثم المفعول له على المفعول به لان الاهم تكافحتهم بانهم على افك باطل فى شركهم ويجوز ان يكون افكا مفعولا به بمعنى اتريدون افكا ثم فسر الافك بقوله الهة من دون الله دلالة على انها افك فى نفسها للمبالغة او يراد بها عبادتها بحذف المضاف ويجوز ان يكون حالا بمعنى افكين فما ظنكم برب العالمين اى بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى تركتم عبادته خاصة واشركتم به اخس مخلوقاته او ما ظنكم به اى شئ هو من الاشياء حتى جعلتم الاصنام له اندادا او فما ظنكم به ما ذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم بعد ما فعلتم ما فعلتم من الاشراك به فنظر نظرة فى النجوم قيل كانت له عليه السلام حمى لها نوبة معينة فى بعض ساعات الليل فنظر ليعرف هل هى تلك الساعة فاذا هى قد حضرت فقال انى سقيم وكان صادقا فى ذلك فجعلوه عذرا فى تخلفه عن عيدهم وقيل اراد انى سقيم القلب لكفركم وقيل نظر فى علمها او فى كتبها او فى احكامها ولا مانع من ذلك حيث كان قصده وهم ايهامهم حين ارادوا ان يخرجوا به معهم الى معيدهم ليتركوه فان القوم كانوا منجمين فاوهمهم انه قد استدل بامارة فى علم النجوم على انه سيسقم اى مشارف للسقم وهو الطاعون وكان اغلب الاسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى لتسع قواعنه فهربوا منه الى معيدهم وتركوه فى بيت الاصنام وذلك قوله فتولوا عنه مدبرين اى هاربين مخافة العدوى فراغ الى الهتهم اى ذهب اليها فى خفية واصله الميل بحيلة فقال للاصنام استهزاء الا تاكلون اى من الطعام الذى كانوا يضعونه عندها للتبرك عليه ما لكم لا تنطقون اى بجوابى فراغ عليهم فمال مستعليا عليهم وهو قوله تعالى ضربا باليمين مصدر مؤكد لراغ عليهم فانه بمعنى ضربهم او لفعل مضمر هو حال من فاعله اى فراغ عليهم يضربهم ضربا او هو الحال منه على انه مصدر بمعنى الفاعل اى فراغ عليهم ضاربا باليمين اى ضربا شديدا قويا وذلك لان اليمين اقوى الجارحتين واشدهما وقوة الآلة تقتضى قوة الفعل وشدته وقيل بالقوة والمتانة كما فى قوله اذا مارايته رقعت لمجده ثوبا تاعا بالقوة باليمين اى بالقوة وعلى ذلك حمل سورة اليمين لانه يقوى الكلام ويؤكده وقيل بسبب الحلف وهو قوله وتالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه اى المامورون باحضاره عليه السلام بعد ما رجعوا عن عيدهم الى بيت الاصنام فوجدوها مكسورة فسألوا عن الفاعل فحققوا انه عليه السلام فعله فقيل فاتوا به يزفون حال من فاعل واو اقبلوا اى يسرعون من زفيف النعام وقرئ يزفون من ازف اذا دخل فى الزفيف او من ازفه اى حمله على الزفيف اى يزف بعضهم بعضا ويزفونه

ويزفون على البناء للمفعول اى يحملون على الزفيف ويزفون من وزف يزف اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كان بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه عم قال اى بعد ما اتوا به عليه السلم وجرى بينه وبينهم من المحاورات ما نطق به قوله تعالى قالوا ا انت فعلت هذا بالهتنا يا ابرهيم الى قوله تعالى لقد علمت ما هؤلاء ينطقون اتعبدون ما تنحتون ما تنحتونه من الاصنام وقوله تعالى والله خلقكم وما تعملون حال من فاعل تعبدون مؤكدة للانكار والتوبيخ اى والحال انه تعالى خلقكم وخلق ما تعملونه فان جواهر اصنامهم واعراضها بخلقه تعالى وشكلها وان كان بتعليمكم لكنه تعالى اقدارهم عليه وخلقه ما تتوقف عليه فعلهم من الدواعى والقدر والاسباب ما تعملون ايا عبادة عن الاصنام فوضعه موضع ضمير ما تنحتون للايذان بان محلوقيتها لله عز وجل ليس من حيث انحتهم لها فقط بل من حيث سائر اعمالهم ايضا من التصوير والتحلية والتزيين ونحوها وايا ما كان على عمومه فينتظم الاصنام انتظاما اوليا مع ما فيه من تحقيق الحق بيان ان جميع ما يعملونه كائنا ما كان مخلوق له سبحانه وقيل ما مصدرية اى عملكم على انه بتقدير المفعول وقيل بمعناه فان فعلهم اذا كان بخلق الله تعالى كان بتعليمه المتوقف على فعلهم اولى بذلك قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه فى الجحيم اى فى النار الشديدة الاتقاد من الجحمة وهى شدة التاجج واللام عوض من المضاف اليه اى جحيم ذلك البنيان وقد ذكر كيفية بنائهم له فى سورة الانبياء فاراد وا به كيدا فانه عليه السلم لما قهرهم بالحجة والتعليم لجأ قصدوا ما قصدوا اليه الباء تظهر للغاية عجز هم فجعلناهم الاسفلين الاذلين بانطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شانه عم بجعل النار عليه بردا وسلاما وقال انى ذاهب الى ربى اى مهاجر الى حيث امرنى ربى كما قال انى مهاجر الى ربى وهو الشام او الى حيث اتجرد فيه لعبادة ربى سيهدين اى الى ما فيه صلاح دينى او الى مقصدى وقت القول بذلك لسبق الوعد او بمرجع توكله او للبناء على عادته تعالى معه ولم يكن كذلك حال موسى عم حيث قال عسى ربى ان يهدينى سواء السبيل ولذلك اتى بصيغة التوقع رب هب لى من الصالحين اى بعض الصالحين يعينونى على الدعوة والطاعة ويونسنى فى الغربة يعنى الولد لان لفظ الهبة على الاطلاق خاص به وان قد يرد مقيدا بالاناث فى قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا ولقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم فانه صرح فى ان المبشر به عين ما استوهبه عليه السلم ولقد جمع فيه بشارات ثلث بشارة انه غلام وانه يبلغ اوان الحلم وانه يكون حليما واى حلم يعادل علمه عم حين عرض عليه ابوه الذبح فقال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين وقيل ما نعت الله الانبياء عليهم السلم بافضل مما نعتهم بالحلم لغرة وجوده غير ابرهيم وابنه فانه تعالى نعتهما به وحالهما الحكيمة بعد

عليه بمعنى مقطم النار قال سقال نبو الحاطئات عثر
بمعنى على سبيل الاستعلاء كما يقال مشى على الخشبة
وعلى الحبل وعلى الماء وقوله فى ذراعا وعلى عشرين
وعلوه فيها معلم

ايتاجح صوت
والتهاب ٥

اى التجاوز
والسراية ٥

بمعنى يخطفنى وقيل انى مهاجر الى ربى اى حيث امرنى ربى
طاعته انى سيهدين اى سيرشدنى وقيل
سيهدين قال مقاتل فلما قدم
الارض المقدسة سال ربه الولد
فقال رب هب لى من الصالحين
يعنى اعطنى ولدا صالحا يعبدك المسلمين

وذكر الكبيرة بعد الصغيرة وان علم من الثواب على الاولى الثواب على الثانية لان المقصود التعميم
لا خصوص المذكور اذ المعنى لا ينقصون شيئا ما فلا يتوهم ان الظاهر العكس وانفاق
عثمان رضي الله تعالى عنه في جيش العسرة الف دينار قيل والف محمل اعان به المسلمين قوله
في مسيرهم اي سيرهم للغزو ومنفرج بضم الميم وبفتح الراء اسم مكان بمعنى مال ما انعطف يمنة
ويسرة لانه منخفض بين جبال يجري فيها سيولها فهو السيل نفسه ثم شاع وهو منعطف
في الاكثر واصل الوادي اسم فاعل من ودى بمعنى سال فهو السيل نفسه ثم شاع في محله
ثم صار حقيقة في مطلق الارض وجمع اودية كنادي بمعنى المجلس جمع اندية وناج جمعه انجية
ولا رابع لها في كلام العرب قوله اثبت لهم الخ جعل الكتابة مجازا او كناية عن لازم
معناه وهو الاثبات ولو حمل على حقيقته اي كتبه في الصحف او اللوح صح ايضا قوله
جزاء احسن اعمالهم الخ قال ابو حيان رحمه الله التقدير احسن جزاء الذي كانوا يعملون
لان عملهم له جزاء احسن

اعدل بينة بذلك والفاء في قوله تعالى فلما بلغ معه السعي فصيحة معربة عن مقدر قد حذف تعويلا على شهادة
وايذانا بعدم الحاجة الى التصريح به لاستحالة التخلف والتاخر بعد البشارة كما في قوله تعالى فلما رأينه
اكبرنه وفي قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده اي فوهبناه له فنشأ فلما بلغ رتبته ان يسعى معه في
اشغاله وحوائجه ومعه متعلق بمحذوف ينبئ عنه السعي لا بنفسه لان صلة المصدر لا تتقدمه ولا
يبلغ لان بلوغهما لم يكن معا كانه لما ذكر السعي قيل مع من فقيل معه وتخصيصه لان الاب اكمل في الرفق
والاستصلاح فلا يستسعيه قبل اوانه او لانه استوهبه لذلك وكان له يومئذ ثلث عشرة
سنة قال اي ابرهيم عليه السلم يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك اي ارى هذه الصورة بعينها او
ما هذه عبارته وتاويله وقيل انه رأى ليلة التروية كان قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك
هذا فلما اصبح روى في ذلك من الصباح الى الرواح من الله هذا الحلم ام من الشيطان فمن ثمة سمي
يوم التروية فلما امسى رأى مثل ذلك فعرف انه من الله فمن ثمة سمي يوم عرفة ثم رأى مثله في الليلة
الثالثة فهم بنحره فسمي اليوم يوم النحر وقيل ان الملائكة حين بشرته بغلام حليم قال اذن ذبيح
الله فلما ولد وبلغ حد السعي معه قيل له اوف بنذرك والاظهر الاشهر ان المخاطب اسمعيل عم
اذ هو الذي وهب اثر المهاجرة ولان البشارة باسحق بعده معطوفة على البشارة بهذا
الغلام ولقوله عليه السلم انا ابن الذبيحين فاحدهما جد اسمعيل عليه السلم والآخر ابوه عبد الله فان عبد
المطلب نذر ان يذبح ولدا ان سهل الله تعالى له حفر بئر زمزم او بلغ بنوه عشرة فلما حصل ذلك وخرج
السهم على عبد الله فداه بمائة من الابل ولذلك سنت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة
وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا في ايام ابن الزبير ولم يكن اسحق ثمة ولان بشارة
اسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبه الامر بذبحه مراهقا وما روي انه عليه السلم
سئل اي النسب اشرف فقال يوسف صديق الله ابن يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله
ابن ابرهيم خليل الله فالصحيح انه عليه السلم قال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم والزوائد
من الراوي وما روي من ان يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت وقرئ اني بفتح الياء فيهما
فانظر ماذا ترى من الرأي وانما شاوره فيه وهو امر محتوم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله تعالى
فيثبت قدمه ان جزع ويأمن عليه ان سلم وليوطن نفسه عليه فيهون ويكتب المثوبة عليه بالانقياد له
قبل نزوله وقرئ ما ترى بضم التاء وكسر الراء وبفتحها مبنيا للمفعول قال يا ابت افعل ما تؤمر اي تؤمر به
فحذف الجار اولا على القاعدة المطردة ثم حذف العائد الى الموصول بعد انقلابه منصوبا بايصاله
الى الفعل او حذفا دفعة او افعل امرك على اضافة المصدر الى المفعول وتسمية المامور به امرا وقرئ
ما تؤمر به وصيغة المضارع للدلالة على ان الامر متعلق به متوجه اليه مستمر الى حين الامتثال به ستجدني
ان شاء الله من الصابرين على الذبح او على قضاء الله تعالى فلما اسلما اي استسلما لامر الله تعالى
وانقيادا وخضعا له يقال سلم لامر الله واسلم واستسلم بمعنى واحد وقد قرئ بهن جميعا واصلها
من قولك سلم هذا لفلان اذا خلص له ومعناه سلم من ان ينازع فيه وقولهم سلم لامر الله واسلم له
منقولان منه ومعناهما اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه له تعالى

اي ذبيح الله

تعالى وعن قتادة رض في اسلما اسلم ابرهيم ابنه واسمعيل نفسه وتله للجبين صرعه على شقه فوقع جبينه
على الارض وهو احد جانبي الجبهة وقيل كبه على وجهه باشارته كيلا يرى منه ما يورث رقة تحول
بينه وبين امر الله تعالى وكان ذلك عند الصخرة من منى وقيل في الموضع المشرف على مسجد منى وقيل في المنحر
الذي ينحر فيه اليوم وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا بالعزم على الاتيان بالمامور به وترتيب
مقدماته وقد روي انه امر السكين بقوته على حلقه مرارا فلم يقطع ثم وضع السكين على قفاه فانقلب
السكين فعند ذلك وقع النداء وجواب لما محذوف ايذانا بعدم وفاء التعبير بتفاصيله كانه قيل
كان ما كان مما لا يحيط به نطاق البيان من استبشارهما وشكرهما لله تعالى على ما انعم به عليهما من دفع
البلاء بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق احد لمثله واظهار فضلهما بذلك على العالمين مع احراز الثواب
العظيم الى غير ذلك انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لتفريج تلك الكربة عنهما باحسانهما واحتج به من
جوز النسخ قبل وقوع المامور به فانه عليه السلم كان مامورا بالذبح لقوله تعالى افعل ما تؤمر ولم يحصل ان
هذا لهو البلاء المبين الابتلاء البين الذي يتميز فيه المخلص عن غيره او المحنة البينة الصعوبة
اذ لا شيء اصعب منها وفديناه بذبح بما يذبح بدله فيتم به الفعل عظيم اي عظيم الجثة سمين وعظيم
القدر لانه يفدي به الله نبيا ابن نبي واي نبي من نسله سيد المرسلين قيل كان ذلك كبشا من
الجنة عن ابن عباس رض انه الكبش الذي قربه هابيل فتقبل منه وكان يرعى في الجنة حتى فدي به
اسمعيل عليه وقيل فدي بوعل اهبط عليه من ثبير وروي انه هرب من ابرهيم عليه السلم عند الجمرة
فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فبقي سنة في الرمي وروي انه رمى الشيطان حين تعرض له بالوسوسة
عند ذبح ولده وروي انه لما ذبحه قال جبريل عليه السلم الله اكبر الله اكبر فقال الذبيح لا اله الا الله
والله اكبر فقال ابرهيم الله اكبر ولله الحمد فبقي سنة والفادي في الحقيقة هو ابرهيم وانما
قيل وفديناه لانه تعالى هو المعطي له والآمر به على التجوز في الفداء او الاسناد وتركنا عليه في الآخرين
سلام على ابرهيم قد سلف بيانه في خاتمة قصة نوح كذلك نجزي المحسنين ذلك اشارة الى ابقاء
ذكره الجميل فيما بين الامم لا الى ما اشير اليه فيما سبق فلا تكرار وعدم تصدير الجملة بانا للاكتفاء
بما مر آنفا انه من عبادنا المؤمنين الراسخين في الايمان على وجه الايقان والاطمينان وبشرناه
باسحق نبيا من الصالحين اي مقضيا بنبوته مقدرا كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا حالين
ولا حاجة الى وجود المبشر به وقت البشارة فان وجود ذي الحال ليس بشرط وانما الشرط
مقارنة تعلق الفعل به لاعتبار معنى الحال فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه
بوجود اسحق اي بان يوجد اسحق نبيا من الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله فادخلوها خالدين
فان الداخلين كانوا مقدرين خلودهم وقت الدخول واسحق عليه السلم لم يكن مقدرا نبوة نفسه
وصلاحها حين ما يوجد ومن فسر الغلام باسحق جعل المقصود من البشارة نبوته وفي ذكر الصلاح
بعد النبوة تعظيم لشانه وايماء الى انه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل على الاطلاق
وباركنا عليه على ابرهيم في اولاده وعلى اسحق بان اخرجنا من صلبه انبياء بني اسرائيل وغيرهم
كايوب وشعيب عليهم السلم او افضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقرئ وبركنا ومن ذريتهما محسن و

في عمله او لنفسه بالايمان والطاعة وظالم لنفسه بالكفر والمعاصي مبين ظاهر ظلمه وفيه تنبيه
على ان النسب لا تاثير له في الهداية والضلال وان الظلم في اعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة
ولا عيب ولقد مننا على موسى وهرون اي انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من النعم الدينية
والدنيوية ونجيناهما وقومهما وهم بنو اسرائيل من الكرب العظيم هو ملكة آل فرعون و
تسلطهم عليهم بالوان الغشم والعذاب كما في قوله تعالى واذ انجيناكم من آل فرعون
وقيل هو الغرق وهو بعيد لانه لم يكن عليهم كربا ومشقة ونصرناهم اي اياهما وقومهما
على عدوهم فكانوا بسبب ذلك هم الغالبين عليهم غلبة لا غاية وراءها بعد ان كان
قومهما في اسرهم وقسرهم مقهورين تحت ايديهم العادية يسومونهم سوء العذاب
وهذه التنجية وان كانت بحسب الوجود مقارنة لما ذكر من النصر والغلبة لكنها لما كانت
بحسب المفهوم عبارة عن التخليص عن المكروه بدئ بها ثم بالنصر الذي يتحقق مدلوله
بمحض تنجية المنصور من عدوه من غير تغليبه عليه ثم بالغلبة لتوفية مقام الامتنان حقه
باظهار ان كل مرتبة من هذه المراتب الثلث نعمة جليلة على حيالها وآتيناهما بعد ذلك
الكتاب المستبين اي البليغ في البيان والتفصيل وهو التورية وهديناهما بذلك الصراط
المستقيم الموصل الى الحق والصواب بما فيه من تفاصيل الشرايع وتفاريع الاحكام
وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهرون اي ابقينا فيما بين الامم الآخرين
هذا الذكر الجميل والثناء الجليل انا كذلك الجزاء الكامل نجزي المحسنين الذين هما
من جملتهم لا جزاء قاصرا عنه انهما من عبادنا المؤمنين سبق بيانه وان الياس لمن المرسلين
هو الياس بن ياسين من سبط هرون اخي موسى عليه السلم بعث بعده وقيل ادريس
لانه قرئ مكانه ادريس وادراس وقرئ ايليس وقرئ الياس بحذف الهمزة اذ قال لقومه
الا تتقون اي عذاب الله تع اتدعون بعلا اتعبدونه وتطلبون الخير منه وهو اسم صنم
كان لاهل بكي من الشام وهو البلد المعروف ببعلبك قيل كان من ذهب طوله عشرون ذراعا
وله اربعة اوجه فتنوا به وعظموه حتى اخدموه اربعمائة سادن وجعلوه انبياء فكان
الشيطان يدخل جوفه ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وقيل
البعل الرب بلغة اليمن اي اتعبدون بعض البعول وتذرون احسن الخالقين اي وتتركون
عبادته وقد اشير الى المقتضي للانكار المعنى بالهمزة ثم صرح به بقوله تعالى الله ربكم ورب آبائكم
الاولين بالنصب على البدلية من احسن الخالقين وقرئ بالرفع على الابتداء والتعرض لذكر ربوبيته تع
لآبائهم لتاكيد انكار تركهم عبادته تعالى والاشعار ببطلان آراء آبائهم ايضا فكذبوه فانهم
بسبب تكذيبهم ذلك لمحضرون اي العذاب والاطلاق للاكتفاء بالقرائن على ان الاحضار
المطلق مخصوص بالشر عرفا الا عباد المخلصين استثناء من ضمير محضرون وتركنا عليه في
الآخرين سلام على الياسين هو لغة في الياس كسيناء في سينين وقيل هو جمع له اريد به هو
واتباعه كالمهلبين والخبيبين وفيه ان العلم اذا جمع يجب تعريفه كالمثالين وقرئ باضافة

باضافة آل الى ياسين لانهما في المصحف مفصولان فيكون ياسين ابا الياس انا كذلك نجزي
المحسنين انه من عبادنا المؤمنين مر تفسيره وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه اي اذكر
وقت تنجيتنا اياه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين اي الباقين في العذاب او الماضين
الهالكين ثم دمرنا الآخرين فان في ذلك شواهد على جلية امره وكونه من جملة المرسلين
وانكم يا اهل مكة لتمرون عليهم على منازلهم في متاجركم الى الشام وتشاهدون آثار
هلاكهم فان سدوم في طريق الشام مصبحين داخلين في الصباح وبالليل اي ومساء
ونهارا او ليلا ولعلها وقعت بقرب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد له مساء
افلا تعقلون اتشاهدون ذلك فلا تعقلون حتى تعتبروا به وتخافوا ان يصيبكم مثل ما اصابهم
وان يونس لمن المرسلين وقرئ بكسر النون اذ ابق اي هرب واصله الهرب
من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير اذن ربه حسن اطلاقه عليه الى الفلك المشحون
اي المملوء فساهم فقارع اهله فكان من المدحضين فصار من المغلوبين بالقرعة
واصله المزلق عن مقام الظفر روي انه عليه السلم لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم
قبل ان يامره الله تع به فركب السفينة فوقفت فقالوا فيها عبد آبق فاقترعوا فخرجت القرعة
عليه فقال انا الآبق ورمى بنفسه في الماء فالتقمه الحوت فابتلعه من اللقمة وهو مليم
داخل في الملامة او آت بما يلام عليه او مليم نفسه وقرئ مليم بالفتح مبنيا من ليم كمشيب
في مشوب فلولا انه كان من المسبحين الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره او في بطن
الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل من المصلين
فانه عليه السلم كان كثير الصلوة في الرخاء للبث في بطنه الى يوم يبعثون حيا وقيل ميتا
وفيه حث على اكثار الذكر وتعظيم لشانه ومن اقبل عليه في السراء اخذ بيده عند
الضراء فنبذناه بالعراء بان حملنا الحوت على لفظه بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر
او نبت روي ان الحوت سار مع السفينة رافعا راسه يتنفس فيه
يونس عليه السلم ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شيء
فاسلموا وروي ان الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل واختلف في مقدار لبثه
فقيل اربعون يوما وقيل عشرون يوما وقيل سبعة وقيل ثلثة وقيل لم يلبث الا
قليلا ثم اخرج من بطنه بعيد الوقت الذي التقم فيه روي انه حين ابتلعه اوحى
الله تع الى الحوت اني جعلت بطنك له سجنا ولم اجعله لك طعاما وهو سقيم
مما ناله قيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد وانبتنا عليه اي فوقه مظلة عليه
شجرة من يقطين وهو كل ما ينبسط على الارض ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقثاء
والحنظل وهو يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به والاكثرون على انه الدباء
غطته باوراقها عن الذباب فانه لا يقع عليه ويدل عليه انه قيل لرسول الله عليه السلم
انك تحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس وقيل هي التين وقيل الموز تغطي

يورقة واستظل باغصانه واقطر على ثماره وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه
فيشرب من لبنها وارسلناه الى مائة الف هم قومه الذين هرب منهم وهم اهل نينوى والمراد
ارساله السابق اخبرا اولا بانه من المرسلين على الاطلاق ثم اخبر بانه قد ارسل الى امة جمة وكان
توسيط تذكير وقت هربه عم الى الفلك وما بعده بينهما للتذكير سببه وهو ما جرى بينه وعم وبين قومه
من انذاره اياهم عذاب الله تع وتعيينه لوقت حلوله وتعللهم وتعليقهم لايمانهم بظهور امارته
كما مر تفصيله في سورة يونس ليعلم ان ايمانهم الذي سيحكى بعد لم يكن عند انقضاء الارسال كما هو المتبادر
من ترتيب الايمان عليه بالفاء بل بعد اللتيا والتي وقيل هو ارسال آخر اليهم وقيل الى غيرهم
وليس بظاهر او يزيدون اي في مرائي الناظر فانه اذا نظر اليهم قال انهم مائة الف او يزيدون و
المراد هو الوصف بالكثرة وقرئ بالواو فامنوا اي بعد ما شاهدوا علائم حلول العذاب ايمانا خالصا
فمتعناهم اي بالحياة الدنيا الى حين قدره الله سبحانه لهم قيل ولعل عدم ختم هذه القصة وقصة
لوط بما ختم به سائر القصص للتفرقة بينهما وبين ارباب الشرائع واولي العزم من الرسل او اكتفاء
بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين في آخر السورة فاستفتهم امر الله عز وجل في صدر السورة الكريمة
رسوله عليه اللام بتبكيت قريش وابطال مذهبهم في انكار البعث بطريق الاستفتاء وساق البراهين
القاطعة الناطقة بتحققه لا محالة وبين وقوعه وما سيلقونه عند ذلك من فنون العذاب واستثنى
منهم عباده المخلصين وفصل ما لهم من النعيم المقيم ثم ذكر انه قد ضل من قبلهم اكثر الاولين وانه تعالى قد
ارسل اليهم منذرين على وجه الاجمال ثم اورد قصص كل واحد منهم على وجه التفصيل مبتدئا كل قصة
منها انهم من عباده تع واصفا لهم تارة بالاخلاص واخرى بالايمان ثم امره عليه اللام ههنا بتبكيتهم بطريق
الاستفتاء عن وجه امر منكر خارج عن العقول بالكلية وهي العصمة الباطلة اللازمة لما كانوا عليه من
الاعتقاد الزائغ حيث كانوا يقولون كبعض اجناس العرب جهينة وبني سلمة وخزاعة وبني مليح
الملائكة بنات الله والفاء لترتيب الامر على ما سبق من كون اولئك الرسل الذين هم اعلام الخلق
عليهم اللام عباده تع فان ذلك مما يؤكد التبكيت ويظهر بطلان مذهبهم الفاسد ثم تبكيتهم بما يتضمنه كفرهم المذ
من الاستهانة بالملائكة بجعلهم اناثا ثم ابطل اصل كفرهم المنطوي على هذين الكفرين وهو نسبته الولد اليه
سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا فلم ينظم في سلك التبكيت لمشاركتهم النصارى في ذلك اي فاستخبرهم
الركيك البنات اللاتي هن اوضع الجنسين ولهم البنون الذين هم ارفعهما فان ذلك مما لا يقول به
من له ادنى شيء من العقل وقوله تع ام خلقنا الملائكة اناثا اضراب وانتقال من التبكيت بالاستفتاء
السابق الى التبكيت بهذا كما اشير اليه اي بل اخلقنا الملائكة الذين هم من اشرف الخلائق وابعدهم من
صفات الاجسام ورذائل الطباع اناثا والانوثة من اخس صفات الحيوان وقوله تع وهم شاهدون
استهزاء بهم وتجهيل لهم كقوله تع اشهدوا خلقهم وقوله تع ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق
انفسهم فان امثال هذه الامور لا تعلم الا بالمشاهدة اذ لا سبيل الى معرفتها بطريق العقل وانتفاء النقل مما
لا ريب فيه فلا بد ان يكون القائل بانوثتهم شاهدا عند خلقهم والجملة اما حال من فاعل خلقنا اي بل اخلقنا
هم اناثا والحال انهم حاضرون حينئذ او عطف على خلقنا اي بل اهم شاهدون وقوله تع الا انهم من

من افكهم ليقولون ولد الله استيناف من جهته تع غير داخل تحت الامر بالاستفتاء
مسوق لابطال اصل مذهبهم الفاسد ببيان ان مبناه ليس الا الافك الصريح والافتراء
القبيح من غير ان يكون لهم دليل او شبهة قطعا وانهم لكاذبون في قولهم ذلك كذبا بينا لا ريب
فيه وقرئ ولد الله على انه خبر مبتدإ محذوف اي الملائكة ولده تع عن ذلك فان الولد
فعل بمعنى مفعول يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث اصطفى البنات على البنين
اثبات لافكهم وتقرير لكذبهم فيما قالوا ببيان استلزامه لامر بين الاستحالة هو اصطفاء
البنات على البنين والاصطفاء اخذ صفوة الشيء لنفسه وقرئ بكسر الهمزة على حذف حرف
الاستفهام ثقة بدلالة القرائن عليه وجعله بدلا من ولد الله ضعيف وتقدير القول
اي لكاذبون في قولهم اصطفى الخ تعسف بعيد مالكم كيف تحكمون بهذا الحكم الذي يقضي
ببطلانه بديهة العقول افلا تذكرون بحذف احدى التاءين من تتذكرون وقرئ تذكرون
من ذكر والفاء للعطف على مقدر اي الا تلاحظون ذلك فلا تتذكرون بطلانه فانه مركوز في
عقل كل ذكي وغبي ام لكم سلطان مبين اضراب وانتقال من توبيخهم وتبكيتهم بما ذكر الى تبكيتهم
بتكليفهم ما لا يدخل تحت الوجود اصلا اي بل الكم حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بان
الملائكة بناته تع ضرورة ان الحكم بذلك لا بد له من سند حسي او عقلي وحيث انتفى كلاهما
فلا بد من سند نقلي فاتوا بكتابكم الناطق بصحة دعواكم ان كنتم صادقين فيها وفي هذه الآيات
من الانباء عن السخط العظيم والانكار الفظيع لاقاويلهم والاستبعاد الشديد لاباطيلهم
وتسفيه احلامهم وتركيك عقولهم وافهامهم مع استهزاء بهم وتعجيب من جهلهم ما لا يخفى
على من تامل فيها وقوله تع وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا التفات الى الغيبة للايذان با
عن الخوات وسقوطهم عن درجة الخطاب في اقتضاء حالهم ان يعرض عنهم ويحكى جناياتهم
لآخرين والمراد بالجنة الملائكة قالوا الجنس واحد ولكن من خفت من الجن ومردوكا
شرا كله فهو شيطان ومن ظهر منهم ونسك وكان خيرا كله فهو ملك وانما عبر عنهم بذلك
الاسم وضعا منهم وتصغيرا بهم مع عظم شانهم فيما بين الخلق ان يبلغوا منزلة المناسبة
التي اضافوها اليهم فجعلهم هذا عبارة عن قولهم الملائكة بنات الله وانما اعيد ذكره تمهيدا
لما يعقبه من قوله تع ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون اي وبالله لقد علمت الجنة التي عظموها
بان جعلوا بينها وبينه تع نسبا وهم الملائكة ان الكفرة لمحضرون النار معذبون بها لكذبهم
وافترائهم في قولهم ذلك والمراد به المبالغة في التكذيب ببيان ان الذين يدعي هؤلاء
لهم تلك الكرامة ويعلمون انهم اعلم منهم بحقيقة الحال يكذبونهم في ذلك ويحكمون بانهم معذبون
لاجله حكما موكدا وقيل ان قوما من الزنادقة يقولون الله تع وابليس اخوان فالله هو الخير
الكريم وابليس هو الشرير اللئيم وهو المراد بقوله تع وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال
الامام الرازي وهذا القول عندي اقرب الاقاويل وهو مذهب المجوس القائلين بيزدان
واهرمن وقال مجاهد قالت قريش الملائكة بنات الله فقال ابو بكر الصديق فمن امهاتهم

وه تعالى

ن

نقطاعهم

بنكيتا لهم فقالوا سروات الجن وقيل مع جعلوا بينه وبين الجنة نسبا جعلوا بينهما مناسبة
حيث اشركوا به تعالى الجن فى استحقاق العبادة فعلى هذه الاقاويل يجوز ان يكون الضمير فى انهم
لمحضرون للجنة فالمعنى لقد علمت الشياطين ان الله تعالى يحضرهم النار ويعذبهم بها ولو كانوا منا بسين
له تعالى اوشركاء فى استحقاق العبادة لما عذبهم والوجه هو الاول فان قوله سبحان الله عما يصفون
حكاية لتنزيه الملائكة اياه تعالى عما وصفه المشركون به بعد تكذيبهم لهم فى ذلك بتقدير قول معطوف
على علمت وقوله تعالى الا عباد الله المخلصين شهادة منهم ببراءة المخلصين من ان يصفوه تعالى
بذلك متضمنة لتبرئهم منه بحكم اندراجهم فى زمرة المخلصين على ابلغ وجه واكده على انه استثناء
منقطع من واو يصفون كانه قيل ولقد علمت الملائكة ان المشركين لمعذبون لقولهم ذلك
وقالوا سبحان الله عما يصفونه به لكن عباد الله الذين نحن من جملتهم برآء من ذلك الوصف
وقوله تعالى فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين تعليل وتحقيق لبراءة المخلصين مما ذكر ببيان
عجزهم عن اغوائهم واضلالهم والالتفات الى الخطاب لاظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمون الكلام
وما تعبدون عبارة عن الشياطين الذين اغووهم وقيل ايذان بتبرئهم عنهم وعن عبادتهم
كقولهم بل كانوا يعبدون الجن وما نافية وانتم خطاب لهم وللمعبودين تغليبا وعلى متعلقة بفاتنين
يقال فتن فلان على فلان امرأته اى افسدها عليه والمعنى فانكم ومعبوديكم ايها المشركون
لستم بفاتنين عليه تعالى بافساد عباده واضلالهم الا من هو صال الجحيم منهم اى داخلها
لعلمه تعالى بانه يصر على الكفر بسوء اختياره ويصير من اهل النار لا محالة واما المخلصون
منهم فانتم بمعزل من افسادهم واضلالهم فهم لاجرم برآء من ان يفتنوا بكم ويسلكوا مسلكم
فى وصفه تعالى اوصفتموه به وقرئ صال بضم اللام على انه جمع محمول على معنى من قد سقط واو
للتقاء الساكنين وقوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم تبيين لجلية امرهم وتعيين لحيزهم
فى موقع العبودية بعد ما ذكر من تكذيب الكفرة فيما قالوا وتنزيه الله تعالى عن ذلك وتبرئة
المخلصين عنه واظهار لقصور شانهم وتمامتهم اى وما منا احد الا له مقام معلوم فى العبادة
والانتهاء الى امر الله عز وجل مقصور عليه لا يتجاوزه ولا يستطيع ان يزل عنه
خضوعا لعظمته وخشوعا لهيبته وتواضعا لجلاله كما روى فمنهم راكع لا يقيم صلبه وساجد
لا يرفع رأسه وقال ابن عباس رض ما فى السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلى او
يسبح وروى انه قال عليه السلم اطت السماء وحق لها ان تئط والذى نفسى بيده
ما فيها موضع اربع اصابع الا وفيه ملك واضع جبهته ساجدا لله تعالى وقال السدى الا
له مقام معلوم فى القربة والمنازلة وانا لنحن الصافون فى مواقع الطاعة ومواطن
الخدمة وانا لنحن المسبحون المقدسون لله سبحانه عن كل ما لا يليق بجناب كبريائه وتجليته
كلامهم بفنون التاكيد لابراز ان صدوره عنهم بكمال الرغبة والنشاط هذا هو الذى يقتضيه
جزالة التنزيل وقد ذكر فى تفسير الآيات الكريمة واعرابها وجوه اخر فتامل والله الموفق
وان كانوا ليقولون ان هى المخففة من الثقيلة وضمير الشان محذوف واللام هى الفارقة

الفارقة اى ان الشان كانت قريش تقول لو ان عندنا ذكرا من الاولين اى كتابا
من كتب الاولين من التوراة والانجيل لكنا عباد الله المخلصين اى لاخلصنا العبادة
لله تعالى ولما خالفنا كما خالفوا وهذا كقولهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم
والفاء فى قوله تعالى فكفروا به فصيحة كما فى قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق اى
فجاءه ذكر واى ذكر يستتبع الاذكار وكتاب مهيمن على سائر الكتب الاستفز فكفروا به
فسوف يعلمون اى عاقبة كفرهم وغائلته ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين استئناف
مقرر للوعيد وتصديره بالقسم لغاية الاعتناء بتحقيق مضمونه اى وبالله لقد سبق وعدنا
لهم بالنصرة والغلبة وهو قوله تعالى انهم لهم المنصورون وان جندنا وهم اتباع المرسلين
لهم الغالبون على اعدائهم فى الدنيا وللآخرة ولا يقدح فى ذلك انهزامهم فى بعض المشاهد
فان قاعدة امرهم واسسه الظفر والنصرة وان وقع فى تضاعيف ذلك شوب من
الابتلاء والمحنة والحكم للغالب وعن ابن عباس رض ان لم ينصروا فى الدنيا نصروا فى الآخرة
وقرئ على عبادنا بتضمين سبقت معنى حقت وتسميتها كلمة مع انها كلمات لانتظامها
فى معنى واحد وقرئ كلمتنا فتول عنهم فاعرض عنهم وانصر حتى حين الى مدة يسيرة وهى
مدة الكف عن القتال وقتل يوم بدر وقيل يوم الفتح وابصرهم على اسوء حال واقطع كما
جل يجب منهم من القتل والاسر والمراد بالامر بابصارهم الايذان بغاية قربه كانه بين يديه
فسوف يبصرون ما يقع حينئذ من الامور وسوف للوعيد دون التبعيد افبعذابنا يستعجلون
روى انه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزل فاذا نزل بساحتهم اى فاذا نزل العذاب
الموعود بفنائهم كانه جيش قد هجم فاناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وقطع
دابرهم بالمرة وقيل المراد نزول رسول الله صلعم يوم الفتح وقرئ نزل بساحتهم على اسناده
الى الجار والمجرور وقرئ نزل مبنيا للمفعول من التنزيل اى نزل العذاب فساء صباح
المنذرين فبئس صباح المنذرين صباحهم واللام للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش
المبيت لوقت نزول العذاب فلما كثرت منهم الغارة فى الصبح سموها صباحا وان وقعت
ليلا روى ان رسول الله صلعم لما اتى خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحى قالوا
محمد والخميس فرجعوا الى حصنهم فقال صلى الله عليه وسلم الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا
بساحة قوم فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون تسلية
لرسول الله عليه السلم اثر تسلية وتاكيد لوقوع المبصر به تاكيد مع ما فى اطلاق الفعلين
عن المفعول من الايذان بان ما يبصره عليه السلم حينئذ من فنون المسار وما يبصرونه من
الوان المضار لا يحيط به الوصف والبيان وقيل اريد بالاول عذاب الدنيا وبالثانى
عذاب الآخرة سبحان ربك رب العزة عما يصفون تنزيه لله سبحانه عن كل ما يصفه
المشركون به مما لا يليق بجناب كبريائه وجبروته عما ذكر فى السورة الكريمة وعما لم يذكر من الامور
التى من جملتها ترك انجاز الموعود على موجب كلمته السابقة لاسيما فى حق رسول الله صلعم

كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية المعربة عن التربية والتكميل والمالكية الكلية مع الاضافة الى
ضميره عليه السلم اولا والى العزة ثانيا كانه قيل سبحان من هو مربيك ومكملك ومالك العزة و
الغلبة على الاطلاق عما يصفه المشركون به من الاشياء التي منها ترك نصرتك عليهم كما يدل عليه
استعجالهم بالعذاب في قوله تعالى وسلام على المرسلين تشريف لهم عليهم السلم بعد تنزيه تعالى
عما ذكر وتنويه بشانهم وايذان بانهم سالمون عن كل المكاره فائزون بجميع المآرب وقوله تعالى
والحمد لله رب العالمين اشارة الى وصفه عز وجل بصفاته الكريمة الثبوتية بعد التنبيه
على اتصافه تعالى بجميع صفاته السلبية وايذان باستتباعها للافعال الجميلة التي من جملتها
افاضته عليهم من فنون الكرامات السنية والكمالات الدينية والدنيوية واسباغه
عليهم وعلى من تبعهم من صنوف النعماء الظاهرة والباطنة الموجبة لحمده تعالى واشعار بان
ما وعده عليه السلم من النصرة والغلبة قد تحققت والمراد تنبيه المؤمنين على كيفية تسبيحه تعالى
وتحميده والتسليم على رسله الذين هم وسائط بينهم وبينه عز وعلا في فيضان الكمالات
الدينية والدنيوية عليهم ولعل توسيط التسليم على المرسلين بين تسبيحه تعالى وتحميده
لختم السورة الكريمة بحمده تعالى مع ما فيه من الاشعار بان توفيقه تعالى للتسليم عليهم من جملة
نعمه الموجبة للحمد عن علي رض من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة
فلينكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على
المرسلين والحمد لله رب العالمين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والصافات
اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعد عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه
يوم القيمة انه كان مؤمنا بالمرسلين تمت في آخر ربيع الآخر ١٢٧٨

ص بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين ويجوز ان يكون الفتح
باضمار حرف القسم في موقع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر وان يكون ذلك نصبا باضمار
اذكر او اقرأ لا فتحا كما مر في فاتحة سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتانيث
لانها علم للسورة وقد صرفها من قرأ صاد بالتنوين على انه اسم الكتاب او التنزيل وقيل
هو في قراءة الكسر امر من المصاداة وهي المعارضة والمقابلة ومنها الصدى الذي ينعكس
من الاجسام الصلبة بمقابلة الصوت ومعناه عارض القرآن بعملك فاعمل باوامره وانته
عن نواهيه وتخلق باخلاقه ثم ان جعل اسما للحرف مسرودا على منهاج التحدي او الرمز
الى كلام مثل صدق الله او صدق محمد كما نقل عن اكابر السلف او اسما للسورة خبرا لمبتدأ
محذوف او نصبا على اضمار اذكر او اقرأ او امرا من المصاداة قالوا وفي قوله تعالى
والقرآن ذي الذكر للقسم وان جعل مقسما به فهو للعطف عليه فان اريد بالقرآن كله
فالمغايرة بينهما حقيقية وان اريد عين السورة فهي اعتبارية كما في قولك مررت بالرجل الكريم

الكريم وبالنسمة المباركة واياما كان ففي التكرير مزيد تاكيد لمضمون الجملة المقسم عليها والذكر الشرف
والنباهة كما في قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك او الذكرى والموعظة او ذكر ما يحتاج اليه في امر
الدين من الشرائع والاحكام وغيرها من اقاصيص الانبياء عليهم السلم واخبار الامم الدارجة
والوعد والوعيد وجواب القسم على الوجه الاول والرابع والخامس محذوف هو ما ينبئ عنه
التحدي والامر والاقسام به من كون المتحدى به معجزا او كون المامور به واجبا وكون المقسم
به حقيقا بالاعظام اي اقسم بالقرآن او بصاد وبه انه لمعجز او لواجب العمل به او لحقيق بالا عظام
واما على الوجهين الباقيين فهو الكلام المرموز اليه ونفس الجملة المذكورة قبل القسم فان التسمية
تنويه بشان المسمى وتنبيه على عظم خطره اي انه لصادق والقرآن ذي الذكر او هذه السورة
عظيمة الشان والقرآن الخ على طريقة قولهم هذا حاتم والله ولما كان كل واحد من هذه الاجوبة
منبئا عن انتفاء الريب عن مضمونه بالكلية انباء بينا كان قوله تعالى بل الذين كفروا في عزة
وشقاق اضرابا عن ذلك كانه قيل لا ريب فيه قطعا وليس عدم اذعان الكفرة له لشائبة ريب ما
فيه بل هم في استكبار وحمية شديدة وشقاق بعيد لله تعالى ورسوله ولذلك لا يذعنون له وقيل
الجواب ما دل عليه الجملة الاضرابية اي ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه بل الذين كفروا الخ وقرئ
في غرة اي في غفلة عما يجب عليه التنبه له من مبادي الايمان ودواعيه كم اهلكنا من قبلهم من
قرن وعيد لهم على كفرهم واستكبارهم ببيان ما اصاب من قبلهم من المستكبرين وكم مفعول
اهلكنا ومن قرن تمييز والمعنى وقرنا كثيرا اهلكنا من القرون الخالية فنادوا عند نزول باسنا
وحلول نقمتنا استغاثة وتوبة لينجوا من ذلك وقوله تعالى ولات حين مناص حال من ضمير نادوا
اي نادوا واستغاثوا طلبا للنجاة والحال ان ليس الحين حين مناص اي فوت ونجاة من
ناصه اي فاته لا من ناص بمعنى تاخر ولا هي المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث
للتاكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بنفي الاحيان ولم يبرز الا احد معموليها والاكثر
حذف اسمها وقيل هي النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفي الاحيان وحين
مناص منصوب على انه اسمها اي ولا حين مناص لهم او بفعل مضمر اي ولا ارى حين
مناص وقرئ بالرفع فهو على الاول اسمها والخبر محذوف اي ليس حين مناص حاصلا
لهم وعلى الثاني مبتدأ محذوف الخبر اي ولا حين مناص كائن لهم وقرئ بالكسر كما في قوله
طلبوا صلحنا ولات اوان فاجبنا ان لات حين بقاء اما لان لات تجر الاحيان
كما ان لو لا تجر الضمائر في نحو قوله لولاك هذا العام لم احجج او لان اوان شبه باذ
في قوله نهيتك عن طلابك ام عمرو بعافية وانت اذ صحيح في انه زمان قطع
منه المضاف اليه وعوض التنوين لان اصله اوان صلح ثم حمل عليه حين مناص تنزيلا
لقطع المضاف اليه من مناص اذ اصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لما بين المضافين
من الاتحاد ثم بني الحين لاضافته الى غير متمكن وقرئ لات بالكسر كجين ويقف الكوفيون
عليها بالهاء كالاسماء والبصرية بالتاء كالافعال وما قيل من ان التاء مزيدة على

اي بكسر النون

قاله ابو عبيد

حين لا تصالها به في الامام مما لا وجه فان خط المصحف خارج عن القياس وعجبوا ان جاءهم
منذر منهم حكاية لاباطيلهم المتفرعة على ما حكي من استكبارهم وشقاقهم اي عجبوا من ان جاءهم
رسول من جنسهم بل ادون منهم في الرياسة الدنيوية والمال على معنى انهم عدوا ذلك
امرا عجيبا خارجا عن احتمال الوقوع وانكروه اشد الانكار لا انهم اعتقدوا وقوعه وتعجبوا منه
وقال الكافرون وضع فيه الظاهر موضع الضمير غضبا عليهم وايذانا بانه لا يتجاسر على
مثل ما يقولونه الا المتوغلون في الكفر والفسوق هذا ساحر فيما يظهره من الخوارق كذاب
فيما يسنده الى الله تعالى من الارسال والانزال اجعل الالهة الها واحدا بان نفي الالوهية
عنهم وقصرها على واحد ان هذا لشيء عجاب بليغ في العجب وذلك لانه خلاف ما الفوا عليه
اباءهم الذين اجمعوا على الوهيتهم وواظبوا على عبادتهم كابرا عن كابر فان مدار كل ما
يأتون وما يذرون من امور دينهم هو التقليد والاعتياد فيعدون ما يخالف ما اعتادوه
عجبا بل محالا واما جعل مدار تعجبهم عدم وفاء علم الواحد وقدرته بالاشياء الكثيرة فلا وجه له
لما انهم لا يدعون ان لالهتهم علما وقدرة ومدخلا في حدوث شيء من الاشياء حتى يلزم من
نفي الوهيتهم بقاء الآثار بلا مؤثر وقرئ عجاب بالتشديد وهو ابلغ ككرام وكرام روي
انه لما اسلم عمر رض شق ذلك على قريش فاجتمع خمسة وعشرون من صناديدهم فاتوا
ابا طالب فقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وجئناك لتقضي
بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر رسول الله عليه السلم وقال يا ابن اخي هؤلاء قومك
يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال عليه السلم ماذا تسألونني قالوا ارفضنا
وارفض ذكر الهتنا وندعك والهتك فقال عليه السلم ارأيتم ان اعطيتكم ما سألتم
امعطي انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا فقال قولوا
لا اله الا الله فقاموا وقالوا ذلك وانطلق الملأ منهم اي وانطلق الاشراف من
قريش عن مجلس ابي طالب بعد ما بكتهم رسول الله عليه السلم بالجواب العنيد وشاهدوا تصلبه
عليه السلم في الدين وعزيمته على ان يظهره على الدين كله ويئسوا مما كانوا يرجونه بتوسط
ابي طالب من المصالحة على الوجه المذكور ان امشوا اي قائلين بعضهم لبعض على وجه
النصيحة امشوا واصبروا على الهتكم اي واثبتوا على عبادتها متحملين لما تسمعونه في حقها
من القدح وان هي المفسرة لان الانطلاق عن مجلس التفاؤل لا يخلو عن القول وقيل
المراد بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا من مشت المرأة اذا كثرت ولادتها
ومنه الماشية للتفؤل اي اجتمعوا واكثروا وقرئ امشوا بغير ان على اضمار
القول وقرئ يمشون ان اصبروا ان هذا لشيء يراد تعليل للامر بالصبر او لوجوب
الامتثال به اي هذا الذي شاهدناه من محمد عليه السلم من امر التوحيد ونفي الهتنا و
ابطال امرها لشيء يراد اي من جهته عليه السلم امضاؤه وتنفيذه لا محالة من غير صارف
يلويه ولا عاطف يثنيه لا قول يقال من طرف اللسان او امر يرجى فيه المسامحة

قايله الفاضلان

بشفاعة او امتنان فاقطعوا اطماعكم عن استنزاله من رايه بواسطة ابي طالب
وشفاعته وحسبكم ان لا تمنعوا من عبادة الهتكم بالكلية فاصبروا عليها وتحملوا ما تسمعونه
في حقها من القدح وسوء المقالة وقيل ان هذا الامر لشيء يريده الله تعالى ويحكم بامضائه
وما اراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه الا الصبر وقيل ان هذا الامر لشيء من نوائب الدهر
يراد بنا فلا انفكاك لنا منه وقيل ان دينكم لشيء يراد اي يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه
وقيل ان هذا الذي يدعيه من التوحيد او يقصده من الرياسة والترفع على العرب
والعجم لشيء يتمنى ويريده كل احد فتأمل في هذه الاقاويل واختر منها ما يساعده النظم الجليل
ما سمعنا بهذا الذي يقوله في الملة الآخرة اي الملة النصرانية التي هي آخر الملل فانهم مثلثة
او في الملة التي ادركنا عليها اباءنا ويجوز ان يكون الجار والمجرور حالا من هذا اي ما سمعنا
بهذا من اهل الكتاب ولا الكهان كائنا في الملة المترقبة ولقد كذبوا في ذلك اقبح كذب
فان حديث البعثة والتوحيد كان اشهر الامور قبل الظهور ان هذا اي ما هذا الا اختلاق
اي كذب اختلقه أأنزل عليه الذكر اي القرآن من بيننا ونحن رؤساء الناس واشرافهم
كقوله لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ومرادهم انكار كونه ذكرا منزلا من
الله عز وجل كقولهم لولا خير ما سبقونا اليه وامثال هذه المقالات الباطلة دليل
على ان مناط تكذيبهم ليس الا الحسد وقصر النظر على الحطام الدنيوي بل هم في شك
من ذكري اي من القرآن او الوحي لميلهم الى التقليد واعراضهم عن النظر في الادلة المؤدية
الى العلم بحقيقته وليس في حقيقتهم عقيدتهم ما يبتون به فهم مذبذبون بين الاوهام ينسبونه
تارة الى السحر واخرى الى الاختلاق بل لما يذوقوا عذاب اي بل لم يذوقوا بعد عذابي فاذا
ذاقوه تبين لهم حقيقة الحال وفي لما دلالة على ان ذوقهم على شرف الوقوع والمعنى انهم لا
يصدقون به حتى يمسهم العذاب وقيل لم يذوقوا عذابي الموعود في القرآن ولذلك شكوا فيه
ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب بل اعندهم خزائن رحمته تعالى يتصرفون
فيها حسبما يشاؤن حتى يصيبوا بها من شاؤا ويصرفوها عما شاؤا ويتحكموا فيها بمقتضى
آرائهم فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم والمعنى ان النبوة عطية من الله عز وجل
يتفضل بها على من يشاء من عباده المصطفين لا مانع له فانه العزيز اي الغالب
الذي لا يغالب الوهاب الذي له ان يهب كل ما يشاء لكل من يشاء وفي اضافة اسم
الرب المنبئ عن التربية والتبليغ الى الكمال الى ضميره عم من تشريفه واللطف به
ما لا يخفى وقوله تعالى ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما ترشيح لما سبق اي
بل الهم ملك هذه العوالم العلوية والسفلية حتى يتكلموا في الامور الربانية ويتحكموا
في التدابير الالهية التي يستأثر بها رب العزة والكبرياء وقوله تعالى فليرتقوا في الاسباب
جواب شرط محذوف اي ان كان لهم ما ذكر من الملك فليصعدوا في المعارج والمناهج
التي يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم وينزلوا الوحي الى من يختارون

قائله الكشاف

ويتصوبون وجهة من التكلم بهم ما لا غاية وراءه والسبب في الأصل هو الوصلة وقيل المراد بالأسباب
السموات لأنها أسباب الحوادث السفلية وقيل أبوابها جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب
أي هم جند ما من الكفار المحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث بما يعدون
وما مزيدة للتقليل والتحقير نحو قولك أكلت شيئا ما وقيل للتعظيم على الهزء وهنالك إشارة إلى حيث
وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم وقوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون
ذو الأوتاد استيناف مقرر لمضمون ما قبله ببيان أحوال العتاة الذين هؤلاء جند ما من جنودهم
مما فعلوا من التكذيب وفعل بهم من العقاب وذو الأوتاد معناه ذو الملك الثابت أصله من ثبات البيت
المطنب بأوتاده فاستعير لثبات الملك ورسوخ السلطنة واستقامة الأمر قال الأسود بن يعفر
ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة في ظل ملك ثابت الأوتاد أو ذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لأن بعضهم
يشد بعضا كالوتد يشد البناء وقيل نصب أربع سوار وكان يمد يدي المعذب ورجليه إليها ويشد
عليها أوتادا ويتركه حتى يموت وقيل كان يمده بين أربعة أوتاد في الأرض ويرسل عليه العقارب والحيات
وقيل كانت له أوتاد وحبال يلعب بها بين يديه وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أصحاب الغيضة
من قوم شعيب عم وقوله تعالى أولئك الأحزاب اما بدل من الطوائف المذكورة كما أن ذلك الكتاب
بدل من الم على أحد الوجوه وفيه فصل تأكيد وتبيين على أنهم الذين جعل الجند المهزوم منهم وقوله تعالى
إن كل إلا كذب الرسل استيناف جيء به تقريرا لتكذيبهم وبيانا لكيفيته وتمهيدا لما يعقبه أي ما كل أحد من
آحاد أولئك الأحزاب أو ما كل حزب منهم إلا كذب الرسل لأن تكذيب واحد منهم تكذيب لهم جميعا
لاتفاق الكل على الحق وقيل ما كل حزب إلا كذب رسوله على نهج مقابلة الجمع بالجمع وأيا ما كان فالاستثناء
مفرغ من أعم العام في خبر المبتدإ أي ما كل أحد منهم محكوما عليه بحكم إلا محكوم عليه بأنه كذب الرسل وقيل
ما كل واحد منهم مخبرا عنه بخبر إلا مخبرا عنه بأنه كذب الرسل وفي إسناد التكذيب إلى الطوائف المذكورة
على وجه الإبهام أولا والإيذان بأن كلا منهم حزب على حياله تحزب على رسوله ثانيا وتبيين كيفية تكذيبهم
بالجملة الاستثنائية ثالثا فنون من المبالغة مستجلبة عليهم باستحقاق أشد العذاب وأفظعه ولذلك
رتب عليه قوله تعالى فحق عقاب أي ثبت ووقع على كل منهم عقابي الذي كانت توجبه جناياتهم من أصناف
العقوبات المفصلة في مواقعها وأما مبتدأ وقوله تعالى إن كل إلا كذب الرسل خبره بحذف العائد أي إن
كل منهم إلخ والجملة استيناف مقرر لما قبله مؤكد لمضمونه مع ما فيه من بيان كيفية تكذيبهم والتنبيه على أنهم الذين جعل
الجند المهزوم منهم كما ذكر وقيل هو مبتدأ وخبر والمعنى إن الأحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم
هم هم وأنهم الذين وجد منهم التكذيب فتدبر وأما ما قيل من أنه خبر والمبتدأ قوله وعاد إلخ أو قوله
وقوم لوط إلخ فمما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله وما ينظر هؤلاء شروع في بيان عقاب كفار مكة إثر
بيان عقاب أضرابهم من الأحزاب الذين أخبر فيما سبق بأنهم جند حقير منهم مهزوم عن قريب فإن ذلك مما
يوجب انتظار السامع وترقبه إلى بيانه قطعا وفي الإشارة إليهم بهؤلاء تحقير لشأنهم وتهوين لأمرهم وأما
جعله إشارة إلى الأحزاب باعتبار حضورهم بحسب الذكر أو حضورهم في علم الله عز وجل فليس في حيز الاحتمال
أصلا كيف لا وأن الانتظار سواء كان حقيقة أو استهزاء إنما يتصور ممن لم يترتب على أعماله نتائجها بعد

بعد وبعد ما بين عقاب الأحزاب واستيصالهم بالمرة لم يبق مما أريد بيانه من عقوباتهم أمر منتظر
وإنما الذين هم صدد الانتظار كفار مكة حيث ارتكبوا من عظائم الجرائم وكبائر الجرائر الموجبة لأشد العقوبات
مثل ما ارتكب الأحزاب أو أشد منه ولما يذوقوا بعد شيئا من عذابها أي وما ينتظر هؤلاء الكفرة الذين هم
أمثال أولئك الطوائف المهلكة في الكفر والتكذيب إلا صيحة واحدة هي النفخة الثانية لا بعض أن
عقابهم نفسها بما فيها من الشدة والهول فإنها داهية تعم هولها جميع الأمم برا وفاجرا بل بمعنى أنه
ليس بينهم وبين حلول ما أعد لهم من العقاب القطيع الإلهي حيث أخرت عقوبتهم إلى الآخرة لما أن تعذيبهم
بالاستيصال حسبما يستحقونه والبتي عليه اللام بين أظهرهم خارج عن السنة الإلهية المبنية على الحكم البالغة
كما نطق به قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وأما ما قيل من أنها النفخة الأولى فمما لا وجه له
أصلا لما أنه لا يشاهد هولها ولا يصعق بها إلا من كان حيا عند وقوعها وليس عقابهم الموعود واقعا
عقيبها ولا العذاب المطلق مؤخرا إليها بل يحل بهم من حين موتهم ما لها من فواق أي من توقف مقدار
فواق وهو ما بين الحلبتين وقرئ بضم الفاء وهما لغتان وقوله تعالى وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل
يوم الحساب حكاية لما قالوه عند سماعهم بتأخير عقابهم إلى الآخرة أي قالوا بطريق الاستهزاء والسخرية
عجل لنا قسطنا من العذاب الذي توعدنا به ولا تؤخره إلى يوم الحساب الذي مبدأه الصيحة المذكورة
والقط القطعة من الشيء من قطه إذا قطعه وقيل لصحيفة الجائزة قط لأنها قطعة من القرطاس
وقد خصت بها أي عجل لنا صحيفة أعمالنا لننظر فيها وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد الله تعالى المؤمنين
الجنة فقالوا على سبيل الاستهزاء عجل لنا نصيبنا منها وتصدير دعائهم بالنداء المذكور للاعتناء في الأ
كأنهم يدعون ذلك بكمال الرغبة والابتهال اصبر على ما يقولون من أمثال هذه المقالات الباطلة
واذكر لهم عبدنا داود أي قصته تهويلا لأمر المعصية في أعينهم وتبيينا لهم على كمال قبح ما اجترءوا عليه
من المعاصي فإنه عليه السلام مع علو شأنه واختصاصه بعظائم النعم والكرامات لما ألم بصغيرة نزل عن مرتبة
ووبخته الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تنطن فاستغفر ربه وأناب ووجد منه ما يحكى من بكائه الدائم
وغمه الواصب وندمه الدائم فما الظن بهؤلاء الكفرة الأذلين من كل ذليل المرتكبين لأكبر الكبائر
المصرين على أعظم المعاصي اوتذكر قصته عم وحسن نفسك أن تزل فيما كلفت من مصابرتهم
وتحمل أذيتهم كيلا يلقاك ما لقيه من المعاتبة ذا الأيد أي ذا القوة يقال فلان أيد وذو أيد
وآد بمعنى وآيا د كل شيء ما يتقوى به إنه أواب رجاع إلى مرضاة الله تعالى وهو تعليل لكونه ذا
الأيد ودليل على أن المراد به القوة في الدين فإنه عم كان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم
نصف الليل إنا سخرنا الجبال معه استيناف مسوق لتعليل قوته في الدين وأوابيته إلى
مرضاة الله تعالى ومع متعلقة بالتسبيح وإيثاره على اللام لما أشير إليه في سورة الأنبياء من أن تسخير
الجبال له عليه السلام لم يكن بطريق تفويض التصرف الكلي فيها إليه عم كتسخير الريح وغيرها لسليمان عم
بل بطريق التبعية له عم والاقتداء به في عبادة الله تعالى وقيل متعلقة بما بعدها وهو أقرب
بالنسبة إلى ما في سورة الأنبياء يسبحن أي يقدسن الله عز وجل بصوت يتمثل له أو يخلق الله تعالى
فيها الكلام أو بلسان الحال وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال من الجبال وضع

موضع مسبحات للدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال او استيناف مبين لكيفية التسخير
بالعشي والاشراق اي ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس اي تضيء ويصفو
شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق
وعن ام هانئ رض صلى صلوة الضحى وقال هذه صلوة الاشراق وعن ابن عباس رضي الله
ما عرفت صلوة الضحى الا بهذه الاية والطير عطف على الجبال محشورة حال من الطير والعامل
سخرنا اي وسخرنا الطير حال كونها محشورة عن ابن عباس رض كان اذا سبح جاوبته الجبال
بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت وذلك حشرها وقرئ والطير محشورة بالرفع على الابتداء
والخبرية كل له اواب استيناف مقرر لمضمون ما قبله مصرح بما فهم منه اجمالا من تسبيح
الطير اي كل واحد من الجبال والطير لاجل تسبيحه رجاع الى التسبيح ووضع الاواب
موضع المسبح اما لانها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع لانه يرجع الى فعله رجوعا بعد رجوع
واما لان الاواب هو التواب الكثير الرجوع الى الله تعالى ومن دابه اكثار الذكر وادامة التسبيح
والتقديس وقيل الضمير لله عز وجل اي كل من داود والجبال والطير لله اواب
اي مسبح مرجع للتسبيح وشددنا ملكه قويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ
بالتشديد للمبالغة قيل كان يبيت حول محرابه اربعون الف مستلئم وقيل ادعى رجل
على آخر بقرة وعجز عن اقامة البينة فاوحى الله تعالى اليه في المنام ان اقتل المدعى عليه
فتاخر فاعيد الوحي في اليقظة فاعلمه الرجل فقال ان الله تع لم ياخذني بهذا الذنب ولكني
باني قتلت ابا هذا غيلة فقتله فقال الناس ان اذنب احد ذنبا اظهره الله تع عليه
فقتله فهابوه وعظمت هيبته في القلوب وآتيناه الحكمة النبوة وكمال العلم واتقان
العمل وقيل الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة وفصل الخطاب
اي فصل الخصام بتميز الحق عن الباطل او الكلام الملخص الذي ينبه المخاطب على المرام
من غير التباس لما قد روعي فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستيناف والاضمار
والاظهار والحذف والتكرار وانما سمي به اما بعد لانه يفصل المقصود عما سبق تمهيدا له
كالحمد والصلوة وقيل هو الخطاب الفصل الذي ليس فيه ايجاز مخل ولا اطناب ممل كما
جاء في نعت كلام النبوة فصل لا نزر ولا هذر وهل اتاك نبأ الخصم استفهام
معناه التعجيب والتشويق الى استماع ما في حيزه لايذانه بانه من الانباء البديعة التي
حقها ان تشيع فيما بين كل حاضر وباد والخصم في الاصل مصدر ولذلك يطلق على الواحد
والجمع كالضيف ومعنى خصمان فريقان اذ تسوروا المحراب اي تصعدوا سوره و
نزلوا اليه والسور الحائط المرتفع ونظيره تسنمه اذا علا سنامه وتذراه علا ذروته
واذ معلقة بمحذوف اي نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا او بالنبأ على ان المراد به الواقع
في عهد داود عليه السلم وان اسناد الاتيان اليه على حذف مضاف اي قصة نبأ الخصم او
بالخصم لما فيه من معنى الخصومة لا باتى لان اتيانه الرسول صلعم لم يكن ح وقوله تع اذ دخلوا على

على داود بدل مما قبله او ظرف لتسوروا ففزع منهم روي انه تعالى بعث اليه ملكين في صورة
انسانين قيل هما جبريل وميكائيل عليهما السلم فطلبا ان يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته
فمنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب بمن معهما من الملائكة فلم يشعر الا وهما بين يديه
ففزع منهم لانهم نزلوا عليه من فوق على خلاف العادة والحرس حوله وفي غير يوم الحكومة
والقضاء قال ابن عباس رض ان داود جزء زمانه اربعة اجزاء يوما للعبادة ويوما للقضاء
ويوما للاشتغال بخاصة نفسه ويوما للوعظ والتذكير قالوا استيناف وقع جوابا عن
سؤال نشأ من حكاية فزعه عم كانه قيل فماذا قالت الملائكة عند مشاهدتهم لفزعه عم
فقيل قالوا ازالة لفزعه لا تخف خصمان اي نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب
الخصم خصما بغى بعضنا على بعض هو على الفرض وقصد التعريض فلا كذب فيه فاحكم بيننا
بالحق ولا تشطط اي لا تجر في الحكومة وقرئ ولا تشطط اي لا تبعد عن الحق وقرئ
لا تشطط ولا تشاطط وكلها من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطي الحق واهدنا
الى سواء الصراط الى وسط طريق الحق بزجر الباغي عما سلكه من طريق الجور وارشاده
الى منهاج العدل ان هذا اخي استيناف لبيان ما فيه الخصومة اي اخي في الدين او في
الصحبة والتعرض لذلك تمهيد لبيان كمال قبح ما فعل به صاحبه له تسع وتسعون نعجة
ولي نعجة واحدة هي الانثى من الضأن وقد يكنى بها عن المرأة والكناية والتعريض
ابلغ في المقصود وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وقرئ ولي نعجة بسكون
الياء فقال اكفلنيها اي ملكنيها وحقيقته اجعلني اكفلها كما اكفل ما تحت يدي وقيل
اجعل كفلي اي نصيبي وعزني في الخطاب اي غلبني في مخاطبته اياي محاجة بان جاء
بحجاج لم اقدر على رده او في مغالبته اياي في الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو
فخاطبني خطابا اي غالبني في الخطبة فغلبني حيث زوجها دوني وقرئ وعازني اي غالبني
وعزني بتخفيف الزاء طلبا للخفة وهو تخفيف غريب كانه قيس على ظلت ومست
قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه جواب قسم محذوف قصد به عم المبالغة
في انكار فعل صاحبه وتهجين طمعه في نعجة من ليس له غيرها مع ان له قطيعا منها ولعله
عليه السلم قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما ادعاه عليه او بناءه على تقدير صدق المدعي
والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول آخر بالى لتضمنه معنى الاضافة
والضم وان كثيرا من الخلطاء اي الشركاء الذين خلطوا اموالهم ليبغي ليتعدى وقرئ
بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها وبحذف الياء اكتفاء بالكسر بعضهم على
بعض غير مراع لحق الصحبة والشركة الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم فانهم
يتحامون عن البغي والعدوان وقليل ما هم اي وهم قليل وما مزيدة للابهام والتعجب
من قلتهم والجملة اعتراض وظن داود انما فتناه الظن مستعار للعلم الاستدلالي
لما بينهما من المشابهة الظاهرة اي علم بما جرى في مجلس الحكومة وقيل لما قضى بينهما

جالسان صح

نظر احدهما الى صاحبه فضحك ثم صعد الى السماء حيال وجهه فعلم عم انه تعالى ابتلاه وليس المعنى على
تخصيص الفتنة به عليه السلم دون غيره بتوجيه القصر المستفاد من كلمة انما الى المفعول بالقياس الى
مفعول آخر كما هو الاستعمال الشايع الوارد على توجيه القصر الى متعلقات الفعل وقيوده باعتبار
النفي فيه والاثبات فيها كما في مثل قولك انما ضربت زيدا وانما ضربته تاديبا بل على تخصيص حاله عليه السلم
بالفتنة بتوجيه القصر الى نفس الفعل بالقياس الى ما يغايره من الافعال لكن لا باعتبار النفي والاثبات
معا في خصوصية الفعل فانه غير ممكن قطعا بل باعتبار النفي فيما فيه من معنى مطلق الفعل واعتبار
الاثبات فيما يقارنه من المعنى المخصوص فان كل فعل من الافعال المخصوصة ينحل عند التحقيق الى
معنى مطلق هو مدلول لفظ الفعل والى معنى مخصوص يقارنه ويقيده وهو اثره في الحقيقة فان معنى
نصر مثلا فعل النصر يرشدك الى ذلك قولهم معنى فلان يعطي ويمنع يفعل الاعطاء والمنع فمورد القصر
في الحقيقة ما يتعلق بالفعل باعتبار النفي فيه والاثبات فيما يتعلق به فالمعنى وعلم داود انما فعلنا به
الفتنة لا غير قيل ابتليناه بامرأة اوريا وقيل امتحناه بتلك الحكومة هل يتنبه به لما قصد منها
وايثار طريق التمثيل لانه ابلغ في التوبيخ فان التامل فيه اذا اداه الى الشعور بما هو الغرض كان اوقع
في نفسه واعظم تاثيرا في قلبه وادعى الى التنبه للخطاء مع ما فيه من مراعاة حرمته عم بترك المجاهرة
والاشعار بانه امر يستحي من التصريح به وتصويره بصورة التحاكم لالجائه عم الى التصريح بنسبة نفسه
الى الظلم وتنبيهه عليه السلم على ان اوريا بصدد الخصام فاستغفر ربه اثر ما علم ان ما صدر عنه ذنب
وخر راكعا اي ساجدا على تسمية السجود ركوعا لانه مبداؤه او خر للسجود راكعا اي مصليا كانه احرم
بركعتي الاستغفار واناب اي رجع الى الله تعالى بالتوبة واصل القصة ان داود عليه السلم راى امرأة
رجل يقال له اوريا فمال قلبه اليها فسأله ان يطلقها فاستحى ان يرده ففعل فتزوجها وهي ام سليمان
عليهما السلم وكان ذلك جائزا في شريعته معتادا فيما بين امته غير مخل بالمروة حيث كان يسأل بعضهم بعضا
ان ينزل له عن امرأته فيتزوجها اذا اعجبته وقد كان الانصار في صدر الاسلام يواسون المهاجرين
بمثل ذلك من غير نكير خلا انه عليه السلم لعظم منزلته وارتفاع مرتبته وعلو شانه نبه بالتمثيل على انه لم يكن
ينبغي له ان يتعاطى ما يتعاطاه آحاد امته ويسأل رجلا ليس له الا امرأة واحدة ان ينزل عنها
فيتزوجها مع كثرة نسائه بل كان يجب عليه ان يغالب هواه ويقهر نفسه ويصبر على ما امتحن
به وقيل لم يكن اوريا تزوجها بل كان خطبها ثم خطبها داود عم فآثره عم اهلها فكان ذنبه عليه السلم
ان خطب على خطبة اخيه المسلم هذا واما ما يذكر من انه عليه السلم دخل ذات يوم محرابه واغلق
بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فبينما هو كذلك اذ جاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب
فمد يده ليأخذها لابن له صغير فطارت فامتد اليها فطارت فوقعت في كوة فتبعها فابصر
امرأة جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها وهي امرأة اوريا وهو من غزاة البلقاء فكتب
الى ايوب بن صوريا وهو صاحب بعث البلقاء ان ابعث اوريا وقدمه على التابوت
وكان من يتقدم على التابوت لا يحل له ان يرجع حتى يفتح الله تع على يده او يستشهد ففتح
الله تع على يده وسلم فامر برده مرة اخرى وثالثة حتى قتل واتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن

يحزن على الشهداء وتزوج امرأته فانك مبتدع مكروه ومكر مخترع بئسما مكروه تمجه الاسماع
وتنفر عنه الطباع ويل لمن ابتدعه واشاعه وتبا لمن اخترعه واذاعه ولذلك قال علي
رضي الله عنه من حدث بحديث داود عم على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وذلك
حد الفرية على الانبياء عليهم السلم هذا وقد قيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه عم فتسوروا المحراب
ودخلوا عليه فوجدوا عنده اقواما فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم غرضه عم فهم بان ينتقم منهم
فظن ان ذلك ابتلاء له من الله عز وجل فاستغفر ربه مما هم به فاناب فغفرنا له ذلك اي
ما استغفر عنه وروي انه عليه السلم بقي ساجدا اربعين يوما وليلة لا يرفع رأسه الا
لصلوة مكتوبة او لما لا بد منه ولا يرقأ دمعه حتى نبت منه العشب الى رأسه ولم يشرب ماء
الا ثلثاه دمع وجهد نفسه مراغبا الى الله تعالى في العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك
عن الملك حتى وثب ابن له يقال له ايشا على ملكه ودعا الى نفسه فاجتمع اليه اهل الزيغ
من بني اسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه وان له عندنا لزلفى لقربة وكرامة بعد المغفرة وحسن
مآب حسن مرجع في الجنة يا داود انا جعلناك خليفة في الارض اما حكاية لما خوطب به
عليه مبينة لزلفاه عنده عز وجل واما مقول لقول مقدر هو معطوف على غفرنا او حال من
فاعله اي وقلنا له او قائلين له يا داود الخ اي استخلفناك على الملك فيها والحكم فيما بين
اهلها او جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الانبياء القائمين بالحق وفيه دليل بين على ان
حاله عم بعد التوبة كما كانت قبلها لم يتغير قط فاحكم بين الناس بالحق بحكم الله تع فان الخلافة
بكلا معنييه مقتضية له حتما ولا تتبع الهوى اي هوى النفس في الحكومات وغيرها من امور
الدين والدنيا فيضلك عن سبيل الله بالنصب على انه جواب النهي وقيل مجزوم بالعطف على
النهي مفتوح لالتقاء الساكنين اي فيكون الهوى او اتباعه سببا لضلالك عن دلائله التي نصبها
على الحق تكوينا وتشريعا وقوله تعالى ان الذين يضلون عن سبيل الله تعليل لما قبله ببيان
غائلته واظهار سبيل الله في موقع الاضمار لزيادة التقرير والايذان بكمال شناعة
الضلال عنه لهم عذاب شديد جملة من خبر ومبتدأ وقعت خبرا لان والظرف خبر لان
وعذاب مرتفع على الفاعلية بما فيه من الاستقرار بما نسوا بسبب نسيانهم وقوله تعالى يوم
الحساب اما مفعول لنسوا فيكون تعليلا صريحا لثبوت العذاب الشديد لهم بنسيان يوم
الحساب بعد الاشعار بعلية ما يستتبعه ويستلزمه اعني الضلال عن سبيل الله فانه
مستلزم لنسيان يوم الحساب بالمرة بل هذا فرد من افراده او ظرف لقوله تع لهم اي
لهم عذاب شديد يوم القيمة بسبب نسيانهم الذي هو عبارة عن ضلالهم ومن ضرورته ان
يكون مفعوله سبيل الله فيكون التعليل المصرح به عين التعليل المشعر به بالذات غيره
بالعنوان ومن لم يتنبه لهذا السر السري قال بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل
فان تذكره يقتضي ملازمة ومخالفة الهوى فتدبر وما خلقنا السماء والارض وما بينهما
باطلا كلام مستانف مقرر لما قبله من امر البعث والحساب والجزاء اي ما خلقناهما وما بينهما

اي يوم الحساب

من المخلوقات على هذا النظام البديع الذي يحار في فهمه العقول خلقا باطلا اي خاليا عن الغاية
الجليلة والحكمة الباهرة بل منطويا على الحق المبين والحكم البالغة حيث خلقنا من بين ما خلقنا
نفوسا اودعناها العقل والتمييز بين الحق والباطل والنافع والضار ومكناها من التصرفات
العلمية والعملية في استجلاب منافعها واستدفاع مضارها ونصبنا للحق دلائل آفاقية
وانفسية ومنحناها القدرة على الاستشهاد بها ثم لم نقتصر على ذلك المقدار من الالطاف
بل ارسلنا اليها رسلا وانزلنا عليها كتبا بينا فيها كل دقيق وجليل وازحنا عللها بالكلية
وعرضناها بالتكليف للمنافع العظيمة واعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب اعمالها ذلك
اشارة الى ما نفي من خلق ما ذكر باطلا ظن الذين كفروا اي مظنونهم فان جحودهم بامر البعث
والجزاء الذي عليه يدور فلك تكوين العالم قول منهم ببطلان خلق ما ذكر وخلوه عن الحكمة
سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا فويل للذين كفروا مبتداء وخبر والفاء لافادة ترتب
ثبوت الويل لهم على ظنهم الباطل كما ان وضع الموصول موضع ضميرهم للاشعار بما في حيز الصلة
بعلية كفرهم له ولا تنافي بينهما لان ظنهم من باب كفرهم ومن في قوله تعالى من النار تعليلية كما في قوله
تعالى فويل لهم مما كتبت ايديهم ونظائره مفيدة لعلية النار لثبوت الويل لهم صريحا بعد الاشعار
بعلية ما يؤدي اليها من ظنهم وكفرهم اي فويل لهم بسبب النار المترتبة على ظنهم وكفرهم ام نجعل
الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام منقطعة وما فيها من بل للاضراب
الانتقالي عن تقرير امر البعث والحساب والجزاء بما مر من نفي خلق العالم خاليا عن الحكم و
المصالح الى تقريره وتحقيقه بما في الهمزة من انكار التسوية بين الفريقين ونفيها على ابلغ وجه
واكده اي بل انجعل المؤمنين المصلحين كالكفرة المفسدين في اقطار الارض كما يقتضيه عدم
البعث وما يترتب عليه من الجزاء لاستواء الفريقين في التمتع بالحيوة الدنيا بل الكفرة
اوفر حظا منها من المؤمنين لكن ذلك الجعل محال فتعين البعث والجزاء حتما لرفع الاولين
الى اعلى عليين ورد الآخرين الى اسفل سافلين وقوله تعالى ام نجعل المتقين كالفجار اضراب
وانتقال عن اثبات ما ذكر بلزوم المحال الذي هو التسوية بين الفريقين المذكورين على
الاطلاق الى اثباته بلزوم ما هو اظهر منه استحالة وهو التسوية بين اتقياء المؤمنين واشقياء
الكفرة وحمل الفجار على فجرة المؤمنين مما لا يساعده المقام ويجوز ان يراد بهذين الفريقين
عين الاولين ويكون التكرير باعتبار وصفين آخرين هما ادخل في انكار التسوية من
الوصفين الاولين وقيل قال كفار قريش للمؤمنين انا نعطى في الآخرة من الخير ما تعطون
فنزلت كتاب خبر مبتداء محذوف هو عبارة عن القرآن او السورة وقوله تعالى انزلناه
اليك صفته وقوله تعالى مبارك خبر ثان للمبتداء او صفة لكتاب عند من يجوز تاخير
تاخير الوصف الصريح عن غير الصريح وقرئ مباركا على انه حال من مفعول انزلنا ومعنى المبارك
الكثير المنافع الدينية والدنيوية وقوله تعالى ليدبروا آياته متعلق بانزلناه اي انزلناه ليتفكروا
في آياته التي من جملتها هذه الآيات المعربة عن اسرار التكوين والتشريع فيعرفوا ما يدبر ظاهرها

رد للبيضاوي

ظاهرها من المعاني الفائقة والتاويلات اللائقة وقرئ ليتدبروا على الاصل ولتدبروا على الخطاب اي
انت وعلماء امتك بحذف احدى التائين وليتذكر اولوا الالباب اي وليتعظ به ذووا العقول
السليمة او ليستحضروا ما هو كالمركوز في عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته لما نصب عليه من الدلائل فان الكتب
الالهية مبينة لما لا يعرف الا بالشرع ومرشدة الى ما لا سبيل للعقل اليه ووهبنا لداود سليمان نعم
العبد وقرئ نعم العبد اي سليمان كما ينبئ عنه تاخيره عن داود مع كونه مفعولا صريحا لوهبنا ولان
قوله تعالى انه اواب اي رجاع الى الله تعالى بالتوبة او الى التسبيح مرجع له تعليل للمدح وهو من حاله لما ان
الضمير المجرور في قوله تعالى اذ عرض عليه راجع اليه عم قطعا واذ منصوب باذكر اي اذكر ما صدر عنه اذ
عرض عليه بالعشي هو من الظهر الى آخر النهار الصافنات فانه يشهد بانه اواب وقيل ظرف لاواب وقيل
لنعم وتاخير الصافنات عن الظرفين لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر والصافن من الخيل الذي يقوم
على طرف سنبك يد او رجل وهو من الصفات المحمودة في الخيل لا يكاد يتفق الا في العراب الخلص وقيل
هو الذي يجمع يديه ويسويهما واما الذي يقف على سنبكه فهو المتخيم الجياد جمع جواد وجود وهو الذي يسرع
في جريه وقيل الذي يجود عند الركض وقيل وصفت بالصفون والجودة لبيان جمعها بين الوصفين
المحمودين واقفة وجارية اي اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها واذا جرت كانت سراعا خفافا
في جريها وقيل هو جمع جيد روي انه عليه السلام غزا اهل دمشق ونصيبين واصاب الف فرس وقيل
اصابها ابوه من العمالقة فورثها منه وقيل خرجت من البحر لها اجنحة فقعد يوما بعد ما صلى الظهر
على كرسيه فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد كان له من الذكر
وقتئذ وتهيبوه فلم يعلموه فاغتم لما فاته فاستردها فعقر مقربا لله تعالى وبقي مائة فما في ايدي الناس من الجياد
فمن نسلها وقيل لما عقرها ابدله الله عز وجل خيرا منها وهي الريح تجري بامره فقال اني احببت حب
الخير عن ذكر ربي قاله عم عند غروب الشمس اعترافا بما صدر عنه من الاشتغال بها عن الصلوة وندما
عليه وتمهيدا لما يعقبه من الامر بردها وعقرها والتعقيب باعتبار اواخر العرض المستمر دون ابتدائه والتاكيد
للدلالة على ان اعترافه وندمه عن صميم القلب لا لتحقيق مضمون الخبر واصل احببت ان يعدى بعلى لانه
بمعنى آثرت لكن لما انيب مناب انبت عدي تعديته وحب الخير مفعوله كانه قيل انبت حب الخير
عن ذكر ربي وضعته موضعه والخير المال الكثير والمراد به الخيل التي شغلته عم ويحتمل انه سماها خيرا لتعلق الخير
بها قال عليه السلام الخير معقود بنواصي الخيل الى يوم القيمة وقرئ اني حتى توارت بالحجاب متعلق بقوله تعالى احببت
باعتبار استمرار المحبة ودوامها حسب استمرار العرض اي انبت حب الخير عن ذكر ربي واستمر ذلك حتى
توارت اي غربت الشمس تشبيها لغروبها في مغربها بتواري المخبأة بحجابها واضمار من غير ذكر لدلالة العشي
عليها وقيل الضمير للصافنات اي حتى توارت بحجاب الليل اي بظلامه ردوها علي من تمام مقالة سليمان عم
ومرمى غرضه من تقديم ما قدمه ومن لم يتنبه له مع ظهوره توهم انه متصل بمضمر هو جواب لمضمر آخر كان
سائلا قال فماذا قال سليمان فقيل قال ردوها فتامل والفاء في قوله تعالى فطفق مسحا فصيحة مفصحة عن
جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بغاية سرعة الامتثال بالامر اي فردوها عليه فاخذ يمسح
السيف مسحا بالسوق والاعناق اي بسوقها واعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته اي ضرب عنقه

وقيل جعل يمسح بيده اعناقها وسوقها حبا لها واعجابا بها وليس بذاك وقرئ بالسؤوق على همز الواو
لضمتها كما في دور وقرئ بالسوق تنزيلا لضمة السين منزلة ضمة الواو وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد من الجمع
لا من الالباس **ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب** اظهر ما قيل في فتنته عليه السلم
ما روي مرفوعا انه قال لاطوفن الليلة على سبعين امرأة تأتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله تع
ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل والذي نفسي بيده لو قال
ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون وقيل ولد له ابن فاجتمعت الشياطين على قتله
فعلم ذلك فكان يغذوه في السحاب فما شعر به الا ان القي على كرسيه ميتا فتنبه لخطائه حيث لم يتوكل على
الله عز وعلا وقيل انه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها واصاب بنتا له تسمى جرادة من احسن الناس
فاصطفاها لنفسه واسلمت واحبها وكان لا يرقأ دمعها جزعا على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورته
وكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدن لها كعادتهن في ملكه فاخبره آصف بذلك فكسر الصورة
وعاقب المرأة ثم خرج وحده الى فلاة وفرش له الرماد فجلس عليه تائبا الى الله تع باكيا متضرعا وكانت له
ام ولد يقال لها امينة اذا دخل للطهارة او لاصابة امرأة يعطيها خاتمه وكان ملكه فيه فاعطاها يوما فتمثل
لها بصورته شيطان اسمه صخر واخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه اي شيطان
في كل شيء الا في نسائه وغير سليمان عن هيئاته فاتى امينة لطلب الخاتم فانكرته وطردته فعرف ان الخطيئة
قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف واذا قال انا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد الى السماكين
ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك اربعين صباحا عدد ما عبد الوثن في بيته
فانكر آصف وعظماء بني اسرائيل حكم الشيطان ثم طار اللعين وقذف الخاتم في البحر فابتلعه سمكة فوقعت
في يد سليمان فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به وخر ساجدا وعاد اليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وسدى
عليه باخرى ثم اوثقهما بالحديد والرصاص وقذفه في البحر وعلى هذا فالجسد عبارة عن صخر سمي به وهو جسم
لا روح فيه لانه تمثل بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عم عن حال اهله لان اتخاذ التماثيل لم يكن محظورا ح
وسجود الصورة بغير علم منه لا يضره عم **قال** بدل من اناب وتفسير له **رب اغفر لي** اي ما صدر عني من الزلة
وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لا يتسهل له ولا يكون ليكون معجزة لي مناسبة لحالي فانه عليه السلم لما نشأ
في بيت الملك والنبوة وورثهما معا استدعى من ربه معجزة جامعة لحكمهما او لا ينبغي لاحد ان يسلبه مني بعد
هذه السلبة او لا يصح لاحد من بعدي لعظمته كقولك لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال على ارادة وصف الملك
بالعظمة لا ان لا يعطي احد مثله فيكون منافسة وقيل كان ملكا عظيما فخاف ان يعطي مثله احد فلا يحافظ على
حدود الله تعالى وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بامر الدين جريا على سنن الانبياء عليهم السلم
والصالحين وكون ذلك ادخل في الاجابة وقرئ لي بفتح الياء **انك انت الوهاب** تعليل للدعاء
بالمغفرة والهبة معا لا بالاخيرة فقط فان المغفرة ايضا من احكام وصف الوهابية قطعا
فسخرنا له الريح اي فذللناها لطاعته اجابة لدعوته فعاد امره عم الى ما كان عليه قبل الفتنة وقرئ
الرياح **تجري بامره** بيان تسخيرها له **رخاء** اي لينة من الرخاوة طيبة لا تزعزع وقيل طيعة
لا تمتنع عليه كالمامور المنقاد **حيث اصاب** اي حيث قصد واراد حكى الاصمعي عن العرب

العرب اصاب الصواب فاخطأ الجواب **والشياطين** عطف على الريح **كل بناء وغواص**
بدل من الشياطين **وآخرين مقرنين في الاصفاد** عطف على كل بناء داخل في حكم البدل
كانه عم فصل الشياطين الى عملة استعملهم في الاعمال الشاقة من البناء والغوص ونحو
ذلك والى مردة قرن بعضهم مع بعض في السلاسل لكفهم عن الشر والفساد ولعل اجسامهم
شفافة فلا ترى صلبه فيمكن تقييدها ويقدرون على الاعمال الصعبة وقد جوز ان يكون الاقران
في الاصفاد عبارة عن كفهم عن الشرور بطريق التمثيل والصفد القيد وسمي به العطاء لانه
يرتبط بالمنعم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا صفده قيده واصفده اعطاه على عكس وعد
واوعد وقوله تع **هذا** الى آخره اما حكاية لما خوطب به سليمان عم مبينة لعظم شان ما اوتي
من الملك وانه مفوض اليه تفويضا كليا واما مقول لقول مقدر هو معطوف على سخرنا او حال
من فاعله كما مر في خاتمة قصة داود عم اي وقلنا له او قائلين له هذا الذي اعطيناك من
الملك العظيم والبسطة والتسلط على ما لم يسلط عليه غيرك **عطاؤنا** الخاص بك **فامنن او
امسك** فاعط من شئت وامنع من شئت **بغير حساب** حال من المستكن في الامر اي
غير محاسب على منه وامساكه لتفويض التصرف فيه اليك على الاطلاق او من العطاء اي هذا
عطاؤنا ملتبسا بغير حساب لغاية كثرته او صلة له وما بينهما اعتراض على التقديرين وقيل
الاشارة الى تسخير الشياطين والمراد بالمن والامساك الاطلاق والتقييد **وان له عندنا
لزلفى** في الآخرة مع ما له من الملك العظيم في الدنيا **وحسن مآب** هو الجنة قيل فتن سليمان عم
بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة وذكر الفقيه ابو حنيفة احمد بن
داود الدينوري في تاريخه ان سليمان عم ورث ملك ابيه في عصر كيخسرو بن سياوش
وسار من الشام الى العراق فبلغ خبره كيخسرو فهرب الى خراسان فلم يلبث حتى هلك ثم سار
سليمان عم الى مرو ثم الى بلاد الترك فدخل فيها ثم جاز بلاد الصين ثم عطف الى ان وافى
بلاد فارس فنزلها اياما ثم عاد الى الشام ثم امر بسبا بيت المقدس فلما فرغ منه سار الى
تهامة الى صنعاء وكان من حديثه مع صاحبتها ما ذكره الله تع وغزا بلاد المغرب الاندلس
وطنجة وغيرهما والله تع اعلم **واذكر عبدنا ايوب** عطف على اذكر عبدنا داود وعدم
تصدير قصة سليمان عم بهذا العنوان لكمال الاتصال بينه وبين داود عليهما السلام
وايوب عم هو عيص بن اسحق **اذ نادى ربه** بدل اشتمال من عبدنا وايوب عطف بيان له
اني باني مسني الشيطان بفتح باء مسني وقرئ باسكانها واسقاطها **بنصب**
اي تعب وقرئ بفتح النون وبضمتين للتثقيل **وعذاب** اي الم ووصب يريد مرضه
وما كان يقاسيه من فنون الشدائد وهو المراد بالضر في قوله اني مسني الضر وهو حكاية
لكلامه الذي ناداه ربه بعبارته والا لقيل انه مسه الى آخره والاسناد الى الشيطان
اما لانه تع مسه بذلك لما فعل بوسوسته كانه قيل انه اعجب بكثرة ماله او استغاثة مظلوم
فلم يغثه او كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه او لامتحان صبره فيكون

اعترافا بالذنب او مراعاة للادب او لانه وسوس الى اتباعه حتى رفضوه واخرجوه من ديارهم او لان
المراد بالنصب والعذاب ما كان يوسوس به اليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء والقنوط من الرحمة
ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ الى الله تع في ان يكفيه ذلك بكشف البلاء او بالتوفيق لدفعه وردّه
بالصبر الجميل وليس هذا تمام دعائه ع بل من جملته قوله وانت ارحم الراحمين فاكتفى ههنا عن ذكره بما في سورة
الانبياء كما ترك هناك ذكر الشيطان ثقة بما ذكر ههنا وقوله تعالى اركض برجلك الخ اما حكاية لما قيل له او
مقول لقول مقدر معطوف على نادى اى فقلنا له اركض برجلك اى اضرب بها الارض وكذا قوله تعالى هذا مغتسل
بارد وشراب فانه ايضا اما حكاية لما قيل له بعد امتثاله بالامر وبنوع الماء او مقول لقول مقدر معطوف على
مقدر ينساق اليه الكلام كانه قيل فضربها فنبعت عين فقلنا له هذا مغتسل تغتسل به وتشرب منه
فيبرء ظاهرك وباطنك وقيل نبعت عينان حارة للاغتسال وباردة للشرب ويأباه ظاهر النظم
الكريم وقوله تعالى ووهبنا له اهله معطوف على مقدر مترتب على مقدر آخر يقتضيه القول المقدر آنفا كانه قيل
فاغتسل وشرب فكشفنا بذلك ما به من ضر كما في سورة الانبياء ووهبنا له اهله اما باحيائهم بعد هلاكهم وهو المروي
عن الحسن او بجمعهم بعد تفرقهم كما قيل ومثلهم معهم عطف على اهله فكان له من الاولاد ضعف ما كان له
قبل رحمة منا اى لرحمة عظيمة عليه من قبلنا وذكرى لاولي الالباب ولتذكير هم بذلك ليصبروا على الشدائد
كما صبر ويلجأوا الى الله عز وجل فيما يحيق بهم كما لجأ ليفعل بهم كما فعل به من حسن العاقبة وخذ بيدك ضغثا
معطوف على اركض او على وهبنا بتقدير قلنا اى وقلنا خذ بيدك الخ والاول اقرب لفظا وهذا انسب
معنى فان الحاجة الى هذا الامر لا تمس الا بعد الصحة فان امرأته رحمة بنت افرائيم بن يوسف وقيل
ليا بنت يعقوب وقيل ماصر بنت ميشا بن يوسف ع ذهبت لحاجة فابطأت فحلف ان برئ
ليضربنها مائة ضربة فامره الله تعالى باخذ الضغث والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه وعن ابن
عباس رض قبضة من الشجر وقال فاضرب به اى بذلك الضغث ولا تحنث في يمينك فان البر تحقق به
ولقد شرع الله سبحانه هذه الرخصة رحمة عليه وعليها لحسن خدمتها اياه ورضاه عنها وهي باقية
ويجب ان يصيب المضروب كل واحد من المائة اما باطرافها قائمة او باعراضها مبسوطة على هيئة الضرب
انا وجدناه صابرا فيما اصابه في النفس والاهل والمال وليس في شكواه الى الله تعالى اخلال بذلك فانه لا ينافي
جزعا كتمني العاقبة وطلب الشفاء على انه قال ذلك خيفة الفتنة في الدين حيث كان الشيطان يوسوس اليه
قومه بانه لو كان نبيا لما ابتلي بمثل ما ابتلي به وارادة القوة على الطاعة فقد بلغ امره الى ان لم يبق منه الا
القلب واللسان ويروى انه ع قال في مناجاته الهي قد علمت انه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع قلبي بصري
ولم يهتد بي مالك يميني ولم اكل الا ومعي يتيم ولم ابت شبعان ولا كاسيا ومعي جائع او عريان فكشف
الله تعالى عنه نعم العبد اى ايوب انه اواب تعليل لمدحه اى رجاع الى الله تعالى واذكر عبادنا ابراهيم
واسحق ويعقوب عطف بيان لعبادنا وقرئ عبدنا اما على ان ابراهيم وحده لمزيد شرفه عطف
بيان وقيل بدل وقيل نصب باضمار اعني والباقيان عطف على عبدنا او اما على ان عبدنا اسم جنس وضع
موضع الجمع اولي الايدي والابصار اولي القوة في الطاعة والبصيرة في الدين او اولي الاعمال الجليلة
والعلوم الشريفة فعبر بالايدي عن الاعمال لان اكثر ما تباشر بها وبالابصار عن المعارف لانها اقوى

اقوى مبادیها وجيء بصيغة تعريض بالجهلة البطالين انهم كالزمنى والعمي وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتامل
مع تمكنهم منهما وقرئ اولى الايد بطرح الياء والاكتفاء بالكسرة وقرئ اولى الاياد على جمع الجمع انا اخلصناهم
بخالصة تعليل لما وصفوا به من شرف العبودية وعلو الرتبة في العلم والعمل اى جعلناهم
خالصين لنا بخصلة خالصة عظيمة الشان كما ينبئ عنه التنكير التفخيمي وقوله تعالى ذكرى الدار
بيان للخالصة بعد ابهامها للتفخيم اى تذكر للدار الآخرة دائما فان خلوصهم في الطاعة بسبب
تذكرهم لها وذلك لان مطمح انظارهم ومطرح افكارهم في كل ما ياتون وما يذرون جوار الله
عز وجل والفوز بلقائه ولا يثنيهم ذلك الا في الآخرة وقيل اخلصناهم بتعريفهم لها واللطف بهم
في اختيارها ويعضد الاول قراءة من قرء بخالصتهم واطلاق الدار للاشعار بانها الدار الحقيقة
وانما الدنيا معبر وقرئ باضافة خالصة الى ذكرى اى بما خلص من ذكرى الدار على معنى انهم لا يبتغون
ذكرا بها بهم آخرا صلا او تذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها وتذهيدهم في الدنيا كما هو شان الانبياء
عليهم السلام وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم وانهم عندنا
لمن المصطفين الاخيار لمن المختارين من امثالهم المصطفين عليهم في الخير والاخيار جمع خير
كشر واشرار وقيل جمع خير او خير مخفف عنه كاموات في جمع ميت وميت واذكر اسمعيل
فصل ذكره عن ذكر ابيه واخيه للاشعار بعراقته في الصبر الذي هو المقصود بالتذكير واليسع هو ابن
اخطوب بن العجوز استخلفه الياس ع على بني اسرائيل ثم استنبئ والام فيه حرف تعريف دخل
على يسع كما في قول من قال رايت الوليد بن اليزيد مباركا وقرئ واللّيسع كان اصله ليسع فعل
من اللسع دخل عليه حرف التعريف وقيل هو على القراءتين علم اعجمي دخل عليه اللام وقيل هو يوشع
وذا الكفل هو ابن عم يسع او بشر بن ايوب واختلف في نبوته ولقبه فقيل قرأ اليه مائة نبي من بني
اسرائيل من القتل فآواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلي كل يوم مائة صلوة وكل اى
وكلهم من الاخيار المشهورين بالخيرية هذا اشارة الى ما تقدم من الآيات الناطقة بمحامدهم
ذكر اى شرف لهم وذكر جميل يذكرون به ابدا او نوع من الذكر الذي هو القرآن وباب منه مشتمل على
انباء الانبياء وعن ابن عباس رض هذا ذكر من مضى من الانبياء وقوله تعالى وان للمتقين لحسن مآب
شروع في بيان اجرهم الجزيل في الآجل بعد بيان ذكرهم الجميل في العاجل وهو باب آخر مندرج
التنزيل والمراد بالمتقين اما الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا واما نفس المذكورين
عبر عنهم بذلك مدحا لهم بالتقوى التي هي الغاية القاصية من الكمال جنات عدن عطف بيان
لحسن مآب عند من يجوز تخالف عطف البيان تعريفا وتنكيرا فان عندنا معرفة بقوله تعالى جنات عدن التي
وعد الرحمن عباده او بدل منه او نصب على المدح وقوله مفتحة لهم الابواب حال من جنات
عدن والعامل فيها ما في المتقين من معنى الفعل والابواب مرتفعة باسم المفعول والرابط بين
الحال وصاحبها اما ضمير مقدر كما هو رأي البصريين اى الابواب منها او الالف واللام القائمة
مقامه كما هو راي الكوفيين اذ الاصل ابوابها وقرئا مرفوعتين على الابتداء والخبر او على
انهما خبران لمحذوف اى هي جنات عدن هي مفتحة متكئين فيها حال من ضمير لهم والعامل

هم

يخلصون

واتى للصيرورة والتحول اى صاروا بنعماء

وهو ضرب العقرب حيوانا ٥٥٥

منه

فيها مفتحة وقوله تعالى يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب استيناف لبيان حالهم فيها وقيل
هو ايضا حال مما ذكر او من ضمير متكئين والاقتصار على دعاء الفاكهة للايذان بان مطامعهم
لمحض التفكه والتلذذ دون التغذي فانه لتحصيل بدل المتحلل ولا تحلل ثمة وعندهم قاصرات
الطرف اي على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم اتراب لدات لهم فان التحاب بين
الاقران ارسخ او بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه من التراب
فانه يمسهم في وقت واحد هذا ما توعدون ليوم الحساب اي لاجله فان الحساب
علة للوصول الى الجزاء وقرئ بالياء ليوافق ما قبله والالتفات اليق بمقام
الامتنان والتكريم ان هذا اي ما ذكر من الوان النعم والكرامات لرزقنا
اعطينا كموه ما له من نفاد انقطاع ابدا هذا اي الامر هذا او هذا كما ذكر او هذا ذكر
وقوله تعالى وان للطاغين لشر مآب شروع في بيان اضداد الفريق السابق جهنم
اعرابه كما سلف يصلونها اي يدخلونها حال من جهنم فبئس المهاد وهو المهد
والمفرش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم لقوله تعالى
لهم من جهنم مهاد هذا فليذوقوه اي ليذوقوا هذا فليذوقوه كقوله تعالى فاياي فارهبون
او العذاب هذا فليذوقوه او هذا مبتدأ خبره حميم وغساق وما بينهما اعتراض
وهو على الاولين خبر مبتدأ محذوف اي هو حميم والغساق ما يغسق من صديد اهل
النار من غسقت العين اذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق
يحرق ببرده وقيل لو قطرت منه قطرة في المشرق لنتنت اهل المغرب ولو قطرت
قطرة في المغرب لنتنت اهل المشرق وقيل الغساق عذاب لا يعلمه الا الله تعالى وقرئ
بتخفيف السين وآخر من شكله اي ومذوق آخر او عذاب آخر من مثل هذا المذوق
او العذاب في الشدة والفظاعة وقرئ وأخر اي ومذوقات أخر او انواع عذاب
أخر وتوحيد ضمير شكله بتاويل ما ذكر او الشراب الشامل للحميم والغساق او هو راجع الى
الغساق ازواج اي اجناس وهو خبر لآخر لانه يجوز ان يكون ضروبا او صفة له او
للثلثة او مرتفع بالجار والخبر محذوف مثل لهم هذا فوج مقتحم معكم حكاية ما يقال من
جهة الخزنة لرؤساء الطاغين اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج كانوا يتبعونهم
في الكفر والضلالة والاقتحام الدخول في الشيء بشدة قال الراغب الاقتحام
توسط شدة مخيفة وقوله تعالى لا مرحبا بهم من تمام كلام الخزنة بطريق الدعاء على
الفوج او صفة للفوج او حال منه اي مقول او مقولا في حقهم لا مرحبا اي لا اتيتم
مرحبا او لا رحبت بكم الدار مرحبا انهم صالوا النار تعليل من جهة الخزنة لاستحقاقهم
الدعاء عليهم او وصفهم بما ذكر وقيل لا مرحبا بهم الى هنا كلام الرؤساء في حق
اتباعهم عند خطاب الخزنة لهم باقتحام الفوج معهم تضجرا من مقارنتهم وتنفرا من
مصاحبتهم وقيل كل ذلك كلام الرؤساء بعضهم من بعض في حق الاتباع قالوا اي

اي قوله فليذوقوه ما

اي الاتباع عند سماعهم ما قيل في حقهم ووجه خطابهم للرؤساء في قولهم بل انتم
لا مرحبا بكم الى آخره على الوجهين الاخيرين ظاهر واما على الوجه الاول فلعلهم انما خاطبوهم
مع ان الظاهر ان يقولوا بطريق الاعتذار الى الخزنة بل هم لا مرحبا بهم الى
آخره تفصيلا قصدا منهم الى اظهار صدقهم بالمخاصمة مع الرؤساء والتحاكم الى
الخزنة طمعا في قضائهم بتخفيف عذابهم او لتضعيف عذاب خصمائهم اي بل انتم
احق بما قيل لنا او قلتم وقوله تعالى انتم قدمتموه لنا تعليل لاحقيتهم بذلك اي انتم
قدمتم العذاب او الصلي لنا واوقعتمونا فيه بتقديم ما يؤدي اليه من العقائد
الزائغة والاعمال السيئة وتزيينها في اعيننا واغرائنا عليها لا انا باشرناها
من تلقاء انفسنا فبئس القرار اي فبئس المقر جهنم قصدوا بذمها تغليظ
جناية الرؤساء عليهم قالوا اي الاتباع ايضا وتوسيطه بين كلاميهم لما بينهما
من التباين البين ذاتا وخطابا اي قالوا معرضين عن خصومتهم متضرعين
الى الله تعالى ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار كقولهم ربنا هؤلاء
اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار اي عذابا مضاعفا ذا ضعف وذلك بان يزيد
عليه مثله ويكون ضعفين كقوله ربنا آتهم ضعفين من العذاب وقيل المراد
بالضعف الحيات والافاعي وقالوا اي الطاغون ما لنا لا نرى رجالا كنا
نعدهم من الاشرار يعنون فقراء المسلمين الذين كانوا يسترذلونهم ويسخرون
منهم اتخذناهم سخريا بهمزة استفهام سقطت لاجلها همزة الوصل والجملة استئناف
لا محل لها من الاعراب قالوه انكارا على انفسهم وتأنيبا لها في الاستسخار منهم
ام زاغت عنهم الابصار متصل باتخذناهم على ان ام متصلة والمعنى اي الامرين
فعلنا بهم الاستسخار منهم ام الازدراء بهم وتحقيرهم وان ابصارنا كانت
تزيغ عنهم وتقتحمهم على معنى انكار كل واحد من الفعلين على انفسهم توبيخا لها او على انها
منقطعة والمعنى اتخذناهم سخريا بل ازاغت عنهم ابصارنا كقولك ازيد عندك
ام عندك عمرو على معنى توبيخ انفسهم على الاستسخار ثم الاضراب والانتقال منه الى
التوبيخ على الازدراء والتحقير وقرئ اتخذناهم بغير همزة على انه صفة اخرى لرجالا
فقوله تعالى ام زاغت متصل بقوله تعالى ما لنا لا نرى والمعنى ما لنا لا نراهم في النار
اليسوا فيها فلذلك لا نراهم ام زاغت عنهم ابصارنا وهم فيها وقد جوز ان
تكون الهمزة مقدرة على هذه القراءة وقرئ سخريا بضم السين ان ذلك اي الذي
حكي من احوالهم لحق لا بد من وقوعه البتة وقوله تعالى تخاصم اهل النار خبر
مبتدأ محذوف والجملة بيان لذلك وفي الابهام اولا والتبيين ثانيا مزيد تقرير له
وقيل بدل من محل ذلك وقيل بدل من حق او عطف بيان له وقرئ بالنصب على
انه بدل من ذلك وما قيل انه صفة له فقد قيل عليه ان اسم الاشارة لا يوصف

اي توبيخا لانفسهم

الا بالمعرف باللام يقال بهذا الرجل ولا يقال بهذا غلام الرجل قل امر لرسول الله عم ان يقول للمشركين
انما انا منذر من جهته تعالى انذركم عذابه وما من اله في الوجود الا الله الواحد الذي لا يقبل الشركة والكثرة
اصلا القهار لكل شيء سواه رب السموات والارض وما بينهما من المخلوقات فكيف يتوهم ان يكون له
شريك منها العزيز الذي لا يغلب في امر من الامور الغفار المبالغ في المغفرة يغفر ما يشاء لمن يشاء وفي هذه
النعوت من تقرير التوحيد والوعد للموحدين والوعيد للمشركين ما لا يخفى وتثنية ما يشعر بالوعيد من
وصفي القهر والعزة وتقديمها على وصف المغفرة لتوفية مقام الانذار حقه قل تكرير الامر للايذان
بان المقول امر جليل له شان خطير لا بد من الاعتناء به امرا وايتمارا هو اي ما انبأتكم به من اني منذر
من جهته تعالى وانه تعالى واحد لا شريك له وانه متصف بما ذكر من الصفات الجليلة والاظهر انه القرآن وما
ذكر داخل فيه دخولا اوليا كما يشهد به آخر السورة الكريمة وهو قول ابن عباس رض ومجاهد وقتادة نبأ عظيم
وارد من جهته تعالى وقوله تعالى انتم عنه معرضون استيناف ناع عليهم سوء صنيعهم به ببيان انهم لا يقدرون
قدره الجليل حيث يعرضون عنه مع عظمته وكونه موجبا للاقبال الكلي عليه وتلقيه بحسن القبول وقيل
صفة اخرى لنبأ وقوله تعالى ما كان لي من علم بالملأ الاعلى استيناف مسوق لتحقيق انه نبأ عظيم
وارد من جهته تعالى بذكر نبأ من انبائه على التفصيل من غير سابقة معرفة به ولا مباشرة سبب من اسبابها
المعتادة قال ذلك حجة بينة دالة على ان ذلك بطريق الوحي من عند الله تعالى وان سائر انبائه ايضا
كذلك والملأ الاعلى هم الملائكة وآدم عليهم السلام وابليس عليه اللعنة وقوله تعالى اذ يختصمون متعلق بمحذوف
يقتضيه المقام اذ المراد نفي علمه عليه السلام بحالهم لا بذواتهم والتقدير ما كان لي فيما سبق علم ما بوجه
من الوجوه بحال الملأ الاعلى وقت اختصامهم وتقدير الكلام كما اختاره الجمهور تحجير للواسع فان علمه
عليه السلام غير مقصور على ما جرى بينهم من الاقوال فقط بل عام لها وللافعال ايضا من سجود الملائكة واستكبار
ابليس وكفره حسبما ينطق به الوحي فلا بد من اعتبار العموم في نفيه ايضا لا محالة وقوله تعالى ان يوحى الي
الا انما انا نذير مبين اعتراض وسط بين اجمال اختصامهم وتفصيله تقريرا لثبوت علمه عم
تعيينا لسببه الا ان بيان انتفائه فيما سبق لما كان منبئا عن ثبوته الآن ومن البين
عدم ملابسته عم بشيء من مباديه المعهودة تعين انه ليس الا بطريق الوحي حتما فجعل ذلك
امرا مسلم الثبوت غنيا عن الاخبار به قصدا وجعل مصب الفائدة والمقصود اخباره
ما هو داع الى الوحي ومصحح له تحقيقا لقوله تعالى انما انا منذر في ضمن تحقيق علمه عم بقصة
الملأ الاعلى فالقائم مقام الفاعل ليوحى اما ضمير عائد الى الحال المقدر او ما يعمه و
غيره فالمعنى ما يوحى الي حال الملأ الاعلى او ما يوحى الي ما يوحى من الامور الغيبية التي
من جملتها حالهم الا لانما انا نذير مبين من جهته تعالى فانه كونه عم كذلك من دواعي الوحي
اليه وموجباته حتما واما ان القائم مقام الفاعل هو الجار والمجرور او هو انما انا نذير مبين
بلا تقدير الجار وان المعنى ما يوحى الي الا للانذار او ما يوحى الي الا ان انذر وابلغ ولا
افرط في ذلك كما قيل فمع ما فيه من الاضطرار الى التكلف في توجيه قصر الوحي على كونه
للانذار في الاول وقصره على الانذار في الثاني فلا يساعده سياق النظم الكريم وسياقه

سياقه كيف لا والاعتراض حينئذ يكون اجنبيا لما توسط بينهما من اجمال الاختصام و
تفصيله فتامل والمرشد وقرئ انما بالكسر على الحكاية وقوله تعالى اذ قال ربك للملائكة شروع
في تفصيل ما اجمل من الاختصام الذي هو ما جرى بينهم من التقاول وحيث كان تكليمه تعالى
اياهم بواسطة الملك صح اسناد الاختصام الى الملائكة واذ بدل من اذ الاولى وليس
من ضرورة البدلية دخولها على نفس الاختصام بل يكفي اشتمال ما في حيزها عليه فان القصة
ناطقة بذلك تفصيلا والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم لتشريفه عم
والايذان بان وحي هذا النبأ اليه تربية وتاييد له عم والكاف وارد باعتبار حال
الآمر لكونه ادل على كونه وحيا منزلا من عنده تعالى كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا
على انفسهم الخ دون حال المامور والا لقيل ربي لانه داخل في حيز الامر اني خالق اي فيما سياتي
وفيه ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على انه تعالى فاعل له البتة من غير صارف
يلويه ولا عاطف يثنيه بشرا قيل اي جسما كثيفا يلاقي ويباشر وقيل خلقا بادي
البشرة بلا صوف ولا شعر ولعل ما جرى عند وقوع المحكي ليس هذا الاسم الذي لم يخلق
مسماه ح فضلا عن تسميته به بل عبارة كاشفة عن حاله وانما عبر عنه بهذا الاسم عند الحكاية
من طين لم يتعرض لاوصافه من التغير والاسوداد والمسنونية اكتفاء بما ذكر في مواقع
اخر فاذا سويته اي صورته بالصورة الانسانية والخلقة البشرية او سويت اجزاء بدنه
بتعديل طبايعه ونفخت فيه من روحي النفخ اجراء الريح الى تجويف جسم صالح لامساكها والامتلاء
بها وليس ثمه نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لافاضة ما به الحيوة بالفعل على المادة القابلة
لها اي فاذا كملت استعداده وافضت عليه ما يحيى به من الروح التي هي من امري
فقعوا له امر من وقع وفيه دليل على ان المامور به ليس مجرد الانحناء كما قيل اي
اسقطوا له ساجدين تحية له وتكريما فسجد الملائكة اي فخلقه فسواه فنفخ فيه الروح فسجد له الملائكة
كلهم بحيث لم يبق منهم احد الا سجد اجمعون اي بطريق المعية بحيث لم يتاخر في ذلك احد منهم
عن احد ولا اختصاص لافادة هذا المعنى بالحالية بل يفيده التاكيد ايضا وقيل اكد
بتاكيدين مبالغة في التعميم هذا واما ان سجودهم هذا هل ترتب على ما حكي من الامر
التعليقي كما يقتضيه هذه الآية الكريمة والتي في سورة الحجر فان ظاهرهما يستدعي
ترتبه عليه من غير ان يتوسط بينهما شيء غير ما يفصح عنه الفاء الفصيحة من الخلق
والتسوية ونفخ الروح او على الامر التنجيزي كما يقتضيه ما في سورة البقرة وما في
سورة الاعراف وما في سورة بني اسرائيل وما في سورة الكهف وما في سورة طه
من الآيات الكريمة فقد مر تحقيقه بتوفيق الله عز وجل في سورة البقرة وسورة الاعراف
الا ابليس استثناء متصل لما انه كان جنيا مفردا مغمورا بالوف من الملائكة موصوفا
بصفاتهم فغلبوا عليه ثم استثنى استثناء واحد منهم او لان من الملائكة جنسا يتوا لدون

وهو منهم او منقطع وقوله تعالى استكبر على الاول استيناف ببيان لكيفية ترك السجود المفهوم
من الاستثناء فان تركه يحتمل ان يكون للتمايل والتروي وبه يتحقق انه للاباء والاستكبار
وعلى الثاني يجوز اتصاله بما قبله اى لكن ابليس استكبر وكان من الكافرين اى وصار منهم
بمخالفته للامر واستكباره عن الطاعة او كان منهم في علم الله تع وجل قال يا ابليس ما
منعك ان تسجد لما خلقت اى خلقته بالذات من غير توسط اب وام والتثنية لابراز كمال
الاعتناء بخلقه وم المستدعي لاجلاله واعظامه قصدا الى تاكيد الانكار وتشديد التوبيخ
استكبرت بهمزة الانكار وطرح همزة الوصل اى اكبرت من غير استحقاق ام كنت
من العالين المستحقين للتفوق وقيل استكبرت الان ام لم تزل منذ كنت من
المستكبرين وقرئ بحذف همزة الاستفهام ثقة بدلالة ام عليها وقوله تعالى قال انا
خير منه واد عاء منه لشئ مستلزم لمنعه من السجود على زعمه واشعار بانه لا يليق ان
يسجد الفاضل للمفضول كما يعرب عنه قوله الم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال
من حمإ مسنون وقوله تع خلقتني من نار وخلقته من طين تعليل لما ادعاه من فضله
عليه عليه السلم ولقد اخطاء اللعين حيث خص الفضل بما من جهة المادة والعنصر
وزل عنه ما من جهة الفاعل كما انبأ عنه قوله تع لما خلقت بيدي وما من جهة الصورة كما
نبه عليه قوله تع ونفخت فيه من روحي وما من جهة الغاية وهو ملاك الامر ولذلك امر الملائكة
بسجود عليهم السلم حين ظهر لهم انه اعلم منهم عابد ورعليه امر الخلافة في الارض وان له خواص
ليست لغيره قال فاخرج منها الفاء لترتيب الامر على ما ظهر من اللعين من المخالفة للامر
الجليل وتعليلها بالباطل اى فاخرج من الجنة او من زمرة الملائكة وهو المراد بالامر
بالهبوط لا الهبوط من السماء كما قيل فان وسوسته لادم عليه السلم كانت بعد هذا الطرد
وقد بين كيفية وسوسته في سورة البقرة وقيل اخرج من الخلقة التي كنت فيها
وانسلخ منها فانه كان يغتسل بخلقته فغير الله تعالى خلقته فاسود بعد ما كان ابيض وقبح
بعد ما كان حسنا واظلم بعد ما كان نورانيا وقوله تع فانك رجيم تعليل للامر بالخروج
اى مطرود من كل خير وكرامة فان من يطرد يرجم بالحجارة او شيطان يرجم بالشهب
وان عليك لعنتي اى ابعادي عن الرحمة وتقييدها بالاضافة مع اطلاقها في قوله تعالى
وان عليك اللعنة للايذان بان لعنة اللاعنين من الملائكة والثقلين ايضا من جهته تعالى وانهم
يدعون عليه بلعنة الله تع وابعاده من الرحمة الى يوم الدين اى يوم الجزاء والعقوبة
وفيه ايذان بان اللعنة مع كمال فظاعتها ليست جزاء لجنايته بل هي انموذج مما سيلقاه مستمرا
الى ذلك اليوم لكن لا على انها تنقطع يومئذ كما يوهمه ظاهر التوقيت بل على انه سيلقى يومئذ
من الوان العذاب وانواع العقاب ما ينسى عنده اللعنة وتصير كالزلال
الا يرى الى قوله تعالى فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين وقوله تع ويلعن

وبلعن بعضهم بعضا قال رب فانظرني اى امهلني واخرني والفاء متعلقة بمحذوف ينسحب عليه الكلام
اى اذا جعلتني رجيما فامهلني ولا تمتني الى يوم يبعثون اى آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم واراد
بذلك ان يجد فسحة لاغوائهم ويأخذ منهم ثاره ويعلم من الموت بالكلية اذ لا موت بعد يوم البعث
قال فانك من المنظرين ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما سأله للاخرين على
وجه يشعر بكون السائل تابعا لهم في ذلك دليل واضح على انه اخبار بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء
لانظار خاص به قد وقع اجابة لدعائه وان استنظاره كان طلبا لتاخير الموت اذ به يتحقق كونه منهم
لا لتاخير العقوبة كما قيل فان ذلك معلوم من اضافة اليوم الى الدين اى انك من جملة الذين اخر
آجالهم ازلا حسبما يقتضيه حكمة التكوين الى يوم الوقت المعلوم الذي قدره الله تع وعينه لفناء
الخلائق وهو وقت النفخة الاولى لا الى وقت البعث الذي هو المسؤل فالفاء ليست لربط
نفس الانظار بالاستنظار بل لربط الاخبار المذكور به كما في قول من قال فان ترحم فانت لذاك
اهل فانه لا امكان لجعل الفاء فيه لربط ما له تعالى من الاهلية القديمة للرحمة بوضع الرحمة الحادثة بل هي
لربط الاخبار بتلك الاهلية للرحمة بوقوعها هذا وقد ترك التوقيت في سورة الاعراف كما ترك النداء
والفاء في الاستنظار والانظار تعويلا على ما ذكر ههنا وفي سورة الحجر وان خطر ببالك ان كل وجه من
وجوه النظم الكريم لابد ان يكون له مقام يقتضيه مغايرا لمقام غيره وان ما حكي من اللعين انما صدر عنه
مرة وكذا اجوبته لم يقع الا دفعة فمقام الاستنظار والانظار ان اقتضى احد الوجوه المحكية فذلك
هو المطابق لمقتضى الحال والبالغ الى رتبة البلاغة ودرجة الاعجاز واما ما عداه من الوجوه فهو نازل
من بلوغ طبقة البلاغة فضلا عن العروج الى معارج الاعجاز فقد سلف تحقيقه في سورة الاعراف
بفضل الله تع وتوفيقه قال فبعزتك الباء للقسم والفاء لترتيب مضمون الجملة على الانظار
ولا نافية قوله تع فبما اغويتني وقوله تعالى رب بما اغويتني وقوله تع فان اغوائه تع اياه اثر من آثار
قدرته تع وعزته وحكم من احكام قهره وسلطنته فمآل الاقسام بهما واحد ولعل اللعين اقسم بهما
جميعا فحكى تارة قسمه باحدهما واخرى بالآخر اى فاقسم بعزتك لاغوينهم اجمعين اى ذرية آدم تبعا
لمن اغويته منهم لاغوينهم عن طريق الجنة او عن طريق التوحيد والطاعة لاغوينهم عن الهدى
الا عبادك منهم المخلصين وهم الذين اخلصهم الله تع لطاعته وعصمهم من الغواية وقرئ
المخلصين على صيغة الفاعل اى الذين اخلصوا قلوبهم واعمالهم لله تع قال اى الله عز وجل فالحق
والحق اقول برفع الاول على انه مبتدأ محذوف الخبر او خبر محذوف المبتدأ ونصب الثاني
على انه مفعول لما بعده قدم عليه للقصر اى لا اقول الا الحق والفاء لترتيب ما بعده على ما قبلها
اى فالحق قسمي لاملان جهنم على ان الحق اما اسم لله تع او نقيض الباطل عظمه الله تع باضافته
اوفانا الحق او فقولي الحق وقوله تع لاملان جهنم جواب القسم محذوف اى والله لاملان
وقوله تع والحق اقول على كل تقدير اعتراض مقرر على الوجهين الاولين لمضمون الجملة القسمية
وعلى الوجه الثالث لمضمون الجملة المتقدمة اعني قولي الحق وقرئا منصوبين على ان الاول
مقسم به كقولك الله لافعلن وجوابه لاملان وما بينهما اعتراض وقرئا مجرورين على ان الاول
مقسم به قد اضمر حرف قسمه كقولك الله لافعلن والحق اقول على حكاية لفظ المقسم به على تقدير

بيدي
بين

كونه نقيض الباطل ومعناه التاكيد والتشديد وقرئ بجر الاول على اضمار حرف القسم ونصب
الثاني على المفعولية منك اي من جنسك من الشياطين ومن تبعك في الغواية والضلال منهم
من ذرية ادم عم اجمعين تاكيد للكاف وما عطف عليه اي لاملانها من المتبوعين والاتباع
اجمعين كقوله تعالى لمن تبعك منهم لاملان جهنم منكم اجمعين وهذا القول هو المراد بقوله تعالى ولكن
حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وحيث كان مناط الحكم ههنا اتباع
الشيطان اتضح ان مدار عدم المشية في قوله تعالى ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها اتباع الكفرة
للشيطان بسوء اختيارهم لا تحقق القول فليس في ذلك شائبة الجبر فتدبر قل ما اسالكم عليه
على القرآن او على تبليغ ما يوحى الي من اجر دنيوي وما انا من المتكلفين اي المتصنعين مما ليسوا
من اهله حتى اتحمل النبوة وانتقول القرآن ان هو اي ما هو الا ذكر من الله عز وجل للعالمين
للثقلين كافة ولتعلمن نبأه اي ما انبأ به من الوعد والوعيد وغيرهما او صحة خبره وانه الحق
والصدق بعد حين بعد الموت او يوم القيمة او عند ظهور الاسلام وفشوه وقيل من بقي علم
ذلك اذا ظهر امره وعلا ومن مات علم بعد الموت وفيه من التهديد ما لا يخفى عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله تع لداود وعليه
السلام عشر حسنات وعصم ان يصر على ذنب صغير او كبير وقال ابو امامة عصمه الله تع من كل ذنب صغيرا وكبير

اي الادعاء ٥

تنزيل الكتاب خبر لمبتداء محذوف هو اسم اشارة اشير به الى السورة تنزيلا لها
منزلة الحاضر المشار اليه لكونها على شرف الذكر والحضور كما مر مرارا وقد قيل هو ضمير
عائد الى الذكر في قوله تعالى ان هو الا ذكر للعالمين وقوله تعالى من الله العزيز الحكيم
صلة للتنزيل او خبر ثان او حال من التنزيل عاملها معنى الاشارة او من الكتاب الذي
هو مفعول معنى عاملها المضاف وقيل هو خبر لتنزيل الكتاب والوجه الاول او في بعقيب
المقام الذي هو بيان ان السورة او القرآن تنزيل الكتاب من الله تعالى لا بيان ان
تنزيل الكتاب منه تعالى لا من غيره كما يفيده الوجه الاخير وقرئ تنزل الكتاب بالنصب على
اضمار فعل نحو اقرأ او الزم والتعرض لوصفي العزة والحكمة للايذان بظهور اثرهما في
الكتاب بجريان احكامه ونفاذ اوامره ونواهيه من غير مدافع ولا ممانع وبانتظام جميع
ما فيه على اساس الحكم الباهرة وقوله تع انا انزلنا اليك الكتاب بالحق شروع
في بيان شان المنزل اليه وما يجب عليه اثر بيان شان المنزل وكونه من عند الله تعالى
والمراد بالكتاب هو القرآن واظهاره على تقدير كونه هو المراد بالاول ايضا لتعظيمه
ومزيد الاعتناء بشانه والباء اما متعلقة بالانزال اي بسبب الحق واثباته واظهاره
او بداعية الحق واقتضائه للانزال واما بمحذوف هو حال من نون العظمة او من
الكتاب اي انزلناه اليك محقين في ذلك او انزلناه ملتبسا بالحق والصواب اي

اي كل ما فيه حق لا ريب فيه موجب للعمل به حتما والفاء في قوله تعالى فاعبد الله مخلصا له الدين
لترتيب الامر بالعبادة على انزال الكتاب اليه عليه السلام بالحق اي فاعبده تعالى مخلصا له
الدين من شوائب الشرك والرياء خبايين في تضاعيف ما انزل اليك وقرئ رفع
الدين على انه مبتدأ خبره الظرف المقدم عليه لتاكيد الاختصاص المستفاد من
اللام والجملة استيناف وقع تعليلا للامر باخلاص العبادة وقوله تعالى الا لله الدين
الخالص استيناف مقرر لما قبله من الامر باخلاص الدين له تعالى ووجوب الامتثال به
وعلى القراءة الاخيرة مؤكد لاختصاص الدين به تعالى اي الا هو الذي يجب ان يخص ما خلا
الطاعة لانه المتفرد بصفات الالوهية التي من جملتها الاطلاع على السرائر والغنى
وقوله تعالى والذين اتخذوا من دونه اولياء تحقيق لحقية ما ذكر من اخلاص الدين
الذي هو عبارة عن التوحيد ببيان بطلان الشرك الذي هو عبارة عن ترك
اخلاصه والموصول عبارة عن المشركين ومحل الرفع على الابتداء خبره ما سياتي
من الجملة المصدرة بان والاولياء عن الملئكة وعيسى عليهم السلم والاصنام وقوله تعالى
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى حال بتقدير القول من واو اتخذوا او مبينة
لكيفية اشراكهم وعدم خلوص دينهم والاستثناء مفرغ من اعم العلل وزلفى
مصدر مؤكد على غير لفظ الصدر لما في المعنى اي او الذين لم يخلصوا العبادة
لله تعالى بل شابوا بعبادته غيره قائلين ما نعبدهم لشئ من الاشياء الا ليقربونا
الى الله تع تقريبا ان الله يحكم بينهم اي وبين خصمائهم الذين هم المخلصون للدين
وقد حذف لدلالة الحال عليه كما في قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله على احد
الوجهين اي بين احد منهم وبين غيره وعليه قول النابغة فما كان بين الخير لو جاء سالما
ابو حجر الا ليال قلايل اي بين الخير وبيني وقيل ضمير بينهم للفريقين جميعا فيما هم
فيه يختلفون من الدين الذي اختلفوا فيه بالتوحيد والاشراك وادعى كل فريق صحة
ما انتحله وحكمه تعالى في ذلك ادخال الموحدين الجنة والمشركين النار فالضمير للفريقين
هذا هو الذي يستدعيه مساق النظم الكريم واما تجويز ان يكون الموصول عبارة عن
المعبودين على حذف العائد اليه واضمار المشركين من غير ذكر تعويلا على دلالة المقام
عليهم ويكون التقدير والذين اتخذهم المشركون اولياء قائلين ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله تعالى ان الله يحكم بينهم اي بين العبدة والمعبودين فما هم فيه يختلفون حيث
يرجو العبدة شفاعتهم وهم يلعنونهم بعد الاعضاء عما فيه من التعسف بمعزل من
السداد كيف لا وليس فيما ذكر من طلب الشفاعة واللعن مادة يختلف فيها الفريقان
اختلافا محوجا الى الحكم والفصل واما ذاك فما بين كفر يفني الموحدين والمشركين في
الدنيا من الاختلاف في الدين الحق الى يوم القيمة وقرئ قالوا ما نعبدهم فهو بدل
من الصلة لا خبر للموصول كما قيل اذ ليس في الاخبار بذلك مزيد مزية وقرئ ما نعبدكم

اغفى عنه طرفه سدده او حده ما مدح

الآية توبيخا بحكاية لما خاطبوا به الهتهم وقرئ يهدّى بهم اتباعا للباء ان الله لا يهدى اى لا يوفق للاهتداء
الى الحق الذى هو طريق النجاة عن المكروه والفوز بالمطلوب من هو كاذب كفار اى راسخ فى الكذب
مبالغ فى الكفر كما ينبئ عنه قراءة كذاب كفور فانهما فاقدان للبصيرة غير قابلين للاهتداء لتغيير هما
الفطرة الاصلية بالتمرن فى الضلالة والتمادى فى الغى والجملة تعليل لما ذكر من حكمه تعالى لو اراد الله ان
يتخذ ولدا الخ استيناف مسوق لتحقيق الحق وابطال القول بان الملائكة بنات الله وعيسى ابنه تعالى
الله عن ذلك علوا كبيرا ببيان استحالة اتخاذ الولد فى حقه تعالى على الاطلاق ليندرج فيه استحالة
قيل ايذانا اجماليا اى لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى اى للاتخاذ مما يخلق اى من جملة ما يخلقه
او من جنس ما يخلقه ما يشاء ان يتخذه اذ لا موجود سواه الا وهو مخلوق له تعالى لامتناع تعدد الواجب
ووجوب استناد جميع ما عداه اليه ومن البين ان اتخاذ الولد منوط بالمماثلة بين المتخذ والمتخذ
وان المخلوق لا يماثل خالقه حتى يمكن اتخاذه ولدا فافرضناه اتخاذ ولد لم يكن اتخاذ ولد بل اصطفى
عبيده واليه اشير حيث وضع الاصطفاء موضع الاتخاذ الذى يقتضيه الشرطية بينهما على استحالة
مقدمها لاستلزام فرض وقوعه بل فرض ارادة وقوعه انتفاءه اى لو اراد الله تعالى ان يتخذ ولدا فعل
شيئا ليس هو من اتخاذ الولد فى شئ اصلا بل انما هو اصطفاء عبيد ولا ريب فى ان ما يستلزم فرض وقوعه
انتفاءه فهو ممتنع قطعا فكانه قيل لو اراد الله ان يتخذ ولدا لامتنع ولم يصح لكن لما على ان الامتناع
منوط بتحقق الارادة بل على انه متحقق عند عدمها بطريق الاولوية على منوال لم يخف الله لم يعصه وقوله
سبحانه تقرير لما ذكر من استحالة اتخاذ الولد فى حقه تعالى وتاكيد له ببيان تنزيهه تعالى عنه اى تنزه بالذات
عن ذلك تنزيها الخاص به على ان السبحان مصدر من سبح اذا بعد او اسبح تسبيحا لائقا به
على انه علم للتسبيح معقول على السنة العباد او سبحه تسبيحا حقيقا بشانه وقوله تعالى هو الله الواحد
القهار استيناف مبين لتنزهه تعالى بحسب الصفات اثر بيان تنزيهه تعالى عنه بحسب الذات فان صفة
الالوهية المستتبعة لسائر صفات الكمال المنافية لسمات النقصان والوحدة الذاتية الموجبة لامتناع
المماثلة والمشاركة بينه تعالى وبين غيره على الاطلاق مما يقضى بتنزيهه تعالى عما قالوا قضاء بينا
وكذا وصف القهارية لما ان اتخاذ الولد شان من يكون تحت ملكوت الغير عرضة للفناء لتقوم
ولده مقامه عند فنائه ومن هو مستحق الفناء قهار لكل الكائنات كيف يتصور ان يتخذ من الاشياء
الفانية ما يقوم مقامه وقوله تعالى خلق السموات والارض بالحق تفصيل لبعض افعاله تعالى الدالة
على تفرده بما ذكر من الصفات الجليلة اى خلقها وما بينهما من الموجودات ملتبسا بالحق و
الصواب مشتملا على الحكم والمصالح وقوله تعالى يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل
بيان لكيفية تصرفه تعالى فيهما بعد بيان خلقهما فان حدوث الليل والنهار فى الارض منوط
بتحريك السموات اى بتغشى كل واحد منهما الآخر كانه يلفه عليه لف اللباس على اللابس
او بتغييبه به كما يغيب الملفوف باللفافة او يجعله كارا عليه كورا متتابعا تتابع الكوار
اليمانى وصيغة المضارع للدلالة على التجدد وسخر الشمس والقمر جعلهما منقادين لامره
تعالى وقوله تعالى كل يجرى لاجل مسمى بيان لكيفية تسخيرهما اى كل منهما يجرى لمنتهى دورة

دورته او منقطع حركته وقد مر تفصيله غير مرة الا هو العزيز الغالب القادر على كل شئ
من الاشياء التى من جملتها عقاب العصاة الغفار المبالغ فى المغفرة ولذلك لا يعاجل
بالعقوبة وسلب ما فى هذه الصنايع البديعة من آثار الرحمة وتصدير الجملة بحرف التنبيه
لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها خلقكم من نفس واحدة بيان لبعض آخر من افعاله
الدالة على ما ذكر وترك عطفه على خلق السموات للايذان باستقلاله فى الدلالة
وللتعلقه بالعالم السفلى والبداية بخلق الانسان لعراقته فى الدلالة لما فيه من تعا
آثار القدرة واسرار الحكمة واصالته فى المعرفة فان الانسان بحال نفسه اعرف
والمراد بالنفس نفس آدم عم وقوله تعالى ثم جعل منها زوجها عطف على محذوف هو صفة
لنفس اى من نفس خلقها ثم جعل منها زوجها او على معنى واحدة اى من نفس وحدت
ثم جعل منها زوجها فشفعها او على خلقكم لتفاوت ما بينهما فى الدلالة فانها وان كانتا
آيتين دالتين على ما ذكر لكن الاولى لاستمرارها صارت معتادة واما الثانية لحيث
لم تكن معتادة خارجة عن قياس الاولى كما يشعر به التعبير عنها بالجعل دون الخلق كانت ادخل
فى كونها اية واجلب للتعجب من السامع فعطفت على الاولى ثم دلالة على مباينتها لها
فضلا ومزية وتراخيها عنها فيما يرجع الى زيادة كونها اية فهو من التراخى فى الحال والمرتبة
وقيل اخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق منه حواء وفيه ثلاث آيات مترتبة خلق
آدم عليه السلم بلا اب وام وخلق حواء من قصيراه ثم تشعيب الخلق الغائب للحصر منهما وقوله
وانزل لكم بيان لبعض آخر من افعاله الدالة على ما ذكر اى قضى او قسم لكم فان قضاياه
وقسمه توصف بالنزول من السماء حيث تكتب فى اللوح المحفوظ او احدث لكم بسبب
نازلة من السماء كالامطار واشعة الكواكب من الانعام ثمانية ازواج ذكرا وانثى
هى الابل والبقر والضان والمعز وقيل خلقها فى الجنة ثم انزلها وتقديم الظرفين
على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق الى ما اخر فان كون الانزال
لمنافعهم وكونه من الجهة العالية من الامور المهمة المشوقة الى ما انزل لاجله وقوله تعالى
يخلقكم فى بطون امهاتكم استيناف مسوق لبيان كيفية خلقهم واطواره المختلفة
الدالة على القدرة الباهرة وصيغة المضارع للدلالة على التدرج والتجدد وقوله تعالى
خلقا من بعد خلق مصدر مؤكد اى يخلقكم فيهن خلقا كائنا من بعد خلق اى خلقا مدرجا
حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ مخلقة من
بعد مضغ غير مخلقة من بعد علقة من بعد نطفة فى ظلمات ثلاث متعلق بيخلقكم وهى
ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة او ظلمة الصلب والبطن والرحم ذلكم اشارة
اليه تعالى باعتبار افعاله المذكورة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته تعالى فى العظمة
والكبرياء ومحل الرفع على الابتداء اى ذلكم العظيم الشان الذى عدد ت افعاله
الله وقوله تعالى ربكم خبر آخر اى مربيكم فيما ذكر من الاطوار وفيما بعدها وما لكم المستحق

الحمد لله رب العالمين
انشقاق حبيب العجائب
جيب
الحمد الله والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله وصحبه اجمعين وبعد فقد تم بعون الله تعالى
وحسن توفيقه وتيسيره وتسديده وتقديره وتحريره وتنويره وتبصيره وتدبيره وتذكيره وتفهيمه
وتعليمه وتلقينه وتفضيله وتكميله وتنويله وتاييده وتوفيقه وتحقيقه وتصديقه وتسهيله
وتقريبه وتنويره وتبشيره وتحميده وتمجيده وتعظيمه وتكريمه وتشريفه وتكثيره وتبريكه

لتخصيص العبادة به له الملك على الاطلاق في الدنيا والآخرة ليس لغيره شركة في ذلك بوجه من
الوجوه والجملة خبر آخر وكذا قوله تعالى لا إله إلا هو والفاء في قوله تعالى فأنى تصرفون لترتيب ما
بعدها على ما ذكر من شئونه تعالى اي فكيف تصرفون عن عبادته تعالى مع وفور موجباتها ودواعيها
وانتفاء الصارف عنها بالكلية الى عبادة غيره من غير داع اليها مع كثرة الصوارف عنها
إن تكفروا به تعالى بعد مشاهدة ما ذكر من فنون نعمائه ومعرفة شئونه العظيمة الموجبة للايمان والشكر
فإن الله غني عنكم اي فاعلموا انه تعالى غني عن ايمانكم وشكركم غير متأثر من انتفائها ولا يرضى
لعباده الكفر اي عدم رضاه بكفر عباده لاجل منفعتهم ودفع مضرتهم رحمة عليهم لا لتضرره
تعالى به وإن تشكروا يرضه لكم اي يرضى الشكر لاجلكم ومنفعتكم لانه سبب لفوزكم بسعادة
الدارين لا لانتفاعه تعالى به وانما قيل لعباده لا لكم لتعميم الحكم وتعليله بكونهم عباده تعالى
وقرئ باسكان الهاء ولا تزر وازرة وزر أخرى بيان لعدم سراية كفر الكافر الى غيره اصلا
اي لا تحمل نفس حاملة للوزر حمل نفس أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم بالبعث بعد الموت فينبئكم
عند ذلك بما كنتم تعملون اي كنتم تعملونه في الدنيا من اعمالكم الكفر والايمان اي يجازيكم
بذلك ثوابا وعقابا إنه عليم بذات الصدور اي بمضمرات القلوب فكيف بالاعمال
الظاهرة وهو تعليل للتنبئة وإذا مس الإنسان ضر من مرض وغيره دعا ربه منيبا
إليه راجعا اليه مما كان يدعوه في حالة الرخاء لعلمه بانه بمعزل من القدرة على كشف ضره
وهذا وصف للجنس بحال بعض افراده كقوله تعالى إن الإنسان لظلوم كفار ثم إذا خوله
نعمة منه اي اعطاه نعمة عظيمة من جنابه تعالى من التخول وهو التعهد اي جعله خائل مال
من قولهم فلان خائل مال اذا كان متعهدا له حسن القيام به او من الخول وهو
الافتخار اي جعله يخول اي يختال ويفتخر نسي ما كان يدعو إليه اي نسي الضر الذي كان
يدعو الله تعالى فيما سبق الى كشفه من قبل اي من قبل التخويل او نسي ربه الذي كان يدعو
ويتضرع اليه اما بناء على ان ما بمعنى من كما في قوله تعالى وما خلق الذكر والانثى وقوله تعالى
ولا أنتم عابدون ما أعبد واما ايذانا بان نسيانه بلغ الى حيث لا يعرف مدعوه ما هو
فضلا من ان يعرفه من هو كما مر في قوله تعالى عما ارضعت وجعل لله أندادا شركاء في العبادة
ليضل الناس بذلك عن سبيله الذي هو التوحيد وقرئ ليضل بفتح الياء اي ليزداد
ضلالا اي يثبت عليه والا فاصل الضلال غير متأخر عن الجعل المذكور واللام لام العاقبة
كما في قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا خلا ان هذا اقرب الى الحقيقة
لان الجاعل ههنا قاصد بجعله المذكور حقيقة الاضلال والضلال وان لم يعرف لجهله انهما
اضلال وضلال واما آل فرعون فهم غير قاصدين بالتقاطهم العداوة اصلا قل تهديدا
لذلك الضال المضل وبيانا لحاله وماله تمتع بكفرك قليلا اي تمتعا قليلا او زمانا قليلا
إنك من أصحاب النار اي من ملازميها والمعذبين فيها على الدوام وهو تعليل لقلة التمتع
وفيه من الاقناط من النجاة ما لا يخفى كانه قيل اذ قد ابيت قبول ما امرت به من الايمان والطاعة

والطاعة فمن حقك ان تؤمر بتركه لتذوق عقوبته أمن هو قانت آناء الليل الخ من تمام
الكلام المأمور به وام اما متصلة قد حذف معادلها ثقة بدلالة مساق الكلام عليه كانه
قيل له تأكيدا للتهديد وتهكما به أأنت احسن حالا ومآلا أمن هو قائم بمواجب الطاعات
ودائم على اداء وظائف العبادات في ساعات الليل حالتي السراء والضراء لا عند
مساس الضر فقط كدأبك حال كونه ساجدا وقائما اي جامعا بين الوصفين المحمودين
وتقديم السجود على القيام لكونه ادخل في معنى العبادة وقرئ كلاهما بالرفع على انه خبر
بعد خبر يحذر الآخرة حال اخرى على الترادف او التداخل او استيناف وقع
جوابا عما نشأ من حكاية حاله من القنوت والسجود والقيام كانه قيل ما باله يفعل ذلك
فقيل يحذر عذاب الآخرة ويرجو رحمة ربه فينجو بذلك مما يحذره ويفوز بما يرجوه كما
ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضمير
الراجي لا انه يحذر ضر الدنيا ويرجو خيرها فقط واما منقطعة وما فيها من الاضراب
للانتقال من التهديد الى التبكيت بتكليف الجواب الملجئ الى الاعتراف بما بينهما من
التباين البين كانه قيل بل أمن هو قانت الخ افضل ام من هو كافر مثلك كما هو المعنى
على قراءة التخفيف قل بيانا للحق وتنبيها على شرف العلم والعمل هل يستوي الذين
يعلمون حقائق الاحوال فيعملون بموجب علمهم كالقانت المذكور والذين لا يعلمون
اي ما ذكروا شيئا فيعملون بمقتضى جهلهم وضلالهم كدأبك والاستفهام للتنبيه على
ان كون الاولين في اعلا معارج الخير وكون الآخرين في اقصى مدارج الشر من الظهور
بحيث لا يكاد يخفى على احد من منصف ومكابر وقيل هو وارد على سبيل التشبيه اي
كما لا يستوي العالمون والجاهلون لا يستوي القانتون والعاصون وقوله تعالى إنما يتذكر
أولوا الألباب كلام مستقل غير داخل في الكلام المأمور به وارد من جهته تعالى بعد الامر
بما ذكر من القوارع الزاجرة عن الكفر والمعاصي لبيان عدم تأثيرها في قلوب الكفرة لاختلال
عقولهم كما في قول من قال عوجوا فحيوا لنعمى دمنة الدار ماذا تحيون من لؤي واحجار
اي انما ينتفع بهذه البيانات الواضحة اصحاب العقول الخالصة عن شوائب
الخلل وهؤلاء بمعزل من ذلك وقرئ انما يذكر بالادغام قل يا عبادي الذين آمنوا
اتقوا ربكم امر رسول الله عليه السلام بتذكير المؤمنين وحملهم على التقوى والطاعة
اثر تخصيص التذكر باولي الالباب ايذانا بانهم هم كما سيصرح به اي قل لهم قولي هذا
بعينه وفيه تشريف لهم باضافتهم الى ضمير الجلالة ومزيد اعتناء بشأن المأمور به
فان نقل عين امر الله ادخل في ايجاب الامتثال به وقوله تعالى للذين أحسنوا تعليل
للامر او لوجوب الامتثال به وايراد الاحسان في حيز الصلة دون التقوى
للايذان بانه من باب الاحسان وانهما متلازمان وكذا الصبر كما مر في قوله تعالى ان
الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وفي قوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع

اجر المحسنين وقوله تعالى في هذه الدنيا متعلق باحسنوا اى عملوا الاعمال الحسنة في هذه الدنيا على وجه الاخلاص
وهو الذي عبر عنه رسول الله عليه السلام حين سئل عن الاحسان بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن
تراه فانه يراك حسنة اى حسنة عظيمة لا يكتنه كنهها وهي الجنة وقيل هي متعلق بحسنة على انه بيان لها
او حال من ضمير ثاني الظرف فالمراد بها الصحة والعافية وارض الله واسعة ممن تعسر عليه التوفر على التقوى
والاحسان في وطنه فليهاجر الى حيث يتمكن فيه من ذلك كما هو سنة الانبياء والصالحين فانه لا عذر له
في التفريط وقوله تعالى انما يوفى الصابرون لاكثر ترغيب في التقوى المامور به وايثار الصابرين على المتقين
للايذان بانهم حايزون لفضيلة الصبر كحيازتهم لفضيلة الاحسان لما اشير اليه من استلزام التقوى بهما
مع مافيه من زيادة حث على المصابرة والمجاهدة في تحمل مشاق المهاجرة ومتاعبها اى انما يوفى الذين
صبروا على دينهم وحافظوا على حدوده ولم يفرطوا في مراعاة حقوقه لما اعتراهم في ذلك من فنون الآلام واثقاله
التي من جملتها مهاجرة الاهل ومفارقة الاوطان اجرهم بمقابلة ما كابدوا من الصبر بغير حساب اى بحيث
لا يحصى ولا يحصر عن ابن عباس رض لا يهتدي اليه حساب الحساب لا يعرف وفي الحديث انه ينصب الموازين
يوم القيمة لاهل الصلوة والصدقة والحج فيوتون بها اجورهم ولا ينصب لاهل البلاء بل يصب عليهم
الاجر صبا حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء
من الفضل قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين اى من كل ما فيه من الشرك والرياء وغير ذلك
امر رسول الله صلعم ببيان ما امر به نفسه من الاخلاص في عبادة الله الذي هو عبارة عما امر به المؤمنون
من التقوى مبالغة في حثهم على الاتيان بما كلفوه وتمهيدا لما يعقبه مما خوطب به المشركون وامرت لان
اكون اول المسلمين اى وامرت بذلك لاجل ان اكون اول متقدم في الدنيا والاخرة لان احراز
قصب السبق في الدين بالاخلاص فيه والعطف لمغايرة الشان الاول بتقييده بالعلة والاشعار بان
العبادة المذكورة كما تقتضي الامر بها لذاتها تقتضيه لما يلزمها من السبق في الدين ويجوز ان تجعل اللام
مزيدة كما في اردت لان اقوم بدليل قوله تعالى وامرت ان اكون اول من اسلم فالمعنى وامرت ان اكون
اول من اسلم من اهل زماني او من قومي او اكون اول من دعى غيره الى ما دعى اليه نفسه قل اني اخاف
ان عصيت ربي بترك الاخلاص والميل الى ما انتم عليه من الشرك عذاب يوم عظيم هو يوم القيمة وصف
بالعظمة لعظمة ما فيه من الدواهي والاهوال قل الله اعبد لا غيره استقلالا اولا واشراكا مخلصا
له ديني من كل شوب امر عليه السلم اولا بيان كونه مامورا بعبادة الله تعالى واخلاص الدين له ثم
بالاخبار بخوفه من العذاب على تقدير العصيان ثم بالاخبار بالامتثال بالامر على ابلغ وجه واكده
اظهارا للتصلب في الدين وحسما لاطماعهم الفارغة وتمهيدا لتهديدهم بقوله تعالى فاعبدوا ما شئتم
ان تعبدوا من دونه تعالى وفيه من الدلالة على شدة الغضب عليهم ما لا يخفى كما فهم لما لم ينتهوا
عما نهوا عنه امروا بما يؤدي الى حلول العذاب بهم قل ان الخاسرين اى الكاملين في الخسران الذي هو
عبارة عن اضاعة ما يمكنه واتلاف ما لا بد منه الذين خسروا انفسهم واهليهم باختيارهم
الكفر لها اى اضاعوها واتلفوها يوم القيمة حين يدخلون النار حيث عرضوها للعذاب
السرمدي واوقعوها في هلكة لا هلكة وراءها وقيل خسروا اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار

النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا اياب بعده وفيه
ان المحذور ذهاب ما لو اوتي به لانتفع به الخاسر وذلك غير متصور في الشق الاخير وقيل خسروهم
لانهم لم يدخلوا مدخل الذين لهم اهل في الجنة وخسروا اهليهم الذين كانوا يتمتعون بهم لو آمنوا وايانا
كان فليس المراد مجرد تعريف الكاملين في الخسران باذكر بل بيان انهم بما جعل الموصول عبارة
عنهم او عما هم مندرجون فيه اندراجا اوليا وما في قوله تعالى الا ذلك هو الخسران المبين من استيناف
الجملة وتصديرها بحرف التنبيه والاشارة بذلك الى بعد منزلة المشار اليه في الشر والتوسيط ضمير
الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين من الدلالة على كمال هوله وفظاعته وانه لا خسران وراءه
ما لا يخفى وقوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار الخ نوع بيان لخسرانهم بعد تهويله بطريق الابهام على
ان لهم خبر لظلل ومن فوقهم متعلق بمحذوف قيل هو حال من ظلل والاظهر انه حال من الضمير في الظرف
المقدم ومن النار صفة لظلل اى لهم كائنة من فوقهم ظلل كثيرة متراكبة بعضها فوق بعض كائنة من النار
ومن تحتهم ايضا ظلل اى اطباق كثيرة بعضها تحت بعض ظلل لاخرين بل لهم ايضا عند ترديهم في
دركاتها ذلك العذاب الفظيع هو الذي يخوف الله به عباده ويحذرهم اياهم بآيات الوعيد
ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي وهذه عظة من الله تعالى بالغة منطوية
على غاية اللطف والرحمة وفي اضافة العباد الى نفسه تعالى تشريف لهم وتحريض على التقوى والتعبير عنهم
بالعبودية للايذان بان التقوى من لوازمها والمراد بالطاغوت الشيطان او الاصنام او كل ما يطغى
والتاء للمبالغة كالرحموت والرهبوت والطغيان فعلوت منه بتقديم اللام على العين بنى للمبالغة في المصدر كالرحموت والرهبوت
ثم وصف به للمبالغة في الذم والمراد هو الشيطان ان يعبدوها بدل الاشتمال منه فان عبادة
غير الله تعالى عبادة للشيطان اذ هو الآمر بها والمزين لها وانابوا الى الله واقبلوا اليه معرضين
عما سواه اقبالا كليا لهم البشرى بالثواب على السنة الرسل والملائكة عند حضور الموت وحين
يحشرون وبعد ذلك فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه هم الموصوفون
بالاجتناب والانابة باعيانهم لكن وضع موضع ضميرهم الظاهر تشريفا لهم بالاضافة ودلالة
على ان مدار اتصافهم بالوصفين الجليلين كونهم نقادا في الدين يميزون الحق من الباطل
ويؤثرون الافضل فالافضل اولئك اشارة باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الجليلة
وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل ومحله الرفع على الابتداء
خبره ما بعده من الموصول اى اولئك الموصوفون بالمحاسن الجميلة الذين هديهم الله للدين
الحق واولئك هم اولوا الالباب اى هم اصحاب العقول السليمة عن معارضة الوهم
ومنازعة الهوى المستحقون للهداية لا غير هم وفيه دلالة على ان الهداية تحصل بفعل الله تعالى
وقبول النفس لها افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار بيان لاحوال
اضداد المذكورين على طريقة الاجمال والتفصيل عليهم بحرمان الهداية وهم عبدة الطاغوت
ومتبعوا خطواتها كما يلوح به التعبير عنهم بمن حق عليه كلمة العذاب فان المراد بها قوله تعالى
لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وقوله تعالى لمن تبعك منهم لاملان جهنم منكم اجمعين
واصل الكلام امن حق عليه كلمة العذاب فانت تنقذه على انها شرطية دخل عليها الهمزة للانكار

مضمونها ثم الفاء لعطفها على جملة مستتبعة لها مقدرة بعد الهمزة ليتعلق الانكار والنفي بمضمونهما
معا اى أانت مالك امر الناس فمن حق عليه كلمة العذاب فانت تنقذه ثم كررت الهمزة في الجزاء
لتاكيد الانكار وتذكيره لما طال الكلام ثم وضع موضع الضمير من في النار لمزيد تشديد الانكار
والاستبعاد والتنبيه على ان المحكوم عليه بالعذاب بمنزلة الواقع في النار وان اجتهاده
عليه السلام في دعائهم الى الايمان سعي في انقاذهم من النار ويجوز ان يكون الجزاء محذوفا وقوله
تعالى افانت الآية جملة مستقلة مسوقة لتقرير مضمون الجملة السابقة وتعيين ما حذف منها
وتشديدا للانكار تنزيل من استحق العذاب منزلة من دخل النار وتصوير الاجتهاد
في دعائه الى الايمان بصورة الانقاذ من النار كانه قيل اولا أفمن حق عليه العذاب
فانت تخلصه منه ثم شدد النكير فقيل افانت تنقذ من في النار وفيه تلويح بانه تعالى
هو الذي يقدر على الانقاذ لا غيره وحيث كان المراد بمن في النار الذين قيل في حقهم
لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل استدرك عنهم بقوله تعالى لكن الذين اتقوا
ربهم لهم غرف من فوقها غرف وهم الذين خوطبوا بقوله تعالى يا عباد فاتقون ووصفوا
بما عدد من الصفات الفاضلة وهم المخاطبون ايضا فيما سبق بقوله تعالى يا عبادي
الذين آمنوا اتقوا ربكم الآية وبين ان لهم درجات عالية في جنات النعيم بمقابلة ما للكفرة
من دركات سافلة في الجحيم اى لهم علالي بعضها فوق بعض مبنية بناء المنازل المبنية
الموسسة على الارض في الرصانة والاحكام تجري من تحتها من تحت تلك الغرف الانهار
من غير تفاوت بين العلو والسفل وعد الله مصدر مؤكد لقوله تعالى لهم غرف الخ فانه
وعد والى وعده لا يخلف الله الميعاد للاستحالة عليه سبحانه الم تر الى الله انزل من
السماء ماء استيناف وارد اما لتمثيل الحيوة الدنيا في سرعة الزوال وقرب الاضمحلال
بما ذكر من احوال الزرع ترغيبا عن زخارفها وزينتها وتحذيرا من الاغترار بزهرتها
كما في نظائر قوله تعالى انما مثل الحيوة الدنيا الآية او للاستشهاد على تحقق الموعود من الآثار
الجارية من تحتها الغرف بما يشاهد من انزال الماء من السماء وما يترتب عليه من آثار قدرته
واحكام حكمته ورحمته والمراد بالماء المطر وقيل كل ما في الارض فهو من السماء ينزل منها
الصخرة ثم يقسمه الله تعالى بين البقاع فسلكه فادخله ونظمه ينابيع في الارض اى عيونا ومجاري
كالعروق في الاجساد وقيل مياها نابعة فيها فان الينبوع يطلق على التنبع والنابع فعلها
على الحال وعلى الاول ينزع الجار اى في ينابيع ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه اصنافه من بر وشعير
وغيرهما او كيفياته من الالوان والطعوم وغيرهما وكلمة ثم للتراخي في الرتبة او الزمان
وصيغة المضارع لاستحضار الصورة ثم يهيج اى يتم جفافه ويشرف على ان يثور من منابته
فتراه مصفرا من بعد خضرة ونضرة وقرى مصفارا ثم يجعله حطاما فتاتا متكسرة كان لم
يغن بالامس ولكون هذه الحالة من الآثار القوية علق بجعل الله تعالى كالاخراج ان في
ذلك اشارة الى ما ذكر تفصيلا وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الغرابة والدلالة

على ما قصد بيانه لذكرى لتذكيرا عظيما لاولي الالباب لاصحاب العقول الخالصة عن شوائب
النقص الخلل وتنبيها لهم على حقيقة الحال فيتذكرون بذلك ان حال الحيوة الدنيا في سرعة
التقضي والانصرام كما يشاهدونه من حال الحطام كل عام فلا يغترون ببهجتها ولا يفتتنون
بفتنتها او يحرمون ما بين من قدر على انزال الماء من السماء واجرائه في ينابيع الارض قادر
على اجراء الانهار من تحت الغرف جدا واما ما قيل ان في ذلك لتذكيرا وتنبيها على انه
لا بد من صانع حكيم وانه كائن عن تقدير وتدبير لا عن تعطيل واهمال فمعزل من تفسير الآية
الكريمة واعاليق ذلك مما لو ذكر ما ذكر من الآثار الجليلة والافعال الجميلة من غير اسناد
لها الى مؤثر ما فحيث ذكرت مسندة الى الله عز وجل يتعين ان يكون متعلق التذكير والتنبيه
شؤونه تعالى او شؤون آثاره حسبما تبين لما وجوده تعالى وقوله تعالى افمن شرح الله صدره
للاسلام الخ استيناف جار مجرى التعليل لما قبله من تخصيص الذكرى باولي الالباب وشرح
الصدر للاسلام عبارة عن تكميل الاستعداد له فانه محل للقلب الذي هو منبع للروح التي
تتعلق بها النفس القابلة للاسلام فاشراحه مستدع لاتساع القلب واستضائته
بنوره فانه روي انه عليه اللام قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل فما
علامة ذلك قال عليه اللام الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتهيؤ
للموت قبل نزوله والكلام في الهمزة والفاء كالذي مر مرارا قوله تعالى افمن حق عليه كلمة العذاب
وخبر من محذوف لدلالة ما بعده عليه والتقدير اكل الناس سواء فمن شرح الله صدره
اى خلقه متسع الصدر مستعد للاسلام فبقي على الفطرة الاصلية ولم يتغير بالعوارض
المكتسبة القادحة فيها فهو على نور عظيم من ربه فهو بالطبع مستعد للقبول الخير
الالهي الفائض عليه عند مشاهدة الآيات التكوينية والتنزيلية والتوفيق للاهتداء
بها الى الحق ممن قسى قلبه وحرج صدره بسبب تبديل فطرة الله بسوء اختياره واستولى
عليه ظلمات الغي والضلالة فاعرض عن تلك الآيات بالكلية حتى لا تذكرها ولا تعتبر بها
فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اى من اجل ذكره الذي حقه ان تشرح له الصدور
وتطمئن به القلوب اى اذا ذكر الله تعالى عندهم او آياته اشمأزوا من اجله وازدادت
قلوبهم قساوة كقوله تعالى فزادتهم رجسا وقرئ عن ذكر الله اى عن قبوله اولئك
البعداء الموصوفون بما ذكر من قساوة القلوب في ضلال بعيد من الحق بين ظاهر كونه
ضلالا لكل احد قيل نزلت الآية في حمزة وعلي رضي الله عنهما وابي لهب وولده وقيل
في عمار بن ياسر رضا وابي جهل ودوبه الله انزل احسن الحديث هو القرآن الكريم
روي ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا له عليه اللام حدثنا
حديثا وعن ابن مسعود وابن عباس رضا قالوا لو حدثتنا فنزلت والمعنى ان فيه
مندوحة عن سماع الاحاديث وفي ايقاع الاسم الجليل مبتدا وبناء نزل عليه تفخيم
لشان الحديث ورفع محله والاستشهاد على حسنه وتاكيد استناده اليه تعالى وانه

من عنده لا يمكن صدوره عن غيره والتنبيه على انه وحي معجز ما لا يخفى كتابا بدل من احسن
الحديث او حال منه سواء اكتسب من المضاف اليه تعريفا او لا فان مساغ مجيء الحال
من النكرة المضافة اتفاقي ووقوعه حالا مع كونه اسما لا صفة اما لاتصافه بقوله تعالى
متشابها او لكونه في قوة مكتوبا ومعنى كونه متشابها تشابه معانيه في الصحة والاحكام
والابتناء على الحق والصدق واستتباع منافع الخلق في المعاد والمعاش وتناسب
الفاظه في الفصاحة وتجاوب نظمه في الاعجاز مثاني صفة اخرى لكتابا او حال اخرى
منه وهو جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثني من قصصه وانبائه واحكامه واوامره ونواهيه
ووعده ووعيده ومواعظه وقيل لانه يثنى في التلاوة وقيل هو جمع مثنى مفعل من
التثنية بمعنى التكرير والاعادة كما في قوله تعالى فارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة ووقوعه
صفة لكتابا باعتبار تفاصيله كما يقال القرآن سور وآيات ويجوز ان ينتصب على التمييز
من متشابها كما يقال رايت رجلا حسنا شمائل اي شمائله والمعنى متشابهة معانيه
تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم قيل صفة لكتابا او حال منه لتخصصه بالصفة
والاظهر انه استيناف مسوق لبيان آثاره الظاهرة في سامعيه بعد بيان اوصافه
في نفسه ولتقرير كونه احسن الحديث والاقشعرار التقبض من القشع وهو الاديم اليابس
قد ضم اليه الراء ليكون رباعيا ودالا على معنى زائد يقال اشعر جلده وقف شعره اذا عرض
له خوف شديد من منكر هائل دهمه بغتة والمراد اما بيان افراط خشيتهم بطريق التمثيل
والتصوير او بيان حصول تلك الحالة وعروضها لهم بطريق التحقيق والمعنى انهم اذا
سمعوا بالقرآن وقوارع آيات وعيده اصابتهم هيبة وخشية تقشعر منها جلودهم
واذا ذكروا رحمة الله تبدلت خشيتهم رجاء ورهبتهم رغبة وذلك قوله تعالى
ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله اي ساكنة مطمئنة الى ذكر رحمته تعالى وانما
لم يصرح بها ايذانا بانها اول ما يخطر بالبال عند ذكره تعالى ذلك اي الكتاب الذي
شرح احواله هدى الله يهدي به من يشاء اي يهديه لصرف مقدور الى الاهتداء
بتامله فيما في تضاعيفه من شواهد الحقية ودلائل كونه من عند الله تعالى ومن يضلل
الله اي يخلق فيه الضلالة لصرف قدرته الى مباديها واعراضه عما يرشده الى الحق
بالكلية وعدم تاثره بوعده ووعيده اصلا او ومن يخذل فما له من هاد يخلصه من ورطة
الضلال وقيل ذلك الذي ذكر من الخشية والرجاء اثر هداه تعالى يهدي بذلك الاثر
من يشاء من عباده ومن يضلل اي ومن لم يؤثر فيه لطفه لقسوة قلبه واصراره
على فجوره فما له من هاد من مؤثر فيه بشيء قط افمن يتقي بوجهه الخ استيناف جار
مجرى التعليل لما قبله من تباين حالي المهتدي والضال والكلام في الهمزة والفاء
وحذف الخبر كالذي مر في نظيريه والتقدير اكل الناس سواء فمن شانه ان يقي
نفسه بوجهه الذي هو اشرف اعضائه سوء العذاب اي العذاب السيء الشديد

الشديد يوم القيمة لكون يده التي بها يتقي المكاره والمخاوف مغلولة الى عنقه كمن هو
آمن لا يعتريه مكروه ولا يحتاج الى الاتقاء بوجه من الوجوه وقيل نزلت في ابي جهل
وقيل للظالمين عطف على يتقي اي ويقال لهم من جهة خزنة النار وصيغة الماضي للدلالة
على التحقق والتقرر وقيل هو حال من ضمير يتقي باضمار قد ووضع المظهر في مقام
المضمر للتسجيل عليهم بالظلم والاشعار بعلة الامر في قوله تعالى ذوقوا ما كنتم تكسبون
اي وبال ما كنتم تكسبونه في الدنيا على الدوام من الكفر والمعاصي كذب الذين من
قبلهم استيناف مسوق لبيان ما اصاب بعض الكفرة من العذاب الدنيوي اثر بيان
ما يصيب الكل من العذاب الاخروي اي كذب الذين من قبلهم من الامم السالفة
فاتيهم العذاب المقدر لكل امة منهم من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يحتسبون
ولا يخطر ببالهم اتيان الشر منها فاذاقهم الله الخزي اي الذل والصغار في الحيوة
الدنيا كالمسخ والخسف والقتل والسبي والاجلاء ونحو ذلك من فنون النكال
ولعذاب الآخرة المعد لهم اكبر لشدته وسرمديته لو كانوا يعلمون اي لو كان من
شانهم ان يعلموا شيئا لعلموا ذلك واعتبروا به ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من
كل مثل يحتاج اليه الناظر في امور دينه لعلهم يتذكرون كي يتذكروا به ويتعظوا قرآنا
عربيا حال مؤكدة من هذا على ان مدار التاكيد هو الوصف كقولك جاءني زيد رجلا
صالحا او مدح له غير ذي عوج لا اختلاف فيه بوجه من الوجوه فهو ابلغ من المستقيم و
اخص بالمعاني وقيل المراد بالعوج الشك لعلهم يتقون علة اخرى مترتبة على الاولى
ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ايراد لمثل من الامثال القرآنية
بعد بيان ان الحكمة في ضربها هو التذكر والاتعاظ بها وتحصيل التقوى والمراد بضرب
المثل ههنا تطبيق حالة عجيبة باخرى مثلها وجعلها مثلها كما مر في سورة يس ومثلا مفعول
ثان لضرب ورجلا مفعوله الاول اخر عن الثاني للتشويق اليه وليتصل به ما هو من تتمته
التي هي العمدة في التمثيل وفيه ليس بصلة لشركاء كما قيل بل هو خبر له وبيان انه في الاصل
كذلك مما لا حاجة اليه والجملة في حيز النصب على انه وصف لرجلا والوصف هو الجار والمجرور
وشركاء مرتفع به على الفاعلية لاعتماده على الموصوف فالمعنى جعل الله تعالى مثلا للمشرك
حسبما يقود اليه مذهبه من ادعاء كل من معبوديه عبوديته عبدا يتشارك فيه جماعة
يتجاذبونه ويتعاورونه في مهماتهم المتباينة في تحيره وتوزع قلبه ورجلا اي وجعل
للموحد مثلا رجلا سلما اي خالصا لرجل فرد ليس لغيره عليه سبيل اصلا وقرئ
سلما بفتح السين وكسرها مع سكون اللام والكل مصادر من سلم له كذا اي
خلص نعت بها مبالغة او حذف منها ذو وقرئ سالما وسالم اي وهناك رجل
سالم وتخصيص الرجل لانه افطن لما يجري عليه من الضر والنفع هل يستويان مثلا
انكار واستبعاد لاستوائهما ونفي له على ابلغ وجه واكده وايذان بان ذلك من

الجلاء والظهور بحيث لا يقدر احد ان يتفوه باستوائهما او يتلعثم في الحكم بتباينهما ضرورة
ان احدهما في اعلا عليين والآخر في اسفل سافلين وهو السر في ابهام الفاضل والمفضول
وانتصاب مثلا على التمييز اي هل يستوي حالاهما وصفتاهما والاقتصار في التمييز على الواحد
لبيان الجنس وقرئ مثلين كقوله تعالى اكثر اموالا واولادا للاشعار باختلاف النوع او لان
المراد هل يستويان في الوصفين على ان الضمير للمثلين لان التقدير مثل رجل فيه الخ ومثل رجل
الخ وقوله تعالى الحمد لله تقرير لما قبله من نفي الاستواء بطريق الاعتراض وتنبيه للموحدين على ان
ما لهم من المزية بتوفيق الله تعالى وانها نعمة جليلة موجبة عليهم ان يداوموا على حمده وعبادته
او على ان بيانه تعالى بضرب المثل ان لهم المثل الاعلى وللمشركين مثل السوء صنع جميل ولطف
تام منه عز وجل مستوجب لحمده وعبادته وقوله تعالى بل اكثرهم لا يعلمون اضراب وانتقال من
بيان عدم الاستواء على الوجه المذكور الى بيان ان اكثر الناس وهم المشركون لا يعلمون ذلك
مع كمال ظهوره فيبقون في ورطة الشرك والضلال وقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون تمهيد لما
يعقبه من الاختصام يوم القيمة وقرئ مائت ومائتون وقيل كانوا يتربصون برسول الله
صلى الله عليه وسلم موته اي انكم جميعا بصدد الموت ثم انكم يوم القيمة عند ربكم اي مالك اموركم
تختصمون فتحتج انت عليهم بانك بلغتهم ما ارسلت به من الاحكام والمواعظ التي من جملتها
ما في تضاعيف هذه الآيات واجتهدت في الدعوة الى الحق حق الاجتهاد وهم قد لجوا في
المكابرة والعناد وقيل المراد به الاختصام العام الجاري في الدنيا بين الانام والاول هو
الاظهر الانسب بقوله تعالى فمن اظلم ممن كذب على الله فانه الخ مسوق لبيان حال كل من طرفي
الاختصام الجاري في شان الكفر والايمان لا غير اي اظلم من كل ظالم من افترى على الله سبحانه
وتعالى بان اضاف اليه الشريك والولد وكذب بالصدق اي بالامر الذي هو عين الحق ونفس
الصدق وهو ما جاء به النبي عليه السلام اذ جاءه اي في اول مجيئه من غير تدبر فيه ولا تامل اليس في
جهنم مثوى للكافرين اي لهؤلاء الذين افتروا على الله سبحانه وسارعوا الى التكذيب بالصدق
من اول الامر والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضمائر السابقة باعتبار لفظها
او لجنس الكفرة وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا والذي جاء بالصدق وصدق به الموصول
عبارة عن رسول الله صلعم ومن تبعه كما ان المراد في قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب
لعلهم يهتدون هو عليه السلام وقومه وقيل عن الجنس المتناول للرسل والمؤمنين بهم ويؤيده
قراءة ابن مسعود رض والذين جاؤا بالصدق وصدقوا به وقيل هو صفة لموصوف محذوف
هو الفوج او الفريق اولئك الموصوفون بما ذكر من المجيء بالصدق والتصديق به هم المتقون
المنعوتون بالتقوى الذي هو اجل الرغائب وقرئ وصدق به بالتخفيف اي صدق به
الناس فاداه اليهم كما نزل عليه من غير تغيير وقيل وصار صادقا به اي بسببه لان ما جاء
به من القرآن معجزة دالة على صدقه عليه السلام وقرئ صدق به على البناء للمفعول لهم ما يشاؤن
عند ربهم بيان لما لهم في الآخرة من حسن المآب بعد بيان ما لهم في الدنيا من محاسن الاعمال اي

اي لهم كل ما يشاؤنه من جلب المنافع ودفع المضار في الآخرة لا في الجنة فقط لما ان بعض ما يشاؤنه من
تكفير السيئات والامن من الفزع الاكبر وسائر اهوال القيمة انما يقع قبل دخول الجنة ذلك الذي ذكر
من حصول كل ما يشاؤنه جزاء المحسنين اي الذين احسنوا اعمالهم وقد مر تفسير الاحسان غير مرة
وقوله تعالى ليكفر الله عنهم اسوء الذين عملوا الخ متعلق بقوله تعالى لهم ما يشاؤن لكن لا باعتبار
منطوقه ضرورة ان التكفير المذكور لا يتصور كونه غاية لثبوت ما يشاؤن لهم في الآخرة كيف لا
وهو بعض ما سيثبت لهم فيها بل باعتبار فحواه فانه حيث لم يكن اخبارا بما ثبت لهم فيما مضى
بل بما سيثبت لهم فيما سياتي كان في معنى الوعد به كما مر في قوله تعالى وعد الله فانه مصدر مؤكد
لما قبله من قوله تعالى لهم غرف من فوقها غرف فانه في معنى وعدهم الله غرفا فانتصب به وعد الله
كانه قيل وعدهم الله جميع ما يشاؤنه من زوال المضار وحصول المسار ليكفر عنهم بموجب ذلك
الوعد اسوء الذي عملوا دفعا لمضارهم ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون اعطاء
لمنافعهم واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لابراز كمال الاعتناء بمضمون الكلام واضافة
الاسوء والاحسن الى ما بعدهما ليست من قبيل اضافة المفضل الى المفضل عليه بل من اضافة
الشيء الى بعضه للقصد الى التحقيق والتوضيح من غير اعتبار تفضيله عليه وانما المعتبر فيهما
مطلق الفضل والزيادة لا على المضاف اليه المعين بخصوصه كما في قولهم الناقص ولا شيخ اعلا
بني مروان خلي ان الزيادة المعتبرة فيهما ليست بطريق الحقيقة بل هي في الاول بالنظر الى ما يليق
بحالهم من استعظام سيئاتهم وان قلت واستصغار حسناتهم وان جلت والثاني بالنظر الى
لطف اكرم الاكرمين من استكثار الحسنة اليسيرة ومقابلتها بالمثوبات الكثيرة وحمل الزيادة
على الحقيقة وان امكن في الاول بناء على ان تخصيص الاسوء بالذكر لبيان تكفير ما دونه بطريق الاولوية
ضرورة استلزام تكفير الاسوء لتكفير السيئ لكن لما لم يكن ذلك في الاحسن كان الاحسن نظمهما
في سلك واحد من الاعتبار والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل في صلة الموصول الثاني دون الاول
للايذان باستمرارهم على الاعمال الصالحة بخلاف السيئة اليس الله بكاف عبده انكار ونفي لعدم
كفايته تعالى على ابلغ وجه واكده كان الكفاية من التحقق والظهور بحيث لا يقدر احد على ان يتفوه
بعدمها او يتلعثم في الجواب بوجودها والمراد بالعبد اما رسول الله صلعم او الجنس المنتظم
له انتظاما اوليا ويؤيده قراءة من قرأ عباده وفسر بالانبياء عليهم السلام وكذا قراءة من
قرأ بكافي عباده على الاضافة ويكافي عباده على صيغة المغالبة اما من الكفاية لافادة المبالغة
فيها واما من المكافأة بمعنى المجازاة وهذه تسلية لرسول الله صلعم عما قالت له قريش اما تخاف
ان يخبلك آلهتنا ويصيبك معرتها لعيبك اياها وفي رواية قالوا لتكفن عن شتم آلهتنا
او ليصيبنك منهم خبل او جنون كما قال قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء
وذلك قوله تعالى ويخوفونك بالذين من دونه اي الاوثان التي اتخذوها آلهة من دونه تعالى
والجملة استيناف وقيل حال ومن يضلل الله حتى غفل عن كفايته تعالى وعصمته له عليه الله
وخوفه بما لا ينفع ولا يضر اصلا فما له من هاد يهديه الى خير ما ومن يهدي الله فما له من مضل

يصرفه عن مقصده او يصيبه بسوء يخل بسلوكه اذ للاراذل لغفلة ولا معارض لارادته كما ينطق به
قوله تعالى اليس الله بعزيز غالب لا يغالب منيع لا يمانع ولا ينازع ذي انتقام ينتقم من
اعدائه لاوليائه واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتحقيق مضمون الكلام وتربية
المهابة ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لوضوح الدليل وسنوح
السبيل قل نكلتنا لهم افرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن
كاشفات ضره اي بعد ما تحققتم ان خالق العالم العلوي والسفلي هو الله عز وجل فاخبروني
ان آلهتكم ان ارادني الله بضر هل يكشفن عن ذلك الضر او ارادني برحمة اي اوارادني
بنفع هل هن ممسكات رحمته فيمنعنها عني وفي كاشفات ضره وممسكات رحمته
بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته وتعليق ارادة الضر والرحمة بنفسه عليه السلام للرد في نحورهم
حيث كانوا خوفوه معرة الاوثان وما فيه من الابذان بامحاض النصيحة قل حسبي الله اي في
جمع امري من اصابة الخير ورفع الشر روي انه عليه السلام لما سالهم سكتوا فانزل ذلك
عليه يتوكل المتوكلون للاعلى غيره اصلا لعلمهم بان كل ما سواه تحت ملكوته تعالى قل ياقوم اعملوا
على مكانتكم على حالتكم التي انتم عليها من العداوة التي تمكنتم فيها فان المكانة تستعار من
العين للمصدر كما يستعار هنا وحيث للزمان مع كونها للمكان وقرئ على مكاناتكم اي عامل
اي على مكانتي فحذف للاختصار والمبالغة في الوعيد والاشعار بان حاله لا تزال تتزايد في
قوة بنصر الله عز وجل وتاييده ولذلك توعدهم بكونه منصورا عليهم في القارين بقوله تعالى
فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه فان خزي اعدائه دليل غلبته عليه اللهم وقد عذبهم الله
تعالى واخزاهم يوم بدر ويحل عليه عذاب مقيم اي دائم هو عذاب النار انا انزلنا عليك
الكتاب للناس لاجلهم فانه مناط مصالحهم في المعاش والمعاد بالحق حال من فاعل انزلنا
او من مفعوله فمن اهتدى بان عمل بما فيه فلنفسه اي انما نفع به نفسه ومن ضل بان لم يعمل
بموجبه فانما يضل عليها لا ان وبال ضلاله مقصور عليها وما انت عليهم بوكيل لتجبرهم
على الهدى وما وظيفتك الا البلاغ وقد بلغت اي بلاغ الله يتوفى الانفس حين موتها
موتها والتي لم تمت في منامها اي يقبضها من الابدان بان يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها
اما ظاهرا وباطنا كما عند الموت او ظاهرا فقط كما عند النوم فيمسك التي قضى عليها
الموت ولا يردها الى البدن وقرئ قضى على البناء للمفعول ورفع الموت ويرسل الاخرى
اي النائمة الى بدنها عند التيقظ الى اجل مسمى هو الوقت المضروب لموته وهو غاية
لجنس الارسال الواقع بعد الامساك لا لفرد منه فان ذلك مما لا امتداد فيه ولا كمية
وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان في ابن آدم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس
هي التي بها العقل والتمييز والروح هي التي بها النفس والتحرك فتتوفيان عند الموت
ويتوفى النفس وحدها عند النوم قريب مما ذكرنا ان في ذلك اي فيما ذكر من التوفي على الوجهين
والامساك في احدهما والارسال في الآخر لآيات بينة دالة على كمال قدرته تعالى وحكمته وشمول

وشمول رحمته لقوم يتفكرون في كيفية تعلقها بالابدان وتوفيها عنها تارة بالكلية كما عند الموت وامساكها
باقية لا تفنى بفنائها عنها وما يعتريها من السعادة والشقاوة واخرى عن ظواهرها فقط كما عند النوم
وارسالها حينا بعد حين الى انقضاء آجالها ام اتخذوا اي بل اتخذ قريش من دون الله من دونه اذنه
تعالى شفعاء تشفع لهم عنده تعالى قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون الهمزة للانكار الواقع واستقباحه
والتوبيخ عليه اي قل اتتخذونهم شفعاء ولو كانوا لا يملكون شيئا من الاشياء ولا يعقلونه فضلا
عن ان يملكوا الشفاعة عند الله تعالى او هي للانكار الوقوع ونفيه على ان المراد بيان ان ما فعلوا ليس
من اتخاذ الشفعاء في شيء لانه فرع كون الاوثان شفعاء وذلك اظهر المحالات فالمقدح غير ما قدر
اولا وعلى اي تقدير كان فالواو للعطف على شرطية قد حذفت لدلالة المذكورة عليها اي ايشفعون لو
كانوا لا يملكون شيئا ولو كانوا لا يملكون الخ وجواب لو محذوف لدلالة المذكور عليه وقد مر تحقيقه مرارا
قل بعد تبكيتهم وتجهيلهم باذكر تحقيقا للحق لله الشفاعة جميعا اي هو مالكها لا يستطيع احد شفاعة
ما الا ان يكون المشفوع له مرتضى والشفيع ماذونا له وكلاهما مفقود ههنا وقوله تعالى له ملك السموات
والارض تقرير له وتاكيد اي ملكها وما فيهما من المخلوقات لا يملك احد ان يتكلم في امر من امور ه بدون
اذنه ورضاه ثم اليه ترجعون يوم القيمة لا الى احد سواه لا استقلالا ولا اشتراكا فيفعل يومئذ ما تريد
واذا ذكر الله وحده دون الهتهم اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة اي انقبضت ونفرت
كما في قوله تعالى واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا واذا ذكر الذين من دونه
فرادى اومع ذكر الله تعالى اذا هم يستبشرون لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله تعالى ولقد توغل
في بيان حالهم العجيبتين حيث بين الغاية فيهما فان الاستبشار هو ان يمتلئ القلب سرورا حتى ينبسط
له بشرة الوجه والاشمئزاز ان يمتلئ غيظا وغما ينقبض منه ادیم الوجه والعامل في اذا الاولى
اشمأزت وفي الثانية ما هو العامل في اذا المفاجاة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجؤا وقت
الاستبشار قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اي التجأ اليك في
الدعاء لما تحيرت في امر الدعوة وصحبت من شدة شكيمتهم في المكابرة والعناد فانه القادر على
الاشياء بتمامها والعالم بالاهوال برمتها انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون
اي تحكما يسلم كل مكابر معاند ويخضع له كل عات مارد وهو العذاب الدنيوي او الاخروي
وقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا الخ كلام مستانف مسوق لبيان اقدار
الحكم الذي استدعاه البتي عليه اللهم وغاية شدته وفظاعته اي لو ان لهم جميع ما في الدنيا
من الاموال والذخائر ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة اي لجعلوا
كل ذلك فدية لانفسهم من العذاب الشديد وهيهات ولات حين مناص وبدا لهم من الله
وعيد شديد واخناط كلهم من الخلاص وبدى لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون اي ظهر
لهم من فنون العقوبات ما لم يكن في حسابهم وهذه غاية من الوعيد لا غاية ورا ها ونظيره في
الوعيد قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وبدى لهم سيئات ما كسبوا
سيئات اعمالهم او كسبهم حين يعرض عليهم صحائفهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن اي

وانا حال المؤمن عند خروج نفسه ... وانا حال الكافر عند خروج نفسه ... ثم قرأ ... الآية ... وانا حال المؤمن عند خروج نفسه ... ثم قرأ ... الآية

احاط بهم جزاؤه فاذا مس الانسان ضر دعانا اخبار عن الجنس بما يفعله غالب افراده والفاء
لترتيب ما بعدها من المناقضة والتعكيس على ما مر من حالتيهم القبيحتين وما بينهما اعتراض مؤكد
للانكار عليهم اي انهم يشمئزون عن ذكر الله تعالى ويستبشرون بذكر الالهة فاذا مسهم ضر دعوا
من اشمأزوا عن ذكره دون من استبشروا بذكره ثم اذا خولناه نعمة منا اعطيناه اياها
تفضلا فان التخويل مختص به لا يطلق على ما اعطي جزاء قال انما اوتيته على علم اي على علم
مني بوجوه كسبه او باي شيء اعطاه لما لي من الاستحقاق او على علم من الله تعالى بي وباستحقاقي
والهاء لما ان جعلت موصولة والا فلنعمة والتذكير لما ان المراد شيء من النعمة بل هي
فتنة اي محنة وابتلاء له ايشكر ام يكفر وهو رد لما قاله وتغيير السبك للمبالغة فيه والايذان
بان ذلك ليس من باب الايتاء المنبئ عن الكرامة وانما هو امر مباين له بالكلية وتانيث الضمير
باعتبار لفظ النعمة او باعتبار الخبر وقرئ بالتذكير ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الامر كذلك
وفيه دلالة على ان المراد بالانسان هو الجنس قد قالها الذين من قبلهم الهاء لقوله انما
اوتيته على علم لانها كلمة او جملة وقرئ بالتذكير والموصول عبارة عن قارون وقومه حيث
قال انما اوتيته على علم عندي وهم راضون به فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع
الدنيا ويجمعون منه فاصابهم سيئات ما كسبوا جزاء سيئات اعمالهم او اجزية ما
كسبوا وتسميتها سيئات لانها في مقابلة سيئاتهم وجزاء سيئة سيئة مثلها والذين
ظلموا من هؤلاء المشركين ومن للبيان او للتبعيض اي افرطوا في الظلم والعتو
سيصيبهم سيئات ما كسبوا من الكفر والمعاصي كما اصاب اولئك والسين للتاكيد
وقد اصابهم اي اصابة حيث قحطوا سبع سنين وقتل صناديدهم يوم بدر وما هم
بمعجزين اي فائتين اولم يعلموا اي اقالوا ذلك ولم يعلموا او اعقلوا ولم يعلموا ان الله
يبسط الرزق لمن يشاء ان يبسطه له ويقدر لمن يشاء ان يقدره له من غير ان
يكون لاحد مدخل ما في ذلك حيث حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسطه لهم سبعا ان في ذلك
الذي ذكر لآيات دالة على ان الحوادث كافة من الله عز وجل لقوم يؤمنون اذ هم
المستدلون بها على مدلولاتها قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم اي افرطوا
في الجناية عليها بالاسراف في المعاصي واضافة العباد تخصصه بالمؤمنين على ما هو عرف القرآن
الكريم لا تقنطوا من رحمة الله لا تيأسوا من مغفرته اولا وتفضله ثانيا ان الله
يغفر الذنوب جميعا عفوا لمن يشاء ولو بعد حين بتعذيب في الجملة وبغيره حسبما يشاء
وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر كيف لا وقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء ظاهر في الاطلاق فيما عدا الشرك ومما يدل عليه التعليل بقوله تعالى
انه هو الغفور الرحيم على المبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم ما يستدعي
عموم المغفرة مما في عبادي من الدلالة على الذلة والاختصاص المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر الاسراف
بانفسهم والنهي عن القنوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة واطلاقها وتعليله بان الله يغفر الذنوب

الذنوب ووضع الاسم الجليل موضع الضمير لدلالته على انه المستغني والمنعم على الاطلاق والتاكيد
بالجميع وما روي من اسباب النزول الدالة على ورود الآية فيمن تاب لا يقتضي اختصاص الحكم بهم ووجوب
حمل المطلق على المقيد في كلام واحد مثل اكرم الفضلاء اكرم الكاملين غير مسلم فكيف فيما هو بمنزلة
كلام واحد ولا يخل بذلك الامر بالتوبة والاخلاص في قوله تعالى وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان
يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون اذ ليس المدعى ان الآية تدل على حصول المغفرة لكل احد من غير توبة
وسبق تعذيب لتغني عن الامر بهما وتنافي الوعيد بالعذاب واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم
اي القرآن او المامور به دون المنهي عنه او العزائم دون الرخص او الناسخ دون المنسوخ ولعله ما هو
انجى واسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون
بمجيئه لتتداركوا وتتاهبوا له ان تقول نفس اي كراهة ان تقول والتنكير للتكثير كما في قوله تعالى علمت
نفس ما احضرت فانه مسلك ربما يسلك عند ارادة التكثير والتعميم وقد مر تحقيقه في مطلع سورة الحجر
يا حسرتا بالالف بدلا من ياء الاضافة وقرئ يا حسرتاه بهاء السكت وقفا وقرئ يا حسرتاي بالجمع
بين العوضين وقرئ يا حسرتي على الاصل اي احضري فهذا اوان حضورك على ما فرطت اي على تفريطي
وتقصيري في جنب الله اي جانبه وفي حقه وطاعته وعليه قول من قال اما تتقين الله في جنب وامق له كبد
حرى وعين ترقرق وهو كناية فيها مبالغة وقيل في ذات الله تعالى على تقدير مضاف كالطاعة وقيل
في قربه من قوله تعالى والصاحب بالجنب وقرئ في ذكر الله وان كنت لمن الساخرين اي المستهزئين
بدين الله تعالى واهله ومحل الجملة النصب على الحال اي فرطت وانا ساخر او تقول لو ان الله هداني
بالارشاد الى الحق لكنت من المتقين من الشرك والمعاصي او تقول حين ترى العذاب لو ان
لي كرة رجعة الى الدنيا فاكون من المحسنين في العقيدة والعمل واو للدلالة على انها لا تخلو عن هذه
الاقوال تحسرا وتحيرا وتعللا بما لا طائل تحته وقوله تعالى بل قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت
وكنت من الكافرين رد من الله تعالى عليه لما تضمنه قوله تعالى لو ان الله هداني من معنى النفي وفصله عنه
لما ان تقديمه يفرق القرائن وتاخير المردود يخل بالترتيب الوجودي لانه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية
ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع تاثير قدرة الله تعالى في فعل العبد ولا ما فيه من اسناد الفعل اليه كما عرفت
وتذكير الخطاب باعتبار المعنى وقرئ بالتانيث ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله بان وصفوه
بما لا يليق بشانه كاتخاذ الولد وجوههم مسودة لما ينالهم من الشدة او بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل
والجملة حال قد اكتفي فيها بالضمير عن الواو على ان الرؤية بصرية او مفعول ثان لها على انها عرفانية
اليس في جهنم مثوى اي مقام للمتكبرين عن الايمان والطاعة وهو تقرير لما قبله من رؤيتهم كذلك
وينجي الله الذين اتقوا الشرك والمعاصي اي من جهنم وقرئ ينجي من الانجاء بمفازتهم مصدر ميمي
اما من فاز بالمطلوب او ظفر به والباء متعلقة بمحذوف هو حال من الموصول مفيدة لمقارنة تنجيتهم
لنيل الثواب اي ينجيهم الله تعالى من مثوى المتكبرين ملتبسين بفوزهم بمطلوبهم الذي هو الجنة وقوله تعالى
لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون اما حال اخرى من الموصول او من ضمير مفازتهم مفيدة لكون نجاتهم او
فوزهم بالجنة غير مسبوقة بمساس العذاب والحزن واما من فاز منه اي نجا منه والباء للملابسة وقوله تعالى

لا يمسهم الخ تفسير وبيان لمفازتهم اي ينجيهم الله تعالى ملتبسين بنجاتهم الخاصة بهم اي بنفي السوء
والحزن عنهم او للسببية اما على حذف المضاف اي ينجيهم بسبب مفازتهم التي هي تقواهم كما يشعر
به ايراده في حيز الصلة واما على اطلاق المفازة على سببها الذي هو التقوى وليس المراد نفي دوام
المساس والحزن بل دوام نفيهما كما مر مرارا الله خالق كل شيء من خير وشر وايمان وكفر لكن لا بالجبر بل
بمباشرة الكاسب لاسبابهما وهو على كل شيء وكيل يتولى التصرف فيه كيفما يشاء له مقاليد السموات
والارض لا يملك امرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره وهو عبارة عن قدرته تعالى وحفظه لها وفيها مزيد
دلالة على الاستقلال والاستبداد لان الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف فيها الا من بيده مفاتيحها
وهو جمع مقليد او مقلاد من قلدته اذا الزمته وقيل جمع اقليد معرب كليد على الشذوذ كالمذاكير
وعن عثمان رض انه سأل النبي عليه السلم عن المقاليد فقال عليه السلم تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان
الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم هو الاول والآخر والظاهر
والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير والمعنى على هذا ان لله هذه الكلمات
يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها اصابه والذين كفروا بآيات
الله اولئك هم الخاسرون متصل بما قبله والمعنى ان الله تعالى خالق لجميع الاشياء ومتصرف فيها
كيفما يشاء بالاحياء والاماتة بيده مقاليد العالم العلوي والسفلي والذين كفروا بآياته التكوينية
المنصوبة في الآفاق والانفس والتنزيلية التي من جملتها هاتيك الآيات الناطقة بذلك هم الخاسرون
خسرانا لا خسار وراءه هذا وقيل هو متصل بقوله تعالى وينجي الله وما بينهما اعتراض فتدبر قل افغير الله
تأمروني اعبد ايها الجاهلون اي ابعد مشاهدة هذه الآيات غير الله اعبد وتأمروني اعتراض
للدلالة على انهم امروه به عقيب ذلك وقالوا استلم بعض آلهتنا نؤمن بالهك لفرط غباوتهم
ويجوز ان ينتصب غير بما يدل عليه تأمروني اعبد لانه بمعنى تعبدونني وتقولون لي اعبد على ان اصله
تأمرونني ان اعبد فحذف ان ورفع ما بعدها كما في قوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى وان
اشهد اللذات هل انت مخلدي ويؤيده قراءة اعبد بالنصب وقرئ تأمرونني باظهار
النونين على الاصل وبحذف الثانية ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك اي من الرسل عليهم السلم
لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين كلام وارد على طريقة الفرض لتهييج الرسل واقناط
الكفرة والايذان بغاية شناعة الاشراك وقبحه وكونه بحيث ينهى عنه من لا يكاد يمكن ان يباشره
فكيف بمن عداه وافراد الخطاب باعتبار كل واحد واللام الاولى موطئة للقسم والاخريان للجواب
واطلاق الاحباط يحتمل ان يكون من خصائصهم لان الاشراك منهم اشد واقبح وان يكون مقيدا
بالموت كما صرح به في قوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم و
عطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب بل الله فاعبد رد لما امروه ولولا دلالة التقديم
على القصر لم يكن كذلك وكن من الشاكرين انعامه عليك وفيه اشارة الى ما يوجب الاختصاص ويقتضيه
وما قدروا الله حق قدره ما قدروا عظمته تعالى في انفسهم حق عظمته حيث جعلوا له شريكا ووصفوه
بما لا يليق بشؤونه الجليلة وقرئ بالتشديد والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات

بيمينه تنبيه على غاية عظمته وكمال قدرته وحقارة الافعال العظام التي تتحير فيها الاوهام بالنسبة
الى قدرته تعالى ودلالة على ان تخريب العالم اهون شيء عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير
اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم شابت لمة الليل والقبضة المرة من القبض
اطلقت بمعنى القبضة وهي المقدار المقبوض بالكف قسمية بالمصدر او بتقدير ذات قبضة
وقرئ بالنصب على الظرف تشبيها للموقت بالمبهم وتأكيد الارض بالجميع لان المراد بها الارضون
السبع او جميع ابعاضها البادية والغائرة وقرئ مطويات على انها حال والسموات معطوفة
على الارض منظومة في حكمها سبحانه وتعالى عما يشركون ما ابعد وما اعلى من هذه قدرته وعظمته
عن اشراكهم او عما يشركونه من الشركاء ونفخ في الصور هي النفخة الاولى فصعق من في السموات
ومن في الارض اي خروا امواتا او مغشيا عليهم الا من شاء الله قيل هم جبريل وميكائيل
واسرافيل فانهم لا يموتون بعد وقيل حملة العرش ثم نفخ فيه اخرى نفخة اخرى هي النفخة
الثانية واخرى يحتمل النصب والرفع فاذا هم قيام قائمون من قبورهم او متوقفون وقرئ
بالنصب على ان الخبر ينظرون وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون ابصارهم في الجوانب كالمبهوتين
او ينتظرون ما يفعل بهم واشرقت الارض بنور ربها بما اقام فيها من العدل استعير له النور لانه
يزين البقاع ويظهر الحقوق كما يسمى الظلم ظلمة وفي الحديث الظلم ظلمات يوم القيمة ولذلك
اضيف الاسم الجليل الى ضمير الارض او بنور خلقه فيها بلا توسط اجسام مضيئة ولذلك اضيف
الى الاسم الجليل ووضع الكتاب الحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة
بين يديه او صحائف الاعمال في ايدي العمال واكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ
يقابل به الصحائف وجيء بالنبيين والشهداء للامم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل
المستشهدون وقضي بينهم بين العباد بالحق وهم لا يظلمون بنقص ثواب او زيادة عقاب
على ما جرى به الوعد ووفيت كل نفس ما عملت اي جزاءه وهو اعلم بما يفعلون فلا يفوته شيء من
افعالهم وقوله تعالى وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا الخ تفصيل للتوفية وبيان لكيفيتها اي سيقوا
اليها بالعنف والاهانة افواجا متفرقة بعضها في اثر بعض مترتبة حسب ترتب طبقاتهم في
الضلالة والشرارة والزمر جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة
لا تخلو عنه حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها ليدخلوها وحتى هي التي تحكى بعدها الجملة وقرئ
بالتشديد وقال لهم خزنتها تقريعا وتوبيخا الم يأتكم رسل منكم من جنسكم وقرئ نذر
منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا اي وقتكم هذا وهو وقت دخولهم
النار وفيه دليل على انه لا تكليف قبل الشرع من حيث انهم عللوا توبيخهم باتيان الرسل
وتبليغ الكتب قالوا بلى قد اتونا وانذرونا ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين حيث
قال الله تعالى لابليس لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وقد كنا ممن تبعه وكذبنا
الرسل وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا تكذبون قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين
فيها اي مقدرا خلودكم فيها وابهام القائل لتهويل المقول فبئس مثوى المتكبرين اللام للجنس

والمخصوص بالذم محذوف ثقة بذكره آنفا اى فبئس مثواهم جهنم ولا يقدح ما فيه من الاشعار
بان كون مثواهم جهنم لتكبرهم عن الحق فى ان دخولهم النار لسبق كلمة العذاب عليهم فانها انما
حقت عليهم بناء على تكبرهم وكفرهم وقد مر تحقيقه فى سورة الم السجدة وسيق الذين اتقوا ربهم
الى الجنة مساق اعزاز وتشريف للاسراع بهم الى دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب
بهم الا راكبين زمرا متفاوتين حسب تفاوت مراتبهم فى الفضل وعلو الطبقة حتى اذا جاؤها و
فتحت ابوابها وقرئ بالتشديد وجواب اذا محذوف للايذان بان لهم ح من فنون الكرامات
ما لا يحدق به نطاق العبارات كانه قيل حتى اذا جاؤها وقد فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها
سلام عليكم من جميع المكاره والآلام طبتم طهرتم من دنس المعاصى او طبتم نفسا بما اتيح لكم
من النعيم فادخلوها خالدين كان ما كان مما يقصر عنه البيان وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده
بالبعث والثواب واورثنا الارض يريد المكان الذى استقروا فيه على الاستعارة وايراثها
تمليكها مخلفة عليهم من اعمالهم او تمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه نتبوء من الجنة
حيث نشاء اى يتبوء كل واحد منا فى اى مكان اراده من جنته الواسعة على ان فيها مقامات
معنوية لا يتمانع واردوها فنعم اجر العاملين الجنة وترى الملئكة حافين محدقين من حول العرش
اى حوله ومن مزيدة او لابتداء الحقوق يسبحون بحمد ربهم اى ينزهونه تعالى عما لا يليق ملتبسين
بحمده والجملة حال ثانية او مقيدة للاولى والمعنى ذاكرين له تعالى بوصفى جلاله واكرامه تلذذا به وفيه
اشعار بان اقصى درجات العليين واعلى لذائذهم هو الاستغراق فى شؤونه عز وجل
وقضى بينهم بالحق اى بين الخلق بادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة او بين الملائكة باقامتهم
فى منازلهم على حسب تفاضلهم وقيل الحمد لله رب العالمين اى على ما قضى بيننا بالحق وانزل
كلا منا منزلته التى هى حقه والقائلون هم المؤمنون ممن قضى بينهم والملائكة وطى ذكرهم
لتعينهم وتعظيمهم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله تعالى رجاءه يوم
القيمة واعطاه ثواب الخائفين وعن عائشة رضى الله عنها انه عليه السلم كان يقرأ كل ليلة بنى اسرائيل والزمر

سورة مؤمن

بسم الله الرحمن الرحيم

حم بتفخيم الالف وتسكين الميم وقرئ بامالة الالف باخراجها بين بين وبفتح الميم
لالتقاء الساكنين او نصبها باضمار اقرأه ونحوه ومنع الصرف للتعريف والتانيث
او للتعريف وكونها على زنة قابيل وهابيل وبقية الكلام فيه وفى قوله تعالى تنزيل الكتاب
كالذى سلف فى الم السجدة وقوله تعالى من الله العزيز العليم كما فى مطلع سورة الزمر فى الوجوه
كلها ووجه التعرض لنعتى العزة والعلم ما ذكر هناك غافر الذنب وقابل التوب
شديد العقاب ذى الطول اما صفات اخر لتحقيق ما فيها من الترغيب والترهيب
والحث على ما هو المقصود والاضافة فيها حقيقية على انه لم يرد بها زمان مخصوص واريد
بشديد العقاب مشدده او الشديد عقابه بحذف اللام للازدواج وامن الالتباس او

او ابدال وجعله وحده بدلا كما فعله الزجاج مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الاولين
لافادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة او تغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد
او تغاير موقع الفعلين لان الغفر هو الستر مع بقاء الذنب وذلك لمن لم يتب فان
التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل هو جمعها والطول
الفضل بترك العقاب المستحق وفى توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة
دليل سبقها ورجحانها لا اله الا هو فيجب الاقبال الكلى على طاعته فى اوامره ونواهيه
اليه المصير فحسب لا الى غيره لا استقلالا ولا اشتراكا فيجازى كلا من المطيع و
المعاصى ما يجادل فى آيات الله اى بالطعن فيها واستعمال المقدمات الباطلة لادحاض
الحق كقوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق الا الذين كفروا بها واما الذين
آمنوا فلا يخطر ببالهم شائبة شبهة منها فضلا عن الطعن فيها واما الجدال فيها لحل
مشكلاتها وكشف معضلاتها واستنباط حقايقها الكلية وتوضيح مناهج الحق فى مضايق
الافهام ومزالق الاقدام وابطال شبه اهل الزيغ والضلال فمن اعظم الطاعات
ولذلك قال عليه السلم ان جدالا فى القرآن كفر بالتنكير للفرق بين جدال وجدال والفاء فى قوله تعالى
فلا يغررك تقلبهم فى البلاد لترتيب النهى او وجوب الانتهاء على ما قبلها من التسجيل
عليهم بالكفر الذى لا شئ امقت منه عند الله تعالى ولا اجلب لخسران الدنيا والآخرة فان
من تحقق ذلك لا يكاد يغتر بما لهم من حظوظ الدنيا وزخارفها فانهم ماخوذون عما
قليل اخذ من قبلهم من الامم حسبما ينطق به قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب
من بعدهم اى الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم بعد قوم نوح مثل عاد وثمود واحزابهم
وهمت كل امة من تلك الامم العاتية برسولهم وقرئ برسولها ليأخذوه ليتمكنوا منه
فيصيبوا به ما ارادوا من تعذيب او قتل من الاخذ بمعنى الاسر وجادلوا بالباطل الذى
لا اصل ولا حقيقة له اصلا ليدحضوا به الحق الذى لا محيد عنه كما فعل هؤلاء فاخذتهم
بسبب ذلك اخذ عزيز مقتدر فكيف كان عقاب الذى عاقبتهم به فان آثار دمارهم عرضة
للناظرين ولآخذن هؤلاء ايضا لاتحادهم فى الطريقة واشراكهم فى الجريرة كما ينبئ عنه
قوله تعالى وكذلك حقت كلمة ربك اى كما وجب وثبت حكمه تعالى وقضاؤه بالتعذيب
على اولئك الامم المكذبة المتحزبة على رسلهم المجادلة بالباطل لادحاض الحق به وجب
ايضا على الذين كفروا اى كفروا بك وتحزبوا عليك وهموا بما لم ينالوا كما ينبئ عنه اضافة اسم
الرب عليهم من احكام تربيته التى من جملتها نصرته عليه السلم وتعذيب اعدائه وذلك انما
يتحقق بكون الموصول عبارة عن كفار قومه لا عن الامم المهلكة وقوله تعالى انهم اصحاب النار
فى حيز النصب بحذف لام التعليل اى لانهم مستحقوا اشد العقوبات وافظعها التى هى
عذاب النار وملازموها ابدا لكونهم كفارا معاندين متحزبين على الرسول عليه السلم كداب من قبلهم
من الامم المهلكة فهم لسائر فنون العقوبات اشد استحقاقا واحق استيجابا وقيل هو فى

محل الرفع على انه بدل من كلمة ربك والمعنى مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة المهلكة لكونهم
من اصحاب النار اى كما وجب اهلاكهم فى الدنيا بعذاب الاستيصال كذلك وجب
تعذيبهم بعذاب النار فى الآخرة ومحل الكاف على التقديرين النصب على انه نعته لمصدر
محذوف الذين يحملون العرش ومن حوله وهم اعلى طبقات الملئكة عليهم السلم واولهم
وجودا وحملهم اياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له وكناية عن زلفاهم
من ذى العرش جل جلاله ومكانتهم عنده ومحل الموصول الرفع على الابتداء خبره يسبحون
بحمد ربهم والجملة استيناف مسوق لتسلية رسول الله صلعم ببيان ان اشراف
الملائكة عليهم السلم مثابرون على ولاية من معه من المؤمنين ونصرتهم واستدعاء ما يسعدهم
فى الدارين اى ينزهونه تعالى عن كل ما لا يليق بشانه الجليل ملتبسين بحمده على نعمائه التى
لا تتناهى ويؤمنون به ايمانا حقيقيا بحالهم والتصريح به مع الغنى عن ذكره راسا لاظهار
فضيلة الايمان وابراز شرف اهله والاشعار بعلة دعائهم للمؤمنين حسبما ينطق به
قوله تعالى ويستغفرون للذين آمنوا فان المشاركة فى الايمان اقوى المناسبات واتمها وادعى
الدواعى الى النصح والشفقة وفى نظم استغفارهم لهم فى سلك وظائفهم المفروضة عليهم من
تسبيحهم وتحميدهم وايمانهم ايذان بكمال اعتنائهم به واشعار بوقوعه عند الله تعالى فى
موقع القبول روى ان حملة العرش ارجلهم فى الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت
العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبى عليه السلم لا تتفكروا فى عظم ربكم ولكن تفكروا
فيما خلق الله من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش
على كاهله وقدماه فى الارض السفلى وقد مرق راسه من سبع سموات وانه ليتضاءل
من عظمة الله حتى يصير كانه الوصع وفى الحديث ان الله امر جميع الملائكة ان يغدوا
ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائرهم وقيل خلق الله تعالى
العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين الف
عام وقيل حول العرش سبعون الف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين
ومن ورائهم سبعون الف صف قيام قد وضعوا ايديهم على عواتقهم رافعين
اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة الف صف قد وضعوا ايمانهم على الشمائل
ما منهم احد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر ربنا على ارادة القول اى يقولون ربنا على
انه اما بيان لاستغفارهم او حال وسعت كل شىء رحمة وعلما اى وسعت رحمتك
وعلمك فازيل عن اصله للاغراق فى وصفه تعالى بالرحمة والعلم والمبالغة فى عمومهما وتقديم
الرحمة لانها المقصودة بالذات ههنا والفاء فى قوله تعالى فاغفر للذين تابوا واتبعوا
سبيلك اى للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق لترتيب الدعاء على ما قبلها من
سعة الرحمة والعلم وقهم عذاب الجحيم واحفظهم عنه وهو تصريح بعد اشعار للتاكيد ربنا وادخلهم
عطف على قهم وتوسيط النداء بينهما للمبالغة فى الجوار جنات عدن التى وعدتهم اى وعدتهم اياها

اياها وقرئ جنة عدن ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم اى صلاحا مصححا لدخول الجنة
فى الجملة وان كان دون صلاح اصولهم وهو عطف على الضمير الاول اى وادخلها معهم هؤلاء
ليتم سرورهم ويتضاعف ابتهاجهم او على الثانى لكن لا بناء على الوعد العام للكل كما قيل اذ لا يبقى
حينئذ للعطف وجه بل بناء على الوعد الخاص بهم بقوله تعالى الحقنا بهم ذريتهم بان يكونوا اعلى درجة
من ذريتهم قال سعيد بن جبير يدخل المؤمن الجنة فيقول اين ابى اين ولدى اين زوجى فيقال انهم
لم يعملوا مثل عملك فيقول انى كنت اعمل لى ولهم فيقال ادخلوهم الجنة وسيق الوعد بالادخال و
الالحاق لا يستدعى حصول الموعود بلا توسط شفاعة واستغفار وعليه مبنى قول من قال فائدة
الاستغفار زيادة الكرامة والثواب والاول هو الاولى لان الدعاء بالادخال فيه صريح وفى الثانى
ضمنى وقرئ صلح بالضم وذريتهم بالافراد انك انت العزيز اى الغالب الذى لا يمتنع عليه مقدور الحكيم
اى الذى لا يفعل الا ما يقتضيه الحكمة الباهرة من الامور التى من جملتها انجاز الوعد فالجملة تعليل لما قبلها
وقهم السيئات اى العقوبات لان جزاء السيئة سيئة او جزاء السيئات على حذف المضاف وهو
تعميم بعد التخصيص او مخصوص بالاتباع او المعاصى فى الدنيا فمعنى قوله تعالى ومن تق السيئات يومئذ فقد
رحمته ومن تقه المعاصى فى الدنيا فقد رحمته فى الآخرة كانهم طلبوا لهم السبب بعد ما سالوا المسبب
وذلك اشارة الى الرحمة المفهومة من رحمته او اليها والى الوقاية وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا
من الاشعار ببعد درجة المشار اليه هو الفوز العظيم الذى لا مطمع وراءه لطامع ان الذين كفروا
شروع فى بيان احوال الكفرة بعد دخولهم النار بعد ما بين فيما سبق انهم اصحاب النار ينادون اى
من مكان بعيد وهم فى النار وقد مقتوا انفسهم الامارة بالسوء التى وقعوا فيما وقعوا باتباع هواها
او مقت بعضهم بعضا من الاحباب كقوله تعالى يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا اى ابغضوها
اشد البغض وانكروها ابلغ الانكار واظهروا ذلك على رؤس الاشهاد فيقال لهم عند ذلك لمقت الله
اكبر من مقتكم انفسكم اى لمقت الله انفسكم الامارة بالسوء ومقته اياكم فى الدنيا اذ تدعون من
جهة الانبياء الى الايمان فتابون قبوله فتكفرون اتباعا لانفسكم الامارة ومسارعة الى هواها او
اقتداء باخلائكم المضلين واستحبابا لارائهم اكبر من مقتكم انفسكم الامارة او من مقت بعضكم
بعضا اليوم فاذ ظرف للمقت الاول وان توسط بينهما الخبر لما فى الظروف من الاتساع وقيل
لمصدر آخر مقدر اى مقته اياكم تدعون وقيل مفعول لاذكروا والاول هو الوجه وقيل كلا المقتين
فى الآخرة واذ تدعون تعليل لما بين الظرف والسبب من علاقة اللزوم والمعنى لمقت الله اياكم
الآن اكبر من مقتكم انفسكم لما كنتم تدعون الى الايمان فتكفرون وتخصيص هذا الوجه بصورة كون
المراد بانفسهم اضرابهم مما لا داعى اليه قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين صفتان لمصدرى
الفعلين المذكورين اى اماتتين او احيائين او موتتين وحياتين على انهما مصدران لهما ايضا
بحذف الزوائد او لفعلين يدل عليهما المذكوران فان الاماتة والاحياء ينبئان عن الموت
والحيوة حتما كانه قيل امتنا فمتنا موتتين اثنتين واحييتنا فحيينا حيوتين اثنتين على طريقة
قول من قال وعضته دهر يا ابن مروان لم تدع من المال الا مسحة او مجلف اى لم تدع فلم يبق

الا مسحة الخ قيل ارادوا بالاماتة الاولى خلقهم امواتا وبالثانية اماتتهم عند انقضاء آجالهم على
ان الاماتة جعل الشيء عادم الحيوة اعم من ان يكون بانشائه كذلك كما في قولهم سبحان من صغر
البعوض وكبر الفيل او بجعله كذلك بعد الحيوة وبالاحيائين الاحياء الاول واحياء البعث
وقيل ارادوا بالاماتة الاولى ما بعد حيوة الدنيا وبالثانية ما بعد حيوة القبر وبالاحيائين ما في
القبر وما عند البعث وهو الانسب بحالهم واما حديث لزوم الزيادة على النص ضرورة تحقق
حيوة الدنيا فمدفوع لكن لا بما قيل من عدم اعتدادهم بها لزوالها وانقضائها وانقطاع آثارها
واحكامها بل بان مقصودهم احداث الاعتراف بما كانوا ينكرونه في الدنيا كما ينطق به قولهم
فاعترفنا بذنوبنا والتزام العمل بموجب ذلك الاعتراف ليتوسلوا بذلك الى ما علقوا به اطماعهم
الفارغة من الرجع الى الدنيا كما قد صرحوا به حيث قالوا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون وهو الذي
ارادوه بقولهم فهل الى خروج من سبيل مع نوع استبعاد له واستشعار يأس منه
لا انهم قالوه بطريق القنوط البحت كما قيل ولا ريب في ان الذي كانوا ينكرونه ويفرعون عليه
فنون الكفر والمعاصي ليس الا الاحياء بعد الموت واما الاحياء الاول فلم يكونوا ينكرونه لينظموه في سلك
ما اعترفوا به وزعموا ان الاعتراف يجديهم نفعا وانما ذكروا الموتة الاولى مع كونهم معترفين بها في
الدنيا لتوقف حيوة القبر عليها وكذا حال الموتة في القبر فان مقصدهم الاصلي هو الاعتراف
بالاحيائين وانما ذكروا الاماتتين لترتبهما عليهما ذكرا حسب ترتبهما عليهما وجودا وتنكير سبيل
للابهام اي من سبيل ما كيف ما كان وقوله تعالى ذلكم الخ جواب لهم باستحالة حصول ما
يرجونه ببيان ما يوجبها من اعمالهم السيئة اي ذلكم الذي انتم فيه من العذاب مطلقا لا مقيدا
بالخلود كما قيل بانه اي بسبب ان الشان اذا دعي الله في الدنيا اي عبد وحده اي منفردا
كفرتم اي بتوحيده وان يشرك به تؤمنوا اي بالاشراك به وتسارعوا فيه وفي ايراد اذا وصيغة
الماضي في الشرطية الاولى وان وصيغة المضارع في الثانية ما لا يخفى من الدلالة على كمال سوء حالهم
وحيث كان حالكم كذلك فالحكم لله الذي لا يحكم الا بالحق ولا يقضي الا بما يقتضيه الحكمة
العلي الكبير الذي ليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
لا معقب لحكمه وقد حكم بانه لا مغفرة للمشرك ولا نهاية لعقوبته كما لا نهاية لشناعته فلا سبيل
لكم الى الخروج ابدا هو الذي يريكم آياته الدالة على شؤونه العظيمة الموجبة لتفرده بالالوهية
لتستدلوا بها على ذلك وتعملوا بموجبها فتوحدوه تعالى وتخصوه بالعبادة وينزل بالتشديد
وقرئ بالتخفيف من الانزال لكم من السماء رزقا اي سبب رزق وهو المطر وافراده
بالذكر مع كونه من جملة الآيات الدالة على كمال قدرته تعالى لتفرده بعنوان كونه من آثار رحمته
وجلائل نعمته الموجبة للشكر وصيغة المضارع في الفعلين للدلالة على تجدد الاراءة والتنزيل
واستمرارهما وتقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر غير مرة وما يتذكر بتلك الآيات الباهرة
ولا يعمل بمقتضاها الا من ينيب الى الله تعالى ويتفكر فيما اودعه في تضاعيف مصنوعاته من شواهد
قدرته الكاملة ونعمته الشاملة الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى ومن ليس كذلك فهو بمعزل من

من التذكر والاتعاظ فادعوا الله مخلصين له الدين اي اذا كان الامر كما ذكر من اختصاص
التذكر بمن ينيب فاعبدوه ايها المؤمنون مخلصين له دينكم بموجب انابتكم اليه تعالى وايمانكم به
ولو كره الكافرون ذلك وغاظهم اخلاصكم رفيع الدرجات نحو بديع السموات على انه صفة
مشبهة اضيفت الى فاعلها بعد النقل الى فعل بالضم كما هو المشهور وتفسيره بالرافع ليكون
من اضافة اسم الفاعل الى المفعول بعيد في الاستعمال اي رفيع درجات ملئكته اي معارجهم
ومصاعدهم الى العرش ذو العرش اي مالكه وهما خبران آخران لقوله تعالى هو اخبر عنه بهما
ايذانا بعلو شانه تعالى وعظم سلطانه الموجبين لتخصيص العبادة به واخلاص الدين له
اما بطريق الاستشهاد بهما عليهما فان ارتفاع معارج ملئكته الى العرش وكون العرش
العظيم المحيط باكناف العالم العلوي والسفلي تحت ملكوته وقبضة قدرته مما يقضي
بكون علو شانه وعظم سلطانه في غاية لا غاية وراءها واما بجعلهما عبارة عنهما بطريق المجاز
المتفرع على الكناية كالاستواء على العرش وتمهيدا لما يعقبهما من قوله تعالى يلقي الروح من
امره فانه خبر آخر لما ذكر مبني عن انزال الرزق الروحاني الذي هو الوحي بعد بيان انزال الرزق
الجسماني الذي هو المطر اي ينزل الوحي الجاري من القلوب منزلة الروح من الاجساد وقوله تعالى
من امره بيان للروح الذي اريد به الوحي فانه امر بالخير او حال منه اي حال كونه ناشئا ومبتدئا
من امره او صفة له على رأي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اي الروح الكائن من
امره او متعلق بيلقي ومن للسببية كالباء مثل ما في قوله تعالى مما خطيئاتهم اي يلقي الوحي بسبب
امره على من يشاء من عباده وهو الذي اصطفاه لرسالته وتبليغ احكامه اليهم لينذر
اي الله تعالى او الملقى عليه او الروح وقرئ لتنذر على ان الفاعل هو الرسول عليه السلام او الروح
لانها قد تؤنث يوم التلاق اما ظرف للمفعول الثاني اي لينذر الناس العذاب يوم التلاق
وهو يوم القيمة لانه يتلاقى فيه الارواح والاجساد واهل السموات والارض او هو المفعول
الثاني اتساعا او اصالة فانه من شدة هوله وفظاعته حقيق بالانذار اصالة وقرئ
لينذر على البناء للمفعول ورفع اليوم يوم هم بارزون بدل من يوم التلاق اي خارجون
من قبورهم او ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل او اكمة او بناء لكون الارض يومئذ
قاعا صفصفا ولا عليهم ثياب انما هم عراة مكشوفون كما جاء في الحديث يحشرون عراة
حفاة غرلا وقيل ظاهرة نفوسهم لا يحجبهم غواشي الابدان او اعمالهم وسرائرهم لا يخفى
على الله منهم شيء استيناف لبيان بروزهم وتقرير له وازاحة لما كان يتوهمه المتوهمون
في الدنيا من الاستتار توهما باطلا او خبر ثان وقيل حال من ضمير بارزون اي لا يخفى
عليه تعالى شيء ما من اعيانهم واعمالهم واحوالهم الجلية والخفية السابقة واللاحقة لمن الملك
اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يقع ح من السؤال والجواب بتقدير قول معطوف على
ما قبله من الجملة المنفية المستانفة او مستانف يقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية
بروزهم وظهور احوالهم كانه قيل فماذا يكون ح فقيل يقال الخ اي ينادي مناد لمن الملك اليوم

فيجيبه اهل المحشر لله الواحد القهار وقيل المجيب هو السائل بعينه لما روي انه يجمع الله الخلائق
يوم القيمة في صعيد واحد في ارض بيضاء كانها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فاول ما يتكلم
به ان ينادي مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقيل هي حكاية لما ينطق به لسان الحال
من تقطع اسبابه التصرفات المجازية واختصاص جميع الافاعيل بقبضة القدرة الالهية
اليوم تجزى كل نفس بما كسبت الخ من تتمة الجواب لبيان حكم اختصاص الملك به تعالى
ونتيجته التي هي الحكم السوي والقضاء بالحق او حكاية لما سيقوله تعالى يومئذ عقيب السؤال
والجواب اي تجزى كل نفس من النفوس البرة والفاجرة بما كسبت من خير او شر لا ظلم اليوم
بنقص ثواب او زيادة عذاب ان الله سريع الحساب اي سريع حسابه تماما اذ لا يشغله
تعالى شان عن شان فيحاسب الخلائق قاطبة في اقرب زمان كما نقل عن ابن عباس رض
انه تعالى اذا اخذ في حسابهم لم يقل اهل الجنة الا فيها ولا اهل النار الا فيها فيكون تعليلا
لقوله تعالى اليوم تجزى الخ فان كون ذلك اليوم بعينه يوم التلاق ويوم البروز ربما يوهم
استبعاد وقوع الكل فيه او سريع مجيبا فيكون تعليلا للانذار وانذرهم يوم الازفة
اي القيمة سميت بها لازوفها وهو القرب غير ان فيه اشعارا بضيق الوقت وقيل
الخطبة الازفة وهي مشارفة اهل النار دخولها وقيل وقت حضور الموت
كما في قوله تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم وقوله تعالى كلا اذا بلغت التراقي اذ القلوب
لدى الحناجر بدل من يوم الازفة فانها ترتفع من اماكنها فتلتصق بحلوقهم فلا تعود
فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا بالموت كاظمين على الغم حال من اصحاب القلوب على
المعنى اذ الاصل قلوبهم او من ضميرها في الظرف وجمع السلامة باعتبار ان الكظم من
احوال العقلاء كقوله تعالى فظلت اعناقهم لها خاضعين او من مفعول انذرهم على
انها حال مقدرة اي انذرهم مقدرا كظمهم او مشارفين الكظم ما للظالمين من حميم
اي قريب مشفق ولا شفيع يطاع اي لا شفيع مشفع على معنى نفي الشفاعة والطاعة
معا على طريقة قوله على لاحب لا يهتدى بمنان والضمائر ان عادت الى الكفار وهو الظاهر
فوضع الظالمين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم وتعليل الحكم به يعلم خائنة الاعين
النظرة الخائنة كالنظرة الثانية الى غير المحرم واستراق النظر اليه او خيانة الاعين
على انها مصدر كالعافية وما تخفي الصدور من الضمائر والاسرار والجملة خبر آخر مثل
يلقي الروح للدلالة على انه ما من خفي الا وهو متعلق العلم والجزاء والله يقضي بالحق
لان المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضي بشيء الا وهو حق وعدل والذين يدعون يعبدونهم
من دونه تعالى لا يقضون بشيء تهكم بهم لان الجماد لا يقال في حقه يقضي او لا يقضي وقرئ تدعون على الخطاب
التفاتا او على اضمار قل ان الله هو السميع البصير تقرير لعلمه تعالى بخائنة الاعين وقضائه بالحق ووعيد لهم
على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين كانوا من قبلهم اي مآل حال من قبلهم من الامم المكذبة لرسلهم كعاد وثمود واضرابهم كانوا هم اشد منهم

منهم قوة قدرة وتمكنا من التصرفات وانما جيء بضمير الفصل مع ان حقه التوسط بين معرفتين لمضاهاة
افعل من للمعرفة في امتناع دخول اللام عليه وقرئ اشد منكم بالكاف وآثارا في الارض مثل القلاع
الحصينة والمدائن المتينة وقيل المعنى واكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا فاخذهم الله بذنوبهم اخذا
وبيلا وما كان لهم من الله من واق اي من واق يقيهم عذاب الله ذلك اي ما ذكر من الاخذ بانهم بسبب
انهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات اي بالمعجزات او بالاحكام الظاهرة فكفروا فاخذهم الله
انه قوي متمكن مما يريد غاية التمكن شديد العقاب لا يؤبه عند عقابه بعقاب ولقد ارسلنا موسى
بآياتنا وهي معجزاته وسلطان مبين اي وحجة قاهرة وهي اما عين الآيات والعطف لتغاير
العنوانين واما بعض مشاهيرها كالعصا افردت بالذكر مع اندراجها تحت الآيات لانافتها افراد
جبريل وميكال به مع دخولهما في الملئكة عليهم السلم الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب
اي فيما اظهره من المعجزات وفيما ادعاه من رسالة رب العالمين فلما جاءهم بالحق من عندنا
وهو ما ظهر على يده من المعجزات القاهرة قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم
كما قال فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم اي اعيدوا عليهم ما كنتم تفعلونه اولا وكان
فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث عليه السلم واحس بانه قد وقع ما وقع اعاده عليهم غيظا
وحنقا وزعما منه انه يصدهم بذلك عن مظاهرته ظنا منهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة
بذهاب ملكهم على يده وما كيد الكافرين الا في ضلال اي في ضياع وبطلان لا يغني عنهم شيئا وينفذ
عليهم لا محالة القدر المقدور والقضاء المحتوم واللام اما للعهد والاظهار في موقع الاضمار
لذمهم بالكفر والاشعار بعلة الحكم او للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا والجملة اعتراض جيء به في
تضاعيف ما حكي عنهم من الاباطيل للمسارعة الى بيان بطلان ما اظهروه من الابراق والارعاد
واضمحلاله بالمرة وقال فرعون ذروني اقتل موسى كان ملاؤه اذا هم بقتله عليه السلم كفوه بقولهم ليس
هذا بالذي تخافه فانه اقل من ذلك واضعف وما هو الا بعض السحرة وبقولهم اذا قتلته ادخلت
على الناس شبهة واعتقدوا انك عجزت عن معارضته بالحجة وعدلت الى المقارعة بالسيف
والظاهر من دهاء اللعين ونكارته انه قد استيقن انه نبي وان ما جاء به آيات باهرة وما هو بسحر
ولكن كان يخاف ان هم بقتله ان يعاجل بالهلاك وكان قوله هذا تمويها على قومه وايهاما انهم
هم الكافون له عن قتله ولولاهم لقتله وما كان الذي يكفه الا ما في نفسه من الفزع الهائل وقوله تعالى
وليدع ربه تجلد منه واظهار لعدم المبالاة بدعائه ولكنه اخوف ما يخافه
اني اخاف ان لم اقتله ان يبدل دينكم اي يغير ما انتم عليه من الدين
الذي هو عبارة عن عبادة الاصنام لتقربهم اليه وان يظهر في الارض
الفساد ما يفسد دنياكم من التجارب والتهارج ان لم يقدر على تبديل
دينكم بالكلية وقرئ بالواو الجامعة وقرئ بفتح الياء والهاء ورفع الفساد
وقرئ يظهر بتشديد الظاء والهاء من تظهر بمعنى تظاهر اي تتابع
وتعاون وقال موسى اي لقومه حين سمع بما تقوله اللعين من حديث قتله عم

اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب صدر عليه السلم كلامه بان تاكيدا
له واظهارا لمزيد الاعتناء بمضمونه وفرط الرغبة فيه وخص اسم الرب المنبئ عن الحفظ و
التربية لانهما الذي يستدعيه واضافه اليه واليهم حثا لهم على موافقته في العياذ به تعالى والتوكل
عليه فان في تظاهر النفوس تاثيرا قويا في استجلاب الاجابة ولم يسم فرعون بل ذكره بوصف
يعمه وغيره من الجبابرة لتعميم الاستعاذة والاشعار بعلة القساوة والجراة على الله تعالى
وقرئ عدت بالادغام وقال رجل مؤمن من آل فرعون قيل كان قبطيا ابن عم لفرعون
امن بموسى سرا وقيل كان اسرائيليا او غريبا موحدا يكتم ايمانه اي من فرعون وملائه ا
اتقتلون رجلا اتقصدون قتله ان يقول لان يقول او كراهة ان يقول ربي الله اي وحده
من غير روية وتامل في امره وقد جاءكم بالبينات والحال انه قد جاءكم بالمعجزات الظاهرة التي
شاهدتموها وعهدتموها من ربكم اضافه اليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستنزالا
لهم عن رتبة المكابرة ثم اخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال فان يك كاذبا فعليه
كذبه لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج في دفعه الى قتله وان يك صادقا يصبكم بعض الذي
يعدكم اي ان لم يصبكم كله فلا اقل من اصابة بعضه لا سيما ان تعرضتم له بسوء وهذا كلام
صادر عن غاية الانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم من شقي الترديد كونه كاذبا او يصبكم ما
يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض ما يعدهم كانه خوفهم بما هو اظهر احتمالا عندهم وتفسير البعض
بالكل مستدلا بقول لبيد تراك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس حمامها مردود لما ان
مراده بالبعض نفسه ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب احتجاج آخر ذو وجهين احدهما
انه لو كان مسرفا كذابا لما هداه ان كان كذلك خذله الله واهلكه فلا حاجة لكم الى قتله ولعله اراهم
المعنى الثاني وهو عاكف على المعنى الاول لتلين شكيمتهم وقد عرض به لفرعون بانه مسرف كذاب
لا يهديه الله سبيل الصواب ومنهاج النجاة يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين غالبين عالين على
بني اسرائيل في الارض اي ارض مصر لا يقاومكم احد في هذا الوقت فمن ينصرنا من باس الله
من اخذه وعذابه ان جاءنا اي فلا تفسدوا امركم ولا تتعرضوا لباس الله بقتله فانه ان
جاءنا لم يمنعنا منه احد وانما نسب ما يسرهم من الملك والظهور في الارض اليهم خاصة ونظم
نفسه في سلكهم فيما يسوءهم من مجيء باس الله تعالى تطييبا لقلوبهم وايذانا بانه مناصح لهم ساع
في تحصيل ما يجديهم ودفع ما يرديهم سعيه في حق نفسه ليتاثروا بنصحه قال فرعون بعدما
سمع نصحه ما اريكم اي ما اشير عليكم الا ما ارى واستصوبه من قتله وما اهديكم بهذا الراي
الا سبيل الرشاد اي الصواب او لا اعلمكم الا ما اعلم ولا اسر عنكم خلاف
ما اظهره ولقد كذب حيث كان مستشعرا للخوف الشديد ولكنه كان يتجلد ولولاه
لما استشار احدا ابدا وقرئ بتشديد الشين للمبالغة من رشد كعلام او من رشد
كعباد لا من ارشد كجبار من اجبر لانه مقصور على السماع او للنسبة الى الرشد كعواج
وبتات غير منظور فيه الى فعل وقال الذي آمن مخاطبا لقومه يا قوم اني اخاف عليكم في تكذيبه

تكذيبه والتعرض له بالسوء مثل يوم الاحزاب مثل ايام الامم الماضية يعني وقائعهم وجمع
الاحزاب مع التفسير اغنى عن جمع اليوم مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود اي مثل جزاء
ما كانوا عليه من الكفر وايذاء الرسل والذين من بعدهم كقوم لوط وما الله يريد ظلما للعباد
فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلي الظالم منهم بغير انتقام وهو ابلغ من قوله تعالى وما ربك
بظلام للعبيد لما ان المنفي فيه ارادة ظلم ما فينتفي الظلم بطريق الاولوية يا قوم اني اخاف
عليكم يوم التناد خوفهم بالعذاب الاخروي بعد تخويفهم بالعذاب الدنيوي ويوم التناد يوم
القيمة لانه ينادي فيه بعضهم للاستغاثة او يتصايحون بالويل والثبور او يتنادى اصحاب
الجنة واصحاب النار حسبما حكي في سورة الاعراف وقرئ بتشديد الدال وهو ان يند
بعضهم من بعض كقوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه وعن الضحاك اذا سمعوا زفير النار ندوا
واهربا فلا ياتون قطرا من الاقطار الا وجدوا ملائكة صفوفا فبيناهم يموج بعضهم في بعض
اذ سمعوا مناديا اقبلوا الى الحساب يوم تولون مدبرين بدل من يوم التناد اي منصرفين
عن الموقف الى النار او فارين منها حسبما نقل آنفا ما لكم من الله من عاصم يعصمكم من
عذابه والجملة حال اخرى من ضمير تولون ومن يضلل الله فما له من هاد يهديه الى طريق
النجاة ولقد جاءكم يوسف هو يوسف بن يعقوب عليهما السلم على ان فرعونه فرعون موسى
او على نسبة احوال الآباء الى الاولاد وقيل سبطه يوسف بن ابرهيم بن يوسف الصديق
من قبل من قبل موسى بالبينات بالمعجزات الواضحة فما زلتم في شك مما جاءكم به من
الدين حتى اذا هلك بالموت قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ضما الى تكذيب رسالته
من بعده او جزما بان لا يبعث بعده رسول مع الشك في رسالته وقرئ الن يبعث
الله على ان بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث كذلك مثل ذلك الاضلال الفظيع يضل الله
من هو مسرف في عصيانه مرتاب في دينه شاك فيما يشهد به البينات لغلبة الوهم والا نهماك
في التقليد الذين يجادلون في آيات الله بدل من الموصول الاول او بيان له او صفة باعتبار
معناه كانه قيل كل مسرف مرتاب او المسرفين المرتابين بغير سلطان متعلق بيجادلون
اي بغير حجة صالحة للتمسك بها في الجملة اتاهم صفة سلطان كبر مقتا عند الله وعند
الذين آمنوا فيه ضرب من التعجب والاستعظام وفي كبر ضمير يعود الى من وتذكيره باعتبار
اللفظ وقيل الى الجدال المستفاد من يجادلون كذلك اي مثل ذلك الطبع الفظيع يطبع
الله على كل قلب متكبر جبار فيصدر عنه امثال ما ذكر من الاسراف والارتياب والمجادلة
بالباطل وقرئ بتنوين قلب ووصفه بالتكبر والتجبر لانه منبعهما وقال فرعون يا هامان ابن
لي صرحا اي بناء مكشوفا عاليا من صرح الشيء اذا ظهر لعلي ابلغ الاسباب اي الطرق اسباب
السموات بيان لها في ابهامها ثم ايضاحها تفخيم لسانها وتشويق للسامع الى معرفتها
فاطلع الى اله موسى بالنصب على جواب الترجي وقرئ بالرفع عطفا على ابلغ ولعله اراد
اذ بني له رصدا في موضع عال ليرصد منه احوال الكواكب التي هي اسباب سماوية تدل على

ارسال الله تعالى اياه او ان يرى فساد قوله عليه السلام بان اخباره من اله السماء يتوقف على
اطلاعه عليه ووصوله اليه وذلك لا يتاتى الا بالصعود الى السماء وهو مما لا يقوى عليه الانسان
وما ذاك الا لجهله بالله سبحانه وكيفية استنبائه وانى لاظنه كاذبا فيما يدعيه من الرسالة
وكذلك اى ومثل ذلك التزيين البليغ المفرط زين لفرعون سوء عمله فانهمك فيه انهماكا
لا يرعوى عنه بحال وصد عن السبيل اى سبيل الرشاد والفاعل فى الحقيقة هو الله تعالى
ويؤيده قراءة زين بالفتح وبالتوسط الشيطان وقرئ وصد على ان فرعون صد الناس
عن الهدى بامثال هذه التمويهات والشبهات ويؤيده قوله تعالى وما كيد فرعون الا
فى تباب اى خسار وهلاك او على انه من صد صدودا اى اعرض وقرئ بكسر الصاد على نقل
حركة الدال اليه وقرئ وصد على انه عطف على سوء عمله وقرئ وصدوا اى هو وقومه
وقال الذى آمن اى مؤمن آل فرعون وقيل موسى عم يا قوم اتبعونى فيما دللتكم عليه اهدكم
سبيل الرشاد اى سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض بان ما يسلكه فرعون
وقومه سبيل الغى والضلال يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع اى تمتع يسير لسرعة
زوالها اجمل لهم اولا ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شانها لان الاخلاد اليها راس
كل شر ومنه يتشعب فنون ما يؤدى الى سخط الله تعالى ثم ثنى بتعظيم الآخرة فقال وان
الآخرة هى دار القرار لخلودها ودوام ما فيها من عمل فى الدنيا سيئة فلا يجزى فى الآخرة
الا مثلها عدلا من الله سبحانه وفيه دليل على ان الجنايات تغرم بامثالها ومن عمل
صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك الذين عملوا ذلك يدخلون الجنة يرزقون
فيها بغير حساب اى بغير تقدير وموازنة بالعمل بل اضعافا مضاعفة فضلا من الله عز
وجل ورحمة وجعل العمل عمدة والايمان حالا للايذان بانه لا عبرة بالعمل بدونه وان
ثوابه اعلى من ذلك ويا قوم ما لى ادعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار كرر نداءهم اتعاظا
لهم عن سنة الغفلة واعتناء بالمنادى به ومبالغة فى توبيخهم على ما يقابلون به نصحه
ومدار التعجب الذى يلوح به الاستفهام دعوتهم اياه الى النار ودعوته اياهم الى
النجاة كانه قيل اخبرونى كيف هذه الحال ادعوكم الى الخير وتدعوننى الى الشر وقد جعله
بعضهم من قبيل ما لى اراك حزينا اى ما لك تكون حزينا وقوله تعالى تدعوننى لاكفر بالله
بدل او بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية فى التعدية بالى واللام واشرك به ما ليس لى به
بشركته له تعالى فى المعبودية وقيل بربوبيته علم والمراد نفى المعلوم والاشعار بان
الالوهية لا بد لها من برهان موجب للعلم بها وانا ادعوكم الى العزيز الغفار
الجامع لجميع صفات الالوهية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم
والارادة والتمكن من المجازاة والقدرة على التعذيب والغفران لا جرم لا رد لما دعوه
اليه وجرم فعل ماض بمعنى حق وفاعله قوله تعالى انما تدعوننى اليه ليس له دعوة فى
الدنيا ولا فى الآخرة اى حق ووجب عدم دعوة آلهتكم الى عبادتها اصلا او

او عدم دعوة مستجابة او عدم استجابة دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه اى
كسب ذلك الدعاء اليه بطلان دعوته بمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته وقيل جرم فعل من
الجرم وهو القطع كما ان بدا من لا بد فعل من التبديد اى التفريق والمعنى لا قطع لبطلان الوهية
الاصنام اى لا ينقطع فى وقت ما فينقلب حقا ويؤيده قولهم لا جرم انه يفعل بضم الجيم وسكون الراء
وفعل وفعل اخوان كرشد ورشد وان مردنا الى الله اى بالموت عطف على ان ما تدعوننى داخل
فى حكمه وكذا قوله تعالى وان المسرفين اى فى الضلال والطغيان كالاشراك وسفك الدماء هم اصحاب
النار اى ملازموها فستذكرون وقرئ فستذكرون اى فسيذكر بعضكم بعضا عند معاينة العذاب
ما اقول لكم من النصائح وافوض امرى الى الله قال لما انهم كانوا توعدوه ان الله بصير بالعباد
فيحرس من يلوذ به من المكاره فوقاه الله سيئات ما مكروا شدائد مكرهم وما هموا به من الحاق انواع
العذاب لمن خالفهم قيل تجامع موسى عم وحاق بآل فرعون اى بفرعون وقومه وعدم التصريح به للاستغناء
بذكرهم عن ذكره ضرورة انه اولى منهم بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه لما انه فر الى جبل فاتبعه طائفة
لياخذوه فوجدوه يصلى والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم سوء العذاب الغرق والقتل والنار
النار يعرضون عليها غدوا وعشيا جملة مستانفة مسوقة لبيان كيفية سوء العذاب والنار خبر لمبتدأ
محذوف كان قائلا قال ما سوء العذاب فقيل هو النار ويعرضون استيناف للبيان او بدل من سوء
العذاب ويعرضون حال منها او من الآل ولا يشترط فى الحيق ان يكون الحائق ذلك السوء بعينه حتى يرد
ان آل فرعون لم يهموا بتعذيبه بالنار ليكون ابتلاؤهم بها من قبيل رجوع ما هموا به عليهم بل يكفى فى ذلك
ان يكون مما يطلق عليه اسم السوء وقرئت منصوبة على الاختصاص او باضمار فعل يفسره يعرضون مثل
يصلون فان عرضهم على النار باحراقهم بها من قولهم عرض الاسارى على السيف اذا قتلوا به وذلك
لارواحهم كما روى ابن مسعود رض ان ارواحهم فى اجواف طير سود تعرض على النار بكرة وعشيا الى
يوم القيمة وذكر الوقتين اما للتخصيص واما فيما بينهما فالله تعالى اعلم بحالهم واما للتابيد هذا ما دامت
الدنيا ويوم تقوم الساعة يقال للملائكة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب اى عذاب جهنم فانه
اشد مما كانوا فيه او اشد عذاب جهنم فان عذابها الوان بعضها اشد من بعض وقرئ ادخلوا من
الدخول اى يقال لهم ادخلوا يا آل فرعون اشد العذاب واذ يتحاجون فى النار اى واذكر لقومك
وقت تخاصمهم فيها فيقول الضعفاء منهم للذين استكبروا وهم رؤساؤهم انا كنا لكم تبعا
اتباعا كخدم فى جمع خادم او ذوى تبع اى اتباع على اضمار المضاف او تبعا على الوصف بالمصدر
مبالغة فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار بالدفع او بالحمل ونصيبا منصوب بمضمر يدل
عليه مغنون اى دافعون عنا نصيبا او بمغنون على تضمينه معنى الحمل اى مغنون عنا حاملين نصيبا
او نصيب على المصدرية كشيئا فى قوله تعالى لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا فانه فى
موقع غنا فكذلك نصيبا قال الذين استكبروا انا كل فيها اى نحن وانتم فكيف نغنى عنكم ولو
قدرنا لاغنينا عن انفسنا وقرئ كلا على التاكيد لاسم ان بمعنى كلنا وتنوينه عوض عن
المضاف اليه ولا مساغ لجعله حالا من المستكن فى الظرف فانه لا يعمل فى الحال المتقدمة كما يعمل فى

الظرف المتقدم فانك تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول جديدا لك ثوب ان الله قد حكم بين
العباد وقضى قضاء متقنا لا مرد له ولا معقب لحكمه وقال الذين في النار من الضعفاء والمستكبرين
جميعا لما ضاقت حيلهم وغيت به عقولهم لخزنة جهنم اى للقوام بتعذيب اهل النار ووضع جهنم موضع
الضمير للتهويل والتفظيع او لبيان محلهم فيها بان تكون جهنم ابعد دركات النار وفيها اعتى الكفرة
واطغاهم او لكون الملئكة الموكلين بعذاب اهلها اقدر على الشفاعة لمزيد قربهم من الله تعالى
ادعوا ربكم يخفف عنا يوما اى مقدار يوم او في يوم ما من الايام على انه ظرف لا مصدر شيئا
من العذاب واقتصارهم في الاستدعاء على ما ذكر من تخفيف قدر يسير من العذاب في مقدار
قصير من الزمان دون رفعه رأسا او تخفيف قدر كثير منه في زمان مديد لان ذلك عندهم مما
ليس في حيز الامكان ولا يكاد يدخل تحت امانيهم قالوا اى الخزنة ألم تك تاتيكم رسلكم بالبينات
اى الم تنبهوا على هذا ولم تك تاتيكم رسلكم في الدنيا على الاستمرار بالحجج الواضحة الدالة على سوء
عقبة ما كتم عليه من الكفر والمعاصي كما في قوله تعالى الم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم
لقاء يومكم هذا اردوا بذلك الزامهم وتوبيخهم على اضافة اوقات الدعاء وتعطيل اسباب الاجابة
قالوا بلى اى اتونا بها فكذبناهم كما نطق به قوله تعالى فقد جاءكم نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شئ
ان انتم الا في ضلال كبير والفاء في قوله تعالى قالوا فادعوا فصيحة كما في قول من قال فقد جئنا خراسانا اى
اذا كان الامر كذلك فادعوا انتم فان الدعاء لمن يفعل ذلك مما يستحيل صدوره عنا وتعليل
امتناعهم عن الدعاء بعدم الاذن فيه مع غرابته عن بيان ان سببه من قبلهم كما يفصح عنه الغار ربما
يوهم ان الاذن في حيز الامكان وانهم لو اذن لهم فيه لفعلوا ولم يريدوا امرهم بالدعاء اطماعهم في
الاجابة بل اقناطهم منها واظهار خيبتهم حسما لمواده في قولهم وما دعاء الكافرين الا في ضلال اى
ضياع وبطلان وقوله تعالى انا لننصر رسلنا والذين آمنوا الخ كلام مستانف مسوق من جهته تعالى
لبيان ان ما اصاب الكفرة من العذاب المحكي من فروع حكم كلي يقتضيه الحكمة وهو ان شأننا
المستمر انا ننصر رسلنا وابتاعهم في الحيوة الدنيا بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة بالاستيصال
والقتل والسبي وغير ذلك من العقوبات ولا يقدح في ذلك ما قد يتفق لهم من صورة الغلبة
امتحانا اذ العبرة انما هي بالعواقب وغالب الامر ويوم يقوم الاشهاد اى يوم القيمة عبر عنه بذلك
للاشعار بكيفية النصرة وانها تكون عند جميع الاولين والآخرين بشهادة الاشهاد للرسل بالتبليغ
وعلى الكفرة بالتكذيب يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم بدل من الاول وعدم نفع المعذرة لانها
باطلة وقرئ لا تنفع بالتاء ولهم اللعنة اى البعد عن الرحمة ولهم سوء الدار اى جهنم ولقد
آتينا موسى الهدى ما يهتدى به من المعجزات والصحف والشرائع واورثنا بني اسرائيل الكتاب
وتركنا عليهم من بعده التوراة هدى وذكرى هداية وتذكرة او هاديا ومذكرا لاولي الالباب
لذوي العقول السليمة العاملين بما في تضاعيفه فاصبر على ما نالك من اذية المشركين ان وعد الله
حق اى وعده الذي ينطق به قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون
وان جندنا لهم الغالبون او وعده الخاص بك او جميع مواعيده التي من جملتها ذلك حق لا يحتمل الاخلاف اصلا واستشهد بحال موسى وفرعون واستغفر لذنبك تدارك لما فرط منك من
الاولى في بعض الاحايين فانه تعالى كافيك في نصرة دينك واظهاره على الدين كله وسبح بحمد ربك
بالعشي والابكار اى دم على التسبيح ملتبسا بحمده تعالى وقيل صل لهذين الوقتين اذ كان الواجب
بمكة ركعتين بكرة وركعتين عشيا وقيل صل شكرا لربك بالعشي والابكار وقيل بهما صلوة العصر
وصلوة الفجر ان الذين يجادلون في آيات الله ويجحدون بها بغير سلطان اتاهم في ذلك من جهته
تعالى وتقييد المجادلة بذلك مع استحالة اتيانه للايذان بان التكلم في امر الدين لا بد من استناده
الى سلطان مبين البتة وهذا عام لكل مجادل مبطل وان نزل في مشركي مكة وقوله تعالى ان في صدورهم
الا كبر جر لان اى ما في قلوبهم الا كبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم او الارادة الرياسة والتقدم
على الاطلاق او الارادة ان يكون النبوة لهم دونك حسدا وبغيا حسبما قالوا لولا نزل هذا القرآن على
رجل من القريتين عظيم وقالوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ولذلك يجادلون فيها لا ان فيها موقع
جدال ما او ان شيأ يتوهم ان يصلح مدارا لمجادلتهم في الجملة وقوله تعالى ما هم ببالغيه صفة لكبر قال مجاهد
ما هم ببالغي وقتضى ذلك الكبر وهو ما ارادوه من الرياسة والتقدم وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا
يقولون لست صاحبنا المذكور في التورية بل هو المسيح او يريدون الدجال يخرج في آخر الزمان
ويبلغ سلطانه البر والبحر وتتسير معه الانهار وهو آية من آيات الله تعالى فيرجع الينا الملك فنحن
اكرم على الله تعالى منهم ذلك كبرا ونفي ان يبلغوا امنيتهم فاستعذ بالله اى فالتجأ اليه من كيد من يحسد
ويبغي عليك وفيه رمز الى انه من همزات الشياطين انه هو السميع البصير لاقوالكم وافعالكم
وقوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس تحقيق للحق وتبيين لاشهر ما يجادلون
فيه من امر البعث على منهاج قوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق
مثلهم ولكن اكثر الناس لا يعلمون لقصورهم في النظر والتامل لغرط غفلتهم واتباعهم لاهوائهم
وما يستوي الاعمى والبصير اى الغافل والمستبصر والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا
المسئ اى المحسن والمسئ فلابد ان يكون لهم حال اخرى يظهر فيها ما بين الفريقين من التفاوت
وهي فيما بعد البعث وزيادة لا في المسئ لتاكيد النفي لطول الكلام بالصلة ولان المقصود نفي
مساواته للمحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الذي عطف الموصول بما عطف عليه على
الاعمى والبصير لتغاير الوصفين في المقصود او الدلالة بالصراحة والتمثيل قليلا ما تتذكرون على
الخطاب بطريق الالتفات اى تذكرا قليلا تتذكرون وقرئ على الغيبة والضمير للناس او الكفار
ان الساعة لآتية لا ريب فيها اى في مجيئها لوضوح شواهدها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها
ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لا يصدقون بها لقصور انظارهم على ظواهر ما يحسونه وقال ربكم
ادعوني اى اعبدوني استجب لكم اى اثبكم لقوله تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون
جهنم داخرين اى صاغرين اذلاء وان فسر الدعاء بالسؤال كان الامر الصارف عنه منزلا منزلة
الاستكبار عن العبادة للمبالغة او المراد بالعبادة الدعاء فانه من افضل انواعها وقرئ سيدخلون
على صيغة المبني للمفعول من الادخال الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه بان خلقه بارزا مظلما لتوى

الى ضعف المحركات وهدوء الحواس لتستريح اعضائه وتقديم الجار والمجرور على المفعول قد مر سره
مرارا والنهار مبصرا اى مبصرا فيه او به ان لذو فضل لا يوازيه ولا يدانيه فضل على الناس ولكن
اكثر الناس لا يشكرون لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواضع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران
بهم ذلكم المتوحد بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية الله ربكم خالق كل شئ لا اله الا هو
اخبار مترادفة تخصص اللاحقة منها السابقة وتقررها وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص
فيكون لا اله الا هو استئنافا فالهو كالنتيجة للاوصاف المذكورة فانى تؤفكون فكيف ومن
اى وجه تصرفون عن عبادته خاصة الى عبادة غيره كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله
يجحدون اى مثل ذلك الافك العجيب الذى لا وجه له ولا مصحح اصلا يؤفك كل من جحد بآيات تعالى
اى آية كانت لا افكا آخر له وجه ومصحح فى الجملة الله الذى جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء
بيان لفضله تعالى المتعلق بالمكان بعد بيان فضله المتعلق بالزمان وقوله تعالى وصوركم فاحسن
صوركم بيان لفضله المتعلق بالمفهم والفاء فى احسن تفسيرية فان الاحسان عين التصوير اى
صوركم احسن تصوير حيث خلقكم منتصب القامة بادى البشرة متناسب الاعضاء والتخطيطات
متهيئا لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات ورزقكم من الطيبات اى اللذائذ ذلكم الذى
نعت بما ذكر من النعوت الجليلة الله ربكم فتبارك الله اى تعالى بذاته رب العالمين
اى مالكهم ومربيهم والكل تحت ملكوته مفتقر اليه فى ذاته ووجوده وسائر احواله جميعا بحيث لو انقطع
فيضه عنها آنا لانعدم بالكلية هو الحى المتوحد بالحيوة الذاتية الحقيقية لا اله الا هو اذ لا موجود
يدانيه فى ذاته وصفاته وافعاله فادعوه فاعبدوه خاصة لاختصاص ما يوجبه به تعالى مخلصين
له الدين اى الطاعة من الشرك الجلى والخفى الحمد لله رب العالمين اى قائلين ذلك عن ابن
عباس رض لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين قل انى نهيت ان اعبد الذين تدعون
من دون الله لما جاءنى البينات من ربى من الحج والآيات او من الآيات لكونها مؤيدة لادلة العقل
منبهة عليها فان الآيات التنزيلية مفسرات للآيات التكوينية الآفاقية والانفسية وامرت ان
اسلم لرب العالمين بان انقاد له واخلص له دينى هو الذى خلقكم من تراب اى فى ضمن خلق
آدم عليه السلم منه حسما مر تحقيقه مرارا ثم من نطفة اى ثم خلقكم خلقا تفصيليا من نطفة اى
منى ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا اى اطفالا او الافراد لافادة الجنس او لارادة كل واحد من
افراده ثم لتبلغوا اشدكم علة ليخرجكم معطوفة على علة اخرى له مناسبة لها كانه قيل ثم يخرجكم
طفلا لتكبروا شيئا فشيئا ثم لتبلغوا كما لكم فى القوة والعقل وكذا الكلام فى قوله تعالى ثم لتكونوا
شيوخا ويجوز عطفه على لتبلغوا او قرئ شيخا كقوله تعالى طفلا ومنكم من يتوفى من قبل اى
من قبل الشيخوخة بعد بلوغ الاشد او قبله ايضا ولتبلغوا متعلق بفعل مقدر بعده اى
ولتبلغوا اجلا مسمى هو وقت الموت او يوم القيمة بفعل ذلك ولعلكم تعقلون وكلى
تعقلوا ما فى ذلك من فنون الحكم والعبر وهو الذى يحيى الاموات ويميت الاحياء او
الذى يفعل الاحياء والاماتة فاذا قضى امرا اى اراد امرا من الامور فانما يقول له كن

فيكون من غير توقف على شئ من الاشياء اصلا وهذا تمثيل لتاثير قدرته تعالى فى المقدورات عند تعلق
ارادته بها وتصوير لسرعة ترتب المكونات على تكوينه من غير ان يكون هناك امر ومامور والا لاحتاج
الدلالة على ان ما بعدها من نتايج ما قبلها من اختصاص الاحياء والاماتة به سبحانه الم تر الى الذين
يجادلون فى آيات الله انى يصرفون يعجب من احوالهم الشنيعة واراتهم الركيكة وتمهيد لما يعقبه
من بيان تكذيبهم بكل القرآن وبساير الكتب والشرائع وترتيب الوعيد على ذلك كان ما سبق من قوله تعالى
ان الذين يجادلون فى آيات الله الخ بيان لابتناء جدالهم على مبنى فاسد لا يكاد يدخل تحت الوجود وهو
الامنية الفارغة فلا تكرير فيه اى انظر الى هؤلاء المكابرين المجادلين فى آياتنا الواضحة الموجبة
للايمان بها الزاجرة عن الجدال فيها كيف يصرفون عنها مع تعاضد الدواعى الى الاقبال عليها وانتفاء
الصوارف عنها بالكلية وقوله تعالى الذين كذبوا بالكتاب اى بكل القرآن او بجنس الكتب السماوية
فان تكذيبه تكذيب لها فى محل الجر على انه بدل من الموصول الاول او فى حيز النصب او الرفع على الذم
واما وصل الموصول الثانى بالتكذيب فوق المجادلة لان المعاد وقوع المجادلة فى بعض المواد لا فى الكل
وصيغة الماضى للدلالة على التحقق كما ان صيغة المضارع فى الصلة الاولى للدلالة على تجدد المجادلة وتكررها
وبما ارسلنا به رسلنا من ساير الكتب او مطلق الوحى والشرائع فسوف يعلمون كنه ما فعلوا من
الجدال والتكذيب عند مشاهدتهم لعقوباته اذ الاغلال فى اعناقهم ظرف ليعلمون اذ المعنى على
الاستقبال ولفظ الماضى لتحققه والسلاسل عطف على الاغلال والجار فى نية التاخير وقيل مبتداء
حذف خبره لدلالة خبر الاول عليه وقيل قوله تعالى يسحبون بحذف العائد اى يسحبون بها وهو على
الاولين حال من المستكن فى الظرف وقيل استيناف وقع جوابا عن سوال نشاء من حكاية حالهم
كانه قيل فما ذا يكون حالهم بعد ذلك فقيل يسحبون فى الحميم وقرئ والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح
الياء على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية والسلاسل بالجر حملا على المعنى لان قوله تعالى
الاغلال فى اعناقهم فى معنى اعناقهم فى الاغلال او اضمارا للباء ويدل عليه القراءة به ثم فى النار يسجرون
اى يحرقون من سجر التنور اذا ملاه بالوقود ومنه البحر للصديق كانه سجر بالجب اى ملى والمراد
بيان انهم يعذبون بانواع العذاب ويقلون من باب الى باب ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون
الله قالوا ضلوا عنا اى تيالم ويغولون وصيغة الماضى للدلالة على التحقق ومعنى ضلوا عنا
غابوا عنا وذلك قبل ان يقرن بهم آلهتهم او ضاعوا عنا فلم نجد ما كنا نتوقع منهم بل لم نكن ندعوا من
قبل شيئا اى بل تبين لنا انا لم نكن نعبد شيئا يعادتهم لما ظهر لنا اليوم انهم لم يكونوا شيئا يعتد
به كقولك حسبته شيئا فلم يكن كذلك اى مثل ذلك الضلال الفظيع يضل الله الكافرين حيث
لا يهتدون الى شئ ينفعهم فى الآخرة او كما ضل عنهم آلهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا
ذلكم الاضلال بما كنتم تفرحون فى الارض اى تبطرون وتتكبرون بغير الحق وهو الشرك والطغيان
وبما كنتم تمرحون تتوسعون فى البطر والاشر والالتفات للمبالغة فى التوبيخ ادخلوا ابواب جهنم
اى ابوابها السبعة المقسومة لكم خالدين فيها مقدرا ذلك عليكم فيها فبئس مثوى المتكبرين اى عن الحق
جهنم والتعبير عن مدخلهم بالمثوى للدلالة على دخولهم بطريق الخلود فاصبر الى ان يلاقوا ما اعد لهم من العذاب

إن وعد الله بتعذيبهم حق كاين لا محالة فإما نرينك اي فان نرك وما مزيدة لتاكيد الشرطية ولذلك
لحقت النون الفعل ولا تلحقه مع ان وحدها بعض الذي نعدهم وهو القتل والاسر او نتوفينك
قبل ذلك فإلينا يرجعون يوم القيمة فنجازيهم باعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك
محذوف مثل فذاك ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم في حياتك او لم نعذبهم فانا نعذبهم
في الآخرة اشد العذاب وافظعه كما ينبئ عنه الاقتصار على ذكر الرجوع في هذا المعرض ولقد ارسلنا
رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك اذ قيل عدد الانبياء عليهم
السلم مائة واربعة وعشرون الفا والمذكور قصصهم افراد معدودة وقيل اربعة الاف وعشرون الفا
من بني اسرائيل واربعة الاف من ساير الناس وما كان لرسول اي وما صح وما استقام لرسول
منهم ان ياتي باية الا باذن الله فان المعجزات على تشعب فنونها عطايا من الله تعالى قسمها بينهم
حسبما اقتضته مشيته المبنية على الحكم البالغة كساير القسم ليس لهم اختيار في ايثار بعضها
والاستبداد باتيان المقترح بها فاذا جاء امر الله بالعذاب في الدنيا والآخرة قضي بالحق بانجاء
المحق واثابته واهلاك المبطل وتعذيبه وخسر هنالك اي وقت مجيء امر الله اسم مكان استعير
للزمان المبطلون اي المتمسكون بالباطل على الاطلاق فيدخل فيهم المعاندون المقترحون دخولا اوليا
الله الذي جعل لكم الانعام قيل هي الابل خاصة اي خلقها لاجلكم ومصلحتكم وقوله تعالى لتركبوا منها
ومنها تاكلون تفصيل لما دل عليه اللام اجمالا ومن لابتداء الغاية ومعناها ابتداء الركوب والاكل منها اي
تعلقهما بها وقيل للتبعيض اي لتركبوا بعضها وتاكلوا بعضها لا على ان كلا من الركوب والاكل مختص
ببعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الآخر بل على ان كل بعض منها صالح لكل منهما وتغيير النظم
الكريم في الجملة الثانية لمراعاة الفواصل مع الاشعار باصالة الركوب ولكم فيها منافع اخر غير الركوب
والاكل كالبانها واوبارها وجلودها ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم بحمل اثقالكم من بلد الى بلد وعليها
وعلى الفلك تحملون لعل المراد به حمل النساء والولدان عليها بالهودج وهو السر في فصله عن الركوب
والجمع بينها وبين الفلك في الحمل لما بينهما من المناسبة التامة حتى سميت سفاين البر وقيل هي الازواج
الثمانية فمعنى الركوب والاكل منها تعلقهما بالكل لكن لا على ان كلا منهما يجوز تعلقه بكل منها ولا على
ان كلا منهما مختص ببعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الآخر بل على ان بعضها يتعلق به
الاكل فقط كالغنم وبعضها يتعلق به كلاهما كالابل والبقر والمنافع تعم الكل وبلوغ الحاجة عليها يعم
البقر ويريكم آياته دلايله الدالة على كمال قدرته ووفور رحمته فاي آيات الله اي فاي آية من تلك
الآيات الباهرة تنكرون فان كلا منها من الظهور بحيث لا يكاد يجترئ على انكارها من له عقل في الجملة
وهو ناصب لاي واضافة الآيات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وتهويل انكارها وتذكير اي هو
الشايع المستفيض والتانيث قليل لان التفرقة بين المذكر والمؤنث في الاسماء غير الصفات
نحو حمار وحمارة غريب وهي في اي اغرب لابهامه افلم يسيروا اي اقعدوا فلم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الامم المهلكة وقوله تعالى كانوا اكثر منهم واشد قوة الخ استيناف
مسوق لبيان مبادي احوالهم وعواقبها واثارا في الارض باقية بعدهم من الابنية والقصور وللصانع

للصانع وقيل هي اثار اقدامهم في الارض لعظم اجرامهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ما الاولى
نافية او استفهامية منصوبة باغنى والثانية موصولة او مصدرية مرفوعة اي لم يغن عنهم او اي
شيء اغنى عنهم مكسوبهم او كسبهم فلما جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او بالايات الواضحة
فرحوا بما عندهم من العلم اي اظهروا الفرح بذلك وهو ما لهم من العقايد الزائغة والشبه الداحضة
وتسميتها علما للتهكم بهم او علم الطبايع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك او هو علم الانبياء الذي
اظهره رسلهم على ان معنى فرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده قوله تعالى وحاق بهم ما كانوا
به يستهزؤن وقيل الفرح ايضا للرسل فانهم لما شاهدوا تمادي جهلهم وسوء عاقبتهم فرحوا بما اوتوا
من العلم المؤدي الى حسن العاقبة وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم
فلما راوا باسنا شدة عذابنا ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا
بما كنا به مشركين يعنون الاصنام فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا اي عند رؤية عذابنا لامتناع
قبوله ح ولذلك قيل فلم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى بيان عاقبة كثرتهم وشدة قوتهم وما
كانوا يكسبون بذلك زعما منهم ان ذلك يغني عنهم فلم يترتب عليه الا عدم الاغناء فبهذا الاعتبار جرى
مجرى النتيجة وان كان عكس الغرض ونقيض المطلوب كما في قولك وعظته فلم يتعظ والثانية تفسير وتفصيل
لما ابهم واجمل من عدم الاغناء وقد كثر في الكلام مثل هذه الفاء ومبناها على ان التفسير بعد الابهام و
التفصيل بعد الاجمال والثالثة لمجرد التعقيب وجعل ما بعدها تابعا لما قبلها واقعا عقيبه لان مضمون
قوله تعالى فلما جاءتهم الخ هو انهم كفروا فصار مجموع الكلام بمنزلة ان يقال فكفروا ثم لما راوا باسنا
آمنوا والرابعة للعطف على آمنوا كانه قيل فلم ينفعهم لان النافع هو الايمان الاختياري سنت الله
التي قد خلت في عباده اي سن الله تعالى سنة ماضية في العباد وهو من المصادر المؤكدة وخسر
هنالك الكافرون اي وقت رؤيتهم الباس على انه اسم مكان قد استعير للزمان كما سلف آنفا
عن رسول الله صلعم من قرا سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

حم ان جعل اسما للسورة فهو اما خبر لمبتدا محذوف وهو الاظهر لما مر سره مرارا او مبتدا خبره تنزيل وهو
على الاول خبر بعد خبر وخبر لمبتدا محذوف ان جعل مسرودا على نمط التعديد وقوله تعالى من الرحمن
الرحيم متعلق به مؤكد لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية او خبر آخر او تنزيل
مبتدا لتخصصه بالصفة خبره كتاب وهو على الوجوه الاول بدل منه او خبر آخر او خبر لمحذوف
ونسبة التنزيل الى الرحمن الرحيم للايذان بانه مدار للمصالح الدينية والدنيوية واقع بمقتضى الرحمة
الربانية حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فصلت آياته ميزت بحسب النظم
والمعنى وجعلت تفاصيل في اساليب مختلفة ومعان متغايرة من احكام وقصص ومواعظ وامثال
ووعد ووعيد وقرئ فصلت اي فرقت بين الحق والباطل او فصل بعضها من بعض باختلاف
الاساليب والمعاني من قولك فصل من البلد فصولا قرآنا عربيا نصب على المدح او الحالية من كتاب

لتخصصه بالصفة او من آياته لقوم يعلمون اى معاينة لكونه على لسانهم وقيل لاهل العلم والنظر لانهم
المنتفعون به واللام متعلقة بمحذوف هو صفة اخرى لقرآنا اى كائنا لقوم الخ او بتنزيل على ان من الرحمن
الرحيم ليست بصفة له او بفصلت بشيرا ونذيرا صفتان اخريان لقرآنا اى بشيرا لاهل الطاعة ونذيرا
لاهل المعصية او حالان من كتاب او من آياته وقرئا بالرفع على الوصفية لكتاب او الخبرية لمحذوف
فاعرض اكثرهم عن تدبره مع كونه على لغتهم فهم لا يسمعون سماع تفكر وتامل حتى يفهموا جلالة قدره فيؤمنوا
وقالوا اى لرسول الله صلعم عند دعوته اياهم الى الايمان والعمل بما فى القرآن قلوبنا فى اكنة اى اغطية
متكاثفة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر اى صمم واصله الثقل وقرئ بالكسر وقرئ بفتح القاف ومن
بيننا وبينك حجاب غليظ يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على ان الحجاب مبتدأ من الجانبين بحيث
استوعب ما بينهما من المسافة المتوسطة ولم يبق ثمة فراغ اصلا وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك
الحق وقبوله ومج اسماعهم له كان بها صمما وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول عليه السلم فاعمل اننا عاملون
اى على ديننا وقيل فى ابطال امرك والاول هو الاظهر فان قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما
الهكم اله واحد تلقين للجواب عنه اى لست من جنس مغاير لكم حتى يكون بينى وبينكم حجاب وتباين مصحح
لتباين الاعمال والاديان كما ينبئ عنه قولهم فاعمل اننا عاملون بل انما انا بشر مثلكم مامور بما امرتم به حيث
اخبرنا جميعا بالتوحيد بخطاب جامع بينى وبينكم فان الخطاب فى الهكم محكى منتظم للكل لا انه خطاب منه
عليه السلم للكفرة كما فى مثلكم وقيل المعنى لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقى منه ولا ادعوكم الى ما ينبو عنه العقول
والاسماع وانما ادعوكم الى التوحيد والاستقامة فى العمل وقد يدل عليهما دلايل العقل وشواهد النقل وقيل
المعنى انى لست بملك وانما انا بشر مثلكم وقد اوحى الى دونكم فصحت بالوحى الى وانا بشر نبوتى واذا صحت
نبوتى وجب عليكم اتباعى فتامل والفاء فى قوله تعالى فاستقيموا اليه لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ايحاء الوحدانية
فان ذلك موجب لاستقامتهم اليه تعالى بالتوحيد والاخلاص فى الاعمال واستغفروه مما كنتم عليه من
سوء العقيدة والعمل وقوله تعالى وويل للمشركين ترهيب وتنفير لهم عن الشرك اثر ترغيبهم فى التوحيد
ووصفهم بقوله تعالى الذين لا يؤتون الزكوة لزيادة التحذير والتخويف عن منع الزكوة حيث جعل
من اوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة حيث قيل وهم بالآخرة هم كافرون وهو عطف على
يؤتون داخل فى حيز الصلة واختلافهما بالفعلية والاسمية لما ان عدم ايتائها متجدد والكفر امر مستمر
ونقل عن ابن عباس رض انه فسر لا يؤتون الزكوة بقوله لا يقولون لا اله الا الله فانها زكوة الانفس
والمعنى لا يطهرون انفسهم من الشرك بالتوحيد وهو ماخوذ من قوله تعالى ونفس وما سواها وقال
الضحاك ومقاتل لا ينفقون فى الطاعة ولا يتصدقون وقال مجاهد لا يزكون اعمالهم ان الذين آمنوا و
عملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون اى لا يمتن به عليهم من المن واصله الثقل او لا يقطع من
مننت الحبل قطعته وقيل نزلت فى المرضى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح
ما كانوا يعملون قل ائنكم لتكفرون انكار وتشنيع لكفرهم وان واللام اما لتاكيد الانكار وتقديم
لاقتضائها الصدارة لا لانكار التاكيد واما للاشعار بان كفرهم من البعد بحيث ينكر العقلاء وقوعه
فيحتاج الى التاكيد وانما علق كفرهم بالموصول حيث قيل بالذى خلق الارض فى يومين لتفخيم شانه تعالى

اى على دينك وقيل فى ابطال امرنا صح

تعالى واستعظام كفرهم به اى بالعظيم الشان الذى قدر وجودها اى حكم بانها ستوجد فى مقدار يومين او فى
نوبتين على ان ما يوجد فى كل نوبة يوجد باسرع ما يكون والا فاليوم الحقيقى انما يتحقق بعد وجودها وتسوية السموات
وابداع نيراتها وترتيب حركاتها وتجعلون له اندادا عطف على تكفرون داخل فى حكم الانكار و
التوبيخ وجمع الانداد باعتبار ما هو الواقع لا بان يكون مدار مدار الانكار هو التعدد اى وتجعلون له
اندادا والحال انه لا يمكن ان يكون له ند واحد ذلك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى
حيز الصلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته فى العظمة وافراد
الكاف لما مر مرارا من ان المراد ليس تعيين المخاطبين وهو مبتدأ خبره ما بعده اى ذلك العظيم
الشان الذى فعل ما ذكر رب العالمين اى خالق جميع الموجودات ومربيها دون الارض خاصة
فكيف يتصور ان يكون اخس مخلوقاته ندا له وقوله تعالى وجعل فيها رواسى عطف على خلق داخل
فى حكم الصلة والجعل ابداعى وحديث لزوم الفصل بينهما بجملتين خارجتين عن حيز الصلة مدفوع
بان الاولى متحدة بقوله تعالى تكفرون فهو بمنزلة الاعادة له والثانية اعتراضية مقررة لمضمون الكلام
بمنزلة التاكيد فالفصل بهما كلا فصل على ان فيه فايدة التنبيه على ان مجرد المعطوف عليه كاف فى
تحقق ربوبيته للعالمين واستحالة ان يجعل له ند فكيف اذا انضم اليه المعطوفات وقيل هو عطف
على مقدر اى خلقها وجعل الخ وقيل هو كلام مستانف واياما كان فالمراد تقدير الجعل لا الجعل
بالفعل وقوله تعالى من فوقها متعلق بجعل او بمضمر هو صفة لرواسى اى كائنة من فوقها مرتفعة عليها
ليكون منافعها معرضة لاهلها ويظهر للنظار ما فيها من مراصد الاعتبار ومطارح الافكار وبارك
فيها اى قدر ان يكثر خيرها بان يخلق انواع الحيوان التى من جملتها الانسان واصناف النبات
التى منها معايشهم وقدر فيها اقواتها اى حكم بالفعل بان يوجد فيما سياتى لاهلها من الانواع المختلفة
اقواتها المناسبة لها على مقدار معين يقتضيه الحكمة وقرئ وقسم فيها اقواتها فى اربعة ايام متعلق بحصول
الامور المذكورة لا بتقديرها اى قدر حصولها فى يومين وانما قيل فى اربعة ايام اى تتمة اربعة
تصريحا بالفذلكة سواء مصدر مؤكد لمضمر هو صفة لايام اى استوت سواء اى استواء كما ينبئ عنه
القراءة بالجر وقيل هو حال من الضمير فى اقواتها او فى فيها وقرئ بالرفع اى هى سواء للسائلين متعلق
بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الارض وما فيها او بقدر اى قدر فيها اقواتها
لاجل السائلين اى الطالبين لها المحتاجين اليها من المقتاتين وقوله تعالى ثم استوى الى السماء
شروع فى بيان كيفية التكوين اثر بيان كيفية التقدير ولعل تخصيص البيان بما يتعلق بالارض واهلها
لما ان بيان اعتنائه تعالى بامر المخاطبين وترتيب مبادى معايشهم قبل خلقهم مما يحملهم على الايمان ويزجرهم
عن الكفر والطغيان اى ثم قصد نحوها قصدا سويا لا يلوى على غيره وهى دخان اى امر ظلمانى عبر به عن
مادتها او عن الاجزاء المتصغرة التى ركبت هى منها او دخان مرتفع من الماء كما سياتى وانما خص
الاستواء بالسماء مع ان الخطاب المترتب عليه متوجه اليهما معا حسبما ينطق به قوله تعالى فقال
لها وللارض اكتفاء بذكر تقديرها وتقدير ما فيها كانه قيل لها وللارض التى قدر وجودها ووجود ما فيها
ائتيا اى كونا واحدثا على وجه معين وفى وقت مقدر لكل منكما وهو عبارة عن تعلق ارادته تعالى

بوجودهما تعلقا فعليا بطريق التمثيل بعد تقدير امرهما من غير ان يكون هناك امر وامور كما في قوله تعالى
كونا عاد كونا يمثل لتحتم تاثير قدرته تعالى فيهما واستحالة امتناعهما من ذلك لا اثبات الطوع والكره لهما وهما
مصدران واقعان موقع الحال اى طايعتين او كارهتين وقوله تعالى قالتا اتينا طايعين اى منقادين
تمثيل لكمال تاثيرهما بالذات عن القدرة الربانية وحصولهما كما امرا به وتصوير لكون وجودهما كما هما عليه
جاريا على مقتضى الحكمة البالغة فان الطوع مبنئ عن ذلك والكره موهم لخلافه واتى قيل طايعين
باعتبار كونهما في معرض الخطاب والجواب كقوله تعالى ساجدين وقوله تعالى فقضاهن سبع سموات
تفسير وتفصيل لكون السماء المجمل المعبر عنه بالامر وجوابه لانه فعل مترتب على تكوينها اى خلقهن خلقا
ابداعيا واتقن امرهن حسبما يقتضيه الحكمة والضمير اما للسماء على المعنى او مبهم وسبع سموات
حال على الاول يميز على الثاني في يومين في وقت مقدر بيومين وقد بين مقدار زمان خلق الارض وخلق
ما فيها عند بيان تقدير هما فكان خلق الكل في ستة ايام حسما نص عليه في مواضع من التنزيل واوحى في كل
سماء امرها عطف على قضاهن اى خلق في كل منها ما فيها من الملئكة والبيرات وغير ذلك مما لا
يعلمه الا الله تعالى كما قاله قتادة والسدي فالوحي عبارة عن التكوين كالامر مقيد بما قيد به المعطوف عليه
من الوقت او وحى الى اهل كل منها او امره وكلفهم ما يليق بهم من التكاليف فهو بمعناه ومطلق عن القيد
المذكور وايا ما كان فعلى ما قرر من التفصيل لا دلالة في الآية الكريمة على الترتيب بين ايجاد الارض وايجاد
السماء واما الترتيب بين التقدير والايجاد واما على تقدير كون الخلق وما عطف عليه من الافعال
الثلثة على معانيها الظاهرة ففي وما فيهما في سورة البقرة من قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض
جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات تدلان على تقدم خلق الارض وما فيها على خلق السماء
وما فيها وعليه اطباق اكثر اهل التفسير وقد روى ان العرش العظيم كان قبل خلق السموات
والارض على الماء ثم انه تعالى احدث في الماء اضطرابا فاز بد فارتفع منه دخان فاما الزبد فبقي على وجه
الماء فخلق فيه اليبوسة فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها ارضين واما الدخان فارتفع وعلا فخلق
منه السموات وروى انه تعالى خلق جوهر الارض يوم الاحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق ما فيها
يوم الثلثاء ويوم الاربعاء وخلق السموات وما فيهن يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق آدم
عليه السلم في آخر ساعة منه وهي الساعة التي تقوم فيها القيمة وقيل ان خلق جرم الارض مقدم على
خلق السموات لكن دحوها وخلق ما فيها مؤخر عنه لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها وما روى عن
الحسن من انه تعالى خلق الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الغهر عليه دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان
وخلق منه السموات وامسك الغهر في موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما
الآية وليس المراد بنظمها مع السماء في سلك الامر بالايتان انشاءها واحداثها بل انشاءها ودحوها وجعلها
على وجه خاص يليق بها من شكل معين ووصف مخصوص كانه قيل ايتيا على ما ينبغي ان تاتيا عليه ايتي
يا ارض مدحوة قرارا او مهادا لاهلك وايتي يا سماء مبنية سقفا لهم ومعنى الايتان الحصول على ذلك
الوجه كما ينبئ عنه قراءة ايتيا وايتمن المواتاة وهي الموافقة وانتصاب ما ذكر قبل الامر بالايتان
ليس بمجرد خلق جرم الارض حتى يناقي ما ذكر بل خلق ما فيها ايضا من الامور المتاخرة عن دحوها قطعا فالاظهر

ان يسلك مسلك الاولين ويحمل الامر بالايتان على تكوينهما متوافقتين على الوجه المذكور وليس من ضرورته
ان يكون دحوها مترتبا على ذلك التكوين وانما اللازم ترتب حصول التوافق عليه ولا ريب في ان تكوين السماء
على الوجه اللايق بها كاف في حصوله ولا يقدح في ذلك تكوين الارض على الوجه المذكور قبل ذلك وان
يجعل الارض في قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها منصوبا بمضمر قد حذف على شريطة التفسير ويجعل ذلك
اشارة الى ذكر ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا الى اعينها ويحمل البعدية اما
على انه قاصر عن الاولية في الدلالة على القدرة القاهرة كما قيل واما على انه ادخل في الالزام لما في
المنافع المنوطة بما في الارض اكثر وتعلق مصالح الناس بذلك اظهر واحاطتهم بتفاصيلها
اكمل وليس ما روى عن الحسن نصا في تاخر دحو الارض عن خلق السماء فان بسط الارض معطوف
على اصعاد الدخان وخلق السماء بالواو فلا دلالة في ذلك على الترتيب قطعا وقد نقل الامام
الواحدي عن معاذ ان خلق السماء مقدم على ايجاد الارض فضلا عن دحوها فلا بد من حمل الامر بالايتان
حينئذ ايضا على ما ذكر من التوافق والمواتاة ولا يقدح في ذلك تقدم خلق السماء على خلق الارض
كما لم يقدح فيه تقدم خلق الارض على خلق السماء هذا كله على تقدير كون ثم للتراخي الزماني واما
على تقدير كونها للتراخي الرتبي كما جنح اليه الاكثرون فلا دلالة في الآية الكريمة على الترتيب كما
في الوجه الاول وعلى ذلك بنى الكلام في تفسير قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا الآية
وانما لم يحمل الخلق هناك على معنى التقدير كما حمل عليه ههنا لتوفية مقام الامتنان حقه وزينا
السماء الدنيا بمصابيح من الكواكب فانها كلها ترى متلالئة عليها كانها فيها والالتفات
الى نون العظمة لابراز مزيد العناية بالامر وقوله تعالى وحفظا مصدر مؤكد لفعل معطوف على
زينا اى وحفظناها من الآفات او من المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى كانه قيل
وخلقنا المصابيح زينة وحفظا ذلك الذي ذكر تفاصيله تقدير العزيز العليم المبالغ
في القدرة والعلم فان اعرضوا متصل بقوله تعالى قل انكم الخ اى فان اعرضوا عن التدبر
فيما ذكر من عظائم الامور الداعية الى الايمان او عن الايمان بعد هذا البيان فقل لهم انذرتكم
اى انذركم وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الانذار المبني عن تحقق المنذر صاعقة اى عذابا
هائلا شديد الوقع كانه صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وقرئ صعقة مثل صعقة
عاد وثمود وهي المرة من الصعق او الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا وهو
من باب فعلته ففعل اذ جاءتهم الرسل حال من صاعقة عاد ولا سدادا لجعله ظرفا لانذركم او صفة
لصاعقة لغساد المعنى واما جعله صفة لصاعقة عاد اى الكائنة اذ جاءتهم ففيه حذف الموصول مع
بعض صلته من بين ايديهم ومن خلفهم متعلق بجاءتهم اى من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة
او من جهة الزمان الماضي بالانذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما يسحيق بهم من عذاب
الدنيا ومن عذاب الآخرة وقيل المعنى جاءتهم الرسل المتقدمون والمتاخرون على تنزيل مجئ كلامهم
ودعوتهم الى الحق منزلة مجئ انفسهم فان هودا وصالحا كانا داعيين لهم الى الايمان بهما ومجيء الرسل
ممن جاء من بين ايديهم اى من قبلهم وممن يجئ من خلفهم اى من بعدهم فكان الرسل قد جاءوهم وخاطبوهم بقوله

ان لا تعبدوا الا الله اى بان لا تعبدوا على ان ان مصدرية او اى لا تعبدوا على انها مفسرة قالوا لو
شاء الله اى ارسال الرسل لا انزال الملئكة كما قيل فانه عار عن افادة ما ارادوه من نفى رسالة
البشر وقد مر فيما سلف لانزل ملئكة اى لارسلهم لكن لما كان ارسالهم بطريق الانزال قيل لانزل
فانا بما ارسلتم به اى على زعمكم وفيه ضرب تهكم بهم كافرون لما انكم بشر مثلنا من غير فضل لكم علينا روى
ان ابا جهل قال فى ملاء من قريش قد التبس علينا امر محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر
فكلمه ثم اتانا ببيان من امره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة وعلمت من ذلك علما
وما يخفى على فاتاه فقال انت يا محمد خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب انت خير ام عبد الله فبم
تشتم الهتنا وتضللنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا وان تك بك
الباءة زوجناك عشر نسوة تختارهن اى بنات قريش شئت وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغنى
ورسول الله صلعم ساكت فلما فرغ عتبة قال عليه السلم بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله تعالى مثل صاعقة
عاد وثمود فامسك عتبة على فيه عليه السلم وناشده بالرحم ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس
عنهم قالوا ما نرى عتبة الا قد صبا فانطلقوا اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا انك قد صبات
فغضب ثم قال والله لقد كلمته فاجابنى بشئ والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد
وثمود امسكت بفيه وناشدته بالرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان
ينزل بكم العذاب فاما عاد فاستكبروا فى الارض شروع فى حكاية ما يخص بكل واحدة من الطائفتين من
الجناية والعذاب اثر حكاية ما يعم الكل من الكفر المطلق اى فتعظموا فيها على اهلها او استعلوا فيها واستولوا
على اهلها بغير الحق اى بغير استحقاق التعظم والولاية وقالوا مدلين بشدتهم وقوتهم من اشد منا قوة
حيث كانوا ذوى اجسام طوال وخلق عظيم وقد بلغ من قوتهم ان الرجل كان ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها
بيده اولم يروا اى اغفلوا او الم ينظروا ولم يعلموا علما جليا شبيها بالمشاهدة والبيان ان الله الذى
خلقهم هو اشد منهم قوة اى قدرة فانه تعالى قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوى على ما لا يقدر عليه
غيره مفيض للقوى والقدر على كل قوى وقادر وانما اورد فى حيز الصلة خلقهم دون خلق السموات
والارض لادعائهم الشدة فى القوة وفيه ضرب من التهكم بهم وكانوا باياتنا المنزلة على الرسل يجحدون اى
ينكرونها وهم يعرفون حقيتها وهو عطف على فاستكبروا كقوله تعالى وقالوا وما بينهما اعتراض للرد على كلمتهم
الشنعاء فارسلنا عليهم ريحا صرصرا اى باردة تهلك وتحرق بشدة بردها من الصر وهو البرد الذى يصر
اى يجمع ويقبض او عاصفة تصوت فى هبوبها من الصرير فى ايام نحسات جمع نحسة من نحس نحسا
نقيض سعد سعدا وقرئ بالسكون على التخفيف او على انه نعت على فعل او وصف بمصدر مبالغة
قيل كن آخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء وما عذب قوم الا فى يوم الاربعاء لنذيقهم عذاب
الخزى فى الحيوة الدنيا وقرئ لنذيقهم على اسناد الاذاقة الى الريح او الى الايام واضيف العذاب
الى الخزى الذى هو الذل والاستكانة على انه وصف له كما يعرب عنه قوله سبحانه ولعذاب الآخرة
اخزى وهو فى الحقيقة وصف للمعذب وقد وصف به العذاب للمبالغة وهم لا ينصرون بدفع العذاب
عنهم بوجه من الوجوه واما ثمود فهديناهم فدللناهم على الحق بنصب الآيات التكوينية وارسال الرسل

الرسل وانزال الآيات التشريعية وازحنا عللهم بالكلية وقد مر تحقيق معنى الهدى فى تفسير قوله تعالى هدى
للمتقين وقرئ ثمود بالنصب بفعل يفسره ما بعده ومنونا فى الحالين وبضم الثاء فاستحبوا العمى على الهدى
اى اختاروا الضلالة على الهداية فاخذتهم صاعقة العذاب الهون داهية العذاب وقارعة
العذاب والهون والهوان وصف به العذاب مبالغة او ابدل منه بما كانوا يكسبون من اختيار
الضلالة ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون من تلك الصاعقة ويوم يحشر اعداء الله شروع فى
بيان عقوباتهم الآجلة اثر بيان عقوباتهم العاجلة والتعبير عنهم باعداء الله تعالى لذمهم والايذان
بعلة ما يحيق بهم من الوان العذاب وقيل المراد بهم الكفار من الاولين والآخرين ويرده ما سيأتى
من قوله تعالى فى امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس وقرئ يحشر على بناء الفاعل ونصب اعداء
الله ونون العظمة وضم الشين وكسرها الى النار اى الى موقف الحساب اذ هناك تتحقق الشهادة
الآتية لا بعد تمام السؤال والجواب وسوقهم الى النار والتعبير عنه بالنار اما للايذان بانها عاقبة
حشرهم وانهم على شرف دخولها واما لان حسابهم يكون على شفيرها ويوم اما منصوب باذكر او ظرف
لمضمر مؤخر قد حذف ايهاما لقصور العبارة عن تفصيله كما مر فى قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقيل
ظرف لما يدل عليه قوله تعالى فهم يوزعون اى يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرتهم
وقيل يساقون ويدفعون الى النار وقوله تعالى حتى اذا ما جاؤها اى جميعا غاية ليحشر او ليوزعون
اى حتى اذا حضروها وما مزيدة لتاكيد اتصال الشهادة بالحضور شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم
بما كانوا يعملون فى الدنيا من فنون الكفر والمعاصى بان ينطقها الله تعالى او يظهر عليها آثار ما اقترفوا بها
وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان المراد بشهادة الجلود شهادة الفروج وهو الانسب بتخصيص السؤال
بها فى قوله تعالى وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا فان ما تشهد به من الزنا اعظم جناية وقبحا واجلب
للخزى والعقوبة مما يشهد به السمع والابصار من الجنايات المكتسبة بتوسطهما وقيل
المراد بالجلود الجوارح اى يسألوها سؤال توبيخ لما روى انهم قالوا فعنكن كنا نناضل وفى رواية
بعدا لكن وسحقا عنكن كنت اجادل وصيغة جمع العقلاء فى خطاب الجلود وفى قوله تعالى
قالوا انطقنا الله الذى انطق كل شئ لوقوعها فى موقع السؤال والجواب المختصين بالعقلاء اى
انطقنا الله الذى انطق كل ناطق واقدرنا على بيان الواقع فشهدنا عليكم بما عملتم بوساطتنا من
القبائح وما كتمناها وقيل ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا الله الذى انطق كل شئ وليس بذاك
لما فيه من ايهام الاضطرار فى الاخبار وقيل سألوها سؤال تعجب فالمعنى حينئذ ليس نطقنا
بعجب من قدرة الله الذى انطق كل شئ وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون فان من قدر على خلقكم
وانشائكم اولا وعلى اعادتكم ورجعكم الى جزائه ثانيا لا يتعجب من انطاقه لجوارحكم ولعل
صيغة المضارع مع ان هذه المحاورة بعد البعث والرجع لما ان المراد بالرجع ليس مجرد الرد
الى الحيوة بالبعث بل ما يعمه وما يترتب عليه من العذاب الخالد المترتب عند التخاطب على
تغليب المتوقع على الواقع على ان فيه مراعاة الفواصل وقوله تعالى وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم
سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم حكاية لما سيقال لهم يومئذ من جهته تعالى بطريق التوبيخ والتقريع تقريرا

فى آية اخرى
يوم يسحبون فى النار على وجوههم
ذوقوا مس سقر وفى آية اخرى
يوم يدعون الى نار جهنم دعا

لجواب الجلود اي ما كنتم تستترون في الدنيا عند مباشرتكم الفواحش مخافة ان تشهد عليكم جوارحكم
بذلك كما كنتم تستترون الناس مخافة الافتضاح عندهم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء راسا
ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون من القبائح المخفية فلا يظهرها في الآخرة وكذلك اجترأتم
على ما فعلتم وفيه ايذان بان شهادة الجوارح باعلامه تعالى حينئذ لانها كانت عالمة بما شهدت
به عند صدوره عنهم عن ابن مسعود رضي الله عنه كنت مستترا باستار الكعبة فدخل ثلثة نفر ثقفيان
وقرشي او قرشيان وثقفي فقال احدهم اترون ان الله يسمع ما نقول قال الآخر يسمع ان جهرنا
ولا يسمع ان اخفينا فذكرت ذلك للنبي عليه السلام فانزل الله تعالى وما كنتم تستترون الآية
فالحكم المحكي حينئذ يكون خاصا بمن كان على ذلك الاعتقاد من الكفرة ولعل الانسب ان
يراد بالظن معنى مجازي يعم معناه الحقيقي وما يجري مجراه من الاعمال المنبئة عنه كما في قوله تعالى
يحسب ان ماله اخلده ليعم ما حكي من الحال جميع اصناف الكفرة فتدبر وذلكم اشارة الى
ما ذكر من ظنهم وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية بعد منزلته في الشر والسوء وهو مبتدأ
وقوله تعالى ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم خبران له ويجوز ان يكون ظنكم بدلا وارداكم خبرا
فاصبحتم بسبب ذلك الظن السوء الذي اهلككم من الخاسرين اذ صار ما منحوا لنيل
سعادة الدارين سببا لشقاء النشأتين فان يصبروا فالنار مثوى لهم اي محل ثواء واقامة
ابدية لهم بحيث لا براح لهم منها والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء حالهم ان يعرض
عنهم ويحكي سوء حالهم لغيرهم او للاشعار بابعادهم عن حيز الخطاب والقائهم في غيابة دركات النار
وان يستعتبوا اي يسألوا العتبى وهو الرجوع الى ما يحبونه جزعا مما هم فيه فما هم من المعتبين المجا بين
اليها ونظيره قوله تعالى سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقرئ ان يستعتبوا فما هم من
المعتبين اي ان يسألوا ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون لفوات المكنة وقيضنا لهم اي قدرنا
وقرنا للكفرة في الدنيا قرناء جمع قرين اي اخدانا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض
على البيض وهو القشر وقيل اصل القيض البدل ومنه المقايضة للمعاوضة فزينوا ما بين
ايديهم من امور الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من امور الآخرة حيث اروهم ان لا بعث
ولا حساب ولا مكروه قط وحق عليهم القول اي ثبت وتقرر عليهم كلمة العذاب وتحقق موجبها
ومصداقها وهي قوله تعالى لابليس فالحق والحق اقول لاملأن جهنم منكم اجمعين كما مر مرارا في امم
حال من الضمير المجرور اي كائنين في جملة امم وقيل في بمعنى مع وهذا كما ترى صريح في ان المراد باعداء
الله تعالى فيما سبق المعهودون من عاد وثمود لا الكفار من الاولين والآخرين كما قيل قد خلت
صفة لامم اي مضت من قبلهم من الجن والانس على الكفر والعصيان كداب هؤلاء انهم كانوا
خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير للاولين والآخرين وقال الذين كفروا من
رؤساء المشركين لاعقابهم او قال بعضهم لبعض لا تسمعوا لهذا القرآن اي لا تنصتوا له والغوا
فيه وعارضوه بالخرافات من الرجز والشعر والتصدية والمكاء او ارفعوا اصواتكم بها لتشوشوه
على القارئ وقرئ بضم الغين والمعنى واحد يقال لغي يلغى كلقي يلقى ولغا يلغو اذا هذى لعلكم

لعلكم تغلبون اي تغلبونه على قراءته فلنذيقن الذين كفروا اي فوالله لنذيقن هؤلاء القائلين واللاغين
او جميع الكفار وهم داخلون فيهم دخولا اوليا عذابا شديدا لا يقادر قدره ولنجزينهم اسوأ الذي
كانوا يعملون اي جزاء سيئات اعمالهم التي هي في انفسها اسوأ وقيل انه لا يجازيهم بمحاسن
اعمالهم كاغاثة الملهوفين وصلة الارحام وقرى الاضياف لانها محبطة بالكفر وعن ابن عباس
رضي الله عنهما عذابا شديدا يوم بدر واسوأ الذي كانوا يعملون في الآخرة ذلك مبتدأ وقوله تعالى
جزاء اعداء الله خبره اي ما ذكر من الجزاء جزاء معد لاعدائه تعالى وقوله تعالى النار عطف بيان للجزاء
وذلك خبر مبتدأ محذوف اي الامر ذلك على انه عبارة عن مضمون الجملة لا عن الجزاء وما بعده
جملة مستقلة مبينة لما قبلها وقوله تعالى لهم فيها دار الخلد جملة مستقلة مقررة لما قبلها او النار مبتدأ
هي خبره اي هي بعينها دار اقامتهم على ان في للتجريد وهو ان ينتزع من امر ذي صفة امر آخر مثله
مبالغة لكماله فيها كما يقال في البيضة عشرون منا حديد وقيل هي على معناها والمراد ان لهم في النار
المشتملة على الدركات دارا مخصوصة هم فيها خالدون جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون منصوب بفعل
مقدر اي يجزون جزاء او بالمصدر السابق فان المصدر ينتصب بمثله كما في قوله تعالى فان جهنم جزاؤكم
جزاء موفورا والباء الاولى متعلقة بجزاء والثانية بيجحدون قدمت عليه لمراعاة الفواصل اي بسبب
ما كانوا يجحدون بآياتنا الحقة او يلغون فيها وذكر الجحود لكونه سببا للغو وقال الذين كفروا وهم
متقلبون فيما ذكر من العذاب ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس يعنون فريقي شياطين
النوعين المقيضين لهم الحاملين لهم على الكفر والمعاصي بالتسويل والتزيين وقيل هما ابليس وقابيل
فانهما سنا الكفر والقتل بغير حق وقرئ ارنا تخفيفا كفخذ في فخذ وقيل معناه اعطناهما وقرئ
باختلاس كسرة الراء نجعلهما تحت اقدامنا اي ندسهما انتقاما منهما وقيل نجعلهما في الدرك
الاسفل ليكونا من الاسفلين اي ذلا ومهانة او مكانا ان الذين قالوا ربنا الله شروع في بيان
حسن احوال المؤمنين في الدنيا والآخرة بعد بيان سوء حال الكفرة فيهما اي قالوه اعترافا بربوبيته
تعالى واقرارا بوحدانيته ثم استقاموا اي ثبتوا على الاقرار ومقتضياته على ان ثم للتراخي في الزمان او
في الرتبة فان الاستقامة لها الشأن كله وما روي من الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم في معناها من
الثبات على الايمان واخلاص العمل واداء الفرائض بيان لجزئياتها تتنزل عليهم الملائكة من جهته
تعالى يمدونهم فيما يعن لهم من الامور الدينية والدنيوية بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن
بطريق الالهام كما ان الكفرة يغويهم ما قيض لهم من قرناء السوء بتزيين القبائح وقيل تتنزل عند
الموت بالبشرى وقيل اذا قاموا من قبورهم وقيل البشرى في مواطن ثلثة عند الموت وفي القبر
وعند البعث والاظهر هو العموم والاطلاق كما ستعرفه الا تخافوا ما تقدمون عليه فان الخوف
غم يلحق لتوقع المكروه ولا تحزنوا على ما خلفتم فانه غم يلحق لوقوعه من فوات نافع او حصول ضار
وقيل المراد نهيهم عن الغموم على الاطلاق والمعنى ان الله تعالى كتب لكم الامن من كل غم فلن
يذوقوه ابدا وان واما مفسرة او مخففة من الثقيلة والاصل بانه لا تخافوا والهاء ضمير الشأن وقرئ
لا تخافوا اي يقولون لا تخافوا على انه حال من الملائكة او استيناف وابشروا اي سروا بالجنة التي كنتم توعدون

فى الدنيا على ألسنة الرسل هذا من بشاراتهم فى احد المواطن الثلثة وقوله تعالى نحن اولياؤكم فى الحيوة
الدنيا الخ من بشاراتهم فى الدنيا اى اعوانكم فى اموركم نلهمكم الحق ونرشدكم الى ما فيه خيركم وصلاحكم
ولعل ذلك عبارة عما يخطر ببال المؤمنين المستمرين على الطاعات من ان ذلك بتوفيق الله تعالى وتاييده
لهم بواسطة الملائكة وفى الآخرة عندكم بالشفاعة وتتلقاكم بالكرامة حين يقع بين الكفرة وقرنائهم ما يقع
من التعادى والخصام ولكم فيها اى فى الآخرة ما تشتهى انفسكم من فنون الطيبات ولكم فيها ما تدعون
ما تتمنون افتعال من الدعاء بمعنى الطلب اى تدعون لانفسكم وهو اعم من الاول ولكم فى الموضعين خبر
وما مبتداء وفيها حال من ضميره فى الخبر وعدم الاكتفاء بعطف ما تدعون على ما تشتهى للاشعار فى البشارة
والايذان باستقلال كل منهما نزلا من غفور رحيم حال مما تدعون مفيدة لكون ما يتمنونه بالنسبة الى ما يعطون
من عظائم الاجور كالنزل للضيف ومن احسن قولا ممن دعا الى الله اى الى توحيده تعالى وطاعته
عن ابن عباس رضى الله عنهما هو رسول الله عليه الصلوة والسلام وعنه انهم اصحاب رسول الله
عليه الصلوة وقيل نزلت فى المؤذنين والحق ان حكمها عام لكل من جمع ما فيها من الخصال الحميدة وان
نزلت فيمن ذكر وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وقال انني من المسلمين اتبعها جوابا بانه منهم او اتخاذا للاسلام
دينا وملة من قولهم هذا قول فلان اى مذهبه لا انه تكلم بذلك وقرئ انني بنون واحدة ولا تستوى الحسنة
ولا السيئة جملة مستانفة سيقت لبيان محاسن الاعمال الجارية بين العباد اثر بيان محاسن
الاعمال الجارية بين العبد وبين الرب عز وجل ترغيبا لرسول الله عليه الصلوة فى الصبر على اذية المشركين
ومقابلة مساءتهم بالاحسان اى لا تستوى الخصلة الحسنة والسيئة فى الآثار وة الاحكام ولا الثانية
مزيدة لتاكيد النفى وقوله تعالى ادفع بالتى هى احسن الخ استيناف مبين لحسن عاقبة الحسنة اى
ادفع السيئة حيث اعترضتك من بعض اعاديك بالتى هى احسن ما يمكن دفعها به من المحاسن
كالاحسان الى من اساء فانه احسن من العفو واخراجه مخرج الجواب عن سؤال من قال كيف اصنع
للمبالغة ولذلك وضع احسن موضع الحسنة وقوله تعالى فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى
حميم بيان لنتيجة الدفع المامور به اى فاذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولى الشفيق وما
يلقاها اى ما يلقى هذه الخصلة والسجية التى هى مقابلة الاساءة بالاحسان الا الذين صبروا اى شانهم
الصبر وما يلقاها الا ذو حظ عظيم من الخير وكمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة وقيل هو الثواب
قيل نزلت فى ابى سفيان بن حرب وكان موذيا لرسول الله عليه الصلوة فصار وليا مصافيا واما
ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ والنسغ بمعنى وهو شبه النخس شبه به وسوسة الشيطان
لانها بعث على ان وجعل نازغا على طريقة جد جده او اريد وامانينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر
اى وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتى هى احسن فاستعذ بالله من شره ولا تطعه
انه هو السميع باستعاذتك العليم بنيتك الصالحة فى جعل ترك الدفع بالاحسن من آثار نزغاته
الشيطان خرج تحذيرا وتنفيرا عنه ومن آياته الدالة على شئونه العظيمة الليل والنهار والشمس والقمر
كل منها مخلوق من مخلوقاته مسخر لامره لا تسجدوا للشمس ولا للقمر لانهما من جملة مخلوقاته المسخرة لاوامره
مثلكم واسجدوا لله الذى خلقهن الضمير للاربعة لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم الانثى او الاناث اولانها

لانها عبارة عن الآيات وتعليق الفعل بالكل مع كفاية بيان مخلوقية الشمس والقمر للايذان بكمال استقلالها
عن رتبة المسجودية بتنظيمها فى المخلوقية فى سلك اللواحق التى لا قيام لها بذاتها وهو السر فى نظم الكل فى الآية
ان كنتم اياه تعبدون فان السجود اقصى مراتب العبادة فلابد من تخصيصه بسبحانه وهو موضع
السجود عند الشافعى رحمه الله وعندنا آخر الآية الاخرى لانه تمام المعنى فان استكبروا عن الامتثال
فالذين عند ربك من الملائكة يسبحون له بالليل والنهار اى دايما وهم لا يسامون لا يفترون ولا يعلون
وقرئ لا يسئمون بكسر الياء ومن آياته انك ترى الارض خاشعة يابسة متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى
التذلل فاذا انزلنا عليها الماء اى المطر اهتزت وربت اى تحركت بالنبات وانتفخت
لان النبت اذا دنى ان يظهر ارتفعت له الارض وانتفخت ثم تصدعت عن النبات وقيل ربت زخرفت
بالنبات وقرئ ربأت اى ارتفعت ان الذى احياها بما ذكر بعد موتها لمحيى الموتى بالبعث انه على
كل شئ من الاشياء التى من جملتها الاحياء قدير مبالغ فى القدرة ان الذين يلحدون يميلون عن الاستقامة
وقرئ يلحدون فى آياتنا بالطعن فيها وتحريفها بحملها على المحامل الباطلة لا يخفون علينا فنجازيهم بالحادهم
وقوله تعالى افمن يلقى فى النار خير امن يأتى امنا يوم القيمة تبنيه على كيفية الجزاء اعملوا ما شئتم من الاعمال
المودية الى ما ذكر من الالقاء فى النار والاتيان آمنا وفيه تهديد شديد انه بما تعملون بصير فيجازيكم بحسب
اعمالكم وقوله تعالى ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم بدل من قوله تعالى ان الذين يلحدون الخ وخبر ان هو الخبر
السابق وقيل مستانف وخبرها محذوف وقال الكسائى سدت مسدة الخبر السابق والذكر القرآن وقوله
تعالى وانه لكتاب عزيز اى كثير المنافع عديم النظير او منيع لا يتاتى معارضته جملة حالية مفيدة لغاية شناعة
الكفر به وقوله تعالى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه اى لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات صفة
اخرى لكتاب وقوله تعالى تنزيل من حكيم حميد خبر لمبتدا محذوف او صفة اخرى لكتاب مفيدة لفخامته
الاضافة كما ان الصفتين السابقتين مفيدتان لفخامته الذاتية وقوله تعالى لا ياتيه الخ اعتراض عند
من لا يجوز تقديم غير الصحيح من الصفات على الصحيح كل ذلك لتاكيد بطلان الكفر بالقرآن وقوله تعالى
ما يقال لك الخ تسلية لرسول الله عليه الصلوة عما يصيبه من اذية الكفار اى ما يقال فى شانك وشان ما انزل
اليك من القرآن من جهة كفار قومك الا ما قد قيل للرسل من قبلك اى الامثل ما قد قيل فى حقهم مما
لا خير فيه ان ربك لذو مغفرة لانبيائه وذو عقاب اليم لاعدائهم وقد نصر من قبلك من الرسل
وانتقم من اعدائهم وسيفعل مثل ذلك بك وباعدائك ايضا ولو جعلناه قرآنا اعجميا جواب
لقولهم هلا انزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر لقالوا لولا فصلت آياته اى بينت بلسان نفقهه
وقوله تعالى اا عجمى وعربى انكار مقرر للتخصيص والاعجمى يقال لكلام لا يفهم وللمتكلم به والياء للمبالغة
فى الوصف كاحمرى والمعنى اكلام اعجمى ورسول او مرسل اليه عربى على ان الافراد مع كون المرسل
اليهم امة جمة لما ان المراد بيان التنافى والتنافر بين الكلام وبين المخاطب به لا بيان كون المخاطب
واحدا او جمعا وقرئ اعجمى اى اكلام منسوب الى امة العجم وقرئ اعجمى على الاخبار بان القرآن اعجمى
والمتكلم او المخاطب عربى ويجوز ان يراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها اعجميا لافهام العجم وبعضها عربيا
لافهام العرب وايا ما كان فالمقصود بيان ان آيات الله تعالى على اى وجه جاءتهم وجدوا فيها متعنتا

يتعللون به قل هو للذين آمنوا هدى يهديهم الى الحق وشفاء لما في الصدور من شك وشبهة والذين لا يؤمنون
مبتدا وخبره في اذانهم وقر على ان التقدير هو اى القرآن في اذانهم وقر على ان وقر خبر للضمير المقدر وفي
اذانهم متعلق بمحذوف وقع حالا من وقر وهو اوفق لقوله تعالى وهو عليهم عمى وقيل خبر الموصول في اذانهم
ووقر فاعل الظرف وقيل وقر مبتدا والظرف خبره والجملة خبر للموصول وقيل التقدير والذين لا يؤمنون
في اذانهم منه وقر ومن جوز العطف على عاملين عطف الموصول على الموصول الاول اى هو للاولين هدى و
شفاء وللاخرين وقر في اذانهم اولئك اشارة الى الموصول الثاني باعتبار اتصافه بما في حيز صلته وما فيه من
ما انبت له وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الشر مع ما فيه من كمال
المناسبة للنداء من بعيد اى اولئك البعداء الموصوفون بما ذكر من التصام عن الحق الذي يسمعونه والتعامي
عن الآيات الظاهرة التي يشاهدونها ينادون من مكان بعيد تمثيل لهم في عدم قبولهم واستماعهم لما لمن
ينادي من مسافة نائية لا يكاد يسمع من مثلها الاصوات ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه
كلام مستانف مسوق لبيان ان الاختلاف في شان الكتب عادة قديمة للامم غير مختص بقومك على
منهاج قوله تعالى ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك اى وبالله لقد آتيناه التوراة فاختلف فيها
فمن مصدق لها ومكذب وهكذا حال قومك في شان ما آتيناك من القرآن فمن مؤمن به وكافر ولولا كلمة
سبقت من ربك في حق امتك المكذبة وهي العدة بتاخير عذابهم وفصل ما بينهم وبين المؤمنين من الخصومة
الى يوم القيمة نحو قوله تعالى الا تعة موعدهم وقوله ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى لقضي بينهم باستيصال
المكذبين كما فعل بمكذب الامم السالفة وانهم اى كفار قومك لفي شك منه مريب اى من القرآن
وجعل الضمير الاول لليهود والثاني للتوراة تمحلا وجعله من عمل صالحا بان آمن بالكتب وعمل بموجبها
فلنفسه اى فلنفسه عمله او فنفعه لنفسه لا لغيره ومن اساء فعليها ضرره لا على غيره وما ربك بظلام
للعبيد اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله مبني على تنزيل ترك اثابة المحسن بعمله او اثابة الغير بعمله وتنزيل
التعذيب بغير اساءة او باساءة غيره منزلة الظلم الذي يستحيل صدوره عنه سبحانه وتعالى وقد حرمنا
في المقام من التحقيق والتفصيل في سورة آل عمران وسورة الانعام اليه يرد علم الساعة اى اذا سئل عنها
يقال الله يعلم او لا يعلمها الا الله تعالى وما تخرج من ثمرات من اكمامها اى من اوعيتها جمع كم بالكسر وهو
وعاء الثمرة كجنى الطلعة وقرئ من ثمرة على ارادة الجنس والجمع لاختلاف الانواع وقد قرئ كجمع
الضمير ايضا وما نافية ومن الاولى مزيدة للاستغراق واحتمال ان تكون موصولة معطوفة على
الساعة ومن بيانية بعيد وما تحمل من انثى ولا تضع اى حملها وقوله تعالى الا بعلمه استثناء مفرغ من اعم
الاحوال اى وما يحدث شيء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع ملابسا بشيء من الاشياء الا
ملابسا بشيء من الاشياء الا ملابسا بعلمه المحيط ويوم يناديهم اين شركائي اى بزعمكم كما نص عليه في
قوله تعالى اين شركائي الذين زعمتم وفيه تهكم بهم وتوبيخ لهم ويوم منصوب باذكر او حذف لمضمر مؤخر
قد ترك ايذانا بقصور البيان عنه كما مر في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل قالوا آذناك اى اخبرناك
ما منا من شهيد من احد يشهد لهم بالشركة اذ تبرانا منهم للعيان الحال وما منا احد الا هو موحد لك
او ما منا من احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم حينئذ وقيل هو قول الشركاء اى ما منا من شهيد يشهد لهم

لهم بانهم كانوا محقين وقولهم آذناك اما لان هذا التوبيخ مسبوق بتوبيخ آخر مجاب بهذا الجواب
او لان معناه انك علمت من قلوبنا وعقائدنا الآن اثر ما لا نشهد لك الشهادة الباطلة لانه اذا علم
من نفوسهم فكانهم اعلموه او لان معناه الاخبار باذان قد كان مثل ذلك وضل عنهم ما
كانوا يدعون اى يعبدون من قبل اى غابوا عنهم او ظهر عدم نفعهم فكان حضورهم كغيبتهم وظنوا
اى ايقنوا ما لهم من محيص مهرب والظن معلق عنه بحرف النفي لا يسأم الانسان اى لا يمل ولا يفتر
من دعاء الخير من طلب السعة في النعمة واسباب المعيشة وقرئ من دعاء بالخير وان مسه الشر
اى العسر والضيقة فيؤس قنوط فيه مبالغة من جهة البناء ومن جهة التكرير ومن جهة ان القنوط
عبارة عن يأس مفرط يظهر اثره في الشخص فيتضاءل وينكسر اى مبالغ في قطع الرجاء من فضل الله تعالى
ورحمته وهذا وصف للجنس بوصف غالب افراده فلا ان اليأس من رحمة تعالى لا يتأتى الا من
الكافر وسيصرح به ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا
لي اى حقي استحقه لما لي من الفضل والعمل اولي لا يغيري فلا يزول عني ابدا وما اظن الساعة قائمة
اى تقوم فيما يأتي ولئن رجعت الى ربي على تقدير قيامها ان لي عنده للحسنى اى للحالة الحسنى من
الكرامة وذلك لاعتقاده ان ما اصابه من نعم الدنيا لاستحقاقه لها وان نعم الآخرة كذلك فلننبئن
الذين كفروا بما عملوا اى لنعلمنهم بحقيقة اعمالهم حين اظهرنا ما بصورها الحقيقية وقدر تحقيقه
في سورة الاعراف عند قوله تعالى والوزن يومئذ الحق وفي قوله تعالى انما بغيكم على انفسكم من سورة
يونس ولنذيقنهم من عذاب غليظ لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه واذا انعمنا على الانسان اعرض
اى عن الشكر ونأى بجانبه اى ذهب بنفسه وتباعد بكليته تكبرا او تعظما والجانب مجاز عن
النفس كما في قوله تعالى في جنب الله ويجوز ان يراد به عطفه ويكون عبارة عن الانحراف والازورار
كما قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض اى كثير مستعار من عرض
للاشعار بكثرته واستمراره وهو ابلغ من الطويل اذ الطول اطول الممتدين فاذا كان عرض كذلك
فما ظنك بطوله ولعل هذا شان بعض غير البعض الذي حكي عنه اليأس والقنوط او شان الكل في بعض
الاوقات قل ارايتم اى اخبروني ان كان اى القرآن من عند الله ثم كفرتم به مع تعاضد موجبات
الايمان به من افضل ممن هو في شقاق بعيد اى من اضل منكم فوضع الموصول موضع الضمير شرحا لحالهم
وتعليلا لمزيد ضلالهم سنريهم آياتنا الدالة على حقيته وكونه من عند الله في الآفاق هو ما اخبرهم
النبي عليه السلام من الحوادث الآتية واثار النوازل الماضية وما يسر الله تعالى له وللخلفاء من الفتوح
والظهور على آفاق الدنيا والاستيلاء على المشارق والمغارب على وجه خارق للعادة وفي انفسهم
هو ما ظهر فيما بين اهل مكة وما حل بهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما في الآفاق اى منازل الامم
الخالية واثارهم وفي انفسهم يوم بدر وقال مجاهد والحسن والسدي في الآفاق ما يفتح الله من
القرى عليه عليه السلام والمسلمين وفي انفسهم فتح مكة وقيل في الآفاق اى في اقطار السموات
والارض من الشمس والقمر والنجوم وما يترتب عليها من الليل والنهار والاضواء والظلال و
الظلم ومن النبات والاشجار والانهار وفي انفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة في تكوين

الاجنة في ظلمات الارحام وحدوث الاعضاء العجيبة والتركيبات الغريبة كقوله تعالى وفي
انفسكم افلا تبصرون واعتذر بان معنى السين مع ان اراءة تلك الايات قد حصلت قبل ذلك
انه تعالى سيطلعهم على تلك الايات زمانا فزمانا ويزيدهم وقوفا على حقائقها يوما فيوما حتى يتبين
لهم بذلك انه الحق اى القرآن او الاسلام والتوحيد اولم يكف بربك استيناف وارد
لتوبيخهم على تردودهم في شان القرآن وعنادهم المجح الى ارأة الآيات وعدم اكتفائهم باخباره
تعالى والمزة للانكار والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى الم يغن ولم يكف ربك والباء
مزيدة للتاكيد ولا يكاد يزاد الا مع كفى وقوله تعالى انه على كل شئ شهيد بدل منه اى الم يغنهم عن ارأة
الآيات الموعودة المبينة لحقيقة القرآن ولم يكفهم في ذلك انه تعالى شهيد على جميع الاشياء وقد اخبر
بانه من عنده وقيل معناه ان هذا الموعود من اظهار ايات الله في الآفاق وفي انفسهم سيرونه
ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك ان القرآن تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شئ شهيد اى مطلع
يستوي عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا على انه حق وانه من عنده ولو لم يكن كذلك لما قوى
هذه القوة ولما نصر حامليه هذه النصرة فتامل واما ما قيل من ان المعنى اولم يكفك انه تعالى على كل شئ شهيد
محقق له فيحقق امرك باظهار الآيات الموعودة كما حقق سائر الاشياء الموعودة فمع اشعاره بما لا يليق
بجلالة منصبه عليه اللام من التردد فيما ذكر من تحقيق الموعود يرده قوله تعالى الا انهم في مرية من لقاء ربهم
اى في شك عظيم من ذلك بالبعث والجزاء فانه صريح في ان عدم الكفاية معتبر بالنسبة اليهم وقرئ مرية
بالضم وهي لغة فيها الا انه بكل شئ محيط علما بجميع الاشياء جملها وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا يخفى عليه
خافية منهم وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم لما اخبر عن رسول الله عليه السلم من قراءة سورة السجدة اعطاه الله تعالى بكل حرف عشر حسنات

سورة حمعسق بسم الله الرحمن الرحيم

حم عسق اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا آيتين وقيل اسم واحد والفصل لتناسب سائر
الحواميم وقرئ حم سق فعلى الاول هما جزءان لمبتدا محذوف وقيل حم مبتدا عسق خبره وعلى الثاني
الكل خبر واحد وقوله تعالى كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم كلام مستانف
وارد لتحقيق ان مضمون السورة موافق لما في تضاعيف سائر الكتب المنزلة على الرسل المتقدمة
في الدعوة الى التوحيد والارشاد الى الحق او ان ايحاءها مثل ايحاء ما بعد تنويهها بذكر اسمها والتنبيه
على فخامة شانها والكاف في حيز النصب على انه مفعول ليوحي على الاول وعلى انه نعت لمصدر مؤكد له
على الثاني وذلك على الاول اشارة الى ما فيها وعلى الثاني الى ايحائها وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة
المشار اليه وبعد منزلته في الفضل اى مثل ما في هذه السورة من المعاني اوحى اليك في سوائر السور والى من قبلك
من الرسل في كتبهم على ان مناط المماثلة ما اشير اليه من الدعوة الى التوحيد والارشاد الى الحق وما فيه
صلاح العباد في المعاش والمعاد او مثل ايحائها اوحي اليك عند ايحاء سائر السور والى سائر الرسل
عند ايحاء كتبهم اليهم لا ايحاء مغايرا له كما في قوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح الآية على ان مدار
المماثلة كونه بواسطة الملك وصيغة المضارع على حكاية الحال الماضية للايذان باستمرار الوحي وان ايحاءه

ايحاء مثله عادته وفي جعل مضمون السورة او ايحائها مشبها به من تفخيمها ما لا يخفى وكذا في وصفه تعالى
بوصفي العزة والحكمة وتاخير الفاعل لمراعاة الفواصل مع ما فيه من التشويق وقرئ يوحى على البناء
للمفعول على ان كذلك مبتداء ويوحى خبره المسند الى ضميره او مصدر ويوحى مسند الى اليك والله
مرتفع بما دل عليه يوحى يوحي كانه قيل من يوحي فقيل الله والعزيز الحكيم صفتان له او مبتداء كما في قراءة
يوحي والعزيز وما بعده خبران له او العزيز الحكيم صفتان له وقوله تعالى له ما في السموات وما في الارض
وهو العلي العظيم خبران له وعلى الوجوه السابقة استيناف مقرر لعزته وحكمته تكاد السموات
وقرئ بالياء يتفطرن يتشققن من عظمة الله تعالى وقيل من دعاء الولد له كما في سورة مريم وقرئ
ينفطرن والاول ابلغ لانه مطاوع فطر وهذا مطاوع فطر وقرئ تتفطرن بالتاء لتاكيد التانيث
وهو نادر من فوقهن اى يبتدئ التفطر من جهتهن الفوقية وتخصيصها على الاول لما ان اعظم
الآيات وادلها على العظمة والجلال من تلك الجهة وعلى الثاني للدلالة على التفطر من تحتهن بالطريق
الاولى لان تلك الكلمة الشنعاء الواقعة في الارض حين اشركت في جهة الفوق فلان توثر في جهة
التحت اولى وقيل الضمير للارض فانها في معنى الارضين والملائكة يسبحون بحمد ربهم تنزيهه
تعالى عما لا يليق به ملتبسين بحمده ويستغفرون لمن في الارض بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم من
الشفاعة والالهام وترتيب الاسباب المقربة الى الطاعة واستدعاء تاخير العقوبة طمعا
في ايمان الكافر وتوبة العاصي وهذا يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعي فيما
يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين كما في قوله تعالى ويستغفرون
للذين آمنوا فالمراد به الشفاعة الا ان الله هو الغفور الرحيم اذ ما من مخلوق الا وله حظ
عظيم من رحمته تعالى وعلى الاول زيادة تقرير لعظمته تعالى وعلى الثاني بيان لكمال تقدسه عما نسب اليه
وان ترك معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء بسبب استغفار الملائكة وفرط غفرانه ورحمته
فيها رمز الى انه تعالى يقبل استغفارهم ويزيدهم على ما طلبوه من المغفرة رحمة والذين اتخذوا من دونه
اولياء شركاء واندادا الله حفيظ عليهم رقيب على احوالهم واعمالهم فمجازيهم بها وما انت عليهم بوكيل
بموكل بهم او بموكول اليه امرهم وانما وظيفتك الانذار وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا ذلك اشارة
الى مصدر اوحينا ومحل الكاف النصب على المصدرية وقرآنا عربيا مفعول لاوحينا اى ومثل ذلك
الايحاء البديع البين المفهم اوحينا اليك قرآنا عربيا لا لبس فيه عليك ولا على قومك وقيل اشارة الى معنى
الآية المتقدمة من انه تعالى هو الحفيظ عليهم وانما انت نذير فحسب فالكاف مفعول به لاوحينا وقرآنا عربيا
حال من المفعول به اى اوحينا اليك وهو قرآن عربي بين لتنذر ام القرى اى اهلها وهي مكة ومن حولها
من العرب وتنذر يوم الجمع اى يوم القيمة لانه يجمع فيه الخلايق فالله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل
يجمع فيه الارواح والاشباح وقيل الاعمال والعمال والانذار يتعدى الى مفعولين وقد يتعدى الى ثانيهما
بالباء وقد حذف ههنا ثاني مفعولي الاول واول مفعولي الثاني للتهويل وايهام التعميم وقرئ لينذر بالياء
على ان فاعله ضمير القرآن لا ريب فيه اعتراض مقرر لما قبله فريق في الجنة وفريق في السعير اى بعد جمعهم في
الموقف فانهم يجمعون فيه اولا ثم يفرقون بعد الحساب والتقدير منهم فريق والضمير للمجموعين لدلالة

الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحالية منهم اى وتنذر يوم جمعهم متفرقين اى مشارفين للتفرق او متفرقين فى دارى
الثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلهم اى فى الدنيا امة واحدة قيل مهتدين او ضالين وهو تفصيل
لما اجمله ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله على دين واحد فمعنى قوله تعالى ولكن يدخل من يشاء فى رحمته انه تعالى يدخل
فى رحمته من يشاء ان يدخله فيها ويدخل فى عذابه من يشاء ان يدخله فيه ولا ريب فى ان مشيته تعالى لكل من
الادخالين تابعة لاستحقاق كل من الفريقين لدخول مدخله ومن ضرورة اختلاف الرحمة والعذاب
اختلاف حال الداخلين فيهما قطعا فلم يشاء جعل الكل امة واحدة بل جعلهم فريقين وانما قيل والظالمون
ما لهم من ولى ولا نصير للايذان بان الادخال فى العذاب من جهة الداخلين بموجب سوء اختيارهم لا من
جهته تعالى كما فى الادخال فى الرحمة لا لما قيل من المبالغة فى الوعيد وقيل مؤمنين كلهم وهو ما قاله مقاتل على
دين الاسلام كما فى قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها والمعنى
ولو شاء الله مشية قدرة لقسرهم على الايمان ولكنه شاء مشية حكمة وكلفهم وبنى امرهم على ما يختارون
ليدخل المؤمنين فى رحمته وهم المرادون بقوله تعالى من يشاء وترك الظالمين بغير ولى ولا نصير وانت
خبير بان فرض جعل الكل مؤمنين يأباه تصدير الاستدراك بادخال بعضهم فى رحمته اذ الكل حينئذ داخلون
داخلون فيها فكان المناسب حينئذ تصديره باخراج بعضهم من بينهم وادخالهم فى عذابه فالذى يقتضيه
سياق النظم الكريم وسياقه ان يراد الاتحاد فى الكفر كما فى قوله تعالى كان الناس امة واحدة فبعث الله
النبيين الآية على احد الوجهين بان يراد بهم الذين هم فى فترة ادريس او فى فترة نوح عليهما السلام فالمعنى ولو
شاء الله لجعلهم امة واحدة متفقة على الكفر بان لا يرسل اليهم رسولا لينذرهم ما ذكر من يوم الجمع وما فيه
من الوان الاهوال فيبقوا على ما هم عليه من الكفر ولكن يدخل من يشاء فى رحمته اى شانه ذلك فيرسل الى
الكل من ينذرهم ما ذكر فيتاثر بعضهم بالانذار فيصرفون اختيارهم الى الحق فيوفقهم الله للايمان والطاعة
ويدخلهم فى رحمته ولا يتاثر به الآخرون ويتمادون فى غيهم وهم الظالمون فيبقون فى الدنيا على ما هم عليه من
الكفر ويصيرون فى الآخرة الى السعير من غير ولى يلى امرهم ولا نصير يخلصهم من العذاب ام اتخذوا من دونه
اولياء جملة مستانفة مقررة لما قبلها من انتفاء ان يكون للظالمين ولى او نصير وام منقطعة وما فيها من بل
للانتقال من بيان ما قبلها الى بيان ما بعدها والهمزة لانكار الوقوع ونفيه على ابلغ وجه واكده لا لانكار
الواقع واستقباحه كما قيل اذ المراد بيان ان ما فعلوا ليس من اتخاذ الاولياء فى شئ لان ذلك فرع
كون الاصنام اولياء وهو اظهر الممتنعات اى بل اتخذوا متجاوزين الله اولياء من الاصنام وغيرها
هيهات وقوله تعالى فالله هو الولى جواب شرط محذوف كانه قيل بعد ابطال ولاية ما اتخذوه اولياء
ان ارادوا وليا فى الحقيقة فالله هو الولى لا ولى سواه وهو يحيى الموتى اى ومن شانه ذلك وهو على كل شئ
قدير فهو الحقيق بان يتخذ فليخصوه بالاتخاذ دون من لا يقدر على شئ وما اختلفتم فيه من شئ حكاية لقول
رسول الله عليه السلام للمؤمنين اى ما خالفكم الكفار فيه من امور الدين فاختلفتم انتم وهم فحكمه راجع الى الله
وهو اثابة المحقين وعقاب المبطلين ذلكم الحاكم العظيم الشان الله ربى مالكى عليه توكلت فى مجامع امورى
خاصة لا الى غيره واليه انيب ارجع فى كل ما يعن لى من معضلات الامور لا الى احد سواه وحيث
كان التوكل امرا واحدا مستمرا والانابة متعددة متجددة حسب تجدد موادها اوثر فى الاول صيغة الماضى

الماضى وفى الثانية صيغة المضارع وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم من شئ من الخصومات فتحاكموا فيه الى رسول الله
عليه السلام ولا تؤثروا على حكومته حكومة غيره وقيل وما اختلفتم فيه من تاويل آية اشتبه عليكم فارجعوا فى بيانه
الى المحكم من كتاب الله والظاهر من سنة رسول الله عليه السلام وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم
التى لا تتعلق بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله اعلم كمعرفة الروح ولا مساغ لحمل هذا على الاجتهاد
لعدم جوازه بحضرة الرسول عليه السلام فاطر السموات والارض خبر آخر لذلكم او خبر لمبتدا محذوف او
مبتدا خبره جعل لكم وقرئ بالجر على انه بدل من الضمير او وصف للاسم الجليل فى قوله تعالى الى الله وما بينهما
اعتراض بين الصفة والموصوف من انفسكم من جنسكم ازواجا نساء وتقديم الجار والمجرور على
المفعول الصريح قد مر سره غير مرة ومن الانعام اى وجعل للانعام من جنسها ازواجا او خلق لكم
من الانعام اصنافا او ذكورا واناثا يذرؤكم يكثركم من الذرء وهو البث وفى معناه الذرو والذر
فيه اى فيما ذكر من التدبير فان جعل الناس والانعام ازواجا يكسون بينهم توالد كالمنبع للبث
والتكثير ليس كمثله شئ اى ليس مثله شئ فى شان من الشؤون التى من جملتها هذا التدبير البديع والمراد
من مثله ذاته كما فى قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة فى نفيه عنه فانه اذا نفى عن من يناسبه
كان نفيه عنه اولى ثم سلكت هذه الطريقة فى شان من لا مثل له وقيل مثله صفته اى ليس كصفته صفة
وهو السميع البصير المبالغ فى العلم بكل ما يسمع ويبصر له مقاليد السموات والارض اى خزائنها
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسع ويضيق حسبما تقتضيه مشيته المؤسسة على الحكم
البالغة انه بكل شئ عليم مبالغ فى الاحاطة به فيفعل كل ما يفعل على ما ينبغى ان يفعل عليه والجملة
تعليل لما قبلها وتمهيد لما بعدها من قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك
وما وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى وايذان بان ما شرع لهم صادر عن كمال العلم والحكمة كما ان
بيان نسبته الى المذكورين عليهم السلام تنبيه على كونه دينا قديما اجمع عليه الرسل والخطاب لامته عليه السلام
اى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ومن بعده من ارباب الشرائع واولى العزائم من مشاهير
الانبياء عليهم السلام وامرهم به امرا مؤكدا على ان تخصيصهم بالذكر لما ذكر من علو شانهم ولاستمالة
قلوب الكفرة اليه لاتفاق الكل على نبوة بعضهم وتفرد اليهود فى شان موسى عليه السلام وتفرد النصارى
فى حق عيسى عليه السلام والا فما من نبى الا وهو مامور بما امروا به وهو عبارة عن التوحيد ودين الاسلام
وما لا يختلف باختلاف الامم وتبدل الاعصار من اصول الشرائع والاحكام كما ينبئ عنه
التوصية فانها معربة عن تاكيد الامر والاعتناء بشان المامور به والمراد بايحائه اليه عليه السلام اما
ما ذكر فى صدر السورة الكريمة وفى قوله تعالى وكذلك اوحينا الآية او ما يعمهما وغيرهما مما وقع فى سائر
المواقع التى من جملتها قوله تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا وقوله قل انما انا بشر مثلكم
يوحى الى انما الهكم اله واحد وغير ذلك والتعبير عن ذلك عند نسبته اليه عليه السلام بالذى لزيادة تفخيم
شانه من تلك الحيثية وايثار الايحاء على ما قبله وما بعده من التوصية لمراعاة ما وقع فى الآيات المذكورة
ولما فى الايحاء من التصريح برسالته عليه السلام القامع لانكار الكفرة والالتفات الى نون العظمة
لاظهار كمال الاعتناء بايحائه وهو السر فى تقديمه على ما بعده مع تقدمه عليه زمانا وتقديم توصية نوح عليه السلام

للمسارعة الى بيان كون المشروع لهم دينا قديما وتوجيه الخطاب اليه عليه السلام بطريق التلوين للتشريف
والتنبيه على انه تعالى شرعه لهم على لسانه عليه السلام أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ اى دين الاسلام الذى هو توحيد الله
تعالى وطاعته والايمان بكتبه ورسله وبيوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل به مؤمنا والمراد باقامته
تعديل اركانه وحفظه من ان يقع فيه زيغ او المواظبة عليه او التشمر له ومحل أَنْ أَقِيمُوا اما النصب على
انه بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه او الرفع على انه جواب عن سؤال نشأ من ابهام المشروع
كأنه قيل وما ذاك فقيل هو اقامة الدين وقيل بدل من ضميره وليس بذاك لما انه من اقضائه الى خروجه
عن حيز الايجاء الى النبى عليه السلام مستلزم لكون الخطاب فى قوله تعالى وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ للانبياء المذكورين عليهم السلام
وتوجيه النهى الى امهم محل ظاهر مع ان الاظهر انه متوجه الى امته عليه السلام وانهم المتفرقون كما سيحيط به
خبرا اى لا تتفرقوا فى الدين الذى هو عبارة عما ذكر من الاصول دون الفروع المختلفة حسب اختلاف
الامم باختلاف الاعصار كما ينطق به قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقوله تعالى كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ
شروع فى بيان احوال بعض من شرع لهم ما شرع لهم من الدين القويم اى عظم وشق عليهم مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ
من التوحيد ورفض عبادة الاصنام واستبعدوه حيث قالوا اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشئ
عجاب وقوله تعالى اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ استيناف وارد لتحقيق الحق وفيه اشعار بان منهم من
يجيب الى الدعوة اى الله يجتلب الى ما تدعوهم اليه من يشاء ان يجتبيه اليه وهو من صرف اختياره الى
ما دعى اليه كما ينبئ عنه قوله تعالى وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ اى يقبل اليه حيث يمده بالتوفيق والالطاف
وقوله تعالى وَمَا تَفَرَّقُوا شروع فى بيان احوال اهل الكتاب عقيب الاشارة الاجمالية الى احوال اهل الشرك
قال ابن عباس رضى الله عنهما هم اليهود والنصارى لقوله تعالى وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا
جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ اى وما تفرقوا فى الدين الذى دعوا اليه ولم يؤمنوا كما آمن بعضهم إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ
بحقيته بما شاهدوا فى رسول الله عليه السلام والقرآن من الدلائل الحقية حسبما وجدوه فى كتابهم او العلم بمبعثه
عليه السلام وهو استئناف مسوق من اعم الاحوال او من اعم الاوقات اى وما تفرقوا فى حال من الاحوال او فى
وقت من الاوقات الا حال مجئ العلم او الا وقت مجئ العلم بَغْيًا بَيْنَهُمْ وحمية وطلبا للرياسة لان
لهم فى ذلك شبهة وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ وهى العدة بتاخير العقوبة إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى هو يوم القيمة
لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ لاوقع القضاء بينهم باستيصالهم لاستيجاب جناياتهم لذلك قطعا وقوله تعالى وَإِنَّ الَّذِينَ
أُورِثُوا الْكِتَابَ الخ بيان لكيفية كفر المشركين بالقرآن اثر بيان كيفية كفر اهل الكتاب وقرئ وُرِّثُوا
ووَرِّثُوا اى وان المشركين الذين اورثوا القرآن من بعدما اورث اهل الكتاب كتابهم لَفِي شَكٍّ
مِنْهُ مِنَ القرآن مُرِيبٍ موقع فى القلق او فى الريبة وكذلك لا يؤمنون به لا لمحض البغى والمكابرة
بعدما علموا بحقيته كدأب اهل الكتابين هذا واما ما قيل من ان ضمير تفرقوا لامم الانبياء عليهم السلام
وان المراد تفرق كل امة بعد نبيها مع علمهم بان الفرقة ضلال وفساد وامر متوعد عليه على السنة الانبياء
عليهم السلام فيرده قوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضى بينهم وكذا ما قيل من ان الناس
كانوا امة واحدة مؤمنين بعدما اهلك الله تعالى اهل الارض بالطوفان فلما مات الآباء اختلف
الابناء فيما بينهم وذلك حين بعث الله تعالى النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم وانما اختلفوا

اختلفوا البغى بينهم فان مشاهير الامم المذكورة قد اصابهم عذاب الاستيصال من غير انظار واهمال
على ان مساق النظم الكريم لبيان احوال هذه الامة وانما ذكر من ذكر من الانبياء عليهم السلام لتحقيق ان ما
شرع لهؤلاء دين قديم اجمع عليه اولئك الاعلام عليهم السلام تاكيد الوجوب اقامته وتشديد الزجر عن
التفرق والاختلاف فيه فالتعرض لبيان تفرق امم عنه ربما يوهم الاخلال بذلك المرام فلذلك
اى فلاجل ما ذكر من التفرق والشك المريب او فلاجل انه شرع لهم الدين القويم العتيد الحقيق بان
يتناضل فيه المتناضلون فَلِذَلِكَ اى الى الناس كافة الى اقامة ذلك الدين والعمل بموجبه فان كلا من
تفرقهم وكونهم فى شك مريب ومن شرع ذلك الدين لهم على لسان رسول الله عليه السلام سبب
للدعوة اليه والامر بها وليس المشار اليه ما ذكر من التوصية والامر باقامته والنهى عن التفرق
حتى يتوهم شائبة التكرار وقيل المشار اليه نفس الدين المشروع واللام بمعنى الى كما فى قوله تعالى
بان ربك اوحى لها اى فالى ذلك الدين فادع وَاسْتَقِمْ عليه وعلى الدعوة اليه كَمَا أُمِرْتَ واوحى اليك
وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمُ الباطلة وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ اى كتاب كان من الكتب المنزلة
لا كالذين آمنوا ببعض منها وكفروا ببعض وفيه تحقيق للحق وبيان لاتفاق الكتب فى الاصول
وتاليف لقلوب اهل الكتابين وتعريض لهم وقد مر بيان كيفية الايمان بها فى خاتمة سورة البقرة
وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ فى تبليغ الشرائع والاحكام وفصل القضايا عند المحاكمة والخصام وقيل
معناه لاسوى بينى وبينكم ولا آمركم بما لا اعمله ولا اخالفكم الى ما انهاكم عنه ولا افرق بين اكابركم
واصاغركم واللام اما على حقيقتها والمامور به محذوف اى أمرت بذلك لاعدل او زايدة
اى أمرت ان اعدل والباء محذوفة اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ اى خالقنا جميعا ومتولى امورنا كلنا أَعْمَالُنَا
لا يتخطانا جزاؤها ثوابا كان او عقابا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا يجاوزكم آثار ما تستفيد بحسناتكم وتتضرر بسيئاتكم
لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اى لا محاجة ولا خصومة لان الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة حاجة ولا للمخالفة
محمل سوى المكابرة اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا يوم القيمة وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ فيظهر هناك حالنا وحالكم وهذا كما ترى
مخاجرة فى مواقف المجاوبة لا متاركة فى مواطن المحاربة حتى يصار الى النسخ بآية القتال وَالَّذِينَ
يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ اى فى دينه مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فيه والتعبير
عن ذلك بالاستجابة باعتبار دعوتهم اليه او من بعد ما استجاب الله لرسوله عليه السلام وايده بنصره
او من بعد ما استجاب له اهل الكتاب بان اقروا ببعثته عليه السلام واستفتحوا به قبل مبعثه عليه السلام
وذلك ان اليهود والنصارى كانوا يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ودينا قبل دينكم ونحن خير منكم واولى
بالحق حجتهم دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ زائلة باطلة بل لا حجة لهم اصلا وانما عبر عن اباطيلهم بالحجة
مجاراة معهم على زعمهم الباطل وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ عظيم لمكابرتهم الحق بعد ظهوره وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ
لا يقادر قدره اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ اى جنس الكتاب بِالْحَقِّ ملتبسا به فى احكامه واخباره
او بما يحق انزاله من العقائد والاحكام وَالْمِيزَانَ والشرع الذى يوازن به الحقوق ويسوى بين
الناس او نفس العدل بان انزل الامر به او آلة الوزن وَمَا يُدْرِيكَ اى اى شئ يجعلك عالما لَعَلَّ السَّاعَةَ
التى يخبر بمجيئها الكتاب الناطق بالحق قَرِيبٌ اى شئ قريب او قريب مجيئها وقيل القريب بمعنى ذات قرب

او الساعة بمعنى البعث والمعنى انها على جناح الاتيان فاتبع الكتاب واعمل به وواظب
على العدل قبل ان يجاك اليوم الذى يوزن فيه الاعمال ويوفى جزاؤها يستعجل بها الذين لا
يؤمنون بها استعجال انكار واستهزاء وكانوا يقولون متى هى ليتها قامت حتى يظهر لنا
الحق ايهو الذى نحن عليه او الذى عليه محمد واصحابه والذين آمنوا مشفقون منها كما يكون منها
مع اعتناء بها لتوقع الثواب ويعلمون انها الحق اى الكائن لا محالة الا ان الذين يمارون
فى الساعة يجادلون فيها من المرية او من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة الحلب
لان كلا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة لفى ضلال بعيد عن الحق فان البعث
اشبه الغائبات بالمحسوسات فمن لم يهتد الى تجويزه فهو عن الاهتداء الى ماوراءه ابعد وابعد
الله لطيف بعباده اى بر بليغ البر بهم يفيض عليهم من فنون الطافه ما لا يكاد ينال الا بمشقة
والظنون يرزق من يشاء ان يرزقه كيف ما يشاء فيخص كلا من عباده بنوع من البر على ما تقتضيه
مشيته المبنية على الحكم البالغة وهو القوى الباهر القدرة الغالب على كل شئ العزيز المنيع
الذى لا يغلب من كان يريد حرث الآخرة الحرث فى الاصل الفاء البذر فى الارض يطلق
على الزرع الحاصل منه ويستعمل فى ثمرات الاعمال ونتايجها بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهها
بالغلال الحاصلة من البذور المتضمن لتشبيه الاعمال بالبذور اى من كان يريد باعماله ثواب
الآخرة نزد له فى حرثه نضاعف له ثوابه بالواحد عشرة الى سبعمائة فما فوقها ومن كان يريد باعماله
حرث الدنيا وهو متاعها وطيباتها نؤته منها اى شيئا منها حسبما قسمنا له لا ما يريده و
يبتغيه وما له فى الآخرة من نصيب اذ كانت همته مقصورة على الدنيا وقد مر تفصيله فى سورة
الاسرا ام لهم شركاء اى بل الهم شركاء من الشياطين والهمزة للتقرير والتوبيخ شرعوا لهم بتسويل
من الدين ما لم يأذن به الله كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم اوثانهم
واضافتها اليهم لانهم الذين جعلوها شركاء لله تعالى واسناد الشرع اليها لانها سبب
ضلالتهم واقتدائهم كقوله تعالى انهن اضللن كثيرا او تماثيل من سن الضلالة لهم ولولا
كلمة الفصل اى القضاء السابق بتاخير الجزاء والعدة بان الفصل يكون يوم القيمة لقضى بينهم
اى بين الكافرين والمؤمنين او بين المشركين وشركائهم وان الظالمين لهم عذاب اليم وقرئ بالفتح
عطفا على كلمة الفصل اى ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين فى الآخرة لقضى بينهم فى
الدنيا فان العذاب الاليم غالب فى عذاب الآخرة ترى الظالمين يوم القيمة والخطاب لكل احد
ممن يصلح له للقصد الى ان سوء حالهم غير مختص برؤية راء دون راء مشفقين خايفين مما كسبوا
من السيات وهو واقع بهم اى ووبال لاحق بهم لا محالة اشفقوا او لم يشفقوا والجملة
حال من ضمير مشفقين او اعتراض والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات
مستقرون فى اطيب بقاعها واثيرها لهم ما يشاءون عند ربهم اى ما يشتهونه من فنون المشتهيات
حاصل لهم عند ربهم على ان عند ربهم ظرف للاستقرار العامل فى لهم وقيل ظرف ليشاءون ذلك
اشارة الى ما ذكر من حال المؤمنين وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه هو الفضل

الكبير الذى لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته ذلك الفضل الكبير هو الذى يبشر الله عباده اى يبشرهم به
فحذف الجار ثم العايد الى الموصول كما فى قوله تعالى اهذا الذى بعث الله رسولا او ذلك التبشير
الذى يبشره الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقرئ يبشر من ابشر قل لا اسالكم عليه
روى انه اجتمع المشركون فى مجمع لهم فقال بعضهم لبعض اترون ان محمدا يسالنا على ما يتعاطاه اجرا
فقرات اى لا اطلب منكم على ما انا عليه من التبليغ والبشارة اجرا نفعا الا المودة فى القربى اى الا
ان تودوا فى لقرابتى منكم او تودوا اهل قرابتى وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا اسالكم
اجرا قط ولكن اسالكم المودة وفى القربى حال منها اى الا المودة ثابتة فى القربى متمكنة فى اهلها او فى
حق القرابة والقربى مصدر كالزلفى بمعنى القرابة روى انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك
هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال على وفاطمة وابناهما وعن النبى عليه السلم حرمت الجنة على
من ظلم اهل بيتى واذانى فى عترتى ومن اصطنع صنيعة الى احد من ولد عبد المطلب ولم يجازه فانا اجازيه
عليها غدا اذا لقينى يوم القيمة وقيل القربى التقرب الى الله اى الا ان تودوا الله ورسوله فى
تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الا مودة فى القربى ومن يقترف حسنة اى يكتسب اى حسنة كانت
فتتناول مودة ذوى القربى تناولا اوليا وعن السدى انها المراد وقيل نزلت فى الصديق رض
ومودته فيهم نزد له فيها اى فى الحسنة حسنا بمضاعفة الثواب وقرئ يزد اى يزد الله وقرئ حسنى
ان الله غفور لمن اذنب شكور لما اطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة ام يقولون بل ايقولون
افترى محمد على الله كذبا بدعوى النبوة وملاوة القرآن على ان الهمزة للانكار التوبيخى كانه قيل ايتاكلون
ان ينسبوا مثله عليه السلم وهو الى الافتراء لا سيما الافتراء على الله الذى هو اعظم الورى واحمشها وقوله
فان يشاء الله يختم على قلبك استشهاد على بطلان ما قالوا ببيان انه عليه السلم لو افترى على الله تعالى لمنعه
من ذلك قطعا وتحقيقه ان دعوى كون القرآن افتراء عليه تعالى قول منهم بانه تعالى لا يشاء صدوره
عن النبى عليه السلم بل يشاء عدم صدوره عنه ومن ضرورته منعه عنه قطعا فكانه قيل لو كان افتراء عليه تعالى
لشاء عدم صدوره عنك وان يشاء ذلك يختم على قلبك بحيث لم يخطر ببالك معنى من معانيه ولم تنطق
بحرف من حروفه وحيث لم يكن الامر كذلك بل تواتر الوحى حينا فحينا بتيقن انه من عند الله تعالى
هذا وقيل المعنى ان يشاء يجعلك من المختوم على قلوبهم فانه لا يجترئ على الافتراء عليه تعالى الا من
كان كذلك ومؤداه استبعاد الافتراء من مثله عليه السلم وانه فى البعد مثل الشرك بالله والدخول
فى جملة المختوم على قلوبهم وعن قتادة يختم على قلبك ينسك القرآن ويقطع عنك الوحى بعنى لو افترى
على الله الكذب لفعل به ذلك وهذا معنى ما قيل لو كذب على الله لانساه القرآن وقيل يختم على قلبك
يربط عليه بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته استيناف مقرر لمعنى
الافتراء غير معطوف على يختم كما ينبئ عنه اظهار الاسم الجليل وسقوط الواو كما فى بعض المصاحف
لاتباع اللفظ كما فى قوله تعالى ويدع الانسان بالشر اى ومن عادته تعالى انه يمح الباطل ويثبت الحق بوحيه
او بقضائه كقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فلو كان افتراء كما زعموا لمحقه ودمغه او عدة
لرسوله عليه السلم بانه تعالى يمح الباطل الذى هو عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذى هو عليه

بالقرآن او بقضائه الذي لا مرد له بنصرته عليهم انه عليم بذات الصدور فيجري عليها احكامها اللائقة
بها من المحو والاثبات وهو الذي يقبل التوبة عن عباده التوبة هو الرجوع عن المعاصي بالندم عليها
والعزم على ان لا يعاودها ابدا وروي جابر رض ان اعرابيا دخل مسجد رسول الله عليه السلم وقال
اللهم اني استغفرك واتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلوته قال له علي رض يا هذا ان سرعة اللسان
بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك هذه تحتاج الى التوبة فقال يا امير المؤمنين وما التوبة قال
اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرايض الاعادة ورد المظالم
واذابة النفس في الطاعة كما بيتها في المعصية واذاقتها مرارة الطاعة كما اذاقتها حلاوة المعصية
والبكاء بدل كل ضحك ضحكته ويعفو عن السيئات صغيرها وكبيرها ويعلم ما تفعلون كائنا ما كان من خير
وشر فيجازي ويتجاوز حسبما يقتضيه مشيته المبنية على الحكم والمصالح وقرئ ما تفعلون بالتاء
ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات اي يستجيب الله لهم فحذف اللام كما في قوله تعالى واذا كالوهم
اي كالوا لهم والمراد اجابة دعوتهم والاثابة على طاعتهم فانها كدعاء وطلب لما يترتب عليها ومنه قوله
عليه السلم افضل الدعاء الحمد لله او يستجيبون الله بالطاعة اذا دعاهم اليها وعن ابرهيم بن ادهم انه
قيل له ما لنا ندعو فلا نجاب قال لانه دعاكم ولم تجيبوه ثم قرأ والله يدعو الى دار السلام ويزيدهم من فضله
على ما سألوا واستحقوا بموجب الوعد والكافرون لهم عذاب شديد بدل ما للمؤمنين من الثواب
والفضل المزيد ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض لتكبروا وافسدوا فيها بطرا
ولعلى بعضهم على بعض بالاستيلاء والاستعلاء كما عليه الجبلة البشرية واصل البغي طلب
تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى من حيث الكمية او الكيفية ولكن ينزل بقدر اي بتقدير ما يشاء ان ينزله
مما يقتضيه مشيته انه بعباده خبير بصير محيط بخفايا امورهم وجلاياها فيقدر لكل واحد منهم في كل وقت
من اوقاتهم ما يليق بشانهم فيفقر ويغني ويمنع ويعطي ويقبض ويبسط حسبما تقتضيه الحكمة الربانية
ولو اغناهم جميعا لبغوا ولو افقرهم لهلكوا وروي ان اهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل
نزلت في العرب كانوا اذا اخصبوا تحاربوا واذا اجدبوا انتجعوا وهو الذي ينزل الغيث
اي المطر الذي يغيثهم من الجدب ولذلك خص بالنافع منه وقرئ ينزل من الانزال من بعد ما قنطوا
يئسوا منه وتقييد تنزيله بذلك مع تحققه بدونه ايضا لتذكير كمال النعمة وقرئ بكسر النون وينشر
رحمته اي بركات الغيث ومنافعه في كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان او رحمته
الواسعة المنتظمة لما ذكر انتظاما اوليا وهو الولي الذي يتولى عباده بالاحسان ونشر الرحمة
الحميد المستحق للحمد على ذلك لا غيره ومن آياته خلق السموات والارض على ما هما عليه من تعاجيب
الصنائع فانها بذاتها وصفاتها تدل على شؤونه العظيمة وما بث فيهما عطف على السموات او الخلق
من دابة من حي على اطلاق اسم المسبب على السبب او مما يدب على الارض فان ما يختص باحد
السببين المتجاورين يصح نسبته اليهما كما في قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح
وقد جوز ان يكون للملئكة عليهم السلم مشي مع الطيران فيوصفوا بالدبيب وان يخلق الله في السماء حيوانا
يمشون فيها مشي الاناسي على الارض كما ينبئ عنه قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون وقد روي ان النبي عليه السلم قال
ولو اغناهم جميعا لبغوا ولو افقرهم جميعا لهلكوا فان قيل
ان البغي قد يكون مع الفقر فلم شرط البسط فيه فانه كم من مقبوض عليه يبغي وكم من مبسوط
عليه يضده مثل عثمن بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم فانهما كانا من اغنا الناس في وقتهم
ولم يظهر منهما اثر البغي والطغيان بل كل منهما بذلوا اموالهم وانفسهم فيه حكاية دعوة عثمان رسول الله
صلى الله عليه وسلم واعتق بكل خطوة النبي عليه السلام عبدا تعظيما لرسول الله قصة عجيبة وبشارة عظيمة

لتكبروا فان البغي قد يكون بمعنى التكبر فيكون المعنى يفعلوا ما يتبع الكبر من العلو في الارض والفساد والوجه في كون البسط مستلزما له ان الانسان متكبر بالطبع فاذا وجد الغنى والقدرة عاد الى مقتضى خلقته الاصلية وهي التكبر واذا وقع في شدة وبلية انكسر وعاد الى التواضع والطاعة وقد يكون بمعنى الظلم اي يظلم بعضهم بعضا ووجه تعلق الاية بما قبلها انه تعالى لما قال في الاية الاولى انه يجيب دعاء المؤمنين او يثيبهم على طاعتهم ويزيدهم على الثواب الذي استحقوه بها او انهم يستجيبون لربهم بالطاعة اذا دعاهم اليها ويزيدهم هو تعالى على ما استحقوه بالاستجابة تفضلا وكرما ورد عليه ان يقال مقتضى الاية على جميع المقادير ان يكون المؤمن في سعة ورفاهية اما ان يجيب الله تعالى دعائه او بان يزيده على ما استحقه من الكرامة والحال ان المؤمن كثيرا ما يبتلى بالشدة وانواع البلية والفقر الى ان يموت ولا يظهر فيه اثر الاجابة والزيادة فكيف الجمع بين هذه الاية وبين قوله تعالى ويستجيب الذين امنوا فاجاب الله تعالى بان شانه تعالى ذلك الا ان اثر الاستجابة لا يجب ان يظهر في الدنيا فانه تعالى يدبر امر الانسان في الدنيا على ما تقتضيه الحكمة فيفقر ويغني ويقبض ويبسط

وقالوا ان كنا اغنياء لنتصدق اموالنا الى الفقراء ونفعل الخير

اجدبوا اي حل بهم الجدب والقحط وانتجعوا بمعنى ارتحلوا للنجعة وهي طلب الكلاء في غير بلادهم لعدم ما تعيش به دوابهم فاذا تفرقوا اشتغلوا عن القتال

قوله تعالى ما يشاء فما موصولة وهو مفعول لينزل

قال فوق السماء السابعة بحر بين اسفله واعلاه كما بين السماء والارض ثم فوق ذلك ثمانية اوعال
بين ركبهن واظلافهن كما بين السماء والارض ثم فوق ذلك العرش العظيم وهو على جمعهم اي حشرهم بعد
البعث للمحاسبة وقوله تعالى اذا يشاء متعلق بما قبله لا بقوله تعالى قدير فان المقيد بالمشية جمعه تعالى
لا قدرته واذا عند كونها بمعنى الوقت كما تدخل الماضي تدخل المضارع وما اصابكم من مصيبة اي مصيبة كانت
فبما كسبت ايديكم اي فهي بسبب معاصيكم التي اكتسبتموها والفاء لان ما شرطية او متضمنة لمعنى الشرط
وقرئ بدونها اكتفاء بما في الباء من معنى السببية ويعفو عن كثير من الذنوب فلا يعاقب عليها والاية
مخصوصة بالمجرمين فان ما اصابهم غيرهم لاسباب اخر منها تعريضه للثواب بالصبر عليه وما انتم
بمعجزين في الارض فائتين ما قضي عليكم من المصائب وان هربتم من اقطارها كل مهرب وما لكم من
دون الله من ولي يحميكم منها ولا نصير يدفعها عنكم ومن آياته الجوار السفن الجارية في البحر وقرئ
الجواري كالاعلام اي كالجبال على الاطلاق لا التي عليها النار للاهتداء خاصة ان يشأ يسكن الريح
التي تجريها وقرئ الرياح فيظللن رواكد على ظهره فيبقين ثوابت على ظهر البحر اي غير جاريات لا غير متحركات
اصلا ان في ذلك الذي ذكر من السفن اللاتي يجرين تارة ويركدن اخرى على حسب مشيته تعالى لآيات
عظيمة في انفسها كثيرة في العدد دالة على ما ذكر من شؤونه تعالى لكل صبار شكور لكل من حبس نفسه عن التوجه
الى ما لا ينبغي ووكل همته بالنظر في آيات الله تعالى والتفكر في الآية او لكل مؤمن كامل فان الايمان نصفه
صبر ونصفه شكر او يوبقهن بما كسبوا عطف على يسكن والمعنى ان يشأ يسكن الريح فيركدن
او يرسلها فيغرقن بعضها وايقاع الايباق عليهن مع انه حال اهلهن للمبالغة والتهويل واجراء حكمه على
العفو في قوله تعالى ويعف عن كثير لما ان المعنى او يرسلها فيوبق ناسا وينج آخرين بطريق العفو عنهم
وقرئ ويعفو على الاستيناف ويعلم الذين يجادلون في آياتنا عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم
وليعلم الخ كما في قوله تعالى ولنجعله آية للناس وقوله ولنعلمه من تاويل الاحاديث ونظائرهما وقرئ بالرفع
على الاستيناف وبالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى او ان يشأ يجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم
وتحذير قوم ما لهم من محيص اي من مهرب من العذاب والجملة معلق عنها الفعل فما اوتيتم من شيء
مما ترغبون وتتنافسون فيه فمتاع الحيوة الدنيا اي فهو متاعها تتمتعون به مدة حياتكم وما عند الله
من ثواب الآخرة خير ذاتا لخلوص نفعه وابقى زمانا حيث لا يزول ولا يفنى للذين آمنوا وعلى ربهم
يتوكلون لا على غيره اصلا والموصول الاول لما كان متضمنا لمعنى الشرط من حيث ان ايتاء ما اتوا
سبب للتمتع بها في الحيوة الدنيا دخلت جوابها الفاء بخلاف الثاني وعن علي رضي الله عنه انه تصدق
ابو بكر رضي الله عنه بماله كله فلامه جمع من المسلمين فنزلت وقوله تعالى والذين يجتنبون كبائر الاثم اي
الكبائر من هذا الجنس والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون مع ما بعده عطف على الذين آمنوا
او مدح بالنصب او الرفع وبناء يغفرون على الضمير خبر له للدلالة على انهم الاخصاء بالمغفرة حال الغضب
لعزة منالها وقرئ على كبير الاثم وعن ابن عباس رضي الله عنهما كبير الاثم الشرك والذين استجابوا لربهم
واقاموا الصلوة نزل في الانصار دعاهم رسول الله عليه السلم الى الايمان فاستجابوا له وامرهم شورى
بينهم اي ذو شورى لا ينفردون برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وكانوا قبل الهجرة وبعدها اذا حزبهم امر

قيل ان مثل الدنيا مثل المطر ينزل على الارض جميعا ينبت من كل قطرة نباتا لكن اذا نزل بارض الحدائق والبساتين ينبت الورد والازهار وما ينتفع به الناس من الثمار واما اذا نزل بالتراب المملوح فينبت الشوكة وهكذا اكثر طبايع الانسان مائلة الى الهوى والشهوات وغلبت عليهم صفات السبعية والبهيمية فاذا كان ذلك الانسان غنيا فيتقوى اسباب البغي والفساد فمن اجل ذلك اقتضت حكمته تعالى في ارزاق عباده وقال تعالى ولكن ينزل بقدر

اجتمعوا وتشاوروا وممارزقناهم ينفقون اى فى سبيل الخير ولعل فصله عن قرينه بذكر المشاورة لوقوعها عند اجتماعهم للصلوات والذين اذا اصابهم البغى هم ينتصرون اى ينتقمون ممن بغى عليهم على ما جعله الله تعالى لهم كراهة التذلل وهو وصف لهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر مهمات الفضائل وهذا الاينافى وصفهم بالغفران فان كلا منهما فضيلة محمودة فى موقع غير موقع صاحبه فان الحلم عن العاجز وعوراء الكرام محمود وعن المتغلب ولغواء اللئام مذموم فانه اغراء على البغى وعليه قول من قال اذا انت اكرمت الكريم ملكته وان انت اكرمت اللئيم تمردا فوضع الندى فى موضع السيف بالعكس مضر كوضع السيف فى موضع الندى وقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها بيان لوجه كون الانتصار من الخصال الحميدة مع كونه فى نفسه اساءة الى الغير بالاشارة الى ان البادئ هو الذى فعله لنفسه فان الافعال مستتبعة لاجزيتها حتما ان خيرا فخير وان شرا فشر وفيه تنبيه على حرمة التعدى واطلاق سيئة على الثانية لانها مسببة من ترك به ممن عفى عن المسئ اليه واصلح بينه وبين من يعاديه بالعفو والاغضاء كما فى قوله تعالى فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم فاجره على الله عدة مبهمة منبئة عن عظم شان الموعود وخروجه عن الحد المعهود انه لا يحب الظالمين البادئين بالسيئة والمتعدين فى الانتقام ولمن انتصر بعد ظلمه اى بعد ما ظلم وقد قرئ به فاولئك اشارة الى من باعتبار المعنى كما ان الضمير بن لها باعتبار اللفظ ما عليهم من سبيل بالمعاتبة او المعاقبة انما السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدئونهم بالاضرار او يعتدون فى الانتقام ويبغون فى الارض بغير الحق اى يتكبرون فيها تجبرا وفسادا اولئك الموصوفون بما ذكر من الظلم والبغى بغير الحق لهم عذاب اليم بسبب ظلمهم وبغيهم ولمن صبر على الاذى وغفر لمن ظلمه ولم ينتصر وفوض امره الى الله تعالى ان ذلك الذى ذكر من الصبر والمغفرة لمن عزم الامور اى ان ذلك منه فحذف ثقة بغاية ظهوره كما فى قولهم السمن منوان بدرهم وهذا فى الموارد التى لا يؤدى العفو الى الشر كما اشير اليه ومن يضلل الله فما له من ولى من بعده من ناصر يتولاه من بعد خذلانه تعالى اياه وترى الظالمين لما راوا العذاب اى حين يرونه وصيغة الماضى للدلالة على التحقق يقولون هل الى مرد اى رجعة الى الدنيا من سبيل حتى نؤمن ونفعل صالحا وترائهم يعرضون عليها اى على النار المدلول عليها بالعذاب والخطاب فى الموصفين لكل من يتاتى منه الرؤية خاشعين من الذل متذللين متضائلين مما دهاهم ينظرون من طرف خفى اى يبتدى نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر الى السيف قال الذين آمنوا ان الخاسرين اى المتصفين بحقيقة الخسران الذين خسروا انفسهم واهليهم بالتعريض للعذاب الخالد يوم القيمة اما ظرف لخسروا او القول فى الدنيا او لتمال اى يقولون حين يرونهم على تلك الحال وصيغة الماضى للدلالة على تحققه وقوله تعالى الا ان الظالمين فى عذاب مقيم اما من تمام كلامهم او تصديق من الله تعالى لهم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم برفع العذاب عنهم من دون الله حسبما كانوا يرجون ذلك فى الدنيا ومن يضلل الله فما له من سبيل يودى سلوكه الى النجاة استجيبوا لربكم اذا دعاكم الى الايمان على لسان نبيه من قبل ان ياتى يوم لا مرد له من الله اى لا يرده الله بعد ما حكم به على ان من صلة مردا ومن قبل ان ياتى من الله يوم لا يكون رده ما لكم من ملجا يومئذ اى مفر تلتجئون اليه

اليه وما لكم من نكير اى انكار لما اقترفتموه لانه مدون فى صحايف اعمالكم وتشهد عليكم جوارحكم فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا تلوين للكلام وصرف له عن خطاب الناس بعد امرهم بالاستجابة وتوجيه الى الرسول عليه السلم اى فان لم يستجيبوا واعرضوا عما تدعوهم اليه فما ارسلناك رقيبا وحافظا عليهم ان عليك الا البلاغ وقد فعلت وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة اى نعمة من الصحة والغنى والامن فرح بها اريد بالانسان الجنس لقوله تعالى وان تصبهم سيئة اى بلاء من مرض وفقر وخوف بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور بليغ الكفر ينسى النعمة رأسا ويذكر البلية ويستطهرها ولا يتامل سببها بل يزعم انها اصابته بغير استحقاق لها واسناد هذه الخصلة الى الجنس مع كونها من خواص المجرمين لغلبتهم فيما بين الافراد وتصدير الشرطية الاولى باذا مع اسناد الاذاقة الى نون العظمة للتنبيه على ان ايصال النعمة محقق الوقوع وانه مقتضى الذات كما ان تصدير الثانية بان واسناد الاصابة الى السيئة وتعليلها بما عملم للايذان بندرة وقوعها وانها بمعزل من الانتظام فى سلك الارادة بالذات ووضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعم لله ملك السموات والارض فمن مقتضيته ان علك التصرف فيها وفى كل ما فيها كيف يشاء ومن جملته ان يقسم النعمة والبلية حسبما يريده يخلق ما يشاء مما تعلمه ومما لا تعلمه يهب لمن يشاء اناثا من الاولاد ويهب لمن يشاء الذكور منهم من غير ان يكون فى ذلك مدخل لاحد اويزوجهم اى يقرن بين الصنفين فيهبهما جميعا ذكرانا واناثا قالوا معنى يزوجهم ان تلد غلاما ثم جارية ثم غلاما او تلد ذكرا وانثى توامين ويجعل من يشاء عقيما والمعنى يجعل احوال العباد فى حق الاولاد مختلفة على ما تقتضيه المشية فمن فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر او انثى واما صنفين ويعقم اخر وتعلق تقديم الاناث لانها اكثر لتكثير النسل اولان مساق الآية للدلالة على ان الواقع ما يتعلق به مشيته تعالى لا ما يتعلق به مشيته الانسان والاناث كذلك اولان الكلام فى البلاء والعرب تعد من اعظم البلايا او لتطييب قلوب اباءهن او للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف او خير التاخير وتغيير العاطف فى الثانى لانه قسيم المشترك بين القسمين ولا حاجة اليه فى الرابع لافصاحه بانه قسيم المشترك بين الاقسام المتقدمة وفصل المراد بيان احوال الانبياء عليهم السلم حث وهب لشعيب ولوط اناثا ولابرهيم ذكورا ولنبينا عليه السلم ذكورا واناثا وجعل يحيى وعيسى عقيمين انه عليم قدير مبالغ فى العلم والقدرة فيفعل ما فيه حكمة ومصلحة وما كان لبشر اى ما صح لفرد من افراد البشر ان يكلمه الله بوجه من الوجوه الا وحيا اى الا بان يوحى اليه ويلهمه ويقذف فى قلبه كما اوحى الى ام موسى والى ابرهيم عليهما السلم فى ذبح ولده وقد روى عن مجاهد اوحى الزبور الى داود عليه السلم فى صدره او بان يسمعه كلامه الذى يخلقه فى بعض الاجرام من غير ان يبصر السامع من يكلمه وهو المراد بقوله تعالى او من وراء حجاب فانه تمثيل لحال الملك المحجب الذى يكلم بعض خواصه من وراء الحجاب يسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى وكما يكلم الملئكة عليهم السلم اوبان يكلمه بواسطة الملك وذلك قوله تعالى او يرسل رسولا اى ملكا فيوحى ذلك الرسول الى المرسل اليه الذى هو الرسول البشرى باذنه اى بامره تعالى ويتيسره ما يشاء ان يوحيه اليه وهذا هو الذى يجرى بينه تعالى وبين الانبياء عليهم السلم

في عامة الاوقات من الكلام وقيل قوله تعالى وحيا وقوله تعالى او يرسل مصدران واقعان
موقع الحال وقوله تعالى او من وراء حجاب ظرف واقع موقعها والتقدير وما صح ان يكلم الا موحيا
او مسمعا من وراء حجاب او مرسلا وقرئ او يرسل بالرفع على اضمار مبتداء وروي ان اليهود
قالت للنبي عليه السلم الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه فانا لن نؤمن حتى
تفعل ذلك فقال عليه السلم لم ينظر موسى عليه السلم الى الله تعالى فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها من زعم ان
محمدا راى ربه فقد اعظم على الله الفرية ثم قالت اولم تسمعوا ربكم يقول فتلت هذه الاية انه علي متعال
عن صفات المخلوقين لا يتاتى جريان المعارضة بينه تعالى وبينهم الا باحد الوجوه المذكورة حكيم يجري
افعاله على سنن الحكمة فيكلم تارة بواسطة واخرى بدونها اما الهاما واما خطابا وكذلك اي ومثل
ذلك الايحاء البديع اوحينا اليك روحا من امرنا هو القرآن الذي هو للقلوب بمنزلة الروح
للابدان حيث يحييها حيوة ابدية وقيل هو جبريل عليه السلم ومعنى ايحائه اليه عليهما السلم ارساله اليه
بالوحي ما كنت تدري قبل الوحي ما الكتاب اي اي شيء هو ولا الايمان اي الايمان بتفاصيل ما في تضاعيف
الكتاب من الامور التي لا يهتدي اليها العقول لا الايمان بما يستقل به العقل والنظر فان درايته عليه السلم
له مما لا ريب فيه قطعا ولكن جعلناه اي الروح الذي اوحيناه اليك نورا نهدي به من نشاء هدايته
من عبادنا وهو الذي يصرف اختياره نحو الاهتداء به وقوله تعالى وانك لتهدي تقرير لهدايته تعالى
وبيان لكيفيتها ومفعول لتهدي محذوف ثقة بغاية الظهور اي وانك لتهدي بذلك النور من
نشاء هدايته الى صراط مستقيم هو الاسلام وساير الشرايع والاحكام وقرئ لتهدي اي ليهديك
الله وقرئ لتدعو صراط الله بدل من الاول واضافته الى الاسم الجليل ثم وصفه بقوله تعالى الذي له
ما في السموات وما في الارض لتفخيم شانه وتقرير استقامته وتاكيد وجوب سلوكه فان كون جميع
ما فيهما من الموجودات له تعالى خلقا وملكا وتصرفا مما يوجب ذلك اتم ايجاب الا الى الله تصير
الامور اي امور ما فيهما قاطبة لا الى غيره ففيه من الوعد للمهتدين الى الصراط المستقيم والوعيد للضالين
عنه ما لا يخفى عن النبي عليه السلم من قرأ سورة حم عسق كان ممن يصلي عليه الملئكة ويستغفرون له ويسترحمون له

حم الكلام فيه كالذي مر في فاتحة سورة يس خلا ان الظاهر على تقدير اسميته كونه اسما للقرآن لا
للسورة كما قيل فان ذلك مخل بجزالة النظم الكريم والكتاب بالجر على انه مقسم به اما ابتداء
او عطفا على حم على تقدير كونه مجرورا باضمار باء القسم على ان مدار العطف المغايرة في العنوان
ومناط تكرير القسم المبالغة في تاكيد مضمون الجملة القسمية المبين اي البين لمن انزل عليهم
لكونه بلغتهم وعلى اساليبهم او المبين لطريق الهدى من طرق الضلالة الموضح لكل ما يحتاج
اليه في ابواب الديانة انا جعلناه قرآنا عربيا جواب للقسم لكن لا على ان مرجع التاكيد
جعله كذلك كما قيل بل ما هو غايته التي يعرب عنها قوله تعالى لعلكم تعقلون فانها المحتاجة
الى التحقيق والتاكيد لكونها منبئة عن الاعتناء بامرهم واتمام النعمة عليهم وازاحة اعذارهم

اي جعلنا ذلك الكتاب قرآنا عربيا لكي تفهموه وتحيطوا بما فيه من النظم الرائق والمعنى الفائق
وتقفوا على ما يتضمنه من الشواهد الناطقة بخروجه عن طوق البشر وتعرفوا حق النعمة في ذلك
وتنقطع اعذاركم بالكلية وانه في ام الكتاب اي في اللوح المحفوظ فانه اصل الكتب السماوية
وقرئ ام الكتاب بالكسر لدينا اي عندنا لعلي رفيع القدر بين الكتب شريف حكيم ذو حكمة
بالغة او محكم وهما خبران لان وما بينهما بيان لمحل الحكم كانه قيل بعد بيان اتصافه بما ذكر من الوصفين
الجليلين هذا في ام الكتاب ولدينا والجملة اما عطف على الجملة المقسم عليها داخلة في حكمها ففي الاقسام
بالقرآن على علو قدره عنده تعالى براعة بديعة وايذان بانه من علو الشان بحيث لا يحتاج في بيانه الى
الاستشهاد عليه بالاقسام بغيره بل هو بذاته كاف في الشهادة على ذلك من حيث الاقسام به
كما انه كاف فيها من حيث اعجازه ورمز الى انه لا يخطر بالبال عند ذكره شيء آخر اولى منه بالاقسام
به واما مستانفة مقررة لعلو شانه الذي انباء عنه الاقسام به على منهاج الاعتراض في قوله تعالى وانه
لقسم لو تعلمون عظيم وبعد ما بين علو شان القرآن العظيم وحقق ان انزاله على لغتهم ليعقلوه ويؤمنوا
به ويعملوا بموجبه عقب ذلك بانكار ان يكون الامر بخلافه فقيل افنضرب عنكم الذكر اي ننحيه ونبعده
عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرايب عن الحوض وفيه اشعار باقتضاء الحكمة توجه الذكر اليهم وملازمته
لهم كانه يتهافت عليهم والفاء للعطف على محذوف يقتضيه المقام اي انهملكم فننحي الذكر عنكم صفحا
اي اعراضا عنكم على انه مفعول له للمذكور او مصدر مؤكد لما دل هو عليه فان التنحية منبئة عن الصفح
والاعراض قطعا كانه قيل افنصفح عنكم صفحا او بمعنى الجانب فينتصب على الظرفية اي افننحيه عنكم جانبا
ان كنتم قوما مسرفين اي لان كنتم منهمكين في الاسراف مصرين عليه على معنى ان حالكم وان اقتضى تخليتكم
وشانكم حتى تموتوا على الكفر والضلالة وتبعوا في العذاب الخالد لكنا لسعة رحمتنا لا نفعل ذلك بل نهديكم
الى الحق بارسال الرسول الامين وانزال الكتاب المبين وقرئ ان بالكسر على ان الجملة شرطية مخرجة
للمحقق مخرج المشكوك لاستجهالهم والجزاء محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه وقوله تعالى وكم ارسلنا من نبي
في الاولين وما ياتيهم من نبي الا كانوا به يستهزؤن تقرير لما قبله ببيان ان اسراف الامم السالفة
لم يمنعه تعالى من ارسال الانبياء اليهم وتسلية لرسول الله عليه السلم عن استهزاء قومه به وقوله تعالى فاهلكنا
اشد منهم بطشا اي من هؤلاء القوم المسرفين عدة له عليه السلم ووعيد لهم بمثل ما جرى على الاولين ووصفهم
باشدية البطر لاثبات حكمهم لهؤلاء بطريق الاولوية ومضى مثل الاولين اي سلف في القرآن غير مرة ذكر
قصتهم التي حقها ان تسير مسير المثل ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز
العليم اي ليسندن خلقها الى من هذا شانه في الحقيقة وفي نفس الامر لا انهم يعبرون عنه بهذا العنوان
وسلوك هذه الطريقة للاشعار بان اتصافه تعالى بما سرد من جلائل الصفات والافعال وبما يستلزمه
ذلك من البعث والجزاء امر بين لا ريب فيه وان الحجة قائمة عليهم شاؤا او ابوا وقد جوز ان يكون
ذلك عين عبارتهم وقوله تعالى الذي جعل لكم الارض مهدا استيناف من جهته تعالى اي بسطها لكم
تستقرون فيها وجعل لكم فيها سبلا تسلكونها في اسفاركم لعلكم تهتدون اي لكي تهتدوا بسلوكها
الى مقاصدكم او بالتفكر فيها الى التوحيد الذي هو المقصد الاصلي والذي نزل من السماء ماء بقدر

اى بمقدار تقتضيه مشيته المبنية على الحكم والمصالح فانشرنا به اى احيينا بذلك الماء بلدة ميتا
خاليا عن النماء والنبات بالكلية وقرئ ميتا بالتشديد وتذكيره لان البلدة فى معنى البلد والمكان
والتفات الى نون العظمة لاظهار كمال العناية بامر الاحياء والاشعار بعظم خطره كذلك اى مثل
ذلك الاحياء الذى هو فى الحقيقة اخراج النبات من الارض تخرجون اى تبعثون من قبوركم احياء وفى
التعبير عن اخراج النبات بالانشاء الذى هو احياء الموتى وعن احيائهم بالاخراج تفخيم لشان الانبات
وتهوين لامر البعث لتقويم سنن الاستدلال وتوضيح منهاج القياس والذى خلق الازواج
منها اى اصناف المخلوقات وعن ابن عباس رضى الله عنهما الازواج الضروب والانواع كالحلو
والحامض والابيض والاسود والذكر والانثى وقيل كل ما سوى الله تعالى فهو زوج كالفوق والتحت
واليمين واليسار الى غير ذلك وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون اى ما تركبونه تغليبا
للانعام على الفلك فان الركوب متعد بنفسه واستعماله فى الفلك ونحوها بكلمة فى للرمز الى مكانيتها
وكون حركتها غير ارادية كما مر فى سورة هود عند قوله تعالى وقال اركبوا فيها لتستووا على ظهوره اى لتستعلوا
على ظهور ما تركبونه من الفلك والانعام والجمع باعتبار المعنى ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه اى
تذكروها بقلوبكم معترفين بها مستعظمين لمائها ثم تحمدوا عليها بالسنتكم وتقولوا سبحان الذى
سخر لنا هذا متعجبين من ذلك كما يروى عن النبى عم انه كان اذا وضع رجله فى الركاب قال بسم الله
فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذى سخر لنا هذا الى قوله تعالى لمنقلبون وكبر
ثلاثا وهلل ثلاثا وما كنا له مقرنين اى مطيقين من اقرن الشئ اذا اطاقه واصله وجده قرينة
لان العصب لا يكون قرينة للضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى واحد وهذا من تمام ذكر نعمته تعالى
اذ بدون اعتراف المنعم عليه بالعجز عن تحصيل النعمة لا يعرف قدرها ولا حق المنعم بها وانا الى ربنا
لمنقلبون اى راجعون وفيه ايذان بان حق الراكب ان يتامل فيما يلابسه من المسير ويتذكر
منه المسافرة العظمى التى هو الانقلاب الى الله تعالى فيبنى اموره فى مسيره ذلك على تلك الملاحظة
ولا يخطر بباله فى شئ مما ياتى ويذر امرا ينافيها ومن ضرورته ان يكون ركوبه لامر مشروع وجعلوا له من
عباده جزءا متصل بقوله تعالى ولئن سالتهم الخ اى وقد جعلوا له سبحانه بالسنتهم واعتقادهم بعد
ذلك الاعتراف من عباده ولدا وانما عبر عنه بالجزء لمزيد استحالته فى حق الواحد الحق من جميع
الجهات وقرئ جزءا بضمتين ان الانسان لكفور مبين ظاهر الكفران مبالغ فيه ولذلك يقولون
ما يقولون سبحان الله عما يصفون ام اتخذ مما يخلق بنات ام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال
من بيان بطلان جعلهم له تعالى ولدا على الاطلاق الى بيان بطلان جعلهم ذلك الولد من اخس
صنفيه والهمزة للانكار والتوبيخ والتعجيب من شانهم وقوله تعالى واصفاكم بالبنين اما عطف
على اتخذ داخل فى حكم الانكار والتعجيب او حال من فاعله باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور و
الالتفات الى خطابهم لتاكيد الالزام وتشديد التوبيخ اى بل اتخذ من خلقه اخس الصنفين
واختار لكم افضلهما على معنى هبوا انكم اجترأتم على اضافة اتخاذ جنس الولد اليه سبحانه مع ظهور
استحالته وامتناعه اما كان لكم شئ من العقل ونبذ من الحياء حتى اجترأتم على التفوه بالعظيمة

بالعظيمة الخارقة للعقول من ادعاء انه تعالى آثركم على نفسه بخير الصنفين واعلاهما وترك له شرهما
وادناهما وبنات وتعريف البنين لتربية ما اعتبر فيهما من الحقارة والفخامة واذا بشر احدهم بما ضرب
للرحمن مثلا استيناف مقرر لما قبله وقيل حال على معنى انهم نسبوا اليه ما ذكر ومن حالهم ان احدهم
اذا بشر به اغتم والالتفات للايذان باقتضاء ذكر قبائحهم ان يعرض عنهم ويحكى لغيرهم تعجيبا منها
اى اذا اخبر احدهم بولادة ما جعله مثلا له سبحانه اذ الولد لا بد ان يجانس الوالد ويماثله ظل وجهه
مسودا اى صار اسود فى الغاية من سوء ما بشر به وهو كظيم مملو من الكرب والكآبة والجملة حال و
قرئ مسود ومسواد على ان فى ظل ضمير المبشر ووجهه مسودا جملة وقعت خبرا له او من ينشأ فى الحلية
تكرير للانكار وتثنية للتوبيخ ومن منصوبة بمضمر معطوف على جعلوا اى او جعلوا من شانه ان يربى
فى الزينة وهو عاجز عن ان يتولى لامره بنفسه فالهمزة لانكار الواقع واستقباحه وقد جوز انتصابها
بمضمر معطوف على اتخذ فالهمزة حينئذ لانكار الوقوع واستبعاده واقحامها بين المعطوفين لتذكير ما
فى ام المنقطعة من الانكار وتاكيده والعطف للتغاير العنوانى اى او اتخذ من هذه الصفة الذميمة
صفته وهو مع ما ذكر من القصور فى الخصام اى الجدال الذى لا يكاد يخلو عنه الانسان فى العادة غير مبين
غير قادر على تقرير دعواه واقامة حجته لنقصان عقله وضعف رايه واضافة غير لا يمنع عمل ما بعده فى الجار
المتقدم لانه بمعنى النفى وقرئ ينشأ ويناشأ من الافعال والمفاعلة والكل بمعنى ونظيره غلاه واغلاه
وغالاه وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا بيان لتضمن كفرهم المذكور لكفر آخر وتقريع لهم بذلك
وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم على الله عز وجل انقصهم رايا واخسهم صنفا وقرئ عبيد الرحمن وقرئ عند
الرحمن على تمثيل زلفاهم وقرئ انثا وهو جمع الجمع اشهدوا خلقهم اى احضروا خلق الله تعالى اياهم فشاهدوهم
اناثا حتى يحكموا بانوثتهم فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل لهم وتهكم بهم وقرئ ءاشهدوا بهمزتين مفتوحة
ومضمومة وءاشهدوا بالف بينهما ستكتب شهادتهم هذه فى ديوان اعمالهم ويسالون عنها يوم القيمة
وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون وقرئ شهاداتهم وهى قولهم ان الله جزءا وان له بنات
وانها الملئكة وقرئ يسالون من المسالة للمبالغة وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم بيان لفن آخر
من كفرهم اى لو شاء عدم عبادتنا للملائكة مشية ارتضاء ما عبدناهم ارادوا بذلك بيان ان ما فعلوه
حق مرضى عنده تعالى وانهم انما يفعلونه بمشيته تعالى لا الاعتذار من ارتكاب ما ارتكبوه بانه بمشيته تعالى
اياه منهم مع اعترافهم بقبحه حتى ينتهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ومبنى كلامهم الباطل على مقدمتين احديهما
ان عبادتهم لهم بمشيته تعالى والثانية ان ذلك مستلزم لكونها مرضية عنده تعالى ولقد اخطاوا فى الثانية
حيث جهلوا ان المشية عبارة عن ترجيح بعض الممكنات على بعض كائنا ما كان من غير اعتبار الرضى او
السخط فى شئ من الطرفين ولذلك جهلوا بقوله تعالى ما لهم بذلك اى بما ارادوا بقولهم ذلك من كون
ما فعلوه بمشيته الارتضاء لا بمطلق المشية فان ذلك محقق ينطق به ما لا يحصى من الآيات الكريمة
من علم يستند الى سند ما ان هم الا يخرصون يتمحلون تمحلا باطلا وقد جوز ان يشار بذلك الى اصل الدعوى
كانه لما اظهر وجوه فسادها وحكى شبههم المزيفة نفى ان يكون لهم بها علم عن طريق العقل ثم اضرب عنه
الى ابطال ان يكون لهم سند من جهة النقل فقيل ام آتيناهم كتابا من قبله من قبل القرآن او من قبل ادعائهم

ينطق بصحة ما يدعونه فهم به بذلك الكتاب مستمسكون وعليه معولون بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا
على آثارهم مهتدون اى لم يأتوا بحجة عقلية او نقلية بل اعترفوا بان لا سند لهم سوى تقليد آبائهم الجهلة
مثلهم والامة الدين والطريقة التي تؤم اى تقصد كالرحلة لما يرحل اليه وقرئ امة بالكسر وهي الحالة التي
يكون عليها الام اى القاصد وقوله تعالى على آثارهم مهتدون خبران او الظرف صلة لمهتدون وكذلك اى والامر
كما ذكر من عجزهم عن الحجة وتشبثهم بذيل التقليد وقوله تعالى ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال
مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون استيناف مبين لذلك دل على ان
التقليد فيما بينهم ضلال قديم ليس لاسلافهم ايضا سند غيره وتخصيص المترفين بتلك المقالة للايذان
بان التنعم وحب البطالة هو الذي صرفهم عن النظر الى التقليد قال حكاية لما جرى بين المنذرين وبين
اممهم عند تقلدهم بتقليد آبائهم اى قال كل نذير من اولئك المنذرين لاممهم اولو جئتكم اى اتقتدون بآبائكم
ولو جئتكم باهدى بدين اهدى مما وجدتم عليه آباءكم من الضلالة التي ليست من الهداية في شيء وانما
عبر عنها بذلك مجاراة معهم على مسلك الانصاف وقرئ قل على انه حكاية امر ماض اوحي حينئذ الى كل
نذير لا على انه خطاب للرسول عليه السلم كما قيل لقوله تعالى قالوا انا بما ارسلتم به كافرون فانه حكاية عن
الامم قطعا اى قال كل امة لنذيرها انما بما ارسلت به الخ وقد اجمل عند الحكاية للايجاز كما مر في قوله تعالى
يا ايها الرسل كلوا من الطيبات وجعله حكاية عن قومه عليه السلم بحمل صيغة الجمع على تغليبه على ساير المنذرين
عليهم السلم وتوجيه كفرهم الى ما ارسل به الكل من التوحيد لاجماعهم عليه كما في نظائر قوله تعالى كذبت عاد المرسلين
تمحل بعيد يرده بالكلية قوله تعالى فانتقمنا منهم اى بالاستيصال فانظر كيف كان عاقبة المكذبين من
الامم المذكورين فلا تكترث بتكذيب قومك واذ قال ابرهيم اى واذكر لهم وقت قوله عليه السلم لابيه وقومه
المكبين على التقليد كيف تبرأ مما هم فيه بقوله انني براء مما تعبدون وتمسك بالبرهان ليسلكوا مسلكه في
الاستدلال او ليقلدوه ان لم يكن لهم بد من التقليد فانه اشرف آبائهم وبراء مصدر نعت به مبالغة ولذلك
يستوي فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ برئ وبراء بضم الباء ككريم وكرام وما اما مصدرية
او موصولة حذف عايدها اى انني برئ من عبادتكم او معبودكم الا الذي فطرني استثناء منقطع او متصل
على ان ما تعم اولي العلم وغيرهم وانهم كانوا يعبدون الله والاصنام او صفة على ان ما موصوفة اى انني
براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني فانه سيهدين اى سيثبتني على الهداية او سيهديني الى ما وراء
الذي هداني اليه الى الآن والاوجه ان السين للتاكيد دون التسويف وصيغة المضارع للدلالة
على الاستمرار وجعلها اى جعل ابرهيم كلمة التوحيد التي ما تكلم به عبارة عنها كلمة باقية في عقبه اى في
ذريته حيث وصاهم بها كما نطق به قوله تعالى ووصى بها ابرهيم بنيه ويعقوب الآية فلا يزال فيهم
من يوحد الله تعالى ويدعو الى توحيده وقرئ كلمة وفي عقبه على التخفيف لعلهم يرجعون علة للجعل اى جعلها
باقية في عقبه رجاء ان يرجع اليها من اشرك منهم بدعاء الموحد بل متعت هؤلاء اضراب عن محذوف
ينساق اليه الكلام كانه قيل جعلها كلمة باقية في عقبه بان وصى بها بنيه رجاء ان يرجع اليها من اشرك
منهم بدعاء الموحد فلم يحصل ما رجاه بل متعت منهم هؤلاء المعاصرين للرسول عليه السلم من اهل مكة وآباءهم
بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وانهمكوا في الشهوات وشغلوا بها عن كلمة التوحيد حتى جاءهم اى هؤلاء

هؤلاء الحق اى القرآن ورسول اى رسول مبين ظاهر الرسالة واضحها بالمعجزات الباهرة او مبين
للتوحيد بالآيات البينات والحجج وقرئ متعنا ومتعت بالخطاب على انه تعالى اعترض به على ذاته في قوله تعالى
وجعلها كلمة باقية الخ مبالغة في تعييرهم فان التمتيع بزيادة النعم يوجب عليهم ان يجعلوه سببا لزيادة
الشكر والثبات على التوحيد والايمان فجعله سببا لزيادة الكفران اقصى مراتب الكفر والضلال
ولما جاءهم الحق لينبههم عما هم فيه من الغفلة ويرشدهم الى التوحيد ازدادوا كفرا وعتوا وضموا الى
كفرهم السابق معاندة الحق والاستهانة به حيث قالوا هذا سحر وانا به كافرون فسموا القرآن سحرا
وكفروا به واستحقروا رسول الله عليه السلم وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين اى من
احدى القريتين مكة والطايف على نهج قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان عظيم اى بالجاه والمال
كالوليد ابن المغيرة المخزومي وعروة بن مسعود الثقفي وقيل حبيب ابن عمر بن عمير الثقفي وعن مجاهد عتبة
ابن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل ولم يتفوهوا بهذه العظيمة حسدا على نزوله الى الرسول عليه السلم دون من ذكر
من عظمائهم مع اعترافهم بقرآنيته بل استدلالا على عدمها بمعنى انه لو كان قرآنا لنزل الى احد هؤلاء بناء
على ان ما زعموا من ان الرسالة منصب جليل لا يليق به الا من له جلالة من حيث المال والجاه ولم يدروا
انها مرتبة روحانية لا يترقى اليها الا همم الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية
المتحلين بالفضائل الانسية واما المتزخرفون بالزخارف الدنيوية المتمتعون بالحظوظ الدنية
فهم من استحقاق تلك الرتبة بالف منزل وقوله تعالى اهم يقسمون رحمة ربك انكار فيه تجهيل لهم
وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة نحن قسمنا بينهم معيشتهم اى اسباب معيشتهم في الحيوة
الدنيا قسمة يقتضيها مشيتنا المبنية على الحكم والمصالح ولم نفوض امرها اليهم علما منا بعجزهم عن تدبيرها
بالكلية ورفعنا بعضهم فوق بعض في الرزق وساير مبادي المعايش درجات متفاوتة بحسب
القرب والبعد حسبما يقتضيه الحكمة فمن ضعيف وقوي وفقير وغني وخادم ومخدوم وحاكم ومحكوم
ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ليصرف بعضهم بعضا في مصالحهم ويستخدموهم في مهنهم ويتسخروهم في
اشغالهم حتى يتعايشوا ويترافدوا ويصلوا الى مرافقهم لا لكمال في الموسع ولا لنقص في المقتر ولو فوضنا
ذلك الى تدبيرهم لضاعوا وهلكوا فاذا كانوا في تدبير خويصة امرهم وما يصلحهم من متاع الدنيا الدنية
وهو في طرف التمام على هذه الحالة فما ظنهم بانفسهم في تدبير امر الدين وهو ابعد من مناط العيوق ومن
اين لهم البحث عن امر النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بامرها ورحمة ربك اى النبوة وما يتبعها
من سعادة الدارين خير مما يجمعون من حطام الدنيا الدنية الفانية وقوله تعالى ولولا ان يكون الناس
امة واحدة استيناف مبين لحقارة متاع الدنيا ودناءة قدره عند الله عز وجل والمعنى ان
حقارة شانه بحيث لولا ان يرغب الناس لحبهم الدنيا في الكفر اذا راوا اهله في سعة وتنعم فيجتمعوا
عليه لاعطيناه بحذافيره من هو شر الخلايق وادناهم منزلة وذلك قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن
لبيوتهم سقفا من فضة اى متخذة منها ولبيوتهم بدل اشتمال من لمن وجمع الضمير باعتبار معنى من كما
ان افراد المستكن في يكفر باعتبار لفظها والسقف جمع سقف كرهن جمع رهن وعن الفراء
انه جمع سقيفة كسفن وسفينة وقرئ سقفا بسكون القاف تخفيفا وسقفا اكتفاء بجمع البيوت

وسقفا كانه لغة في سقف وسقوفا ومعارج اي جعلنا لهم معارج من فضة اي مصاعد جمع معرج
وقرئ معاريج جمع معراج عليها يظهرون اي يعلون السطوح والعلالي ولبيوتهم اي وجعلنا لبيوتهم
ابوابا وسررا من فضة عليها اي على السرر يتكئون ولعل تكرير ذكر بيوتهم لزيادة التقرير وزخرفا
اي زينة عطفا على سقفا او ذهبا عطفا على محل من فضة وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا اي وما كل
ما ذكر من البيوت الموصوفة بالصفات المفصلة الا شيء يتمتع به في الحيوة الدنيا وفي معناه ما قرئ
وما كل ذلك الا متاع الحيوة الدنيا وقرئ بتخفيف ما على ان ان هي المخففة واللام هي الفارقة
وقرئ بكسر اللام على انها لام العلة وما موصولة قد حذف عايدها اي للذي هو متاع الخ كما في قوله تعالى
تماما على الذي احسن والاخرة بما فيها من فنون النعم التي يقصر عنها البيان يحلل عند ربك للمتقين
اي عن الكفر والمعاصي وبهذا تبين ان العظيم هو العظيم في الاخرة لا في الدنيا ومن يعش اي يتعام
عن ذكر الرحمن وهو القرآن واضافته الى اسم الرحمن للايذان بنزوله رحمة للعالمين وقرئ يعش
بالفتح اي يعم يقال عشي يعشى اذا كان في بصره آفة وعشا يعشو اذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج وقرئ
يعشو على ان من موصولة غير متضمنة معنى الشرط والمعنى ومن يعرض عنه لفرط اشتغاله بزهرة الحيوة
الدنيا وانهماكه في حظوظها الفانية والشهوات نقيض له شيطانا فهو له لا يفارقه ولا يزال يوسوسه
ويغويه وقرئ يقيض بالياء على اسناده الى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو فحقه ان يرفع يقيض وانهم
اي الشياطين الذين قيض كل واحد منهم لكل واحد ممن يعشو ليصدونهم اي قرناهم فمدار جمع الضميرين
باعتبار معنى من كما ان مدار افراد الضماير السابقة باعتبار لفظها عن السبيل المستبين الذي يدعو اليه
القرآن ويحسبون اي العاشون انهم اي الشياطين مهتدون اي الى السبيل المستقيم والا لما اتبعوهم
او يحسبون ان انفسهم مهتدون لان اعتقاد كون الشياطين مهتدين مستلزم لاعتقاد كونهم كذلك
لاتحاد مسلكهما والجملة حال من فاعل مفعول يصدون بتقدير المبتداء او من فاعله او منهما لاشتمالها على
ضميريهما اي وانهم ليصدونهم عن الطريق الحق وهم يحسبون انهم مهتدون اليه وصيغة المضارع في
الافعال الاربعة للدلالة على الاستمرار التجددي لقوله تعالى حتى اذا جاءنا فان حتى وان كانت ابتدائية
داخلة على الجملة الشرطية لكنها تقتضي حتما ان تكون غاية لامر ممتد كما مر مرارا وافراد الضمير في جاء وما بعده
لما ان المراد حكاية مقالة كل واحد من العاشين لقرينة تهويل وتفظيع الحال والمعنى يستمر العاشون
على ما ذكر من مقارنة الشياطين والصد والحسبان الباطل حتى اذا جاء كل واحد منهم مع قرينه يوم
القيمة قال مخاطبا له يا ليت بيني وبينك في الدنيا بعد المشرقين اي بعد المشرق والمغرب اي تباعد
كل منهما عن الآخر فغلب المشرق وثنى واضيف البعد اليهما فبئس القرين اي انت وقوله تعالى ولن ينفعكم
الخ حكاية لما سيقال لهم حينئذ من جهة الله عز وجل توبيخا وتقريعا اي لن ينفعكم اليوم اي يوم القيمة
تمنيكم لمباعدتهم اذ ظلمتم اي لاجل ظلمكم انفسكم في الدنيا لاتباعكم اياهم في الكفر والمعاصي وقيل اذ
ظلمتم بدل من اليوم اي اذ تبين عندكم وعند الناس جميعا انكم ظلمتم انفسكم في الدنيا وعليه قول من
قال اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي تبين اني لم تلدني لئيمة بل كريمة وقوله تعالى انكم في العذاب مشتركون
تعليل لنفي النفع اي لان حقكم ان تشتركوا انتم وقرناؤكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه في الدنيا

الدنيا ويجوز ان يسند الفعل اليه لكن لا بمعنى لن ينفعكم اشتراككم في العذاب كما ينفع الواقعين في شدايد
الدنيا اشتراكهم فيها لتعاونهم في تحمل اعبائها وتقسمهم لعنائها لان لكل منهم ما لا يبلغه طاقته كما قيل
لان الانتفاع بذلك الوجه ليس مما يخطر ببالهم حتى يرد عليهم بنفيه بل بمعنى ان يحصل لكم التشفي بكون
قرنائكم معذبين مثلكم حيث كنتم تدعون عليهم بقولكم ربنا وآتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا
كثيرا وقولكم فآتهم عذابا ضعفا من النار ونظايرهما لتتشفوا بذلك كان رسول الله عليه السلم يبالغ
في المجاهدة في دعاء قومه وهم لا يزيدون الا غيا وتعاميا عما يشاهدونه من شواهد النبوة وتصاما عما
يسمعونه من بينات القرآن فنزل افانت تسمع الصم او تهدي العمي وهو انكار تعجيب من ان يكون هو
الذي يقدر على هدايتهم وهم قد تمرنوا في الكفر واستغرقوا في الضلال بحيث صار ما بهم من العشا عما
مقرونا بالصمم ومن كان في ضلال مبين عطف على العمي باعتبار تغاير الوصفين ومدار الانكار هو التمكن
والاستقرار في الضلال المفرط بحيث لا ارعواء لهم منه لا توهم القصور من قبل الهادي ففيه رمز الى انه لا يقدر
على ذلك الا الله تعالى وحده بالقسر والالجاء فاما نذهبن بك اي فان قبضناك قبل ان ننصرك عذابهم
ونشفي بذلك صدرك وصدور المؤمنين فانا منهم منتقمون لا محالة في الدنيا والآخرة فما مزيدة للتاكيد
بمنزلة لام القسم في انها لا تفارق النون المؤكدة او نرينك الذي وعدناهم اي او اردنا ان نريك
العذاب الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون بحيث لا مناص لهم من تحت ملكتنا وقهرنا ولقد اراه
عليه السلم ذلك يوم بدر فاستمسك بالذي اوحي اليك من الآيات والشرايع سواء اعجلنا لك
الموعود او اخرناه الى اليوم الآخر وقرئ اوحي على البناء للفاعل وهو الله عز وجل انك على صراط
مستقيم تعليل للاستمساك او للامر به وانه لذكر لشرف عظيم لك ولقومك وسوف تسألون
يوم القيمة عنه وعن قيامكم بحقوقه واسأل من ارسلنا قبلك من رسلنا اي واسأل اممهم وعلماء
دينهم كقوله تعالى فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك وفائدة هذا المجاز التنبيه على ان المسؤول
عنه عين ما نطقت به السنة الرسل لا ما يقوله اممهم وعلماؤهم من تلقاء انفسهم قال الفراء هم انما
يخبرونه عن كتب الرسل فاذا سألهم فكانه سأل الانبياء عليهم السلم اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون
اي هل حكمنا بعبادة الاوثان وهل جاءت في ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد باجماع الانبياء على
التوحيد والتنبيه على انه ليس ببدع ابتدعه حتى يكذب ويعادى ولقد ارسلنا موسى بآياتنا
ملتبسا بها الى فرعون وملائه فقال اني رسول رب العالمين اريد باقتصاصه تسلية رسول الله
عليه السلم والاستشهاد بدعوة موسى عليه السلم الى التوحيد اثر ما اشير الى اجماع جميع الرسل عليهم السلم عليه
فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون اي فاجؤا وقت ضحكهم منها اي استهزؤا بها اول ما راوها
ولم يتاملوا فيها وما نريهم من آية من الآيات الا هي اكبر من اختها اي الا وهي بالغة اقصى
مراتب الاعجاز بحيث يحسب كل من ينظر اليها انها اكبر من كل ما يقاس بها من الآيات والمراد وصف
الكل بغاية الكبر من غير ملاحظة قصور في شيء منها اي الا وهي مختصة بضرب من الاعجاز مفضلة
بذلك الاعتبار على غيرها واخذناهم بالعذاب كالسنين والطوفان والجراد وغيرها لعلهم يرجعون
لكي يرجعوا عما هم عليه من الكفر وقالوا يا ايها الساحر نادوه بذلك في مثل تلك الحالة لغاية عتوهم ونهاية

حاقهم وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم علم السحر وقرئ آية الساحر بضم الهاء ادع لنا ربك ليكشف عنا العذاب بما عهد عندك بعهده عندك من النبوة او من اجابة دعوتك او من كشف العذاب عمن اهتدى او بما عهد عندك فوفيت به من الايمان والطاعة انا لمهتدون اى لمؤمنون على تقدير كشف العذاب بدعوتك كقولهم لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك فلما كشفنا عنهم العذاب بدعوته اذا هم ينكثون فاجؤا وقت نكث عهدهم بلا ابتداء وقد مر تفصيله فى الاعراف ونادى فرعون بنفسه او بمناديه فى قومه فى مجمع وفيما بينهم بعد ان كشف العذاب عنهم مخافة ان يؤمنوا قال يا قوم اليس لى ملك مصر وهذه الانهار انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس تجرى من تحتى اى من تحت قصرى او امرى وقيل من تحت سريرى لارتفاعه وقيل بين يدى فى جنانى وبساتينى والواو اما عاطفة لهذه الانهار على ملك مصر فتجرى حال منها او للحال لهذه مبتدأ والانهار صفتها وتجرى خبر للمبتدأ افلا تبصرون ذلك يريد به استعظام ملكه ام انا خير مع هذه الملكة والبسطة من هذا الذى هو مهين اى ضعيف حقير من المهانة وهى القلة ولا يكاد يبين اى الكلام قال الفراء عليه اللعنة وتنقيصا له فى اعين الناس باعتبار ما كان فى لسانه عليه السلم من نوع رتة وقد كانت وهبت عنه لقوله تعالى قد اوتيت سؤلك وام اما منقطعة والهمزة للتقرير كانه قال اثر ما عرفوا اسباب فضله وجبادى خيريته اثبت عندكم واستقر لديكم انى انا خير وهذه حالى من هذا الخ واما متصلة فالمعنى افلا تبصرون ام تبصرون خلاء انه وضع قوله انا خير موضع تبصرون لانهم اذا قالوا الا انت خير فهم عنده بصراء وهذا من باب تنزيل السبب منزلة المسبب ويجوز ان يجعل من تنزيل المسبب منزلة السبب فان ابصارهم لما ذكر من اسباب فضله سبب على زعمه لحكمهم بخيريته فلولا القى عليه اسورة من ذهب اى فهلا القى اليه مقاليد الملك ان كان صادقا فانهم كانوا اذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه بطوق من ذهب واسورة جمع سوار وقرئ اساور جمع اسورة وقرئ اساورة جمع اسوار بمعنى السوار على تعويض التاء من ياء اساوير او جاء معه الملائكة مقترنين يعضدونه او يصدقونه من قرنته به فاقترن او متقارنين من اقترن بمعنى تقارن فاستخف قومه فاستفزهم وطلب منهم الخفة فى مطاوعته او فاستخف احلامهم فالهاعوه فيما امرهم به انهم كانوا قوما فاسقين فلذلك سارعوا الى طاعته ذلك الفاسق الغوى فلما آسفونا اى اغضبونا اشد الغضب منقول من اسف اذا اشتد غضبه انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين فى اليم فجعلناهم سلفا قدوة لمن بعدهم من الكفار يسلكون مسلكهم فى استحباب مثل حل بهم من العذاب وهو اما مصدر نعت به او جمع سالف كخدم جمع خادم وقرئ بضم السين واللام على انه جمع سليف اى فريق قد سلف كرغف او سالف كصبر او سلف كاسد وقرئ سلفا بابدال ضمة اللام فتحة او على انه جمع سلفة اى ثلة قد سلفت ومثلا للآخرين اى عظة لهم او قصة عجيبة تشير مسير الامثال لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون ولما ضرب ابن مريم مثلا اى ضربه ابن الزبعرى حين جادل رسول الله عليه اللعنة فى قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم حيث قال اهذا لنا ولآلهتنا ام لجميع الامم فقال عليه اللعنة هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم فقال اللعين خصمتك

خصمتك ورب الكعبة اليست النصارى يعبدون المسيح واليهود عزيرا وبنو مليح الملائكة فان كان هؤلاء فى النار فقد رضينا ان نكون نحن وآلهتنا معهم ففرح به قومه وضحكوا وارتفعت اصواتهم وذلك قوله تعالى اذا قومك منه اى من ذلك المثل يصدون اى يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وجذلا وقرئ يصدون اى من اجل ذلك المثل يعرضون عن الحق اى يتثبتون على ما كانوا عليه من الاعراض او يزدادون فيه وقيل هو ايضا من الصديد وهما لغتان فيه كيعكف ويعكف وهو الاسب بمعنى المعاجة وقالوا آلهتنا خير ام هو حكاية لطرف من المثل المضروب قالوا تمهيدا لما بنوا عليه من الباطل المموه بما يغتر به السفهاء اى ظاهرا ان عيسى خير من الهتنا فحيث كان هو فى النار فلا باس بكوننا مع الهتنا فيها واعلم ان ما نقل عنهم من الفرح ورفع الاصوات لم يكن لما قيل من انه عليه السلم سكت عند ذلك الى ان نزل قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية فان ذلك مع ايهامه لما يجب تنزيه ساحته عليه السلم عنه من شائبة الاخرام من اول الامر خلاف الواقع كيف لا وقد روى ان قول ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة صدر عنه من اول الامر عند سماع الآية الكريمة فرد عليه النبى بقوله عليه السلم ما اجهلك بلغة قومك ما افيت ان ما لما لا يعقل وانما لم يخص عليه السلم بهذا الحكم آلهتهم حين سال الفاجر عن الخصوص والعموم عملا بما ذكر من اختصاص كلمة ما بغير العقلاء لان اخراج بعض المعبودين عنه عند المحاجة موهم للرخصة فى عبادته فى الجملة فعمم للكل لكن لا بطريق عبارة النص بل بطريق الدلالة بجامع الاشتراك فى المعبودية من دون الله تعالى هذا بين عليه السلم بقوله بل هم عبدوا الشياطين التى امرتهم بذلك ان الملائكة والمسيح بمعزل من ان يكونوا معبوديهم كما نطق به قوله تعالى سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن الآية وقد مر تحقيق المقام عند قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية بل انما كان ما اظهروه من الاحوال المنكرة لمحض وقاحتهم وتهالكهم على المكابرة والعناد كما ينطق به قوله تعالى ما ضربوه لك الا جدلا اى ما ضربوا لك ذلك المثل الا لاجل الجدال والخصام لا لطلب الحق حتى يذعنوا عند ظهوره بل انتم قوم خصمون اى لدا شداد الخصومة مجبولون على اللجاج والجدال وقيل لما سمعوا قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب قالوا الحق اهدى من النصارى لانهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت فقولهم آلهتنا خير ام هو حينئذ تعضيل لآلهتهم على عيسى عليه السلم لان المراد بهم الملائكة ومعنى ما ضربوه لك ما قالوا هذا القول الا للجدال وقيل لما نزلت ان مثل عيسى الآية قالوا ما يريد محمد بهذا الا ان نعبده وانه يستاهل ان يعبد وان كان بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر ومعنى يصدون يضجون ويضجرون والضمير فى ام هو لمحمد عليه السلم وغرضهم بالموازنة بينه وبين آلهتهم الاستهزاء به وقد جوز ان يكون مرادهم التنصل عما انكر عليهم من قولهم الملائكة بنات الله تعالى ومن عبادتهم لهم كانهم قالوا ما قلنا بدعا من القول ولا فعلنا منكرا من الفعل فان النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه فحين اشف منهم قولا وفعلا حيث نسبنا اليه الملائكة وهم نسبوا اليه الاناسى فقولهم ان هو الا عبد انعمنا عليه اى بالنبوة وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل اى امرا عجيبا حقيقا بان يستر وكره كالامثال السائرة على الوجه الاول استيناف مسوق لتنزيهه عليه السلم عن ان ينسب اليه ما نسب الى الاصنام

بطريق الرمز كما نطق به صريحا قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وفيه تنبيه على بطلان رأي
من رفعه عن رتبة العبودية وتعريض بفساد رأي من يرى رأيهم في شأن الملائكة وعلى الثاني والرابع لبيان
انه قياس باطل بباطل او بابطل على زعمهم وما عيسى الا عبد كسائر العبيد فصار امره انه ممن انعمنا
عليهم بالنبوة وخصصناه ببعض الخواص البديعة بان خلقناه بوجه بديع وقد خلقنا آدم بوجه ابدع
منه فاين هو من رتبة الربوبية ومن اين يتوهم صحة مذهب عبدته حتى يفتخر عبدة الملائكة بكونهم
اهدى منهم او يعتذروا بان حالهم اشف او اخف من حالهم واما على الوجه الثالث فهو لردهم و
تكذيبهم في افترائهم على رسول الله عليه السلم ببيان ان عيسى في الحقيقة وفيما اوحي الى الرسول عليهما السلام
ليس الا انه عبد منعم عليه كما ذكر فكيف يرضى عليه السلم بمعبوديته ام كيف يتوهم الرضى بمعبودية نفسه
وقوله تعالى ولو نشاء الخ لتحقيق ان مثل عيسى عليه السلم ليس ببدع من قدرة الله تعالى وانه تعالى قادر
على ابدع من ذلك وابدع مع التنبيه على سقوط الملائكة ايضا من درجة المعبودية اي قدرتنا
بحيث لو نشاء لجعلنا اي لخلقنا بطريق التوالد منكم وانتم رجال ليس من شأنكم الولادة ملائكة
كما خلقناهم بطريق الابداع في الارض مستقرين فيها كما جعلناهم مستقرين في السماء يخلفون اي
يخلفونكم مثل اولادكم فيما تأتون وما تذرون ويباشرون الافاعيل المنوطة بمباشرتكم مع ان شأنهم التسبيح
والتقديس في السماء فمن شأنهم بهذه المثابة بالنسبة الى القدرة الربانية كيف يتوهم استحقاقهم
للمعبودية او انتسابهم اليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا وانه وان عيسى لعلم للساعة اي انه بنزوله شرط من
اشراطها وتسميته علما لحصوله به او بحدوثه بغير اب او باحيائه الموتى دليل على صحة البعث الذي هو
معظم ما ينكره الكفرة من الامور الواقعة في الساعة وقرئ لعلم اي علامة وقرئ للعلم وقرئ لذكر على
تسمية ما يذكر به ذكرا كتسمية ما يعلم به علما وفي الحديث ان عيسى عليه السلم ينزل على ثنية بالارض المقدسة
يقال لها افيق وعليه ممصرتان وبيده حربة وبها يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلوة
الصبح فيتأخر الامام فيقدمه عيسى عليه السلم ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر
الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن به وقيل الضمير للقرآن لما ان فيه
الاعلام بالساعة فلا تمترن بها فلا تشكن في وقوعها واتبعوني اي واتبعوا هداي او شرعي او رسولي
وقيل هو قول الرسول مأمورا من جهته تعالى هذا اي الذي ادعوكم اليه او القرآن على ان الضمير في انه له
صراط مستقيم موصل الى الحق ولا يصدنكم الشيطان عن اتباعي انه لكم عدو مبين بين العداوة
حيث اخرج اباكم من الجنة وعرضكم للبلية ولما جاء عيسى بالبينات اي بالمعجزات او بآيات الانجيل
او بالشرائع الواضحات قال لبني اسرائيل قد جئتكم بالحكمة اي الانجيل او الشريعة ولابين لكم عطف على
مقدر ينبئ عنه المجيء بالحكمة كأنه قيل قد جئتكم بالحكمة لاعلمكم اياها ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه
وهو ما يتعلق بامور الدين واما ما يتعلق بامور الدنيا فليس بيانه من وظائف الانبياء عليهم السلم كما قال
عليه السلم انتم اعلم بامور دنياكم فاتقوا الله في مخالفتي واطيعون فيما ابلغه عنه تعالى ان الله هو ربي وربكم
فاعبدوه بيان لما امرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع هذا اي التوحيد
والتعبد بالشرائع صراط مستقيم لا يضل سالكه وهو اما من تتمة كلامه عليه السلم او استئناف من جهته

جهته تعالى مقرر لمقالة عيسى عليه السلم فاختلف الاحزاب الفرق المتحزبة من بينهم اي من بين من بعث
اليهم من اليهود والنصارى فويل للذين ظلموا من المختلفين من عذاب يوم اليم هو يوم القيمة هل ينظرون
اي ما ينتظر الناس الا الساعة ان تأتيهم اي الا اتيان الساعة بغتة اي فجأة لكن لا عند كونهم
مترقبين لها بل غافلين عنها متشاغلين بامور الدنيا منكرين لها وذلك قوله تعالى وهم لا يشعرون الاخلاء
المتحابون في الدنيا على الاطلاق او في الامور الدنيوية يومئذ يوم اذ تأتيهم الساعة بعضهم لبعض
عدو لانقطاع ما بينهم من علائق الخلة والتحاب لظهور كونها اسبابا للعذاب الا المتقين فان
خلتهم في الدنيا لما كانت في الله تبقى على حالها بل تزداد بمشاهدة كل منهم آثار خلتهم من الثواب
ورفع الدرجات والاستثناء على الاول متصل وعلى الثاني منقطع يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم
تحزنون حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون في الله يومئذ تشريفا لهم وتطييبا لقلوبهم الذين آمنوا بآياتنا
صفة للمنادى او نصب على المدح وكانوا مسلمين اي مخلصين وجوههم لنا جاعلين انفسهم سالمة لطاعتنا
وهو حال من واو آمنوا عن مقاتل اذا بعث الله الناس فزع كل احد فينادي مناد يا عبادي فيرفع الخلائق
رؤوسهم على الرجاء ثم يتبعها الذين آمنوا الآية فينكس اهل الاديان الباطلة رؤوسهم ادخلوا الجنة انتم
وازواجكم نساؤكم المؤمنات تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره اي اثره على وجوهكم او تزينون من
الحبرة وهو حسن الهيئة او تكرمون اكراما بليغا والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل يطاف عليهم بعد
دخولهم الجنة حسبما امروا به بصحاف من ذهب واكواب كذلك والصحاف جمع صحفة قيل هي كالقصعة
وقيل اعظم القصاع الجفنة ثم القصعة ثم الصحفة ثم المكيلة والاكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له
وفيها اي في الجنة ما تشتهيه الانفس من فنون الملاذ وقرئ ما تشتهي وتلذ الاعين اي تستلذه وتقر
بمشاهدته وقرئ وتلذه وانتم فيها خالدون تمام للنعمة واكمال للسرور فان كل نعيم له زوال بالآخرة
مقارن لخوفه لا محالة والالتفات للتشريف وتلك الجنة مبتدأ وخبر التي اورثتموها وقرئ ورثتموها
بما كنتم تعملون في الدنيا من الاعمال الصالحة شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه العامل عليه وقيل
تلك الجنة مبتدأ وصفة والموصول مع صلته خبره وقيل هو صفة الجنة كالوجه الاول والخبر بما كنتم
تعملون فتتعلق الباء بمحذوف لا باورثتموها كما في الاولين لكم فيها فاكهة كثيرة بحسب الانواع والاصناف
لا بحسب الافراد فقط منها تأكلون اي بعضها تأكلون في كل نوبة واما الباقي فعلى الاشجار على الدوام لا ترى
فيها شجرة خلت عن ثمرها لحظة فهي مزينة بالثمار ابدا موقرة بها وعن النبي عليه السلم لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها
الا نبت مثلاها مكانها ان المجرمين اي الراسخين في الاجرام وهم الكفار حسبما ينبئ عنه ايرادهم في مقابلة
المؤمنين بالآيات في عذاب جهنم خالدون خبر ان او خالدون هو الخبر وفي متعلقة به لا يفتر عنهم اي
لا يخفف العذاب عنهم من قولهم فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف وهم فيه اي
العذاب وقرئ فيها اي في النار مبلسون آيسون من النجاة وما ظلمناهم بذلك ولكن كانوا هم الظالمين
لتعريضهم انفسهم للعذاب الخالد ونادوا خازن النار يا مالك وقرئ يا مال على الترخيم بالضم والكسر
ولعل رمز الى ضعفهم وعجزهم عن تأدية اللفظ بتمامه ليقض علينا ربك اي ليتمنا حتى نستريح من قضى
عليه اذا اماته والمعنى سل ربك ان يقضي علينا وهذا لا ينافي ما ذكر من ابلاسهم لانه جؤار وتمن للموت

لفرط الشدة قال انكم ماكثون اى فى العذاب ابدا لاخلاص لكم منه بموت ولا بغيره
عن ابن عباس رضى الله عنهما انه لايحبسهم الا بعد الف سنة قتل بعد مائة وقيل
بعد اربعين سنة لقد جئناكم بالحق فى الدنيا بارسال الرسل وانزال الكتب وهو خطاب
توبيخ وتقريع من جهة الله تعالى لتقرير جواب مالك ومبين لسبب مكثهم وقيل فى
قال ضمير الله تعالى ولكن اكثركم للحق اى حق كان كارهون لايقبلونه وينفرون منه واما
المعهود الذى هو التوحيد او القرآن فكلهم كارهون له مشمئزون منه ام ابرموا امرا كلام
مبتدأ ناع على المشركين ما فعلوا من الكيد برسول الله صلى الله عليه وسلم وام منقطعة
وما فيها من معنى بل للانتقال من توبيخ اهل النار الى حكاية هؤلاء والهمزة للانكار فان اريد بالابرام
الاحكام حقيقة فهى لانكار الوقوع واستبعاده وان اريد الاحكام صورة فهى لانكار الواقع
واستقباحه اى ابرموا مشركو مكة امرا من كيدهم ومكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم
فانا مبرمون كيدا حقيقة لاهم او فانا مبرمون كيدنا بهم حقيقة كما ابرموا كيدهم صورة كقوله تعالى
ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وكانوا يتناجون فى انديتهم ويتشاورون
فى اموره عليه الصلوة والسلام ام يحسبون اى بل ايحسبون انا لانسمع سرهم
وهو ما حدثوا به انفسهم او غيرهم فى مكان خال ونجواهم اى ما تكلموا به فيما بينهم بطريق
التناجى بلى نحن نسمعها ونطلع عليها ورسلنا الذين يحفظون عليهم اعمالهم ويلازمونهم
اينما كانوا لديهم عندهم يكتبون اى يكتبونها او يكتبون كل ما صدر عنهم من الافعال
والاقوال الة من جملتها ما ذكر من سرهم ونجواهم والجملة اما عطف على ما
يترجم عنه بل اوحال اى نسمعها والحال ان رسلنا يكتبونه قل اى للكفرة تحقيقا
للحق وتبيينا لهم على ان مخالفتك لهم بعدم عبادتك لما يعبدونه من الملائكة عليهم
السلام ليست لبغضك وعداوتك لهم او لمعبوديهم بل انما هو لخرمك
باستحالة ما نسبوا اليهم وبنوا عليه عبادتهم من كونهم بنات الله تعالى ان
كان للرحمن ولد فانا اول العابدين اى له وذلك لانه عليه السلام اعلم
الناس بشؤونه تعالى وبما يجوز عليه وبما لا يجوز واولاهم برعاية حقوقه
ومن واجب تعظيم الوالد تعظيم ولده وفيه من الدلالة على انتفاء كونهم
كذلك على ابلغ الوجوه واقواها وعلى كون رسول الله صلى الله عليه وسلم
على قوة يقين وثبات قدم فى باب التوحيد ما لا يخفى مع ما فيه من استنزال
الكفرة عن رتبة المكابرة حسبما يعرب عنه ايراد ان مكان لو المنبئة
عن امتناع مقدم الشرطية وقيل ان كان للرحمن ولد فى زعمكم فانا
اول العابدين الموحدين لله تعالى وقيل فانا اول الانفين اى المستنكفين
منه اومن ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه وقيل ان نافية

نافية اى ما كان للرحمن ولد فانا اول من قال بذلك وقرئ ولد بضمتين سبحان
رب السموات والارض رب العرش عما يصفون اى يصفونه به
من ان يكون له ولد فى اضافة اسم الرب الى اعظم الاجرام واقواها
تنبيه على انها وما فيها من المخلوقات حيث كانت تحت ملكوته
وربوبيته كيف يتوهم ان يكون شئ منها جزاء منه سبحانه وفى تكرير اسم
الرب تفخيم لشان العرش فذرهم حيث لم يذعنوا للحق بعد ما سمعوا
هذا البرهان الجلى يخوضوا فى اباطيلهم ويلعبوا فى دنياهم فان ما هم فيه من
الافعال والاقوال ليست الا من باب الجهل واللعب والجزم فى
الفعل لجواب الامر حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون من يوم القيمة
فانهم يومئذ يعلمون ما فعلوا وما يفعل بهم وهو الذى فى السماء اله
وفى الارض اله الظرفان متعلقان بالمعنى الوصفى الذى ينبئ عنه
الاسم الجليل من معنى المعبودية بالحق بناء على اختصاصه بالمعبود بالحق كما مر
فى تفسير البسملة كانه قيل وهو الذى مستحق لان يعبد فيهما وقد مر
تحقيقه فى سورة الانعام وقرئ وهو الذى فى السماء الله وفى
الارض الله والراجع الى الموصول مبتدأ قد حذف لطول الصلة بمتعلق
الخبر والعطف عليه ولامساغ لكون الجار خبرا مقدما واله مبتدأ
مؤخرا للزوم عرآء الجملة حينئذ عن العائد نعم يجوز ان يكون صلة
للموصول واله خبرا لمبتدإ محذوف على ان الجملة بيان للصلة
وان كونه فى السماء على سبيل الالهية لا على سبيل الاستوار وفيه
نفى الالهية السماوية والارضية وتخصيص لاستحقاق الالهة
به تعالى وقوله تعالى وهو الحكيم العليم كالدليل على ما قبله
وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما
اما على الدوام كالهواء او فى بعض الاوقات كالطير وعنده
علم الساعة اى العلم بالساعة التى فيها تقوم القيمة واليه
ترجعون للجزاء والالتفات للتهديد وقرئ على الغيبة
وقرئ تحشرون بالتاء ولا يملك الذين يدعون اى يدعونه
وقرئ بالتاء مبنيا ومشددا من دونه الشفاعة كما يزعمون
الا من شهد بالحق الذى هو التوحيد وهم يعلمون بما يشهدون به
عن بصيرة وايقان واخلاص وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان

كما ان الافراد اولا باعتبار لفظها والاستثناء اتا متصل والموصول عام
لكل ما يعبد من دون الله او منفصل على انه خاص بالاصنام ولئن
سالتهم من خلقهم اى سالت العابدين والمعبودين ليقولن
الله لتعذر الانكار لغاية بطلانه فانى يؤفكون فكيف يصرفون عن
عبادته الى عبادة غيره مع اعترافهم بكون الكل مخلوقا له تعالى وقيله
يارب اما على انه عطف على الساعة اى عنده علم الساعة
وعلم قوله صلى الله عليه وسلم يارب الى آخره فان القول
والقيل والقال كلها مصادر او على ان الواو للقسم وقوله
تعالى ان هؤلاء قوم لا يؤمنون جوابه فى الاقسام به من
رفع شانه صلى الله عليه وسلم وتفخيم دعائه والتجائه
اليه تعالى مالا يخفى وقرئ بالنصب بالعطف على هم
او على محل الساعة او باضمار فعله او بتقدير فعل القسم وقرئ
بالرفع على الابتداء والخبر ما بعده وقد جوز عطفه
على علم الساعة فاصفح عنهم فاعرض عن دعوتهم
واقنط عن ايمانهم وقل سلام اى امرى تسلم منكم
ومتاركة فسوف يعلمون حالهم الآتية
وان تاخر ذلك وهو وعيد من الله تعالى لهم
وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وقرئ تعلمون على انه داخل فى حيز قل
عن النبى صلى الله عليه وسلم
من قراء سورة الزخرف كان ممن
يقال له يوم القيمة يا عباد
لا خوف عليكم اليوم
ولا انتم تحزنون
ادخلوا الجنة
بغير حساب
والله اعلم
بالصواب

م

حم والكتاب المبين الكلام فيه كالذى سلف فى السورة السابقة انا انزلناه اى الكتاب
المبين الذى هو القرآن فى ليلة مباركة هى ليلة القدر وقيل ليلة البراءة اشير فيها الى
او انزل فيها جملة الى سماء الدنيا من اللوح واملاه جبريل عليه السلم على السفرة ثم كان ينزله على النبى
عليه السلم نجوما فى ثلث وعشرين سنة كما مر فى سورة الفاتحة ووصفها بالبركة لما ان نزول
القرآن مستتبع للمنافع الدينية والدنيوية باجمعها او لما فيها من تنزل الملائكة والرحمة
واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية وفضيلة العبادة واعطاء تمام الشفاعة
لرسول الله ع وقيل اريد فى هذه الليلة ماء زمزم زيادة ظاهرة انا كنا منذرين استيناف
مبين لما يقتضيه الانزال كانه قيل انا انزلناه لان من شاننا الانذار والتحذير من العقاب
وكيت جواب للقسم وقوله تعالى انا انزلناه الخ اعتراض وقيل حال ثان بغير عاطف
فيها يفرق كل امر حكيم استيناف كما قبله فان كونها مفرق الامور المحكمة او الملتبسة بالحكمة
الموافقة لها يستدعى ان ينزل فيها القرآن الذى هو من عظائمها وقيل صفة اخرى لليلة
وما بينهما اعتراض وهذا يدل على انها ليلة القدر ومعنى يفرق انه يكتب ويفصل كل امر
حكيم من ارزاق العباد واجالهم وجميع امورهم من هذه الليلة الى الاخرى من السنة
القابلة وقيل يبدأ فى استنساخ ذلك من اللوح فى ليلة البراءة ويقع الفراغ فى ليلة
القدر فتدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب الى جبريل وكذا الزلازل والخسف
والصواعق ونسخة الاعمال الى اسمعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب
الى ملك الموت عليهم السلم وقرئ يفرق بالتشديد وقرئ يفرق على البناء للفاعل اى يفرق الله
تعالى كل حكيم وقرئ تفرق بنون العظمة امرا من عندنا نصب على الاختصاص اى اعنى
بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو بيان لفخامة الاضافة بعد بيان
فخامة الذاتية ويجوز كونه حالا من كل امر لتخصصه بالوصف او من ضميره فى حكيم وقد يجوز
ان يراد به مقابل النهى ويجعل مصدرا موكدا ليفرق لاتحاد الامر والفرقان فى المعنى او لفعله
المضمر لما ان الفرق به اوحالا من احد ضميرى انزلناه اى آمرين او مامورا انا كنا مرسلين
بدل من انا كنا منذرين وقيل جواب ثالث وقيل مستانف وقوله تعالى رحمة من ربك
غاية للارسال متاخرة عنه على ان المراد بها الرحمة الواصلة الى العباد وباعث مقدم عليه
على ان المراد مبدؤها اى انزلنا القرآن لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد
لاجل افاضة رحمتنا عليهم او لاقتضاء رحمتنا السابقة ارسالهم ووضع الرب موضع
الضمير للايذان بان ذلك من احكام الربوبية ومقتضياتها واضافته الى ضميره ع لتشريفه
او تعليل ليفرق او لقوله تعالى امرا على ان قوله تعالى رحمة مفعول للارسال كما فى قوله تعالى وما يمسك
فلا مرسل له اى يفرق فيها كل امر او يصدر الا وامر من عندنا لان من عادتنا ارسال رحمتنا

ولا ريب في ان كلا من قسمة الارزاق وغيرها والاوامر الصادرة عنه تعالى من باب الرحمة فان الغاية
لتكليف العباد تعريضهم للمنافع وقرئ رحمة بالرفع اي تلك رحمة وقوله تعالى انه هو السميع العليم
تحقيق لربوبيته تعالى وانه لا تحق الا لمن هذه نعوته رب السموات والارض وما بينهما بدل من ربك
او بيان او نعت وقرئ بالرفع على انه خبر آخر او استيناف على اضمار مبتدأ ان كنتم موقنين اي ان
كنتم من اهل الايقان في العلوم او ان كنتم موقنين في اقراركم بانه تعالى رب السموات والارض وما
بينهما اذا سئلتم من خلقها فقلتم الله علمتم ان الامر كما قلنا او ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك
لا اله الا هو جملة مستانفة مقررة لما قبلها وقيل خبر لقوله رب السموات والارض وما بينهما اعتراض
يحيي ويميت مستانفة كما قبلها وكذا قوله تعالى ربكم ورب آبائكم الاولين باضمار مبتدأ او بدل من
رب السموات على قراءة الرفع او بيان او نعت له وقيل فاعل ليميت وفي يحيي ضمير راجع الى رب
السموات وقرئا بالجر بدلا من رب السموات على قراءة الجر بل هم في شك مما ذكر من شئونه تعالى غير موقنين
في اقرارهم يلعبون لا يقولون ما يقولون عن جد واذعان بل مخلوطا بهزء ولعب والفاء في قوله تعالى فارتقب
لترتيب الارتقاب او الامر به على ما قبلها فان كونهم في شك مما يوجب ذلك حتما اي فانتظر لهم
يوم تاتي السماء بدخان مبين اي يوم شدة ومجاعة فان الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة
الدخان اما لضعف بصره او لان في القحط يظلم الهواء لقلة الامطار وكثرة الغبار او لان العرب
تسمي الشر الغالب دخانا وذلك ان قريشا لما استعصت على رسول الله تعالى صلعم دعا عليهم
فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاخذتهم سنة
حتى اكلوا الجيف والعظام والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والارض الدخان وكان
يحدث الرجل ويسمع كلامه ولا يراه من الدخان وذلك قوله تعالى يغشى الناس اي يحيط بهم
هذا عذاب اليم اي قائلين ذلك فمشى اليه عليه السلام ابو سفيان ونفر معه وناشدوه الله تعالى
والرحم وواعدوه ان دعا لهم وكشف عنهم ان يؤمنوا وذلك قوله تعالى ربنا اكشف عنا
العذاب انا مؤمنون وهذا قول ابن عباس وابن مسعود وبه اخذ مجاهد ومقاتل وهو اختيار
الفراء والزجاج وقيل هو دخان يأتي من السماء قبل يوم القيمة فيدخل في اسماع الكفرة
حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيذ ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام ويكون الارض كلها
كبيت اوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله عليه السلام اول الآيات الدخان ونزول عيسى بن
مريم ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر قال حذيفة يا رسول الله وما
الدخان فتلا الآية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن
فيصيبه كهيئة الزكمة واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره والاول هو
الذي يستدعيه مساق النظم الكريم قطعا فان قوله تعالى انى لهم الذكرى الخ رد لكلامهم واستدعائهم
الكشف وتكذيب لهم في الوعد بالايمان المنبئ عن التذكر والاتعاظ بما اعتراهم من الداهية
اي كيف يتذكرون او من اين يتذكرون بذلك ويفون بما وعدوه من الايمان عند كشف
العذاب عنهم وقد جاءهم رسول مبين اي والحال انهم شاهدوا من دواعي التذكر وموجبات

باضافة عدن الى ابين اي اسم رجل ابين هذه المدينة ٥

موجبات الاتعاظ ما هو اعظم منه في ايجابهما حيث جاءهم رسول عظيم الشان وبين لهم مناهج الحق
باظهار آيات ظاهرة ومعجزات قاهرة تخر لها صم الجبال ثم تولوا عنه عن ذلك الرسول
وهو هو ريثما شاهدوا منه ما شاهدوا من العظائم الموجبة للاقبال اليه ولم يقتنعوا بالتولي
وقالوا في حقه معلم مجنون اي قالوا تارة يعلم غلام اعجمي لبعض ثقيف واخرى مجنون
او يقول بعضهم كذا وآخرون كذا فهل يتوقع من قوم هذه صفاتهم ان يتأثروا بالعظة والتذكير وما
مثلهم الا كمثل الكلب اذا جاع ضغا واذا شبع طغا وقوله تعالى انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون
جواب من جهته تعالى عن قولهم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون بطريق الالتفات لمزيد
التوبيخ والتهديد وما بينهما اعتراض اي انا نكشف العذاب المعهود عنكم كشفا قليلا او زمانا قليلا
انكم تعودون اثر ذلك الى ما كنتم عليه من العتو والاصرار على الكفر وتنسون هذه الحالة وصيغة
الفاعل في الفعلين للدلالة على تحققهما لا محالة ولقد وقع كلاهما حيث كشفه الله تعالى بدعاء النبي عم
فما لبثوا ان عادوا الى ما كانوا فيه من العتو والعناد ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط قال اذا
جاء الدخان تضور المعذبون به من الكفار والمنافقين وغوثوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب
انا مؤمنون فيكشفه الله تعالى عنهم بعد اربعين يوما فريثما يكشفه عنهم يرتدون ولا يتمهلون يوم
نبطش البطشة الكبرى اي يوم القيمة وقيل يوم بدر وهو ظرف لما دل عليه قوله تعالى
انا منتقمون لا لمنتقمون لان ان مانعة عن ذلك اي يومئذ ننتقم انا منتقمون وقيل هو بدل
من يوم يأتي الخ وقرئ نبطش اي نحمل الملائكة على ان يبطشوا بهم البطشة الكبرى وهو التناول
بعنف وصولة او نجعل البطشة الكبرى باطشة بهم وقرئ نبطش بضم الطاء وهي لغة
ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون اي امتحناهم بارسال موسى عم او اوقعناهم في الفتنة بالامهال
وتوسيع الرزق عليهم وقرئ بالتشديد للمبالغة او لكثرة القوم وجاءهم رسول كريم على
الله تعالى او على المؤمنين او في نفسه لان الله تعالى لم يبعث نبيا الا من سراة قومه وكرامهم ان
ادوا الي عباد الله اي بان ادوا الي بني اسرائيل وارسلوهم معي او بان ادوا الي يا عباد الله
حقه من الايمان وقبول الدعوة وقيل ان مفسرة لان مجيء الرسول لا يكون الا برسالة
ودعوة وقيل مخففة من الثقيلة اي جاءهم بان الشان ادوا الي الخ وقوله تعالى اني لكم
رسول امين تعليل للامر او لوجوب الامور به اي رسول غير ظنين قد ائتمنني الله تعالى
على وحيه وصدقني بالمعجزات القاهرة وان لا تعلوا على الله اي لا تتكبروا عليه تعالى بالاستهانة
بوحيه وبرسوله وان كالتي سلفت وقوله تعالى اني آتيكم اي من جهته تعالى بسلطان مبين تعليل
للنهي اي آتيكم بحجة واضحة لا سبيل الى انكارها وآتيكم على صيغة الفاعل او المضارع وفي ايراد
الاداء مع الامين والسلطان مع العلاء من الجزالة ما لا يخفى واني عذت بربي وربكم اي التجأت
اليه وتوكلت عليه ان ترجمون من ان ترجموني اي تؤذوني ضربا او شتما او ان تقتلوني قيل لما قال
وان لا تعلوا على الله توعدوه بالقتل وقرئ بادغام الذال في التاء وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون
اي وان كابرتم مقتضى العقل ولم تؤمنوا لي فخلوني كفافا لا علي ولا لي ولا تتعرضوا لي بشر واذى فليس

من الايمان ٥

ذلك جزاء من يدعوكم الى ما فيه فلاحكم وحمله على معنى فاقطعوا اسباب الوصلة عني فلا موالاة
بيني وبين من لا يؤمن يأباه المقام فدعا ربه بعد ما تموا على تكذيبه عم ان هؤلاء اي بان هؤلاء
قوم مجرمون وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذلك تسمى دعاء وقرئ بالكسر على
اضمار القول قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا
فتنة للقوم الظالمين فاسر بعبادي ليلا باضمار القول اما بعد الفاء اي فقال ربه اسر بعبادي
واما قبلها كانه قيل قال ان كان الامر كما تقول فاسر بعبادي اي ببني اسرائيل فقد دبر الله تع
ان يتقدموا وقرئ بوصل الهمزة من سرى انكم متبعون اي يتبعكم فرعون وجنوده بعد ما علموا
بخروجكم واترك البحر رهوا مفتوحا ذا فجوة واسعة او ساكنا على هيئته بعد ما جاوزته ولا تضربه
بعصاك لينطبق ولا تغيره عن حاله ليدخله القبط انهم جند مغرقون وقرئ انهم بالفتح
اي لانهم كم تركوا اي كثيرا تركوا بمصر من جنات وعيون وزروع ومقام كريم محافل مزينة
ومنازل محسنة ونعمة اي تنعم كانوا فيها فاكهين متنعمين وقرئ فكهين كذلك الكاف في
حيز النصب وذلك اشارة الى مصدر فعل يدل عليه تركوا اي مثل ذلك السلب سلبناهم اياها
واورثناها قوما آخرين وقيل مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها وقيل في حيز الرفع
على الخبرية اي الامر كذلك فح يكون اورثناها معطوفا على تركوا وعلى الاولين على الفعل المقدر
فما بكت عليهم السماء والارض مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم فيه
تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقده فيقال له بكت عليه السماء والارض ومنه ما روي ان
المؤمن ليبكي عليه مصلاه ومحل عبادته ومصاعد عمله ومهابط رزقه وآثاره في الارض وقيل
تقديره اهل السماء والارض وما كانوا لما جاء وقت هلاكهم منظرين ممهلين الى وقت آخر او
الى الآخر بل عجل لهم في الدنيا ولقد نجينا بني اسرائيل بما فعلنا بفرعون وقومه ما فعلنا من العذاب
المهين من استعباد فرعون اياهم وقتل ابنائهم واستحياء نسائهم على الخسف والضيم
من فرعون بدل من العذاب اما على جعله نفس العذاب لافراطه فيه واما على حذف المضاف
اي عذاب فرعون او حال من المهين اي كائنا من فرعون وقرئ من فرعون على معنى هل تعرفونه
من هو في عتوه وتفرعنه وفي ابهام امره اولا وتبيينه بقوله تع انه كان عاليا من المسرفين
ثانيا من الافصاح عن كنه امره في الشر والفساد ما لا مزيد عليه وقوله تع من المسرفين اما
خبر ثان لكان اي كان متكبرا مسرفا او حال من الضمير في عاليا اي كان رفيع الطبقة من بين
المسرفين فائقا لهم بليغا في الاسراف ولقد اخترناهم اي بني اسرائيل على علم اي عالمين بانهم
احقاء بالاختيار او عالمين بانهم يزيغون في بعض الاوقات ويكثر منهم الفرطات على العالمين
جميعا لكثرة الانبياء فيهم او على عالمي زمانهم وآتيناهم من الآيات كفلق البحر وتظليل الغمام و
انزال المن والسلوى وغيرها من عظائم الآيات التي لم يعهد مثلها في غيرهم ما فيه بلاء مبين
نعمة جلية او اختبار ظاهر لننظر كيف يعملون ان هؤلاء يعني كفار قريش لان الكلام فيهم
وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على تماثلهم في الاصرار على الضلالة والتحذير عن حلول مثل

مثل ما حل بهم ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى اي ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة الاولى
المزيلة للحيوة الدنيا ولا قصد فيه الى اثبات موتة اخرى كما في قولك حج زيد الحجة الاولى
ومات وقيل لما قيل لهم انكم تموتون موتة تعقبها حيوة كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا ما هي
الا موتتنا الاولى اي ما الموتة التي تعقبها حيوة الا الموتة الاولى وقيل المعنى ليست الموتة
الا هذه الموتة دون الموتة التي تعقب حيوة القبر كما تزعمون وما نحن بمنشرين بمبعوثين
فأتوا بآبائنا خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسول عم والمؤمنين ان كنتم صادقين
فيما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى ليظهر انه حق وقيل كانوا يطلبون اليهم ان
يدعوا الله تع فينشر لهم قصي بن كلاب ليشاوروه وكان كبيرهم ومفزعهم في المهمات
والملمات اهم خير رد لقولهم وتهديد لهم اي اهم خير في القوة والمنعة اللتين يدفع بهما
اسباب الهلاك ام قوم تبع هو تبع الحميري الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى
سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذمهم الله تع دونه وكان يكتب
في عنوان كتابه بسم الذي ملك بحرا وبحرا اي بحارا كثيرة وعن النبي صلعم لا تسبوا
تبعا فانه كان قد اسلم وعنه عليه السلم ما ادري اكان تبع نبيا ام غير نبي وعن ابن عباس
انه كان نبيا وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما يقال لهم الاقيال لانهم يتقيلون
والذين من قبلهم عطف على قوم تبع والمراد بهم عاد وثمود واضرابهم من كل جبار عنيد اولي
بأس شديد والاستفهام لتقرير ان اولئك اقوى من هؤلاء وقوله تع اهلكناهم استئناف
لبيان عاقبة امرهم وقوله تع انهم كانوا مجرمين تعليل لاهلاكهم ليعلم ان اولئك حيث
اهلكوا بسبب اجرامهم مع ما كانوا في غاية القوة والشدة فلان يهلك هؤلاء وهم شركاء
لهم في الاجرام اضعف منهم في الشدة والقوة اولى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما
اي ما بين الجنسين وقرئ وما بينهن لاعبين لاهين من غير ان يكون في خلقها غرض صحيح
وغاية حميدة وما خلقناهما وما بينهما الا بالحق استثناء مفرغ من اعم الاحوال او اعم الاسباب
اي ما خلقناهما ملتبسا بشيء من الاشياء الا ملتبسا بالحق او ما خلقناهما بسبب من الاسباب
الا بسبب الحق الذي هو الايمان والطاعة والبعث والجزاء ولكن اكثرهم لا يعلمون
ان الامر كذلك فينكرون البعث والجزاء ان يوم الفصل اي فصل الحق عن الباطل وتمييز
المحق من المبطل وفصل الرجل عن اقاربه واحبائه ميقاتهم وقت موعدهم اجمعين وقرئ
ميقاتهم بالنصب على انه اسم ان ويوم الفصل خبرها اي ان ميعاد حسابهم وجزائهم في يوم
الفصل يوم لا يغني بدل من يوم الفصل او صفة لميقاتهم او ظرف لما دل عليه الفصل لا لنفسه
مولى من قرابة او غيرها عن مولى اي مولى كان شيئا اي شيئا من الاغناء ولا هم ينصرون
الضمير لمولى الاول باعتبار المعنى لانه عام الا من رحم الله بالعفو عنه وقبول الشفاعة في
حقه ومحله الرفع على البدل من الواو او النصب على الاستثناء انه هو العزيز الذي لا ينصر
من اراد تعذيبه الرحيم لمن اراد ان يرحمه ان شجرة الزقوم وقرئ بكسر الشين وقد مر

سعد الدين

بلدة ٥

التقيل الاقتداء ٥

اي جنسي السماء والارض ٥

معنى الزقوم في سورة الصافات طعام الاثيم اي الكثير الآثام والمراد به الكافر لدلالة ما قبله
وما بعده عليه كالمهل وهو ما يمهل في النار حتى يذوب وقيل هو دردي الزيت يغلي في البطون
وقرئ بالتاء على اسناد الفعل الى الشجرة كغلي الحميم غليانا كغليه خذوه على ارادة القول
والخطاب للزبانية فاعتلوه اي جروه والعتل الاخذ بمجامع الشيء وجره بقهر وعنف
وقرئ بضم التاء وهي لغة فيه الى سواء الجحيم اي وسطه ثم صبوا فوق رأسه من عذاب
الحميم كان الاصل يصب من فوق رؤسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم اضيف العذاب
الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على ان المصبوب بعض هذا النوع ذق انك انت العزيز
الكريم اي قولوا له ذلك استهزاء به وتقريعا له على ما كان يزعمه روي ان ابا جهل قال لرسول الله عم
ما بين جبليها اعز ولا اكرم مني فوالله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئا وقرئ
بالفتح اي لانك او عذاب انك ان هذا اي العذاب ما كنتم به تمترون تشكون وتمارون
فيه والجمع باعتبار المعنى لان المراد جنس الاثيم ان المتقين اي عن الكفر والمعاصي في مقام في موضع
قيام والمراد المكان على الاطلاق فانه من الخاص الذي شاع استعماله في معنى العموم وقرئ
بضم الميم وهو موضع اقامة امين يأمن صاحبه عن الآفات والانتقال عنه وهو من الامن
الذي هو ضد الخيانة وصف به المكان بطريق الاستعارة كان المكان المخيف يخون
صاحبه بما يلقى فيه من المكاره في جنات وعيون بدل من مقام جيء به دلالة على نزاهته واشتماله
على طيبات المآكل والمشارب يلبسون من سندس واستبرق خبر ثان او حال من الضمير
في الجار او استيناف والسندس ما رق من الحرير والاستبرق ما غلظ منه معرب متقابلين
في المجالس ليستأنس بعضهم ببعض كذلك اي الامر كذلك او كذلك اثبناهم وزوجناهم بحور
عين على الوصف وقرئ بالاضافة اي قرناهم بهن والحور جمع حوراء وهي البيضاء والعين
جمع العيناء وهي العظيمة العينين واختلف في انهن نساء الدنيا او غيرها يدعون فيها
بكل فاكهة اي يطلبون ويأمرون باحضار ما يشتهونه من الفواكه لا يتخصص شيء منها بمكان
ولا زمان آمنين من كل ما يسوءهم لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى بل يستمرون
على الحيوة ابدا والاستثناء منقطع او متصل على ان المراد بيان استحالة ذوق الموت
فيها على الاطلاق كانه قيل لا يذوقون فيها الموت الا اذا امكن ذوق الموتة الاولى حينئذ
ووقاهم عذاب الجحيم وقرئ مشددا للمبالغة في الوقاية فضلا من ربك اي اعطوا ذلك
كله عطاء وتفضلا منه تعالى وقرئ بالرفع اي ذلك فضل ذلك هو الفوز العظيم الذي لا فوز
وراءه اذ هو خلاص عن جميع المكاره ونيل لكل المطالب وقوله تعالى فانما يسرناه بلسانك
لعلهم يتذكرون فذلكة للسورة الكريمة اي انما انزلنا الكتاب المبين بلغتك كي يفهمه
قومك ويتذكروا به ويعملوا بموجبه واذ لم يفعلوا ذلك فارتقب فانتظر ما يحل بهم
انهم مرتقبون ما يحل بك روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
حم الدخان ليلة جمعة اصبح مغفورا له تمت في آخر ربيع الآخر سنة ٩٤٨

حم الكلام فيه كما مر في فاتحة سورة المؤمن فان جعل اسما للسورة فمحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف
اي هذا مسمى بحم والاشارة الى السورة قبل جريان ذكرها قد وقفت على سره مرارا وان جعل
مسرودا على نمط التعديد فلا حظ له من الاعراب وقوله تعالى تنزيل الكتاب على الاول خبر بعد خبر
على انه مصدر اطلق على المفعول مبالغة وعلى الثاني خبر لمبتدأ مضمر يلوح به ما قبله اي المؤلف
من جنس ما ذكر تنزيل الكتاب وقيل هو خبر لحم اي المسمى به تنزيل الخ وقد مر مرارا ان الذي يجعل
عنوانا للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه واذ لا عهد بالتسمية بعد فحقها الاخبار
بها واما جعله خبرا له بتقدير المضاف وابقاء التنزيل على اصله اي تنزيل حم تنزيل الكتاب
فمع عرائه عن افادة فائدة يعتد بها تمحل على تمحل وقوله تعالى من الله العزيز الحكيم كما مر في صدر
سورة الزمر على التفصيل وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم قوله تعالى
ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين وهو على الوجوه المتقدمة كلام مستأنف مسوق
للتنبيه على الآيات التكوينية الآفاقية والانفسية ومحل الآيات اما انفس السموات والارض
فانهما منطويتان من فنون الآيات على ما يقصر عنه البيان واما خلقهما كما في قوله تعالى ان في خلق السموات
والارض وهو الاوفق لقوله تعالى وفي خلقكم اي من نطفة ثم من علقة متقلبة في اطوار مختلفة الى تمام الخلق وما يبث
من دابة عطف على المضاف دون المضاف اليه اي وفيما ينشره ويفرقه من دابة آيات بالرفع على انه
مبتدأ خبره الظرف المقدم والجملة معطوفة على ما قبلها من الجملة المصدرة بان وقيل آيات عطف
على ما قبلها من آيات باعتبار المحل عند من يجوزه وقرئ آية بالتوحيد وقرئ آيات بالنصب عطفا على ما قبلها
من اسم ان والخبر هو الخبر كانه قيل وان في خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون اي من شأنهم
ان يوقنوا بالاشياء على ما هي عليه واختلاف الليل والنهار بالجر على اضمار الجار المذكور في الآيتين قبله
وقد قرئ بذكره والمراد باختلافهما اما تعاقبهما او تفاوتهما طولا وقصرا وما انزل الله من السماء عطف
على اختلاف من رزق اي من مطر وهو سبب للرزق عبر عنه بذلك تنبيها على كونه آية من جهتي القدرة
والرحمة فاحيى به الارض بان اخرج منها اصناف الزروع والثمرات والنبات بعد موتها وعرائها
عن آثار الحيوة وانتفاء قوة التنمية عنها وخلو اشجارها عن الثمار وتصريف الرياح من جهة الى اخرى
ومن حال الى حال وقرئ بتوحيد الريح وتأخيره عن انزال المطر مع تقدمه عليه في الوجود اما للايذان بانه
آية مستقلة حيث لو روعي الترتيب الوجودي لربما توهم ان مجموع تصريف الرياح وانزال المطر
آية واحدة واما لان كون التصريف آية ليس لمجرد كونه مبدأ لانشاء المطر بل له ولسائر المنافع
التي من جملتها سوق السفن في البحار آيات لقوم يعقلون بالرفع على انه مبتدأ خبره ما تقدم من
الجار والمجرور والجملة معطوفة على ما قبلها وقرئ بالنصب على الاختصاص وقيل على انها اسم ان والمجرور
المتقدم خبرها بطريق العطف على معمولي عاملين مختلفين هما ان وفي اقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في
اختلاف والنصب في آيات وتنكير آيات في المواقع الثلثة للتفخيم كما وكيفا واختلاف الفواصل لاختلاف

اي يبسها

مراتب الآيات فى الدقة والجلاة تلك آيات الله مبتدا وخبر وقوله تع نتلوها عليك حال عاملها معنى الاشارة وقيل هو الخبر وآيات الله بدل او عطف بيان بالحق حال من فاعل نتلوا او من مفعوله اى نتلوها محقين ملتبسة بالحق فبأى حديث بعد الله وآياته اى بعد آيات الله وتعظيم الاسم الجليل لتعظيمها كما فى قولهم اعجبنى زيد وكرمه او بعد حديث الله الذى هو القرآن جيما نطق به قوله تعا الله نزل احسن الحديث وهو المراد بالآية ايضا ومناط العطف التغاير العنوانى يؤمنون بصيغة الغيبة وقرئ بالتاء ويل لكل افاك كذاب اثيم الآثام يسمع آيات الله صفة اخرى لافاك وقيل استيناف وقيل حال من الضمير فى اثيم تتلى عليه حال من آيات الله ولا مساغ لجعله مفعولا ثانيا ليسمع لان شرطه ان يكون ما بعده مما لا يسمع كقولك سمعت زيدا يقول أثم يصر اى يقيم على كفره واصله من اصرار الحمار على العانة مستكبرا عن الايمان بما سمعه من آيات الله تعالى والاذعان لما تنطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده من الاباطيل وقيل نزلت فى النضر بن الحارث وكان يشترى من احاديث الاعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن لكنها وردت بعبارة عامة ناعية عليه وعلى كل من يسير سيرته ما هم فيه من الشر والفساد وكلمة ثم لاستبعاد الاصرار والاستكبار بعد سماع الآيات التى حقها ان تدعو لها القلوب وتخضع لها الرقاب كما فى قول من قال يرى غمرات الموت ثم يزورها كان لم يسمعها اى كانه لم يسمعها فخفف وحذف ضمير الشان والجملة حال من ضمير يصر اى يصر مشبها بغير السامع فبشره بعذاب اليم على اصراره واستكباره واذا علم من آياتنا شيئا اى اذا بلغه من آياتنا شئ وعلم انه من آياتنا لا انه علم كما هو عليه فانه بمعزل من ذلك العلم وقيل اذا علم منها شيئا يمكن ان يتشبث بالمعاند ويجد له مجالا فاسدا يتوسل به الى الطعن والغميزة اتخذها اى الآيات كلها هزوا اى مهزوا بها لا ما سمعه فقط وقيل الضمير للشئ والتانيث لانه فى معنى الآية اولئك اشارة الى كل افاك من حيث الاتصاف بما ذكر من القبائح والجمع باعتبار الشمول للكل كما فى قوله تعا كل حزب بما لديهم فرحون كما ان الافراد فيما سبق من الضمائر باعتبار كل واحد واحد لهم بسبب جناياتهم المذكورة عذاب مهين وصف العذاب بالاهانة توفية لحق استكبارهم واستهزائهم بآيات الله سبحانه وتعا من ورائهم جهنم اى من قدامهم لانهم منوجهون الى ما اعد لهم او من خلفهم لانهم معرضون عن ذلك مقبلون على الدنيا فان الوراء اسم للجهة التى يوارى بها الشخص مما خلف وقدام ولا يغنى عنهم ولا يدفع ما كسبوا من الاموال والاولاد شيئا من عذاب الله تع او شيئا من الاغناء ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء اى الاصنام وتوسيط حرف النفى بين المعطوفين مع ان عدم اغناء الاصنام اظهر واجلى من عدم اغناء الاموال والاولاد قطعا مبنى على زعمهم الفاسد حيث كانوا يطمعون فى شفاعتهم وفيئتهم ولهم فيما وراءهم من جهنم عذاب عظيم لا يقادر قدره هذا اى القرآن هدى فى غاية الكمال من الهداية كانه نفسها والذين كفروا اى بالقرآن واتما وضع موضع ضميره قوله تع بآيات ربهم لزيادة تشنيع كفرهم به وتفظيع حالهم لهم عذاب من رجز اى من اشد العذاب اليم بالرفع صفة عذاب وقرئ بالجر على انه صفة رجز وتنوين عذاب فى المواقع الثلثة للتفخيم ورفعه اما على الابتداء واما على الفاعلية استدل الله الذى سخر لكم البحر بان جعله املس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع الغوص والخرق ليمكنه تتجرى الفلك فيه بامره وانتم راكبوها ولتبتغوا من فضله بالتجارة والغوص والصيد وغيرها ولعلكم تشكرون ولكى تشكروا النعم المترتبة على ذلك وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض من الموجودات بان جعلها مدارا لمنافعكم جميعا اما حال من ما فى السموات والارض او تاكيد له منه متعلق بمحذوف هو صفة لجميعا او حال من ما اى جميعا كائنا منه تعا او سخر لكم هذه الاشياء كائنة منه مخلوقة له تعا او خبر المحذوف اى هى جميعا منه تعا وقرئ منة على المفعول له ومنة على انه فاعل سخر على المجاز العقلى او خبر مبتدإ محذوف اى ذلك منة ان فى ذلك اى فيما ذكر من الامور العظام لايات عظيمة الشان كثيرة العدد لقوم يتفكرون فى بدائع صنع الله تع فانهم يتفطنون بذلك على جلائل نعمه تع ودقائقها ويوقنون شكرها قل للذين آمنوا حذف المقول لدلالة يغفروا عليه فانه جواب للامر اى قل لهم اغفروا يغفروا اللذين لا يرجون ايام الله اى يعفوا ويصفحوا عن الذين لا يتوقعون وقائعه تع باعدائه من قولهم ايام العرب لوقائعها وقيل لايامه تع التى وقتها الله تع لثواب المؤمنين ووعد بهم الفوز فيها قيل نزلت قبل آية القتال ثم نسخت بها وقيل نزلت فى عمر رضى حين شتمه غفارى فهم ان يبطش به وقيل حين قال ابن ابى ما قال وذلك انهم فى غزوة بنى المصطلق على بير يقال لها المريسيع فارسل ابن ابى غلامه يستقى فابطأ عليه فلما اتاه قاله له ما حبسك قال غلام عمر قعد على طرف البير فما ترك احدا يستقى حتى ملأ قرب النبى عليه السلم وقرب ابى بكر رضى قال ابن ابى ما مثلنا ومثل هؤلاء الا كما قيل سمن كلبك يأكلك فبلغ ذلك عمر رضى فاشتمل سيفه يريد التوجه اليه فانزلها الله تع ليجزى قوما بما كانوا يكسبون تعليل للامر بالمغفرة والمراد بالقوم المؤمنون والتنكير لمدحهم والثناء عليهم اى امروا بذلك ليجزى يوم القيمة قوما مخصوصين بما كسبوا فى الدنيا من الاعمال الحسنة التى من جملتها الصبر على اذية الكفار والاغضاء عنهم بكظم الغيظ واحتمال المكروه ما يقصر عنه البيان من الثواب العظيم هذا وقد جوز ان يراد بالقوم الكفرة وبما كانوا يكسبون سيئاتهم التى من جملتها ما حكى من الكلمة الخبيثة والتنكير للتحقير وقيل ان مطلق الجزاء لا يصلح تعليلا للامر بالمغفرة فتعين على تقدير المغفرة وعدمها فلابد من تخصيصه بالكل بان لا يتحقق بعض منه فى الدنيا او بما يصدر عنه تعا بالذات وفى ذلك من التكلف ما لا يخفى وان يراد كلا الفريقين وهو اكثر تكلفا واشد تحملا وقرئ ليجزى قوما وليجزى قوما اى ليجزى الجزاء قوما وقرئ لنجزى بنون العظمة من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها لا يكاد يتسرى عمل الى غير عامله ثم الى ربكم مالك امورهم ترجعون فيجازيكم على اعمالكم خيرا كان او شرا ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب اى التورية والحكم اى الحكمة النظرية والعملية او الفقه فى الدين او فصل الخصومات بين الناس اذ كان الملك فيهم والنبوة حيث كثر فيهم الانبياء مالم يكثر فى غيرهم ورزقناهم من الطيبات مما احله الله تع من اللذائذ كالمن والسلوى وفضلناهم على العالمين حيث اتيناهم مالم نؤت من عداهم من فلق البحر واظلال الغمام وتظاهرهما وقيل على عالمى زمانهم واتيناهم بينات من الامر دلائل ظاهرة فى امر الدين ومعجزات قاهرة وقال ابن عباس هو العلم ببعث النبى صلعم وما بين لهم من امره وانه مهاجر من تهامة الى يثرب ويكون انصاره اهل يثرب فما اختلفوا فى ذلك الامر الا من بعد ما جاءهم العلم

الاذدراء التحقير

اى مجزرة

اى رجل من غفار

مثل الشئ صفته فحاكه

بحقيقته وحقيقته فجعلوا ما يوجب زوال الخلاف موجبا لرسوخه بغيا بينهم اى عداوة
وحسدا الا شكا فيه ان ربك يقضى بينهم يوم القيمة بالمواخذة والجزاء فيما كانوا فيه
يختلفون من امر الدين ثم جعلناك على شريعة اى سنة وطريقة عظيمة الشان من الامر
اى امر الدين فاشتهها باجراء احكامها فى نفسك وفى غيرك من غير اخلال بشئ منها ولا تتبع
اهواء الذين لا يعلمون اى آراء الجهلة واعتقاداتهم الزائغة التابعة للشهوات وهم
رؤساء قريش كانوا يقولون له عليه السلم ارجع الى دين آبائك انهم لن يغنوا عنك من
الله شيئا مما اراد بك ان اتبعتهم وان الظالمين بعضهم اولياء بعض لا يوالى بعضهم
يتبع اهواءهم الا من كان ظالما لمثلهم والله ولى المتقين الذين انت قدوتهم فدم على ما
انت عليه من توليه خاصة والاعراض عما سواه بالكلية هذا اى القرآن او اتباع الشريعة
بصائر للناس فان ما فيه من معالم الدين وشعائر الشرائع بمنزلة البصائر فى القلوب
وهدى من ورطة الضلالة ورحمة عظيمة لقوم يوقنون من شانهم الايقان بالامور ام
حسب الذين اجترحوا السيآت استيناف مسوق لبيان تباين حالى المسيئين
والمحسنين اثر بيان تباين حالى الظالمين والمتقين وام منقطعة وما فيها من معنى بل
من البيان الاول الى الثانى والهمزة لانكار الحسبان لكن لا بطريق انكار الوقوع ونفيه كما
فى قوله تعالى ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض ام نجعل المتقين
كالفجار بل بطريق انكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه والاجتراح الاكتساب
ان يجعلهم اى نصيرهم فى الحكم والاعتبار وهم على ما هم عليه من مساوى الاحوال
كالذين آمنوا وعملوا الصالحات وهم فيما هم فيه من محاسن الاعمال ومعاملهم معاملتهم
فى الكرامة ورفع الدرجة وقوله تعالى سواء محياهم ومماتهم اى محيى الفريقين جميعا
ومماتهم حال من الضمير فى الظرف والموصول معا لاشتماله على ضميريهما على ان السواء
بمعنى المستوى ومحياهم ومماتهم مرتفعان به على الفاعلية والمعنى ام حسبوا ان نجعلهم
كائنين مثلهم حال كون الكل مستويا محياهم ومماتهم كلا لا يستوون فى شئ منهما فان
سوآء فى عزة الايمان والطاعة وشرفهما فى المحيى وفى رحمة الله تعالى ورضوانه فى
الممات ولكنهم فى ذل الكفر والمعاصى وهوانهما فى المحيى وفى لعنة الله والعذاب
الخالد فى الممات شتان بينهما وقد قتل المراد انكار ان يستووا فى الممات
كما استووا فى الحيوة لان المسيئين والمحسنين متوسطون محياهم فى الرزق والصحة
وانما يفترقون فى الممات وقرئ محياهم ومماتهم بالنصب على انهما ظرفان كمقدم
الحاج وسواء حال على حاله اى حال كونهم مستوين فى محياهم ومماتهم وقد ذكر فى الآية
الكريمة وجوه اخر من الاعراب والذى يليق بجزالة التنزيل هو الاول بتقدير
وقرئ سواء بالرفع على انه خبر ومحياهم مبتداء فقيل الجملة بدل من الكاف وقيل
حال وايا ما كان فنسبة حسبان التساوى اليهم فى ضمن الانكار التوبيخى مع انهم

بعد ح

انهم بمعزل منه جازمون بفضلهم على المؤمنين للمبالغة فى الانكار والتشديد فى التوبيخ
فان انكار حسبان التساوى والتوبيخ عليه انكار لحسبان الجزم بالفضل وتوبيخ
عليه على ابلغ وجه آكده ساء ما يحكمون اى ساء حكمهم هذا او بئس شيئا حكموا به
ذلك وخلق الله السموات والارض بالحق استيناف مقرر لما سبق
من الحكم فان خلق الله تعالى لهما ولما فيهما بالحق المقتضى للعدل يستدعى لا
محالة تفضيل المحسن على المسيئ فى المحيى والممات وانتصار المظلوم من
الظالم والا فلم يتطرد ذلك فى المحيى فضلا عن الممات حتما ولتجزى كل نفس عطف
على بالحق لان فيه معنى التعليل اذ معناه خلقها مقرونا بالحكمة والصواب
دون العبث والاباطيل فحاصله خلقها لاجل ذلك ولتجزى الخ او على علة
محذوفة مثل ليدل بها على قدرته تعالى او ليعدل ولتجزى وهم اى النفوس المدلول
عليها بكل نفس لا يظلمون بنقص ثواب او بزيادة عقاب وتسمية ذلك
ظلما مع انه ليس كذلك على ما عرف من قاعدة اهل السنة لبيان غاية
تنزه ساحة لطفه تعالى عما ذكر بتنزيله مع منزلة الظالم الذى يستحيل صدوره
عنه تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه تعجيب من حال من ترك متابعة
الهدى الى مطاوعة الهوى فكانه عبده اى انظرت حرايته فان ذلك مما
يقضى منه العجب وترى آلهة هواه لان احدهم كان يستحسن حجرا فيعبده
فاذا راى احسن منه رفضه اليه فكانه اتخذ آلهة شتى واضله الله
وخذله على علم اى عالما على ضلاله وتبديله لفطرة الله تعالى التى فطر
الناس عليها وختم على سمعه وقلبه بحيث لا تاثر له اثرا بالمواعظ ولا يتفكر
فى الآيات والنذر وجعل على بصره غشاوة مانعة عن الاستبصار
والاعتبار وقرئ بفتح الغين وضمها وقرئ غشوة فمن يهديه من بعد الله
اى من بعد اضلاله تعالى اياه بموجب تعاميه عن الهدى وتماديه فى الغى افلا
تذكرون اى الالماحظون فلا تتذكرون وقرئ تتذكرون على الاصل وقالوا
بيان لاحكام ضلالهم المحكى اى قالوا من غاية غيهم وضلالهم ما هى اى ما الحيوة
الا حياتنا الدنيا التى نحن فيها نموت ونحيى اى يصيبنا الموت والحيوة
فيها وليس وراء ذلك صوة وقيل نكون نطفا وما قبلها وما بعدها
ونحيى بعد ذلك او نموت بانفسنا ونحيى ببقاء اولادنا او يموت بعضنا
ويحيى بعضنا وقد جوز ان يريدوا به التناسخ فانه عقيدة اكثر عبدة
الاوثان وقرئ ويحيى وما يهلكنا الا الدهر الامر والزمان وهو فى الاصل
مدة بقاء العالم من دهره اى غلبه وقرئ الا دهر بمر وكانوا يزعمون
ان المؤثر فى هلاك الانفس هو مرور الايام والليالى وينكرون ملك الموت وقبضه

للارواح بامر الله تع وينسبون الحوادث الى الدهر والزمان ومنه قوله عليه السلام لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر اى فان الله هو الآتي بالحوادث الا الدهر وما لهم بذلك اى بما ذكر من اقتصار الحق على ما في الدنيا واستبعاد الحياة والموت الى الدهر من علم ما مستند الى عقل او نقل ان هم الا يظنون ما هم الا قوم شعارى امرهم الظن والتقليد من غير ان يكون لهم شئ يصح ان يتمسك به في الجملة جذا معتقدهم الفاسد في انفسهم واذا تتلى عليهم اياتنا الناطقة بالحق الذى من جملته البعث بينات واضحات الدلالة على ما نطقت به او مبينات له ما كان حجتهم بالنصب على انه خبر كان اى ما كان متمسكا لهم شئ من الاشياء الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين في اثبات البعث بعد الموت اى الا هذا القول الباطل الذى يسجل ان يكون من قبيل الحجة وتسميته حجة اما لسوقهم اياه مساق الحجة على سبيل التهكم بهم او لانه من قبيل تحية بينهم ضرب وجيع وقرئ برفع حجتهم على انها اسم كان فالمعنى ما كان حجتهم شيئا من الاشياء الا هذا القول الباطل قل الله يحييكم ابتداء ثم يميتكم عند انقضاء آجالكم لا كما تزعمون من انكم تحيون وتموتون بحكم الدهر ثم يجمعكم بعد البعث الى يوم القيمة للجزاء لا ريب فيه اى في جمعكم فان من قدر على البدء قدر على الاعادة والكلام اقتضت الجمع للجزاء لاستحالة والوعد المصدق بالايات دل على وقوعها حتما والاتيان بايانهم حيث كان مزاحما للحكمة التشريعية امتنع ابقاءه ولكن اكثر الناس لا يعلمون استدراك من قوله تعالى لا ريب فيه وهو اما من تمام الكلام المامور به او كلام مسوق من جهته تع تحقيقا للحق وتبكيتا على ان ارتيابهم لجهلهم وقصورهم في النظر والتفكر لا لان فيه شائبة ريب ما ولله ملك السموات والارض بيان لاختصاص الملك المطلق والتصرف الكلى فيهما وفيما بينهما بالله عز وجل اثر بيان تصرفه تعالى في الناس بالاحياء والاماتة والبعث والجمع للمجازاة ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون والعامل في يوم يخسر ويومئذ بدل منه وترى كل امة من الامم المجموعة جاثية باركة على الركب مستوفزة وقرئ جاذية اى جالسة على اطراف الاصابع والجذا اشد استيفازا من الجثو وعن ابن عباس رض جاثية مجتمعة وقيل جماعات من الجثوة وهى الجماعة كل امة تدعى الى كتابها الى صحيفة اعمالها وقرئ كل بالنصب على انه بدل من الاول وتدعى صفة او حال او مفعول اى تقول اليوم تجزون ما كنتم تعملون اى يقال لهم ذلك وقوله تعالى هذا كتابنا الخ من تمام ما يقال حينئذ وحيث كان كتاب كل امة ملتبسا بامر الله تع اضيف اليه تعظيما لشانه وتهويلا لامره فهذا مبتدأ وكتابنا خبره وقوله تعالى ينطق عليكم اى يشهد عليكم بالحق من غير زيادة ولا نقص خبر آخر او حال وبالحق حال من فاعل ينطق وقوله تعالى انا كنا نستنسخ الخ تعليل لنطقه عليهم باعمالهم من غير اخلال بشئ منها اى انا كنا فيما قبل نستكتب الملائكة ما كنتم تعملون في الدنيا من الاعمال حسنة كانت او سيئة وقوله تعالى فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته اى في جنته تفصيل لما يفعل بالامم بعد بيان ما خوطبوا به من الكلام المنطوى على الوعد والوعيد ذلك الذى ذكر من الادخال في رحمته تعالى هو الفوز المبين الظاهر كونه فوزا لا فوز وراءه واما الذين كفروا افلم تكن آياتي تتلى عليكم اى فيقال لهم بطريق التوبيخ والتقريع الم يكن ياتيكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه

مستعجلة غير مطمئنة ٥

عليه ثقة بدلالة القرينة عليه فاستكبرتم عن الايمان بها وكنتم قوما مجرمين اى قوما عادتهم الاجرام واذا قيل ان وعد الله اى ما وعده من الامور الآتية او وعده بالبعث حق اى واقع لا محالة ومطابق للواقع والساعة التي هي اشهر ما وعده لا ريب فيها اى في وقوعها وقرئ والساعة بالنصب عطفا على اسم ان وقراءة الرفع للعطف على محل ان واسمها قلتم لغاية عتوكم ما ندري ما الساعة اى اى شئ هي استغرابا لها ان نظن الا ظنا اى ما نفعل الا الظن وقد مر تحقيقه في قوله تع ان نتبع الا ما يوحى الي وقيل ما نعتقد الا ظنا اى لا علما وقيل ما نحن الا نظن ظنا وقيل ما نظن الا ظنا ضعيفا ورده قوله تعالى وما نحن بمستيقنين اى لامكانه فان مقابل الاستيقان مطلق الظن لا الضعيف منه ولعل هؤلاء غير القائلين ما هي الا حياتنا الدنيا وبدا لهم اى ظهر لهم حينئذ سيئات ما عملوا على ما هي عليه من الصورة المنكرة الهائلة وعاينوا وخامة عاقبتها او جزاؤها فان جزاء السيئة سيئة وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن من الجزاء والعقاب وقيل اليوم ننساكم نترككم في العذاب ترك المنسي كما نسيتم لقاء يومكم هذا اى كما تركتم عدته ولم تبالوا به واضافة اللقاء الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه وماويكم النار وما لكم من ناصرين اى ما لاحد منكم ناصر واحد يخلصكم منها ذلكم العذاب بانكم اتخذتم آيات الله هزوا اى مهزوا بها ولم ترفعوا بها راسا وغرتكم الحياة الدنيا فخسرتم ان لا حيوة سواها فاليوم لا يخرجون منها اى من النار وقرئ يخرجون من الاخراج والالتفات الى الغيبة للايذان باستطهم عن رتبة الخطاب استهانة بهم او بنقلهم من مقام الخطاب الى غاية النار ولا هم يستعتبون اى يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اى يرضوه لفوات اوانه فلله الحمد خاصة رب السموات ورب الارض رب العلمين فلا يستحق الحمد احد سواه وتكرير الرب للتاكيد والايذان بان ربوبيته تع لكل منهما بطريق الاصالة وقرئ برفع الثلثة على المدح باضمار هو وله الكبرياء في السموات والارض لظهور آثار ريائه واحكامها فيهما واظهارهما في موقع الاضمار لتفخيم شان الكبرياء وهو العزيز الذى لا يغلب الحكيم في كل ما قضى وقدر فاحمدوه واكبروه واطيعوا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرء حم الجاثية ستر الله تعالى عورته وسكن روعته يوم الحساب

وحاق به الشئ اى احاط به مجاز هعلة

سورة الاحقاف

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم الكلام فيه كالذى مر في مطلع السورة السابقة ما خلقنا السموات والارض بما فيهما من حيث الجزئية منهما ومن حيث الاستقرار فيهما وما بينهما من المخلوقات الا بالحق استثناء مفرغ من اعم المفاعيل اى الا خلقا ملتبسا بالحق الذى تقتضيه الحكمة التكوينية والتشريعية او من اعم الاحوال من فاعل خلقنا او من مفعوله اى

ما خلقنا كائنا في حال من الاحوال الا حال ملابستنا بالحق او حال ملابستها به وفيه من الدلالة على
وجود الصانع تع وصفات كماله وابتناء افعاله على حكم بالغة وانتهائها الى غاية جليلة
ما لا يخفى وَاَجَلٍ مُسَمًّى عطف على الحق بتقدير مضاف اى وبتقدير اجل مسمى ينتهي اليه امور
الكل وهو يوم القيمة يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار
وقيل هو نفخ مدة البقاء المقدر لكل واحد وباباه قوله تع وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا اُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ
فان ما انذروه يوم القيمة وما فيه من الطامة التامة والاهوال العظام لا آخر اعمارهم وقد جوز
كون ما مصدرية والجملة حالية اى ما خلقنا الخلق الا بالحق وتقدير الاجل الذي يجازون
عنده والحال انهم غير مؤمنين به معرضون عنه وعن الاستعداد له قُلْ توبيخ لهم وتبكيت
اَرَاَيْتُمْ اخبروني وقرئ ارايتكم ما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ من الاصنام اَرُونِي تاكيد
لارايتم مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْاَرْضِ بيان للابهام في ماذا اَمْ لَهُمْ شِرْكٌ اى شركة مع الله تعالى
فِي السَّمٰوٰتِ اى في خلقها او ملكها وتدبير ما حتى يتوهم ان يكون لهم شائبة استحقاق
للمعبودية فان ما لا مدخل له في وجود شيء من الاشياء بوجه من الوجوه لهو بمعزل من ملك
الاستحقاق بالمرة وان كان من الاحياء العقلاء فما ظنكم بالجماد قوله تع اِيتُونِي بِكِتَابٍ
الى آخره تبكيت لهم بتعجيزهم عن الاتيان بسند نقلي بعد تبكيتهم بالتعجيز عن الاتيان بسند
عقلي اى ايتوني بكتاب الهي كائن مِنْ قَبْلِ هٰذَا الكتاب اى القران الناطق بالتوحيد وبطلان
الشرك دال على صحة دينكم اَوْ اَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ او بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين
شاهدة باستحقاقهم للعبادة اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ في دعواكم فانها لانكاد تصح ما لم يقم عليها
برهان عقلي او سلطان نقلي وحيث لم يقم عليها شيء منهما وقد قامت على خلافها
ادلة العقل والنقل تبين بطلانها وقرئ اِثَارَةٍ بكسر الهمزة اى مناظرة فانها تثير المعاني
واَثَرَةٍ اى شيء اوثرتم به وخصصتم من علم مطوي من غيركم وَاَثَرَةٍ بحركات الثلث
مع سكون الثاء اما المكسورة فبمعنى الاثارة واما المفتوحة ففي المرة من اثر الحديث اى
رواه واما المضمومة فاسم ما يؤثر كالخطبة التي هي اسم ما يخطب به وَمَنْ اَضَلُّ مِمَّنْ
يَدْعُو مِنْ دُونِ اللّٰهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ انكار ونفي لان يكون احد اسوأ حالا من المشركين في
الضلال وان كان سبك التركيب لنفي الاضل منهم من غير تعرض لنفي المساوي كما مر غير
مرة اى هم اضل من كل ضال حيث تركوا عبادة خالقهم السميع القادر المجيب الخبير
الى عبادة مصنوعهم العاري عن السمع والقدرة والاستجابة اِلٰى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ غاية لنفي
الاستجابة وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ الضمير الاول لمفعول يدعو والثاني لفاعله والجمع فيهما
باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها غَافِلُونَ لكونهم جمادات وضمير
العقلاء لاجرائهم ايا ها مجرى العقلاء ووصفها بما ذكر من ترك الاستجابة والغفلة مع ظهور
حالها للتهكم بها وبعبدتها كقوله تع ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم الآية وَاِذَا حُشِرَ النَّاسُ

الناس عند قيام القيمة كَانُوا لَهُمْ اَعْدَاءً وكانوا بعبادتهم كافرين اى مكذبين بلسان الحال
او المقال على ما يروى ان الله تعالى يحيي الاصنام فتبرأ عن عبادتهم وقد جوز ان يراد بهم كل من
يعبد من دون الله من الملائكة والجن والانس وغيرهم وينبئ ارجاع الضمائر وإسناد
العداوة والكفر اليهم على التغليب ويراد بذلك تبرؤهم عنهم وعن عبادتهم وقيل ضمير كانوا
للعبدة وذلك قولهم والله ربنا ما كنا مشركين وَاِذَا تُتْلٰى عَلَيْهِمْ اٰيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ واضحات
او مبينات قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ اى لاجله وفي شانه وهو عبارة عن الآيات المتلوة ووضع
موضع ضميرها تنصيصا على حقيتها ووجوب الايمان بها كما وضع الموصول موضع ضمير المتلو
عليهم تسجيلا عليهم بكمال الكفر والضلالة لَمَّا جَاءَهُمْ اى في اول ما جاءهم من غير تدبر وتامل
هٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ اى ظاهر كونه سحرا اَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ اضراب وانتقال من حكاية
شنائعهم السابقة الى حكاية ما هو اشنع منها وما في ام من الهمزة للانكار التوبيخي المتضمن
للتعجيب اى بل ايقولون افترى القران قُلْ اِنِ افْتَرَيْتُهُ على الفرض فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللّٰهِ شَيْئًا
اذ لا ريب في انه تعالى يعاجلني حينئذ بالعقوبة فكيف اجترئ على ان افتري عليه تعالى كذبا واعرضه
لمثل هذه للعقوبة التي لا مناص عنها هُوَ اَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ اى تندفعون فيه من القدح في وحي
الله تع والطعن في آياته وتسميته سحرا تارة وفرية اخرى كَفٰى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ حيث
يشهد لي بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والجحود وهو وعيد بجزاء افاضتهم وقوله تعالى
وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وعد بالغفران والرحمة لمن تاب وآمن واشعار بحلم الله عنهم مع
عظم اجرامهم قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ البدع من البديع كالخل بمعنى الخليل وهو ما لا مثل له
وقرئ بفتح الدال على انه صفة كقيم وزيم وجمع مقدر بمضاف اى ذا بدع وقد جوز ذلك في
القراءة الاولى ايضا على انه مصدر كانوا يقترحون عليه عليه السلام آيات عجيبة ويسالونه عن المغيبات
عنادا ومكابرة فامر عليه السلام بان يقول لهم ما كنت بدعا من الرسل قادرا على ما لم يقدروا عليه حتى
آتيكم بكل ما تقترحونه واخبركم بكل ما تسالون عنه من الغيوب فان من قبلي من الرسل عليهم السلام
ما كانوا ياتون الا بما اتاهم الله تع من الآيات ولا يخبرون الا بما اوحي اليهم وَمَا اَدْرِي مَا يُفْعَلُ
بِي وَلَا بِكُمْ اى اى شيء يفعل بي فيما يستقبل من الزمان من افعاله تع وما اذا يقدر لنا من قضاياه
وعن الحسن رح ما ادري ما يصير اليه امري وامركم في الدنيا وعن ابن عباس رض ما يفعل بي ولا بكم
في الآخرة وقال هي منسوخة بقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقيل يجوز ان
يكون المنفي هي الدراية المفصلة والاظهر الاوفق لما ذكر من سبب النزول ان ما عبارة عما
ليس علمه من وظائف النبوة من الحوادث والواقعات الدنيوية دون ما يتعلق في الآخرة
فان العلم بذلك من وظائف النبوة وقد ورد به الوحي الناطق بتفاصيل ما يفعل بالجانبين
هذا وقد روي عن الكلبي ان اصحاب النبي صلعم قالوا له عليه السلام وقد ضجروا من اذية المشركين
حتى متى نكون على هذا فقال ما ادري ما يفعل بي ولا بكم اترك بمكة ام اومر بالخروج الى ارض
ذات نخيل وشجر قد رفعت لي ورايتها يعني في منامه وقد جوز ان تكون ما موصولة والاستفهامية

اقضى لحق مقام التبرء عن الدراية وتكرير لا لتذكير النفي المنسحب اليه وتاكيده وقرئ ما يفعل على
اسناد الفعل الى ضميره تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي اي ما افعل الا اتباع ما يوحى الي على معنى
قصر افعاله عليه السلام على اتباع الوحي لا قصر اتباعه على الوحي كما هو المتسارع الى الافهام وقد مر
تحقيقه في سورة الانعام وقرئ يوحى على البناء للفاعل وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عما لم
يوح اليه عليه السلام من الغيوب وقيل عن استعجال المسلمين تخلصوا عن اذية المشركين والاول
هو الاوفق لقوله تعالى وما انا الا نذير انذركم عقاب الله تعالى حسبما يوحى الي مبين بين الانذار
بالمعجزات الباهرة قل ارايتم ان كان اي ما يوحى الي من القرآن من عند الله لا سحرا ولا مفترى
كما تزعمون وقوله تعالى وكفرتم به حال باضمار قد من الضمير في الخبر وسطت بين اجزاء الشرط
مسارعة الى التسجيل عليهم بالكفر او عطف على كان كما في قوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله
ثم كفرتم به لكن لا على ان نظمه في سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه عندهم باعتبار حاله
في نفسه بل باعتبار حال المعطوف عليه عندهم فان كفرهم به امر محقق عندهم ايضا وانما ترددهم
في ان ذلك كفر بما من عند الله تعالى ام لا وكذا الحال في قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل وما بعده
من الفعلين فان كان الكل امور متحققة عندهم وانما ترددهم في انها شهادة وايمان بما من عند
الله تعالى واستكبار منه اولا والمعنى اخبروني ان كان ذلك في الحقيقة من عند الله وكفرتم به
وشهد شاهد عظيم الشان من بني اسرائيل الواقفين على شئون الله تعالى واسرار الوحي بما اوتوا
من التورية على مثله اي مثل القرآن من المعاصي المنطوية في التورية المطابقة لما في القرآن من التوحيد
والوعد والوعيد وغير ذلك فانها عين ما فيه في الحقيقة كما يعرب عنه قوله تعالى وانه لفي زبر الاولين
وقوله تعالى وانه لفي الصحف الاولى والمثلية باعتبار تاديتها بعبارة اخرى او على مثل ما ذكر من
كونه من عند الله والمثلية لما ذكر وقيل المثل صلة والفاء في قوله تعالى فآمن للدلالة على انه سارع
الى الايمان بالقرآن لما علم انه من جنس الوحي الناطق بالحق وهو عبد الله بن سلام لما سمع بمقدم
رسول الله صلعم المدينة اتاه فنظر الى وجهه الكريم فعلم انه ليس بوجه كذاب وتامله فتحقق انه
النبي المنتظر فقال له اني سائلك عن ثلث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول
طعام ياكله اهل الجنة والولد ينزع الى ابيه او الى امه فقال عليه السلام اما اول اشراط الساعة
فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب واما اول طعام اهل الجنة فزيادة كبد حوت واما الولد
فان سبق ماء الرجل نزعه واذا سبق ماء المرأة نزعته فقال اشهد انك رسول الله
حقا فقام ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وان علموا باسلامي قبل ان تسألهم
عني بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبي عليه السلام اي رجل عبد الله فيكم قالوا خيرنا وابن
خيرنا وسيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا قال ارايتم ان اسلم عبد الله قالوا
اعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول
الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال هذا ما كنت اخاف يا رسول الله واحذر
قال سعد بن ابي وقاص رح ما سمعت رسول الله عليه السلام يقول لاحد يمشي على الارض انه من اهل

الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزل وشهد شاهد الآية وقيل الشاهد موسى عم وشهادته ما في التورية
من بعثة النبي عليهما السلام وبه قال الشعبي وقال مسروق والله ما نزلت في عبد الله بن سلام فان
آل حم نزلت بمكة وانما اسلم عبد الله بالمدينة واجاب الكلبي بان الآية مدنية وان كانت السورة
مكية واستكبرتم عطف على شهد شاهد وجواب الشرط محذوف والمعنى اخبروني ان كان من عند الله
تعالى وشهد على ذلك اعلم بني اسرائيل فآمن به من غير توقف بلعثم واستكبرتم عن الايمان به بعد هذه المرتبة من اضل
منكم بقرينة قوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل ممن هو في شقاق بعيد وقوله تعالى ان الله
لا يهدي القوم الظالمين فان عدم الهداية مما ينبئ عن الضلال قطعا ووصفهم بالظلم للاشعار بعلة الحكم
فان تركه تعالى لهدايتهم لظلمهم وقال الذين كفروا حكاية لبعض آخر من اقاويلهم الباطلة في حق القرآن
العظيم والمؤمنين به اي قال كفار مكة للذين آمنوا اي لاجلهم لو كان اي ما جاء به عليه السلام من القرآن والدين
خيرا ما سبقونا اليه فان معالي الامور لا ينالها ايدي الاراذل وهم سقاط عامتهم فقراء وموال ورعاة
قالوه زعما منهم ان الرياسة الدينية مما ينال باسباب دنيوية كما قالوا لولا انزل هذا القرآن على رجل
من القريتين عظيم وزل عنهم انها منوطة بكمالات نفسانية وملكات روحانية مبناها الاعراض عن زخارف
الدنيا الدنية والاقبال على الآخرة بالكلية وان من فاز بها فقد حازها بحذافيرها ومن حرمها فما له منها من خلاق
وقيل قاله بنو عامر وغطفان واسد واشجع لما اسلم جهينة ومزينة واسلم وغفار وقيل قالته اليهود
حين اسلم عبد الله بن سلام واصحابه ويأباه ان السورة مكية لا بد ح من الالتجاء الى ادعاء ان
الآية نزلت بالمدينة واذ لم يهتدوا به ظرف لمحذوف يدل عليه ما قبله ويترتب عليه ما بعده اي واذ لم يهتدوا
بالقرآن قالوا ما قالوا فسيقولون غير مكتفين بنفي خيريته هذا افك قديم كما قالوا اساطير الاولين وقيل
المحذوف ظهر عنادهم وليس بذاك ومن قبله اي من قبل القرآن وهو خبر لقوله تعالى كتاب موسى وقيل
والجملة حالية او مستانفة واياما كان فهو لرد قولهم هذا افك قديم وابطاله فان كونه مصدقا لكتاب موسى
مقر لحقيته قطعا اماما ورحمة حالان من كتاب موسى اي اماما يقتدى به في دين الله وشرائعه كما يقتدى بالامام
ورحمة من الله لمن آمن به وعمل بموجبه وهذا الذي يقولون في حقه ما يقولون كتاب عظيم الشان مصدق
اي لكتاب موسى الذي هو امام ورحمة او لما بين يديه من جميع الكتب الالهية وقد قرئ كذلك لسانا عربيا
حال من ضمير كتاب في مصدق او من نفسه لتخصصه بالصفة وعاملها معنى الاشارة وعلى الاول مصدق
وقيل مفعول لمصدق اي يصدق ذا لسان عربي لينذر الذين ظلموا متعلق بمصدق وفيه ضمير الكتاب
او الله تعالى او الرسول عم ويؤيد الاخيرة القراءة بتاء الخطاب وبشرى للمحسنين في حيز النصب عطفا
على محل لينذر وقيل في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف مضمر اي وهو بشرى وقيل على انه
عطف على مصدق ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا اي جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة
العلم والاستقامة في امور الدين التي هي منتهى العمل وثم للدلالة على تراخي رتبة العمل وتوقف
الاعتداد به على التوحيد فلا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات محبوب والفاء
لتضمن الاسم معنى الشرط والمراد بيان دوام نفي الحزن لا نفي دوام الحزن كما يوهمه كون الخبر
مضارعا وقد مر بيانه مرارا اولئك الموصوفون بما ذكر من الوصفين الجليلين اصحاب الجنة خالدين

اي العتقاء

اي مكة ومدينة

فيها حال من المستكن في اصحاب وقوله تعالى جزاء منصوب اما بعامل مقدر اي يجزون جزاء
او بمعنى ما تقدم فان قوله تعالى اولئك اصحاب الجنة في معنى جازيناهم بما كانوا يعملون من
الحسنات العلمية والعملية ووصينا الانسان بان يحسن بوالديه احسانا وقرئ
حسنا اي بان يفعل بهما حسنا اي فعلا ذا حسن او كانه في ذاته نفس الحسن لفرط حسنه
وقرئ بضم السين ايضا وبفتحهما اي بان يفعل بهما فعلا حسنا او وصيناه ايصاء
حسنا حملته امه كرها ووضعته كرها اي ذات كره او حملا ذا كره وهو المشقة
وقرئ بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر وحمله
وفصاله اي مدة حمله وفصاله وهو الفطام وقرئ وفصله والفصل والفصال كالفطم
والفطام بناء ومعنى والمراد به الرضاع التام المنتهي به كما اراد بالامد المدة من قال
كل حي مستكمل مدة العمر فمود اذا انتهى امده ثلثون شهرا يمضي عليها بمعاناة المشاق
ومقاساة الشدائد لاجله وهذا دليل على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لما انه اذا حط عنه
للفصال حولان لقوله تعالى حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة يبقى للحمل ذلك قيل ولعل
تعيين اقل مدة الحمل واكثر مدة الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط النسب والرضاع بهما
حتى اذا بلغ اشده اي اكتهل واستحكم قوته وعقله وبلغ اربعين سنة قيل لم يبعث
نبي قبل اربعين وقرئ حتى اذا استوى وبلغ اشده قال رب اوزعني اي الهمني
واصله اولعني من اوزعته بكذا ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي اي نعمة
الدين او ما يعمها وغيرها وان اعمل صالحا ترضاه التنكير للتفخيم والتكثير واصلح لي في
ذريتي اي واجعل الصلاح ساريا في ذريتي راسخا فيهم كما في قوله يجرح في عراقيبها
نصلي قال ابن عباس اجاب الله تعالى دعاء ابي بكر رض فاعتق تسعة من المؤمنين منهم بلال
وعامر بن فهيرة ولم يرد شيئا من الخير الا اعانه الله تعالى عليه ودعا ايضا فقال واصلح لي في
ذريتي فاجابه الله عز وجل فلم يكن له ولد الا آمنوا جميعا فاجتمع له اسلام ابويه واولاده
جميعا فادرك ابوه ابو قحافة رسول الله عليه السلام وابنه عبد الرحمن بن ابي بكر وابن
عبد الرحمن ابو عتيق كلهم ادركوا النبي عليه السلام ولم يكن ذلك لاحد من الصحابة رضعم اني تبت
اليك عما لا ترضاه او عما يشغلني عن ذكرك واني من المسلمين الذين اخلصوا لك انفسهم
اولئك اشارة الى الانسان والجمع لان المراد به الجنس المتصف بالوصف المحكي عنه
وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته اي اولئك المنعوتون بما ذكر من
النعوت الجليلة الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا من الطاعات فان المباح حسن
لا يثاب عليه ونتجاوز عن سيئاتهم وقرئ الفعلان بالياء على اسنادهما الى الله تعالى
وعلى بنائهما للمفعول ورفع احسن على انه قائم مقام الفاعل وكذا الجار والمجرور في اصحاب
الجنة اي كائنين في عدادهم منتظمين في سلكهم وعد الصدق مصدر مؤكد لما ان قوله
تعالى نتقبل ونتجاوز وعد من الله تعالى لهم بالتفضل والتجاوز الذين كانوا يوعدون على السنة

بالفاء وهو قطع الولد عن الارضاع اي عن شرب لبن امه تامل فيه

السنة الرسل والذي قال لوالديه عند دعوتهما له الى الايمان اف لكما هو صوت يصدر عن المرء
عند تضجره واللام لبيان المؤفف له كما في هيت لك وقرئ اف بالفتح والكسر بغير تنوين
والحركات الثلث مع التنوين والموصول عبارة عن الجنس القائل ذلك القول و
لذلك اخبر عنه بالمجموع كما سبق قيل هو في الكافر العاف لوالديه المكذب بالبعث
وعن قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه وما روي من انها نزلت في
عبد الرحمن بن ابي بكر رض قبل اسلامه يرده ما سياتي من قوله تعالى اولئك الذين حق
عليهم القول الآية فانه كان من افاضل المسلمين وسرواتهم وقد كذبت الصديقة رح من
قال ذلك اتعدانني ان اخرج ابعث من القبر بعد الموت وقرئ اخرج من الخروج
وقد خلت القرون من قبلي ولم يبعث منهم احد وهما يستغيثان الله تعالى يسالانه
ان يغيثه ويوفقه للايمان ويلك اي قائلين له ويلك وهو في الاصل دعاء عليه بالثبور اريد
به الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك آمن ان وعد الله حق اي البعث
اضافاه اليه تعالى تحقيقا للحق وتنبيها على خطائه في اسناد الوعد اليهما وقرئ ان وعد الله
اي آمن بان وعد الله حق فيقول مكذبا لهما ما هذا الذي تسميا وعد الله الا اساطير الاولين
اباطيلهم التي سطروها في الكتب من غير ان يكون لها حقيقة اولئك القائلون هذه المقالات
الباطلة الذين حق عليهم القول وهو قوله تعالى لابليس لاملأن جهنم منك وممن تبعك
منهم اجمعين كما ينبئ عنه قوله تعالى في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس وقد مر
تفسيره في سورة الم السجدة انهم جميعا كانوا خاسرين قد ضيعوا فطرتهم الاصلية الجارية
مجرى رؤس اموالهم باتباعهم الشيطان والجملة تعليل للحكم بطريق الاستيناف التحقيقي
ولكل من الفريقين المذكورين درجات مما عملوا مراتب من اجزية ما عملوا من الخير والشر
والدرجات غالبة في مراتب المثوبة وايرادها ههنا بطريق التغليب وليوفيهم اعمالهم
اي اجزية اعمالهم وقرئ بنون العظمة وهم لا يظلمون بنقص ثواب الاولين وزيادة عقاب
الآخرين والجملة اما حال مؤكدة للتوفية او استيناف مقرر لها واللام متعلقة بمحذوف
مؤخر كانه قيل وليوفيهم اعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم فعل ما فعل من تقدير الاجزية على مقادير
اعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات ويوم يعرض الذين كفروا على النار
يعذبون بها من قولهم عرض الاسارى على السيف اي قتلوا وقيل يعرض النار عليهم
بطريق القلب مبالغة اذهبتم طيباتكم اي يقال لهم ذلك وهو الناصب للظرف
وقرئ ااذهبتم بهمزتين وبالف بينهما على الاستفهام التوبيخي اي اصبتم واخذتم
ما كتب لكم من حظوظ الدنيا ولذائذها في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فلم يبق لكم بعد
ذلك شيء منها فاليوم تجزون عذاب الهون اي الهوان وقد قرئ كذلك بما كنتم
في الدنيا تستكبرون في الارض بغير الحق بغير استحقاق لذلك وبما كنتم تفسقون اي
تخرجون من طاعة الله عز وجل اي بسبب استكباركم وفسقكم المستمرين وقرئ تفسقون

اي الوالدان

اي الهلاك

بكسر السين واذكر اى لكفار مكة اخا عاد اى هودا عليه السلم اذ انذر قومه بدل اشتمال منه اى وقت انذاره
اياهم بالاحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشئ اذا اعوج وكانت
عاد اصحاب عمد يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بارض يقال لها الشحر من بلاد اليمن وقيل بين عمان
ومهرة وقد خلت النذر اى الرسل جمع نذير بمعنى المنذر من بين يديه اى من قبله ومن خلفه اى من بعده
والجملة اعتراض مقرر لما قبله مؤكد لوجوب العمل بموجب الانذار وسط بين انذر قومه وبين قوله
ان لا تعبدوا الا الله مسارعة الى ما ذكر من التقرير والتاكيد وايذانا باشتراكهم فى العبارة المحكية
والمعنى واذكر لقومك انذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد انذر من تقدمه من الرسل
ومن تاخر عنه قومهم مثل ذلك فاذكرهم واما جعلها حالا من فاعل انذر على معنى انه عليه السلم انذرهم وقال
لهم لا تعبدوا الا الله انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم وقد اعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين
سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره فمع ما فيه من تكلف تقدير الاعلام لا بد فى نسبة الخلو الى من بعده
من الرسل من تنزيل الآتى منزلة الخالى قالوا اجئتنا لتافكنا اى تصرفنا عن آلهتنا عن عبادتها فاتنا بما تعدنا
من العذاب الاليم العظيم ان كنت من الصادقين فى وعدك بنزوله بنا قال انما العلم اى بوقت نزوله
او العلم بجميع الاشياء التى من جملتها ذلك عند الله وحده لا علم لى بوقت نزوله ولا مدخل لى فى اتيانه
وحلوله وانما علمه عند الله تعالى فياتيكم به فى وقته المقدر له وابلغكم ما ارسلت به من مواجب الرسالة التى
من جملتها بيان نزول العذاب ان لم تنتهوا عن الشرك من غير وقوف على وقت نزوله وقرئ ابلغكم من
الابلاغ ولكنى اراكم قوما تجهلون حيث تقترحون على ما ليس من وظائف الرسل من الاتيان بالعذاب
وتعيين وقته والفاء فى قوله تعالى فلما راوه فصيحة والضمير اما مبهم يوضحه قوله تعالى عارضا اما تمييزا او حالا
او راجع الى ما استعجلوه بقولهم فاتنا بما تعدنا اى فاتاهم فلما راوا سحابا يعرض فى افق السماء مستقبل
اوديتهم اى متوجه اوديتهم والاضافة فيه لفظية كما فى قوله تعالى قالوا هذا عارض ممطرنا ولذلك وقعا
وصفين للنكرة بل هو اى قال هود وقد قرئ كذلك وقرئ قل وهو رد عليهم اى ليس الامر كذلك بل هو
ما استعجلتم به من العذاب ريح بدل من ما او خبر لمبتدا محذوف فيها عذاب اليم صفة لريح وكذا
قوله تعالى تدمر اى تهلك كل شئ من نفوسهم واموالهم بامر ربها وقرئ يدمر كل شئ من دمر دمارا اذا
هلك فالعائد الى الموصوف محذوف او هو الهاء فى ربها ويجوز ان يكون استينافا واردا لبيان
ان لكل ممكن فناء مقضيا منوطا بامر بارئه ويكون الهاء لكل شئ لكونه بمعنى الاشياء وفى ذكر الامر والرب
والاضافة الى الريح من الدلالة على عظمة شانه عز وجل ما لا يخفى والفاء فى قوله تعالى فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم
فصيحة اى فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا بحيث لا يرى الا مساكنهم وقرئ ترى بالتاء ونصب
مساكنهم خطابا لكل احد يتاتى منه الرؤية تنبيها على ان حالهم بحيث لو حضر كل احد بلادهم
لا يرى فيها الا مساكنهم كذلك مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزى القوم المجرمين وقد مر تفصيل
القصة فى سورة الاعراف وقد روى ان الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة وترفعهما فى الجو
حتى ترى كانها جرادة قيل اول من ابصر العذاب امراة منهم قالت رايت ريحا فيها كشهب
النار وروى ان اول ما عرفوا به انه عذاب ما راوا ما كان فى الصحراء من رحالهم ومواشيهم تطير بها

بها الريح بين السماء والارض فدخلوا بيوتهم وغلقوا ابوابهم فقلعت الريح الابواب وصرعتهم
فامال الله تعالى الاحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام لهم انين ثم كشفت الريح عنهم
فاحتملتهم فطرحتهم فى البحر وروى ان هودا عليه السلم لما احس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا
الى جنب عين تنبع وعن ابن عباس رض اعتزل هود عم ومن معه فى حظيرة ما يصيبهم من الريح
الا ما يلين على الجلود وتلذه الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والارض
وتدمغهم بالحجارة ولقد مكناهم اى قررنا عادا او اقدرناهم وما فى قوله تعالى فيما ان مكناكم فيه
موصولة او موصوفة وان نافية اى فى الذى اى فى شئ ما مكناكم فيه من السعة والبسطة وطول
الاعمار وسائر التصرفات كما فى قوله تعالى وكم اهلكنا من قبلكم من قرن مكناهم فى الارض ما لم نمكنكم
ومما يحسن موقع ان ههنا التفصى عن تكرر لفظة ما وهو الداعى الى قلب الفها هاء فى مهما وجعلها
شرطية او زائدة مما لا يليق بالمقام وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة ليستعملوها فى ما
خلقت له ويعرفوا بكل منها ما ينطت به معرفته من فنون النعم ويستدلوا بها على شئون
منعمها عز وجل ويداوموا على شكره فما اغنى عنهم سمعهم حيث لم يستعملوه فى استماع الوحى
ومواعظ الرسل ولا ابصارهم حيث لم يجتلوا بها الآيات التكوينية المنصوبة فى صحائف
العالم ولا افئدتهم حيث لم يستعملوها فى معرفة الله تعالى من شئ اى شيئا من الاغناء ومن
مزيدة للتاكيد وقوله تعالى اذ كانوا يجحدون بآيات الله متعلق بما اغنى وهو ظرف جرى مجرى
التعليل من حيث ان الحكم مرتب على ما اضيف اليه فان قولك اكرمته اذ اكرمنى فى قوة قولك اكرمته
لاكرامه لانك اذا اكرمته وقت اكرامه فانما اكرمته فيه لوجود اكرامه فيه وكذا الحال فى حيث
وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن من العذاب الذى كانوا يستعجلونه بطريق الاستهزاء
ويقولون فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين ولقد اهلكنا ما حولكم يا اهل مكة من القرى
كحجر ثمود وقرى قوم لوط وصرفنا الآيات كررناها لهم لعلهم يرجعون لكى يرجعوا عما هم فيه
من الكفر والمعاصى فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة القربان ما يتقرب
به الى الله تعالى واحد مفعولى اتخذوا ضمير الموصول المحذوف والثانى آلهة وقربانا حال والتقدير فهلا
نصرهم وخلصهم من العذاب الذين اتخذوهم آلهة حال كونها متقربا بها الى الله حيث كانوا يقولون
انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله وفيه تهكم بهم ولا مساغ لجعل
قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه لفساد المعنى فان البدل وان كان هو المقصود لكنه لا بد
فى غير بدل الغلط من صحة المعنى بدونه ولا ريب فى ان قولنا اتخذوهم من دون الله قربانا اى
متقربا به مما لا صحة له قطعا لانه تعالى متقرب اليه لا متقرب به فلا يصح انهم اتخذوهم قربانا متجاوزين الله
تعالى فى ذلك وقرئ قربانا بضم الراء بل ضلوا عنهم اى غابوا عنهم وفيه تهكم اخر بهم كان
عدم نصرهم لغيبتهم او ضاعوا عنهم او ظهر ضياعهم عنهم بالكلية وقيل امتنع نصرهم
امتناع نصر الغائب عن المنصور وذلك اى ضياع آلهتهم عنهم وامتناع نصرتهم افكهم اى اثر
افكهم الذى هو اتخاذهم اياها آلهة ونتيجة شركهم وقرئ افكهم وكلاهما مصدر كالحذر والحذر

مبادى

اذ اصله ماماه

ب

وقرئ افكهم على صيغة الماضي فذلك اشارة ح الى الاتخاذ اي وذلك الاتخاذ الذي هذه ثمرته وعاقبته
صرفهم عن الحق وقرئ افكهم بالتشديد للمبالغة وافكهم من الافعال اي جعلهم افكين وقرئ افكهم
على صيغة اسم الفاعل مضافا الى ضميرهم اي قولهم الافك اي ذو الافك كما يقال قول كاذب
وما كانوا يفترون عطف على افكهم اي واثر افترائهم على الله تعالى او اثر ما كانوا يفترونه عليه تعالى
وقرئ وذلك افك مما كانوا يفترون اي بعض ما كانوا يفترون من الافك واذ صرفنا اليك
نفرا من الجن املناهم اليك واقبلنا بهم نحوك وقرئ صرفنا بالتشديد للتكثير لانهم جماعة وهو
السر في جمع الضمير في قوله تعالى يستمعون القرآن وما بعده وهو حال مقدرة من نفرا لتخصصه بالصفة
او صفة اخرى له اي واذكر لقومك وقت صرفنا اليك نفرا كائنا من الجن مقدرا استماعهم
القرآن فلما حضروه اي القرآن عند تلاوته والرسول عند تلاوته له على الالتفات والاول هو
الاظهر قالوا اي قال بعضهم لبعض انصتوا اي اسكتوا لنسمعه فلما قضي اتم وفرغ عن
تلاوته وقرئ على البناء للفاعل وهو ضمير الرسول عليه السلام وهذا يؤيد عود ضمير حضروه اليه
ولوا الى قومهم منذرين مقدرين انذارهم عند رجوعهم اليهم روي ان الجن كانت تسترق
السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا الا لنبأ حدث فنهض سبعة
نفر او تسعة نفر من اشراف جن نصيبين او نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة
ثم اندفعوا الى وادي نخلة فوافقوا رسول الله صلعم وهو قائم في جوف الليل يصلي او في صلوة
الفجر فاستمعوا لقراءته وذلك عند منصرفه من الطائف وعن سعيد بن جبير ما قرأ رسول الله
عليه السلام على الجن ولا راهم وانما كان يتلو في صلوته فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر بهم فانبأه
الله تعالى باستماعهم وقيل بل امره الله تعالى ان ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف اليه نفرا منهم
جمعهم له فقال عليه السلام اني امرت ان اقرأ على الجن الليلة فمن يتبعني قالها ثلثا فاطرقوا الا عبد الله
ابن مسعود قال فانطلقنا حتى ادركنا باعلى مكة في شعب الحجون خط لي خطا فقال لا تخرج منه
حتى اعود اليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله عليه السلام وغشيته
اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما اسمع صوته عم ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لي رسول الله صلعم
هل رأيت شيئا قلت نعم رجالا سودا مستثفري ثياب بيض فقال اولئك نصيبين وكانوا اثني عشر
الفا والسورة التي قرأها عليهم اقرأ باسم ربك قالوا اي عند رجوعهم الى قومهم يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل
من بعد موسى قيل قالوه لانهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس رض ان الجن لم تكن سمعت بامر عيسى عم
مصدقا لما بين يديه ارادوا به التورية يهدي الى الحق من العقائد الصحيحة والى صراط مستقيم موصل
اليه وهو الشرائع والاعمال الصالحة يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به ارادوا به ما سمعوه من الكتاب
وصفوه بالدعوة الى الله تعالى بعد ما وصفوه بالهداية الى الحق والصراط المستقيم لتلازمهما دعوهم الى
ذلك بعد بيان حقيته واستقامته ترغيبا لهم في الاجابة ثم اكدوه بقولهم يغفر لكم من ذنوبكم اي بعض
ذنوبكم وهو ما كان في خالص حق الله تعالى فان حقوق العباد لا تغفر بالايمان ويجركم من عذاب اليم معد للكفرة
واختلف في ان لهم اجرا غير هذا اولا والاظهر انهم في حكم بني آدم ثوابا وعقابا وقوله تعالى ومن لا يجيب داعي

ومنه استثفر ذنبه اذا جعل الكلب ذنبه بين رجليه ٥

بلدة كائنة في الجزيرة ٥

داعي الله فليس بمعجز في الارض ايجاب للاجابة بطريق الترهيب اثر ايجابها بطريق الترغيب وتحقيق
لكونهم منذرين واظهار داعي الله من غير اكتفاء باحد الضميرين للمبالغة في الايجاب بزيادة التقرير وتربية
المهابة وادخال الروعة وتقييد الاعجاز بكونه في الارض لتوسيع الدائرة اي فليس بمعجز له تعالى بالهرب
وان هرب كل مهرب من اقطارها او دخل في اعماقها وقوله تعالى وليس له من دونه اولياء
بيان لاستحالة نجاته بواسطة الغير اثر بيان استحالة نجاته بنفسه وجمع الاولياء باعتبار
معنى من فيكون من باب مقابلة الجمع بالجمع لانقسام الآحاد الى الآحاد كما ان الجمع في قوله تعالى
اولئك بذلك الاعتبار اي اولئك الموصوفون بعدم اجابة داعي الله في ضلال مبين اي ظاهر
كونه ضلالا بحيث لا يخفى على احد حيث اعرضوا عن اجابة من هذا شانه اولم يروا الهمزة للانكار
والواو للعطف على مقدر يستدعيه المقام والرؤية قلبية اي الم يتفكروا ولم يعلموا علما جازما
متاخما للمشاهدة والعيان ان الله الذي خلق السموات والارض ابتداء من غير مثال
يحتذيه ولا قانون ينتحيه ولم يعي بخلقهن اي الم يتعب ولم ينصب بذلك اصلا او لم يعجز
عنه يقال عييت بالامر اذا لم تعرف وجهه وقوله تعالى بقادر في حيز الرفع لانه خبر ان كما ينبئ
عنه القراءة بغير باء ووجه دخولها في القراءة الاولى اشتمال النفي الوارد في صدر الآية على
ان وما في حيزها كانه قيل اوليس الله بقادر على ان يحيي الموتى ولذلك اجيب عنه بقوله تعالى بلى انه على
كل شيء قدير تقريرا للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود ويوم يعرض الذين
كفروا على النار ظرف عامله قول مضمر مقوله اليس هذا بالحق على ان الاشارة الى ما يشاهدونه
حينئذ من حيث هو من غير ان يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتانيثه اذ هو الائق
بتهويله وتفخيمه وقد مر في سورة الاحزاب وقيل هي الى العذاب وفيه تهكم بهم وتوبيخ لهم على
استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين قالوا بلى وربنا اكدوا جوابهم
بالقسم كانهم يطمعون في الخلاص بالاعتراف بحقيتها كما في الدنيا وانى لهم ذلك قال فذوقوا العذاب
بما كنتم تكفرون بها في الدنيا ومعنى الامر الاهانة بهم والتوبيخ لهم والفاء في قوله تعالى فاصبر كما صبر
اولوا العزم من الرسل جواب شرط محذوف اي اذا كان عاقبة امر الكفرة ما ذكر فاصبر على ما
يصيبك من جهتهم كما صبر اولوا الثبات والحزم من الرسل فانك من جملتهم بل من عليتهم ومن للتبيين
وقيل للتبعيض والمراد باولي العزم اصحاب الشرائع الذين اجتهدوا في تاسيسها وتقريرها
وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى
وقيل هم الصابرون على بلاء الله تعالى كنوح صبر على اذية قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم
صبر على النار وعلى ذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر ويوسف على
الحب والسجن وايوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين
وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة صلوات الله عليهم اجمعين
ولا تستعجل لهم اي لكفار مكة بالعذاب فانه على شرف النزول بهم كانهم يوم يرون ما يوعدون
من العذاب لم يلبثوا في الدنيا الا ساعة يسيرة من نهار لما يشاهدون من شدة العذاب

وطول مدته وقوله تعالى بلاغ خبر مبتدأ محذوف اي هذا الذي وعظتم به كفاية في الموعظة او تبليغ من
الرسول ويؤيده انه قرئ بلغ وقرئ بلاغا اي بلغوا بلاغا فهل يهلك الا القوم الفاسقون
اي الخارجون عن الاتعاظ به او عن الطاعة وقرئ بفتح الياء وكسر اللام وبفتحها من هلك وهلك وبنون
العظمة من الاهلاك ونصب القوم ووصفه عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا

سورة محمد

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اي اعرضوا عن الاسلام وسلوك طريقه من صد صدودا
او منعوا الناس عن ذلك من صده صدا كالمطعمين يوم بدر وقيل هم اثنا عشر رجلا من اهل
الشرك كانوا يصدون الناس عن الاسلام ويامرونهم بالكفر وقيل اهل الكتاب الذين كفروا
وصدوا من اراد منهم ومن غيرهم ان يدخل في الاسلام وقيل هو عام في كل من كفر وصد اضل
اعمالهم اي ابطلها واحبطها وجعلها ضايعة لا اثر لها اصلا لكن لا بمعنى انه ابطلها واحبطها
بعد ان لم تكن كذلك بل بمعنى انه حكم ببطلانها وضياعها فان ما كانوا يعملونها من اعمال البر
كصلة الارحام وقرى الاضياف وفك الاسارى وغيرها من المكارم ليس لها اثر من اصلها
لعدم مقارنتها للايمان او ابطل ما عملوه من الكيد لرسول الله عليه السلام والصد عن سبيله بنصر رسوله
واظهار دينه على الدين كله وهو الاوفق لما سيأتي من قوله تعالى فتعسا لهم واضل اعمالهم وقوله
فاذا لقيتم الخ والذين آمنوا وعملوا الصالحات قيل هم ناس من قريش وقيل من الانصار
وقيل هم مؤمنوا اهل الكتاب وقيل عام للكل وآمنوا بما نزل على محمد خص بالذكر الايمان بذلك
مع اندراجه فيما قبله تنويها بشانه وتنبيها على سمو مكانه من بين ساير ما يجب الايمان به وانه الاصل
في الكل ولذلك اكد بقوله تعالى وهو الحق من ربهم بطريق حصر الحقية فيه وقيل حقيته بكونه ناسخا
غير منسوخ فالحق على هذا مقابل الزايل وعلى الاول مقابل الباطل واياما كان فقوله تعالى من ربهم حال
من ضمير الحق وقرئ نزل على البناء للفاعل وانزل على البنائين ونزل بالتخفيف كفر عنهم سيئاتهم
اي سترها بالايمان والعمل الصالح واصلح بالهم اي حالهم في الدين والدنيا بالتاييد والتوفيق
ذلك اشارة الى ما مر من اضلال الاعمال وتكفير السيئات واصلاح البال وهو مبتدأ خبره قوله
بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم اي ذلك كاين
بسبب ان الاولين اتبعوا الشيطان كما قاله مجاهد ففعلوا ما فعلوا من الكفر والصد فبيان
سببيته اتباعه للاضلال المذكور متضمن لبيان سببيتهما له لكونه اصلا مستتبعا لهما
قطعا وبسبب ان الآخرين اتبعوا الحق الذي لا محيد عنه كاينا من ربهم ففعلوا ما فعلوا من
الايمان به وبكتابه ومن الاعمال الصالحة فبيان سببيته اتباعه لما ذكر من التكفير والاصلاح
بعد الاشعار بسببية الايمان والعمل الصالح له متضمن لبيان سببيتهما له لكونه مبدأ ومنشأ
لهما حتما فلا تدافع بين الاشعار والتصريح في شيء من الموضعين ويجوز ان يحمل الباطل على ما يقابل الحق
وهو الزايل الذاهب الذي لا اصل له اصلا فالتصريح بسببيته اتباعه لاضلال اعمالهم وابطالها

لها لبطلان مبناها وزواله واما حمله على ما ينتفع به فليس كما ينبغي لما ان الكفر والصد افحش منه فلا وجه للتصريح بسببيته
لما ذكر بطريق القصر بعد الاشعار بسببيتهما له فتدبر ويجوز ان يراد بالباطل نفس الكفر والصد وبالحق نفس
الايمان والاعمال الصالحة فيكون التنصيص على سببيتهما لما ذكر من الاضلال ومن التكفير والاصلاح تصريحا
بالسببية المشعر بها في الموقعين كذلك اي مثل ذلك الضرب البديع يضرب الله اي يبين للناس امثالهم
اي احوال الفريقين واوصافهما الجارية في الغرابة مجرى الامثال وهي اتباع الاولين الباطل وخيبتهم وخسرانهم
واتباع الآخرين الحق وفوزهم وفلاحهم والفاء في قوله تعالى فاذا لقيتم الذين كفروا لترتيب ما في حيزها من الامر على ما
قبلها فان ضلال اعمال الكفرة وخيبتهم وصلاح احوال المؤمنين وفلاحهم مما يوجب ان يرتب على كل من الحالين ما
يليق به من الاحكام اي فاذا كان الامر كما ذكر فاذا لقيتموهم في المحاربة فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب
ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر واينب منابه مضافا الى المفعول وفيه اختصار وتاكيد بليغ والتعبير به عن
القتل تصويره له باشنع صوره وتهويل لامره وارشاد للغزاة الى ايسر ما يكون منه حتى اذا اثخنتموهم
اي اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الشيء الثخين وهو الغليظ او اثقلتموهم بالقتل والجراح حتى اذهبتم عنهم
النهوض فشدوا الوثاق فاسروهم واحفظوهم والوثاق اسم لما يوثق به وكذا الوثاق بالكسر وقد قرئ بذلك
فاما منا بعد واما فداء اي فاما تمنون بعد ذلك او تفدون فداء والمعنى التخيير بين القتل والاسترقاق
والمن والفداء وهذا ثابت عند الشافعي رحمه الله وعندنا منسوخ قالوا نزل ذلك يوم بدر ثم نسخ والحكم اما
القتل او الاسترقاق وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء انما الاسلام او ضرب العنق وقرئ فدى كعصا
حتى تضع الحرب اوزارها اوزار الحرب آلاتها واثقالها التي لا تقوم الا بها من السلاح والكراع اسند
وضعها اليها وهو لاهلها اسنادا مجازيا وحتى غاية عند الشافعي رح لاحد الامور الاربعة او للمجموع والمعنى
انهم لا يزالون على ذلك ابدا الى ان لا يكون مع المشركين حرب بان لا تبقى لهم شوكة وقيل بان ينزل عيسى عم
واما عند ابي حنيفة رح فان حمل الحرب على حرب بدر فهي غاية للمن والفداء والمعنى يمن عليهم ويفادون
حتى تضع حرب بدر اوزارها وان حملت على الجنس فهي غاية للضرب والشد والمعنى انهم يقتلون ويؤسرون
حتى يضع جنس الحرب اوزارها بان لا يبقى للمشركين شوكة وقيل اوزارها آثامها اي حتى يترك المشركون
شركهم ومعاصيهم بان اسلموا ذلك اي الامر ذلك او افعلوا ذلك ولو شاء الله لانتصر منهم لانتقم منهم
ببعض اسباب الهلكة والاستيصال ولكن اي لم يشأ ذلك ليبلو بعضكم ببعض فامركم بالقتال
وبلاكم بالكافرين لتجاهدوهم فتستوجبوا الثواب العظيم بموجب الوعد والكافرين بكم ليعاجلهم على ايديكم
ببعض عذابهم كي يرتدع بعضهم عن الكفر والذين قتلوا في سبيل الله اي استشهدوا وقرئ قاتلوا اي
جاهدوا وقتلوا وقتلوا فلن يضل اعمالهم اي فلن نضيعها وقرئ تضل اعمالهم على البناء للمفعول وتضل
اعمالهم من ضل وعن قتادة انها نزلت في يوم احد سيهديهم في الدنيا الى ارشد الامور وفي الآخرة
الى الثواب او سيثبت هدايتهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم في الدنيا بذكر اوصافها
بحيث اشتاقوا اليها او بينها لهم بحيث يعلم كل احد منزله ويهتدي اليه كانه كان ساكنه مذ خلق وعن مقاتل
ان الملك الموكل بعمله في الدنيا يمشي بين يديه فيعرفه كل شيء اعطاه تعالى او طيبها لهم من العرف وهو طيب
الرائحة او حددها لهم وافرزها من عرف الدار فجنة كل منهم محددة مفرزة والجملة اما مستانفة او حال باضمار

قلاوبدونه يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله اى دينه ورسوله ينصركم على اعدائكم ويفتح لكم ويثبت
اقدامكم فى مواطن الحرب ومواقعها او على محبة الاسلام والذين كفروا فتعسا لهم التعس
الهلاك والعثار والسقوط والشر والبعد والانحطاط ورجل تاعس وتعس وانتصابه بفعله واما
حذفه سماعا اى فقال تعسا لهم او فقضى تعسا لهم وقوله تعالى واضل اعمالهم عطف عليه داخل معه فى حيز
الخبرية للموصول ذلك اى ما ذكر من التعس واضلال الاعمال بانهم بسبب انهم كرهوا ما انزل الله
من القرآن لما فيه من التوحيد وسائر الاحكام المخالفة لما الفوه واشتهته انفسهم الامارة بالسوء
فاحبط لاجل ذلك اعمالهم التى لو كانوا عملوها مع الايمان لاثيبوا عليها افلم يسيروا فى الارض
اى افعدوا فى اماكنهم فلم يسيروا فيها فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الامم المكذبة فان
آثار ديارهم تنبئ عن اخبارهم وقوله تعالى دمر الله عليهم استيناف مبنى على سؤال نشاء من
الكلام كانه قيل كيف كان عاقبتهم فقيل استاصل الله عليهم ما اختص بهم من انفسهم واهليهم واموالهم
يقال دمره اهلكه ودمر عليه اهلك عليه ما اختص به وللكافرين اى ولهؤلاء الكافرين الذين سيرهم
امثالها امثال عواقبهم او عقوباتهم لكن لاعلى ان لهؤلاء امثال ما لاولئك واضافة مثل مثلهم
وانما جمع باعتبار مماثلته لعواقب متعددة حسب تعدد الامم المعذبة وقيل يجوز ان يكون عذابهم
اشد من عذاب الاولين وقد قتلوا واسروا بايدى من كانوا يستخفونهم ويستضعفونهم والقتل
بيد المثل اشد ألما من الهلاك بسبب عام وقيل المراد بالكافرين المتقدمون بطريق وضع
الظاهر موضع الضمير كانه قيل دمر الله عليهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة امثالها ذلك اشارة الى ثبوت
امثال عقوبة الامم السابقة لهؤلاء بان الله مولى الذين آمنوا اى ناصرهم على اعدائهم وقرئ
ولى الذين وان الكافرين لا مولى لهم فيدفع عنهم ما حل بهم من العقوبة والعذاب وللخالف هذا
قوله تعالى ثم ردوا الى الله مولاهم الحق فان المولى هناك بمعنى المالك ان الله يدخل الذين آمنوا
وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار بيان لحكم ولايته تعالى لهم وثمرتها الاخروية
والذين كفروا يتمتعون اى يتنعمون فى الدنيا بمتاعها ويأكلون كما تأكل الانعام غافلين عن عواقبهم
والنار مثوى لهم اى منزل ثواء واقامة والجملة اما حال مقدرة من واو يأكلون او استيناف
وكأى كلمة تركبة من الكاف واى بمعنى كم الخبرية ومحلها الرفع بالابتداء وقوله تعالى من قرية تمييز
لها وقوله تعالى هى اشد قوة من قريتك صفة لقرية كما ان قوله تعالى التى اخرجتك صفة لقريتك
وقد حذف عنها المضاف واجرى احكامه عليها كما يفصح عنه الخبر الذى هو قوله تعالى اهلكناهم اى
وكم من اهل قرية هم اشد قوة من اهل قريتك الذين كانوا سببا لخروجك من بينهم ووصف القرية
الاولى بشدة القوة للايذان باولوية الثانية منها بالاهلاك لضعف قوتها كما ان وصف الثانية
باخراجه عليه السلم للايذان باولويتها به لقوة جنايتها وعلى طريقة قول النابغة كليب لعمرى كان اكثر منها
وايسر جرما منك ضرح بالدم وقوله تعالى فلا ناصر لهم بيان لعدم خلاصهم من العذاب بواسطة
الاعوان والانصار اثر بيان عدم خلاصهم بانفسهم والفاء لترتيب ذكر ما بالغير على ذكر ما بالذات
وهو حكاية حال ماضية أفمن كان على بينة من ربه تقرير لتباين حالى غريقى المؤمنين والكافرين

فيرتقى ظه

الكافرين وكون الاولين فى اعلا عليين والاخرين فى اسفل سافلين وبيان لعلة ما لكل منهما من الحال
والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقد قرئ بدونها ومن عبارة عن المؤمن
المتمكين بادلة الدين وجعلها عبارة عن النبى عليه السلم او عنه وعن المؤمنين لاساعدة النظم
الكريم على ان الموازنة بينه عليه السلم وبينهم تمايأباه منصبه الجليل والتقدير ليس الامر كما ذكر
من كان مستقرا على حجة ظاهرة وبرهان نير من مالك امره ومربيه وهو القرآن الكريم وسائر
المعجزات والحج العقلية كمن زين له سوء عمله من الشرك وسائر المعاصى مع كونه فى نفسه اقبح
القبائح واتبعوا بسبب ذلك التزيين اهواءهم الزائغة وانهمكوا فى فنون الضلالات
من غير ان يكون لهم شبهة توهم صحة ما هم عليه فضلا عن حجة تدل عليها وجمع الضمير بن الاخرين
باعتبار معنى من كما ان افراد الاولين باعتبار لفظها مثل الجنة التى وعد المتقون استيناف
مسوق لشرح محاسن الجنة الموعودة انفا للمؤمنين وبيان كيفية انهارها التى اشير الى جريا
من تحتها وعبر عنهم بالمتقين ايذانا بان الايمان والعمل الصالح من باب التقوى الذى هو
عبارة عن فعل الواجبات باسرها وترك السيئات عن آخرها ومثلها وصفها العظيم الشان
وهو مبتدأ محذوف الخبر فقدره النضر بن شميل مثل الجنة كما تسمعون وقوله تعالى فيها انهار
الخ مفسر له وقدره سيبويه فيما يتلى عليكم مثل الجنة والاول هو الانسب بصدر النظم الكريم
وقيل المثل زايد كزيادة الاسم فى قول من قال الى الحول ثم اسم السلام عليكما والجنة مبتدأ
خبره فيها انهار الخ من ماء غير آسن اى غير متغير الطعم والرائحة وقرئ غير اسن وانهار
من لبن لم يتغير طعمه بان صار قارصا ولاحامضا كالبان الدنيا وانهار من خمر لذة
للشاربين لذيذة ليس فيها كراهة طعم وريح ولا غايلة سكر ولا خمار وانما هى تلذذ
محض ولذة اما تانيث لذ بمعنى لذيذ او مصدر وصفت به مبالغة وقرئ لذة بالرفع على
انه صفة انهار وبالنصب على العلة اى لاجل لذة الشاربين وانهار من عسل مصفى لا يخالطه
الشمع وفضلات النحل بخلاف عسل الدنيا وفى هذا التمثيل ما يجرى مجرى الاشارة فى الجنة بانواع ما يستطاب
منها ويستلذ فى الدنيا بالتخلية عما ينغصها وينقصها والتحلية بما يوجب غزارتها ودوامها
ولهم فيها مع ما ذكر من فنون الانهار من كل الثمرات اى صنف من كل الثمرات ومغفرة
اى ولهم مغفرة عظيمة لا يقادر قدرها وقوله تعالى من ربهم متعلق بمحذوف هو صفة لمغفرة
مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اى كائنة من ربهم وقوله تعالى
كمن هو خالد فى النار خبر لمبتدأ محذوف تقديره أمن هو خالد فى هذه الجنة حسما
جرى به الوعد كمن هو خالد فى النار كما ينطق به قوله تعالى والنار مثوى لهم وقيل هو خبر
لمثل الجنة على ان فى الكلام حذفا تقديره أمثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد فى النار او كحال
اهل الجنة كحال من هو خالد فى النار فرعى عن حرف الانكار وحذف ما لحذف تصويرا
لمكارة من يسوى بين المتمسك بالبينة وبين التابع للهوى بمكابرة من سوى بين الجنة
الموصوفة بما فصل من الصفات الجليلة وبين النار وسقوا ماء حميما مكان تلك الاشربة

فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ من فرط الحرارة قيل إذا دفئ منهم شوى وجوههم واغارت فروة رؤسهم فاذا
شربوه قطع امعاءهم وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ هم المنافقون واذا الضمير باعتبار لفظة
مَن كما ان جمعه فيما سيأتي باعتبار معناها كانوا يحضرون مجلس رسول الله عليه السلام فيسمعون
كلامه ولا يعونه ولا يراعونه حق رعايته تهاونا منهم حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا
الْعِلْمَ من الصحابة رضي الله عنهم مَاذَا قَالَ آنِفًا اي ما الذي قال الساعة على طريقة الاستهزاء
وان كان بصورة الاستعلام وآنفا من قولهم انف الشئ لما تقدم منه مستعار من الجارحة ومنه
استانف الشئ واتنف وهو ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا او حال من الضمير في قال وقرئ أَنِفًا
أُولَٰئِكَ الموصوفون بما ذكر الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ لعدم توجههم نحو الخير اصلا وَاتَّبَعُوا
أَهْوَاءَهُمْ الباطلة فلذلك فعلوا ما فعلوا مما لا خير فيه وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا الى طريق الحق زادهم
اي الله تعالى هُدًى بالتوفيق والالهام وَآتَاهُمْ تقويمهم اعانهم على تقواهم او اعطاهم جزاءها او
بين لهم ما يتقون فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ اي القيمة وقوله تعالى إِن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً اي تبا غتهم
بغتة وهي المفاجاة بدل اشتمال من الساعة والمعنى انهم لا يتذكرون بذكر احوال الامم
الخالية ولا بالاخبار باتيان الساعة وما فيها من عظايم الامور الآجلة وما ينتظرون للتذكر الا
اتيان نفس الساعة بغتة وقرئ بَغْتَةً بفتح الغين وقوله تعالى فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا تعليل
لمفاجاتها الاتيانها مطلقا على انه لم يبق من الامور الموجبة للتذكر امر مترقب ينتظرونه
سوى اتيان نفس الساعة اذ قد جاء اشراطها فلم يرفعوا لها راسا ولم يعدوها من مبادي
اتيانها فيكون اتيانها بطريق المفاجاة لا محالة والاشراط جمع شرط بالتحريك وهي العلامة
والمراد بها متعلقة عليه السلام والشقاق القمر ونحوهما وقوله تعالى فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ حكم
بخطائهم وصادر عن قصور رائهم في تاخير التذكر الى اتيانها ببيان استحالة نفع التذكر حينئذ كقوله
تعالى يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ اي وكيف لهم ذكراهم اذا جاءتهم على ان
أنى خبر مقدم وذكراهم مبتدا واذا جاءتهم اعتراض وسط بينهما نظرا الى غاية سرعة مجيئها
واطلاق المجئ عن قيد البغتة لما ان مدار استحالة نفع التذكر كونه عند مجيئه مطلقا لا
مقيدا بقيد البغتة وقرئ ان تاتهم على انه شرط مستانف جزاؤه فانى لهم الخ والمعنى
ان تاتهم الساعة بغتة لانه قد ظهر امارتها فكيف لهم تذكرهم وانتعاظهم اذا جاءتهم
فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ اي اذا علمت ان مدار السعادة هو التوحيد والطاعة
ومناط الشقاوة هو الاشراك والعصيان فاثبت على ما انت عليه من العلم بالوحدانية
والعمل بموجبه وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وهو الذي ربما يصدر عنه عليه السلام من ترك الاولى والاخر
عنه بالذنب نظرا الى منصبه الجليل كيف لا وحسنات الابرار سيئات المقربين وارشدا
له عليه السلام الى التواضع وهضم النفس واستغفار العمل وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ اي لذنوبهم
بالدعاء لهم وترغيبهم فيما يستدعي غفرانهم وفي اعادة صلة الاستغفار تنبيه على اختلاف
متعلقيه جنسا وفي حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اشعار بعراقتهم في الذنب

الذنب وفرط افتقارهم الى الاستغفار وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ في الدنيا فانهم راحل لا بد من قطعها لا محالة
وَمَثْوَاكُمْ في العقبى فانها موطن اقامتكم فلا يامركم الا بما هو خير لكم فيهما فبادروا الى الامتثال بما امركم به فانه
الهم لكم في المعاشين وقيل يعلم جميع احوالكم فلا يخفى عليه شئ منها وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا حرصا منهم على الجهاد
لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ اي هلا نزلت سورة تؤمر فيها بالجهاد فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ
بطريق الامر به اي سورة مبينة لا اشتباه ولا احتمال فيها لوجه آخر سوى وجوب القتال عن قتادة كل سورة فيها
ذكر القتال فهي محكمة لم تنسخ وقرئ وذكر على اسناد الفعل الى ضميره تعالى ونصب القتال رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي
قُلُوبِهِم مَّرَضٌ اي ضعف في الدين وقيل نفاق وهو الاظهر الاوفق لسياق النظم الكريم يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ
الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ اي تشخص ابصارهم جبنا وهلعا كدأب من اصابته غشية الموت فَأَوْلَىٰ لَهُمْ اي
ويل لهم وهو افعل من الولي وهو القرب وقيل من آل ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه او يؤول اليه امرهم
وقيل هو مشتق من الويل واصله اويل قلبت العين الى ما بعد اللام فوزنه افلع طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ
كلام مستانف اي امرهم طاعة الخ او طاعة وقول معروف خير لهم او حكاية لقولهم ويؤيده قراءة ابي تقولون طاعة
وقول معروف اي امرنا ذلك فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ اسند العزم وهو الجد في الامر وهو لاصحابه مجاز كما في قوله تعالى
ان ذلك من عزم الامور وعامل الظرف محذوف اي خالفوا وتخلفوا وقيل ناضوا وقيل كرهوا وقيل هو قوله تعالى
فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ على طريقة قولك اذا حضر طعام فلو جئتني لاطعمتك اي فلو صدقوه تعالى فيما قالوا من الكلام المبني عن
الحرص على الجهاد بالجري على موجبه لَكَانَ اي الصدق خَيْرًا لَّهُمْ وفيه دلالة على اشتراك الكل فيما حكي عنهم من قوله تعالى
لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ وقيل فلو صدقوه في الايمان وَأَطَاعُوهُ في ذلك لسرهم وايا ما كان فالمراد
بهم الذين في قلوبهم مرض وهم المخاطبون بقوله تعالى فَهَلْ عَسَيْتُمْ الخ بطريق الالتفات لتاكيد
التوبيخ وتشديد التقريع اي هل يتوقع منكم إِن تَوَلَّيْتُمْ امور الناس وتامرتم عليهم أَن تُفْسِدُوا فِي
الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ تفاخرا على الملك وتهالكا على الدنيا فان من شايد احوالكم
الدالة على الضعف في الدين والحرص على الدنيا حين امرتم بالجهاد الذي هو عبارة عن احراز
كل خير وصلاح ورفع كل شر وفساد وانتم مامورون شانكم الطاعة والقول المعروف
يتوقع منكم اذا اطلعت اعنتكم وصرتم آمرين بما ذكر من الافساد وقطع الارحام وقيل
ان اعرضتم عن الاسلام ان ترجعوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من الافساد في الارض بالتغاور
والتناهب وقطع الارحام بمقاتلة بعض الاقارب بعضا وَأُولَٰئِكَ اشارة الى المخاطبين بطريق
الالتفات للايذان بكمال سوء حالهم وتباين طريقهم لطريق المؤمنين وفيه ان الواقع
في حيز الشرط في مثل هذا المقام لا بد ان يكون محذورية باعتبار ما يستتبعه من المفاسد
لا باعتبار ذاته ولا ريب في ان الاعراض عن الاسلام راس كل شر وفساد فحقه ان يجعل
عمدة في التوبيخ لا وسيلة للتوبيخ بما دونه من المفاسد وقرئ وَلِّيتم على البناء للمفعول
اي جعلتم ولاة وقرئ تُوَلِّيتم اي تتولاكم ولاة جور خرجتم معه وساعدتموهم في الافساد وقطيعة
الرحم وقرئ وتقطعوا من التقطع بحذف احدى التاءين فانتصاب ارحامكم حينئذ على
نزع الخافض اي في ارحامكم وقرئ وَتَقَطَّعُوا من القطع والحاق الضمير بعسى لغة اهل الحجاز
وانما بنو تميم فيقولون عسى ان تفعل وعسى ان تفعلوا أُولَٰئِكَ اشارة الى المخاطبين بطريق

الالتفات ايذانا بان ذلك بهناتهم اوجب اسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية احوالهم
القطيعة لغيرهم وهو مبتداء خبره الذين لعنهم الله اى ابعدهم من رحمته فاصمهم عن استماع
الحق لتصامهم عنه بسوء اختيارهم واعمى ابصارهم لتعاميهم عما يشاهدونه من الآيات
المنصوبة فى الانفس والآفاق افلا يتدبرون القرآن اى الا يلاحظونه ولا يتصفحونه وما فيه
من المواعظ والزواجر حتى لا يقعوا فيما وقعوا فيه من الموبقات ام على قلوب اقفالها
فلا يكاد يصل اليها ذكر اصلا وام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من التوبيخ بعدم
التدبر الى التوبيخ بكون قلوبهم مقفلة لا تقبل التدبر والتفكر والهمزة للتقرير وتنكير القلوب
اما لتهويل حالها وتفظيع شانها بايهام شانها امرها فى القساوة والجهالة كانه قيل على
قلوب منكرة لا يعرف حالها ولا يقادر قدرها فى القساوة واما لان المراد بها قلوب بعض منهم
وهم المنافقون واضافة الاقفال اليها للدلالة على انها اقفال مخصوصة بها مناسبة لها
غير مجانسة لساير الاقفال المعهودة وقرئ اقفلها واقفالها على المصدر ان الذين ارتدوا
على ادبارهم اى رجعوا الى ما كانوا عليه من الكفر وهم المنافقون الذين وصفوا فيما سلف
بمرض القلوب وغيره من قبايح الافعال والاحوال فانهم قد كفروا به عليه السلم من بعد ما تبين
لهم الهدى بالدلايل الظاهرة والمعجزات القاهرة وقيل هم اليهود وقيل اهل الكتابين
جميعا كفروا به عليه السلم بعد ما وجدوا نعته فى كتابهم وعرفوا انه المنعوت بذلك وقوله تعالى
الشيطن سول لهم جملة من مبتداء وخبر وقعت خبرا لان اى سهل لهم ركوب العظام
من السول وهو الاسترخاء وقيل من السول المخفف من السول لاستمرار القلب فمعنى سول
له امرا حينئذ اوقعه فى امنيته فان السول الامنية وقرئ سول مبنيا للمفعول على حذف
المضاف اى كيد الشيطن واملى لهم ومد لهم فى الامانى والآمال وقيل امهلهم الله تعالى
ولم يعاجلهم بالعقوبة وقيل املى لهم على صيغة التكلم فالمعنى ان الشيطن يغويهم وانا
انظرهم فالواو للحال او للاستيناف وقرئ املى لهم على البناء للمفعول اى امهلوا ومد
فى عمرهم ذلك اشارة الى ما ذكر من ارتدادهم لا الى الاملاء كما نقل عن الواحدى ولا الى
التسويل كما قيل لان شيئا منهما ليس مسببا من القول الآتى وهو مبتداء خبره قوله تعالى بانهم
اى بسبب انهم قالوا يعنى المنافقين المذكورين لا اليهود الكافرين به عليه السلم بعد ما وجدوا
نعته فى التورية كما قيل فان كفرهم به ليس بسبب هذا القول ولو فرض صدوره عنهم كان
المقول لهم المنافقين او المشركين على راى القايل بل من حيث بعثته عم للذين كرهوا
ما نزل الله اى لليهود الكارهين لنزول القرآن على رسول الله عليه السلم مع علمهم بانه من عند الله
تعالى حسدا وطمعا فى نزوله عليهم لا للمشركين كما قيل فان قوله تعالى سنطيعكم فى بعض الامر عبارة
قطعا عما حكى عنهم بقوله تعالى الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل
الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم وهم بنوا
قريظة والنضير الذين كانوا يوالونهم ويوادونهم وارادوا بالبعض الذى اشارة

اشاروا الى عدم اطاعتهم فيه اظهار كفرهم واعلان امرهم بالفعل قبل قتالهم واخراجهم من ديارهم
فانهم كانوا يابون ذلك قبل مساس الحاجة الضرورية الداعية اليه لما كان لهم فى اظهار الايمان
من المنافع الدنيوية وانما كانوا يقولون لهم ما يقولون سرا كما يعرب عنه قوله تعالى والله يعلم
اسرارهم اى اخفاءهم لما يقولونه لليهود وقرئ اسرارهم التى اى جميع اسرارهم التى
من جملتها قولهم هذا والجملة اعتراض لما قبله متضمن للافشاء فى الدنيا والتعذيب فى
الآخرة والفاء فى قوله تعالى فكيف اذا توفتهم الملئكة لترتيب ما بعدها على ما قبلها وكيف
منصوب بفعل محذوف هو العامل فى الظرف كانه قيل يفعلون فى حياتهم ما يفعلون
من الحيل فكيف يفعلون اذا توفتهم الملئكة وقيل مرفوع على انه خبر لمبتداء محذوف
اى فكيف حالهم او حيلتهم اذا توفتهم الخ وقرئ توفاهم على انه اما ماض او مضارع
فقد حذف احدى تائيه يضربون وجوههم وادبارهم حال من فاعل توفاهم او من مفعوله
وهو تصوير لتوفيهم على اهول الوجوه وافظعها وعن ابن عباس رض لا يتوفى احد على معصية
الا يضرب الملئكة وجهه ودبره ذلك التوفى الهايل بانهم اى بسبب انهم اتبعوا ما اسخط
الله من الكفر والمعاصى وكرهوا رضوانه اى ما يرضاه من الايمان والطاعة حيث
كفروا بعد الايمان وخرجوا عن الطاعة بما صنعوا من المعاملة مع اليهود فاحبط لاجل
ذلك اعمالهم التى عملوها حال ايمانهم من الطاعات او بعد ذلك من اعمال البر التى لو عملوها
حال الايمان لانتفعوا بها ام حسب الذين فى قلوبهم مرض هم المنافقون الذين فصلت
احوالهم الشنيعة وصفوا بوصفهم السابق لكونه مدارا لما نعى عليهم بقوله تعالى ان لن يخرج
الله اضغانهم فام منقطعة وان مخففة من ان وضمير الشان الذى هو اسمها محذوف
ولن بما فى حيزها خبرها والاضغان جمع ضغن وهو الحقد اى بل احسب الذين فى قلوبهم
حقد وعداوة للمؤمنين انه لن يخرج الله احقادهم ولن يبرزها لرسوله عليه السلم وللمؤمنين
فيبقى امورهم مستورة والمعنى ان ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الاحتمال ولو نشاء
اراءتهم لاريناكهم لعرفناكم بدلايل تعرفهم باعيانهم معرفة متاخمة للرؤية والالتفات
الى نون العظمة لابراز العناية بالاراءة فلعرفتهم بسيماهم بعلامتهم التى تسمهم بها وعن
انس رض ما خفى على رسول الله عليه السلم بعد هذه الآية شئ من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم
ولقد كنا فى بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات
ليلة واصبحوا وعلى وجه كل واحد منهم مكتوب هذا منافق واللام لام الجواب كررت
فى المعطوف للتاكيد والفاء لترتيب المعرفة على الاراءة واما ما معنى قوله تعالى ولتعرفنهم
فى لحن القول فلجواب قسم محذوف ولحن القول نحوه واسلوبه او امالته الى جهة
تعريض وتورية ومنه قيل للمخطئ لاحن لعدله بالكلام عن سمت الصواب والله يعلم
اعمالكم فيجازيكم بحسب قصدكم وهذا وعد للمؤمنين وايذان بان حالهم بخلاف حال المنافقين
ولنبلونكم بالامر بالجهاد ونحوه من التكاليف الشاقة حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين

على مشاق الجهاد علما فعليا يتعلق به الجزاء وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ما يخبر به عن أعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها وقرئ
ويبلو بالياء وقرئ نبلو بسكون الواو على ونحن نبلو إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا الناس عَنْ
سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ وعادوه مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى بما شاهدوا نعته عليه السلم
في التوراة وبما ظهر على يديه من المعجزات ونزل عليه من الآيات وهم قريظة والنضير أو المطعمون
يوم بدر لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ بكفرهم وصدهم شَيْئًا من الأشياء أو شيئا من الضرر أو لن يضروا
رسول الله بمشاقته شيئا وقد حذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ
أي مكائدهم التي نصبوها في إبطال دينه تعالى ومشاقة رسوله عليه السلم فلا يصلون بها إلى ما كانوا
يبغون من الغوائل ولا تثمر لهم إلا القتل والجلاء عن أوطانهم يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله
وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم بما أبطل به هؤلاء أعمالهم من الكفر والنفاق والعجب والرياء
والمن والأذى ونحوها وليس فيه دليل إحباط الطاعات بالكبائر إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ
سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ حكم يعم كل من مات على الكفر وإن صح نزوله
في أصحاب القليب فَلَا تَهِنُوا أي لا تضعفوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ أي ولا تدعوا الكفار إلى الصلح
حذرا فإن ذلك إعطاء الدنية ويجوز أن يكون منصوبا بإضمار أن على جواب النهي وقرئ ولا تدعوا
من ادعى القوم بمعنى تداعوا نحو ارتموا الصيد وتراموه ومنه تراءوا الهلال فإن صيغة التفاعل قد
يراد بها صدور الفعل عن المتعدد من غير اعتبار وقوعه عليه ومنه قوله تعالى عم يتساءلون على
أحد الوجهين والفاء لترتيب النهي على ما سبق من الأمر بالطاعة وقوله تعالى وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ جملة
حالية مقررة لمعنى النهي مؤكدة لوجوب الانتهاء وكذا قوله تعالى وَاللَّهُ مَعَكُمْ فإن كونهم الأعلين وكونه
عز وعلا ناصرهم من أقوى موجبات الاجتناب عما يوهم الذل والضراعة وكذا توفيته تعالى لأجور
الأعمال حسبما يعرب عنه قوله تعالى وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ أي ولن يضيعها من وترت الرجل إذا قتلت له
قتيلا من ولد أو أخ أو حميم فأفردته منه من الوتر الذي هو الفرد عبر عن ترك الإثابة في مقابلة الأعمال
بالوتر الذي هو إضاعة شيء معتد به من الأنفس والأموال مع أن الأعمال غير موجبة للثواب على قاعدة
أهل السنة إبرازا لغاية اللطف بتصوير الثواب بصورة الحق المستحق وتنزيل ترك الإثابة منزلة
إضاعة أعظم الحقوق وإتلافها وقد مر في قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم
إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ لا ثبات لها ولا اعتداد بها وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ
أي ثواب إيمانكم وتقواكم من الباقيات الصالحات التي يتنافس فيها المتنافسون وَلَا يَسْأَلْكُمْ
أَمْوَالَكُمْ بحيث يخل أداؤها بمعاشكم وإنما اقتصر على نذر يسير منها هو ربع العشر تؤدونها إلى فقرائكم
إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا أي أموالكم فَيُحْفِكُمْ أي يجهدكم بطلب الكل فإن الإحفاء والإلحاف المبالغة
وبلوغ الغاية يقال أحفى شاربه إذا استأصله تَبْخَلُوا فلا تعطوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ
أي أحقادكم وضمير يخرج لله تعالى ويعضده القراءة بنون العظمة أو للبخل لأنه سبب الأضغان
وقرئ يخرج من الخروج بالياء والتاء مسندا إلى الأضغان هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ أي أنتم أيها المخاطبون
هؤلاء الموصوفون وقوله تعالى تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ استئناف مقرر لذلك أو صلة

أو صلة لهؤلاء على أنه بمعنى الذين أي هأنتم الذين تدعون ففيه توبيخ عظيم وتحقير من شأنهم
والإنفاق في سبيل الله يعم نفقة الغزو والزكوة وغيرهما فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ أي ناس يبخلون
وهو في حيز الدليل على الشرطية السابقة وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ فإن كلا من نفع
الإنفاق وضرر البخل عائد إليه والبخل يستعمل بعن وعلى لتضمنه معنى الإمساك والتعدي
وَاللَّهُ الْغَنِيُّ دون من عداه وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ فيما يأمركم به فهو لاحتياجكم إلى ما فيه من المنافع
فإن امتثلتم فلكم وإن توليتم فعليكم وقوله تعالى وَإِنْ تَتَوَلَّوْا عطف على إن تؤمنوا أي وإن تعرضوا
عن الإيمان والتقوى يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ يخلق مكانكم قوما آخرين ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ
في التولي عن الإيمان والتقوى بل يكونوا راغبين فيهما قيل هم الأنصار وقيل الملائكة وقيل
أهل فارس لما روي أنه عليه السلم سئل عن القوم وكان سلمان إلى جنبه فضرب على فخذه فقال
هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوطا لثريا لناله رجال من فارس وقيل كندة والنخع
وقيل العجم وقيل الروم عن رسول الله عليه السلم من قرأ سورة محمد كان حقا على الله عز وجل أن يسقيه من

انهار الجنة م

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فتح البلد عبارة عن الظفر به عنوة أو صلحا بحرب أو بدونه فإنه ما لم يظفر به
يغلق مأخوذ من فتح باب الدار وإسناده إلى نون العظمة لاستناد أفعال العباد إليه
تعالى خلقا وإيجادا والمراد به فتح مكة وهي المروي عن أنس رضي الله عنه بشر به رسول الله صلعم
عند انصرافه عن الحديبية والتعبير عنه بصيغة الماضي على سنن سائر الأخبار الربانية للإيذان
بتحققه لا محالة تأكيدا للتبشير كما أن تصدير الكلام بحرف التحقيق لذلك وفيه من الفخامة
المنبئة عن عظمة شأن المخبر جل جلاله وعز سلطانه ما لا يخفى وقيل هو ما أبيح له عليه السلم في تلك
السنة من فتح خيبر وهو المروي عن مجاهد وقيل هو صلح الحديبية فإنه وإن لم يكن فيه
حراب شديد بل ترام بين الفريقين بسهام وحجارة لكن لما كان الظهور للمسلمين حيث
سألهم المشركون الصلح كان فتحا بلا ريب وروي عن ابن عباس رموا المشركين حتى أدخلوهم
ديارهم وعن الكلبي ظهروا عليهم حتى سألوا الصلح وقد روي أنه عليه السلم حين بلغه أن رجلا
قال ما هذا بفتح لقد صدونا عن البيت وصد هدينا فقال بل أعظم الفتوح وقد رضي المشركون
أن يدفعوكم بالراح ويسألوكم القضية ويرغبوا إليكم في الأمان وقد رأوا منكم ما يكرهون
وعن الشعبي نزلت بالحديبية وأصاب رسول الله عليه السلم في تلك الغزوة ما لم يصب
في غزوة حيث أصاب أن بويع بيعة الرضوان وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وبلغ الهدي
محله وأطعموا نخل خيبر وظهرت الروم على فارس ففرح به المسلمون وكان في فتح الحديبية
آية عظيمة هي أنه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وقيل فجاش الماء حتى امتلأت
ولم ينفد ماؤها بعد وقيل هو جميع ما فتح له عليه السلم من الفتوح وقيل هو ما فتح الله له عم

من الاسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيف ولا فتح ابين منه واعظم وهو راس الفتوح كافة
اذ لا فتح من فتوح الاسلام الا وهو شعبة من شعبه وفرع من فروعه وقيل الفتح بمعنى
القضاء ومنه الفتاحة للحكومة والمعنى قضينا لك على اهل مكة ان تدخلها من قابل
وهو المروي عن قتادة وايا ما كان فحذف المفعول للقصد الى نفس الفعل والايذان
بان مناط التبشير نفس الفتح الصادر عنه سبحانه لا خصوصية المفتوح فتحا
مبينا ليغفرك الله غاية للفتح من حيث انه مترتب على سعيه عليه الكم في اعلاء
كلمة الله تعالى بمكابدة مشاق الحروب واقتحام موارد الخطوب والالتفات
الى اسم الذات المستتبع لجميع الصفات للاشعار بان كلا واحد مما انتظم في
سلك الغاية من افعاله تعالى صادر عنه تعالى من حيثية غير حيثية الآخر مترتبة على
صفة من صفاته تعالى ما تقدم من ذنبك وما تاخر اي جميع ما فرط منك من
ترك الاولى وتسميته ذنبا بالنظر الى منصبه الجليل ويتم نعمته عليك باعلاء الدين
وضم الملك الى النبوة وغيرهما مما افاضه عليه من النعم الدينية والدنيوية ويهديك
صراطا مستقيما في تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة واصل الاستقامة
وان كانت حاصلة قبل الفتح لكن حصل بعد ذلك من اتضاح سبل الحق و
استقامة مناهجه ما لم يكن حاصلا قبل وينصرك الله اظهارا لاسم الجليل لكونه
خاتمة الغايات ولاظهار كمال العناية بشان النصر كما يعرب تاكيده بقوله تع
نصرا عزيزا اي نصرا فيه عزة ومنعة او قويا منيعا على وصف المصدر بوصف صاحبه
مجاز للمبالغة او عزيز اصاحبه هو الذي انزل السكينة بيان لما افاض عليهم من
مبادي الفتح من الثبات والطمانينة اي انزلها في قلوب المؤمنين بسبب الصلح
والامن اظهارا لفضله تعالى عليهم بتيسير الامن بعد الخوف ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم
اي يقينا منضما الى يقينهم او انزل فيها السكون الى ما جاء به عليه السلم من الشرايع ليزدادوا
ايمانا بها مقرونا مع ايمانهم بالوحدانية واليوم الآخر عن ابن عباس رض ان اول
ما انا هم به النبي عم التوحيد ثم الصلوة والزكوة ثم الحج والجهاد فازدادوا ايمانا
مع ايمانهم او انزل فيها الوقار والعظمة لله ولرسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك
ايمانا الى ايمانهم ولله جنود السموات والارض يدبر امرها كيفما يريد يسلط بعضها
على بعض تارة ويوقع بينهما السلم اخرى حسبما يقتضيه مشيته المبنية على
الحكم والمصالح وكان الله عليما مبالغا في العلم بجميع الامور حكيما في تقديره
وتدبيره وقوله تع ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها متعلق بما يدل عليه ما ذكر من كون جنود السموات
والارض له تعالى من معنى التصرف والتدبير اي دبر ما دبر من تسليط المؤمنين
ليعرفوا نعمة الله في ذلك ويشكروها فيدخلهم الجنة ويكفر عنهم سياتهم اي يغطيها

يعني ظاهر الامر مكشوف
انحال او فار قا بين الحق
والباطل وقوله تعالى صح

وكانا يظهرها وتقديم الادخال في الذكر على التكفير مع ان الترتيب في الوجود على العكس
للمسارعة الى بيان ما هو المطلب الاعلى وكان ذلك اي ما ذكر من الادخال والتكفير عند
الله فوزا عظيما لا يقادر قدره لانه منتهى ما يمتد اليه اعناق الامم من جلب نفع
ودفع ضر وعند الله حال من فوزا لانه صفته في الاصل فلما قدم عليه صار حالا
اي كائنا عند الله اي في علمه وقضائه او الحملة اعتراض مقرر لما قبله ويعذب المنافقين
والمنافقات والمشركين والمشركات عطف على يدخل وفي تقديم المنافقين على
المشركين ما لا يخفى من الدلالة على انهم احق منهم بالعذاب الظانين بالله ظن
السوء اي ظن الامر السوء وهو ان لا ينصر رسوله والمؤمنين فهو حالهم ودابر
عليهم ودئ دايرة السوء بالضم وهما لغتان من شاء كالكره والكره خلاف المفتوح
غلب في ان يضاف اليه ما يراد ذمه من كل شئ واما المضموم فجار مجرى الشر وغضب
الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم عطف لما استحق في الآخرة على ما استوجبوه
في الدنيا والواوان الاخيرتان مع ايهما حتمها العار المفيدة لسببية ما قبلهما لما بعدها
للايذان باستقلال كل منهما في الوعيد واصالة من غير اعتبار استتباع بعضهما
لبعض وساءت مصيرا اي جهنم ولله جنود السموات والارض وكان الله
عزيزا حكيما اعادة لما سبق قالوا فايدها التنبيه على ان لله جنود الرحمة
وهو جنود العذاب وان المراد بها جنود العذاب كما ينبئ عنه التعرض لوصف
العزة انا ارسلناك شاهدا اي على امتك بقوله تعا ويكون الرسول عليكم شهيدا
ومبشرا على الطاعة ونذيرا على المعصية لتؤمنوا بالله ورسوله الخطاب للنبي
عليه السلم ولامته وتعزروه وتعزروه وتقووه بتقوية دينه ورسوله وتوقروه وتعظموه
وتنزهوه وتصلوا له من التسبيحة بكرة واصيلا غدوة وعشيا عن ابن عباس
صلوة الفجر وصلوة الظهر وصلوة العصر وقرئ الافعال الاربعة بالياء التحتانية
وقرئ وتعزروه بضم التاء وتخفيف الزاء المكسورة وقرئ بفتح التاء
وضم الزاء وكسرها وتعزروه بنايين وتوقروه من اوقره بمعنى وقره ان الذين
يبايعونك اي على قتال قريش تحت الشجرة وقوله تع انما يبايعون الله يعني ان
مبايعتك هي مبايعة الله عز وجل لان المقصود توثيق العهد بمراعاة اوامره ونواهيه
وقوله تعالى يد الله فوق ايديهم حال او استيناف مؤكد له على طريق التخييل والمعنى
ان عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله تعالى من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى
من يطع الرسول فقد اطاع الله وقرئ انما يبايعون بيته اي لاجله ولوجهه فمن نكث
فانما ينكث على نفسه اي فمن نقض عهده فانما يعود ضرر نكثه على نفسه وقرئ بكسر
الكاف ومن اوفى بما عاهد عليه الله بضم الهاء فانه ابقى بعد حذف الواو وتوسلا بذلك الى تفخيم
لام الجلالة وقرئ بكسرها اي ومن وفى بعهده فسيؤتيه اجرا عظيما هو الجنة وقرئ بما عهد

هيه
يد الله فوق ايديهم
الله تعالى لبيك مضرتك يدي انك
طاعتك اولاك يدك فوق يدي
در

وقرئ فسنؤتيه بنون العظمة سيقول لك المخلفون من الاعراب هم اعراب غفار ومزينة وجهينة
واشجع واسلم والديل تخلفوا عن رسول الله صلعم حين استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل
البوادي ليخرجوا معه عند ارادته المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب
او يصدوه عن البيت واحرم عليه السلم وساق معه الهدي ليعلم انه لا يريد الحرب وتثاقلوا عن الخروج
وقالوا تذهب الى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه فنقاتلهم فاوحى الله تعالى اليه عم
بانهم سيعتلون ويقولون شغلتنا اموالنا واهلونا ولم يكن لنا من يخلفنا فيهم ويقوم بمصالحهم
ويحميهم من الضياع وقرئ شغلتنا بالتشديد للتكثير فاستغفر لنا الله تعالى ليغفر لنا تخلفنا عنك
حيث لم يكن ذلك باختيار بل عن اضطرار يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم بدل من سيقول
او استيناف لتكذيبهم في الاعتذار والاستغفار قل ردا لهم عند اعتذارهم اليك باباطيلهم فمن يملك
لكم من الله شيئا اي فمن يقدر لاجلكم مشية الله تعالى وقضاه على شيء من النفع ان اراد بكم ضرا
اي ما يضركم من هلاك الاهل والمال وضياعهما حتى تتخلفوا عن الخروج لحفظهما ودفع الضرر عنهما وقرئ
ضرا بالضم او اراد بكم نفعا اي ومن يقدر على شيء من الضرر ان اراد بكم ما ينفعكم من حفظ اموالكم
واهليكم فاي حاجة الى التخلف لاجل القيام بحفظهما وهذا تحقيق للحق ورد لهم بموجب ظاهر مقالتهم الكاذبة
وتعميم الضر والنفع لما يتوقع على تقدير الخروج من القتل والهزيمة والظفر والغنيمة يرده قوله تعالى بل
كان الله بما تعملون خبيرا فانه اضراب عما قالوا وبيان لكذبه بعد بيان فساده على تقدير صدقه
اي ليس الامر كما تقولون بل كان الله خبيرا بجميع ما تعملون من الاعمال التي من جملتها تخلفكم وما هو من
مباديه وقوله تعالى بل ظننتم الخ بدل من كان الله الخ مفسر لما فيه من الابهام اي بل ظننتم ان لن ينقلب
الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا بان يستاصلهم المشركون بالمرة فخشيتم ان كنتم معهم ان
يصيبكم ما اصابهم فلاجل ذلك تخلفتم لا لما ذكرتم من المعاذير الباطلة والاهلون جمع اهل وقد يجمع على
اهلات كارضات على تقدير تاء التانيث واما الاهالي فاسم جمع كالليالي وقرئ الى اهلهم وزين ذلك
في قلوبكم وقبلتموه واشتغلتم بشان انفسكم غير مبالين بهم وقرئ زين على البناء للفاعل باسناده
الى الله سبحانه او الى الشيطان وظننتم ظن السوء المراد به اما الظن الاول والتكرير لتشديد التوبيخ
والتسجيل عليه بالسوء او ما يعمه وغيره من الظنون الفاسدة التي من جملتها الظن بعدم صحة رسالته
عليه السلم فان الجازم بصحتها لا يحوم حول فكره ما ذكر من الاستيصال وكنتم قوما بورا اي هالكين عند الله
مستوجبين لسخطه وعقابه على انه جمع باير كعائذ وعوذ او فاسدين في انفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير
فيكم وقيل البور من بار كالهلك من هلك بناء ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
ومن لم يؤمن بالله ورسوله كلام مبتدا من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن مقرر لبوارهم ومبين
لكيفيته اي ومن لم يؤمن بهما كداب هؤلاء المخلفون فانا اعتدنا للكافرين سعيرا اي لهم وانما وضع موضع
الضمير الكافرون ايذانا بان من لم يجمع بين الايمان بالله وبرسوله فهو كافر وانه مستوجب للسعير بكفره وتنكير
سعيرا للتهويل او لانها نار مخصوصة ولله ملك السموات والارض وما فيهما يتصرف في الكل كيف يشاء
يغفر لمن يشاء ان يغفر له ويعذب من يشاء ان يعذبه من غير دخل لاحد في شيء منهما وجودا وعدما لا فيه

فيه حسم لاطماعهم الفارغة في استغفاره عليه السلم لهم وكان الله غفورا رحيما مبالغا في المغفرة والرحمة لمن يشاء
ولا يشاء الا لمن يقتضي الحكمة مغفرته ممن يؤمن بالله ورسوله واما من عداه من الكافرين فهو بمعزل من ذلك
قطعا سيقول المخلفون اي المذكورون وقوله تعالى اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها ظرف لما قبله لا شرط
لما بعده اي سيقولون عند انطلاقكم الى مغانم خيبر لتحوزوها حسبما وعدكم اياها وخصكم بها عوضا مما فاتكم
من غنائم مكة ذرونا نتبعكم لخيبر ونشهد معكم قتال اهلها يريدون ان يبدلوا كلام الله بان يشاركوا
في الغنائم التي خصها باهل الحديبية فانه عليه السلم رجع من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست واقام
بالمدينة بقيتها واوايل المحرم من سنة سبع ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة فخصها
بهم حسبما امره الله عز وجل وقرئ كلم الله وهو جمع كلمة واياما كان فالمراد ما ذكر من وعده تعالى غنائم خيبر
لاهل الحديبية خاصة لا قوله تعالى لن تخرجوا معي ابدا فان ذلك في غزوة تبوك قل اقناطا لهم لن تتبعونا اي
لا تتبعونا فانه نفي في معنى النهي للمبالغة كذلكم قال الله من قبل اي عند الانصراف من الحديبية فسيقولون
للمؤمنين عند سماع هذا النهي بل تحسدوننا اي ليس ذلك النهي حكم الله بل تحسدوننا ان نشارككم في الغنائم
وقرئ تحسدوننا بكسر السين وقوله تعالى بل كانوا لا يفقهون اي لا يفهمون الا قليلا اي الا فهما قليلا وهو
فطنتهم لامور الدنيا رد لقولهم الباطل ووصف لهم بما هو اعظم من الحسد واطم من الجهل المفرط وسوء
الفهم في امور الدين قل للمخلفين من الاعراب كرر ذكرهم بهذا العنوان مبالغة في ذمهم ستدعون الى
قوم اولي باس شديد هم بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب او غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم او المشركين لقوله تعالى تقاتلونهم او يسلمون اي يكون احد الامرين اما المقاتلة ابدا او الاسلام
لا غير كما يفصح عنه قراءة او يسلموا واما من عداهم فينتهي قتالهم بالجزية كما ينتهي بالاسلام وفيه دليل على
امامة ابي بكر رض اذ لم يتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح انهم ثقيف وهوازن فان ذلك كان في عهد
النبوة فيخص دوام نفي الاتباع بما في غزوة خيبر كما قاله محي السنة وقيل هم فارس والروم ومعنى يسلمون
ينقادون فان الروم نصارى وفارس مجوس يقبل منهم الجزية فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا هو الغنيمة
في الدنيا والجنة في الآخرة وان تتولوا عن الدعوة كما توليتم من قبل في الحديبية يعذبكم عذابا اليما
لتضاعف جرمكم ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج اي في التخلف عن الغزو
ولما بهم من العذر والعاهة فان التكليف يدور على الاستطاعة في نفي الحرج عن كل من الطوائف المعدودة
مزيد اعتناء بامرهم وتوسيع لدايرة الرخصة ومن يطع الله ورسوله فيما ذكر من الاوامر والنواهي يدخله
جنات تجري من تحتها الانهار وقرئ ندخله بنون العظمة ومن يتول اي عن الطاعة يعذبه وقرئ بالنون
عذابا اليما لا يقادر قدره لقد رضي الله عن المؤمنين هم الذين ذكر شان مبايعتهم وبهذه الآية سميت بيعة
الرضوان وقوله تعالى اذ يبايعونك تحت الشجرة منصوب برضي وصيغة المضارع لاستحضار
صورتها وتحت الشجرة متعلق به او بمحذوف هو حال من مفعوله روي انه عليه السلم لما نزل الحديبية
بعث جواس بن امية الخزاعي رسولا الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فرجع فبعث عثمان بن عفان رض
فاخبرهم انه عليه السلم لم يات لحرب وانما جاز ايرا لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه وقالوا ان شئت ان تطوف
بالبيت فافعل فقال ما كنت لاطوف قبل ان يطوف رسول الله عليه السلم واحتبس عنهم فارجف بانهم قتلوه

فقال عليه السلم لا نبرح حتى نناجز القوم ودعى الناس الى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة
وقيل سدرة على ان يقاتلوا قريشا ولا يفروا وروى على الموت دونه وان لا يفروا فقال لهم
رسول الله عليه السلم انتم اليوم خير اهل الارض وكانوا الفا وخمسمائة وخمسة وعشرين وقيل
الفا واربعمائة وقيل الفا وثلثمائة وقوله تعالى فعلم ما في قلوبهم عطف على يبايعونك لما
عرفت من انه بمعنى بايعوك لا على رضى فان رضاه تعالى عنهم مترتب على علمه تعالى بما في قلوبهم من
والاخلاص عند مبايعتهم له عليه السلم وقوله تعالى فانزل السكينة عليهم عطف على رضى اى فانزل
عليهم الطمانينة والامن وسكون النفس بالربط على قلوبهم وقيل بالصلح واثابهم فتحا قريبا
هو فتح خيبر غب انصرافهم من الحديبية كما مر تفصيله وقرئ لاتاهم ومغانم كثيرة تاخذونها
اى مغانم خيبر والالتفات الى الخطاب لتشريفهم في مقام الامتنان وكان الله عزيزا غالبا حكيما
مراعيا لمقتضى الحكمة في احكامه وقضاياه وعدكم الله مغانم كثيرة هي ما يفيئه على المؤمنين الى
يوم القيمة تاخذونها في اوقاتها المقدرة لكل واحدة منها فعجل لكم هذه اى غنايم خيبر وكف
ايدي الناس عنكم اى ايدي اهل خيبر وحلفائهم من بني اسد وغطفان حيث جاؤا لنصرتهم فقذف الله
في قلوبهم الرعب فنكصوا وقيل ايدي اهل مكة بالصلح ولتكون اية للمؤمنين امارة يعرفون بها صدق
الرسول عليه السلم في وعده اياهم عند رجوعه من الحديبية ما ذكر من الغنايم وفتح مكة ودخول المسجد الحرام واللام
متعلقة اما بمحذوف مؤخر اى ولتكون اية لهم فعل ما فعل من التعجيل والكف او بما تعلق به علة
اخرى محذوفة من احد الفعلين اى فعجل لكم هذا وكف ايدي الناس عنكم لتغنموها ولتكون الخ
قالوا وعلى الاول اعترضته وعلى الثانية عاطفة ويهديكم بتلك الاية صراطا مستقيما
هو الثقة بفضل الله تعالى والتوكل عليه في كل ما تاتون وما تذرون واخرى عطف على هذه
اى فعجل لكم هذه المغانم ومغانم اخرى لم تقدروا عليها وهي مغانم هوازن في غزوة
حنين ووصفها بعدم القدرة عليها لما كان فيها من الجوان قبل ذلك لزيادة ترغيبهم
فيها وقوله تعالى قد احاط الله بها صفة اخرى لاخرى ومقدرة لسهولة تاتيها بالنسبة
الى قدرته تعالى بعد بيان صعوبة منالها بالنظر الى قدرتهم اى قد قدر الله عليها واستولى واظهركم
عليها وقيل حفظها لكم ومنعها من غيركم هذا وقد قيل ان اخرى منصوب بمضمر يفسره قد احاط
الله بها اى وقضى الله اخرى ولا ريب في ان الاخبار بقضاء الله اياها بعد اندراجها
في جملة المغانم الموعودة بقوله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها ليس فيه مزيد فايدة وانما
الفايدة في بيان تعجيلها وكان الله على كل شيء قديرا لان قدرته تعالى ذاتية لا تختص
بشيء دون شيء ولو قاتلكم الذين كفروا اى اهل مكة ولم يصالحوكم وقيل حلفاء خيبر لولوا
الادبار منهزمين ثم لا يجدون وليا يحرسهم ولا نصيرا ينصرهم سنة الله التي قد
خلت من قبل اى سن الله عليه انبياءه سنة قديمة فيمن مضى من الامم ولن تجد
لسنة الله تبديلا اى تغييرا وهو الذي كف ايديهم اى ايدي كفار مكة عنكم وايديكم عنهم
ببطن مكة اى في داخلها من بعد ان اظفركم عليهم وذلك ان عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسمائة الى

فعجل ساه

الى الحديبية فبعث رسول الله عليه السلم خالد بن الوليد على جنده فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل
كان يوم الفتح وبه استشهد ابو حنيفة رح على ان مكة فتحت عنوة لا صلحا وكان الله بما تعملون من مقاتلتهم
وهزمهم اولا والكف عنهم ثانيا لتعظيم بيته الحرام وقرئ بالياء بصيرا فيجازيكم بذلك او يجازيهم هم الذين
كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي بالنصب عطفا على الضمير المنصوب في صدوكم وقرئ بالجر
عطفا على المسجد بحذف المضاف اى ونحر الهدي وبالرفع على وصد الهدي وقوله تعالى معكوفا حال من
الهدي اى محبوسا وقوله تعالى ان يبلغ محله بدل اشتمال من الهدي او منصوب بنزع الخافض اى محبوسا
من ان يبلغ مكانه الذي يحل فيه نحره وبه استدل ابو حنيفة رح ان المحصر محل هديه الحرم قالوا بعض
الحديبية من الحرم وروى ان خيامه عليه السلم كانت في الحل ومصلاه في الحرم وهناك نحرت هداياه عم
والمراد صدها عن محلها المعهود الذي هو منى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم
لم تعرفوهم باعيانهم لاختلاطهم وهو صفة لرجال ونساء وقوله تعالى ان تطؤوهم اى توقعوا بهم وتهلكوهم
بدل اشتمال منهم او من الضمير المنصوب في تعلموهم فتصيبكم منهم اى من جهتهم معرة اى مشقة ومكروه كوجوب
الدية او الكفارة بقتلهم والتاسف عليهم وتعيير الكفار وسوء قالتهم والاثم بالتقصير في البحث عنهم
وهي مفعلة من عره اذا عراه ودهاه ما يكرهه بغير علم متعلق بان تطؤوهم اى غير عالمين بهم وجواب لولا
محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لو كراهة ان تهلكوا ناسا مؤمنين بين الكافرين غير عالمين بهم
فيصيبهم بذلك مكروه لما كف ايديكم عنهم وقوله تعالى ليدخل الله في رحمته متعلق بما يدل عليه الجواب المحذوف
كانه قيل عقيبه لكن كفها عنهم ليدخل بذلك الكف المؤدي الى الفتح بلا محذور في رحمته الواسعة بقسميها
من يشاء وهم المؤمنون فانهم كانوا خارجين من الرحمة الدنيوية التي من جملتها الامن المستضعفين
تحت ايدي الكفرة واما الرحمة الاخروية فهم وان كانوا غير محرومين منها بالمرة لكنهم كانوا قاصرين في اقامة
مراسم العبادة كما ينبغي فتوفيقهم لاقامتها على الوجه الاتم ادخال لهم في الرحمة الاخروية وقد جوز ان يكون من
يشاء عبارة عمن رغب في الاسلام من المشركين ويأباه قوله تعالى لو تزيلوا الخ فان فرض التزيل وترتيب
التعذيب عليه يقتضي تحقق المباينة بين الفريقين بالايمان والكفر قبل التزيل حتما اى لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض
وقرئ لو تزايلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما بقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم والجملة مستانفة
مقررة لما قبلها اذ جعل الذين كفروا منصوب باذكر على المفعولية او بعذبنا على الظرفية وقيل بمضمر هو احسن
الله اليكم واياما كان فوضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز الصلة وتعليل الحكم به والجعل اما بمعنى
الالقاء فقوله تعالى في قلوبهم الحمية اى الانفة والتكبر متعلق به او بمعنى التصيير فهو متعلق بمحذوف هو
مفعول ثان له اى جعلوها ثابتة راسخة في قلوبهم حمية الجاهلية بدل من الحمية اى حمية الملة الجاهلية او
الحمية الناشئة من الجاهلية وقوله تعالى فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين على الاول عطف
على جعل والمراد تذكير حسن صنيع الرسول عليه السلم والمؤمنين بتوفيق الله تعالى وسوء صنيع الكفرة
وعلى الثاني على ما يدل عليه الجملة الامتناعية كانه قيل لم يتزيلوا فلم نعذب فانزل الخ وعلى الثالث على المضمر تفسير له
والسكينة الثبات والوقار يروى ان رسول الله عليه السلم لما نزل الحديبية بعث قريش سهيل بن عمرو القرشي
وحويطب ابن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الاحنف على ان يعرضوا على النبي عليه السلم ان يرجع من عامه

ذلك على ان تخلي له قريش مكة من العام القابل ثلثة ايام ففعل ذلك وكتب بينهم كتابا فقال
عليه السلم لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف ما هذا اكتب
باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح رسول الله عليه السلم اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك
رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال
عليه السلم اكتب ما يريدون فهم المؤمنون ان يأبوا ذلك ويبطشوا بهم فانزل الله السكينة عليهم
فتوقروا وحلموا **وألزمهم كلمة التقوى** اي كلمة الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم
او محمد رسول الله وقيل كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد والثبات عليه واضافتها الى
التقوى لانها سبب التقوى واساسها او كلمة اهلها **وكانوا احق بها** متصفين
بمزيد استحقاق لها على ان صيغة التفضيل للزيادة مطلقا وقيل احق بها من الكفار
واهلها اي المستهل لها لها **وكان الله بكل شيء عليما** فيعلم حق كل شيء فيسوقه
الى مستحقه **لقد صدق الله رسوله الرؤيا** اي رسول الله عليه السلم قبل خروجه الى الحديبية
كانه واصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا رؤسهم وقصروا فقص الرؤيا على
على اصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا انهم داخلوها في عامهم فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن ابي
وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحارث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام
فنزلت اي صدقه عليه السلم في رؤياه كما في قولهم صدقني سن بكره وتحقيقه اراه الرؤيا
الصادقة وقوله تعالى **بالحق** اما صفة لمصدر مؤكد محذوف اي صدقا ملتبسا بالحق اي بالغرض
الصحيح والحكمة البالغة التي هي التمييز بين الراسخ في الايمان والمتزلزل فيه او حال من الرؤيا اي
ملتبسة بالحق ليست من قبيل اضغاث الاحلام وقد جوز ان يكون قسما بالحق الذي هو من
اسماء الله تعالى او بنقيض الباطل وقوله تعالى **لتدخلن المسجد الحرام** جوابه وهو على الاولين
جواب قسم محذوف اي والله لتدخلن الخ وقوله تعالى **ان شاء الله** تعليق للعدة بالمشية
لتعليم العباد او للاشعار بان بعضهم لا يدخلونه لموت او غيبة او غير ذلك او هي حكاية لما
قاله ملك الرؤيا لرسول الله عليه وسلم او لما قاله عليه السلم لاصحابه **آمنين** حال من فاعل لتدخلن و
الشرط معترض وكذا قوله تعالى **محلقين رؤسكم ومقصرين** اي محلقا بعضكم ومقصرا آخرون وقيل
محلقين حال من ضمير آمنين فتكون متداخلة **لا تخافون** حال مؤكدة من فاعل لتدخلن او
آمنين او محلقين او مقصرين او استيناف اي لا تخافون بعد ذلك **فعلم ما لم تعلموا**
عطف على صدق والمراد بعلمه تعالى العلم الفعلي المتعلق بامر حادث بعد المعطوف
عليه اي فعلم عقيب ما اراه الرؤيا بعلمه الصادقة ما لم تعلموا من الحكمة الداعية الى تقديم ما يشهد
علما فعليا **فجعل** لاجله **من دون ذلك** اي من دون تحقق مصداق ما اراه من دخول
المسجد الحرام آمنين الخ **فتحا قريبا** وهو فتح خيبر والمراد بجعله وعده وانجازه من غير
تسويف ليستدل به على صدق الرؤيا حسبما قال ولتكون آية للمؤمنين واما جعل ما في قوله تعالى
لم تعلموا عبارة عن الحكمة في تأخير فتح مكة الى العام القابل كما جنح اليه الجمهور فيأباه الفاء فان علمه

فان علمه تعالى بذلك متقدم على اراءة الرؤيا قطعا **هو الذي ارسل رسوله بالهدى** اي ملتبسا به او بسببه
ولاجله **ودين الحق** وبدين الاسلام **ليظهره على الدين كله** ليعليه على جنس الدين بجميع افراده التي هي
الاديان المختلفة بنسخ ما كان حقا من بعض الاحكام المتبدلة بتبدل الاعصار واظهار بطلان ما كان
باطلا او بتسليط المسلمين على اهل ساير الاديان اذ ما من اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه
فضل تأكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين على انه سبحانه سيفتح لهم من البلاد ويتيح لهم من
الغلبة على الاقاليم ما يستقلون اليه فتح مكة **وكفى بالله شهيدا** على ان ما وعده كاين لا محالة او على نبوته عليه السلم
باظهار المعجزات **محمد** خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى **رسول الله** بدل او بيان او نعت اي ذلك الرسول
المرسل بالهدى ودين الحق محمد رسول الله وقيل محمد مبتدأ رسول الله خبره والجملة مبينة للمشهود به وقوله تعالى
والذين معه مبتدأ خبره **اشداء على الكفار رحماء بينهم** واشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى
انهم يظهرون لمن خالف دينهم الشدة والصلابة ولمن وافقهم في الدين الرحمة والرأفة كقوله تعالى اذلة على
المؤمنين اعزة على الكافرين وقرئ اشداء ورحماء بالنصب على المدح او على الحال من المستكن في معه لوقوعه صلة
فالخبر حينئذ قوله تعالى **تراهم ركعا سجدا** اي تشاهدهم حال كونهم راكعين ساجدين لمواظبتهم على الصلوة
وهو على الاول خبر آخر او استيناف وقوله تعالى **يبتغون فضلا من الله ورضوانا** اي ثوابا ورضى اما خبر آخر
او حال من ضمير تراهم او من المستتر في ركعا سجدا او استيناف مبني على سؤال نشأ من بيان مواظبتهم على
الركوع والسجود كانه ماذا يريدون بذلك فقيل يبتغون فضلا من الله الخ **سيماهم** اي سمتهم وقرئ سيماؤهم
بالياء بعد الميم والمد وهما لغتان وفيها لغة ثالثة هي السيما بالمد وهو مبتدأ خبره **في وجوههم** اي في جباههم
وقوله تعالى **من اثر السجود** حال من اثر السجود المستكن في الجار اي من التأثير الذي يؤثره كثرة السجود وما
روي عن النبي عليه السلم من قوله لا تقلبوا صوركم اي لا تسموها انما هو فيما اذا اعتمد بجبهته على الارض ليحدث فيها
تلك الارض السمة وذلك محض رياء ونفاق والكلام فيما حدث في جبهة السجاد الذي لا يسجد الا خالصا
لوجه الله عز وجل **وكان الامام زين العابدين وعلي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنهم** يقال لهما ذو الثفنات
لما احدث كثرة سجودهما في مواقعه منهما اشباه ثفنات البعير قال قائلهم ديار علي والحسين وجعفر وحمزة
والسجاد ذي الثفنات وقيل صفرة الوجه من خشية الله تعالى وقيل ندى الطهور وتراب الارض
وقيل استنارة وجوههم من طول ما صلوا بالليل قال عليه السلم من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار وقرئ
من آثار السجود ومن اثر السجود بكسر الهمزة **ذلك** اشارة الى ما ذكر من نعوتهم الجليلة وما فيه من معنى البعد
مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو شانه وبعلو منزلته في الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى **مثلهم**
اي وصفهم العجيب الشان الجاري في الغرابة مجرى الامثال وقوله تعالى **في التوراة** حال من مثلهم والعامل
معنى الاشارة وقوله تعالى **ومثلهم في الانجيل** عطف على مثلهم الاول كانه قيل ذلك مثلهم في التوراة والانجيل
وتكرير مثلهم لتأكيد غرابته وزيادة تقريرها وقوله تعالى **كزرع اخرج شطأه** الخ تمثيل مستأنف اي هم كزرع
اخرج فراخه وقيل هو تفسير لذلك على انه اشارة مبهمة وقيل خبر لقوله تعالى ومثلهم في الانجيل على ان الكلام
قد تم عند قوله تعالى مثلهم في التوراة وقرئ شطأه بفتحات وقرئ شطاه بفتح الطاء وتخفيف الهمزة
وشطاءه بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها الى ما قبلها وشطوه بقلبها واوا **فآزره** فقواه من المؤازرة

بمعنى المعاونة او من الايزار وهي الاعانة وقرئ فازره بالتخفيف وازره بالتشديد اي شد
ازره وقوله تعالى فاستغلظ فصار غليظا بعد ما كان دقيقا فاستوى على سوقه فاستقام على
قصبه جمع ساق وقرئ سؤقه بالهمزة يعجب الزراع بقوته وكثافته وغلظه وحسن منظره
وهو مثل ضربه الله عز وجل لاصحابه صلى الله عليه وسلم قلوا في بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا
فترقى امرهم يوما فيوما بحيث اعجب الناس وقيل مكتوب في الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات
الزرع يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقوله تعالى ليغيظ بهم الكفار علة لما يعرب
عنه الكلام من تشبيههم بالزرع في زكائه واستحكامه او لما بعده من قوله تعالى وعد الله الذين
آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما فان الكفار اذا سمعوا بما اعد للمؤمنين
في الآخرة مع ما لهم في الدنيا من العزة غاظهم ذلك اشد غيظ ومنهم للبيان عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة الفتح فكانما كان ممن شهد مع محمد صلى الله عليه وسلم فتح مكة

يا ايها الذين آمنوا تصدير الخطاب بالنداء لتنبيه المخاطبين على ان ما في حيزه امر خطير يستدعي
مزيد اعتنائهم بشانه وفرط اهتمامهم بتلقيه ومراعاته ووصفهم بالايمان لتنشيطهم والايذان بانه
داع الى المحافظة عليه ووازع من الاخلال به لا تقدموا اي لا تفعلوا التقديم على ان ترك
المفعول للقصد الى نفس الفعل من غير اعتبار تعلقه بامر من الامور على طريقة قولهم فلان يعطي ويمنع اي
يفعل الاعطاء والمنع او لا تقدموا امرا من الامور على ان حذف المفعول للقصد الى تعميمه والاول
اوفى بحق المقام لافادته النهي عن التلبس بنفس الفعل الموجب لانتفائه بالكلية المستلزم لانتفاء
تعلقه بمفعوله بالطريق البرهاني وقد جوز ان يكون التقديم بمعنى التقدم ومنه مقدمة الجيش
للجماعة المتقدمة ويعضده قراءة من قرأ لا تقدموا بحذف احدى التائين من تتقدموا وقرئ
لا تقدموا من القدوم وقوله تعالى بين يدي الله ورسوله مستعار مما بين الجهتين المسامتتين
ليدي الانسان تهجينا لما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا امرا قبل ان يحكما به وقيل المراد بين يدي
رسول الله وذكر الله تعالى لتعظيمه والايذان بجلالة محله عنده عز وجل قيل نزل فيما جرى بين
ابي بكر وعمر رضي الله عنهما لدى النبي عليه السلام في تامير الاقرع بن حابس او القعقاع بن معبد واتقوا
الله في كل ما تاتون وما تذرون من الاقوال والافعال التي من جملتها ما نحن فيه ان الله سميع
لاقوالكم عليم بافعالكم فمن حقه ان يتقى ويراقب يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم
فوق صوت النبي شروع في النهي عن التجاوز في كيفية القول عند النبي عليه السلام بعد النهي عن التجاوز
في نفس القول والفعل واعادة النداء مع قرب العهد به للمبالغة في الايقاظ والتنبيه والاشعار
باستقلال كل من الكلامين باستدعاء الاعتناء بشانه اي لا تبلغوا باصواتكم وراء حد يبلغه
عليه السلام بصوته وقرئ لا ترفعوا باصواتكم على ان الباء زائدة ولا تجهروا له بالقول اذا كلمتموه
كجهر بعضكم لبعض اي جهرا كائنا كالجهر الجاري فيما بينكم بل اجعلوا اصواتكم اخفض من صوته

فسميت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعا

اعادة النداء عليهم استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد وتحريك منهم لئلا يغفلوا عن تاملهم مدارك

لما نزلت هذه الآية ما كلم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ابو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما الا كاخي مدارك

صوته عليه السلام وتعهدوا في مخاطبته اللين القريب من الهمس كما هو الدأب عند مخاطبة المهيب
المعظم وحافظوا على مراعاة ابهة النبوة وجلالة مقدارها وقيل معنى لا تجهروا له بالقول
كجهر بعضكم لبعض لا تقولوا له يا محمد يا احمد وخاطبوه بالنبوة قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية
قال ابو بكر يا رسول الله والله لا اكلمك الا السرار او اخا السرار حتى القى الله وعن عمر رض
انه كان يكلمه عليه السلام لا يسمعه حتى يستفهم وكان ابو بكر رض اذا قدم على رسول الله عليه السلام
الوفود ارسل اليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويامرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله عليه السلام
وقوله تعالى ان تحبط اعمالكم اما علة للنهي اي لا تجهروا خشية ان تحبط كما في قوله تعالى يبين الله
لكم ان تضلوا او للنهي اي لا تجهروا لاجل الحبوط فان الجهر حيث كان بصدد الاداء الى
الحبوط فكانه فعل لاجله على طريقة التمثيل كقوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا وليس المراد بما نهي
عنه من الرفع والجهر ما يقارنه الاستخفاف والاستهانة فان ذلك كفر بل ما يتوهم ان يؤدي
اليه مما يجري بينهم في اثناء المحاورة من الرفع والجهر حسبما يعرب عنه قوله تعالى كجهر بعضكم لبعض
خلا ان رفع الصوت فوق صوته عليه السلام لما كان منكرا محضا لم يقيد بشيء ولا ما يقع منهما في حرب
او مجادلة معاند او ارهاب عدو او نحو ذلك وعن ابن عباس نزلت في ثابت بن
قيس بن شماس وكان في اذنه وقر وكان جهوري الصوت وربما كان يكلم رسول الله فيتأذى
بصوته وعن انس انه لما نزلت الآية قعد ثابت وتفقده عليه السلام فاخبر بشانه فدعاه فساله
يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الآية واني رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون عملي
قد حبط فقال له عليه السلام لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة
واما ما يروى عن الحسن من انها نزلت في بعض المنافقين الذين كانوا يرفعون اصواتهم
فوق صوته عليه السلام فقد قيل محمله ان نهيهم مندرج تحت نهي المؤمنين بدلالة النص وانتم
لا تشعرون حال من فاعل تحبط اي والحال انكم لا تشعرون بحبوطها وفيه مزيد تحذير مما نهوا
عنه وقوله تعالى ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله الخ ترغيب في الانتهاء عما نهوا
عنه بعد الترهيب عن الاخلال به اي ينخفضونها مراعاة للادب او خشية من مخالفة النهي
اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد مع قرب
العهد بالمشار اليه لما مر مرارا من تفخيم شانه وهو مبتدأ خبره الذين امتحن الله قلوبهم
للتقوى اي جربها للتقوى ومرنها عليها اي عرفها كائنة للتقوى خالصة للتقوى لها فان
الامتحان سبب المعرفة واللام صلة لمحذوف او للفعل باعتبار الاصل او ضرب قلوبهم
بضروب المحن والتكاليف الشاقة لاجل التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها او
اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه وميز ابريزه من خبثه وعن عمر رض اذهب
عنها الشهوات لهم في الآخرة مغفرة لذنوبهم واجر عظيم لا يقادر قدره والجملة اما خبر
آخر لان كالجملة المصدرة باسم الاشارة او استيناف لبيان جزائهم احمادا لحالهم وتعريضا
بسوء حال من ليس مثلهم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اي من خارجها من خلفها او قدامها

ومن ابتدائية دالة على ان المناداة نشأت من جهة الوراء وان المنادي داخل الحجرة لوجوب اختلاف المبدأ
والمنتهى بحسب الجهة بخلاف ما لو قيل ينادونك وراء الحجرات وقرئ الحُجُرات بفتح الجيم وسكونها وثلاثتها
جمع حجرة وهي القطعة من الارض المحجورة بالحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة وهي فعلة من الحجر بمعنى مفعول
كالغرفة والقبضة والمراد بها حجرات امهات المؤمنين ومناداتهم من ورائها اما بانهم اتوها حجرة فنادوه عليه السلم
من ورائها او بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له عليه السلم فناداه بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك
فاسند فعل الابعاض الى الكل وقد جوز ان يكونوا قد نادوه من وراء الحجرة التي كان عليه السلم فيها ولكنها
جمعت اجلالا له عم وقيل ان الذي ناداه عيينة بن حصن الفزاري والاقرع بن حابس وندا على رسول الله
عليه السلم في سبعين رجلا من بني تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد اخرج الينا وانما اسند الى الكل
لانهم رضوا بذلك او امروا به او لانه وجد فيما بينهم اكثرهم لا يعقلون اذ لو كان لهم عقل لما تجاسروا على هذه المرتبة
من سوء الادب ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم اي ولو تحقق صبرهم وانتظارهم حتى تخرج اليهم فان ان وان
دلت بما في حيزها على المصدر لكنها تفيد بنفسها التحقق والثبوت للفرق البين بين قولك بلغني قيامك وبلغني
انك قائم وحتى تفيد ان الصبر ينبغي ان يكون مغيا بخروجه عليه السلم فانها مختصة بما هو غاية للشيء في نفسه ولذلك تقول
اكلت السمكة حتى راسها ولا تقول حتى نصفها او ثلثها بخلاف الى فانها عامة وفي الى اشعار بانه لو خرج لا لاجلهم
ينبغي ان يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام او يتوجه اليهم لكان اي الصبر المذكور خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من رعاية
حسن الادب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب والاسعاف بالمسئول اذ روي انهم وفدوا شافعين
في اسارى بني العنبر فاطلق النصف وفادى النصف والله غفور رحيم بليغ المغفرة والرحمة واسعهما
فلن يضيق ساحتهما عن هؤلاء ان تابوا واصلحوا يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا اي
فتعرفوا وتفحصوا وروي انه عليه السلم بعث الوليد بن عقبة اخا عثمن لامه مصدقا الى بني المصطلق وكان بينه
وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسب انهم مقاتلوه فرجع وقال لرسول الله عليه السلم قد ارتدوا ومنعوا الزكوة
فهم عليه السلم بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلوة متهجدين فسلموا اليه الصدقات
فرجع وفي ترتيب الامر بالتبين على فسق المخبر اشارة الى قبول خبر الواحد العدل في بعض المواد وقرئ
فتثبتوا اي توقفوا الى ان يتبين لكم الحال ان تصيبوا حذار ان تصيبوا قوما بجهالة لتبين بجهالة
بحالهم فتصبحوا بعد ظهور براءتهم عما اسند اليهم على ما فعلتم في حقهم نادمين مغتمين غما لازما متمنين
انه لم يقع فان تركيب هذه الاحرف الثلثة يدور مع الدوام واعلموا ان فيكم رسول الله
ان بما في حيزها سادّ مسد مفعولي اعلموا باعتبار ما بعده من قوله تعالى لو يطيعكم في كثير من الامر
لعنتم فانه حال من احد الضميرين في فيكم والمعنى ان فيكم رسول الله كائنا على حالة يجب
عليكم تغييرها او كائنين على حالة الخ وهي انكم تريدون ان يتبع عليه السلم رايكم في كثير من الحوادث
ولو فعل ذلك لوقعتم في الجهد والهلاك وفيه ايذان بان بعضهم زين لرسول الله عليه السلم
الايقاع بين المصطلق تصديقا لقول الوليد وانه عليه السلم لم يطع رايهم واما صيغة المضارع
فقد قيل ان للدلالة على ان امتناع عنتهم لامتناع استمرار طاعته عليه السلم لهم لان عنتهم انما يلزم من
استمرار الطاعة فيما يعن لهم من الامور اذ فيه اختلال امر الايالة وانقلاب الرئيس مرؤسا لا من اطاعته

لا من اطاعته في بعض ما يرونه نادرا بل فيها استمالتهم بلا معرة وقيل انها للدلالة على ان
امتناع عنتهم لاستمرار امتناع طاعته عليه السلام لهم في ذلك فان المضارع المنفي يدل على
استمرار النفي بحسب المقام كما في نظائر قوله تعالى ولا هم يحزنون والتحقيق ان الاستمرار الذي يفيده
صيغة المضارع يعتبر تارة بالنسبة الى ما يتعلق بالفعل من الامور الزمانية المتجددة وذلك
بان يعتبر الاستمرار في نفس الفعل على الابهام ثم يعتبر تعلق ما يتعلق به بيانا لما فيه الاستمرار واخرى
بالنسبة الى ما يتعلق به من نفس الزمان المتجدد وذلك اذا اعتبر تعلقه به يتعلق به اولا ثم اعتبر
استمراره فتعين ان يكون ذلك بحسب الزمان فاذا اريد باستمرار الطاعة استمرارها
وتجددها بحسب تجدد مواقعها الكثيرة التي يفصح عنها قوله تعالى في كثير من الامر فالحق هو الاول
ضرورة ان مدار امتناع العنت هو امتناع ذلك الاستمرار سواء كان ذلك الامتناع بعدم
وقوع الطاعة في امر ما في تلك الامور الكثيرة اصلا او بعدم وقوعها في كلها مع وقوعها في بعض
يسير منها حتى لو لم يمتنع ذلك الاستمرار باحد الوجهين المذكورين وقعت الطاعة فيما ذكر من
كثير الامر في وقت من الاوقات وقع العنت قطعا وان اريد به استمرار الطاعة الواقعة في الكل
وتجددها بحسب تجدد الزمان واستمراره فالحق هو الثاني فان مناط امتناع العنت حينئذ
ليس امتناع استمرار الطاعة المذكورة ضرورة انه موجب لوقوع العنت بل هو الاستمرار الزماني
لامتناع في تلك الطاعة الواقعة في تلك الامور الكثيرة باحد الوجهين المذكورين حتى لو لم يستمر
امتناعها بان وقعت تلك الطاعة في وقت من الاوقات وقع العنت حتما واعلم ان
الاحق بالاختيار والاولى بالاعتبار هو الوجه الاول لانه اوفق للقياس المقتضي لاعتبار الامتناع
واردا على الاستمرار حسب ورود كلمة لو المفيدة للاول على صيغة المضارع المفيدة للثاني
على ان اعتبار الاستمرار واردا على النفي على خلاف القياس بمعونة المقام انما يصار اليه
اذا تعذر الجريان على موجب القياس او لم يكن مزيد مزية كما في مثل قوله تعالى ولا هم يحزنون
حيث حمل على استمرار نفي الحزن عنهم اذ ليس في نفي استمرار الحزن مزيد فائدة واما
اذا انتظم الكلام مع مراعاة موجب القياس حق الانتظام فالعدول عنه فيه تمحل لا يخفى
وقوله تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان الى آخره تجريد للخطاب وتوجيه له الى بعضهم
بطريق الاستدراك بيانا لبراءتهم عن اوصاف الاولين واحمادا لافعالهم اي ولكنه
تعالى جعل الايمان محبوبا لديكم وزينه في قلوبكم حتى رسخ حبه فيها ولذلك اتيتم بما
يليق به من الافعال والاقوال وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان ولذلك اجتنبتم عما يليق
بها مما لا خير فيه من آثارها واحكامها ولما كان في التحبيب والتكريه معنى انها المحبة
والكراهة وايصالهما اليهم استعملا بكلمة الى وقيل هو استدراك ببيان عذر الاولين
كانه قيل لم يكن ما صدر عنكم في حق بني المصطلق من خلل في عقيدتكم بل من فرط حبكم للايمان
وكراهتكم للكفر والفسوق والعصيان والاول هو الاظهر لقوله تعالى اولئك الراشدون
اي السالكون الى الطريق السوي الموصل الى الحق والالتفات الى الغيبة كالذي

في قوله تعالى وما اوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون
فضلا من الله ونعمة اى وانعاما لحبه وكره وما بينهما اعتراض وقيل نصبهما بفعل مضمر اى ذلك فضلا
وقيل يبتغون فضلا والله عليم مبالغ في العلم فيعلم احوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل حكيم
يفعل كل ما يفعل بموجب الحكمة وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا اى تقاتلوا والجمع باعتبار
المعنى فاصلحوا بينهما بالنصح والدعاء الى حكم الله فان بغت اى تعدت احديهما على الاخرى ولم تتأثر
بالنصيحة فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء اى ترجع الى امر الله الى حكمه او الى ما امر به فان فاءت اليه واقلعت
عن القتال حذرا من قتالكم فاصلحوا بينهما بالعدل وفصلوا بينهما على حكم الله تعالى ولا تكتفوا بمجرد متاركتهما
على ما هو بينهما قتال في وقت آخر وتقييد الاصلاح بما ذكر مع مظنة الحيف لوقوعه بعد المقاتلة وقد اكد ذلك
حيث قيل واقسطوا اى واعدلوا في كل ما تأتون وما تذرون ان الله يحب المقسطين فيجازيهم
احسن الجزاء والآية نزلت في قتال حدث بين الاوس والخزرج في عهده عليه السلام بالتسعف
والنعال وفيها دلالة على ان الباغي لا يخرج بالبغي عن الايمان وانه اذا امسك عن الحرب تترك
لانه في الى امر الله تعالى وانه يجب معاونة من بغي عليه بعد تقديم النصح والسعي في المصالحة انما المؤمنون
اخوة استيناف مقرر لما قبله من الامر بالاصلاح بينهم منتسبون الى اصل واحد هو الايمان
الموجب للحياة الابدية والفاء في قوله تعالى فاصلحوا بين اخويكم للايذان بان الآخرة
الدينية موجبة للاصلاح ووضع المظهر مقام المضمر مضافا الى الآمرين للمبالغة في تاكيد وجوب
الاصلاح فيما فوق ذلك بطريق الاولوية لتضاعف الفتنة والفساد فيه وقيل المراد بالاخوين
الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم واخواتكم واتقوا الله في كل ما تأتون وما تذرون من
الامور الآخرة التي من جملتها ما امرتم به من الاصلاح لعلكم ترحمون راجين ان ترحموا على
تقواكم يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم منكم من قوم آخرين ايضا منكم عسى ان يكونوا
خيرا منهم تعليل للنهي المسخور منهم خيرا عند الله تعالى من الساخرين والقوم مختص بالرجال لانهم
القوام على النساء وهو في الاصل اما جمع قايم كصوم وزور في جمع صايم وزائر او مصدر نعت
به فشاع في الجمع واما تعميمه للفريقين في مثل عاد وثمود وقوم فرعون فاما للتغليب او لان من
للتوابع واختيار الجمع لغلبة وقوع السخرية في المجامع والتنكير اما للتعميم او للقصد الى نهي بعضهم
من سخرية بعض لما انها مما يجري بين بعض وبعض ولا نساء اى لا تسخر نساء من المؤمنات
من نساء منهن على ان يكن اى المسخور منهن خيرا منهن اى من الساخرات فان فاقمناط الحرية
في الفريقين ليس ما يظهر للناس من الصور والاشكال ولا الاوضاع والاطوار التي عليها
يدور امر السخرية غالبا بل انما هو الامور الكامنة في القلوب فلا يجترى على استحضارها
احد فلعله اجمع منه لما نيط به الحرية عند الله تعالى فينظم نفسه بتحقير من وقره الله تعالى والاستهانة
بمن عظمه الله تعالى وقرئ عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فعسى هي حينئذ ذات الخبر
كما في قوله تعالى فهل عسيتم واما على الاول فهي التي لا خبر لها ولا تلمزوا انفسكم اى لا يعب بعضكم
بعضا فان المؤمنين كنفس واحدة اولا تفعلوا ما تلمزون به فان من فعل ما يستحق به اللمز فقد

فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان وقرئ بضم الميم ولا تنابزوا بالالقاب اى ولا يدع بعضكم
بعضا بلقب السوء فان النبز مختص بما يغر المنبوز به عرفا بئس الاسم الفسوق بعد الايمان اى بئس الذكر
المرتفع للمؤمنين اى يذكرون اما بالفسق بعد دخول الايمان واشتهارهم به فان الاثم ههنا بمعنى
الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم او باللوم والمراد به اما تهجين نسبة الكفر والفسوق
الى المؤمنين فصوصا اذ روى ان الآية نزلت في صفية بنت حيي اتت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت ان النساء يقلن لي يا يهودية بنت يهوديين فقال عليه السلام هلا قلت
ان ابي هارون وعمي موسى وزوجي محمد عليهم السلام اذ الدلالة على ان التنابز فسق والجمع بينه وبين
الايمان قبيح ومن لم يتب عما نهي عنه فاولئك هم الظالمون بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض
النفس للعذاب يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن اى كونوا على جانب منه وايهام الكثير
لايجاب الاحتياط والتأمل في كل ظن حتى يعلم انه من اى قبيل فان من الظن ما يجب اتباعه
كالظن فيما لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله تعالى ومنه ما يحرم كالظن في الالهيات
والنبوات وحيث كالف قاطع وظن السوء بالمؤمنين ومنه ما يباح كالظن في الامور المعاشية
ان بعض الظن اثم تعليل للامر بالاجتناب او لموجبه بطريق الاستيناف التحقيقي والاثم الذنب
الذي يستحق العقوبة عليه وهمزته منقلبة من الواو وكانه ينثم الاعمال اى يكسرها ولا تجسسوا
اى ولا تبحثوا عن عورات المؤمنين تنقل من الجس لما فيه من معنى الطلب كما ان التلمس بمعنى
الطلب وقد جاء بمعنى الطلب في قوله تعالى وانا لمسنا السماء وقرئ بالحاء من الجس الذي
هو اثر الجس في غايته ولتقاربهما يقال للمشاعر الخواس بالحاء والجيم وفي الحديث لا تتبعوا
عورات المسلمين فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف
بيته ولا يغتب بعضكم بعضا اى لا يذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته وسئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يتأذى به فان كان فيه فقد اغتبته وان
لم يكن فيه فقد بهته وتهمته وعن ابن عباس رضي الله عنهما الغيبة اد ام كلاب الناس ايحب
احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا تمثيل وتصوير لما يصدر عن المغتاب من حيث صدوره عنه
ومن حيث تعلقه بصاحبها على اقبح وجه واشنعه طبعا وشرعا وعقلا مع مبالغات من
منه فنون شتى الاستفهام التقريري واسناد الفعل الى احدهما ايذانا بان احدا من الاحدين
لا يفعل ذلك وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهية وتمثيل الاغتياب بأكل لحم الانسان وجعل
المأكول اخا للاكل ميتا واخراج تمامها مخرج امر بين غني عن الاخبار به وقرئ ميتا بالتشديد
وانتصابه على الحالية من اللحم وقيل من الاخ والفاء في قوله تعالى فكرهتموه لترتيب ما بعدها على ما
قبلها من التمثيل كانه قيل وحيث كان الامر كما ذكر فقد كرهتموه وقرئ كرهتموه اى جبلتم على
كراهته واتقوا الله بترك ما امرتم باجتنابه والندم على ما صدر عنكم من قبل ان الله تواب
رحيم مبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة حيث يجعل التائب كمن لم يذنب ولا يخص ذلك
بتائب دون تائب بل يعم الجميع وان كثرت ذنوبهم روي ان رجلين من الصحابة بعثا سلمان

الى النبي صلى الله عليه وسلم يبتغي لهما اداما وكان اسامة على طعامه عليه السلام فقال ما عندي شيء
فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثنا سلمان الى بئر هميجة لغار ماؤها فلما راحا الى الرسول صلى الله
عليه وسلم فقال لهما ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال عليه السلام انكما قد
اغتبتما فنزلت يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى من آدم وحواء او خلقناكم كل واحد منكم
من اب وام فالكل سواء في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب وقد جوز ان يكون تاكيدا للنهي السابق
بتقرير الاخوة المانعة من الاغتياب وجعلناكم شعوبا وقبائل الشعب الجمع العظيم المنتسبون الى اصل واحد
وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعميرة تجمع البطون والبطن يجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل فخزيمة
شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وقيل الشعوب
بطون العجم والقبائل بطون العرب لتعارفوا ليعرف بعضكم بعضا بحسب الانساب فلا يعتزي احد الى
غير ابائه لا لتفاخروا بالاباء والقبائل وتدعوا التفاوت والتفاضل في الانساب وقرئ
لتتعارفوا على الاصل ولتعارفوا بالادغام ولتعرفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم تعليل للنهي عن التفاخر
بالانساب المستفاد من الكلام بطريق الاستيناف التحقيقي كانه قيل ان الاكرام عنده تعالى
هو الاتقى فان تفاخرتم ففاخروا بالتقوى وقرئ بان المفتوحة على حذف لام التعليل كانه قيل
لم لا تفاخروا بالانساب فقيل لان اكرمكم عند الله اتقيكم فان مدار كمال النفوس وتفاوت
الاشخاص هو التقوى فمن رام نيل درجات العلى فعليه بالتقوى قال عليه السلام من
سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وقال يا ايها الناس انما الناس رجلان رجل
مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما كرم الدنيا
الغنى وكرم الآخرة التقوى ان الله عليم بكم وباعمالكم خبير ببواطن احوالكم قالت
الاعراب آمنا نزلت في نفر من اسد قدموا المدينة في سنة جدب فاظهروا الشهادتين
وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك
بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون عليه عليه السلام بما فعلوا قل ردا لهم لم تؤمنوا اذ
الايمان هو التصديق المقارن للثقة وطمانينة القلب ولم يحصل ذلك والا لما مننتم على
ما ذكرتم كما ينبئ عنه آخر السورة ولكن قولوا اسلمنا فان الاسلام انقياد ودخول في
السلم واظهار الشهادة وترك المحاربة مشعر به وايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال لا تقولوا
آمنا ولكن قولوا اسلمنا او لم تؤمنوا ولكن اسلمتم لاحتراز من النهي عن التلفظ بالايمان وللتفادي
عن اخراج قولهم مخرج التسليم والاعتداد به منع كونه تقولا محضا ولما يدخل الايمان في قلوبكم
حال من ضمير قولوا اي ولكن قولوا اسلمنا حال عدم مواطاة قلوبكم لالسنتكم وما في
لما من معنى التوقع مشعر بان هؤلاء قد آمنوا فيما بعد فان تطيعوا الله ورسوله بالاخلاص
وترك النفاق لا يلتكم من اعمالكم لا ينقصكم شيئا من اجورها من لات يليت ليتا اذا
انقص وقرئ لا يالتكم من الالت وهي لغة غطفان او شيئا من النقص ان الله غفور
لما فرط من المطيعين رحيم بالتفضل عليهم انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم

ثم لم يرتابوا لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك مع التهمة وفيه اشارة
الى ان فيهم ما يوجب النفي من الايمان عنهم وثم للاشعار بان اشتراط عدم الارتياب في اعتبار الايمان
ليس في حال انشائه فقط بل وفيما يستقبل فهي كما في قوله تعالى ثم استقاموا وجاهدوا باموالهم
وانفسهم في سبيل الله في طاعته على تكثر فنونها من العبادات البدنية المحضة والمالية الصرفة
والمشتملة عليهما معا كالحج والجهاد اولئك الموصوفون بما ذكر من الاوصاف الجميلة هم الصادقون
اي الذين صدقوا في دعوى الايمان لا غيرهم روي انه لما نزلت الآية جاؤا وحلفوا انهم مؤمنون
صادقون فنزل لتكذيبهم قوله تعالى قل اتعلمون الله بدينكم اي اتخبرونه بذلك بقولكم آمنا والتعبير
عنه بالتعليم لغاية تشنيعهم وقوله تعالى والله يعلم ما في السموات وما في الارض حال من مفعول
تعلمون مؤكدة لتشنيعهم وقوله تعالى والله يعلم ما في السموات وما في الارض بكل شيء عليم
تذليل مقرر لما قبله اي مبالغ في العلم بجميع الاشياء التي من جملتها ما اخفوه من الكفر عند اظهارهم
الايمان وفيه مزيد تجهيل وتوبيخ لهم يمنون عليك ان اسلموا اي يعدون اسلامهم منة عليك
وهي النعمة التي لا يطلب موليها ثوابا ممن انعم بها عليه من المن بمعنى القطع لان المقصود بها قطع حاجة
وقيل المنة الثقيلة من المن قل لا تمنوا علي اسلامكم اي لا تعدوا اسلامكم منة علي او
لا تمنوا علي باسلامكم فنصب بنزع الخافض بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان على ما زعمتم
مع الهداية لا يستلزم الاهتداء وقرئ ان هداكم واذ هداكم ان كنتم صادقين في ادعاء
الايمان وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله اي فلله المنة عليكم وفي سياق النظم الكريم من اللطف
ما لا يخفى فانهم لما سمعوا ما صدر عنهم ايمانا ومنوا به فبقي كونه ايمانا وسمي ايمانا قيل يمنون عليك
بما هو في الحقيقة اسلام وليس بجدير بالمن بل لو صح ادعاؤهم للايمان فلله المنة عليهم بالهداية
اليه لا لهم ان الله يعلم غيب السموات والارض اي ما غاب فيهما والله بصير بما تعملون في سركم
وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم وقرئ بالياء عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ الحجرات اعطي من الاجر بعدد من اطاع الله وعصاه صدق رسول الله

سورة ق بسم الله الرحمن الرحيم خمسون آية

ق والقرآن المجيد اي ذي المجد والشرف على سائر الكتب او لانه كلام المجيد او بان من علم معانيه
وعمل بما فيه مجد عند الله تعالى وعند الناس والكلام فيه كالذي فصل في مطلع سورة ص وقوله تعالى
بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم اي لان جاءهم منذر من جنسهم لا من جنس الملك او من جلدتهم اضراب
عما ينبئ عنه جواب المحذوف كانه قيل والقرآن المجيد انزلناه اليك لتنذر به الناس حسبما
ورد في سورة الاعراف كانه قيل بعد ذلك لم يؤمنوا بل جعلوا كلا من المنذر والمنذر به عرضة
للنكير والتعجب مع كونهما اوفق شيء لقضية القول واقربه الى التلقي بالقبول وقيل التقدير
والقرآن انك لمنذر ثم قيل بعده انهم شكوا فيه ثم اضرب عنه وقيل بل عجبوا اي
لم يكتفوا بالشك والرد بل جزموا بالخلاف حتى جعلوا ذلك من الامور العجيبة وقيل هو
اضراب عما يفهم من وصف القرآن بالمجد كانه قيل ليس سبب امتناعهم من الايمان بالقرآن

لا مجادلة ولكن لجهلهم فقال الكافرون هذا شئ عجيب تفسير لتعجبهم وبيان لكونه مقارنا لغاية
الانكار مع زيادة تفصيل لمحل التعجب وهذا اشارة الى كونه عليه السلام منذرا بالقرآن
واضمارهم اولا للاشعار بتعنتهم باسنادالهم واظهارهم ثانيا للتسجيل عليهم بالكفر بموجبه
او عطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعثة على ان هذا اشارة الى مبهم يفسره مابعده من الجملة
الانكارية ووضع المظهر موضع المضمر اما لسبق اتصافهم بما يوجب كفرهم واما للايذان بان تعجبهم
من البعث لدلالته على استقصارهم لقدرة الله سبحانه عنه مباينتهم لقدرته تعالى على ما هو اشق
منه فرط قياس العقل من مصنوعاته البديعة اشنع من الاول واعرق في كونهم كفرا انذا متنا
وكنا ترابا تقرير للتعجب وتاكيد للانكار والعامل في اذا مضمر غني عنه البيان لغاية شهرته
مع دلالة مابعده عليه اي حين نموت ونصير ترابا ننرجع كما ينطق به النذير ويمنذر به مع كمال
التباين بيننا وبين الحياة حينئذ وقرئ اذا متنا على لفظ الخبر او على حذف اداة الانكار ذلك
اشارة الى محل النزاع رجع بعيد اي عن الاوهام او العادة او الامكان وقيل الرجع بمعنى
المرجوع الذي هو الجواب فنصب الظرف حينئذ ما ينبئ عنه المنذر من البعث قد علمنا ما تنقص
الارض منهم رد لاستبعادهم وازاحة له فان من راعى علمه ولطف حكمته علم حتى انتهى الى
حيث علم ما تنقص الارض من اجزاء الموتى وعاتاكل من لحومهم وعظامهم فكيف
يستبعد رجعه اياهم كما كانوا عن النبي صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم تبلى الا عجب
الذنب وقيل ما ينقص الارض منهم ما يموت فيدفن في الارض منهم وعندنا كتاب
حفيظ حافظ لتفاصيل الاشياء كلها او محفوظ من التغير والمراد اما تمثيل علمه تعالى بكليات
الاشياء وجزئياتها بعلم من عنده كتاب محيط يتلقى منه كل شئ او تاكيد لعلمه تعالى بها
بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده بل كذبوا بالحق اضراب وانتقال من بيان شناعتهم السابقة
الى بيان ما هو اشنع منه واقطع وهو تكذيبهم للنبوة الثابتة بالمعجزات الباهرة هو
لما جاءهم من غير تأمل وتفكر وقرئ لما جاءهم بالكسر على ان اللام للتوقيت اي وقت مجيئهم
اياهم وقيل الحق القرآن او الاخبار بالبعث فهم في امر مريج اي مضطرب لا قرار له من مرج
الخاتم في اصبعه حيث يقولون تارة انه شاعر وتارة ساحر واخرى كاهن افلم ينظروا
اي اغفلوا او عموا فلا ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها
اي رفعناها بغير عمد وزيناها بما فيها من الكواكب المترتبة على نظام بديع وما لها
من فروج من فتوق لملاستها وسلامتها من كل عيب وخلل ولعل تاخير هذا لمراعاة الفواصل
والارض مددناها اي بسطناها والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت من رسا الشئ اذا ثبت
والتعبير عنها بهذا الوصف للايذان بان القاءها لارساء الارض بها وانبتنا فيها من كل
زوج من كل وصف بهيج حسن تبصرة وذكرى علتان للافعال المذكورة معنى وان انتصبت
بالفعل الاخير او لفعل مقدر بطريق الاستيناف اي فعلنا ما فعلنا تبصيرا وتذكيرا لكل عبد منيب
اي راجع الى ربه متفكر في بدايع صنايعه وقوله عز وجل ونزلنا من السماء ماء مباركا اي كثير المنافع

اي كثير منافع شروع في بيان كيفية اثبات ما ذكر من زوج بهيج وهو عطف على انبتنا وما بينهما
على الوجه الاخير اعتراض مقرر لما قبله ومبنى على ما بعده فانبتنا به اي بذلك الماء جنات
كثيرة اي اشجارا ذوات ثمار وحب الحصيد اي حب الزرع الذي شانه ان يحصد من البر
والشعير وامثالهما وتخصيص انبات حبه بالذكر لانه المقصود والنخل عطف على جنات وتخصيصها بالذكر
مع اندراجها في الجنات لبيان فضلها على سائر الاشجار وتوسيط الحب بينهما للتاكيد
استقلالها وامتيازها عن البقية مع ما فيه من مراعاة الفواصل باسقات اي طوالا
او حوامل من بسقت الشاة اذا حملت فيكون من باب فعل وهو فاعل وقرئ باصقات لاجل القاف
لها طلع نضيد اي منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع او كثرة ما فيه من الثمر والجملة حال من النخل
كباسقات بطريق التداخل او من ضميرها في باسقات على التداخل او الحال هو الكاف والمجرور
وطلع مرتفع به على الفاعلية وقوله عز وجل رزقا للعباد اي لرزقهم علة لقوله تعالى فانبتنا وفي تعليل ذلك
بعد تعليل ابتناء الاول بالتبصرة والتذكير تنبيه على ان الواجب على العبد ان يتوسل بانتفاعه بذلك
منه حيث التذكر والاستبصار بهم واقدم من تمتعه به منه حيث الرزق وقيل رزقا مصدر
من معنى انبتنا لان الانبات رزق واحيينا به بذلك الماء بلدة ميتا اي ارضا جدبة
لا نماء به فيها اصلا بان جعلناها بحيث ربت وانبتت انواع النبات والازهار فصارت
تهتز بها بعد ما كانت جامدة هامدة وتذكير ميتا لان البلدة بمعنى البلد والمكان كذلك الخروج
جملة قدم فيها الخبر للمقصد الى القصر وذلك اشارة الى الحياة المستفادة من الاحياء وما
فيه من معنى البعد للاشعار ببعد رتبتها اي مثل ذلك الحياة البديعة حياتكم بالبعث والنشور من القبور
لا شئ مخالف لها وفي التعبير عن اخراج النبات من الارض بالاحياء وعن حيوة الموتى بالخروج تفخيم
لشان الانبات وتهوين لامر البعث وتحقيق للمبالغة بين اخراج النبات واحياء الموتى لتوضيح
منهاج القياس وتقريبه الى افهام الناس وقوله عز وجل كذبت قبلهم قوم نوح الى آخره استيناف
وامر لتقرير حقيقة البعث ببيان اتفاق الرسل عليهم السلام عليها وتعذيب منكريها واصحاب
الرس قيل ممن بعث اليهم شعيب عليه السلام وقيل كما مر في سورة الفرقان على التفصيل وثمود
وعاد وفرعون اي هود وقومه ليلائم ما قبله وما بعده واخوان لوط قيل كانوا من اصهاره عليه السلام
واصحاب الايكة هم ممن بعث اليهم شعيب عليه السلام غير اهل مدين وقوم تبع سبق شرح حالهم
في سورة الدخان كل كذب الرسل اي فيما ارسلوا به من الشرايع التي من جملتها البعث الذي
اجمعوا عليه قاطبة اي كل قوم من الاقوام المذكورين كذبوا رسولهم او كذب جميعهم جميع الرسل
بالمعنى المذكور وافراد الضمير باعتبار لفظ الكل او كل واحد منهم كذب جميع الرسل لاتفاقهم على الدعوة
الى التوحيد والانذار بالبعث والحشر فتكذيب واحد منهم تكذيب للكل وهذا على تقدير رسالة تابع
ظاهرا واما على تقدير عدمها وهو الاظهر فمعنى تكذيب قومه الرسل تكذيبهم لمن قبلهم من الرسل المجمعين على التوحيد
والبعث والى ذلك كانت دعوتهم تبع فحق وعيد اي يوجب وحل عليهم وعيده وهي كلمة العذاب وفيه
تسلية للرسول عليه السلام وتهديد لهم افعيينا بالخلق الاول استيناف مقرر لصحة البعث الذي

لحم سه

حكيت احوال المنكرين له من الامم المهلكة والعي بالامر العجز عنه يقال عي بالامر وعيي به اذا لم يهتد لوجه عمله
والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر ينبئ عنه العي من القصد والمباشرة كانه قيل اقصدنا الخلق الاول
فعجزنا عنه حتى يتوهم عجزنا من الاعادة بل هم في لبس جديد عطف على مقدر ويدل عليه ما قبله كانه قيل
هم غير منكرين لقدرتنا على الخلق الاول بل هم في خلط وشبهة من خلق في خلق مستانف لما فيه من مخالفة العادة
وتنكير خلق لتفخيم شانه والاشعار بخروجه عن حدود العادات والايذان بانه حقيق بان يبعث
ويهم بمعرفته ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه اي ما تحدثه به نفسه وهو ما يخطر
بالبال والوسوسة الصوت الخفي ومنه الوسواس الجلي وهو الضمير ان جعلت موصولة والباء كما
في صوت بكذا او للانسان ان جعلت مصدرية والباء للتعدية ونحن اقرب اليه من حبل الوريد
عبر عن قرب العلم بقرب الذات تجوزا لانه موجب له وجعل الوريد مثل في فرط القرب والحبل العرق واضافته
بيانية والوريدان عرقان يكتنفان بصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الراس
اليه وقيل سمي وريدا لان الروح ترده اذ يتلقى المتلقيان منصوب بما في اقرب من معنى الفعل
والمعنى انه لطيف يتوصل اليه الى ما لا شيء اخفى منه وهو اقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى
ويتلقن الحفيظان ما يتلفظ به وفيه ايذان بانه تعالى غني عن استحفاظهما لاحاطة علمه بما يخفى
عليهما وانما ذكر ذلك لما في كتبهما وحفظهما لاعمال العبد وعرض صحايفهما يوم يقوم الاشهاد
وعلم العبد بذلك مع علمه باحاطته تعالى بتفاصيل احواله خيرا من زيادة لطف له في الكف عن السيئات
والرغبة في الحسنات وعنه عليه الصلاة والسلام ان مقعد ملكيك على ثنيتيك و
لسانك قلمهما وريقك مدادهما وانت تجري فيما لا يعنيك لا تستحي من الله ولا منهما وقد جوز
ان يكون تلقي الملكين بيانا للقرب على معنى انا اقرب اليه مطلعون على اعماله لان حفظتنا و
كتبتنا موكلون به عن اليمين وعن الشمال قعيد اي عن اليمين قعيد وعن الشمال كذلك اي مقاعد
كالجليس بمعنى المجلس لفظا ومعنى فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كما في قول من قال وما في بامر كنت فيه ووالدي
بريئا ومن اجل الطوي رماني وقيل يطلق الفعيل على الواحد والمتعدد كما في قوله تعالى والملائكة بعد
ذلك ظهير ما يلفظ من قول ما يرمي به من فيه خير او شر وقرئ ما يلفظ على البناء للمفعول
الا لديه رقيب ملك يرقب قوله ذلك ويكتبه فان كان خيرا فهو صاحب اليمين بعينه والا فهو
صاحب الشمال ووجه تغيير العنوان غني عن البيان والافراد مع وقوفهما معا على ما صدر عنه لما ان كلا
منهما رقيب لما فوض اليه الى صاحبه كما ينبئ عنه قوله تعالى عتيد اي معد مهيا لكتابة ما امر به من الخير و
والشر ومن لم ينتبه له توهم ان معناه رقيبان عتيدان وتخصيص القول لاثبات الحكم في الفعل بدلالة
النص واختلف فيما يكتبانه فقيل يكتبان كل شيء حتى انينه في مرضه وقيل انما يكتبان ما فيه اجر
او وزر وهو الاظهر كما ينبئ عنه قوله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب
السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات امين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها
ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح
او يستغفر وجاءت سكرة الموت بالحق بعد ما ذكر استبعادهم للبعث والجزاء وازيح

وازيح ذلك بتحقيق قدرته تعالى وعلمه وبين ان جميع اعمالهم محفوظة مكتوبة عليهم اتبع ذلك ببيان ما يلاقونه لا
محالة من الموت والبعث وما يتفرع عليه من الاحوال والاهوال وقد عبر عن وقوع منها بصيغة الماضي
ايذانا بتحققها وغاية اقترابها وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء اما للتعدية كما في قولك جاء
الرسول بالخبر والمعنى احضرت سكرة الموت حقيقة الامر الذي نطقت به كتب الله ورسله او حقيقة الامر
وجلية الحال من سعادة الميت وشقاوته وقيل الحق الذي لا بد ان يكون لا محالة من الموت او الجزاء فان الانسان
خلق له واما للملابسة كالتي في قوله تعالى تنبت بالدهن اي ملتبسة بالحق اي بحقيقة الامر او بالحكمة والغاية
الجميلة وقرئ سكرة الحق بالموت والمعنى انها السكرة التي كتبت على الانسان بموجب الحكمة وانها
لشدتها توجب زهوق الروح او تستعقبه وقيل الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله تعالى على الاضافة للتهويل وقرئ
سكرات الموت وذلك اي الموت ما كنت منه تحيد اي تميل وتنفر عنه والخطاب للانسان فان النفرة عنه شاملة لكل
فرد من افراده طبعا ونفخ في الصور هي النفخة الثانية ذلك اي وقت ذلك النفخ على حذف المضاف يوم الوعيد اي يوم
انجاز الوعيد الواقع في الدنيا او يوم وقوع الوعيد على انه عبارة عن العذاب الموعود وقيل ذلك اشارة الى الزمان
المفهوم من نفخ فان الفعل كما يدل على الحدث يدل على الزمان وتخصيص الوعيد بالذكر مع انه يوم الوعد ايضا لتهويله
ولذلك بدئ ببيان حال الكفرة وجاءت كل نفس من النفوس البرة والفاجرة معها سائق وشهيد وان
اختلف كيفية السوق والشهادة حسب اختلاف النفوس عملا اي معها ملكان احدهما يسوقها الى المحشر والاخر
يشهد بعملها او ملك جامع بين الوصفين كانه قيل معها ملك يسوقها ويشهد عليها وقيل السائق كاتب السيئات
والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه او قرينه والشهيد جوارحه او اعماله ومحل معها النصب على الحالية من كل
لاضافته الى ما هو في حكم المعرفة كانه قيل كل النفوس او الجر على انه وصف لنفس او الرفع على انه وصف
لكل وقوله تعالى لقد كنت في غفلة من هذا محكي باضمار قول هو اما صفة اخرى لنفس او حال اخرى منها او
استيناف مبني على سؤال نشأ مما قبله كانه قيل فماذا يفعل بها فقيل يقال لو كنت في غفلة الى آخره وخطاب
الكل بذلك لما انه ما من احد الا وله غفلة ما من الآخرة وقيل الخطاب للكافر وقرئ لقد كنت بكسر التاء على
اعتبار تانيث النفس والتذكير على القراءة المشهورة بتاويل الشخص كما في قول جبلة بن حريث يا نفس انك
باللذات مسرور فاذكر فهل ينفعك اليوم تذكير فكشفنا عنك غطاءك الغطاء الحجاب المغطى
لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات والالف بها وقصر النظر عليها فبصرك اليوم حديد اخذ
لزوال المانع للابصار وقرئ بكسر الكاف في المواضع الثلثة وقال قرينه اي الشيطان المقيض له مشيرا اليه
هذا ما لدي عتيد اي هذا ما عندي وفي ملكتي عتيد لجهنم قد هيأته لها باغوائي واضلالي وقيل قال
الملك الموكل به مشيرا الى ما معه من كتاب عمله هذا مكتوب عندي عتيد مهيا للعرض وما ان جعلت موصوفة
فعتيد صفتها وان جعلت موصولة فهي بدل منها او خبر بعد خبر او خبر لمبتدأ محذوف القيا في جهنم كل كفار
خطاب من الله تعالى للسائق والشهيد او للملكين من خزنة النار او لواحد على تنزيل هيئة الفاعل منزلة تثنية الفعل
وتكريره كقول من قال فان تزجراني يا ابن عفان انزجر وان تدعاني احم عرضا ممنعا او على ان الالف
بدل من نون التاكيد على اجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده انه قرئ القين بالنون الخفيفة عنيد معاند
للحق مناع للخير كثير المنع للمال عن اداء حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فان الآية نزلت

في الوليد بن المغيرة لما منع بني اخيه الاسلام معتد ظالم متخط للحق مريب شاك في الله وفي دينه الذي جعل مع الله
الها آخر مبتدأ متضمن بمعنى الشرط خبره فالقياه في العذاب الشديد او بدل من كل كفار وقوله تعالى فالقياه
تكرير للتوكيد او مفعول لمضمر يفسره فالقياه قال قرينه اي الشيطان المقيض له وانما استأنفت استيناف
الجمل الواقعة في حكاية المقاولة لما انه جواب لمحذوف دل عليه قوله تعالى ربنا ما اطغيته فانه مبني عن سابقة
كلام اعتذر به الكافر كانه قال اطغاني فاجاب قرينه بتكذيبه واسناد الطغيان اليه بخلاف الجملة الاولى فانها واجبة
العطف على ما قبلها دلالة على الجمع من مفهومها في الحصول اعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ولكن كان
هو بالذات في ضلال بعيد من الحق فاعتنه عليه بالاغواء والدعوة اليه من غير قسر والجاء كما في قوله وما كان
عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي قال استيناف مبني على سؤال نشأ مما قبله كانه قيل فماذا قال الله تعالى
فقيل قال لا تختصموا لدي اي في موقف الحساب والجزاء اذ لا فائدة في ذلك وقد قدمت اليكم بالوعيد على الطغيان
في دار الكسب في كتبي وعلى السنة رسلي فلا تطمعوا في الخلاص عنه بما انتم فيه من التعلل بالمعاذير الباطلة والجملة
حال فيها تعليل للنهي على معنى لا تختصموا وقد صح عندكم اني قدمت اليكم بالوعيد حيث قلت لابليس لاملأن جهنم
منك وممن تبعك منهم اجمعين فاتبعتموه معرضين عن الحق فلا وجه للاختصام في هذا الوقت والباء مزيدة
او متعدية على ان قدم بمعنى تقدم وقد جوز ان يكون قدمت واقعا على قوله تعالى ما يبدل القول لدي الى آخره
ويكون متعلقا بمحذوف هو او حال من المفعول او الفاعل اي وقد قدمت اليكم هذا القول ملتبسا بالوعيد تقربا به و
قدمته اليكم موعدا لكم به فلا تطمعوا ان ابدل وعيدي والعفو عن بعض المسلمين المذنبين لاسباب داعية
اليه ليس بتبديل فان دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد وقوله تعالى وما انا بظلام للعبيد وارد لتحقيق الحق على الوجه
الكلي وتبيين ان عدم تبديل القول وتحقيق موجب الوعيد ليس من جهته تعالى من غير استحقاق له منهم انما ذلك بما صدر
عنهم من الجنايات الموجبة له حسبما اشير اليه آنفا اي وما انا بمعذب للعبيد من غير ذنب من قبلهم والتعبير عنه بالظلم
مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما مفرطا لبيان كمال نزاهته
تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه سبحانه من الظلم وصيغة المبالغة لتأكيد هذا
المعنى بابراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب في معرض المبالغة في الظلم وقيل هي لرعاية جمعية العبيد
من قولهم فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده على انها مبالغة كما لا كيفا يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول
هل من مزيد سؤال جواب جيء بهما على منهاج التمثيل والتخييل لتهويل امرها والمعنى انها مع اتساعها و
تباعد اقطارها تطرح فيها من الجنة فوجا بعد فوج حتى تمتلئ او انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها
وفيها محل فارغ او انها لغيظها على العصاة تطلب زيادتهم وقرئ يقول بالياء والمزيد اما مصدر كالمجيد والمميد
او مفعول كالمبيع ويوم اما منصوب باذكر او انذر او ظرف لنصح فيكون ذلك حينئذ اشارة اليه من غير حاجة الى تقدير
مضاف او لمقدر مؤخر اي يكون من الاحوال والاهوال ما يقصر عنه المقال وازلفت الجنة للمتقين شروع في بيان حال
المؤمنين بعد النفخ ومجيء النفوس الى موقف الحساب وقد مر سر تقديم بيان حال الكفرة عليه وهو عطف على نفخ
اي قريب للمتقين عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون على ما فيها من فنون المحاسن
فيبتهجون بانهم محشورون اليها فائزون بها وقوله تعالى غير بعيد تأكيد للازلاف اي مكانا غير بعيد بحيث يشاهدونها
او حال كونها غير بعيد اي شيئا غير بعيد ويجوز ان يكون التذكير لكونه على زنة المصدر الذي يستوي فيه الوصف

الوصف به المذكر والمؤنث او لتأويل الجنة بالبستان هذا ما توعدون اشارة الى الجنة والتذكير
لما ان المشار اليه هو المسمى من غير ان يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتأنيثه فانهما من احكام
اللفظ العربي كما مر في قوله تعالى فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي وقوله تعالى ولما رأى المؤمنون
الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ويجوز ان يكون ذلك لتذكير الخبر وقيل هو اشارة الى الثواب
وقيل الى مصدر ازلفت وقرئ توعدون والجملة اما اعتراض من البدل او المبدل منه واما مقدر يقول
هو حال من المتقين او من الجنة والعامل ازلفت اي مقولا لهم او مقولا في حقها هذا ما توعدون
لكل اواب اي رجاع الى الله تعالى بدل من المتقين باعادة الجار حفيظ حافظ لتوبته من النقض
قيل هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها وقيل هو الحافظ لاوامر الله تعالى قيل لما استودعه
الله تعالى من حقوقه من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب بدل بعد بدل او بدل من موصوف
اواب ولا يجوز ان يكون في حكمه لان من لا يوصف به لا يوصف الا بالذي او مبتدأ خبره ادخلوها
والجمع باعتبار معنى من وقوله تعالى بالغيب متعلق بمحذوف هو حال من فاعل خشي او من مفعوله او
صفة لمصدره اي خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب عنه او هو غائب من الاعين
لا يراه احد والتعرض لعنوان الرحمانية للاشعار بانهم مع خشيتهم عقابه راجون رحمته او بان
علمهم بسعة رحمته تعالى لا يصدهم عن خشيته تعالى وانهم عاملون بموجب قوله تعالى نبئ عبادي اني
انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم ووصف القلب بالانابة لما ان العبرة برجوعه
الى الله تعالى بسلام متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ادخلوها اي ملتبسين بسلامة من العذاب
وزوال النعم وبسلام من جهة الله تعالى وملائكته ذلك اشارة الى الزمان الممتد الذي وقع
في بعض منه ما ذكر من الامور يوم الخلود اذ الانتقال ابدا لهم ما يشاؤن من فنون
المطالب كائنا ما كان فيها متعلق بيشاؤن وقيل بمحذوف هو حال من الموصول او من عائده المحذوف
من صلته ولدينا مزيد هو ما لا يخطر ببالهم ولا يندرج تحت مشيئتهم من معاني الكرامات التي لا عين
رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقيل ان السحاب تمر باهل الجنة فتمطرهم الحور
فتقول نحن المزيد الذي قال تعالى ولدينا مزيد وكم اهلكنا قبلهم اي قبل قومك من قرن هم اشد
منهم بطشا اي قوة كعاد واضرابها فنقبوا في البلاد اي حرقوا فيها ودوخوا وتصرفوا في اقطارها
وجالوا في اكناف الارض كل مجال حذار الموت واصل التنقيب التعقب والتنقير عن الامر
والبحث والطلب والفاء للدلالة على ان شدة بطشهم قدرتهم على التنقيب قيل هي عاطفة
في المعنى كانه قيل اشد من بطشهم فنقبوا وقرئ بالتخفيف هل من محيص اي هل لهم من
مخلص من امر الله تعالى والجملة اما على اضمار قول هو حال من واو نقبوا اي فنقبوا في البلاد
قائلين هل من محيص او على اجراء التنقيب لما فيه من معنى التتبع والتفتيش مجرى
القول او هو كلام مستأنف وارد لنفي ان يكون لهم محيص وقيل ضمير نقبوا لاهل مكة
اي عاروا في مسايرهم واشفارهم في بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله
لانفسهم ويعضده القراءة على صيغة الامر وقرئ فنقبوا بكسر القاف من النقب وهو ان

الا ينقب خف البعير او اكثروا السير حتى نقبت اقدامهم واخفاف اهلهم ان في ذلك اي فيما
ذكر من قصتهم وقيل فيما ذكر في السورة لذكرى لتذكرة وعظة لمن كان له قلب اي قلب
سليم يدرك به كنه ما يشاهده من الامور ويتفكر فيها كما لا ينبغي فان من كان له
ذلك يعلم ان مدار دمارهم هو الكفر فيرتدع عنه بمجرد مشاهدة الآثار من غير تذكير
او القى السمع اي الى ما يتلى عليه من الوحي الناطق بما جرى عليهم فان من فعله يقف على
جلية الامر فينزجر عما يؤدي اليه من الكفر فكلمة او لمنع الخلو دون الجمع فان القاء الجمع لا يجدي
بدون سلامة القلب كما يلوح به قوله تعالى وهو شهيد اي حاضر بفطنته لان من لا يحضر
ذهنه فكانه غائب وتجريد القلب عما ذكر من الصفات للايذان بان من عري قلبه عنها
كمن لا قلب له اصلا ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما من اصناف المخلوقات في ستة
ايام وما مسنا بذلك مع كونه مما لا يفي به القوى والقدر من لغوب من اعياء ما ولا
تعب في الجملة وهذا رد على جملة اليهود في زعمهم انه تعالى بدأ خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه
يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش سبحانه وتعالى عما يقولون علوا
كبيرا فاصبر على ما يقولون اي ما يقوله المشركون في حق البعث من الاباطيل المبنية على الانكار والاستبعاد
فان من فعل هذه الافاعيل فلا فتور قادرهم على بعثهم والانتقام منهم اي ما يقوله اليهود من مقالات
الكفر والتشبيه وسبح بحمد ربك اي نزهه تعالى عن العجز عما يمكن وعن وقوع الخلف في اخباره
التي من جملتها الاخبار بوقوع البعث وعن وصفه تعالى بما يوجب التشبيه حامدا له تعالى على ما انعم
به عليك من اصابة الحق وغيرها قبل طلوع الشمس وقبل غروبها هما وقت الفجر والعصر وفضيلتهما
مشهورة ومن الليل فسبحه اي وسبحه بعض الليل وادبار السجود واعقاب الصلوات
جمع دبر وقرئ بالكسر من ادبرت الصلاة اذا انقضت وتمت ومعناه وقت انقضاء السجود
وقيل المراد بالتسبيح الصلاة فالمراد بما قبل الغروب الظهر والعصر وبما من الليل العشاءان والتهجد وما يصلى
بادبار السجود والنوافل بعد المكتوبات واستمع اي لما يوحى اليك من احوال القيمة وفيه تهويل و
تقطيع للمخبر به يوم ينادي المنادي اي اسرافيل او جبرائيل عم فيقول ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة
ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبريل ينادي بالحشر من مكان قريب بحيث يصل نداؤه الى
الكل على سواء وقيل من صخرة بيت المقدس وقيل من تحت اقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة ولعل ذلك في
الاعادة مثل كن في البداء يوم يسمعون الصيحة بدل من يوم ينادي الى آخره وهي النفخة الثانية بالحق متعلق بالصيحة
والعامل في الظرف ما يدل عليه قوله تعالى ذلك يوم الخروج اي يوم يسمعون الصيحة ملتبسة بالحق الذي هو البعث يخرجون من
القبور انا نحن نحيي ونميت في الدنيا من غير ان يشاركنا في ذلك احد والينا المصير للجزاء في الآخرة لا الى
غيرنا لا استقلالا ولا اشتراكا يوم تشقق الارض عنهم بحذف احدى التائين من تتشقق وقرئ بتشديد
الشين وتشقق على البناء للمفعول من التفعيل وتنشق سراعا مسرعين ذلك حشر بعث وجمع وسوق علينا يسير هين
وتقديم الجار والمجرور لتخصيص اليسير به تعالى نحن اعلم بما يقولون من نفي البعث وتكذيب الآيات الناطقة به وغير ذلك
مما لا خير فيه وما انت عليهم بجبار تسلط تقسرهم على الايمان وانما انت مذكر فذكر بالقرآن من يخاف وعيد واما من عداهم فنحن نفعل بهم ما يوجبه اقوالهم وافعالهم من الوان العقاب وفنون العذاب عن النبي صلى الله عليه وسلم

وعن النبي عليه السلام من قرأ سورة ق هون الله تعالى عليه تارات الموت وسكراته

والذاريات ذروا اي الرياح التي تذرو التراب وغيره وقرئ بادغام التاء في الذال فالحاملات
وقرا اي السحب الحاملة للمطر او الرياح الحاملة للسحاب وقرئ وقرا على تسمية المحمول بالمصدر فالجاريات
يسرا اي السفن الجارية في مهابها او السحب الجارية في الجو بسوق الرياح او الكواكب الجارية في مجاريها
ومنازلها ويسرا صفة لمصدر محذوف اي جريا ذا يسر فالمقسمات امرا اي الملائكة التي تقسم الامور
من الامطار والارزاق وغيرها او السحب التي يقسم الله تعالى بها ارزاق العباد وقد جوز ان يراد بالكل
الرياح تنزيلا لاختلاف العنوان منزلة اختلاف الذات فانها كما تذروها تذروه تثير السحاب
وتحمله وتجري في الجو جريا سهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب في الاقطار فان حملت الامور المقسم
بها على ذوات مختلفة فالفاء لترتيب الاقسام باعتبار ما بينها من التفاوت في الدلالة على كمال القدرة
والا فهي لترتيب ما صدر عن الريح من الافاعيل فانها تذرو الابخرة الى الجو حتى تنعقد سحابا فتجري به باسطة
له الى ما امرت به فتقسم المطر وقوله تعالى ان ما توعدون لصادق وان الدين لواقع جواب للقسم
وفي تخصيص الامور المذكورة بالاقسام بها رمز الى شهادتها بتحقق مضمون الجملة المقسم عليها من حيث
انها امور بديعة مخالفة لمقتضى الطبيعة فمن قدر عليها فهو قادر على البعث الموعود وما موصولة او مصدرية
ووصف الوعد بالصدق كوصف العيشة بالرضى والدين الجزاء ووقوعه حصوله والسماء ذات
الحبك قال ابن عباس وقتادة وعكرمة ذات الخلق المستوي وقال سعيد بن جبير ذات الزينة
وقال مجاهد هي المتقنة البنيان وقال مقاتل والكلبي والضحاك ذات الطرائق والمراد اما الطرائق
المحسوسة التي هي مسير الكواكب او المعقولة التي يسلكها النظار او النجوم فان لها طرائق وعن الحسن حبكها
نجومها حيث تزينها كما تزين الموشى طرائق الوشي وهي اما جمع حباك او حبيكة كمثال ومثل وطريقة وطرق
وقرئ الحبك بوزن القفل والحبك بوزن السلك والحبك كالجبل والحبك كالبرق والحبك كالنعم
والحبك كالابل انكم لفي قول مختلف اي متخالف متناقض وهو قولهم في حقه عليه السلام تارة شاعر واخرى
ساحر وفي شأن القرآن الكريم تارة شعر وتارة سحر واخرى اساطير وفي هذا الجواب تأييد لكون الحبك
عبارة عن الاستواء كما يلوح به ما نقل عن الضحاك ان قول الكفرة لا يكون مستويا انما هو متناقض مختلف
وقيل النكتة في هذا القسم تشبيه اقوالهم في اختلافها وتنافي اغراضها بطرائق السموات في تباعدها واختلاف
غاياتها وليس بذاك يؤفك عنه من افك اي يصرف عن القرآن او الرسول صلعم من صرف اذ
لا صرف افظع منه واشد وقيل يصرف عنه من صرف في علم الله تعالى وقضائه ويجوز ان يكون
الضمير للقول المختلف على معنى يصدر افك من افك عن ذلك القول وقرئ من افك اي من
افك الناس وهم قريش حيث كانوا يصدون الناس عن الايمان قتل الخراصون دعاء عليهم كقوله تعالى
قتل الانسان ما اكفره واصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن والخراصون
الكذابون المقدرون ما لا صحة له وهم اصحاب القول المختلف كانه قيل قتل هؤلاء الخراصون
وقرئ قتل الخراصين اي قتل الله الذين هم في غمرة من الجهل والضلال ساهون غافلون

عما امروا به يسألون ايان يوم الدين اى متى وقوع يوم الجزاء لكن لا بطريق الاستعلام حقيقة
بل بطريق الاستعجال استهزاء وقرئ ايان بكسر الهمزة يوم هم على النار يفتنون جواب للسؤال
اى يقع يوم هم على النار يحرقون ويعذبون ويجوز ان يكون يوم خبر المبتداء محذوف اى هو يوم هم
والفتح لاضافته الى غير متمكن ويؤيده انه قرئ بالرفع ذوقوا فتنتكم اى مقولا لهم هذا القول وقوله تعالى هذا الذى
كنتم به تستعجلون جملة من مبتداء او خبر داخلة تحت القول المضمر اى هذا ما كنتم تستعجلون به بطريق
الاستهزاء ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم بتاويل العذاب والذى صفته ان المتقين فى جنات
وعيون لا يبلغ كنهها ولا يقادر قدرها آخذين ما آتاهم ربهم اى قابلين لما اعطاهم راضين به
على معنى ان كل ما آتاهم حسن مرضى يتلقى بحسن القبول انهم كانوا قبل ذلك فى الدنيا محسنين اى
لاعمالهم الصالحة آتين بها على ما ينبغى فلذلك نالوا ما نالوا من الفوز العظيم ومعنى الاحسان بالاجمال
ما اشار اليه عليه السلام بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وقد فسر بقوله تعالى
كانوا قليلا من الليل ما يهجعون اى كانوا يهجعون فى طائفة قليلة من الليل على ان قليلا ظرف او كانوا
هجوعا قليلا على انه صفة للمصدر وما مزيدة فى الوجهين ويجوز ان تكون مصدرية او موصولة مرتفعة
بقليلا على الفاعلية اى كانوا قليلا من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه وفيه مبالغات فى تقليل نومهم
واستراحتهم ذكر القليل والليل الذى هو وقت الراحة والهجوع الذى هو الفرار من النوم وزيادة
ما ولا مساغ لجعل ما نافية على معنى انهم لا يهجعون من الليل قليلا بل يحيونه كله لما ان ما النافية لا يعمل
ما بعدها فيما قبلها وبالاسحار هم يستغفرون اى هم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم يداومون على الاستغفار
فى الاسحار كانهم اسلفوا ليلهم باقتراف الجرائم وفى بناء الفعل على الضمير اشعار بانهم الاحقاء
بان يوصفوا بالاستغفار كانهم المختصون به لاستدامتهم له واطنابهم فيه وفى اموالهم حق اى نصيب
وافر يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله واشفاقا على الناس للسائل والمحروم اى للمستجدى والمتعفف
الذى يحسبه الناس غنيا فيحرم الصدقة وفى الارض آيات للموقنين اى دلائل واضحة على شئونه
تعالى على التفصيل من حيث انها مدحوة كالبساط الممهد وفيها مسالك وفجاج للمتقلبين فى اقطارها
والسائحين فى مناكبها وفيها سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات وعيون متفجرة ومعادن مفتنة
وانها تلقح بالوان النبات وانواع الاشجار واصناف الثمار المختلفة الالوان والطعوم والروائح
وفيها دواب منبثة قد رتب كلها ودبر لمنافع ساكنيها ومصالحهم فى مصالحهم واعتلالهم وفى
انفسكم اى وفى انفسكم آيات اذ ليس فى العالم شئ الا وفى الانفس له نظير يدل دلالته على ما انفرد
به من الهيئة النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال البديعة واستنباط
الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة افلا تبصرون اى الا تنظرون فلا تبصرون بعين
البصيرة وفى السماء رزقكم اى اسباب رزقكم او تقديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق
المطر فانه سبب الاقوات وما توعدون من الثواب لان الجنة فى السماء السابعة او لان الاعمال
وثوابها مكتوبة مقدرة فى السماء وقيل انه مبتداء خبره قوله تعالى فورب السماء والارض انه
لحق على ان الضمير لما واما على الاول فاما له واما لما ذكر من امر الآيات والرزق على انه مستعار لاسم الاشارة

الاشارة مثل ما انكم تنطقون اى كما انه لا شك لكم فى انكم تنطقون ينبغى ان لا تشكوا فى حقيته
ونصبه على الحالية من المستكن فى الحق او على انه وصف لمصدر محذوف اى انه لحق معا مثل نطقكم
وقيل انه مبنى على الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو ما ان كانت عبارة عن شئ وان بما فى حيزها ان
جعلت زائدة ومحله الرفع على انه صفة لحق ويؤيده القراءة بالرفع هل اتاك حديث ضيف
ابراهيم تفخيم لشان الحديث وتيسير على انه ليس مما علمه رسول الله صلعم بغير طريق الوحى
والضيف فى الاصل مصدر ضافه ولذلك يطلق على الواحد والجماعة كالزور والصوم وكانوا
اثنى عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبريل وقيل ثلثة جبريل وميكائيل وملك آخر
معهما عليهم السلام وتسميتهم ضيفا لانهم كانوا فى صورة الضيف حيث اضافهم ابرهيم عليه السلام
او لانهم كانوا فى حسبانه كذلك المكرمين اى المكرمين عند الله تعالى او عند ابرهيم حيث
خدمهم بنفسه وبزوجته اذ دخلوا عليه ظرف للحديث او لما فى الضيف من معنى العقل
او المكرمين ان فسر باكرام ابرهيم فقالوا سلاما اى نسلم عليك سلاما قال اى ابرهيم
سلام اى عليكم سلام عدل به الى الرفع بالابتداء للقصد الى الثبات والدوام حتى يكون تحيته
عليه السلام احسن من تحيتهم وقرئا مرفوعين وقرئ سلم وقرئ منصوبا والمعنى واحد قوم منكرون
انكرهم عليهم السلام الذى هو علم للاسلام او لانهم ليسوا ممن عهدهم من الناس او لان اوضاعهم
واشكالهم خلاف ما عليه الناس ولعله عليه السلام انما قاله فى نفسه من غير ان يشعرهم بذلك لا انه
خاطبهم به جهرا او سالهم ان يعرفوه انفسهم كما قيل والا لكشفوا احوالهم عند ذلك ولم يتصد
عليه السلام لمقدمات الضيافة فراغ الى اهلهم اى ذهب اليهم على خفية من ضيفه فان من ادب
المضيف ان يبادر به حذارا من ان يكفه ويعذره او يصير منتظرا والفاء فى قوله تعالى فجاء بعجل
سمين فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بكمال سرعة المجئ
بالطعام كما فى قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق اى فذبح عجلا فحينئذ فجاء به فقربه اليهم
بان وضعه لديهم حسبما هو المعتاد قال الا تاكلون انكار العدم تعرضهم للاكل فاوجس منهم
اضمر فى نفسه خيفة لتوهم انهم جاؤا للشر وقيل وقع فى قلبه انهم ملائكة جاؤا للعذاب
قالوا لا تخف قيل مسح جبريل عليه السلام العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه فعرفهم وامن منهم وبشروه
وفى سورة الصافات وبشرناه اى بواسطتهم بغلام هو اسحق عليه السلام عليم عند بلوغه واستوائه فاقبلت
امرأته سارة لما سمعت بشارتهم الى بيتها وكانت فى زاوية تنظر اليهم فى صرة فى صيحة من الصرير ومحله
النصب على الحالية او المفعولية ان جعلت اقبلت بمعنى اخذت كما يقال اقبل يشتمنى فصكت وجهها اى
لطمته من الحياء لما انها وجدت حرارة دم الطمث وقيل ضربت باطراف اصابعها جبينها كما يفعله
المتعجب وقالت عجوز عقيم اى انا عجوز عاقر فكيف الد قالوا كذلك مثل ذلك القول الكريم قال ربك
وانما نحن معبرون نخبرك به عنه تعالى لا انا نقوله من تلقاء انفسنا انه هو الحكيم العليم فيكون قوله حقا
وفعله متقنا لا محالة روى ان جبريل عليه السلام قال لها انظرى الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة
مثمرة ولم تكن هذه المفاوضة مع سارة فقط بل مع ابرهيم عليه السلام ايضا حسبما شرح فى سورة الحجر وانما لم يذكر

هنا اكتفاء بما ذكر هناك كما انه لم يذكر هناك كسارة اكتفاء بما ذكر ههنا وفي سورة هود قال اى ابراهيم لما علم انهم
ملائكة ارسلوا لامر فما خطبكم اى شانكم الخطير الذى لاجله ارسلتم سوى البشارة انها المرسلون قالوا انا
ارسلنا الى قوم مجرمين يعنون قوم لوط لنرسل عليهم اى بعد ما قلبنا قرارهم وجعلنا عاليها سافلها
حسبما فصل في سائر السورة الكريمة حجارة من طين اى طين متحجر هو السجيل مسومة مرسلة من
الماشية اى ارسلتها او معلمة من السومة وهى العلامة وقد مر تفصيله في سورة هود عند ربك للمسرفين
المجاوزين الحد في الفجور وقوله تعالى فاخرجنا الخ حكاية من جهته تعالى لما جرى على قوم لوط عليه السلم بطريق الاجمال
بعد حكاية ما جرى بين الملائكة وبين ابراهيم عليهم السلم من الكلام والقاء فصيحة مفصحة عن جملة قد حذفت
ثقة بذكرها في مواضع اخر كانه قيل فاشروا واما امروا به فاخرجنا بقولنا فاسر باهلك الخ من كان فيها اى في
قرى قوم لوط واضمارها بغير ذكر لشهرتها من المؤمنين ممن آمن بلوط فما وجدنا فيها غير بيت اى غير
اهل بيت من المسلمين فقيل هم لوط وابنتاه وقيل كان لوط واهل بيته الذين نجوا الثلثة عشر
وتركنا فيها اى في القرية آية علامة دالة على ما اصابهم من العذاب قيل هى تلك الاحجار او صخر منضود
فيها او ماء منتن للذين يخافون العذاب الاليم اى من شانهم ان يخافوه لسلامة فطرتهم ورقة قلوبهم
دون من عداهم من ذوى القلوب القاسية فانهم لا يعتدون بها ولا يعدونها آية وفي موسى عطف
على قوله وفي الارض او على قوله وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا في موسى آية كقول من قال علفتها تبنا
وماء باردا اذ ارسلناه قيل هو منصوب بآية وقيل بمحذوف اى كائنة وقت ارسالنا وقيل
تركنا الى فرعون بسلطان مبين هو ما ظهر على يديه من المعجزات الباهرة فتولى بركنه اى فاعرض
عن الايمان به وازور كقوله تعالى وناى بجانبه وقيل فتولى بما يتقوى به من ملكه وعساكره فان الركن
اسم لما يركن اليه الشئ وقرئ بركنه بضم الكاف وقال ساحر اى هو ساحر او مجنون كانه نسب
ما ظهر على يديه من الخوارق العجيبة الى الجن وتردد في انه حصل باختياره وسعيه او بغيرهما فاخذناه
وجنوده فنبذناهم في اليم وفيه من الدلالة على غاية عظم شان القدرة الربانية ونهاية تمادى
فرعون وقومه ما لا يخفى وهو مليم اى آت بما يلام عليه من الكفر والطغيان والجملة حال من الضمير
في فاخذناه وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم وصفت بالعقم لانها اهلكتهم وقطعت
دابرهم او لانها لم تنشئ خيرا اما من انشاء مطرا او لقاح شجر وهى النكباء او الدبور او الجنوب
ما تذر من شئ اتت عليه اى جرت عليه الا جعلته كالرميم هو كل ما رم وبلى وتفتت
من عظم او نبات او غير ذلك وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين وهو قوله تعالى تمتعوا في
داركم ثلثة ايام قيل قال لهم صالح عليه السلم تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم
الثالث مسودة ثم يصطلمكم العذاب فعتوا عن امر ربهم اى فاستكبروا عن الامتثال
به فاخذتهم الصاعقة قيل لما راوا العلامات التى بينها صالح عليه السلم من اصفرار
وجوههم واحمرارها واسودادها عمدوا الى قتله فنجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان
ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم الصيحة فهلكوا وقرئ الصعقة وهى المرة
من الصعق وهم ينظرون اليها ويعاينونها فما استطاعوا من قيام كقوله تعالى فاصبحوا

في ديارهم جاثمين وما كانوا منتصرين بغيرهم كما لم يمتنعوا بانفسهم وقوم نوح اى واهلكنا
قوم نوح فان ما قبله يدل عليه او واذكروا ذكر ويجوز ان يكون معطوفا على محل في عاد ويؤيده
القراءة بالجر وقيل هو معطوف على معمول فاخذناه من قبل اى من قبل هؤلاء المهلكين
انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن الحدود فيما كانوا فيه من الكفر والمعاصي والسماء بنيناها بايد
اى بقوة وانا لموسعون لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الا نفاق
او لموسعون السماء او ما بينها وبين الارض او الرزق والارض فرشناها مهدناها وما
بسطناها ليستقر عليها فنعم الماهدون اى نحن ومن كل شئ اى من الاجناس خلقنا
زوجين اى نوعين ذكرا وانثى وقيل متقابلين السماء والارض والليل والنهار
والشمس والقمر والبر والبحر ونحو ذلك لعلكم تذكرون اى فعلناه ذلك كله كى تتذكروا
انه خالق الكل ورازقه وانه المستحق للعبادة وانه قادر على اعادة الجمع فتعملوا بمقتضاه
وقوله تعالى ففروا الى الله مقدر بقول خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين والفاء
اما لترتيب الامر على ما حكى من آثار غضبه الموجبة للفرار منها ومن احكام رحمته المستدعية للفرار
اليها كانه قيل قل لهم اذا كان الامر كذلك فاهربوا الى الله الذى هذه شؤونه بالايمان والطاعة
كى تنجوا من عقابه وتفوزوا بثوابه واما للعطف على جملة مقدرة مترتبة على قوله تعالى لعلكم
تذكرون كانه قيل قل لهم فتذكروا ففروا الى الله الخ وقوله تعالى اني لكم منه نذير مبين تعليل
للامر بالفرار اليه تعالى او لوجوب الامتثال به فان كونه عليه السلم منذرا منه تعالى موجب عليه
عليه السلم ان يامرهم بالفرار اليه وعليهم ان يمتثلوا به اى اني لكم من جهته تعالى منذر بين كونه
منذرا منه تعالى او مظهر يلجب اظهاره من العذاب المنذر به وفي امره تعالى للرسول عليه السلم
بان يامرهم بالهرب اليه من عقابه وتعليله بانه عليه السلم ينذرهم من جهته تعالى لامن تلقاء
نفسه وعد كريم بنجاتهم من المهروب وفوزهم بالمطلوب وقوله تعالى ولا تجعلوا مع الله
الها آخر شئ موجب للفرار من سبب العقاب بعد الامر بالفرار من نفسه كما يشعر به
قوله تعالى اني لكم منه اى من الجعل المنهى عنه نذير مبين فان تعلق كلمة من بالانذار مع كون
صلته الباء بتضمينه معنى الافرار بتعالى فرمنه اى هربه واقرة غيره كانه قيل وفروا من ان
تجعلوا معه تعالى اعتقادا او قولا الها آخر وفيه تاكيد لما قبله من الامر بالفرار من العقاب
اليه تعالى لكن لا بطريق التكرير كما قيل بل بالنهى عن سببه وايجاب الفرار منه كذلك اى
الامر مثل ما ذكر من تكذيبهم الرسول وتسميتهم له ساحرا او مجنونا وقوله تعالى ما اتى الذين
من قبلهم الخ تقرير له اى ما اتاهم من رسول من رسل الله الا قالوا في حقه ساحر او مجنون
والسبيل الى انتصاب الكاف ياتى للامتناع عمل ما بعد ما النافية فيما قبلها اتواصوا
به انكار وتعجيب من حالهم واجماعهم على تلك الكلمة الشنيعة التى لا تكاد تخطر ببال
احد من العقلاء فضلا عن التفوه بها اى اوصى بهذا القول بعضهم بعضا حتى اتفقوا
عليه وقوله تعالى بل هم قوم طاغون اضراب عن كون مدار اتفاقهم على الشركة واصبهم

بذلك وإثبات لكونه أمرا اقبح من التواصي والتشيع منه من الطغيان الشامل للكل
الدال على ان صدور تلك الكلمة الشنيعة عن كل واحد منهم بمقتضى جبلته الخبيثة لا بموجب
وصية من قبلهم بذلك من غير ان يكون ذلك مقتضى طباعهم فتول عنهم فاعرض
عن جدالهم فقد كررت عليهم الدعوة فابوا الا الاباء فما انت بملوم على التولي بعد ما
بذلت المجهود وجاوزت في الابلاغ كل حد معهود وذكر اي افعل التذكير والموعظة
ولا تدعهما بالمرة او فذكرهم وقد حذف الضمير لظهور الامر فان الذكرى تنفع المؤمنين
اي الذين قدر الله تعالى ايمانهم او الذين آمنوا بالفعل فانها تزيدهم بصيرة وقوة
في اليقين وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون استيناف مؤكد للامر
مقرر لمضمون تعليله فان كون خلقهم مغيا بعبادته تعالى مما يدعوه عليه اللم الى تذكرهم
ويوجب عليهم التذكر والاتعاظ ولعل تقديم خلق الجن في الذكر لتقدمه على خلق
الانس في الوجود ومعنى خلقهم لعبادته تعالى خلقهم مستعدين لها ومتمكنين منها ثم استعداد
واكمل تمكن مع كونها مطلوبة منهم بتنزيل ترتيب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة ترتب الغرض
على ما هو غرض له فان استتباع افعاله تعالى لغايات جليلة مما لا نزاع فيه قطعا كيف لا
وهي رحمة منه تعالى وتفضل على عباده وانما الذي لا يليق بجنابه عز وجل تعليلها بالغرض بمعنى
الباعث على الفعل بحيث لولاه لم يفعله لافضائه الى استكماله بفعله وهو الكامل بالفعل
من كل وجه واما بمعنى نهاية كمالية يفضي اليها فعل الفاعل الحق فغير منفي من افعاله تعالى بل
كلها جارية على ذلك المنهاج وعلى هذا الاعتبار يدور وصفه تعالى بالحكمة ويكفي في تحقق
معنى التعليل على ما يقوله الفقهاء ويتعارفه اهل اللغة هذا المقدار وبه يتحقق مدلول
اللام واما ارادة الفاعل لها فليست من مقتضيات اللام حتى يلزم من عدم صدور
العبادة عن البعض تخلف المراد عن الارادة فان تعوق البعض عن الوصول الى الغاية
مع تعاضد المبادئ وتاخذ المقدمات الموصلة اليها لا يمنع كونها غاية كما في قوله تعالى
كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور ونظائره وقيل المعنى الا ليامروا
بعبادتي كما في قوله وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا وقيل المراد سعداء الجنسين كما
ان المراد بقوله تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس اشقياؤهما ويعضده قراءة
من قرأ وما خلقت الجن والانس من المؤمنين وقال مجاهد واختاره البغوي
معناه الا ليعرفون ومداره قوله صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه عن رب العزة كنت كنزا
مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف ولعل التعبير عن المعرفة
بالعبادة على طريقة اطلاق اسم السبب على المسبب التنبيه على ان المعتبر هي المعرفة
الحاصلة بعبادته تعالى لا ما يحصل بغيرها كمعرفة الفلاسفة ما اريد منهم من رزق
وما اريد ان يطعمون بيان لكون شانه تعالى مع عباده متعاليا عن ان يكون كشأن
السادة مع عبيدهم حيث يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معائشهم وتهيئة ارزاقهم اي

اي ما اريد ان اصرفهم في تحصيل رزقي ولا رزقهم بل اتفضل عليهم برزقهم وما يصلحهم و
بعيشهم من عندي فليشتغلوا بما خلقوا له من عبادتي ان الله هو الرزاق
الذي يرزق كل ما يفتقر الى الرزق وفيه تلويح بانه غني عنه وقرئ اني انا الرزاق
ذو القوة المتين بالرفع على انه نعت للرزاق او لذو او خبر بعد خبر لمضمر وقرئ
بالجر على انه وصف للقوة على تاويل الاقتدار او الايد فان للذين ظلموا اي ظلموا
انفسهم بتعريضها للعذاب الخالد بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم او وضعوا
مكان التصديق تكذيبا وهم اهل مكة ذنوبا اي نصيبا وافرا من العذاب
مثل ذنوب اصحابهم مثل انصبائهم نظرائهم من الامم المحكية وهو ماخوذ
من مقاسمة الستاة الماء بالذنوب وهو الدلو العظيم المملوء فلا يستعجلون
اي لا يطلبوا مني ان اعجل في المجئ به يقال استعجله اي حثه على العجلة وامره بها ويقال
استعجله اي طلب وقوعه بالعجلة ومنه قوله تعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه وهو
جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فويل للذين كفروا وضع الموصول موضع
ضميرهم تسجيلا عليهم بما في حيز الصلة من الكفر واشعارا بعلة الحكم والفاء لترتيب ثبوت
الويل لهم على ان لهم عذابا عظيما كما ان الفاء الاولى لترتيب النهي عن الاستعجال على ذلك
ومن في قوله تعالى من يومهم الذي يوعدون للتعليل اي يوعدونه من يوم بدر
وقيل يوم القيمة وهو الانسب بما في صدر السورة الكريمة الآتية والاول هو الاوفق
بما قبله من حيث انهما من العذاب الدنيوي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرء
والذاريات اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا

سورة طور

بسم الله الرحمن الرحيم

والطور الطور بالسريانية الجبل والمراد به طور سيناء وهو جبل عمدين سمع فيه
موسى كلام الله عز وعلا وكتاب مسطور مكتوب على وجه الانتظام فان الشطر ترتيب
الحروف المكتوبة والمراد به القرآن او الواح موسى وهو الانسب بالطور او ما
يكتب في اللوح او ما يكتبه الحفظة في رق منشور الرق الجلد الذي يكتب فيه
استعير لما يكتب فيه الكتاب من الصحيفة وتنكيرهما للتفخيم او الاشعار بانهما لسائر
مما يتعارفه الناس والبيت المعمور اي الكعبة وعمارتها بالحجاج والعمار والحج
او الضراح وهو في السماء الرابعة وعمارته كثرة غاشيته من الملئكة والسقف
المرفوع اي السماء ولا يخفى حسن موقع العنوان المذكور والبحر المسجور اي المملوء
وهو البحر المحيط او الموقد من قوله تعالى واذا البحار سجرت فالمراد به الجنس روى
ان الله تعالى يجعل البحار يوم القيمة نارا يسجر بها نار جهنم ان عذاب ربك
لواقع اي لنازل حتما جواب للقسم وقوله تعالى ما له من دافع اما خبر ثان او صفة

ورين

صنع

لواقع ومن دافع اما مبتداء للظرف او مرتفع منه على الفاعلية ومن مزيدة للتاكيد وتخصيص هذه
الامور بالاقسام بهالما انها امور عظام تنبئ عن عظم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته الدالة على
احاطته بتفاصيل اعمال العباد وضبطها الشاهدة بصدق اخباره التي من جملتها الجملة المقسم عليها
وقوله تعالى يوم تمور السماء مورا ظرف لواقع مبين لكيفية الوقوع مبني عن كمال هوله و
فظاعته والمور الاضطراب والتردد في الجيء والذهاب وقيل هو تحرك في تموج وقيل
تدور السماء كما تدور الرحى وتتكفو باهلها تكفوء السفينة وقيل تختلف اجزاؤها وتسير
الجبال سيرا اي ترول عن وجه الارض فتصير هباء وتاكيد الفعلين بمصدريهما للايذان
بغرابتهما وخروجهما عن الحدود المعهودة اي مورا عجيبا وسيرا بديعا لايدرك كنههما فويل
يومئذ للمكذبين اي اذا وقع ذلك او اذا كان الامر كما ذكر فويل يوم اذ يقع ذلك لهم الذين
هم في خوض اي اندفاع عجيب في الاباطيل والاكاذيب يلعبون يكبون يوم يدعون
الى نار جهنم دعا اي يدفعون اليها دفعا عنيفا شديدا بان يغل ايديهم الى اعناقهم ويجمع
نواصيهم الى اقدامهم فيدفعوا الى النار وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعاء لا بمعنى
مدعوين ويوم اما بدل من يوم تمور او ظرف لقول مقدر قبل قوله تعالى هذه النار التي كنتم بها
تكذبون اي يقال لهم ذلك ومعنى التكذيب بها تكذيبهم بالوحي الناطق بها وقوله تعالى
افسحر هذا توبيخ وتقريع لهم حيث كانوا يسمونه سحرا كانه قيل كنتم تقولون للقرآن الناطق
بهذا سحر فهذا ايضا سحر وتقديم الخبر لانه محط الانكار ومدار التوبيخ ام انتم لا تبصرون
اي ام انتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر او ام سدت ابصاركم كما سدت في الدنيا
على زعمكم حيث كنتم تقولون اغشيت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون اصلوها فاصبروا
اولا تصبروا اي ادخلوها وقاسوا شدايدها فعلوا ما شئتم من الصبر وعدمه سواء
عليكم اي الامران في عدم النفع لابد فع العذاب ولا بتخفيفه وقوله تعالى انما تجزون ما
كنتم تعملون تعليل للاستواء فان الجزاء حيث كان واجب الوقوع حتما كان الصبر وعدمه
سواء في عدم النفع ان المتقين في جنات ونعيم اي في اية جنات واي نعيم على ان
التنوين للتفخيم او في جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين على انه للتنويع فاكهين ناعمين
متلذذين بما اتاهم ربهم وقرئ فكهين وفاكهون على انه الخبر والظرف لغو متعلق بالخبر
او خبر اخر ووقيهم ربهم عذاب الجحيم عطف على اتاهم على ان ما مصدرية او على خبر
ان او حال باضمار قد اما من المستكن في الخبر او في الحال واما من فاعل اتى او من مفعوله
او منهما واظهار الرب في موقع الاضمار مضافا الى ضميرهم للتشريف والتعليل كلوا واشربوا
اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه بما كنتم تعملون
بسببه او بمقابلته وقيل الباء زايدة وما فاعل هنيئا اي هنأكم ما كنتم تعملون اي جزاؤه
متكئين على سرر مصفوفة مصطفة وزوجناهم بحور عين وقرئ بحور عين على
اضافة الموصوف الى صفته بالتاويل المشهور وقرئ بعيش عين والباء مع ان

ان التزويج مما يتعدى الى مفعولين لما فيه من معنى الوصل والالصاق او للتبيين اذ المعنى
صيرناهم ازواجا بسببهن فان الزوجية لا تتحقق بدون انضمام احد اليهم وقوله تعالى
والذين امنوا الخ كلام مستانف مسوق لبيان حال طايفة من اهل الجنة اثر بيان
حال الكل وهم الذين شاركتهم ذرياتهم في الايمان وهو مبتدأ خبره الحقنا بهم وقوله تعالى
واتبعتهم ذريتهم عطف على امنوا وقيل اعتراض وقوله تعالى بايمان متعلق بالاتباع
اي اتبعتهم ذرياتهم بايمان في الجملة قاصر عن رتبة ايمان الاباء واعتبار هذا القيد للايذان
بثبوت الحكم في الايمان الكامل اصالة لا الحاقا وقرئ ذرياتهم للمبالغة في الكثرة و
ذرياتهم بكسر الذال وقرئ واتبعناهم ذرياتهم اي جعلناهم تابعين لهم في الايمان وقرئ
اتبعتهم الحقنا بهم ذريتهم اي في الدرجة كما روي انه عليه السلام قال انهم تعالى يرفع ذرية
المؤمن في درجته وان كانوا دونه فتقر بهم عينه ثم تلا هذه الاية وما التناهم ونما
نقصنا الاباء بهذا الالحاق من عملهم من شيء بان اعطينا بعض
مثوباتهم ابناءهم فينقص مثوباتهم ونحط درجتهم وانما رفعنا هم الى منزلتهم بمحض
التفضل والاحسان وقرئ التناهم بكسر اللام من الت يالت كعلم يعلم والاول
كضرب يضرب ولتناهم من لات يليت والتناهم من الت يولت ولتناهم
من ولت يليت والكل بمعنى واحد هذا وقد قيل الموصول معطوف على حور والمعنى
قرناهم بالحور وباللتين امنوا اي بالرفقاء والجلساء منهم فيتمتعون تارة بملاعبة الحور
واخرى بمؤانسة الاخوان المؤمنين وقوله واتبعتهم عطف على زوجناهم وقوله
بايمان متعلق بما بعده اي بسبب ايمان عظيم رفيع المحل وهو ايمان الاباء والحقنا
بدرجاتهم فوق درجاتهم واه كانوا لايستاهلونها تفضلا عليهم وعلى اباءهم ليتم سرورهم
ويكمل نعيمهم او بسبب ايمان دانى المنزلة وهو ايمان الذرية كانه قيل بشيء من الايمان
لا يوهلهم لدرجة الاباء الحقناهم بهم كل امرئ بما كسب رهين قيل هو فعيل
بمعنى المفعول والمعنى كل امرئ مرهون عند الله بالعمل الصالح فان عمله فكه والا
اهلكه وقيل بمعنى الفاعل والمعنى كل امرئ بما كسب راهن اي دايم ثابت وهذا انسب
بالمقام فان الدوام يقتضي عدم المفارقة بين المرء وعمله ومن ضرورته الا ينقص من
ثواب الاباء شيء فالجملة تعليل لما قبلها وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون
وزدناهم على ما كان لهم من مبادي التنعم وقتا فوقتا ما يشتهون من فنون النعماء
والوان الالاء يتنازعون فيها اي يتعاطون فيها هم وجلساؤهم بكمال رغبة واشتهاء
كما ينبئ عنه التعبير عن ذلك بالتنازع كاسا اي خمرا تسمية لها باسم محلها لا لغو
فيها اي في شربها حيث لا يتكلمون في اثناء الشرب بلغو الحديث وسقط الكلام
ولا تاثيم ولا يفعلون ما يوثم به فاعله اي يسبب الاثم لو فعله في دار التكليف كما هو
ديدن المتادمين في الدنيا وانما يتكلمون بالحكم واحاسن الكلام ويفعلون ما يفعله

الكرام وقرئ لا لغو فيها ولا تاثيم بالفتح ويطوف عليهم اى بالكاس غلمان لهم اى مماليك مخصوصون بهم وقيل هم اولادهم الذين سبقوهم كانهم لؤلؤ مكنون مصون فى الصدف من بياضهم وصفائهم او مخزون لانه لا يخزن الا الثمين الغالى القيمة قيل لقتادة خادم الخادم فكيف المخدوم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه السلم ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينادى الخادم من خدامه فيجيبه الف ببابه لبيك لبيك وانا فضل بعضهم على بعض يتسائلون اى يسأل كل بعض منهم بعضا آخر عن احواله واعماله فيكون كل بعض سائلا ومسئولا او انه يسأل بعض معين منهم بعضا آخر معينا قالوا اى المسئولون وهم كل واحد منهم فى الحقيقة انا كنا قبل اى فى الدنيا فى اهلنا مشفقين ارقاء القلوب خائفين من عصيان الله تعالى معتنين بطاعته او وجلين من العاقبة فمن الله علينا بالرحمة او التوفيق للحق ووقانا عذاب السموم عذاب النار النافذة فى المسام نفوذ السموم وقرئ ووقانا بالتشديد انا كنا من قبل ندعوه اى نعبده او نسأله الوقاية انه هو البر المحسن الرحيم الكثير الرحمة الذى اذا عبد اثاب واذا سئل اجاب وقرئ انا بالفتح بمعنى لانه نذكر فاثبت على ما انت عليه من التذكير بما انزل اليك من الآيات والذكر الحكيم ولا تكترث بما يقولون مما لا خير فيه من الاباطيل فما انت بنعمت ربك بحمده وانعامه بصدق النبوة ورجاحة العقل بكاهن ولا مجنون كما يقولون قاتلهم الله انى يؤفكون ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون وهو ما يقلق النفوس ويشخص لها من حوادث الدهر وقيل المنون الموت وهو فى الاصل فعول من منه اذا قطعه لان الموت قطوع اى بل اتقولون نتنظر به نوائب الدهر قل تربصوا فانى معكم من المتربصين اتربص بها حكمكم كما تتربصون هلاكى وفيه عدة كريمة باهلاكهم ام تامرهم احلامهم اى عقولهم بهذا اى بهذا التناقض فى المقال فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر فى الامور والمجنون مغطى عقله مختل فكره والشاعر ذو كلام موزون متسق يخيل فكيف يجمع اوصاف هؤلاء فى واحد وامر الاحلام بذلك مجاز من ادائها اليه ام هم قوم طاغون مجاوزون الحد وفى الكبائر والعناد لا يحومون حول الرشد والسداد ولذلك يقولون ما يقولون من الاكاذيب الخارجة عن دائرة العقول والظنون وقرئ بل هم ام يقولون تقوله اى اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه الاباطيل التى لا يخفى على احد بطلانها كيف لا وما رسول الله عم الا واحد من العرب فكيف اتى بما عجز عنه كافة الامم من العرب والعجم فليأتوا بحديث مثله مثل القرآن فى النعوت التى استقل بها من حيث النظم ومن حيث المعنى ان كانوا صادقين فيما زعموا فان صدقهم فى ذلك يستدعى قدرتهم على الاتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عليه السلم فى البشرية والعربية مع ما بهم من طول الممارسة للخطب والاشعار وكثرة المزاولة لاساليب النظم والنثر والمبالغة فى حفظ الوقايع والايام ولارباب الفصاحة فى ان القدرة على الشئ من موجبات الاتيان به وداعى الامر بذلك ام خلقوا من غير شئ اى ام احدثوا وقدروا هذا التقدير البديع من غير محدث ومقدر وقيل ام خلقوا من اجل لا شئ من عبادة وخلافها ام هم الخالقون لانفسهم فلذلك لا يعبدون الله سبحانه ام خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون اى

اى اذا سئلوا من خلقكم وخلق السموات والارض قالوا الله وهم غير موقنين بما قالوا او الما اعرضوا عن عبادته ام عندهم خزائن ربك اى خزائن رزقه ورحمته حتى يرزقوا النبوة من شاؤا ويمسكوها عمن شاؤا او اعندهم خزائن علمه وحكمته حتى يختاروا لها من اقتضت الحكمة اختيارهم ام هم المسيطرون اى الغالبون على الامور يدبرون بها كيف شاؤا حتى يدبروا امر الربوبية ويتولوا الامور على ارادتهم ومشيتهم وقرئ المصيطرون بالصاد لمكان الطاء منصوب الى السماء يستمعون فيه صاعدين الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من الامور التى يتقولون فيها رجما بالغيب ويعللون بها اطماعهم الفارغة فليأت مستمعهم بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق استماعه ام له البنات ولكم البنون تنسبونه اليهم وتركبون لعقولهم وايذانا بان من هذا رأيه لا يكاد يعد من العقلاء اعرضا عن الترقى الى عالم الملكوت والتطلع على الاسرار الغيبية والالتفات الى الخطاب لتشديد ما فى ام المنقطعة من الانكار والتوبيخ ام تسئلهم اجرا رجوع الى خطابه عليه السلم واعراض عنهم اى بل اتسئلهم اجرا على تبليغ الرسالة فهم لاجل ذلك من مغرم من التزام غرامة فادحة مثقلون محملون الثقل فلذلك لا يتبعونك ام عندهم الغيب اى اللوح المحفوظ المثبت فيه الغيوب فهم يكتبون ما فيه حتى تكلموا فى ذلك بنفى او اثبات ام يريدون كيدا هو كيدهم برسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة فالذين كفروا هم المذكورون ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بما فى حيز الصلة من الكفر وتعليل الحكم به او جميع الكفرة وهم داخلون فيه دخولا اوليا هم المكيدون اى هم الذين يحيق بهم كيدهم او يعود عليهم وباله لا من ارادوا ان يكيدوه وهو ما اصابهم يوم بدر او هم المغلوبون فى الكيد من لا يدته مكدته ام لهم اله غير الله يعينهم ويحرسهم من عذابه سبحان الله عما يشركون اى عن اشراكهم او عن شركة ما يشركونه وان يروا كسفا قطعة من السماء ساقطا لتعذيبهم يقولوا من فرط طغيانهم وعنادهم سحاب مركوم اى هم فى الطغيان بحيث لو اسقطناه عليهم حسبما قالوا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا لقالوا هذا سحاب تراكم بعضها على بعض فمطر بنا ولم يصدقوا انه كسف ساقط للعذاب فذرهم حتى يلاقوا وقرئ حتى يلقوا يومهم الذى فيه يصعقون على البناء للمفعول من صعقته الصاعقة او من اصعقته وقرئ يصعقون بفتح الياء والعين وهو يوم يصيبهم الصعقة بالقتل يوم بدر لا النفخة الاولى كما قيل اذ لا يصعق بها الا من كان حيا حينئذ ولان قوله تعالى يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئا اى شيئا من الاغناء بدل من يومهم ولا يخفى ان الغرض لبيان عدم نفع كيدهم يستدعى استعمالهم لها طمعا فى الانتفاع به وليس ذلك الا ما دبروه فى امر صلى الله عليه وسلم من الكيد الذى من جملة مناصبتهم يوم بدر واما النفخة الاولى فليست مما يجرى فى مدافعته الكيد والحيل وقيل هو يوم موتهم وفيه ما فيه مع ما يأباه من الاضافة المنبئة عن اختصاصهم به وان للذين ظلموا اى لهم ووضع الموصول موضع الضمير لما ذكر من ظلمهم اى وان لهؤلاء الظلمة عذابا آخر دون ذلك دون ما لاحق من القتل اى قبله وهو القحط الذى اصابهم

ولا هم ينصرون من جهة الغير فى دفع العذاب عنهم

سبع سنين او وراءه كما في قوله تريك العذاب من دونها وهو دونها وهو عذاب القبر وما بعده
من فنون عذاب الآخرة وقرئ دون ذلك قريبا ولكن اكثرهم لا يعلمون اى الام كما ذكر
وفيه اشارة الى ان فيهم من يعلم ذلك انما يصرون على الكفر عنادا او لا يعلمون شيئا اصلا واصبر
لحكم ربك بامهالهم لا يومهم الموعود واتعائك فيما بينهم مع مقاساة الاحزان ومعاناة
الهموم فانك باعيننا اى في حفظنا وحمايتنا بحيث نراقبك ونكلؤك وجمع العين
لجمع الضمير والايذان بغاية الاعتناء بالحفظ وسبح اى نزهه تعالى عما لا يليق به ملتبسا بحمده
ربك على نعمائه الفائتة للحصر حين تقوم من اى مكان شئت قال سعيد بن جبير وعطا
اى قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك وقال ابن عباس صل لله حين تقوم من
منامك وقال الضحاك والربيع اذا قمت الى الصلوة فقل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك
اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك وقوله تعالى ومن الليل فسبحه افراد لبعض الليل بالتسبيح
للايذان بان العبادة فيه اشق على النفس وابعد عن الرياء كما يلوح به تقديمه على الفعل وادبار النجوم
اى وقت ادبارها من آخر الليل اى عقبها بصوء الصباح وقيل التسبيح من الليل صلاة العشاءين
وادبار النجوم صلاة الفجر وقرئ أدبار النجوم بالفتح اى في اعقابها اذا غربت او خفيت
عن النبي عليه السلم من قرء سورة الطور كان حقا على الله تعالى ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه في جنته

والنجم اذا هوى المراد بالنجم اما الثريا فانه اسم غالب او جنس النجوم ويهوي غروبه وقيل طلوعه
يقال هوى يهوي هويا من باب قتل اذا غرب وهوتا من باب دخل اذا علا وصعد واما النجم من
نجوم القرآن فهويه نزوله والعامل في اذا فعل القسم فانه بمعنى مطلق الوقت منسلخ عن
معنى الاستقبال كما في قولك آتيك اذا احمر البسر وفي الاقسام بذلك على نزاهته عليه السلم
عن شائبة الضلال والغواية من الرداءة البديعة وحسن الموقع ما لا غاية وراءه اما على الاولين
فلان النجم شأنه ان يهتدي به السارى الى مسالك الدنيا كما انه قيل والنجم الذي يهتدي به السابلة
الى سواء السبيل ما ضل صاحبكم اى ما عدل عن طريق الحق الذي هو مسلك الاخرة وما
غوى اى وما اعتقد باطلا قط اى هو في غاية الهدى والرشد وليس مما تتوهمونه من الضلال
والغواية في شئ اصلا واما على الثالث فلانه تنويه بشان القرآن كما اشير اليه في مطلع
سورة يس وسورة الزخرف وتبنيه على مناط اهتدائه عليه السلم ومدار رشاده كانه قيل
والقرآن الذي هو علم في الهداية الى مناهج الدين ومسالك الحق ما ضل عنها محمد عليه السلام
وما غوى والخطاب لقريش وامراده عليه السلم بعنوان صاحبيتهم لهم للايذان بوقوفهم على افاضل
احواله الشريفة واحاطتهم خبرا ببراءته عليه السلم مما نفي عنه بالكلية وباتصافه بغاية الهدى والرشاد
فان طول صحبتهم له ومشاهدتهم لمحاسن شئونه العظيمة مقتضية لذلك حتما وتعقيب
القسم بوقتا لهوى على الوجه الاخير ظاهر واما على الاولين فلان النجم لا يهتدي به السارى

السارى عند كونه في وسط السماء ولا يعلم المشرق من المغرب ولا الشمال من الجنوب وانما
يهتدي به عند هبوطه او صعوده مع ما فيه من كمال المناسبة لما يحكى من تدلي جبريل من الافق
الاعلى ودنوه منه عليهما السلم اذ هبوا اللائق بشان التنزيل الجليل واما حمل هويه على انتثاره يوم
القيمة او على انقضاض النجم الذي يرجم به او حمل النجوم على النبات وحمل هويه على سقوطه
على الارض او ظهوره منها مما لا يناسب المقام وما ينطق عن الهوى اى وما ينطق نطقا
بالقرآن عن هواه ورايه اصلا فان المراد استمرار نفي النطق عن الهوى لا نفي استمرار
النطق عنه كما مر مرارا ان هو اى ما الذي ينطق به من القرآن الا وحي من الله تعالى وقوله
يوحى صفة مؤكدة لوحي رافعة لاحتمال المجاز مفيدة للاستمرار التجددي علمه شديد القوى
اى ملك شديد قواه وهو جبريل عليه السلم فانه الواسطة في ابداء الخوارق وناهيك دليلا على شدة
قوته انه قلع قرى قوم لوط من الماء الاسود الذي تحت الثرى وحملها على جناحه ورفعها الى
السماء ثم قلبها وصاح بثمود صيحة فاصبحوا جاثمين وكان مبسوطة على الانبياء وصعوده
اسرع من رجعة الطرف ذو مرة اى حصانة في عقله ورايه ومتانة في دينه فاستوى عطف
على علمه بطريق التفسير فانه الى قوله تعالى ما اوحى بيان لكيفية التعليم اى فاستقام على صورته
التي خلقه الله تعالى عليها دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي وذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم احب ان يراه في صورته التي جبل عليها وكان رسول الله صلعم بحرا فطلع له
جبريل عم من المشرق فسد الارض من المغرب وملاء الافق فخر رسول الله صلعم فنزل جبريل
في صورة الآدميين فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه قيل ما راه احد من الانبياء
في صورته غير النبي عليهم السلم فانه راه فيها مرتين مرة في الارض ومرة في السماء وقيل استوى
بقوته على ما جعل له من الامر وقوله تعالى وهو بالافق الاعلى اى افق الشمس حال من فاعل
استوى ثم دنا اى اراد الدنو من النبي عليه السلم فتدلى اى استرسل من الافق الاعلى مع تعلق
به فدنى من النبي يقال تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير وادلى دلوه والدوالي الثمر المعلق
فكان اى مقدار امتداد ما بينهما قاب قوسين اى مقدار ما فان القاب والقيب
والقاد والقيد والقيس المقدار وقيل فكان جبريل عليه السلم كما في قولك هو مني مقعد الازار
او ادنى اى على تقديركم كما في قوله تعالى او يزيدون والمراد تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استمراره
لما اوحى اليه نفي البعد الملبس فاوحى اى جبريل الى عبده عبد الله تعالى واضماره قبل الذكر
لغاية ظهوره كما في قوله تعالى ما ترك على ظهرها ما اوحى اى من الامور العظيمة التي لا تفي بها العبارة
او فاوحى الله تعالى حينئذ بواسطة جبريل ما اوحى قيل اوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى
تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها امتك ما كذب الفؤاد اى فواد محمد عليه السلم ما رآى اى ما رآه
ببصره من صورة جبريل عليهم السلم اى ما قال فواده لما راه لم اعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه
عرفه بقلبه كما راه ببصره وقرئ ما كذب اى صدقه ولم يشك انه جبريل بصورة افتمارونه
على ما يرى اى اتكذبونه فتجادلونه على ما يراه معاينة او ابعد ما ذكر من احواله المنافية للمماراة

تمارونه من المراء وهو الملاحاة والمجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كان كلا من المتجادلين
يمرى ما عند صاحبه وقرئ افتمرونه اى افتغلبونه فى المرا من ماريته فمريته ولما فيه من معنى
الغلبة عدى بعلى كما يعدى علية على كذا وقيل افتمرونه افتجحدونه من مراه حقه اى نحده
ولقد رآه نزلة اخرى اى وبالله لقد رآى جبرئيل فى صورته مرة اخرى من النزول فنصبت
النزلة نصب الظرف الذى هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت فى حكمها
وقيل تقديره ولقد رآه نازلا نزلة اخرى فنصبها على المصدر عند سدرة المنتهى
هى شجرة نبق فى السماء السابعة عن يمين العرش تمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيول
تنبع من اصلها الانهار التى ذكرها الله تعالى كتابه يسير الراكب فى ظلها سبعين عاما لا يقطعها
والمنتهى موضع الانتهاء او الانتهاء كانها فى منتهى الجنة وقيل اليها ينتهى علم الخلايق وما
ولا يعلم احد ما وراءها وقيل ينتهى اليها ارواح الشهداء وقيل ينتهى اليها ما يهبط من
فوقها ويصعد من تحتها قيل اضافة السدرة الى المنتهى اما اضافة الشئ الى مكانه كقولك
اشجار البستان او اضافة المحل الى الحال كقولك كتاب الفقه والتقدير سدرة عندها
منتهى العلوم او اضافة الملك الى المالك على حذف الجار والمجرور اى سدرة المنتهى اليه
وهو الله عز وجل قال تعالى الى ربك المنتهى عندها جنة المأوى اى الجنة التى يأوى اليها
المتقون او ارواح الشهداء والجملة حالية قيل الاحسن ان يكون الحال هو الظرف
وجنة المأوى مرتفع به على الفاعلية وقوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى ظرف رآه
لا لما بعده من الجملة المنفية كما قيل فان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها والغشيان
بمعنى التغطية والستر ومنه الغواشى او بمعنى الاتيان يقال فلان يغشانى كل حين
اى ياتينى والاول هو الالين بالمقام وفى ابهام ما يغشى من التفخيم ما لا يخفى وتاخيره عن
المفعول للتشويق اليه اى ولقد رآه عند السدرة وقت ما غشيها ما غشيها مما لا يكتنهه
الوصف ولا ينبئ به البيان كيفا ولا كما وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا
لصورتها البديعة او للايذان باستمرار الغشيان بطريق التجدد قيل يغشاها الحق الغير
من الملائكة يعبدون الله عندها وقيل يزورونها متبركين بها كما يزور الناس الكعبة
وقيل يغشاها سبحات انوار الله عز وجل حين تجلى لها كما تجلى للجبل لكنها كانت اقوى
من الجبل واثبت حيث لم يصبها ما اصابه من الدك وقيل يغشاها فراش اوجراد
من ذهب وهو قول ابن عباس وابن مسعود والضحاك وروى عن النبى عليه السلم
انه قال رايت السدرة يغشاها فراش من ذهب ورايت على كل ورقة ملكا قائما
يسبح الله تعالى وعن عليه السلم يغشاها رفرف من طير خضر ما زاغ البصر اى ما مال
نظر رسول الله صلعم عما رآه وما طغى وما تجاوزه مع ما شاهد هناك من الامور
المذهلة ما لا يحصى بل اثبته اثباتا صحيحا متيقنا او ما عدل عن رويته العجايب التى تحار
برؤيتها وتكل منها وما جاوزها لقد رأى من آيات ربه الكبرى اى والله لقد رأى

رأى الآيات التى هى كبراها وعظماها حين عرج به الى السماء فارى من عجايب الملك والملكوت
ما لا يحيط به نطاق العبارة ويجوز ان يكون الكبرى صفة للآيات والمفعول محذوف اى شيئا عظيما
من آيات ربه وان يكون من مزيدة افرايتم اللات والعزى ومنات الثالثة الاخرى
هى اصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطايف وقيل لقريش بنخلة وهى فعلة
من لوى لانهم كانوا يلوون عليها ويطوفون بها وقرئ بتشديد التاء على انه اسم فاعل اشتهر به
رجل كان يلت السمن بالزيت ويطعم الحاج وقيل كان يلت السويق بالطايف ويطعم الحاج
فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وقيل كان يجلس على حجر فلما مات سمى الحجر باسمه وعبد من دون
الله وقيل كان الحجر على صورته والعزى تانيث الاعز كانت لغطفان وهى سمرة كانوا يعبدونها
فبعث رسول الله صلعم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها واضعة يدها
على راسها وهى تقول فجعل خالد يضربها بالسيف حتى قتلها فاخبر رسول الله صلعم فقال تلك
العزى ولن تعبد ابدا ومنات صخرة لهذيل وخزاعة وقيل لثقيف وكانها سميت منات
لان دماء النسايك تمنى عندها اى تراق وقرئ ومناءة وهى مفعلة من النوء كانهم كانوا يستمطرون
عندها الانواء تبركا بها والاخرى صفة ذم لها وهى المتاخرة الوضيعة المقدار وقد جوز ان يكون
الاولية والتقدم عندهم للات والعزى ثم انهم كانوا مع ما ذكر من عبادتهم لها يقولون ان
الملايكة وملك الاصنام بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا فقيل لهم توبيخا وتبكيتا افرايتم
والهمزة للانكار والفاء لتوجيهه الى ترتيب الرؤية على ما ذكر من شؤون الله تعالى مع المنافية لها
غاية المنافاة وهى قلبية ومفعولها الثانى محذوف لدلالة الحال عليه فالمعنى اعقيب ما سمعتم من آثار
كمال عظمة الله عز وجل فى ملكه وملكوته وجلاله وجبروته واحكام قدرته ونفاذ امره فى الملاء الاعلى وما تحت
الثرى وما بينهما رايتم هذه الاصنام مع غاية حقارتها وفتاتها بنات له تعالى وقيل المعنى افرايتم
هذه الاصنام مع حقارتها وذلتها شركاء لله تعالى مع ما تقدم من عظمته وقيل اخبرونى عن الهتكم
هل لها شئ من القدرة والعظمة التى وصف بها رب العزة فى الايى السابقة وقيل المعنى
اظننتم ان هذه الاصنام التى تعبدونها تنفعكم وقيل اظننتم انها تشفع لكم فى الآخرة وقيل
افرايتم الى هذه الاصنام ان عبدتموها لا تنفعكم وان تركتموها لا تضركم والاول هو الحق كما يشهد
به قوله تعالى الكم الذكر وله الانثى شهادة بينة فانه توبيخ مبنى على التوبيخ الاول وحيث
كان مداره تفضيل جانب انفسهم على جانبه تعالى بنسبتهم اليه الاناث مع اختيارهم لانفسهم
الذكور وجب ان يكون مناط الاول نفس تلك النسبة حتى يكتفى ببناء التوبيخ الثانى عليه
وظاهر ان ليس فى شئ من التقديرات المذكورة من تلك النسبة عين ولا اثر واما ما قيل من
ان هذه الجملة معمول ثان للرؤية وخلوها عن العايد الى المفعول الاول لان الاصل اخبرونى ان
اللات والعزى ومنات الكم الذكور وله هن اى تلك الاصنام فوضع موضعها الانثى
لمراعاة الفواصل وتحقيق مناط التوبيخ مع ما فيه من التحلات التى ينبغى تنزيه ساحة التنزيل عن
امثالها يقتضى اقتصار التوبيخ على ترجيح جانبهم الحقير على جناب الله العزيز الجليل من غير تعرض

للتوبيخ على بنوة الولد اليه سبحانه تلك اشارة الى العقيدة المنعية من الجملة الاستفهامية
اذا قسمة ضيزى اى جائرة حيث جعلتم له تعالى ما تستنكفون منه وهى فعلى من الضيز وهو
الجور ككسر فاؤه ليسلم الياء كما فعل في بيض فان فعلى بالكسر يأتى في الوصف وقرئ
ضئزى بالهمز من ضأزه اذا ظلمه على انه مصدر نعت به وقرئ ضيزى اما على انه مصدر
وصف به كدعوى او على انه صفة كسكرى وعطشى ان هى الضمير للاصنام اى ما الاصنام
باعتبار الالوهية التى يدعوها الا اسماء محضة ليس تحتها مما تنبئ هى عنه من معنى الالوهية
شئ ما اصلا وقوله تعالى سميتموها صفة لاسماء وضميرا لها للاصنام والمعنى جعلتموها
اسماء لا جعلتم لها اسما فان التسمية نسبة بين الاسم والمسمى فاذا نسبت الى الاسم
معنا ما جعلته اسما للمسمى وان نسبت الى المسمى معنا ما جعله مسمى للاسم وانما اخترنا ههنا المعنى
الاول من غير تعرض للمسمى لتحقق ان تلك الاصنام التى يسمونها الهة اسماء مجردة ليس لها مسميات
قطعا كما فى قوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها الاية لا ان هناك مسميات لكنها لا تستحق
التسمية وقيل هى للاسماء الثلاثة المذكورة حيث كانوا يطلقونها على تلك الاصنام لاعتقادهم
انها تستحق العكوف على عبادتها والاعزاز والتقرب اليها بالقربين وانت خبير بانه لو سلم
دلالة الاسماء المذكورة على ثبوت تلك المعانى الخاصة للاصنام فليس فى سلبها عنها مزيد
فائدة بل انما هى فى سلب الالوهية عنها كما هو زعم المشهور فى حق جميع الاصنام على وجه
برهانى فان انتفاء الموصوف يقتضى انتفاء الوصف بطريق الاولوهية اى ما هى الا
اسماء خالية عن المسميات وضعتموها انتم وآباؤكم بمقتضى اهوائكم الباطلة ما انزل
الله بها من سلطان برهان تتعلقون به ان يتبعون التفات الى الغيبة للايذان
بان تعداد قبائحهم اقتضى الاعراض عنهم وحكاية جنايتهم لغيرهم اى ما يتبعون فيما ذكر
من القسمة والعمل بموجبها الا الظن الا توهم ان ما هم عليه حق توهما باطلا وما تهوى
الانفس اى تشتهيه انفسهم الامارة بالسوء ولقد جاءهم من ربهم الهدى حيث هى
حال من فاعل يتبعون او اعتراض وايا ما كان ففيه تاكيد لبطلان اتباع الظن وهوى النفس
وزيادة تقبيح لحالهم فان اتباعهما من اى شخص كان قبيح وممن جاءه الهدى من الله تعالى بارسال
الرسول عليه السلم وانزال الكتاب اقبح امر للانسان ما تمنى ام منقطعة وما فيها من زجر
للانتقال من بيان ان ما هم عليه غير مستند الا الى توهمهم وهوى انفسهم الى بيان ان
ذلك مما لا يجدى نفعا اصلا والهمزة للانكار والنفى اى ليس للانسان كل ما يتمناه و
تشتهيه نفسه من الامور التى من جملتها اطماعهم الفارغة فى شفاعة الالهة وتظايرها
التى لانكاد تدخل تحت الوجود فلله الاخرة والاولى تعليل لانتفاء ان يكون
للانسان ما يتمناه حتما فان اختصاص امور الاخرة والاولى جميعا به تعالى
مقتض لانتفاء ان يكون له امر من الامور وهو له تعالى وكم من ملك فى السموات
لا تغنى شفاعتهم شيئا افناط لهم عما علقوا اطماعهم من شفاعة الملائكة لهم بعد

موجب لاقناطهم عن شفاعة الاصنام بطريق الاولوية وكم خبرية مفيدة للتكثير محلها
الرفع على الابتداء والخبر هى الجملة المنفية وجمع الضمير فى شفاعتهم مع افراد الملك باعتبار
المعنى اى وكثير من الملائكة لا تغنى شفاعتهم عند الله شيئا من الاغناء فى وقت من
الاوقات الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ان يشفع له
ويرضى ويراه اهلا للشفاعة من اهل التوحيد والايمان واما من عداهم من اهل
الكفر والطغيان فهم من اذن الله تعالى بمعزل ومن الشفاعة بالمنزل فاذا كان حال الملئكة
فى باب الشفاعة كما ذكر فما ظنهم بحال الاصنام ان الذين لا يؤمنون بالاخرة وبما فيها من
العقاب على ما يتعاطونه من الكفر والمعاصى ليسمون الملائكة المنزهين عن سمات
النقصان على الاطلاق اى يسمون كل واحد منهم تسمية الانثى فان قولهم الملائكة بنات الله
قول منهم بان كلا منهم بنته سبحانه وهى التسمية بالانثى وفى تعليقها بعدم الايمان بالاخرة اشعار
بانها فى الشناعة والفظاعة واستتباع العقوبة فى الاخرة بحيث لا يجترئ عليها الا من
لا يؤمن بها رأسا قوله تعالى وما لهم به من علم حال من فاعل يسمون اى يسمونهم والحال
انه لا علم لهم بما يقولون اصلا وقرئ بها اى بالملائكة او بالتسمية ان يتبعون فى ذلك الا الظن
الفاسد وان الظن اى جنس الظن كما يلوح به الاظهار فى موقع الاضمار لا يغنى من الحق
شيئا من الاغناء فان الحق الذى هو عبارة عن حقيقة الشئ لا يدرك الا بالعلم والظن لا
اعتداد به فى شان المعارف الحقيقية وانما يعتد به فى العمليات وما يؤدى اليها فاعرض عمن تولى
عن ذكرنا اى عنهم ووضع الموصول موضع ضميرهم للتوصل به الى وصفهم بما فى حيز صلته من
الاوصاف القبيحة وتعليل الحكم بها اى فاعرض عمن اعرض عن ذكرنا المفيد للعلم اليقينى وهو
القرآن المنطوى على علوم الاولين والآخرين المذكر لامور الاخرة او عن ذكرنا كما ينبغى فان ذلك
مستتبع لذكر الاخرة وما فيها من الامور المرغوب فيها والموهوب عنها ولم يرد الا الحياة الدنيا
راضيا بها قاصرا انظاره عليها والمراد النهى عن دعوته والاعتبار بشانه فان من اعرض عما ذكر
وانهمك فى الدنيا بحيث كانت هى منتهى همته وقصارى سعيه لا تزيده الدعوة الى خلافها الا غباوة
واصرارا على الباطل ذلك اى ما ادام الى ما هم فيه من التولى وقصر الارادة على الحيوة الدنيا
مبلغهم من العلم لا يكادون يجاوزونه الى غيره حتى يجديهم الدعوة والارشاد وجمع الضمير
فى مبلغهم باعتبار معنى من كما ان افراده فيما سبق باعتبار لفظها والمراد بالعلم مطلق الادراك
المنتظم للظن الفاسد والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها من قصر الارادة على الحيوة
الدنيا وقوله تعالى ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى
تعليل للامر بالاعراض وتكرير قوله تعالى هو اعلم لزيادة التقرير والايذان بكمال تباين المعلومين
والمراد بمن ضل من اصر عليه ولم يرجع الى الهدى اصلا وبمن اهتدى من من شانه الاهتداء
فى الجملة اى هو المبالغ فى العلم بمن لا يرعوى عن الضلال ابدا وبمن يقبل الاهتداء فى الجملة لا غيره
فلا تعجل بهلاكهم فى دعوتهم فانهم من القبيل الاول وفى تعليل الامر باعراضه عليه السلم عن الاغباء

بامرهم باقتصار العلم باحوال الفريقين عليه تعالى رمز الى انه تعالى يعاملهم بموجب علمه بهم فيجزي
كلا منهم بما يليق به من الجزاء ففيه وعيد ووعد ضمنا كما سيأتي صريحا ولله ما في السموات
وما في الارض اي خلقا وملكا لا لغيره اصلا لا استقلالا ولا اشتراكا وقوله تعالى ليجزي
الخ متعلق بما دل عليه اعلم الخ وما بينهما اعتراض مقرر لما قبله فان كون الكل مخلوقا له تعالى مما يقرر
علمه تعالى باحوالهم الا يعلم من خلق كانه قيل فيعلم ضلال من ضل واهتداء من اهتدى ويحفظهما
ليجزي الذين اساؤا بما عملوا اي بعقاب ما عملوا من الضلال الذي عبر عنه بالاساءة
بيانا لحاله او بسبب ما عملوا ويجزي الذين احسنوا اي اهتدوا بالحسنى اي بالمثوبة
الحسنى التي هي الجنة او بسبب اعمالهم الحسنى وقيل متعلق بما دل عليه قوله تعالى
ولله ما في السموات وما في الارض كانه قيل خلق ما فيهما ليجزي الخ وقيل متعلق بضل
واهتدى على ان اللام للعاقبة اي هو اعلم بمن ضل ليؤول امره الى ان يجزيه الله تعالى
بعمله وبمن اهتدى ليؤول امره الى ان يجزيه بالحسنى وفيه من البعد ما لا يخفى وتكرير
الفعل لابراز كمال الاعتناء بامر الجزاء والتنبيه على تباين الجزائين الذين يجتنبون
كبائر الاثم بدل من الموصول الثاني وصيغة الاستقبال في صلته للدلالة على تجدد
الاجتناب واستمراره او بيان او نعت او منصوب على المدح وكبائر الاثم ما يكبر
عقابه من الذنوب وهو ما رتب عليه الوعيد بخصوصه وقرئ كبير الاثم على ارادة الجنس
او الشرك والفواحش وما فحش من الكبائر خصوصا الا اللمم اي الا ما قل وصغر فانه
مغفور ممن يجتنب الكبائر قيل هي النظرة والغمزة والقبلة وقيل هي الخطرة
من الذنوب وقيل كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا ولا عذابا وقيل عادة النفس
الحين بعد الحين والاستثناء منقطع ان ربك واسع المغفرة حيث يغفر
الصغاير باجتناب الكباير فالجملة تعليل لاستثناء اللمم وتنبيه على ان اخراجه
عن حكم المواخذة به ليس لخلوه عن الذنب في نفسه بل لسعة المغفرة الربانية وقيل
المعنى له ان يغفر لمن يشاء من المؤمنين صغيرها وكبيرها ولعل تعقيب وعيد المسيئين
ووعيد المحسنين بذلك حينئذ لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته تعالى ولا يتوهم وجوب
العقاب عليه تعالى هو اعلم بكم اي باحوالكم يعلمها اذ انشاكم في ضمن انشاء
ابيكم آدم عليه السلم من الارض انشاء اجماليا حسبما مر تقريره مرارا واذ انتم
اجنة في بطون امهاتكم على اطوار مختلفة مرتبة لا يخفى عليه حال من احوالكم وعمل
من اعمالكم التي من جملتها اللمم الذي لولا المغفرة الواسعة لاصابكم وباله فالجملة استيناف
مقرر لما قبلها والفاء في قوله تعالى فلا تزكوا انفسكم لترتيب النهي عن تزكية النفس
على ما سبق من ان عدم المواخذة باللمم ليس لعدم كونه من قبيل الذنوب بل لمحض
مغفرته تعالى مع علمه بصدوره عنكم اي اذا كان الامر كذلك فلا تثنوا عليها بالطهارة
عن المعاصي بالكلية او بما يستلزمها من زكاء العمل ونماء الخير بل اشكروا الله تعالى على

على فضله ومغفرته هو اعلم بمن اتقى المعاصي جميعا وهو استيناف مقرر للنهي ومشعر بان
فيهم من يتقيها باسرها وقيل كان ناس يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا
وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان بطريق الاعجاب او الرياء فاما من اعتقد
ان ما عمله من الاعمال الصالحة من الله تعالى وبتوفيقه وتاييده ولم يقصد به التمدح لم
يكن من المزكين انفسهم فان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر افرايت
الذي تولى اي عن اتباع الحق والثبات عليه واعطى قليلا اي شيئا قليلا
او اعطاء قليلا واكدى اي اقطع العطاء من قولهم اكدى الحافر اذا بلغ الكدية
اي الصلابة كالصخرة فلا يمكنه ان يحفر قالوا نزلت في الوليد بن المغيرة كان يتبع
رسول الله صلعم فعيره بعض المشركين وقال له تركت دين الاشياخ وضللتهم
فقال اخشى عذاب الله فضمن ان يتحمل عنه العذاب ان اعطاه بعض ماله
فارتد واعطاه بعض المشروطة وبخل بالباقي وقيل نزلت في العاص بن وائل
السهمي لما انه كان يوافق النبي صلعم في بعض الامور وقيل في ابي جهل كان
ربما يوافق الرسول عليه السلم في بعض الامور وكان يقول والله ما يامرنا محمد الا بمكارم
الاخلاق وذلك قوله تعالى واعطى قليلا واكدى والاول هو الاشهر المناسب
لما بعده من قوله تعالى اعنده علم الغيب فهو يرى الخ اي اعنده علم بالامور
الغيبية التي من جملتها تحمل صاحبه عنه يوم القيمة ام لم ينبأ بما في صحف موسى
وابراهيم الذي وفى اي وفر واتم ما ابتلي به من الكلمات او امر به او بالغ
في الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود
حتى انه اتاه جبريل عليهما السلم حين يلقى في النار فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا وعلى
ذبح الولد ويروى انه كان يمشي كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى
الصوم وتقديم موسى لما ان صحفه التي هي التوراة اشهر عندهم واكثر الا تزر وازرة
وزر اخرى اي انه لا تحمل نفس من شانها اي انه لا تحمل نفس من شانها الحمل حمل
نفس اخرى على ان ان هي المخففة من الثقيلة وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف
والجملة المنفية خبرها ومحل الجملة الجر على انه بدل مما صحف موسى او الرفع على انه خبر مبتدا
محذوف كانه قيل ما في صحفهما فقيل هو الا تزر الخ والمعنى انه لا يواخذ احد بذنب
غيره ليتخلص الثاني عن عقابه ولا يقدح في ذلك قوله عم من سن سنة سيئة فله
وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة فان ذلك وزر الاضلال الذي هو وزره وقوله تعالى
وان ليس للانسان الا ما سعى بيان لعدم انتفاع الانسان بعمل غيره من حيث
جلب النفع اليه اثر بيان عدم انتفاعه من حيث دفع الضرر عنه واما شفاعة الانبياء
واستغفار الملائكة عليهم السلم ودعاء الاحياء للاموات وصدقتهم عنهم وغير ذلك
مما لا يكاد يحصى من الامور النافعة للانسان مع انها ليست من عمله قطعا فحيث كان مناط

منفعة كل منها عمله الذي هو الايمان والصلاح ولم يكن لشيء منها نفع ما بدونه جعل
النافع نفس عمله وان كان بانضمام عمل غيره اليه وان مخففة كاختها معطوفة عليها وقوله تعالى
وان سعيه سوف يرى اي يعرض عليه ويكشف له يوم القيمة في صحيفته وميزانه من اريته
الشيء ثم يجزاه اي يجزي الانسان سعيه يقال جزاه الله بعمله وجزاه على عمله بحذف
الجار وايصال الفعل ويجوز ان يجعل الضمير للجزاء ثم يفسر بقوله تعالى الجزاء الاوفى او يبدل
هو عنه كما في قوله تعالى واسروا النجوى الذين ظلموا وان الى ربك المنتهى اي انتهاء
ورجوعهم اليه تعالى لا الى غيره استقلالا ولا اشتراكا وقرئ بكسر ان على الابتداء
وانه هو اضحك وابكى اي هو خلق قوتي الضحك والبكاء وانه هو امات
واحيى لا يقدر على الاماتة والاحياء غيره فان اثر القاتل نقص البنية وتفريق
الاتصال وانما يحصل الموت عنده بفعل الله تعالى على العادة وانه خلق الزوجين
الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى تدفق في الرحم او تخلق او يقدر منها الولد
من منى بمعنى قدر وان عليه النشأة الاخرى اي الاحياء بعد الموت وفاء بوعده
وقرئ النشاءة بالمد وهي ايضا مصدر نشاه وانه هو اغنى واقنى واعطى القنية
وهي ما يتاثل من الاموال وافرادها بالذكر لانها اشف الاموال او ارضى وتحقيقه جعل الرضى
له قنية وانه هو رب الشعرى اي رب معبودهم وهي العبور وهي اشد ضياء من
الغميصا وكانت خزاعة تعبدها سن لهم ذلك ابو كبشة رجل من اشرافهم وكانت
قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ابو كبشة تشبيها له عليه السلام لمخالفته اياهم في دينهم
وانه اهلك عادا الاولى هي قوم هود عليه السلام وعاد الاخرى ارم وقيل الاولى
القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد قوم نوح وقرئ عاد لولى بحذف الهمزة ونقل
ضمها الى اللام وعاد لولى بادغام التنوين في اللام وطرح همزة ولى ونقل حركتها الى لام التعريف
وثمود عطف على عادا لان ما بعده لا يعمل فيه وقرئ وثمودا بالتنوين فما ابقى اي احدا
من الفريقين وقوم نوح عطف عليه ايضا من قبل اي من قبل اهلاك عاد وثمود
انهم كانوا هم اظلم واطغى من الفريقين حيث كانوا يؤذونه وينفرون
الناس عنه وكانوا يحذرون صبيانهم ان يسمعوا منه وكانوا يضربونه عم حتى
لا يكون به حراك وما اثر فيهم دعاؤه قريبا من الف سنة والمؤتفكة هي قرى قوم
لوط ائتفكت باهلها اي انقلبت بهم اهوى اي اسقطها الى الارض بعد ان
رفعها على جناح جبريل عليه السلام الى السماء فغشيها ما غشى من فنون العذاب وفيه
من التهويل والتفظيع ما لا غاية وراءه فباي آلاء ربك تتمارى تتشكك
والخطاب للرسول صلعم على طريقة قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك
او لكل احد واسناد فعل التمارى الى الواحد باعتبار تعدده بحسب تعدد متعلقه
حال صيغة التفاعل وان كانت موضوعة لافادة صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه

عليه بحيث يكون كل من ذلك فاعلا ومفعولا معا لكنها قد تجرد عن المعنى الثاني فيراد بها
المعنى الاول فقط كما في يتداعونهم اي يدعونهم وقد تجرد عنه ايضا فيكتفى بتعدد الفعل
بتعدد متعلقه كما في ما نحن فيه فان المراء متعدد بتعدد الآلاء فتدبر وتسمية الامور
المعدودة آلاء مع ان بعضها نقم لها انها ايضا نعم من حيث انها نصرة للانبياء
والمؤمنين وانتقام لهم وفيها عظات وعبر للمعتبرين هذا نذير من النذر
الاولى هذا اما اشارة الى القرآن والنذير مصدر او الى الرسول صلى الله
عليه وسلم والنذير بمعنى المنذور واياما كان فالتنوين للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف
هو نعت لنذير مقرر له ومتضمن للوعيد اي هذا القرآن الذي تشاهدونه نذير من
قبيل الانذارات المتقدمة التي سمعتم عاقبتها او هذا الرسول منذر من جنس
المنذرين الاولين والاولى على تاويل الجماعة لمراعاة الفواصل وقد علمتم احوال
قومهم المنذرين وفي تعقيبه بقوله تعالى ازفت الآزفة اشعار بان تعذيبهم
مؤخر الى يوم القيمة اي دنت الساعة الموصوفة بالدنو في نحو قوله تعالى اقتربت
الساعة ليس لها من دون الله كاشفة اي ليس لها نفس قادرة على كشفها
عند وقوعها الا الله تعالى لكنه لا يكشفها او ليس لها الآن نفس كاشفة بتاخيرها الا
الله تعالى فانه المؤخر لها او ليس لها كاشفة لوقتها الا الله كقوله تعالى لا يجليها لوقتها
الا هو او ليس لها من غير الله تعالى كشف على ان كاشفة مصدر كالعافية افمن هذا
الحديث اي القرآن تعجبون انكارا وتضحكون استهزاء مع كونه ابعد شيء
من ذلك ولا تبكون حزنا على ما فرطتم في شانه وخوفا من ان يحيق بكم ما حاق
بالامم المذكورة وانتم سامدون اي لاهون او مستكبرون من سمد البعير
اذا رفع راسه او مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود بمعنى الغناء
على لغة حمير اوه خاشعون جامدون من السمود بمعنى الجمود والخشوع كما في قول
من قال رمى الحدثان نسوة آل سعد بمقدار سمدن له سمودا فرد شعورهن السود
بيضا ورد وجوههن البيض سودا والجملة حال من فاعل لا تبكون خلا ان مضمونها
على الوجه الاخير قيد للنفي والانكار وارد على نفي البكاء والسمود معا وعلى الوجوه الاول
قيد للنفي والانكار متوجه الى نفس البكاء ووجود السمود والاول اوفى بحق المقام فتدبر
والفاء في قوله تعالى فاسجدوا لله واعبدوا لترتيب الامر او موجبه على ما تقرر من بطلان
مقابلة القرآن بالانكار والاستهزاء ووجوب تلقيه بالايمان مع كمال الخضوع و
الخشوع اي اذا كان الامر كذلك فاسجدوا لله الذي انزله واعبدوه عن النبي عليه السلام
من قرأ سورة والنجم اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة

اقتربت الساعة وانشق القمر روى ان الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم آية فانشق القمر قال ابن عباس رضه الفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة
بقيت وقال ابن مسعود رأيت حراء بين فلقتي القمر وعن عثمان بن عطاء عن
ان معناه وسينشق يوم القيمة ويردّه قوله تعا وان يروا آية يعرضوا ويقولوا
سحر مستمر فانه ناطق بانه قد وقع وانهم قد شاهدوه بعد مشاهدة نظايره
وقد قرئ وقد انشق القمر اى اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها
ان القمر قد انشق ومعنى الاستمرار الاطراد او الاستحكام اى وان يروا آية
من آيات الله تعا يعرضوا عن التامل فيها كيفما على حقيتها وعلو طبقتها ويقولوا
سحر مطرد دايم ياتي به محمد عليه السلم على مر الزمان لانكاد يختلف بحال كساير انواع السحر
او هو قوي مستحكم لا تمكن ازالته وقيل مستمر ذاهب يزول ولا يبقى تمنينا
لانفسهم وتعللا وهو الانسب بغلوهم في العناد والمكابرة ويؤيده ما
لرده وقرئ وان يروا على البناء للمفعول من الارأة وكذبوا اى بالنبي عليه السلم وما عاينوه مما ظهره
الله تعا على يده من المعجزات واتبعوا اهواءهم التي زينها الشيطان لهم او كذبوا
الآية التي هي انشقاق القمر واتبعوا اهواءهم وقالوا سحر القمر او سحرنا اعيننا والقمر بحاله
وصيغة الماضي للدلالة على التحقق وقوله تعا وكل امر مستقر استيناف مسوق لاقناطهم
عما علقوا به اماينهم الفارغة من عدم استقرار امره عليه السلم حسبما قالوا سحر مستمر ببيان
ثباته ورسوخه اى وكل امر من الامور مستقر اى منته الى غاية يستقر عليها لا محالة ومن جملتها
امر النبي عليه السلم الى غاية يتبين عندها حقيته وعلو شانه وابهام المستقر عليه للتنبيه على
كمال ظهور الحال وعدم الحاجة الى التصريح به وقيل المعنى كل امر من امرهم وامره عليه السلم
مستقر اى سيثبت ويستقر على حالة خذلان اونصرة في الدنيا وشقاوة اوسعادة في الآخرة وقرئ
بالفتح على انه مصدر او اسم مكان او اسم زمان اى ذو استقرار او ذو زمان استقرار وبالكسر
والجر على انه صفة امر وكل عطف على الساعة وكل امر مستقر ولقد جاءهم اى في القرآن ولوح
من الانباء اى انباء القرون الخالية او انباء الآخرة متعلق بمحذوف هو حال مما بعده
اى وبالله لقد جاءهم كائنا من الانباء ما فيه مزدجر اى ازدجار من تعذيب او وعيد
او موضع ازدجار على ان في تجريدية والمعنى انه في نفسه موضع ازدجار وتاء الافتعال
تقلب دالا مع الدال والذال والزاء للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زايا وادغامها حكمة
بالغة غايتها لاخلل فيها وسمي بدلا مما اوخبر لمحذوف وقرئ بالنصب حالا منها فانها موصولة
او موصوفة تخصصت بصفتها فسائغ نصب الحال عنها فما تغن النذر نفي للاغناء او انكار
له والفاء لترتيب عدم الاغناء على مجئ الحكمة البالغة مع كونه مظنة للاغناء وصيغة المضارع
للدلالة على تجدد عدم الاغناء واستمراره حسب تجدد مجئ الزواجر واستمراره وما على الوجه
الثاني منصوبة اى فاي اغناء تغني النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر او مصدر بمعنى الانذار فتول

اقتربت الساعة ج

فتول عنهم لعلمك بان الانذار لا يؤثر فيهم البتة يوم يدع الداع منصوب بيخرجون
او باذكر والداعي اسرافيل عليه السلم ويجوز ان يكون الدعاء فيه كالامر في قوله تعا كن فيكون واسقاط
الياء للاكتفاء بالكسر تخفيفا الى شئ نكر اى منكر فظيع تنكره النفوس لعدم المعهد بمثله وهو
هول القيمة وقرئ نكر بالتخفيف ونكر بمعنى انكر خشعا ابصارهم حال من فاعل يخرجون
والتقديم لان العامل متصرف اى يخرجون من الاجداث اذلة ابصارهم من شدة
الهول وقرئ خاشعا والافراد والتذكير لان فاعله ظاهر غير حقيقي التانيث وقرئ خاشعة
على الاصل وقرئ خشع ابصارهم على الابتداء او الخبر على ان الجملة حال كانهم جراد منتشر
في الكثرة والتموج والتفرق في الاقطار مهطعين الى الداع مسرعين ماذين اعناقهم
اليه او ناظرين اليه يقول الكافرون استيناف وضع جوابا عما نشاء من وصف اليوم
بالاهوال واعلمه بسوء الحال كانه قيل فماذا يكون حينئذ فقيل يقول الكافرون هذا يوم عسر اى
صعب شديد وفي اسناد القول المذكور الى الكفار تلويح بان المؤمنين ليسوا في تلك
المرتبة من الشدة كذبت قبلهم قوم نوح شروع في تعداد بعض ما ذكر من الانباء
الموجبة للازدجار ونوع تفصيل لها وبيان لعدم تاثرهم بها تقريرا لفحوى قوله تعا
فما تغني النذر اى فعل التكذيب قبل تكذيب قومك قوم نوح وقوله تعا فكذبوا عبدنا
تفسير لذلك التكذيب المبهم كما في قوله تعا ونادى نوح ربه فقال رب الخ وفيه مزيد تقرير
وتحقيق للتكذيب وقيل معناه كذبوه تكذيبا اثر تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب
جاء عقيبه قرن آخر مكذب مثله وقيل كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا لانه من
جملتهم وفي ذكره عليه السلم بعنوان العبودية مع الاضافة الى نون العظمة تفخيم له عليه السلم
ورفع لمحله وزيادة تشنيع للمكذبين وقالوا مجنون اى لم يقتصروا على مجرد التكذيب
بل نسبوه الى الجنون وازدجر عطف على قالوا اى وزجر عن التبليغ بانواع الاذية
وقيل هو من جملة ما قالوه اى هو مجنون وقد ازدجر ته الجن وخبطته فدعا ربه اني اى بانى
وقرئ بالكسر على ارادة القول مغلوب اى من جهة قومي ما لي قدرة على الانتقام منهم
فانتصر اى فانتقم لي منهم وذلك بعد تقرير يأسه منهم بعد اللتيا والتي فقد روي ان الواحد
منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه ويقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون
ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر منتصب وهو متمثل لكثرة الامطار وشدة
انصبابها وقرئ ففتحنا بالتشديد لكثرة الابواب وفجرنا الارض عيونا
اى جعلنا الارض كلها كانها عيون منفجرة واصله وفجرنا عيون الارض فغير فضاء
لحق المقام فالتقى الماء اى ماء السماء وماء الارض والافراد لتحقيق ان التقاء
الماءين لم يكن بطريق المجاورة والتقارب بل بطريق الاختلاط والاتحاد وقرئ الماءان
لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا على امر قد قدر اى كائنا على حال
قد قدرها الله تعا من غير تفاوت اوعلى حال قدرت وسويت وهو ان قدر ما انزل على

قدر ما اخرج او على امر قدره الله تعالى وهو هلاك قوم نوح بالطوفان وحملناه اى نوحا
عليه السلم على ذات الواح اخشاب عريضة ودسر ومسامير جمع دسار من الدسر
وهو الدفع وهى صفة للسفينة اقيمت مقامها من حيث انها كالشرح لها تودى مودّاها
تجرى باعيننا بمرأى منا اى محفوظة بحفظنا جزاء لمن كان كفر اى فعلنا ذلك
جزاء لنوح عليه السلم لانه كان نعمة كفروها فان كل نبى نعمة من الله على امته ورحمة واى نعمة
واى رحمة وقد جوز ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير واستتاره
فى الفعل بعد انقلابه مرفوعا وقرئ لمن كفر اى للكافرين ولقد تركناها اى السفينة
او الفعلة آية يعتبر بها من يقف على خبرها وقال قتادة ابقاها الله تعالى بارض
الجزيرة وقيل على الجودى دهرا طويلا حتى نظر اليها اوائل هذه الامة فهل من مدكر
اى معتبر بتلك الآية الحقيقة بالاعتبار وقرئ مذتكر بقلب التاء ذالا والادغام فيها
فكيف كان عذابى ونذر استفهام تعظيم وتعجيب اى كانا على كيفية هائلة لا يحيط
بها الوصف والنذر جمع نذير بمعنى الانذار ولقد يسرنا القرآن الخ جملة قسمية وردت
فى اواخر القصص الاربع تقريرا لمضمون ما سبق من قوله تعالى ولقد جاءهم من الانباء
ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغنى النذر وتنبيها على ان كل قصة منها مستقلة بايجاب
الادكار كافية فى الازدجار ومع ذلك لم تقع واحدة فى حيز الاعتبار اى وبالله لقد
سهلنا القرآن لقومك بان انزلناه على لغتهم وشحناه بانواع المواعظ والعبر وصرفنا
فيه من الوعيد والوعد للذكر اى للتذكر والاتعاظ فهل من مدكر انكار ونفى للمتعظ
على ابلغ وجه واكده حيث يدل على انه لا يقدر احد ان يجيب المستفهم بنعم وحمل
تيسيره على تسهيل حفظه بجزالة نظمه وعذوبة الفاظه وعباراته مما لا يساعده المقام
كذبت عاد اى هودا عليه السلم ولم يتعرض لكيفية تكذيبهم له روحا للاختصار ومسارعة
الى بيان ما فيه الازدجار من العذاب وقوله تعالى فكيف كان عذابى ونذر لتوجيه
قلوب السامعين نحو الاصغاء الى ما يلقى اليهم قيل ذكره لا لتهويله وتعظيمه وتعجيبهم من
حاله بعد بيانه كما قبله وما بعده كانه قيل كذبت عاد فهل سمعتم او فاسمعوا كيف
كان عذابى وانذارى لهم وقوله تعالى انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا استيناف
ببيان ما اجمل اولا اى ارسلنا عليهم ريحا باردة او شديدة الصوت فى يوم نحس
شوم مستمر اى شؤونه او مستمر عليهم الى ان اهلكهم او شامل لجميعهم كبيرهم وصغيرهم
او مشتد مرارته وكان يوم الاربعاء آخر الشهر تنزع الناس تقلعهم روى انهم دخلوا
الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح وصرعتهم موتى كانهم اعجاز
نخل منقعر اى منقلع عن مغارسه قيل شبهوا باعجاز النخل وهى اصولها بلا فروع
لان الريح كانت تقلع رؤسهم فيبقى اجسادا او جثثا بلا رؤس وتذكير صفة نخل للنظر
الى اللفظ كما ان تانيثها فى قوله اعجاز نخل خاوية للنظر الى المعنى وقوله تعالى فكيف كان عذابى

عذابى ونذر تهويل لهما وتعجيب من امرهما بعد بيانهما فليس فيه شائبة تكرار وما قيل من ان الاول لما حاق
بهم الدنيا والثانى لما يحيق بهم فى الآخرة يرده ترتيب الثانى على العذاب الدنيوى ولقد يسرنا القرآن
للذكر فهل من مدكر الكلام فيه كالذى مر فيما سبق كذبت ثمود بالنذر اى الانذارات والمواعظ
التى سمعوها من صالح او بالرسل عليهم السلم فان تكذيب احدهم تكذيب للكل لاتفاقهم على اصول الشرائع
فقالوا ابشرا منا اى كائنا من جنسنا او انتصابه بفعل يفسره ما بعده واحدا اى منفردا لا تبع له او واحدا
من آحادهم لا من اشرافهم وهو صفة اخرى لبشرا وتاخيره عن الصفة المؤولة للتنبيه على ان كلا من الجنسية
والوحدة مما يمنع الاتباع ولو قدم عليها لفاتت هذه النكتة وقرئ ابشر منا واحد على الابتداء
وقوله تعالى نتبعه خبره والاول اوجه للاستفهام انا اذا اى على تقدير اتباعنا له وهو منفرد ونحن امة جمة
لفى ضلال عن الصواب وسعر اى جنون فان ذلك بمعزل من مقتضى العقل وقيل كان يقول لهم
ان لم تتبعونى كنتم فى ضلال عن الحق وسعر اى نيران جمع سعير فعكسوا عليه لغاية عتوهم فقالوا انا اتبعنا
كنا اذا كما تقول ءالقى الذكر اى الكتاب والوحى عليه من بيننا وفينا من هو احق منه بذلك بل هو
كذاب اشر اى اليس الامر كذلك بل هو كذا وكذا حمله بطره على الترفع علينا بما ادعاه وقوله تعالى
سيعلمون غدا من الكذاب الاشر حكاية لما قاله تعالى لصالح عليه السلم وعدا له ووعيدا لقومه والسين
لتقريب مضمون الجملة وتاكيده والمراد بالغد وقت نزول العذاب اى سيعلمون البتة عن قريب
من الكذاب الاشر الذى حمله اشره وبطره على الترفع اصالح هو ام من كذبه وقرئ ستعلمون على
الالتفات لتشديد التوبيخ او على حكاية ما اجابهم به صالح وقرئ الاشر كقولهم حذر فى حذر وقرئ
الاشر اى الابلغ فى الشرارة وهو اصل مرفوض كالاخير وقيل المراد بالغد يوم القيمة ويأباه قوله تعالى
انا مرسلوا الناقة الخ استيناف مسوق لبيان مبادى الموعود حتما اى مخرجوها من الهيضة
حسبما سئلوا فتنة لهم اى امتحانا فارتقبهم اى فانتظرهم وتبصر ما يصنعون واصطبر على اذيتهم
ونبئهم ان الماء قسمة بينهم مقسوم لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء كل شرب محتضر
يحضره صاحبه فى نوبته فنادوا صاحبهم هو قدار بن سالف احيمر ثمود فتعاطى فعقر
فاجترأ على تعاطى الامر العظيم غير مكترث له فاحدث العقر بالناقة وقيل فتعاطى الناقة
فعقرها او فتعاطى السيف فقتلها والتعاطى تناول الشئ بتكلف فكيف كان عذابى ونذر
الكلام فيه كالذى مر فى صدر قصة عاد انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة هى صيحة
جبريل عليه السلم فكانوا اى فصاروا كهشيم المحتضر اى كالشجر اليابس الذى يجمعه صاحب
الحظيرة لماشيته فى الشتاء وقرئ بفتح الظاء اى كهشيم الحظيرة او الشجر المتخذ لها ولقد يسرنا
القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا
اى ريحا تحصبهم اى ترميهم بالحصباء الا آل لوط نجيناهم بسحر فى سحر وهى آخر الليل
وقيل هو السدس الاخير منه اى ملتبسين بسحر نعمة من عندنا اى انعاما منا وهى علة
لنجينا كذلك اى مثل ذلك الجزاء العجيب نجزى من شكر نعمتنا بالايمان والطاعة
ولقد انذرهم لوط عليه السلم بطشتنا اى اخذتنا الشديدة بالعذاب فتماروا فكذبوا

بالنذر متشاكين ولقد راودوه عن ضيفه قصدوا الفجور بهم فطمسنا اعينهم فمسخناها
وسويناها كساير الوجه روى انهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبريل صفقة فتركهم يترددون لا
يهتدون الى الباب حتى اخرجهم لوط عليه السلم فذوقوا عذابي ونذر اى فقلنا لهم ذوقوا
على السنة الملائكة او ظاهر الحال والمراد به الطمس فانه من جملة ما انذروه من العذاب ولقد
صبحهم بكرة وقرئ بكرة غير مصروفة على ان المراد بها اول نهار مخصوص عذاب مستقر لا يفارقهم
حتى يسلمهم الى النار وفي وصفه بالاستقرار ايماء الى ان ما قبله من عذاب الطمس ينتهي به فذوقوا
عذابي ونذر حكاية لما قيل لهم حينئذ من جهته تعالى تشديدا للعذاب ولقد يسرنا
القرآن للذكر فهل من مدكر مر ما فيه من الكلام ولقد جاء آل فرعون النذر
صدرت قصتهم بالتوكيد القسمي لابراز كمال الاعتناء بشانها لغاية عظم ما فيها من الآيات
وكثرتها وهول ما لاقوه من العذاب وقوة ايجابها للاتعاظ والاكتفاء بذكر آل فرعون للعلم
بان نفسه اولى بذلك اى وبالله لقد جاءهم الانذارات وقوله تعالى كذبوا بآياتنا كلها
استيناف مبني على سؤال نشأ من حكاية مجيء النذر كانه قيل فماذا فعلوا حينئذ فقيل كذبوا
بجميع آياتنا وهي الآيات التسع فاخذنا اخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شيء
اكفاركم يا معشر العرب خير قوة وشدة وعدة وعدة او مكانة من اولئكم الكفار
المعدودين والمعنى انه اصابهم ما اصابهم مع ظهور خيريتهم منكم فيما ذكر من الامور فهل
تطمعون ان لا يصيبكم مثل ذلك وانتم شر منهم مكانا واسوء حالا وقوله تعالى ام لكم براءة
في الزبر اضراب وانتقال من التبكيت بما ذكر الى التبكيت بوجه اخر اى بل لكم براءة
وامن من تبعات ما تعملون من الكفر والمعاصي وغوايلها في الكتب السماوية فلذلك تصرون
على ما انتم عليه وقوله تعالى ام يقولون نحن جميع منتصر اضراب من التبكيت المذكور الى وجه
آخر من التبكيت والالتفات للايذان باقتضاء حالهم للاعراض عنهم واسقاطهم عن رتبة
الخطاب وحكاية قبايحهم لغيرهم اى بل ايقولون وايقنون بشوكتهم نحن اولوا حزم ورأى
امرنا مجتمع لا نرام ولا نضام او مستنصر من الاعداء لا نغلب او متناصر ينصر بعضنا
بعضا والافراد باعتبار لفظ الجميع وقوله تعالى سيهزم الجمع البتة ويولون الدبر اى
الادبار وقد قرئ كذلك والتوحيد لارادة الجنس او ارادة ان كل واحد منهم يولي دبره
وقد كان كذلك يوم بدر وقال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب رض يقول لما نزلت
سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا ادري اى جمع يهزم فلما كان يوم بدر رايت
رسول الله عليه السلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فعرفت تاويلها وقرئ
سيهزم الجميع اى الله عز وعلا بل الساعة موعدهم اى ليس هذا تمام عقوبتهم بل الساعة
موعد اصل عذابهم وهذا من طلايعه والساعة ادهى وامر اى في اقصى غاية من الفظاعة
والمرارة والداهية الامر الفظيع الذي لا يهتدى الى الخلاص عنه واظهار الساعة في موقع
اضمارها لتربية تهويلها ان المجرمين من الاولين والآخرين في ضلال وسعر اى في هلاك

هلاك ونيران مسعرة وقيل في ضلال عن الحق في الدنيا ونيران في الآخرة وقوله تعالى يوم يسحبون الخ منصوب
اما بما نعهم من قوله تعالى في ضلال وسعر يوم يجرون في النار على وجوههم واما بقول مقدر بعده اى يوم
يسحبون يقال لهم ذوقوا مس سقر اى قاسوا حرها واكملها وسقر علم جهنم ولذلك لم يصرف من سقرته
النار وصغرته اذا لوحته والقول المقدر على الوجه الاول حال من ضمير يسحبون انا كل شيء من الاشياء
خلقناه بقدر اى ملتبسا بقدر معين اقتضته الحكمة التي عليها يدور امر التكوين او مقدارا مكتوبا
في اللوح قبل وقوعه وكل شيء منصوب بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على انه مبتداء وخلقناه
خبر وما امرنا الا واحدة الا كلمة واحدة سريعة التكوين وهو قوله تعالى كن او الا فعلة واحدة هو
الايجاد بلا معالجة كلمح بالبصر في اليسر والسرعة وقيل معناه قوله وما امر الساعة الا كلمح بالبصر ولقد
اهلكنا اشياعكم اى اشباهكم في الكفر من الامم وقيل اتباعكم فهل من مدكر يتعظ بذلك وكل شيء
فعلوه من الكفر والمعاصي مكتوب على التفصيل في الزبر اى في ديوان الحفظة وكل صغير وكبير من الاعمال
مستطر مسطور في اللوح المحفوظ بتفاصيله ولما كان بيان سوء حال الكفرة بقوله تعالى ان المجرمين الخ
مما يستدعي بيان حسن حال المؤمنين ليتكافأ الترهيب والترغيب بين ما لهم من حسن الحال بطريق
الاجمال فقيل ان المتقين اى من الكفر والمعاصي في جنات عظيمة الشان ونهر اى انهار كذلك والافراد
للاكتفاء باسم الجنس مراعاة للفواصل وقرئ نهر جمع نهر كاسد واسد في مقعد صدق في مكان
مرضي وقرئ في مقاعد صدق عند مليك مقتدر اى مقربين عند مليك لا يقادر قدر ملكه وسلطانه
فلا شيء الا وهو تحت ملكوته سبحانه ما اعظم شانه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيمة ووجهه مثل القمر ليلة البدر

لما عدد في السورة السابقة ما نزل بالامم السالفة من ضروب نعم الله عز وجل وبين عقيب
كل ضرب منها ان القرآن قد يسر لحمل الناس على التذكر والاتعاظ ونعى عليهم اعراضهم عن ذلك عدد
في هذه السورة الكريمة ما فاض على كافة الانام من فنون نعمه الدينية والدنيوية الانفسية والآفاقية
وانكر عليهم اثر كل فن منها اخلالهم بمواجب شكرها وبدئ بتعليم القرآن فقيل الرحمن علم القرآن
لانه اعظم النعم شانا وارفعها مكانا كيف لا وهو مدار للسعادة الدينية والدنياوية عيار على ساير
الكتب السماوية ما من مرصد يرنو اليه احداق الامم الا وهو منشاؤه ومناطه ولا مقصد يمتد اليه
اعناق الهمم الا وهو منهجه وصراطه واسناد تعليمه الى اسم الرحمن للايذان بانه من آثار الرحمة الواسعة
واحكامها وقد اقتصر على ذكره تنبيها على اصالته وجلالة قدره ثم قيل خلق الانسان علمه البيان
تعيينا للمعلم وتبيينا لكيفية التعليم والمراد بخلق الانسان انشاؤه على ما هو عليه من القوى
الظاهرة والباطنة والبيان هو التعبير عما في الضمير وليس المراد بتعليمه مجرد تمكين الانسان من بيان نفسه
بل منه ومن فهم بيان غيره ايضا اذ هو الذي يدور عليه تعليم القرآن والجمل الثلاث اخبار مترادفة

للرحمن واخلاء الاخيرتين عن العاطف لورودها على منهاج التعديد الشمس والقمر بحسبان اى
يجريان بحسبان مقدر فى بروجهما ومنازلهما بحيث ينتظم بذلك امور الكاينات السفلية وتختلف الفصول
والاوقات ويعلم السنون والحساب والنجم اى النبات الذى ينجم اى يطلع من الارض ولاساق له
والشجر الذى له ساق يسجدان اى ينقادان له تعالى فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد من المكلفين
طوعا والجملتان خبران آخران للرحمن جردا عن الرابط اللفظى تعويلا على كمال قوة الارتباط المعنوى
اذ لا يتوهم ذهاب الرسم الى كون حال الشمس والقمر بتسخير غيره تعالى ولا الى كون سجود النجم والشجر
لا سواه تعالى كانه قيل الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان له واخلاء الجملة الاولى من العاطف
لما ذكر من قبل وتوسيط العاطف بينها وبين العاطف الثانية لتناسبهما من حيث التقابل اى
الشمس والقمر علويان والنجم والشجر سفليان ومن حيث ان كلا من حال العلويين وحال السفليين
من باب الانقياد لامر الله عز وجل والسماء رفعها اى خلقها مرفوعة محلا ورتبة حيث جعلها منشأ
احكامه وقضاياه ومتنزل اوامره ومحل ملكته وفيه من التنبيه على كبرياء شأنه وعظم ملكه وسلطانه
ما لا يخفى وقرئ بالرفع على الابتداء ووضع الميزان اى شرع العدل وامر به بان وفر كل مستحق ما استحقه
ووفى كل ذى حق حقه حتى انتظم به امر العالم واستقام كما قال عليه السلام بالعدل قامت السموات والارض
قيل فعلى هذا الميزان القرآن وهو قول الحسين بن الفضل كما فى قوله تعالى وانزلنا معهم الكتاب والميزان
وقيل هو ما يعرف به مقادير الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما وهو قول الحسن وقتادة والضحاك
فالمعنى خلقه موضوعا محفوظا على الارض حيث علق به احكام عباده وقضاياهم وما تعبدهم به
من التسوية والتعديل فى اخذهم واعطائهم ان لا تطغوا فى الميزان اى لئلا تطغوا فيه على ان ان
ناصبة ولا نافية ولام العلة مقدرة متعلقة بقوله تعالى ووضع الميزان او اى لا تطغوا على انها مفسرة
لما فى الشرع من معنى القول ولا ناهية اى لا تعتدوا او لا تجاوزوا الانصاف وقرئ لا تطغوا على ارادة
القول واقيموا الوزن بالقسط قوموا وزنكم بالعدل وقيل اقيموا لسان الميزان بالقسط والعدل
وقيل الاقامة باليد والقسط بالقلب ولا تخسروا الميزان اى لا تنقصوه امرا اولا بالتسوية ثم
نهى عن الطغيان الذى هو اعتداء وزيادة ثم عن الخسران الذى هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ
الميزان تشديدا للتوصية به وتاكيدا للامر باستعماله والحث عليه وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء
وضم السين وكسرها يقال خسر الميزان يخسر ويخسره وبفتح السين ايضا على ان الاصل ولا تخسروا
فى الميزان فحذف الجار واوصل الفعل والارض وضعها اى خفضها مدحوة على الماء للانام
اى الخلق قيل المراد به كل ذى روح وقيل كل ما على ظهر الارض من دابة وقيل الثقلان وقوله تعالى
فيها فاكهة الخ استيناف مسوق لتقرير ما افاده الجملة السابقة من كون الارض موضوعة
لمنافع الانام وتفصيل المنافع العايدة الى البشر وقيل حال مقدرة من الارض فالامر حينئذ
حينئذ ان يكون الحال هو الجار والمجرور وفاكهة رفع على الفاعلية اى فيها ضروب كثيرة مما تتفكه
به والنخل ذات الاكمام هى اوعية الثمر جمع كم او كل ما يكم اى يغطى من ليف وسعف وكفرى فانه

فانه مما يتفع به كالمكموم من ثمره وجماره والحب هو ما يتغذى به كالحنطة والشعير ذو العصف هو ورق
الزرع وقيل التبن والريحان قيل هو الرزق اريد به التلذذ اى فيها ما يتلذذ به من الفواكه والحبوب
بين التلذذ والتغذى وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب الذى عصف هو علف الانعام وريحان
هو مطعم الناس وقرئ والحب ذا العصف والريحان اى خلق الحب والريحان او اخص ويجوز ان
يراد وذا الريحان فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه والريحان اما فيعلان من روح فقلبت
الواو ياء وادغم ثم خفف او فعلان قلبت واوه ياء للتخفيف او للفرق بينه وبين الروحان وهو ما له
روح قال القطع فبأى آلاء ربكما تكذبان الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله تعالى للانام وسيطق
به قولا ايها الثقلان والفاء لترتيب الانكار والتوبيخ على ما فصل من فنون النعماء وصنوف الآلاء
الموجبة للايمان والشكر حتما والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية الكلية والتربية مع الاضافة
الى ضميرهم لتاكيد النكير وتشديد التوبيخ ومعنى تكذيبهم بالآية تعالى كونهم بها آتا بانكار كونه نعمة
كتعليم القرآن وما يستتبعه من النعم الدينية واتا بانكار كونه من الله تعالى مع الاعتراف بكونه نعمة
فى نفسه كالنعم الدنيوية الواصلة اليهم بإسناده الى غيره تعالى استقلالا واشتراكا صريحا او دلالة
فان اشراكهم لالهتهم به تعالى فى العبادة من دواعى اشراكهم لها به تعالى فيما يوجبها والتعبير عن كونهم
المذكور بالتكذيب لما ان دلالة الآلاء المذكورة على وجوب الايمان والشكر شهادة منها بذلك
فكفرهم بها تكذيب بها لا محالة اى فاذا كان الامر كما فصل فاى فرد من افراد الآلاء مالكما ومربيكما
تبكت الآلاء تكذبان مع ان كلا منها ناطق بالحق شاهد بالصدق خلق الانسان من صلصال كالفخار
تمهيد للتوبيخ على اخلالهم بواجب شكر النعمة المتعلقة بذاتى كل واحد من الثقلين والصلصال الطين
اليابس الذى له صلصلة والفخار الخذف وقد خلق الله آدم عليه السلام منه ثم من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا
ثم صلصالا فلا تنافى بين الآية الناطقة باحدها وبين ما نطق باحد الاخرين وخلق الجان اى الجنس او ابا
الجن من مارج من نار بيان للمارج فانه فى الاصل للمضطرب من مرج اذا اضطرب
فبأى آلاء ربكما تكذبان مما افاض عليكما فى تضاعيف خلقكما من سوابغ النعم رب المشرقين ورب
المغربين بالرفع على اجرية مبتداء محذوف اى الذى فعل ما ذكر من الافاعيل البديعة رب مشرقى الصيف
والشتاء ومغربيهما ومن قضيته ان يكون رب ما بينهما من الموجودات قاطبة وقيل على الابتداء
والخبر من قوله تعالى مرج الخ وقرئ بالجر على انه بدل من ربكما فبأى آلاء ربكما تكذبان مما فى ذلك من
فوايد لا تحصى من اعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل فى وقته الى غير ذلك
مرج البحرين اى ارسلهما من مرجت الدابة اذا ارسلتها والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب
يلتقيان اى يتجاوران ويتماسان سطوحهما لا فصل بينهما فى رأى العين وقيل ارسل بحرى فارس
والروم يلتقيان فى المحيط لانهما خليجان ينشعبان منه بينهما برزخ اى حاجز من قدرة الله عز وجل
او من الامر لا يبغيان اى لا يبغى احدهما على الآخر بالمزاحمة وابطال الخاصية او لا يتجاوزان حدهما
باغراق ما بينهما فبأى آلاء ربكما تكذبان وليس منهما شئ يقبل التكذيب يخرج منهما اللؤلؤ
والمرجان اللؤلؤ الدر والمرجان الخرز الاحمر المشهور وقيل اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره

قسمة خروجهما جميعا الى البحرين مع انهما انما يخرجان من الملح على ما قالوا لما قيل انهما لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب او لانهما التقيا وصارا كالشئ الواحد سائغ ان يقال يخرجان منهما كما يقال يخرج الولد من الابوين مع انه لا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وهو الاظهر وقرئ يخرج مبنيا للمفعول من الاخراج ومبنيا للفاعل بنصب اللؤلؤ والمرجان وبنون العظمة فبأي آلاء ربكما تكذبان وله الجوار اي السفن جمع جارية وقرئ برفع الراء وبحذف الياء كقول من قال لها شاي يا اربع حسان واربع فكلها ثمان المنشآت المرفوعات الشرع او المنصوبات وقرئ بكسر الشين اي الرافعات الشرع او اللاتي ينشئن الامواج بجريهن في البحر كالاعلام كالجبال الشاهقة جمع علم وهو الجبل الطويل فبأي آلاء ربكما تكذبان من خلق مواد السفن والارشاد الى اتخاذها وكيفية تركيبها واجرائها في البحر باسباب لا يقدر على خلقها وجمعها وترتيبها غيره سبحانه كل من عليها اي على الارض من الحيوانات او المركبات ومن للتغليب او من الثقلين فان اهلاك لا محالة ويبقى وجه ربك اي ذاته عز وجل ذو الجلال والاكرام اي ذو الاستغناء المطلق والفضل التام وقيل الذي عنده الجلال والاكرام للمخلصين من عباده وهذه من عظايم صفاته تعالى ولقد قال صلى الله عليه وسلم الظوا بيا ذا الجلال والاكرام وعن عليه السلام انه مر برجل وهو يصلي ويقول يا ذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك وقرئ ذي الجلال والاكرام على انه صفة ربك وانما كان في وصفه تعالى بذلك بعد ذكر فناء الخلق وبقائه ايذان بانه يفيض عليهم بعد فنائهم ايضا آثار لطفه وكرمه حسبما ينبئ عنه قوله تعالى فبأي آلاء ربكما تكذبان فان احياءهم بالحيوة الابدية واثابتهم بالنعيم المقيم اجل النعماء واعظم الآلاء يسأله من في السموات والارض فاطبة ما تحتاج اليه في ذواتهم ووجوداتهم حدوثا وبقاء وسائر احوالهم سؤالا مستمرا بلسان المقال او بلسان الحال فانهم كافة من حيث حقايقهم الممكنة بمعزل من استحقاق الوجود وما يتفرع عليه من الكمالات بالمرة بحيث لو انقطع ما بينهم وبين العناية الالهية من العلاقة لم يشموا رائحة الوجود اصلا فهم في كل آن مستمرون على الاستدعاء والسؤال وقد مر في تفسير قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها من سؤال ابرهيم عليه السلام كل يوم اي كل وقت من الاوقات هو في شان من الشؤن التي من جملتها اعطاء ما سألوا فانه تعالى لا يزال ينشئ اشخاصا ويفني آخرين ويأتي بأحوال ويذهب باحوال حسبما تقتضيه مشيته المبنية على الحكم البالغة وفي الحديث من شانه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وقيل رد على اليهود حيث يقولون ان الله لا يقضي يوم السبت شيئا فبأي آلاء ربكما تكذبان مع مشاهدتكم لما ذكر من احسانه سنفرغ لكم اي سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيمة عند انتهاء شؤن الخلق المشار اليها بقوله كل يوم هو في شان فلا يبقى حينئذ الا شان واحد هو الجزاء فعبر عنه بالفراغ لهم بطريق التمثيل وقيل هو مستعار من قول المتهدد لصاحبه سافرغ لك اي سانجرد للايقاع بك من كل ما يشغلني عنه والمراد التوفر على التكاية فيه والانتقام منه وقرئ سيفرغ مبنيا للفاعل وللمفعول وقرئ سنفرغ اليكم اي سنقصد اليكم ايها الثقلان هما الانس والجن مستعار بذلك لتعلقهما على الارض

الارض او لرزانة آرائهما او لانهما مثقلان بالتكليف فبأي آلاء ربكما التي من جملتها التبيه على ما سيلقونه يوم القيمة للتحذير عما يودي الى سوء الحساب تكذبان باقوالكما واعمالكما يا معشر الجن والانس هما الثقلان خوطبا باسم جنسهما لزيادة التقرير ولان الجن مشهورون بالقدرة على الافاعيل الشاقة فخوطبوا بما ينبئ عن ذلك ليبان ان قدرتهم لا تفي بما كلفوه ان استطعتم ان قدرتم على ان تنفذوا من اقطار السموات والارض اي ان تهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكوتي ومن اقطار سماواتي واراضي فانفذوا منها وخلصوا انفسكم من عقابي لا تنفذون لا تقدرون على النفوذ الا بسلطان اي بقوة وقهر وانتم من ذلك بمعزل بعيد روي ان الملئكة تنزل فتحيط بجميع الخلايق فاذا رآهم الجن والانس هربوا فلا يأتون وجها الا وجدوا الملائكة احاطت به فبأي آلاء ربكما تكذبان من التنبيه والتحذير والمسامحة والعفو والملائكة مع كمال القدرة على العقوبة يرسل عليكما شواظ قيل هو اللهب الخالص وقيل المختلط بالدخان وقيل اللهب الاحمر وقيل اللهب الاخضر المنقطع من النار وقيل هو الدخان الخارج من اللهب وقيل هو النار والدخان جميعا وقرئ شواظ بكسر الشين من نار متعلق بيرسل او بمضمر هو صفة لشواظ اي كائن من نار والتنوين للتفخيم فلا تنتصران اي فلا تمتنعان فبأي آلاء ربكما تكذبان فان بيان عاقبة ما هم عليه من الكفر والمعاصي لطف اي لطف ونعمة اي نعمة فاذا انشقت السماء اي انصدعت يوم القيمة فكانت وردة كوردة حمراء وقرئ وردة بالرفع على ان كان تامة اي حصلت سماء وردة فيكون من باب التجريد كقول من قال ولئن بقيت لارحلن بغزوة تحوي الغنايم او يموت كريم كالدهان خبر ثان لكانت او نعت لوردة او حال من اسم كانت اي كدهن الزيت وهو اما جمع دهن او اسم لما يدهن به كالخزام والادام وقيل هو الاديم الاحمر وجواب اذا محذوف اي يكون من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به دايرة المقال فبأي آلاء ربكما تكذبان مع عظم شانها فيومئذ اي يوم اذ تنشق السماء حسبما ذكر لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان لانهم يعرفون بسيماهم وذلك اول ما يخرجون من القبور ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم واما قوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين ونحوه ففي موقف المناقشة والحساب وضمير ذنبه للانس لتقدمه رتبة وافراده لما ان المراد فرد من الانس كانه قيل لا يسأل عن ذنبه انسي ولا جني فبأي آلاء ربكما تكذبان مع كثرة منافعها فان الاخبار بما ذكر مما يزجركم عن الشر المودي اليه واما ما قيل مما انعم الله على عباده المؤمنين في هذا اليوم فلا تعلق له بالمقام وقوله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم فستتنا

تجرى مجرى التعليل لعدم السؤال قيل يعرفون بسواد الوجوه وزرقة العيون وقيل
بما يعلوهم من الكآبة والحزن فيؤخذ بالنواصي والاقدام الجار والمجرور هنا القائم
مقام الفاعل يقال اخذه اذا كان الماخوذ مقصودا بالاخذ ومنه قوله تعالى خذوا حذركم
ونحوه واخذ به اذا كان الماخوذ شيئا من ملابسات المقصود بالاخذ ومنه قوله تعالى
لا تاخذ بلحيتي ولا برأسي وقول المستغيث خذ بيدي اخذ الله بيدك اي يجمع بين
نواصيهم واقدامهم في سلسلة من وراء ظهورهم وقيل تسحبهم الملائكة تارة تاخذ
بالنواصي وتارة بالاقدام فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب
بها المجرمون على ارادة القول اي يقال لهم ذلك بطريق التوبيخ على ان الجملة اما
استيناف وقع جوابا عن سؤال ناشئ من حكاية الاخذ بالنواصي والاقدام كانه
قيل فماذا يفعل بهم عند ذلك فقيل يقال الخ او حال من اصحاب النواصي والاقدام لان
الالف واللام عوض عن المضاف اليه وما بينهما اعتراض يطوفون بينها
اي بين النار يحرقون بها وبين حميم ان ماء بالغ من الحرارة اقصاها يصب عليهم
او يشقون منه وقيل اذا استغاثوا من النار اغيثوا بالحميم فبأي آلاء ربكما
تكذبان وقد اشير الى سر كون بيان امثال هذه الامور من قبيل الآلاء مرارا
ولمن خاف مقام ربه شروع في تعداد الآلاء الدينية والدنيوية واعلم
ان ما عدد فيما بين هذه الآية وبين خاتمة السورة الكريمة من فنون الكرامات
كما ان انفسها آلاء جليلة واصلة اليهم في الآخرة كذلك حكاياتها الواصلة
اليهم في الدنيا آلاء عظيمة لكونها داعية لهم الى السعي في تحصيل ما يوتى الى نيلهما من الايمان
والطاعة وان ما فصل من فاتحة السورة الكريمة الى قوله تعالى كل يوم هو في شان
من النعم الدينية والدنيوية الانفسية والآفاقية آلاء جليلة واصلة اليهم في الدنيا
وكذلك حكاياتها من حيث ايجابها للشكر والمثابرة على ما يودي الى السعادة انتهاء وامتا
ما عدد فيما بين قوله تعالى سنفرغ لكم وبين هذه الآية من الاحوال الهائلة التي يشتمل
في الآخرة فليست هي من قبيل الآلاء وانما الآلاء حكاياتها الموجبة للانزجار
عما يودي الى الابتلاء بها من الكفر والمعاصي كما اشير اليه في تضاعيف تعدادها
ومقامه تعالى موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم يقوم الناس لرب
العالمين او قيامه تعالى على احواله من قام عليه اذا راقبه او مقام الخائف
عند ربه للحساب باحد المعنيين واضافته الى الرب للتفخيم والتهويل او هو مفخم
للتعظيم جنتان جنة للخائف الانسي وجنة للخائف الجني فان الخطاب للفريقين
والمعنى لكل خائفين منكما او لكل واحد جنة لعقيدته واخرى لعمله او جنة لفعل
الطاعات واخرى لترك المعاصي او جنة ثواب بها واخرى تفضل بها عليه او
روحانية وجثمانية وكذا ما جاء مثنى بعد فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى ذواتا افنان

افنان صفة جنتان وما بينهما اعتراض وسط بينهما تنبيها على ان تكذيب كل من الموصوف والصفة
موجب للانكار والتوبيخ والافنان اما جمع فن اي ذوا انواع من الاشجار والثمار او جمع فنن
اي ذوا اغصان متشعبة من فروع الشجر وتخصيصها بالذكر لانها التي تورق وتثمر وتمد الظل فبأي
آلاء ربكما تكذبان وليس فيما يثبت التكذيب فيهما عينان تجريان صفة اخرى لجنتان اي في كل
واحدة منهما عين تجري كيف يشاء صاحبها في الاعالي والاسافل وقيل تجريان من جبل من مسك
وعن ابن عباس والحسن تجريان بالماء الزلال احديهما التسنيم والاخرى السلسبيل وقيل احديهما
من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة للشاربين قال ابو بكر الوراق فيهما عينان تجريان لمن كانت
عيناه في الدنيا تجريان من مخافة الله عز وجل فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى فيهما من كل فاكهة
زوجان اي صنفان معروف وغريب او رطب ويابس صفة اخرى لجنتان وتوسيط الاعتراض
بين الصفات لمزيد الاعتناء بامر آلائه فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى متكئين حال من الخائفين لان من
خاف في معنى الجمع او نصب على المدح على فرش بطائنها من استبرق من ديباج ثخين وحيث
كانت بطائنها كذلك فما ظنك بظهائرها وقيل ظهائرها من سندس وقيل من نور وجنى
الجنتين دان اي ما يجتنى من اشجارها من الثمار قريب ينالها القاعد والمضطجع قال ابن
عباس تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولي الله ان شاء قائما وان شاء قاعدا وان شاء مضطجعا وقرئ
جنى بكسر الجيم فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى فيهن اي في الجنان المدلول عليها بقوله جنتان
لما عرفت انها لكل خائفين من الثقلين او لكل خائف حسب تعدد علمه وقد اعتبر الجمعية في قوله تعالى
متكئين وقيل فيهما من الاماكن والقصور وقيل في الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة
والفرش قاصرات الطرف نساء يقصرن ابصارهن على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم لم يطمثهن
قبلهم ولا جان اي لم يمسسهن الانسيات احد من الانس ولا الجنيات احد من الجن قبل ازواجهن
المدلول عليهم بقاصرات الطرف وقيل بقوله متكئين وفيه دليل على ان الجن يطمثون وقرئ
يطمثهن بضم الميم والجملة صفة لقاصرات الطرف لان اضافتها لفظية او حال منها لتخصصها
بالاضافة فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى كانهن الياقوت والمرجان اما صفة لقاصرات
الطرف او حال منها كالتي قبلها او مشبهات بالياقوت في حمرة الوجه والمرجان اي صغار الدرر في
بياض البشرة وصفائها فان صغار الدر انصع بياضا من كباره وقيل ان الحور آء تلبس سبعين
حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضاء فبأي آلاء ربكما
تكذبان وقوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان استيناف مقرر لمضمون ما فصل
قبله اي ما جزاء الاحسان في العمل الا الاحسان في الثواب فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى
ومن دونهما جنتان مبتدأ وخبر اي ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين
جنتان اخريان لمن دونهم من اصحاب اليمين فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى مدهامتان
صفة جنتان وتوسيط بينهما الاعتراض لما ذكر من التنبيه على ان تكذيب كل من الموصوف والصفة
حقيق بالانكار والتوبيخ اي خضراوان تضربان الى السواد من شدة الخضرة وفيه اشعار بان

الغالب على ما بين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض وعلى الاولين الاشجار
والفواكه فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان اى فوارتان بالماء والنضخ اكثر من
النضح بالحاء المهملة وهو الرش فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان عطف
الاخيران على الفاكهة عطف جبريل وميكال على الملائكة تنبيها لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء والرمان
فاكهة ودواء وعن قال ابو حنيفة رح من حلف لا ياكل فاكهة فاكل رمانا او رطبا لم يحنث فبأي آلاء
ربكما تكذبان وقوله تعالى فيهن خيرات صفة اخرى لجنتان كالجملة التي قبلها والكلام في جمع
الضمير كالذي مر فيما وخيرات مخففة من خيرات لان خير الذي بمعنى أخير لا يجمع وقد قرئ على الاصل
حسان اى حسان الخلق والخلق فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى حور بدل من خيرات
مقصورات في الخيام قصرن في خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة اى محدرة او مقصورات
الطرف وقيل ان الخيمة من خيامهن درة مجوفة فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى
لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان كالذي مر من نظيره في جميع الوجوه فبأي آلاء ربكما
تكذبان وقوله تعالى متكئين نصب على الاختصاص على رفرف خضر الرفرف اما اسم جنس او
اسم جمع واحده رفرفة وقيل هو ما تدلى من الاسرة من عالي الثياب وقيل هو ضرب من البسط
او البسط وقيل الوسايد وقيل النمارق وقيل كل ثوب عريض رفرف ويقال لاطراف
البسط وفضول الغسطاط رفارف ورفرف السحاب هيئته وعبقري حسان العبقري منسوب
الى عبقر تزعم العرب انه اسم بلد الجن فينسبون اليه كل شيء عجيب والمراد الجنس وكذلك وصف
ما جمع حملا على المعنى كما في رفرف على احد الوجهين وقرئ على رفارف خضر بضمتين وعباقري
كذا في نسبة الى عباقر في اسم البلد فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى تبارك اسم ربك
تنزيه وتقديس لتعالي تقرير لما ذكر في السورة الكريمة من الآية الغايضة على الانام اى تعالى
اسمه الجليل الذي من جملة ما صدرت به السور من اسم الرحمن المبني عن افاضة الآلاء المفصلة
وارتفع مما لا يليق بشأن من الامور التي من جملتها محو نعمائه وتكذيبها واذا كان حال اسمه بهذه
الدلالة عليه فما ظنك بذاته الاقدس الاعلى وقيل الاسم بمعنى الصفة وقيل كما في قول من قال
الى الحول ثم اسم السلام عليكما ذي الجلال والاكرام وصف به الرب تكميلا لما ذكر من التنزيه والتعويذ
وقرئ ذو الجلال على انه نعت للاسم عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الرحمن اداى شكر ما انعم الله عليه

اذا وقعت الواقعة اى اذا قامت القيمة وذلك عند النفخة الثانية والتعبير عنها بالوقوع
للايذان بتحقق وقوعها لا محالة كانها واقعة في نفسها مع قطع النظر عن الوقوع الواقع في خبر
الشرط كانه قيل كانت الكائنة وحدثت الحادثة وانتصاب اذا بمضمر ينبئ عن الهول و
القطاعة كانه قيل اذا وقعت الواقعة تكون من الاهوال ما لا يفي به المقال وقيل بالتي للمفعول
من قوله تعالى ليس لوقعتها كاذبة اى لا تكون عند وقوعها نفس تكذب على الله تعالى او تكذب في

في نفسها كما تكذب اليوم واللام كهي في قوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي وهذه الجملة على الوجه الاول اعتراض
مقرر لمضمون الشرط على ان الكاذبة مصدر كالعافية اى ليس لاجل وقعتها وفي حصولها كذب اصلا
بل كل ما ورد في شانها من الاخبار حق صادق لا ريب فيه وقوله تعالى خافضة رافعة خبر مبتداء
محذوف اى هي خافضة لاقوام رافعة لآخرين وهو تقرير لعظمتها وتهويل لامرها فان الوقايع
العظام شانها كذلك او بيان لما يكون يومئذ من حط الاشقياء الى الدركات ورفع السعداء الى
الدرجات ومن زلزلة الاشياء وازالة الاجرام عن مقارها ونثر الكواكب واسقاط السماء
كسفا وتسيير الجبال في الجو كالسحاب وتقديم الخفض على الرفع للتشديد في التهويل وقرئ خافضة
رافعة بالنصب على الحال من الواقعة وقوله تعالى اذا رجت الارض رجا اى زلزلت
زلزالا شديدا اى حيث يهدم ما فوقها من بناء وجبل متعلق بخافضة رافعة اى تخفض وترفع
وقت رج الارض او عند ذلك تخفض ما هو مرتفع وترتفع ما هو منخفض او بدل من اذا وقعت
وبست الجبال بسا اى فتتت حتى صارت مثل السويق الملتوت من بس السويق اذا
لته او سيقت وسيرت من اماكنها من بس الغنم اذا ساقها كقوله تعالى وسيرت الجبال
وقرئ رجت وبست اى ارجت وذهبت فكانت اى فصارت بسبب ذلك
هباء غبارا منبثا منتشرا وكنتم ايها الناس خطاب للامة الحاضرة والامم السالفة
تغليبا او للحاضرة فقط ازواجا اى اصنافا ثلاثة فكل صنف يكون مع صنف آخر
في الوجود او في الذكر فهو زوج وقوله تعالى فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة
واصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة تقسيم وتنويع للازواج الثلاثة مع الاعراب
الاجمالية الى احوالهم قبل تفصيلها فقوله فاصحاب الميمنة مبتداء وقوله ما اصحاب الميمنة خبره
على ان ما الاستفهامية مبتداء وشان ما بعده خبره والجملة خبر الاول والاصل ما هم اى اى
شيء هم في حالهم وصفتهم فان ما وان شاعت في طلب مفهوم الاسم والحقيقة لكنها قد يطلب
بها الصفة والحال كقولك ما زيد فيقال عالم او طبيب فوضع الظاهر موضع الضمير لكونه
ادخل في التفخيم وكذا الكلام في قوله واصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة والمراد تعجيب
السامع من شان الفريقين في الفخامة والفظاعة كانه قيل فاصحاب الميمنة في غاية حسن
الحال واصحاب المشئمة في نهاية سوء الحال وتكلموا في الفريقين فقيل اصحاب الميمنة
اصحاب المنزلة السنية واصحاب المشئمة اصحاب المنزلة الدنية اخذا من تيمنهم بالميامن
وتشاءمهم بالشمايل وقيل الذين يؤتون صحايفهم باعانهم والذين يؤتونها بشمايلهم
وقيل الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة والذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار
وقيل اصحاب اليمن واصحاب الشؤم فان السعداء ميامين على انفسهم والاشقياء
مشائيم عليها بمعاصيهم وقوله تعالى والسابقون السابقون هو القسم الثالث من الازواج
الثلاثة ولعل تاخير ذكرهم مع كونهم اسبق الاقسام واقدمهم في الفضل ليقترن ذكرهم
ببيان محاسن احوالهم على ان ايرادهم بعنوان السبق مطلقا معرب عن احرازهم قصب

السّبق من جميع الوجوه وتكلموا فيهم ايضاً فقيل هم الذين سبقوا الى الايمان والطاعة عند ظهور الحق من غير تلعثم ولو آن وقيل الذين سبقوا الى جنازة الفضايل والكمالات وقيل هم الذين صلوا الى القبلتين كما قال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقيل هم السابقون الى الصلوات الخمس وقيل المسارعون في الخيرات واياما كان فالجملة مبتدأ وخبر والمعنى والسابقون هم الذين اشتهرت احوالهم وعرفت محاسنهم كقولك انا انا وشعري شعري وفيه من تفخيم شانهم والايذان بشيوع فضلهم واستغنائهم عن الوصف بالجميل ما لا يخفى وقيل والسابقون الى رحمة السابقون الى رحمة السابقون الى الجزا والسابقون قوله تعالى اولئك اشارة الى السابقين وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلتهم في الفضل ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده اى اولئك الموصوفون بذلك النعت الجليل المقربون اى الذين قربت الى العرش العظيم درجاتهم واعليت مراتبهم ورقيت الى حظاير القدس نفوسهم الزكية هذا اظهر ما ذكر في اعراب هذه الجمل واشهره والذي يقتضيه جزالة التنزيل ان قوله تعالى فاصحاب الميمنة خبر مبتداء محذوف وكذا قوله واصحاب المشئمة وقوله والسابقون فان المترقب عند بيان انقسام الناس الى الاقسام الثلثة بيان انفس الاقسام واما اوصافها واحوالها فحقها ان تبين بعد ذلك باسنادها اليها والتقدير فاحد اصحاب الميمنة والآخر اصحاب المشئمة والثالث السابقون خلا انه لما اخر بيان احوال القسمين الاولين عقب كل منهما بجملة معترضة بين القسمين منبئة عن تراخي احوالها في الخير والشر ابتداءً اجمالياً مشعراً بان الاحوال كل منها تفصيلاً مترقباً لكن لا على ان ما الاستفهامية مبتداء وما بعدها خبر على ما اراده سيبويه في امثاله بل على انها خبر لما بعدها فان مناط الافادة بيان ان اصحاب الميمنة امر بديع كما يفيده كون ما خبراً لا بيان ان امر ابديعا اصحاب الميمنة كما يفيده كونها مبتداء وكذلك الحال في اصحاب المشئمة واما القسم الاخير فحيث قرن ببيان محاسن احواله بذكره لم يحتج فيه الى تقديم الانموذج فقوله تعالى السابقون مبتدأ والاظهار في مقام الاضمار للتفخيم واولئك مبتدأ ثان او بدل من الاول وما بعده خبره او للثاني والجملة خبر للاول وق

على وهناك فاكهة الخ كقوله تعالى وحور عين وفرش مرفوعة اى رفيعة القدر او منضدة مرتفعة
او مرفوعة على الاسرة وقيل الفرش النساء حيث يكنى بالفراش عن المرأة وارتفاعها كونهن على الارائك
قال تعالى هم وازواجهم على الارائك متكئون ويدل عليه قوله تعالى انا انشأناهن انشاء وعلى التفسير
الاول اضمر لهن لدلالة ذكر الفرش التي هي المضاجع عليهن دلالة بينة والمعنى ابتدأنا خلقهن ابتداء
جديدا او ابدعناهن من غير ولاد ابداء او اعادة وفي الحديث هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز
شمطا رمصا جعلهن الله بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد في الاستواء كلها اتاهن ازواجهن وجدوهن
ابكارا وذلك قوله تعالى فجعلناهن ابكارا وقوله تعالى عربا جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها الحسنة
التبعل وقرئ عربا بسكون الراء اترابا مستويات في السن بنات ثلث وثلثين سنة وكذا ازواجهن
واللام في قوله تعالى لاصحاب اليمين متعلقة بانشأنا او جعلنا او باترابا كقولك هذا ترب لهذا
اى مساو له في السن وقيل بمحذوف هو صفة لابكارا اى كائنات لاصحاب اليمين او خبر مبتدأ
محذوف اى هن لاصحاب اليمين وقيل خبر لقوله تعالى ثلة من الاولين وثلة من الآخرين وهو بعيد
بل هو خبر مبتدأ محذوف ختمت به قصة اصحاب اليمين اى هم امة من الاولين وامة من الآخرين
وقد مر الكلام فيهما وعن ابي العالية ومجاهد وعطاء والضحاك ثلة من الاولين اى من سابقي
هذه الامة وثلة من الآخرين من هذه الامة في آخر الزمان وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس في هذه
الآية قال رسول الله صلعم هم جميعا من امتي واصحاب الشمال شروع في تفصيل احوالهم التي اشير
عند التنويع الى هولها وفظاعتها بعد تفصيل حسن حال اصحاب اليمين والكلام في قوله تعالى ما اصحاب
الشمال عين ما فصل في نظيره وكذا في قوله تعالى في سموم وحميم والسموم حر نار تنفذ في المسام والحميم
الماء المتناهي في الحرارة وظل من يحموم من دخان اسود بهيم لا بارد كسائر الظلال ولا كريم فيه
خبر ما في الجملة سمي ذلك ظلا ثم نفي عنه وصفاه البرد والكرم الذي عبر به عن دفع اذى الحر لتحقيق
انه ليس بظل وقرئ لا بارد ولا كريم بالرفع اى لا هو بارد ولا كريم وقوله تعالى انهم كانوا قبل ذلك
مترفين تعليل لابتلائهم بما ذكر من العذاب اى انهم كانوا قبل ما ذكر من سوء العذاب في الدنيا منعمين
بانواع النعم من المآكل والمشارب والمساكن الطيبة والمقامات الكريمة منهمكين في الشهوات فلا جرم
عذبوا بنقائضها وكانوا يصرون على الحنث العظيم اى الذنب العظيم الذي هو الشرك ومنه
قولهم بلغ الغلام الحنث اى الحلم وقت المؤاخذة بالذنب وكانوا يقولون لغاية عتوهم و
عنادهم ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما اى كان بعض اجزائنا من اللحم والجلد ترابا وبعضها عظاما
نخرة وتقديم التراب لعراقته في الاستبعاد وانقلابه من الاجزاء البادية واذا متمحضة للظرفية
والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى ائنا لمبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان واللام والهمزة لا يعمل فيما قبلها
وهو نبعث وهو المرجع للانكار وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيص انكاره به فانهم منكرون للاحياء
بعد الموت وان كان البدن على حاله لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه اليه في حالة منافية له بالكلية
وتكرير الهمزة لتاكيد النكير وتحلية الجملة بان لتاكيد الانكار لا لانكار التاكيد كما عسى يتوهم من ظاهر النظم
فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في مثل قوله تعالى افلا تعقلون على راى الجمهور فان المعنى عندهم

هم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين في المبعوثية بالفعل في
حال كونهم ترابا وعظاما بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له ومرجعه الى انكار البعث بعد تلك
الحالة وفيه من الدلالة على غلوهم في الكفر وتماديهم في الضلال ما لا مزيد عليه وتكرير الهمزة في قوله تعالى
او آباؤنا الاولون لتاكيد النكير والواو للعطف على المستكن في لمبعوثون وحسن ذلك
للفصل بالهمزة ويعنون ان بعث آبائهم الاولين ابعد من الوقوع وقرئ او آباؤنا قل
ردا لانكارهم وتحقيقا للحق ان الاولين والآخرين من الامم الذين من جملتهم انتم وآباؤكم
وفي تقديم الاولين مبالغة في الرد حيث كان انكارهم لبعث آبائهم اشد من انكارهم لبعثهم مع
مراعاة الترتيب الوجودي لمجموعون بعد البعث وقرئ لمجمعون الى ميقات يوم معلوم اى الى
ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والاضافة بمعنى من كخاتم فضة ثم انكم ايها الضالون
عطف على ان الاولين داخل تحت القول وثم للتراخي زمانا او رتبة المكذبون اى بالبعث
والخطاب لاهل مكة واضرابهم لآكلون بعد البعث والجمع ودخول جهنم من شجر من زقوم
من الاولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره اى مبتدؤن الاكل من شجر هو زقوم و
قيل من الثانية متعلقة بمضمر هو وصف لشجر اى كائن من زقوم فمالئون منها البطون اى بطونكم
من شدة الجوع فشاربون عليه عقيب ذلك بلا ريث من الحميم اى الماء الحار في الغاية وتانيث
ضمير الشجر اولا وتذكيره ثانيا باعتبار المعنى واللفظ وقرئ من شجرة فضمير عليه للزقوم وقيل
للاكل وقوله تعالى فشاربون شرب الهيم كالتفسير لما قبله على طريقة قوله تعالى فكذبوا عبدنا اى لا يكون
شربكم شربا معتادا بل يكون مثل شرب الهيم وهي الابل التي بها الهيام وهو داء يصيبها فتشرب
ولا تروى جمع اهيم وهيماء وقيل الهيم الرمال على انه جمع الهيام وبفتح الهاء وهو الرمل
الذي لا يتماسك جمع على فعل كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع ابيض والمعنى انه
يسلط عليهم من الجوع والتهاب النار في احشائهم ما يضطرهم الى اكل الزقوم الذي هو كالمهل
فاذا ملؤا منه بطونهم وهو في غاية المرارة والحرارة سلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب
الحميم الذي يقطع امعاءهم فيشربونه شرب الهيم وقرئ شرب الهيم بالفتح وهو ايضا مصدر
وقرئ بالكسر على انه اسم المشروب هذا الذي ذكر من انواع العذاب نزلهم يوم الدين اى يوم
الجزاء فاذا كان ذلك نزلهم وهو ما يعد للنازل مما حضر فما ظنك بما لهم بعد ما استقر لهم القرار و
اطمأنت بهم الدار في النار وفيه من التهكم بهم ما لا يخفى وقرئ نزلهم بسكون الزاء تخفيفا والجملة
مسوقة من جهته تعالى بطريق الفذلكة مقررة لمضمون الكلام الملقن غير داخلة تحت القول وقوله تعالى
نحن خلقناكم فلولا تصدقون تلوين للخطاب وتوجيه له الى الكفرة بطريق الالزام والتبكيت
والفاء لترتيب التحضيض على ما قبلها اى فهلا تصدقون بالخلق فان ما لا يحققه العمل ولا يساعده
بل ينبئ عن خلافه ليس من التصديق في شيء وقيل بالبعث استدلالا عليه بالانشاء فان من قدر
عليه قدر على الاعادة حتما والاول هو الوجه كما ستحيط به خبرا افرأيتم ما تمنون اى تقذفون
في الارحام من النطف وقرئ بفتح التاء من منى النطفة بمعنى امناها ءانتم تخلقونه اى تقدرونه

العمل بيان

وتصورونه بشرا سويا ام نحن الخالقون له من غير دخل شئ فيه وام قيل منقطعة لان ما بعدها
جملة فالمعنى بل انحن الخالقون على ان الاستفهام للتقرير وقيل متصلة ومجئ الخالقون بعد
نحن بطريق التاكيد لا بطريق الجزية اصالة نحن قدرنا بينكم الموت اى قسمناه عليكم وقتنا
موت كل احد بوقت معين حسبما تقتضيه مشيتنا المبنية على الحكم البالغة وقرئ قدرنا مخففا
وما نحن بمسبوقين اى انا قادرون على ان نبدل امثالكم لا يغلبنا احد على ان نذهبكم
وناتى مكانكم اشباهكم من الخلق وننشئكم فيما لا تعلمون من الخلق والاطوار ولا تعهدونه
بمثلها قال الحسن اى نجعلكم قردة وخنازير وقيل المعنى وننشئكم فى البعث على غير صوركم
فى الدنيا فمن هذا شانه كيف يعجز عن اعادتكم وقيل المعنى وما يسبقنا احد فيهرب من الموت
او يفوتنا وقته وعلى ان نبدل الخ اما حال من فاعل قدرنا او علة للتقرير وعلى بمعنى اللام وما بينهما
اعتراض ولقد علمتم النشاة الاولى هى خلقهم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة وقيل
هى فطرة آدم عليه السلم من التراب فلو لا تذكرون فهلا تتذكرون ان من قدر عليها
قدر على النشاة الاخرى حتما فانها اقل صنعا لحصول المواد وتخصص الاجزاء وسبق
المثال وفيه دليل على صحة القياس وقرئ فلو لا تذكرون من التلاتى وفى الخبر عجبا كل العجب
للمكذب بالنشاة الاخرة وهو يرى النشاة الاولى وعجبا للمصدق بالنشاة الاخرة
وهو يسعى لدار الغرور افرايتم ما تحرثون اى تبذرون حبه وتعملون فى ارضه ءانتم تزرعونه
تنبتونه وتربونه نباتا يرف امر نحن الزارعون اى المنبتون لا انتم والكلام فى ام كما مر آنفا
لو نشاء لجعلناه حطاما هشيما متكسرا متفتتا بعد ما انبتناه وصار بحيث طعتم فى حياته
غلاله فظلتم بسبب ذلك تفكهون تتعجبون من سوء حاله اثر ما شاهدتموه على احسن ما كنتم
من الحال او تندمون على ما تعبتم فيه وانفقتم عليه او على ما اقترفتم لاجله من المعاصى فتحدثون
فيه والتفكه التنعل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنعل بالحديث وقرئ تفكنون اى تتندمون
وقرئ فظللتم بالكسر وفظللتم على الاصل انا لمغرمون اى للزمون من غرامة ما انفقنا او مهلكون
بهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك وقرئ أئنا على الاستفهام والجملة على القراءتين معمولة
مقدرة بقول هو فى حيز النصب على الحالية من فاعل تفكهون اى قايلين او تقولون انا لمغرمون
بل نحن محرومون حرمنا رزقنا او محارفون محدودون لاحظ لنا ولا بخت لنا افرايتم
الماء الذى تشربون عذبا وفراتا وتخصيص هذا الوصف بالذكر مع كثرة منافعه لان
الشرب اتم المقاصد المنوطة به ءانتم انزلتموه من المزن اى من السحاب واحده مزنة
وقيل هو السحاب الابيض وماوه اعذب امر نحن المنزلون له بقدرتنا ولو نشاء
جعلناه اجاجا ملحا زعاقا لا يمكن شربه وحذف اللام ههنا مع اثباتها فى الشرطية
الاولى للتعويل على علم السامع او الفرق بين المطعوم والمشروب فى الاهمية وصعوبته
العقد والشرطيتان مستانفتان مسوقتان لبيان ان عصمته تعالى للزرع والماء عما يخل بالتمتع
بها نعمة اخرى بعد نعمة الانبات والانزال مستوجبة للشكر فقوله تعالى فلو لا تشكرون تخصيص على

على شكر الكل افرايتم النار التى تورون تقدحونها وتستخرجونها من الزناد ءانتم انشاتم
شجرتها التى منها الزناد وهى المرخ والعفار ام نحن المنشئون لها بقدرتنا والتعبير عن
خلقها بالانشاء المبنى عن بديع الصنع المعرب عن كمال القدرة والحكمة لما فيه من الغرابة
العارقة بينها وبين سايل الشجر التى لا تخلو عن الماء حتى قيل فى كل شجر نار واستجد المرخ والعفار
كما ان التعبير عن نفخ الروح بالانشاء فى قوله تعالى ثم انشاناه خلقا آخر لذلك وقوله تعالى
نحن جعلناها تذكرة استيناف مبين لمنافعها اى جعلنا ها تذكيرا لنار جهنم حيث
خلقنا بها اسباب المعاش لينظروا اليها ويذكروا ما اوعدوا به من نار جهنم او تذكرة
والمؤذيات من جهنم لما روى عن النبى عليه السلم ناركم هذه التى يوقد ها بنو آدم جزء من سبعين
جزءا من حر جهنم وقيل تبصرة فى امر البعث فانه ليس باديع من اخراج النار من الشئ
الرطب ومتاعا ومنفعة للمقوين للذين ينزلون القواء وهى القفر وتخصيصهم بذلك
لانهم احوج اليها فان المقيمين او النازلين بقرب منهم ليسوا المضطرين الى الاقتداح بالزناد
وقد جوز ان يراد بالمقوين الذين خلت بطونهم ومزاودهم من الطعام وهو بعيد لعدم
انحصار ما يهمهم وليست خلتهم فيما لا يؤكل الا بالطبخ وتاخير هذه المنفعة للتنبيه على ان الاهم
هو النفع الاخروى والفاء فى قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم لترتيب ما بعدها على ما عدد
من بدايع صنعه تعالى وروايع نعمه الموجبة لتسبيحه تعالى اما تنزيها له تعالى عما يقوله الجاحدون
بوحدانيته الكافرون بنعمته مع عظمها وكثرتها او تعجبا من امرهم فى غمط تلك النعم الباهرة
مع جلالة قدرها وظهور امرها او شكرا على تلك النعم الشابعة اى فاحدث التسبيح بذكر
اسمه تعالى او بذكره فان اطلاق الاسم على الشئ ذكره والعظيم صفة للاسم او الرب فلا اقسم
اى فاقسم ولا مزيدة للتاكيد كما فى قوله تعالى لئلا يعلم او فلا انا اقسم فحذف المبتدا واشبع
فتحة لام الابتداء ويعضده قراءة من قرا فلا اقسم او فلا رد لكلام يخالف المقسم عليه واما
ما قيل من ان المعنى فلا اقسم اذ الامر اوضح من ان يحتاج الى القسم فيابا ه تعيين المقسم به
وتفخيم شان المقسم به بمواقع النجوم اى مساقطها وهى مغاربها وتخصيصها بالقسم
لما فى غروبها من زوال اثرها والدلالة على وجود موثر دايم لا يتغير اولان ذلك وقت
قيام المتهجدين والمبتهلين اليه تعالى او ان نزول الرحمة والرضوان عليهم او بمنازلها
ومجاريها فان له تعالى فى ذلك من الدليل على عظم قدرته وكمال حكمته ما لا يحيط به البيان وقيل
النجوم نجوم القرآن ومواقعها اوقات نزولها وقوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم
اعتراض فى اعتراض قصد به المبالغة فى تحقيق مضمون الجملة العتيمة وتاكيده حيث اعترض
بقوله وانه لقسم بين القسم وجوابه الذى هو قوله تعالى انه لقرآن كريم اى كثير النفع لاشتماله
على اصول العلوم المهمة فى صلاح المعاش والمعاد او حسن مرضى او كريم عند الله تعالى وقوله تعالى
لو تعلمون بين الموصوف وصفته وجواب لو اما متروك اريد به نفى علمهم او محذوف ثقة بظهوره
اى لعظموه او لعلمتم بموجبه فى كتاب مكنون اى مصون من غير المقربين من الملئكة لا يطلع

عليه من سواهم وهو اللوح لا يمسه الا المطهرون اما صفة اخرى لكتاب فالمراد بالمطهرين
الملائكة المنزهون عن الكدورات الجسمانية واوضار الاوزار او للقرآن فالمراد بهم المطهرون
من الاحداث فيكون نفيا بمعنى النهي اى لا ينبغي ان يمسه الا من كان على طهارة من الناس
على طريقة قوله عليه السلام المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه اى لا ينبغي له ان يظلمه او يسلمه
الى من يظلمه وقيل لا يطلبه الا المطهرون من الكفر وقرئ المتطهرون والمطهرون بالادغام
والمطهرون من اطهره بمعنى طهره والمطهرون اى انفسهم او غيرهم بالاستغفار او غيره
تنزيل من رب العالمين صفة اخرى للقرآن وهو مصدر نعت به حتى جرى مجرى اسمه
وقرئ تنزيلا أفبهذا الحديث الذي ذكرت نعوته الجليلة الموجبة لاعظامه واجلاله
وهو القرآن الكريم انتم مدهنون اى متهاونون به كمن يدهن في الامر اى يلين جانبه
ولا يتصلب فيه تهاونا به وتجعلون رزقكم اى شكر رزقكم انكم تكذبون اى تضعون
التكذيب موضع الشكر وقرئ وتجعلون شكركم انكم تكذبون اى تجعلون شكركم لنعمة القرآن انكم تكذبون به وضع
الرزق المطر والمعنى وتجعلون شكر ما يرزقكم الله تعالى من الغيث انكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه
الى الانواء والاول هو الاوفق لسياق النظم الكريم وسياقه فان قوله عز وجل فلولا اذا بلغت الحلقوم
مبني على تكذيبهم بالقرآن فيما نطق به قوله تعالى نحن خلقناكم الى هنا من الفوارغ الدالة على كونهم تحت ملكوته تعالى
من حيث ذواتهم ومن حيث طعامهم وشرابهم وسائر اسباب معايشهم كما ستقف عليه ولولا للتخصيص
لاظهار عجزهم واذا ظرفية اى فهلا اذا بلغت النفس اى الروح وقيل نفس احدكم الحلقوم وتداعت اليه
الخروج وانتم حينئذ ايها الحاضرون حول صاحبها تنظرون الى ما هو فيه من الغمرات ونحن اقرب اليه
علما وقدرة وتصرفا منكم حيث لا تعرفون من حاله الا ما تشاهدونه من آثار الشدة من غير ان تعقلوا على
كنهها وكيفيتها واسبابها ولا ان تقدروا على رفع ادنى شئ منها ونحن المتولون لتفاصيل احواله بعلمنا
وقدرتنا او بملائكة الموت ولكن لا تبصرون لا تدركون ذلك لجهلكم بشؤونا وقوله تعالى فلولا ان كنتم غير مدينين
اى غير مربوبين من دان السلطان رعيته اذا ساسهم واستعبدهم ناظر الى قوله تعالى نحن خلقناكم فلولا
تصدقون فان التحضيض يستدعي عدم المحضض عليه حتما وقوله تعالى ترجعونها اى النفس الى مقرها هو العامل
في اذا او المحضض عليه بلولا الاولى والثانية مكررة للتاكيد وهي مع ما في حيزها دليل جواب الشرط والمعنى ان
كنتم غير مربوبين كما ينبئ عنه عدم تصديقكم بخلقكم ايانا فهلا ترجعون النفس الى مقرها عند بلوغها الحلقوم ان كنتم
صادقين في اعتقادكم فان عدم تصديقهم بخالقيته تعالى لهم عبارة عن تصديقهم بعدم خالقيته تعالى بموجب
مذهبهم وقوله تعالى فاما ان كان من المقربين الخ شروع في بيان حال المتوفى بعد الما اثر بيان حاله عند الوفاة
اى فاما ان كان الذي يبين حاله من السابقين من الازواج الثلثة عبر عنهم باجل اوصافهم فروح اى فله
استراحة وقرئ فروح بضم الراء وفتح بالرحمة لانها سبب لحيوة المرحوم وبالحيوة الدائمة وريحان ورزق
وجنت نعيم اى ذات تنعم واما ان كان من اصحاب اليمين عبر عنهم بالعنوان السابق اذ لم يذكر لهم فيما سبق
وصف واحد ينبئ عن شانهم سواه كما ذكر للفريقين الآخرين وقوله تعالى فسلام لك من اصحاب اليمين
اخبار من جهته تعالى بتسليم بعضهم على بعض كما ينبئ عنه اللام لا حكاية انشاء سلام بعضهم على بعض والا يقتل

يقتل عليك والالتفات الى خطاب كل واحد منهم للتشريف واما ان كان من المكذبين الضالين
وهم اصحاب الشمال عبر عنهم بذلك حسبما وصفوا به عند بيان احوالهم بقوله تعالى ثم انكم ايتها الضالون
المكذبون ذواتهم بذلك واشعارا بسبب ما ابتلوا به من العذاب فنزل اى فله نزل كائن من حميم
يشرب بعد اكل الزقوم وكما فصل فيما قبل وتصلية جحيم اى ادخال في النار وقيل اقامة فيها
ومقاساة لالوان عذابها وقيل ذلك مما يجدونه في القبر من سموم النار ودخولها ان هذا اى
الذي ذكر في السورة الكريمة هو حق اليقين اى حق الخبر اليقين وقيل الحق الثابت من اليقين
والفاء في قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم لترتيب التسبيح او الامر به على ما قبلها فان حقية ما فصل
في تضاعيف السورة الكريمة مما يوجب تنزيهه تعالى عما لا يليق بشانه الجليل من الامور التي من جملتها الاشراك
به والتكذيب بآياته الناطقة بالحق عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا

سبح لله ما في السموات والارض التسبيح تنزيه الله تعالى اعتقادا وقولا وعملا عما لا يليق بشانه
سبحانه من سبح في الارض والماء اذا ذهب فيها وابعد فيها وحيث اسند ههنا الى غير العقلاء
ايضا فان ما في السموات والارض يعم جميع ما فيهما سواء كان مستقرا فيهما او جزأ منهما كما
مر في آية الكرسي اريد به معنى عام مجازي شامل لما نطق به لسان المقال كتسبيح الملئكة والمؤمنين
من الثقلين ولسان الحال كتسبيح غيرهم فان كل فرد من افراد الموجود ادل بامكانه وحدوثه
على الصانع القديم الواجب الوجود والمتصف بالكمال المنزه عن النقصان وهو المراد بقوله
تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده وهو متعد بنفسه كما في قوله تعالى وسبحوه واللام امامزيدة
للتاكيد كما في نصحت له وشكرت له او للتعليل اى فعل التسبيح لاجل الله تعالى وخالصا لوجهه
ومجيئه في بعض الفواتح ماضيا وفي البعض مضارعا للايذان بتحققه في جميع الاوقات وفيه
تنبيه على ان حق من من شانه التسبيح الاختياري ان يسبحه تعالى في جميع اوقاته كما عليه الملا الاعلى
حيث يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهو العزيز القادر الغالب الذي لا يمانعه ولا يناوئه
شئ الحكيم الذي لا يفعل الا ما يقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون
ما قبله مشعر بعلة الحكم وكذا قوله تعالى له ملك السموات والارض اى التصرف الكلي فيهما وفيما
فيهما من الموجودات من حيث الايجاد والاعدام وسائر التصرفات مما نعلم ومالا نعلم وقوله تعالى
يحيي ويميت استيناف مبين لبعض احكام الملك وجعله حالا من ضميره ليس كما ينبغي وهو على
كل شئ من الاشياء التي من جملتها ما ذكر من الاحياء والاماتة قدير مبالغ في القدرة هو الاول
السابق على سائر الموجودات لا انه مبدؤها ومبدعها والآخر الباقي بعد فنائها حقيقة او نظرا
الى ذاتها مع قطع النظر عن مبقيها فان جميع الموجودات الممكنة اذا قطع النظر عن علتها فانية
والظاهر وجودا الكثرة دلائله الواضحة والباطن حقيقة فلا يحوم حولها العقول والواو
الاولى والاخيرة للجمع بين الوصفين المكتنفين بهما والوسطى للجمع بين المجموعين فهو متصف باستمرار

جملتها الاشراك

الوجود في جميع الاوقات والظهور والخفاء وهو بكل شيء عليم لا يعزب عن علمه شيء من الظاهر والخفي
هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش بيان لبعض احكام
ملكهما وقد مر تفسيره مرارا يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء
وما يعرج فيها مر بيانه في سورة سبا وهو معكم اينما كنتم تمثيل لاحاطة علمه تعالى بهم وتصوير
لعدم خروجهم عنه اينما داروا وقوله تعالى والله بما تعملون بصير عبارة عن احاطته باعمالهم فتاخيره
عن الخلق لما ان المراد به ما يدور عليه الجزاء من العلم التابع للمعلوم لا لما قيل من انه دليل عليه
وقوله تعالى له ملك السموات والارض تكرير للتاكيد وتمهيد لقوله تعالى والى الله ترجع الامور
اي اليه وحده لا الى غيره استقلالا او اشتراكا ترجع جميع الامور على البناء للمفعول من
رجع رجعا وقرئ على البناء للفاعل من رجع رجوعا يولج الليل في النهار ويولج النهار
في الليل مر تفسيره مرارا وقوله تعالى وهو عليم اي مبالغ في العلم بذات الصدور اي بمكنوناتها
اللازمة لها بيان لاحاطة علمه تعالى بما يضمرونه من نياتهم بعد بيان احاطته باعمالهم التي يظهرونها
آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه اي جعلكم خلفاء في التصرف فيه من غير
ان تملكوه حقيقة عبر عما بايديهم من الاموال والارزاق بذلك تحقيقا للحق وترغيبا لهم في الانفاق
فان من علم انها لله عز وجل وانما هو بمنزلة الوكيل يصرفها الى ما عينه الله تعالى من المصارف هان عليه
الانفاق او جعلكم خلفاء من قبلكم فيما كان بايديهم بتوريثه اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم اليكم
وسينتقل منكم الى من بعدكم فلا تبخلوا به فالذين آمنوا منكم وانفقوا حسبما امروا به لهم بسبب
ذلك اجر كبير وفيه من المبالغات ما لا يخفى حيث جعل الجملة اسمية واعيد ذكر الايمان والانفاق
وكرر الاسناد وفخم الاجر بالتنكير ووصف بالكبير وقوله عز وجل وما لكم لا تؤمنون بالله استئناف
مسوق لتوبيخهم على ترك الايمان حسبما امروا به بانكار ان يكون لهم في ذلك عذر ما في الجملة على ان لا تؤمنون
حال من الضمير في لكم والعامل ما فيه من معنى الاستقرار اي اي شيء حصل لكم غير مؤمنين على توجيه الانكار
والنفي الى السبب فقط مع تحقق المسبب لا الى السبب والمسبب جميعا كما في قوله تعالى وما لي لا اعبد
الذي فطرني فان همزة الاستفهام كما تكون تارة لانكار الواقع كما في اتضرب اباك واخرى لانكار
الوقوع كما في ااضرب ابي كذلك ما الاستفهامية قد تكون لانكار سبب الواقع ونفيه فقط كما فيما
نحن فيه وفي قوله ما لكم لا ترجون لله وقارا فيكون مضمون الجملة الحالية محققا فان كلا من عدم الايمان
وعدم الرجاء امر محقق قد انكر ونفي سببه وقد تكون لانكار سبب الوقوع ونفيه فيسريان الى
المسبب ايضا كما في قوله وما لي لا اعبد الخ فيكون مضمون الجملة الحالية مفروضا قطعا فان عدم العبادة
امر مفروض حتما قد انكر ونفي سببه فانتفى نفسه ايضا وقوله تعالى والرسول يدعوكم لتؤمنوا
بربكم حال من ضمير لا تؤمنون مفيدة لتوبيخهم على الكفر مع تحقق ما يوجب عدمه بعد توبيخهم عليه مع
عدم ما يوجبه اي واي عذر في ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه وقوله تعالى وقد اخذ ميثاقكم
حال من مفعول يدعوكم اي وقد اخذ الله تعالى ميثاقكم بالايمان من قبل وذلك بنصب الادلة والتمكين من
النظر وقرئ وقد اخذ مبنيا للمفعول برفع ميثاقكم ان كنتم مؤمنين حيث يهديكم الى سعادة الدارين

بموجب ما فان هذا موجب لا بموجب
وراءه هو الذي ينزل على عبده حسبما
يعن لكم من المصالح آيات بينات وافعال
ليخرجكم اي الله تعالى او العبد بها من
الظلمات الى النور من ظلمات الكفر الى نور
الايمان وان الله بكم لرؤف رحيم حيث ا
صح صح صح

الله اعلم بورده آيه كريمه ده وتفسيرده قالمش واردر يوقسه

الدارين بارسال الرسول وتنزيل الآيات بعد نصب الحجج العقلية وقوله تعالى وما لكم الا تنفقوا في
سبيل الله توبيخ لهم على ترك الانفاق المامور به بعد توبيخهم على ترك الايمان بانكار ان يكون لهم
في ذلك ايضا عذر من الاعذار وحذف المفعول لظهور انه الذي بين حاله فيما سبق وتعيين
المنفق فيه لتشديد التوبيخ اي واي شيء لكم في ان لا تنفقوا فيما هو قربة الى الله تعالى ما هو له في
الحقيقة وانما انتم خلفاؤه في صرفه الى ما عينه من المصارف وقوله تعالى ولله ميراث السموات
والارض حال من فاعل الا تنفقوا او مفعوله مؤكدة للتوبيخ فان ترك الانفاق بغير سبب
قبيح منكر ومع تحقق ما يوجب الانفاق اشد في القبح وادخل في الانكار فان بيان بقاء جميع
ما في السموات والارض من الاموال بالآخرة لله عز وجل من غير ان يبقى من اصحابها احد اقوى
في ايجاب الانفاق عليهم من بيان انها لله تعالى في الحقيقة وهم خلفاؤه في التصرف فيها كانه
قيل وما لكم في ترك انفاقها في سبيل الله والحال انه لا يبقى لكم منها شيء بل تبقى كلها لله تعالى واظهار
الاسم الجليل في موقع الاضمار لزيادة التقرير وتربية المهابة وقوله تعالى لا يستوي منكم من
انفق من قبل الفتح وقاتل بيان لتفاوت درجات المنفقين حسب تفاوت احوالهم
في الانفاق بعد بيان ان لهم اجرا كبيرا على الاطلاق حثا لهم على تحري الافضل وعطف القتال
على الانفاق للايذان بانه من اهم مواد الانفاق مع كونه في نفسه من افضل العبادات وانه
لا يخلو من الانفاق اصلا وقسيم من انفق محذوف لظهوره ودلالة ما بعده عليه وقرئ
قبل الفتح بغير من والفتح فتح مكة اولئك اشارة الى من انفق والجمع بالنظر الى معنى من
كما ان افراد الضميرين السابقين بالنظر الى لفظهما وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد
بالمشار اليه للاشعار ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم في الفضل ومحله الرفع على الابتداء اي اولئك
المنعوتون بذينك النعتين الجميلين اعظم درجة وارفع منزلة من الذين انفقوا من
بعد وقاتلوا لانهم انما فعلوا ما فعلوا من الانفاق والقتال قبل عزة الاسلام وقوة اهله
عند كمال الحاجة الى النصرة بالنفس والمال وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار
الذين قال فيهم النبي عليه السلام لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيبه
وهؤلاء فعلوا ما فعلوا بعد ظهور الدين ودخول الناس فيه افواجا وقلة الحاجة الى الانفاق
والقتال وكلا اي كل واحد من الفريقين وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة
لا الاولين فقط وقرئ وكل بالرفع على الابتداء اي وكل وعده الله تعالى الخ والله بما تعملون
خبير بظواهره وبواطنه فيجازيكم بحسبه وقيل نزلت الآية في ابي بكر رض فانه اول من آمن
واول من انفق في سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف به على الهلاك
وقوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ندب بليغ من الله تعالى الى الانفاق
في سبيله بعد الامر به والتوبيخ على تركه وبيان درجات المنفقين اي من ذا الذي ينفق
ماله في سبيله تعالى رجاء ان يقرضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص فيه
وتحري اكرم المال وافضل الجهات فيضاعفه له بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار

المعنى كانه قيل ايقرض الله احد فيضاعفه له اى فيعطيه اجره اضعافا وله اجر كريم اى ذلك الاجر المضموم
اليه الاضعاف كريم فى نفسه حقيق بان يتنافس فيه المتنافسون وان لم يضاعف فكيف وقد ضوعف
اضعافا كثيرة وقرئ بالرفع عطفا على يقرض او حملا على تقدير مبتدإ اى فهو يضاعفه وقرئ يضعفه بالرفع
وبالنصب يوم ترى المؤمنين والمؤمنات ظرف لقوله تعالى وله اجر كريم او لقوله فيضاعفه او منصوب
باضمار اذكر تفخيما لذلك اليوم وقوله تعالى يسعى نورهم حال من مفعول ترى فيه نورهم الضياء الذى يرى
بين ايديهم وبايمانهم وقيل هو جزاء اعمالهم وقيل هو القرآن وعن ابن مسعود رض يؤتون نورهم على قدر اعمالهم فمنهم نورهم كالنخلة
ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم وادناهم نورا من نوره على ابهام رجله يطفى تارة ويلمع اخرى قال الحسن يستضيئون
على الصراط وقال مقاتل يكون لهم دليلا الى الجنة بشراكم اليوم جنات تقدير يقول هو حال او استيناف اى يقال
لهم بشراكم اى ما تبشرون به جنات او بشراكم دخول جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك
اى ما ذكر من النور والبشرى بالجنان المخلدة هو الفوز العظيم الذى لا غاية وراءه وقرئ ذلك الفوز العظيم
يوم يقول المنافقون والمنافقات بدل من يوم ترى للذين آمنوا انظرونا اى انتظروا ما يقولون ذلك
لما ان المؤمنين يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف على ركاب تزف بهم وهو لا مشاة او انظروا الينا فانهم اذا
نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بالنور الذى بين ايديهم وقرئ انظرونا من النظرة وهى الامهال
جعل آثارهم فى المشى الى ان يلحقوا بهم انظار لهم نقتبس من نوركم اى نستضئ منه واصله اقتباس القبس
قيل طردا لهم وتهكما بهم من جهة المؤمنين او من جهة الملئكة ارجعوا وراءكم اى الى الموقف فالتمسوا نورا فانه
من ثمة تقتبس اولى الدنيا فالتمسوا النور بتحصيل مباديه من الايمان والاعمال الصالحة او ارجعوا خائبين خاسئين
فالتمسوا نورا آخر وقد علموا ان لا نور وراءهم وانما قالوه تخييبا لهم او ارادوا بالنور ما وراءهم
من الظلمة الكثيفة تهكما بهم فضرب بينهم بين الفريقين بسور اى حايط والباء زايدة له
باب باطنه اى باطن السور او الباب وهو الجانب الذى يلى الجنة فيه الرحمة وظاهره
وهو الطرف الذى يلى النار من قبله من جهة العذاب وقرئ فضرب على البناء للفاعل
ينادونهم استيناف مبنى على السوال كانه قيل فماذا يفعلون بعد ضرب السور ومشاهدة
العذاب فقيل ينادونهم الم نكن فى الدنيا معكم يريدون به موافقتهم لهم فى الظاهر قالوا بلى
كنتم معنا بحسب الظاهر ولكنكم فتنتم انفسكم محنتموها بالنفاق واهلكتموها وتربصتم
بالمؤمنين الدوائر وارتبتم فى امر الدين وغرتكم الاماني الفارغة التى من جملتها الطمع
فى انكاس امر الاسلام حتى جاء امر الله اى الموت وغركم بالله الكريم الغرور اى غركم
الشيطان بان الله عفو كريم لا يعذبكم وقرئ الغرور بالضم فاليوم لا يؤخذ منكم فدية
فداء وقرئ تؤخذ بالتاء ولا من الذين كفروا اى ظاهرا وباطنا ماويكم النار لا تبرحونها
ابدا هى مولاكم اى اولى بكم وحقيقة مكانكم الذى يقال فيه هو اولى بكم كما يقال هو منتة
الكرم اى مكان لقول القائل انه لكريم او مكانكم عن قريب من الوكى وهو القرب او ناصركم على
طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع او متوليكم تتولاكم كما تواليتم موجباتها وبئس المصير اى النار

الم يان للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله استيناف ناع عليهم تثاقلهم فى امور
الدين ورخاوة عقدهم فيها واستبطاء لانتدابهم لما ندبوا اليه بالترغيب والترهيب وروى ان
المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة وفتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن
ابن مسعود رض ما كان بين اسلامنا وبين ان عوتبنا بهذه الآية الا اربع سنين وعن ابن
عباس ان الله تعالى استبطاء قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلث عشرة سنة من نزول القرآن
اى الم يجئ وقت ان تخشع قلوبهم لذكره تعالى وتطمئن به ويسارعوا الى طاعته بالامتثال باوامره والانتهاء
عما نهى عنه من غير توان ولا فتور من آنى الامر اذا جاء آناءه اى وقته وقرئ الم يئن من آن
يئين بمعنى انا وقرئ الما يان وهو دليل على ان المنع متوقع وما نزل من الحق اى القرآن
وهو عطف على ذكر الله فان كان هو المراد به ايضا فالعطف لتغاير العنوانين فانه ذكر وموعظة
كما انه حق نازل من السماء والا فالعطف كما فى قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ومعنى الخشوع له الانقياد التام لاوامره
ونواهيه والعكوف على العمل بما فيه من الاحكام التى من جملتها ما سبق وما لحق من الانفاق
فى سبيل الله تعالى وقرئ نزل من التنزيل مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل وانزل ولا يكونوا كالذين اوتوا
الكتاب من قبل عطف على ان تخشع وقرئ بالتاء على الالتفات للاعتناء بالتحذير وقيل هو
نهى عن مماثلة اهل الكتاب فى قسوة القلوب بعد ان وبخوا وذلك ان بنى اسرائيل كان الحق يحول
بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا التورية والانجيل خشعوا لله تعالى ورقت قلوبهم فطال عليهم
الامد اى الاجل وقرئ الامد بتشديد الدال اى الوقت الاطول وغلبهم الجفاء ورانت
عنهم الرقعة التى كانت تاتيهم من الكتابين فعتت قلوبهم فهى كالحجارة او اشد قسوة وكثير
منهم فاسقون اى خارجون عن حدود دينهم رافضين لما فى كتابهم بالكلية اعلموا ان الله
يحيى الارض بعد موتها تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة باحياء الارض
الميتة بالغيث للترغيب فى الخشوع والتحذير عن القساوة قد بينا لكم الايات التى من جملتها
هذه الايات لعلكم تعقلون كى تعقلوا ما فيها وتعملوا بموجبها فتفوزوا بسعادة الدارين ان
المصدقين والمصدقات اى المتصدقين والمتصدقات وقد قرئ كذلك وقرئ بتخفيف
الصاد من التصديق اى الذين صدقوا الله ورسوله واقرضوا الله قرضا حسنا قيل هو عطف
على ما فى المصدقين من معنى الفعل فانه فى حكم الذين اصدقوا او صدقوا على القراءتين وعقب بان
فيه فصلا بين اجزاء الصلة باجنبى وهو المصدقات واجيب بان المعنى ان الناس الذين
تصدقوا وتصدقن واقرضوا هو عطف على الصلة من حيث المعنى من غير فصل وقيل ان
المصدقات ليس بعطف على المصدقين بل هو منصوب على الاختصاص كانه قيل ان المصدقين
على العموم تغليبا واخص المصدقات من بينهم كما تقول ان الذين آمنوا ولا سيما العلماء
منهم وعملوا الصالحات لهم كذا لكن لا على ان مدار التخصيص مزيد استحقاقهن لمضاعفة الاجر
كما فى المثال المذكور بل زيادة احتياجهن الى التصدق الداعية الى الاعتناء بحثهن على التصدق

لما روى انه عليه السلام قال يا معشر النساء تصدقن فاني اريتكن اكثر اهل النار وقيل هو صلة
لموصول محذوف معطوف على المصدقين كانه قيل والذين اقرضوا والقرض الحسن عبارة
عن التصدق من الطيب عن طيبة النفس وخلوص النية على المستحق للصدقة يضاعف
لهم على البناء للمفعول مسندا الى ما بعده من الجار والمجرور وقيل الى مصدر ما في حيز
الصلة على حذف مضاف اى ثواب التصدق وقرئ على البناء للفاعل اى يضاعف الله تعالى
وقرئ بضعف بتشديد العين وفتحها ولهم اجر كريم مر ما فيه من الكلام والذين آمنوا
بالله ورسله كافة وقد مر بيان كيفية الايمان بهم في خاتمة سورة البقرة اولئك اشارة الى
الموصول الذي هو مبتدأ وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه قد مر سره مرارا وهو
مبتدأ ثان وقوله تعالى هم مبتدأ ثالث خبره الصديقون والشهداء وهو مع خبره خبر للثاني
وهو مع خبره خبر للاول او هم ضمير الفصل وما بعده خبر لاولئك والجملة خبر للموصول اى اولئك
عند ربهم بمنزلة الصديقين والشهداء المشهورين بعلو الرتبة ورفعة المحل وهم الذين
سبقوا الى التصديق واستشهدوا في سبيل الله تعالى او هم المبالغون في الصدق حيث
آمنوا وصدقوا جميع اخباره تعالى ورسله والقائمون بالشهادة لله تعالى بالوحدانية ولهم
بالايمان او على الامم يوم القيمة وقوله تعالى لهم اجرهم ونورهم بيان لثمرات ما وصفوا
به من نعوت الكمال على انه جملة من مبتدأ وخبر محلها الرفع على انه خبر ثان للموصول او الخبر هو الجار
وما بعده مرتفع به على الفاعلية والضمير الاول على الوجه الاول للموصول او الاخيرين
للصديقين والشهداء اى لهم مثل اجرهم ونورهم الموعودين بغاية الكمال وغرة المنال وقد حذفت
اداة التشبيه تنبيها على قوة المماثلة وبلوغها حد الاتحاد كما فعل ذلك حيث قيل هم الصديقون
والشهداء وليست المماثلة بين ما للفريق الاول من الاجر والنور وبين تمام ما للفريقين الاخيرين
بين تمام ما للاول من الاصل والاضعاف وبين ما للاخيرين من الاصل بدون الاضعاف
واما على الوجه الثاني فمرجع الكل واحد والمعنى لهم الاجر والنور الموعودان لهم هذا هو
الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم وقد قيل والشهداء مبتدأ وعند ربهم خبره وقيل الخبر
لهم اجرهم الخ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك الموصوفون بتلك الصفة
القبيحة اصحاب الجحيم بحيث لا يفارقونها ابدا اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب
ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد بعد ما بين حال الفريقين
في الآخرة شرح حال الحيوة الدنيا التي اطمأن بها الفريق الثاني واشير الى انهما من محقرات
الامور التي لا يركن اليها العقلاء فضلا عن الاطمينان بها وانتهما مع ذلك سريعة الزوال
وشبكة الاضمحلال حيث قيل كمثل غيث اعجب الكفار اى الحراث بناته اى النبات
الحاصل به ثم يهيج اى يجف بعد خضرته ونضارته فتراه مصفرا بعد ما رايته ناضرا موفقا
وقرئ مصفارا واغا لم يقل فيصفر ايذانا بان اصفراره مقارن لجفافه وانما المترتب عليه
رويته كذلك ثم يكون حطاما هشيما متكسرا وحق الكاف قيل النصب على الحالية من الضمير

الضمير في لعب لانه في معنى الوصف وقيل الرفع على انه خبر بعد خبر للحيوة الدنيا بتقدير المضاف
اى مثل الحيوة الدنيا كمثل الخ وبعد ما بين حقارة امر الدنيا تزهيدا فيها وتنفيرا عن العكوف
عليها اشير الى فخامة شان الآخرة وعظم ما فيها من اللذات والآلام ترغيبا في تحصيل
نعيمها المقيم وتحذيرا من عذابها الاليم وقدم ذكر العذاب فقيل وفي الآخرة عذاب شديد
لانه من نتائج الانهماك فيما فصل من احوال الحيوة الدنيا ومغفرة عظيمة من الله ورضوان
عظيم لا يقادر قدره وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور اى لمن اطمأن بها ولم يجعلها
ذريعة الى الآخرة عن سعيد بن جبير الدنيا متاع الغرور ان الهتك عن طلب الآخرة
فاما اذا دعتك الى طلب رضوان الله فنعم المتاع ونعم الوسيلة سابقوا اى سارعوا
مسارعة المسابقين لاقرانهم في المضمار الى مغفرة عظيمة كائنة من ربكم اى الى موجباتها
من الاعمال الصالحة وجنة عرضها كعرض السماء والارض اى كعرضهما جميعا واذا
كان عرضها كعرض السماء كذلك فما ظنك بطولها وقيل المراد بالعرض البسطة وتقديم
المغفرة على الجنة لتقديم التخلية على التحلية اعدت للذين آمنوا بالله ورسله فيه دليل
على ان الجنة مخلوقة بالفعل وان الايمان وحده كاف في استحقاقها ذلك الذي وعد
من المغفرة والجنة فضل الله عطاؤه يؤتيه تفضلا واحسانا من يشاء ايتاءه اياه من
غير ايجاب والله ذو الفضل العظيم ولذلك يؤتي من يشاء مثل ذلك الفضل الذي لا غاية
وراءه ما اصاب من مصيبة في الارض كجدب وعاهة في الزروع والثمار ولا في انفسكم
كمرض وآفة الا في كتاب اى الا مكتوبة مثبتة في علم الله تعالى او في اللوح من قبل ان نبرأها
اى نخلق الانفس او المصايب او الارض ان ذلك اى اثباتها في كتاب على الله يسير لا يستعصي
فيه عن العدوة والمدة لكيلا تأسوا اى اخبرناكم بذلك لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نعم الدنيا ولا تفرحوا
بما آتيكم اى اعطاكم الله تعالى منها فان من علم ان الكل مقدر الفوت ما قدر اتيانه
لا محالة لا يعظم جزعه على ما فات ولا فرحه بما هو آت وقرئ بما اتاكم من الايتاء وفي القراءة
الاولى اشعار بان فوات النفع يلحقها اذا خليت وطبعها واما حصولها وبقاءها فلا بد لهما
من سبب يوجدها ويبقيها وقرئ بما اوتيتم والمراد به نفس الاسا المانع عن التسليم لامر الله تعالى
والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقب بقوله تعالى والله لا يحب كل مختال فخور فان من فرح
بالحظوظ الدنيوية وعظمت في نفسه اختال وافتخر بها لا محالة وفي تخصيص التذييل بالنهي عن الفرح الكذا
ايذان بانه اقبح من الاسى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بدل من كل مختال فان المختال
بالمال يضن به غالبا ويأمر غيره به او مبتدأ خبره محذوف يدل عليه قوله تعالى ومن يتول فان
الله هو الغني الحميد فان معناه ومن يعرض عن الانفاق فان الله غني عنه وعن انفاقه محمود
في ذاته لا يضره الاعراض عن شكره بالتوجه اليه بشيء من نعمه وفيه تهديد واشعار بان الامر
بالانفاق لمصلحة المنفق وقرئ فان الله الغني لقد ارسلنا رسلنا اى الملائكة الى الانبياء
او الانبياء الى الامم وهو الاظهر بالبينات اى المعجزات وانزلنا معهم الكتاب

اى جنس الكتاب الشامل للكل **والميزان** ليقوم الناس بالقسط اى بالعدل روى ان جبريل عليه السلم نزل بالميزان فدفعه الى نوح عليه السلم وقال مر قومك يزنوا به وقيل اريد به العدل لقيام به السياسة ويرفع به العدوان **وانزلنا الحديد** قيل نزل آدم عليه السلم من الجنة ومعه خمسة اشياء من حديد السندان والكلتبان والمنفعة والمطرقة والابرة **وروى** ومعه المر والمسحاة **وعن الحسن** وانزلنا الحديد خلقناه كقوله تعالى وانزل لكم من الانعام وذلك ان اوامره تعالى وقضاياه واحكامه تنزل من السماء وقوله تعالى **فيه بأس شديد** لان الآلات الحروب انما تتخذ منه **ومنافع للناس** اذ ما من صنعة الا والحديد او ما يعمل بالحديد آلتها والجملة حال من الحديد وقوله تعالى **وليعلم الله من ينصره ورسله** عطف على محذوف دل عليه ما قبله فانه حال متضمنة للتعليل كانه قيل ليستعملوه وليعلم الله علما يتعلق به الجزاء من ينصره ورسله باستعمال السيوف والسلاح وسائر الاسلحة في مجاهدة اعدآء او متعلق بمحذوف مؤخر والواو اعتراضية اى وليعلم الله من ينصره ورسله انزله وقيل عطف على قوله تعالى ليقوم الناس بالقسط فحوله تعالى **بالغيب** حال من فاعل ينصر او مفعوله اى غائبا عنهم او غائبين منه وقوله تعالى **ان الله قوى عزيز** اعتراض تذييلي جيئ به تحقيقا للحق وتنبيها على ان تكليفهم الجهاد وتعريضهم للقتال ليس لحاجة في اعلاء كلمته واظهار دينه الى نصرتهم بل انما هو لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الامر فيه الى الثواب الآجل والآجل غني بقدرته وعزته عنهم في كل ما يريده **ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم** نوع تفصيل لما اجمل في قوله لقد ارسلنا فوحا لج وتكرير القسم لاظهار مزيد الاعتناء بالامر اى وبالله لقد ارسلنا هما **وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب** بان استنبأنا بعضهم واوحينا اليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط بالقلم **فمنهم** اى من الذرية او من المرسل اليهم المدلول عليهم بذكر الارسال والمرسلين **مهتد** الى الحق **وكثير منهم فاسقون** خارجون عن الطريق المستقيم والعدول من سنن المقابلة للمبالغة في الذم والايذان بغلبة الضلال وكثرتهم **ثم قفينا على آثارهم برسلنا** اى ثم ارسلنا بعدهم رسلنا **وقفينا بعيسى ابن مريم** اى ارسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى بن مريم والضمير لنوح وابراهيم ومن ارسلنا اليهم او من عاصرهم من الرسل للذرية فان الرسل المعنى بهم من الذرية **واتيناه الانجيل** وقرئ بفتح الهمزة فانه اعجمي لا يلزم فيه مراعاة ابنية العرب **وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة** وقرئ رافة على فعالة **ورحمة** اى وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم ونحوه في شان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رحماء بينهم **ورهبانية** منصوب باضمار فعل يفسره الظاهر اى وابتدعوا رهبانية **ابتدعوها** واما بالعطف على ما قبلها وابتدعوها صفة لها اى وجعلنا في قلوبهم رافة ورحمة ورهبانة مبتدعة من عندهم اى وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها وهي المبالغة في العبادة بالرياضة والانقطاع عن الناس ومعناها الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشي وقرئ بضم الراء كانها نسبت الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان وسبب ابتدائهم اياها ان الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد رفع عيسى عليه السلم فقاتلوهم ثلث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا قليل فخافوا ان يفتتنوا في دينهم فاختاروا الرهبانية في قلل الجبال فارين بدينهم مخلصين انفسهم للعبادة وقوله تعالى **ما كتبناها عليهم** جملة مستانفة وقيل صفة اخرى لرهبانية والنفي على الوجه الاول متوجه الى اصل الفعل وقوله تعالى **الا ابتغاء رضوان الله** استثناء منقطع اى ما فرضنا ما التزموه علينا ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فذمهم حينئذ بقوله تعالى **فما رعوها حق رعايتها** من حيث انهم اخلوا بما التزموه من غير قيام بحقه والالتزام بعد التقرب الى الله تعالى بمنزلة النذر عهد مع الله لا يحل نكثه لا سيما اذا قصد به رضاه تعالى وعلى الوجه الثاني متوجه الى قيده لا الى نفيه والاستثناء متصل من اعم العلل اى ما كتبناها عليهم بان وفقناهم لابتداعها لشئ من الاشياء الا ليبتغوا بها رضوان الله ويستحقوا بها الثواب ومن ضرورة ذلك ان يحافظوا عليها ويراعوها حق رعايتها فما رعاها كلهم بل بعضهم **فآتينا الذين آمنوا منهم** اجرا ما هو ايمانهم صحيحا وهو الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم **اجرهم** اى ما يخصهم من الاجر **وكثير منهم فاسقون** خارجون عن حد الاتباع وحمل الفريقين على من مضى من المراعين لحقوق الرهبانية قبل النسخ والمخلين بها اذ ذاك التثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة من غير تعرض لايمانهم برسول الله عليه السلم وكفرهم به مما لا يساعده المقام **يا ايها الذين آمنوا** اى بالرسل المتقدمة **اتقوا الله** فيما نهاكم عنه **وآمنوا برسوله** اى محمد عليه السلم وفي اطلاق ايمان به على علم فرض الرسالة لا يذهب الوهم الى غيره **يؤتكم كفلين** نصيبين **من رحمته** لايمانكم بالرسول ومن قبله من الرسل عليهم السلم لكن لا على معنى ان شريعتهم باقية بعد البعثة بل على انها كانت حقة قبل النسخ **ويجعل لكم نورا تمشون به** يوم القيمة حسبما نطق به قوله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم **ويغفر لكم** ما اسلفتم من الكفر والمعاصي **والله غفور رحيم** اى مبالغ في المغفرة والرحمة وقوله تعالى **لئلا يعلم** متعلق بمضمون الجملة الطلبية المتضمنة لمعنى الشرط اذ التقدير ان تتقوا الله وتؤمنوا برسوله يؤتكم كذا وكذا لئلا يعلم الذين لم يسلموا من اهل الكتاب اى ليعلموا ولا مزيدة كما ينبئ عنه قراءة ليعلم وكي يعلم ولان يعلم بادغام النون في الياء وان في قوله تعالى **ان لا يقدرون على شئ من فضل الله** مخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشان محذوف والجملة في حيز النصب على انها مفعول يعلم اى ليعلموا انه لا يمانون شيئا مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة ولا يتمكنون من نيله حيث لم يأتوا بالشرط الذي هو الايمان برسوله وقوله تعالى **وان الفضل بيد الله** عطف على ان لا يقدرون وقوله تعالى **يؤتيه من يشاء** جزء ثان لان وقيل هو الخبر والجار حال لازمة وقوله تعالى **والله ذو الفضل العظيم** اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وقد جوز ان يكون الامر بالتقوى والايمان لغير اهل الكتاب فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على ايمانكم برسول الله عليه السلم يؤتكم ما وعد من آمن من اهل الكتاب من الكفلين في قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل اجرهم لانكم مثلهم في الايمانين لا تفرقون بين احد من رسله وردي ان مؤمني اهل الكتاب افتخروا على سائر المؤمنين بانهم يؤتون اجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت وقرئ ليلا بقلب الهمزة ياء لانفتاحها بعد كسرة وقرئ بسكون الياء وفتح اللام كاسم المراة وبكسر

وسلم

اللام مع سكون الياء وقرئ ان لا يقدروا هذا وقد قيل لا غير مزيدة وضمير لا يقدرون للنبي عم واصحابه
والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب انه لا يقدر النبي عليه السلم والمؤمنون به على شيء من فضل الله الذي هو
عبارة عما اوتوه من سعادة الدارين على ان عدم علمهم بعدم قدرتهم على ذلك كناية عن علمهم بقدرتهم عليه فيكون
قوله تعالى ان الله بيد الله الخ عطفا على ان لا يعلم عن النبي عليه السلم من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله

قد سمع الله باظهار الدال وقرئ بادغامها في السين قول التي تجادلك في زوجها اي تراجعك الكلام
في شانه وفيما صدر عنه في حقها من الظهار وقرئ تحاورك وتحاولك اي تسايلك وتشتكي الى الله عطف
على تجادلك اي تتضرع اليه تعالى وقيل حال من فاعله اي تجادلك وهي متضرعة اليه تعالى وهي خولة بنت ثعلبة
ابن مالك بن حرامة الخزرجية ظاهر عنها زوجها اوس بن الصامت اخو عبادة ثم ندم على ما قال فقال لها
ما اظنك الا قد حرمت علي فشق عليها ذلك فاستفتت رسول الله صلعم فقال حرمت عليه وفي رواية
ما اراك الا قد حرمت عليه في المرار كلها فقالت اشكو الى الله فاقتي وجهدي وجعلت تراجع رسول الله عم
وكلما قال عليه السلم حرمت عليه هتفت وشكت الى الله فنزلت وفي كلمة قد اشعار بان الرسول عم
والمجادلة كانا يتوقعان ان ينزل الله تعالى حكم الحادثة ويفرج عنها كربها كما يلوح به ما روي
انه عليه السلم قال لها عند استفتائها ما عندي في امرك شيء وانها كانت ترفع راسها
الى السماء وتقول اللهم اني اشكو اليك فانزل على لسان نبيك ومعنى سمعه تعالى
لقولها اجابة دعائها لا مجرد علمه تعالى بذلك كما هو المعنى بقوله تعالى والله يسمع تحاوركما
اي يعلم تراجعكما الكلام وصيغة المضارع للدلالة على استمرار السمع حسب استمرار التحاور
وتجدده وفي نظمها في سلك الخطاب تغليبا تشريف لها من جهتين والجملة استيناف جار
مجرى التعليل لما قبله فان الحاقها في المسئلة ومبالغتها في التضرع الى الله تعالى ومدافعته عليه السلم
اياها بجواب مبني عن التوقف وترقب الوحي وعلمه تعالى بحالهما من دواعي الاجابة وقيل هي
حال وهو بعيد وقوله عز وجل ان الله سميع بصير تعليل لما قبله بطريق التحقيق اي مبالغ في العلم
بالمسموعات والمبصرات ومن قضيته ان يسمع تحاوركما ويرى ما يقارنه من الهيئات التي من
جملتها رفع راسها الى السماء وسائر آثار التضرع واظهار الاسم الجليل في الموقعين لتربية
المهابة وتعليل الحكم بوصف الالوهية وتاكيد استقلال الجملتين وقوله تعالى الذين يظاهرون
منكم من نسائهم شروع في بيان شان الظهار في نفسه وحكمه المترتب عليه شرعا بطريق
الاستيناف والظهار ان يقول الرجل لامرأته انت علي كظهر امي مشتق من الظهر وقد مر
تفصيله في الاحزاب والحق به الفقهاء تشبيهها بجزء محرم وفي منكم مزيد توبيخ للعرب
وتهجين لعادتهم فيه فانه كان من ايمان اهل جاهليتهم خاصة دون سائر الامم وقرئ يظاهرون
من اظهاهر ويتظاهرون ويتظهرون وقوله تعالى ما هن امهاتهم خبر للموصول اي ما نساؤهم
امهاتهم على الحقيقة فهو كذب بحت وقرئ امهاتهم بالرفع على لغة تميم وبامهاتهم ان امهاتهم

ان امهاتهم اي ما هن الا اللائي ولدنهم فلا تشبه بهن في الحرمة الا من الحقها الشرع
بهن من المرضعات وازواج النبي عليه السلم فدخلن بذلك في حكم الامهات واما الزوجات
فابعد شيء من الامومة وانهم ليقولون بقولهم ذلك منكرا من القول على ان مناط
التاكيد ليس صدور القول عنهم فانه امر محقق بل كونه منكرا اي عند الشرع وعند العقل
والطبع ايضا كما يشعر به تنكيره ونظيره قوله تعالى انكم لتقولون قولا عظيما وزورا اي محرفا
عن الحق وان الله لعفو غفور اي مبالغ في العفو والمغفرة فيغفر لما سلف منه على
الاطلاق او بالمتاب عنه وقوله تعالى والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا
تفصيل لحكم الظهار بعد بيان كونه امرا منكرا بطريق التشريع الكلي المنتظم لحكم الحادثة
انتظاما اوليا اي والذين يقولون ذلك القول المنكر ثم يعودون لما قالوا اي الى ما قالوا
بالتدارك والتلافي لا بالتقرير والتكرير كما في قوله تعالى ان تعودوا لمثله ابدا فان اللام والى
تتعاقبا كثيرا كما في قوله تعالى هدانا لهذا وقوله فاهدوهم الى صراط الجحيم وقوله بان ربك اوحى
لها وقوله واوحى الى نوح فتحرير رقبة اي فتداركه او فعليه او فالواجب اعتاق رقبة
اي رقبة كانت وعند الشافعي رح يشترط الايمان والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة
على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار وقيل ما قالوا عبارة عما حرموه على انفسهم بلفظ
الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه كما ذكر في قوله تعالى ونرثه ما يقول اي المقول فيه من
المال والولد فالمعنى ثم يريدون العود والاستمتاع فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا
اي من قبل ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر منها بالآخر جماعا ولمسا ونظرا الى
الفرج بشهوة وان وقع شيء من ذلك قبل التكفير يجب عليه ان يستغفر ولا يعود حتى
يكفر وان اعتق بعض الرقبة ثم مشى عليه ان يستانف عند ابي حنيفة رح ذلكم
اشارة الى الحكم المذكور وهو مبتدأ خبره توعظون به اي تزجرون به عن ارتكاب المنكر
المذكور فان الغرامات مزاجر عن تعاطي الجنايات والمراد بذكره بيان ان المقصود من
شرع هذا الحكم ليس تعريضكم للثواب بمباشرتكم لتحرير الرقبة الذي هو علم في استتباع الثواب
العظيم بل هو ردعكم وزجركم عن مباشرة ما يوجبه والله بما تعملون خبير من الاعمال التي من
جملتها التكفير وما يوجبه من جناية الظهار خبير اي عالم بظواهرها وبواطنها ومجازيكم بها
فحافظوا على حدود ما شرع لكم ولا تخلوا بشيء منها فمن لم يجد اي الرقبة فصيام شهرين
فعليه صيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا ليلا او نهارا عمدا او خطاء فمن لم
يستطع اي الصيام بسبب من الاسباب فاطعام ستين مسكينا لكل مسكين
نصف صاع من بر او صاع من غيره ويجب تقديمه على المسيس لكن لا يستانف ان مس
في خلال الاطعام ذلك اشارة الى ما مر من البيان والتعليم للاحكام والتنبيه عليها وما فيه
من معنى البعد قد مر سره مرارا ومحله اما الرفع على الابتداء او النصب بمضمر معلل بما بعده
اي ذلك واقع او فعلنا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتعملوا بشرائعه التي شرعها لكم

وترفضوا ما كنتم عليه في جاهليتكم وذلك اشارة الى الاحكام المذكورة وما فيه من معنى البعد
لتعظيمها كما مر غير مرة حدود الله التي لا يجوز تعديها وللكافرين اي الذين لا يعملون بها
عذاب اليم عبر عنه بذلك للتغليظ على طريقة قوله تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين
ان الله يحادون الله ورسوله اي يعادونهما ويشاقونهما فان كلا من المتعاديين كما هو
في عدوة وشق غير عدوة الآخر وشقه كذلك يكون في حد غير حد الآخر غير ان لورود المحادة
في اثناء ذكر حدود الله دون المعاداة والمشاقة من حسن الموقع ما لا غاية وراءه كبتوا اي
اخذوا وقيل خذلوا وقيل اذلوا وقيل اهلكوا وقيل لعنوا وقيل غيظوا وهو ما وقع
يوم الخندق قالوا معنى كبتوا سيكبتون على طريقة قوله تعالى اتى امر الله وقيل اصل الكبت
الكبت كما كبت الذين من قبلهم من كفار الامم الماضية المعادين للرسل عليهم السلام
وقد انزلنا آيات بينات حال من واو كبتوا اي كبتوا لمحادتهم والحال انا قد انزلنا آيات
واضحات فيمن حاد الله ورسوله ممن قبلهم من الامم وفيما فعلنا بهم وقيل آيات تدل على صدق
الرسول وصحة ما جاء به وللكافرين اي بتلك الآيات او بكل ما يجب الايمان به فيدخل فيه تلك الآيات
دخولا اوليا عذاب مهين يذهب بعزهم وكبرهم يوم يبعثهم الله منصوب بما تعلق
به اللام من الاستقرار او بمهين او باضمار اذكر تعظيما لليوم وتهويلا له جميعا اي كلهم بحيث
لا يبقى منهم احد غير مبعوث او مجتمعين في حالة واحدة فينبئهم بما عملوا من القبائح ببيان
صدورها عنهم او بتصويرها في تلك النشأة بما يليق بها من الصور الهائلة على رؤس الاشهاد
تخجيلا لهم وتشهيرا لحالهم وتشديدا لعذابهم وقوله تعالى احصاه الله استيناف وقع جوابا عما
نشأ مما قبله من السؤال اما عن كيفية التنبئة او عن سببها كانه قيل كيف ينبئهم باعمالهم
وهي اعراض منقضية متلاشية فقيل احصاه الله عددا لم يفته منه فقوله تعالى ونسوه
حينئذ حال من مفعول احصى باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور او قيل لم ينبئهم بذلك
فقيل احصاه الله ونسوه فينبئهم به ليعرفوا ان ما عاينوه من العذاب انما حاق بهم لاجله
وفيه مزيد توبيخ وتنديم لهم غير التخجيل والتشهير والله على كل شيء شهيد لا يغيب عنه امر من
الامور قط والجملة اعتراض تذييلي مقرر لاحصائه تعالى وقوله تعالى الم تر ان الله يعلم ما في السموات
وما في الارض استشهاد على شمول شهادته تعالى كما في قوله الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه وفي
قوله الم تر انهم في كل واد يهيمون اي الم تعلم علما يقينيا متاخما للمشاهدة انه تعالى يعلم ما فيهما من الموجودات
سواء كان ذلك بالاستقرار فيهما او بالجزئية منهما وقوله تعالى ما يكون من نجوى ثلثة الى آخره استيناف
مقرر لما قبله من سعة علمه تعالى ومبين لكيفيته ويكون من كان التامة وقرئ تكون بالتاء اعتبارا لتانيث
النجوى وان كان غير حقيقي اي ما يقع من تناجي ثلثة نفر اي من مسارتهم على ان نجوى مضافة الى
ثلثة او على انها موصوفة بها اما بتقدير مضاف اي من اهل نجوى ثلثة او بجعلهم نجوى في انفسهم مبالغة
الا هو اي الله عز وجل رابعهم اي جاعلهم اربعة من حيث انه تعالى يشاركهم في الاطلاع عليها وهو
استثناء مفرغ من اعم الاحوال ولا خمسة ولا نجوى خمسة الا هو سادسهم وتخصيص العددين بالذكر

بالذكر اما لخصوص الواقعة فان الآية نزلت في تناجي المنافقين واما لبناء الكلام على اغلب عادات
المتناجين وقد عمم الحكم بعد ذلك فقيل ولا ادنى من ذلك اي مما ذكر كالواحد والاثنين ولا اكثر
كالستة وما فوقها الا هو معهم يعلم ما يجري بينهم وقرئ ولا اكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى او محل
ولا ادنى بان جعل لا لنفي الجنس اينما كانوا من الاماكن ولو كانوا تحت الارض فان علمه تعالى بالاشياء
ليس بقرب مكاني حتى يتفاوت باختلاف الامكنة قربا وبعدا ثم ينبئهم وقرئ ينبئهم بالتخفيف
بما عملوا يوم القيمة تفضيحا لهم واظهارا لما يوجب عذابهم ان الله بكل شيء عليم لان نسبة ذاته
المقتضية للعلم الى الكل سواء الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه
نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا راوا المؤمنين
فنهاهم رسول الله عليه السلم ثم عادوا لمثل فعلهم والخطاب للرسول صلعم والهمزة للتعجيب من
حالهم وصيغة المضارع للدلالة على تكرر عودهم وتجدده واستحضار صورته العجيبة وقوله تعالى
ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول عطف عليه داخل في حكمه اي بما هو اثم في نفسه
وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول وذكره عليه السلم بعنوان الرسالة بين الخطابين المتوجهين
اليه عليه السلم لزيادة تشنيعهم واستعظام معصيتهم وقرئ وينتجون بالاثم والعدوان بكسر العين
ومعصيات الرسول واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله فيقولون السام عليك
او انعم صباحا والله سبحانه يقول وسلام على المرسلين ويقولون في انفسهم اي فيما بينهم
لولا يعذبنا الله بما نقول اي هلا يعذبنا الله بذلك لو كان محمد نبيا حسبهم جهنم عذابا يصلونها
يدخلونها وبئس المصير اي جهنم يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم في انديتكم وفي خلواتكم فلا تتناجوا
بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول كما يفعله المنافقون وقرئ فلا تنتجوا وفلا تناجوا بحذف
احدى التائين وتناجوا بالبر والتقوى اي بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول
عليه السلم واتقوا الله الذي اليه تحشرون وحده لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فيجازيكم بكل
ما تاتون وما تذرون انما النجوى المعهودة التي هي التناجي بالاثم والعدوان من الشيطان لا من غيره
فانه المزين لها والحامل عليها وقوله تعالى ليحزن الذين آمنوا خبر آخر اي انما هي ليحزن المؤمنين
بتوهمهم انها في نكبة اصابتهم وليس بضارهم اي الشيطان او التناجي بضار المؤمنين شيئا
من الاشياء او شيئا من الضرر الا باذن الله اي بمشيته وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولا يبالوا
بنجواهم فانه تعالى يعصمهم من شره وضره يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا اي توسعوا وليفسح
بعضكم عن بعض ولا تتضايقوا من قولهم افسح عني اي تنح وقرئ تفاسحوا وقوله تعالى
في المجالس متعلق بقيل وقرئ في المجلس على ان المراد به الجنس وقيل مجلس الرسول عليه السلام
وكانوا يتضامون تنافسا في القرب منه عليه السلم وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس
القتال وهي مراكز الغزاة كقوله تعالى مقاعد للقتال قيل كان الرجل ياتي الصف ويقول تفسحوا
فيابون لحرصهم على الشهادة وقرئ في المجلس بفتح اللام فهو متعلق بتفسحوا قطعا اي توسعوا
في جلوسكم ولا تتضايقوا فيه فافسحوا يفسح الله لكم اي فيما في كل ما تريدون التفسح فيه من

المكان والرزق والصدر والقبر وغيرها واذا قيل انشزوا اى انهضوا للتوسعة على المقبلين او لما امرتم
به من صلوة او جهاد او غيرهما من اعمال الخير فانشزوا فانهضوا ولا تثبطوا ولا تفرطوا وقرئ
بكسر الشين يرفع الله الذين آمنوا منكم بالنصر وحسن الذكر فى الدنيا والايواء الى غرف
الجنان فى الآخرة والذين اوتوا العلم منهم خصوصا درجات عالية بما جمعوا من اثرتى العلم
والعمل فان العلم مع علو رتبته يقتضى للعمل المقرون به مزيد رفعة لا يدرك شأوه العمل العارى
عنه وان كان فى غاية الصلاح ولذلك يقتدى بالعالم فى افعاله ولا يقتدى بغيره وفى الحديث
فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على ساير الكواكب والله بما تعملون خبير تهديد لمن لم
يمتثل بالامر وقرئ يعملون بالياء التحتانية يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فى بعض
شؤونكم المهمة الداعية الى مناجاته عليه السلم فقدموا بين يدى نجواكم صدقة اى فتصدقوا
قبلها مستعار ممن له يدان وفى هذا الامر تعظيم الرسول صلعم وانفاع الفقراء والزجر عن الافراط
فى السؤال والتمييز بين المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا واختلف فى انه للندب
او للوجوب لكنه نسخ بقوله تعالى أأشفقتم وهو وان كان متصلا به تلاوة لكنه متراخ عنه نزولا
وعن على رضه ان فى كتاب الله آية ما عمل بها احد غيرى كان لى دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته
عليه السلم تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب محمول على انه لم يتفق للاغنياء مناجات
فى مدة بقائه اذ روى انه لم يبق الا عشرا وقيل الا ساعة ذلك اى التصدق خير لكم واطهر
اى لانفسكم من الريبة وحب المال وهذا يشعر بالندب لكن قوله تعالى فان لم تجدوا فان الله
غفور رحيم مبنى عن الوجوب لانه ترخيص لمن لم يجد فى المناجاة بلا تصدق أأشفقتم ان
تقدموا بين يدى نجواكم صدقات اى اخفتم الفقر من تقديم الصدقات او اخفتم
التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات لجمع المخاطبين فاذ لم تفعلوا
ما امرتم به وشق عليكم ذلك وتاب الله عليكم بان رخص لكم ان لا تفعلوه وفيه اشعار
بان اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما راى منهم من الانفعال ما قام مقام توبتهم واذ على
بابها من المضى وقيل بمعنى اذا كما فى قوله تعالى اذ الاغلال فى اعناقهم وقيل بمعنى ان فاقيموا
الصلوة وآتوا الزكوة اى فاذ فرطتم فيما امرتم به من تقديم الصدقات فتداركوه بالمثابرة
على اقامة الصلوة وايتاء الزكوة واطيعوا الله ورسوله فى ساير الاوامر فان القايم بها
كالجابر لما وقع من ذلك من التفريط والله خبير بما تعملون ظاهرا وباطنا الم تر تعجيب
من حال المنافقين الذين كانوا يتخذون اليهود اولياء ويناصحونهم وينقلون اليهم اسرار
المؤمنين اى الم تنظر الى الذين تولوا اى والوا قوما غضب الله عليهم وهم اليهود كما
انبأ عنه قوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه ما هم منكم ولا منهم لانهم منافقون مذبذبون
بين ذلك والجملة مستانفة او حال من فاعل تولوا ويحلفون على الكذب اى يقولون
والله انا لمسلمون وهو عطف على تولوا داخل فى حكم التعجيب وصيغة المضارع للدلالة على
تكرر الحلف وتجدده حسب تكرير ما يقتضيه وقوله تعالى وهو يعلمون حال من فاعل يحلفون

يحلفون مفيدة لكمال شناعة ما فعلوا فان الحلف على ما يعلم انه كذب فى غاية القبح وفيه
دلالة على ان الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته للواقع وما لا يعلمه روى انه عليه السلم
كان فى حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان
فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وكان ازرق فقال له رسول الله صلعم على ما تشتمنى انت
واصحابك فحلف بالله ما فعل فقال عليه السلم فعلت فانطلق فجاء باصحابه فحلفوا بالله
ما سبوه فنزلت اعد الله لهم بسبب ذلك عذابا شديدا نوعا من العذاب
متفاقما انهم ساء ما كانوا يعملون فيما مضى من الزمان المتطاول فتمرنوا على سوء العمل
وضروا به واصروا عليه اتخذوا ايمانهم الفاجرة التى يحلفون بها عند الحاجة وقرئ
بكسر الهمزة اى ايمانهم الذى اظهروه لاهل الاسلام جنة وقاية وسترة دون دمائهم واموالهم
فالاتخاذ على هذه القراءة عبارة عن التستر بما اظهروه بالفعل واما على القراءة الاولى
فهى عبارة عن اعدادهم لايمانهم الكاذبة وتهيئتهم لها الى وقت الحاجة ليحلفوا بها
ويتخلصوا عن المواخذة لا عن استعمالها بالفعل فان ذلك متاخر عن المواخذة لا عن
استعمالها بالفعل فان ذلك متاخر عن المواخذة المسبوقة بوقوع الجناية والخيانة
واتخاذ الجنة لا بد ان يكون قبل المواخذة وعن سببها ايضا كما يعرب عنه الفاء فى قوله تعالى
فصدوا اى الناس عن سبيل الله فى خلال امنهم بتثبيط من لقوا عن الدخول فى
الاسلام وتضعيف امر المسلمين عندهم فلهم عذاب مهين وعيد ثان بوصف
آخر لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر وهو عذاب الآخرة لن تغنى عنهم اموالهم
ولا اولادهم من الله اى من عذابه تعالى شيئا من الاغناء روى ان رجلا منهم
قال لننصرن يوم القيمة بانفسنا واموالنا واولادنا اولئك الموصوفون بما ذكر
من الصفات القبيحة اصحاب النار اى ملازموها ومقارنوها هم فيها خالدون
لا يخرجون منها ابدا يوم يبعثهم الله جميعا قيل هو ظرف لقوله تعالى لهم بها ابدا
يوم يبعثهم الله جميعا قيل هو ظرف لقوله تعالى لهم عذاب مهين فيحلفون له اى لله
تعالى يومئذ على انهم مسلمون كما يحلفون لكم فى الدنيا ويحسبون فى الآخرة انهم بتلك
الايمان الفاجرة على شىء من جلب منفعة او دفع مضرة كما كانوا عليه فى الدنيا حيث
كانوا يدفعون بها عن ازواجهم واموالهم ويستجرون بها فوايد دنيوية الا انهم هم
الكاذبون المبالغون فى الكذب الى غاية لا مطمح وراءها حيث تجاوزوا على الكذب
بين يدى علام الغيوب وزعموا ان ايمانهم الفاجرة تروج الكذب لديه كما تروجه عند
الغافلين استحوذ عليهم الشيطان اى استولى عليهم من حذت الابل اذا استوليت
عليها وجمعتها وهو مما جاء على الاصل كاستصوب واستنفر اى ملكهم فانساهم ذكر الله بحيث
لم يذكروه بقلوبهم ولا بالسنتهم اولئك الموصوفون بما ذكر من القبايح حزب الشيطان اى جنوده
واتباعه الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون اى الموصوفون بالخسران الذى لا غاية

وراه حيث فوتوا على انفسهم النعيم المقيم واخذوا بدله العذاب الاليم وفي تصدير الجملة بحرفي
التنبيه والتحقيق واظهار المضافين معا في موقع الاضمار باحد الوجهين وتوسيط ضمير الفصل
من فنون التاكيد ما لا يخفى ان الذين يحادون الله ورسوله استيناف مسوق لتعليل ما قبله
من خسران حزب الشيطان عبر عنهم بالموصول للتنبيه بما في حيز الصلة على ان مودة من حاد الله
ورسوله محادة لهما والاشعار بعلة الحكم اولئك بما فعلوا من التولي والموادة في الاذلين اي
في جملة من هو اذل خلق الله من الاولين والآخرين لان ذلة احد المتخاصمين على مقدار عزة الآخر
وحيث كانت عزة الله عز وجل غير متناهية كانت ذلة من يحاده كذلك كتب الله استيناف
وارد لتعليل كونهم في الاذلين اي قضى واثبت في اللوح وحيث جرى ذلك مجرى القسم اجيب بما يجاب
به فقيل لاغلبن انا ورسلي بالحجة والسيف وما يجري مجراه او باحدهما ونظيره قوله تعالى ولقد سبقت
كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقرئ ورسلي بفتح الياء ان الله
قوي على نصر انبيائه عزيز لا يغلب عليه في مراده لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر الخطاب للنبي
عليه السلام او لكل احد وتجد اما متعد الى اثنين فقوله تعالى يوادون من حاد الله ورسوله مفعوله الثاني او الى واحد
فهو حال من مفعوله لتخصصه بالصفة وقيل صفة اخرى له اي قوما جامعين بين الايمان بالله واليوم الآخر
وبين موادة اعداء الله ورسوله والمراد بنفي الوجدان نفي الموادة على معنى انه لا ينبغي ان يتحقق ذلك
وحقه ان يمتنع ولا يوجد بحال وان جد في طلبه كل احد ولو كانوا اي من حاد الله ورسوله والجمع باعتبار
معنى من كما ان الافراد فيما قبله باعتبار لفظها اباءهم آباء الموادين او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم
فان قضية الايمان بالله تعالى ان يهجر الجميع بالمرة والكلام في لو قد مر على التفصيل مرارا اولئك
اشارة الى الذين لا يوادونهم وان كانوا اقرب الناس اليهم وامسهم رحما وما فيه من معنى البعد
لرفعة درجتهم في الفضل وهو مبتدأ خبره كتب في قلوبهم الايمان اي اثبته فيها دلالة على خروج العمل من
مفهوم الايمان فان جزء الثابت في القلب ثابت فيه قطعا ولا شيء من اعمال الجوارح يثبت فيه وايدهم
اي قواهم بروح منه اي من عند الله تعالى وهو نور القلب او القرآن او النصر على العدو وقيل الضمير
للايمان لحيوة القلوب به فمن تجريدية وقوله تعالى ويدخلهم الخ بيان لآثار رحمته الاخروية اثر بيان الطافه
الدنيوية اي ويدخلهم في الآخرة جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابد الآبدين وقوله تعالى
رضي الله عنهم استيناف جار مجرى التعليل لما افاض عليهم من آثار رحمته العاجلة والآجلة وقوله تعالى
ورضوا عنه بيان لابتهاجهم بما اتوه عاجلا وآجلا وقوله تعالى اولئك حزب الله تشريف لهم ببيان
اختصاصهم به عز وجل وقوله تعالى الا ان حزب الله هم المفلحون بيان لاختصاصهم بالفوز بسعادة النشأتين و
الكلام في تحلية الجملة بفنون التاكيد كما مر في مثلها عن النبي عم من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيمة

سورة الحشر بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم مر ما فيه من الكلام في صدر سورة الحديد وقد كرر
الموصول ههنا لزيادة التقرير والتنبيه على استقلال كل من الفريقين بالتسبيح روي انه عليه السلام لما قدم المدينة

المدينة صالح بني النضير وهم رهط من اليهود من ذرية هرون عليه السلام نزلوا المدينة في فتن بني اسرائيل
انتظارا لبعثة النبي عليه السلام وعاهدهم ان لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر عليه السلام يوم بدر قالوا هو النبي
الذي نعته في التورية لا ترد له راية فلما كان يوم احد ما كان ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف
في اربعين راكبا الى مكة فحالفوا قريشا عند الكعبة على قتاله عليه السلام فامر عليه السلام محمد بن مسلمة الانصاري
فقتل كعبا غيلة وكان اخاه من الرضاعة ثم صبحهم بالكتائب فقال لهم اخرجوا من المدينة فاستمهلوه
عليه السلام عشرة ايام ليتجهزوا للخروج فدس عبد الله بن ابي المنافق واصحابه اليهم لا تخرجوا من
الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها فحاصرهم
النبي عليه السلام احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله في قلوبهم الرعب وايسوا من نصر المنافقين
طلبوا الصلح فابى عليهم الا الجلاء على ان يحمل كل ثلاثة ابيات على بعير ما شاؤا من متاعهم فجلوا الى
الشام الى اريحا واذرعات الا اهل بيتين منهم آل ابي الحقيق وآل حيي بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر
ولحقت طائفة بالحيرة فانزل الله تعالى سبح لله ما في السموات الى قوله تعالى والله على كل شيء قدير
وقوله تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم بيان لبعض آثار عزته تعالى
واحكام حكمته اثر وصفه تعالى بالعزة القاهرة والحكمة الباهرة على الاطلاق والضمير راجع اليه تعالى
بذلك العنوان اما بناء على كمال ظهور اتصافه تعالى بهما مع مساعدة تامة من المقام او على جعله مستعارا
لاسم الاشارة كما في قوله تعالى قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله يأتيكم
به اي بذلك وعليه قول رؤبة ابن العجاج كانه في الجلد توليع البهق كما هو المشهور كانه قيل ذلك المنعوت
بالعزة والحكمة الذي اخرج الخ ففيه اشعار بان في الاخراج حكمة باهرة وقوله تعالى لاول الحشر
اي في اول حشرهم الى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم اول من اخرج من جزيرة العرب
الى الشام او هذا اول حشرهم وآخر حشرهم اجلاء عمر رض اياهم من خيبر الى الشام وقيل آخر حشرهم يوم
القيمة لان المحشر يكون بالشام ما ظننتم ايها المسلمون ان يخرجوا من ديارهم بهذا الذل والهوان
لشدة باسهم وقوة منعتهم وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله اي ظنوا ان حصونهم تمنعهم او مانعتهم
من باس الله وتغيير النظم بتقديم الخبر واسناد الجملة الى ضميرهم للدلالة على كمال وثوقهم بحصانة حصونهم
واعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة لا يبالي معها باحد يتعرض لهم او يطمع في مغازتهم ويجوز ان يكون
مانعتهم خبرا لان وحصونهم مرتفعا على الفاعلية فاتاهم الله اي امر الله تعالى وقدره القدور لهم من حيث
لم يحتسبوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف فانه مما اضعف قوتهم وقل شوكتهم
وسلب قلوبهم الامن والطمانينة وقيل الضمير في اتاهم ولم يحتسبوا للمؤمنين اي فاتاهم نصر الله
وقرئ فآتاهم اي فآتاهم الله العذاب او النصر وقذف في قلوبهم الرعب اي اثبت فيها
الخوف الذي يرعبها اي يملؤها يخربون بيوتهم بايديهم ليسدوا بما نقضوا منها من الخشب
والحجارة افواه الازقة ولئلا يبقى بعد جلائهم مساكن للمسلمين ولينقلوا معهم بعض الانهاء
المرغوب فيها مما يقبل النقل وايدي المؤمنين حيث كانوا يخربونها ازالة لمتحصنهم ومتمنعهم و
توسيعا لمجال القتال ونكاية لهم واسناد هذا اليهم لما انهم السبب فيه فكانهم كلفوهم اياه وامروهم به

قيل الجملة حال او تفسير للرعب وقرئ يخربون بالتشديد للتكثير وقيل الاخراب
التعطيل او ترك الشيء خرابا والتخريب النقض والهدم فاعتبروا يا اولي الابصار
فاتعظوا بما جرى عليهم من الامور الهايلة على وجه لا يكاد يهتدي اليه الافكار واتقوا مباشرة
ما اداهم اليه من الكفر والمعاصي او انتقلوا من حال الفريقين الى حال انفسكم فلا تعولوا
على تعاضد الاسباب بل توكلوا على الله عز وجل وقد استدل به على حجية القياس كما
فصل في موقعه ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء اي الخروج عن اوطانهم على ذلك
الوجه الفظيع لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة ولهم في الآخرة عذاب
النار استيناف غير متعلق بجواب لولا جيء به لبيان انهم ان نجوا من عذاب الدنيا
بكتابة الجلاء لا نجاة لهم من عذاب الآخرة ذلك اي ما حاق بهم وما سيحيق بانهم
بسبب انهم شاقوا الله ورسوله وفعلوا ما فعلوا مما حكي عنهم من القبائح ومن يشاق
الله وقرئ يشاقق الله كما في الانفال والاقتصار على ذكر مشاقته تعالى لتضمنها لمشاقته
عليه السلم وليوافق قوله تعالى فان الله شديد العقاب وهو اما نفس الجزاء قد حذف منه
العايد الى من عند من يلتزمه اي شديد العقاب له او تعليل للجزاء المحذوف اي يعاقبه الله
فان الله شديد العقاب واياما كان فالشرطية تكملة لما قبلها وتقرير لمضمونه وتحقيق للسببية
بالطريق البرهاني كانه قيل ذلك الذي حاق بهم من العقاب العاجل والآجل بسبب مشاقتهم
لله ورسوله وكل من يشاق الله كاينا من كان فله بسبب ذلك عقاب شديد فاذن
لهم عقاب شديد ما قطعتم من لينة اي اي شيء قطعتم من نخلة وهي فعلة من
اللون وياؤها مقلوبة من واو لكسرة ما قبلها كديمة وتجمع على الوان وقيل من اللين وتجمع
على لين وهي النخلة الكريمة او تركتموها الضمير لما وتانيثه لتفسيره باللينة كما في قوله تعالى
ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها قائمة على اصولها كما كانت من غير ان تتعرضوا
لها بشيء ما وقرئ على اصلها اما على الاكتفاء من الواو بالضم او على انه جمع كرهن وقرئ قائما
على اصوله ذهابا الى لفظ ما فباذن الله فذاك اي قطعها وتركها بامر الله تعالى وليخزي
الفاسقين اي وليذل اليهود ويغيظهم اذن في قطعها وتركها لانهم اذا راوا المؤمنين
يتحكمون في اموالهم كيف احبوا ويتصرفون فيها حسبما شاؤا من القطع والترك
يزدادون غيظا ويتضاعفون حسرة واستدل به على جواز هدم ديار الكفرة وقطع
اشجارهم واحراق زروعهم زيادة لغيظهم وتخصيص اللينة بالقطع ان كانت من
الالوان لاستبقاء العجوة والبرنية اللتين هما كرام النخيل وان كانت هي الكرام ليكون
غيظهم اشد وقوله تعالى وما افاء الله على رسوله شروع في بيان حال ما اخذ من اموالهم
بعد بيان ما حل بانفسهم من العذاب العاجل والآجل وما فعل بديارهم ونخيلهم
من التخريب والقطع اي ما اعاده اليه من مالهم وفيه اشعار بانه كان حقيقا بان يكون له
له عليه السلم وانما وقع في ايديهم بغير حق فرجعه الله الى مستحقه لانه تعالى خلق الناس لعبادته

لعبادته وخلق ما خلق ليتوسلوا به الى عبادته فهو جدير بان يكون للمطيعين منهم اي من بني النضير
فما اوجفتم عليه اي فما اجريتم على تحصيله وتغنمه من الوجيف وهو سرعة السير من خيل ولا ركاب
هي ما يركب من الابل خاصة كما ان الراكب عندهم راكبها لا غير واما راكب الفرس فانما يسمونه فارسا
ولا واحد لها من لفظها وانما الواحدة منها راحلة والمعنى ما قطعتم لها شقة بعيدة ولا لقيتم
مشقة شديدة ولا قتالا شديدا وذلك لانه كانت قراهم على ميلين من المدينة فمشوا اليها مشيا
وما كان فيهم راكب الا النبي صلى الله عليه وسلم فافتتحها صلحا من غير ان يجري بينهم مسايفة كانه قيل
وما افاء الله على رسوله منهم فما حصلتموه بكر اليمين وعرق الجبين ولكن الله يسلط رسله على من
يشاء اي سنته تعالى جارية على ان يسلطهم على من يشاء من اعدائهم تسليطا خاصا وقد سلط
النبي عليه السلم على هؤلاء تسليطا غير معتاد من غير ان تقتحموا مضايق الخطوب وتقاسوا شدايد
الحروب فلا حق لكم في اموالهم والله على كل شيء قدير فيفعل ما يشاء كما يشاء تارة على الوجوه المعتادة
واخرى على غيرها وقوله تعالى ما افاء الله على رسوله من اهل القرى بيان لمصارف الفيء بعد
بيان افائته عليه عليه السلم من غير ان يكون للمقاتلة فيه حق واعادة عين العبارة الاولى لزيادة التقرير
ووضع اهل القرى موضع ضميرهم للاشعار بشمول ما لعقاراتهم ايضا فلله وللرسول ولذي
القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل اختلف في قسمة الفيء قيل تسدس لظاهر الآية
ويصرف سهم الله الى عمارة الكعبة وساير المساجد وقيل تخمس لان ذكر الله للتعظيم ويصرف
الآن سهم الرسول صلى الله عليه وسلم الى الامام على قول والى العساكر والثغور على قول والى مصالح
المسلمين على قول وقيل يخمس خمسة كالغنيمة فانه صلعم كان يقسم الخمس كذلك ويصرف
الاخماس الاربعة كما يشاء الآن على الخلاف المذكور كيلا يكون اي الفيء الذي حقه ان يكون للفقراء
يعيشون به دولة بضم الدال وقرئ بفتحها وهي ما يدول للانسان اي يدور من الغناء والجد
والغلبة وقيل الدولة بالفتح من الملك بالضم وبالضم من الملك بكسرها او بالضم في المال و
بالفتح في النصرة اي كيلا يكون جدا بين الاغنياء منكم يتكاثرون به او كيلا يكون دولة جاهلية بينكم
فان الرؤساء منهم كانوا يستاثرون بالغنيمة ويقولون من عز بز وقيل الدولة بالضم ما يتداول
كالغرفة اسم ما يغترف فالمعنى كيلا يكون الفيء شيئا يتداوله الاغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب
الفقراء والدولة بالفتح بمعنى التداول فالمعنى كيلا يكون ذا تداول بينهم او كيلا يكون امساكه تداولا
بينهم لا يخرجونه الى الفقراء وقرئ دولة بالرفع على ان كان تامة اي كيلا يقع دولة على ما فصل من
المعاني وما آتاكم الرسول اي ما اعطاكموه من الفيء او من الامر فخذوه فانه حقكم او فتمسكوا به فانه
واجب عليكم وما نهاكم عنه عن اخذه او عن تعاطيه فانتهوا عنه واتقوا الله في مخالفته عليه السلم
ان الله شديد العقاب فيعاقب من يخالف امره ونهيه للفقراء المهاجرين بدل من لذي القربى
وما عطف عليه فان الرسول عليه السلم لا يسمى فقيرا ومن اعطى اغنياء ذوي القربى خص الابدال
بما بعده واما تخصيص اعتبار الفقر بفيء بني النضير فتعسف ظاهر الذين اخرجوا من ديارهم
واموالهم حيث اضطرهم كفار مكة واحوجوهم الى الخروج وكانوا مائة رجل فخرجوا منها يبتغون فضلا

مِنَ اللّٰهِ وَرِضْوَانًا اى طالبين منه تعالى رزقا فى الدنيا ومرضاة فى الآخرة وصفوا اولا بما يدل على استحقاقهم للفئ من الاخراج من الديار والاموال وقيد ذلك ثانيا بما يوجب تفخيم شانهم ولوكده وَيَنْصُرُونَ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ عطف على يبتغون فى حال مقدرة اى ناوين لنصرة الله تعالى ورسوله اومقارنة فان خروجهم من بين الكفار مراغمين لهم مهاجرين الى المدينة نصرة واى نصرة اولئك الموصوفون بما فصل من الصفات الحميدة هُمُ الصَّادِقُونَ الراسخون فى الصدق حيث ظهر ذلك بما فعلوا اظهورا بينا وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ كلام مستانف مسوق لمدح الانصار بخصال حميدة من جملتها محبتهم للمهاجرين ورضاهم باختصاص الفئ بهم احسن رضى واكمله ومعنى بتوئهم الدار انهم اتخذوا المدينة والايمان مباءة وتمكنوا فيها اشد تمكن على تنزيل الحال منزلة المكان وقيل ضمن التبوء معنى اللزوم وقيل تبوؤا الدار واخلصوا الايمان كقول من قال علفتها تبنا وماء باردا وقيل المعنى تبوؤا دار الهجرة ودار الايمان فحذف المضاف من الثانى واقيم المضاف اليه من الاول وعوض منه اللام وقيل سمى المدينة بالايمان لكونها مظهره ومنشأه مِنْ قَبْلِهِمْ اى من قبل هجرة المهاجرين على المعنى الاول ومن قبل تبوء المهاجرين على الاخيرين ويجوز ان يجعل اتخاذ الايمان مباءة ولزومه واخلاصه على المعنى الاول عبارة عن اقامة كافة حقوقه التى من جملتها اظهار عامة شعائره واحكامه ولا ريب فى تقدم الانصار فى ذلك على المهاجرين لظهور عجزهم عن اظهار بعضها لا عن اخلاصه قلبا واعتقادا اذ لا يتصور تقدمهم عليهم فى ذلك يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ جر للموصول اى يحبونهم من حيث مهاجرتهم اليهم لمحبتهم الايمان وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ اى فى نفوسهم حَاجَةً اى شيأ محتاجا اليه يقال خذ منه حاجك اى ما تحتاج اليه وقيل اثر حاجة كالطلب والخازة والحسد والغيظ مِمَّا أُوتُوا اى مما اوتى المهاجرون من الفئ وغيره وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فى كل شئ من اسباب المعاش حتى ان من كان عنده اهلان يخرج اى يقدمون المهاجرين فى كل شئ من اسباب المعاش حتى ان من كان عنده اهلان كان ينزل عن احديهما وينزوجها واحدا منهم وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ اى حاجة وخلة واصلها خصاص البيت وهى فروجه والجملة فى حيز الحال وقد عرفت وجهه مرارا وكان البنى عليه اللام قسم اموال بنى النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلثة نفر محتاجين ابا دجانة سماك ابن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة وقال لهم ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم وديارهم وشاركتموهم فى هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم نقسم لكم شئ من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من ديارنا واموالنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فنزلت وهذا صريح فى ان قوله تعالى وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الخ مستانف غير معطوف على الفقراء والمهاجرين نعم يجوز عطفه على اولئك فان ذلك انما يستدعى بشركة الانصار للمهاجرين فى الصدق دون الفئ فيكون قوله تعالى يحبون وما عطف عليه استينافا مقررا لصدقهم اوحالا من ضمير تبوؤا مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ الشح بالضم والكسر وقد قرئ به ايضا اللؤم واضافته الى النفس لانه غريزة فيها مقتضيته للحرص على المنع الذى

وروى ان رجلا من الانصار بعرض ماله للبيع فقال له رجل كم بؤاس شوى وقال لعل جارى يريد ان يشترى منى فبعث اليهم انه جاره منذ الى آخر فنزل ويؤثرون على انفسهم فطاف سبعة ابيات ثم عاد الى الاول

الذى هو البخل ومن يوق بتوفيق الله تعالى شحها حتى يحالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق فَأُولَٰئِكَ اشارة الى من باعتبار معناها العام المنتظم للمذكورين انتظاما اوليا هُمُ الْمُفْلِحُونَ الفايزون بكل مطلوب الناجون عن كل مكروه والجملة اعتراض وارد لمدح الانصار والثناء عليهم وقرئ يُوقَ بالتشديد وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ هم الذين ناجروا بعدما قوى الاسلام او التابعون باحسان وهم المؤمنون بعد الفوتين الى يوم القيمة ولذلك قيل ان الآية قد استوعبت جميع المؤمنين وانما كان فالموصول مبتدأ وخبره يَقُولُونَ الخ والجملة مسوق لمدحهم بحسبهم لمن فوقهم من المؤمنين ومراعاتهم لحقوق الاخوة فى الدين والسبق بالايمان كما ان عطف عليه من الجملة السابقة لمدح الانصار اى يدعون لهم رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا اى فى الدين الذى هو اخى واشرف عندهم من النسب الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وصفوهم بذلك اعترافا بفضلهم وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لاحقا فى قرنى عمر ايها الحقد لِلَّذِينَ آمَنُوا على الاطلاق رَبَّنَا إِنَّكَ إِنْ كَانَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ اى مبالغ فى الرافة والرحمة فحقيق بالاجابة بادعائنا الم تر كالذين نافقوا حكاية لما جرى بين الكفرة والمنافقين من الاقوال الكاذبة والاحوال الفاسدة وتعجيب منها بعد حكاية محاسن احوال المؤمنين واقوالهم على اختلاف طبقاتهم والخطاب لرسول الله ع او لكل احد ممن له حظ من الخطاب وقوله تعالى يَقُولُونَ الخ استيناف لبيان المتعجب منه وصيغة المضارع للدلالة على استمرارقولهم اولاستحضار صورته واللام فى قوله تعالى لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ للتبليغ والمراد باخوتهم توافقهم فى الكفر او صداقتهم ومواليهم واللام فى قوله تعالى لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ اى من ديارهم قسرا موطئة للقسم وقوله تعالى لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ جواب القسم اى والله لئن اخرجتم لنخرجن معكم البتة ونذهبن فى صحبتكم اينما ذهبتم وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ اى فى شانكم أَحَدًا يمنعنا من الخروج معكم ابدا وان طال الزمان وقيل لا نطيع فى قتالكم او خذلانكم وليس بذاك لان تقدير القتال مترقب بعد ولان وعدهم لهم على ذلك التقدير ليس مجرد عدم طاعتهم لمن يدعوهم اليها بل نصرتهم عليه كما ينطق به قوله تعالى وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ اى لنعاونكم على عدوكم على ان وعدهم الى خذلانهم اياهم مما لا يمكن صدوره عن رسول الله عليه السلام والمسلمين حتى يدعوا عدم طاعتهم حاضرة ومورة انما لو كانت الكائنة عند استعدادهم لنصرتهم والحاربكونهم ولا ريب فى ان ما يفعله عليه السلام عند ذلك قتلهم لا دعوتهم الى ترك نصرتهم فلما الخروج معهم فليس بهذه المرتبة من اظهار الكفر فجاز ان يدعوا ان خروجهم معهم لما بينهم من الصداقة الدينية الموافقة فى الدين وَاللّٰهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ فى مواعيدهم المؤكدة بالايمان الفاجرة وقوله تعالى لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ الخ تكذيب لهم فى كل واحد من اقوالهم على التفصيل بعد تكذيبهم فى الكل على الاجمال وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وكان الامر كذلك فان ابن ابى واصحابه ارسلوا الى بنى النضير لما سمعوا بمسيره عليه السلام اليهم ان اثبتوا وتمنعوا فنحن معكم لا نخذلكم ان قوتلتم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فتربصوا به وانتظروا ما يفعل بنا ثم اخلفوهم ووفى الله تعالى بما وعدهم به من النصر وقذف الرعب فى قلوب اعدائهم وفى الآية دليل على نبوته ع ومعجزة له

ولئن نصروهم على الفرض والتقدير ليولن الادبار فرارا ثم لا ينصرون اى المنافقون بعد ذلك
اى يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم او لينهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين لانتم
اشد رهبة اى اشد مرهوبية على انها مصدر من المبنى للمفعول فى صدورهم من الله اى رهبتهم
منكم فى السر اشد مما يظهرونه لكم من رهبة الله فانهم كانوا يدعون عندهم رهبة عظيمة من الله تعالى
ذلك اى ما ذكر من كون رهبتهم منكم اشد من رهبة الله بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون اى شيئا
حتى يعلموا عظمة الله تعالى فيخشوه حق خشيته لا يقاتلونكم اى اليهود والمنافقون بمعنى لا يقدرون على
قتالكم جميعا اى مجتمعين متفقين فى موطن من المواطن الا فى قرى محصنة بالدروب والخنادق او من
وراء جدر دون ان يصحروا لكم ويبارزوكم لفرط رهبتهم وقرئ جدر بالتخفيف وقرئ جدار وبامالة
فتحة الدال وجدر وجدر وهما الجدار باسهم بينهم شديد استيناف سيق لبيان ان ما ذكر من رهبتهم
ليس لضعفهم وجبنهم فى انفسهم فان باسهم بالنسبة الى اقرانهم شديد وانما ضعفهم وجبنهم بالنسبة
اليكم بما قذف الله تعالى فى قلوبهم من الرعب تحسبهم جميعا مجتمعين متفقين وقلوبهم شتى متفرقة لا الفة
بينها ذلك بانهم اى ما ذكر من تشتت قلوبهم بسبب انهم قوم لا يعقلون اى لا يعقلون شيئا حتى يعرفوا
الحق ويتبعوه وتطمئن به قلوبهم ويتحد كلمتهم ويرموا عن قوس واحدة فيقعون فى تيه الضلال وتتشتت
قلوبهم حسب تشتت طرقه وتفرق فنونه واما ما قيل من ان المعنى لا يعقلون ان تشتت القلوب
مما يوهن قواهم فبمعزل من السداد وقوله تعالى كمثل الذين من قبلهم خبر مبتدا محذوف تقديره مثلهم
اى مثل المذكورين من اليهود والمنافقين كمثل اهل بدر او بنى قينقاع على ما قيل انهم اخرجوا قبل
بنى النضير قريبا فى زمان قريب وانتصابه بمثل اذ التقدير كوقوع مثل الخ ذاقوا وبال امرهم اى سوء
عاقبة كفرهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب اليم لا يقادر قدره والمعنى ان حال هؤلاء كحال اولئك فى
الدنيا والآخرة لكن لا على ان حال كلهم كحالهم بل حال بعضهم الذين هم اليهود كذلك واما حال المنافقين
فهو ما نطق به قوله تعالى كمثل الشيطان فانه خبر ثان للمبتدا المقدر مبين لحالهم متضمن لحال اخرى لليهود
وهى اغترارهم بمقابلة المنافقين اولا وخيبتهم اخرى وقد اجمل فى النظم الكريم حيث اسند كل من
الخبرين الى المقدر المضاف الى ضمير الفريقين من غير تعيين ما اسند اليه بخصوصه ثقة بان السامع
يرد كلا من المثلين الى ما يماثله كانه قيل مثل اليهود فى حلول العذاب بهم كمثل الذين من قبلهم ومثل
المنافقين فى اغرائهم اياهم على القتال حسبما نقل عنهم كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر اى اغراه
على الكفر اغراء الآمر المامور على المامور به فلما كفر قال انى برئ منك وقرئ انا برئ منك ان اريد
بالانسان الجنس فهذا التبرؤ من الشيطان يكون يوم القيمة كما ينبئ عنه قوله تعالى انى اخاف الله رب
العالمين وان اريد به ابو جهل فقوله تعالى اكفر عبارة عن قول ابليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم من
الناس وانى جار لكم وتبرؤه قوله يومئذ انى برئ منكم انى ارى ما لا ترون انى اخاف الله الآية
فكان عاقبتهما بالنصب على انه خبر كان واسمها انهما فى النار وقرئ بالعكس وقد مر انه اوضح خالدين
فيها وقرئ خالدان فيها على انه خبر ان وفى النار لغو وذلك جزاء الظالمين اى الخلود فى النار

اتقوا الله قيل اتقوا مخالفتى فان لم تفعلوا فاتقوا مفارقتى ومعاقبتى

النار جزاء الظالمين على الاطلاق دون هؤلاء خاصة يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله اى فى كل ما تاتون وما تذرون
ولتنظر نفس ما قدمت لغد اى اى شئ قدمت من الاعمال ليوم القيمة عبر عنه بذلك لدنوه او
لان الدنيا كيوم والآخرة غده وتنكيره لتفخيمه وتهويله كانه قيل لغد لا يعرف كنهه لغاية عظمه واما
تنكير نفس فلاستقلال الانفس النواظر فيما قدمن لذلك اليوم الهائل كانه قيل ولتنظر نفس واحدة
فى ذلك واتقوا الله تكرير للتاكيد او الاول فى اداء الواجبات كما يشعر به ما بعده من الامر بالعمل وهذا
فى ترك المحارم كما يؤذن به الوعيد بقوله تعالى ان الله خبير بما تعملون اى من المعاصى ولا تكونوا كالذين
نسوا الله اى نسوا حقوقه تعالى وما قدروه حق قدره ولم يراعوا مواجب اوامره ونواهيه حق
رعايتها فانساهم بسبب ذلك انفسهم اى جعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا
ما يخلصها او اراهم يوم القيمة من الاهوال ما انساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون الكاملون
فى الفسوق لا يستوى اصحاب النار الذين نسوا الله تعالى فاستحقوا الخلود فى النار واصحاب الجنة
الذين اتقوا فاستحقوا الخلود فى الجنة ولعل تقديم اصحاب النار فى الذكر للايذان من اول الامر بان
القصور الذى ينبئ عنه عدم الاستواء من جهتهم لا من جهة مقابليهم فان مفهوم عدم الاستواء بين
الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب زيادة الزايد لكن الاعتبار بحسب
نقصان الناقص وعليه قوله تعالى هل يستوى الاعمى والبصير ام هل تستوى الظلمات والنور الى غير
ذلك من المواقع واما قوله تعالى هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل
فيه لان صلته ملكة لصلة المفضول والاعدام مسبوقة بملكاتها ولا دلالة فى الآية الكريمة على ان المسلم
لا يقتص بالكافر وان الكفار لا يملكون اموال المسلمين بالقهر لان المراد عدم الاستواء فى الاحوال الاخروية
كما ينبئ عنه التعبير عن الفريقين بصاحبية النار وصاحبية الجنة وكذا قوله تعالى اصحاب الجنة هم الفائزون
فانه استيناف مبين لكيفية عدم الاستواء بين الفريقين اى هم الفائزون بكل مطلوب الناجون
عن كل مكروه لو انزلنا هذا القرآن العظيم الشان المنطوى على فنون القوارع على جبل من الجبال
لرايته مع كونه علما فى القسوة وعدم التاثر مما يصادمه خاشعا متصدعا من خشية الله اى متشققا
منها وقرئ مصدعا بالادغام وهذا تمثيل وتخييل لعلو شان القرآن وقوة تاثير ما فيه من المواعظ كما ينطق
به قوله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون اريد به توبيخ الانسان على قسوة قلبه
وعدم تخشعه عند تلاوته وقلة تدبره فيه هو الله الذى لا اله الا هو وحده عالم الغيب والشهادة
اى ما غاب عن الحس من الجواهر القدسية واحوالها وما حضر له من الاجرام واعراضها وتقديم الغيب
على الشهادة لتقدمه فى الوجود وتعلق العلم القديم به او المعدوم والموجود او السر والعلانية هو الرحمن
الرحيم هو الله الذى لا اله الا هو كرر لابراز الاعتناء بامر التوحيد الملك القدوس البليغ فى النزاهة
عما يوجب نقصانا ما وقرئ بالفتح وهى لغة فيه السلام ذو السلامة من كل نقص وآفة مصدر وصف به
للمبالغة المؤمن واهب الامن وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار المهيمن الرقيب الحافظ لكل
شئ مفيعل من الامن بقلب همزته هاء العزيز الغالب الجبار الذى جبر خلقه على ما اراد او جبر احوالهم
اى اصلحها المتكبر الذى تكبر عن كل ما يوجب حاجة او نقصانا او البليغ الكبرياء والعظمة سبحان الله

المتبادر صح

عما يشركون تنزيه له تعالى عما يشركونه به تعالى او عن اشراكهم به تعالى اثر تعداد صفاته التي لا يمكن
ان يشاركه تعالى في شيء منها شيء ما اصلا هو الله الخالق المقدر للاشياء على مقتضى حكمته
البارئ الموجد لها بريئا من التفاوت وقيل المميز بعضها من بعض بالاشكال المختلفة
المصور الموجد لصورتها وكيفياتها كما اراد له الاسماء الحسنى لدلالتها على المعاني
الحسنة يسبح له ما في السموات والارض ينطق بتنزهه عن جميع النقائص تنزها
ظاهرا وهو العزيز الحكيم الجامع للكمالات كافة فانها مع تكثرها وتشعبها راجعة الى
الكمال في القدرة والعلم عن النبي عم من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

سورة ممتحنة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء نزلت في حاطب بن ابي
بلتعة وذلك انه لما تجهز رسول الله عليه السلم لغزوة الفتح كتب الى اهل مكة ان رسول
الله عليه السلم يريدكم فخذوا حذركم وارسله مع سارة مولاة بني المطلب فنزل جبريل عم
بالخبر فبعث رسول الله عليه السلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد رضي
الله عنهم وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب حاطب الى اهل
مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها ثمة فجحدت فسل علي سيفه فاخرجته
من عقاصها فاستحضر رسول الله عليه السلم حاطبا وقال ما حملك على هذا فقال يا رسول الله
ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش ليس فيهم
من يحمي اهلي فاردت ان آخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه
رسول الله عليه السلم وقبل عذره تلقون اليهم بالمودة اي توصلون اليهم المودة على ان الباء
زائدة كما في قوله تع ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او تلقون اليهم اخبار النبي عليه السلم بسبب المودة
التي بينكم وبينهم والجملة اما حال من فاعل لا تتخذوا او صفة لاولياء وابراز الضمير في الصفات
الجارية على غير من هي له انما يشترط في الاسم دون الفعل او استيناف وقد كفروا بما جاءكم
من الحق حال من فاعل تلقون وقيل من فاعل لا تتخذوا وقرئ لما جاءكم اي كفروا لاجل ما
جاءكم بمعنى جعل ما هو سبب الايمان سببا لكفر يخرجون الرسول واياكم اي من مكة وهو
اما حال من فاعل كفروا او استيناف مبين لكفرهم وصيغة المضارع لاستحضار الصورة
وقوله تعالى ان تؤمنوا بالله ربكم تعليل للاخراج وفيه تغليب المخاطب على الغائب والتفات
من التكلم الى الغيبة للاشعار بما يوجب الايمان من الالوهية والربوبية ان كنتم خرجتم جهادا
في سبيلي وابتغاء مرضاتي متعلق بلا تتخذوا كانه قيل لا تتولوا اعدائي ان كنتم اوليائي
وقوله تعالى تسرون اليهم بالمودة استيناف وارد على نهج العقاب والتوبيخ اي تسرون
اليهم المودة او الاخبار بسبب المودة وانا اعلم اي والحال اني اعلم منكم بما اخفيتم وما
اعلنتم ومطلع رسولي على ما تسرون فاي طائل لكم في الاسرار وقيل اعلم مضارع والباء مزيدة

مزيدة وما موصولة او مصدرية وتقديم الاخفاء على الاعلان قد مر وجهه في قوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون
ومن يفعله منكم اي لاتخاذ فقد ضل سواء السبيل فقد اخطأ طريق الحق والصواب ان يثقفوكم
اي ان يظفروا بكم يكونوا لكم اعداء اي يظهروا ما في قلوبهم من العداوة ويرتبوا عليها احكامها ويبسطوا
اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء بما يسوءكم من القتل والاسر والشتم وودوا لو تكفرون اي تمنوا
ارتدادكم وصيغة الماضي للايذان بتحقق ودادتهم قبل ان يثقفوهم ايضا لن تنفعكم ارحامكم قراباتكم
ولا اولادكم الذين توالون المشركين لاجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم يوم القيمة بجلب نفع او دفع
ضر يفصل بينكم استيناف لبيان عدم نفع الارحام والاولاد يومئذ اي يفرق الله بينكم بما اعتراكم
من الهول الموجب لفرار كل منكم من الآخر حسبما نطق به قوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه الآية فما لكم ترفضون
حق الله تعالى لمراعاة حق من هذا شأنه وقرئ يفصل ويفصل مبنيا للمفعول ويفصل ويفصل مبنيا للفاعل
وهو الله تعالى ونفصل ونفصل بالنون والله بما تعملون بصير فيجازيكم به قد كانت لكم اسوة حسنة
اي خصلة حميدة حقيقة بان يؤتسى ويقتدى بها وقوله تعالى في ابرهيم والذين معه اي من اصحابه المؤمنين
صفة ثانية لاسوة او خبر كان ولكم للبيان او حال من المستكن في حسنة او صلة لها لا لاسوة عند من
لا يجوز العمل بعد الوصف اذ قالوا ظرف لخبر كان لقومهم انا برآء منكم جمع بري كظريف وظرفاء
وقرئ برآء كظراف وبراء كرخال وبرآء على الوصف بالمصدر مبالغة ومما تعبدون من دون الله
من الاصنام كفرنا بكم اي بدينكم او بمعبودكم او بكم به فلا نعتد بشأنكم وبآلهتكم وبدى بيننا وبينكم
العداوة والبغضاء ابدا اي هذا دأبنا معكم لا نتركه حتى تؤمنوا بالله وحده وتتركوا ما انتم عليه
من الشرك فينقلب العداوة ح ولاية والبغضاء محبة الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك
استثناء من قوله تعالى اسوة حسنة فان استغفاره عليه السلم لابيه الكافر وان كان جائزا عقلا وشرعا
لوقوعه قبل تبين انه من اصحاب الجحيم كما نطق به النص لكنه ليس مما ينبغي ان يؤتسى به اصلا اذ المراد
ما يجب الايتساء به حتما لورود الوعيد على الاعراض عنه بما سيأتي من قوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغني
الحميد فاستثناؤه عن الاسوة انما يفيد عدم وجوب استدعاء الايمان والمغفرة للكافر المرجو ايمانه
وذلك مما لا يرتاب فيه عاقل واما عدم جوازه فلا دلالة للاستثناء عليه قطعا هذا واما تعليل عدم كون
استغفاره عليه السلم لابيه الكافر مما لا ينبغي ان يؤتسى به بانه كان قبل النهي او لموعدة وعدها اياه فبمعزل
من السداد بالكلية لابتنائه على تناول النهي لاستغفاره له وانبائه عن كونه مؤتسى به لو لم ينه عنه
وكلاهما بين البطلان لما ان مورد النهي هو الاستغفار للكافر بعد تبين امره وقد عرفت ان استغفاره
عليه السلم لابيه كان قبل ذلك قطعا وان ما يؤتسى به ما يجب الايتساء به لا ما يجوز فعله في الجملة وتجويز
ان يكون استغفاره له بعد النهي كما هو المفهوم من ظاهر قوله او لموعدة وعدها اياه مما لا مساغ له وتوجيه
الاستثناء الى العدة بالاستغفار لا الى نفس الاستغفار بقوله واغفر لابي الآية لانها كانت هي الحاملة
له عليه السلم على الاستغفار وتخصيص هذه العدة بالذكر دون ما وقع في سورة مريم من قوله لله استغفر لك
ربي لورودها على طريق التوكيد القسمي واما جعل الاستغفار دائرا عليها وترتيب التبرء على تبين
الامر فقد مر تحقيقه في سورة التوبة وقوله تعالى وما املك لك من الله من شيء من تمام القول المستثنى

محله النصب على انه حال من فاعل لاستغفرن لك اى استغفر لك وليس فى طاقتى الا الاستغفار
فمورد الاستثناء نفس الاستغفار لا قيده الذى هو فى نفسه من خصال الخير لكونه اظهار العجز وتفويضا
للامر الى الله تعالى وقوله ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير الحى من تمام ما نقل
عن ابراهيم عليه السلام ومن معه من الاسوة الحسنة وتقديم الجار والمجرور لقصر التوكل
والانابة والمصير على الله تعالى قالوه بعد المجاهرة وقشر العصا التجا الى الله عز وجل فى جميع امورهم
لا سيما فى مدافعة الكفرة وكفاية شرورهم كما ينطق به قوله تعالى ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا
بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نطيقه واغفر لنا ما فرط منا من الذنوب ربنا انك انت العزيز
الغالب الذى لا يذل من التجأ اليه ولا يخيب رجا من توكل عليه الحكيم الذى لا يفعل الا ما فيه
حكمة بالغة وتكرير النداء للمبالغة فى التضرع والجوار هذا واما جعل الايتين تلقينا للمؤمنين
من جهته تعالى وامرا لهم بان يتوكلوا عليه وينيبوا اليه ويستعيذوا به من فتنة الكفرة ويستغفروا
مما فرط منهم تكملة لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفرة فلا يساعده النظم الكريم
لقد كان لكم فيهم اى فى ابراهيم ومن معه اسوة حسنة تكرير للمبالغة فى الحث على الائتساء به
عليه السلام ولذلك صدر بالقسم وقوله تعالى لمن كان يرجو الله واليوم الآخر بدل من لكم
فائدته الايذان بان من يؤمن بالله واليوم الآخر لا يترك الاقتداء بهم وان تركه من مخايل عدم الايمان
بهما كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد فانه مما يوعد بامثاله الكفرة
عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم اى من اقاربكم المشركين مودة بان يوفقوكم
فى الدين وعدهم الله تعالى بذلك لما راى منهم من التصلب فى الدين والتشدد فى معاداة آبائهم
وابنائهم وسائر اقربائهم ومقاطعتهم اياهم بالكلية تطييبا لقلوبهم ولقد انجز وعده الكريم حين اتاح لهم الفتح
فاسلم قومهم فتم بينهم من التحاب والتصافى ما تم والله قدير اى مبالغ فى القدرة فيقدر على تقليب
القلوب وتغيير الاحوال وتسهيل المودة والله غفور رحيم فيغفر لمن اسلم من المشركين ويرحمهم
وقيل غفور لما فرط منكم فى موالاتهم من قبل ولما بقى فى قلوبكم من ميل الرحم لا ينهاكم الله
عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم اى لا ينهاكم عن البر بهؤلاء فان قوله تعالى
ان تبروهم بدل من الموصول وتقسطوا اليهم اى تفضوا اليهم بالقسط اى العدل ان الله يحب المقسطين
اى العادلين روى ان قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها اسماء بنت ابى بكر
رضى الله عنهما بهدايا فلم تقبلها ولم تاذن لها بالدخول فنزلت فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها وقيل المراد بهم خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم على الا يقاتلوه ولا يعينوا عليه انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين
واخرجوكم من دياركم وهم عتاة اهل مكة وظاهروا على اخراجكم وهم سائر اهلها ان تولوهم
بدل اشتمال من الموصول اى انما ينهاكم عن ان تتولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون
لوضعهم الولاية فى موضع العداوة او هم الظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب يا ايها الذين آمنوا
بيان لحكم من يظهر الايمان بعد بيان حكم فريقى الكافرين اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات من بين الكفار

ويقال هذا تعليم لحاطب بن ابى بلتعة بان قال تعالى بهذا خطابا لحاطب هلا دعوت بهذا الدعاء حتى ينجوا اهلك ولا يسلط عليهم عدوك ابو الليث

وقتاكه الله تعالى مؤمنلره كفاره عداوه اتمكله امر ايلدى مؤمنلر مشركينك اقربالرينه عداوة وبراتلرين اظهار ايتديلر الله تعالى بو آيتى انزال ايدوب ديديكه قريب اولديكه مشركلر مشركين دن معادات ايتديكز كمسه لر بيننه مودة القا ايده اويله اول الله تعالى نك هدايتيله انلرك اكثرى اسلامه معاداتلرى موالاة ومواخاة مبدل اولدى والله قدير والله غفور رحيم الله تعالى وعدنى انجازه قادردر معصيتدن توبه ايده نه غفور اكا اطاعت ايده نه رحيمدر تبيان

فامتحنوهن

فامتحنوهن فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن للسانهن فى الايمان يروى ان رسول الله عليه السلام
كان يقول للتى يمتحنها بالله الذى لا اله الا هو ما خرجت من بغض زوج بالله ما خرجت رغبة عن ارض الى ارض
بالله ما خرجت التماس دنيا بالله ما خرجت الا حبا لله ورسوله الله اعلم بايمانهن لانه المطلع على ما فى قلوبهن
والجملة اعتراض فان علمتموهن بعد الامتحان مؤمنات علما يمكنكم تحصيله وتبلغه طاقتكم بعد اللتيا
والتى من الاستدلال بالعلائم والدلائل والاستشهاد بالامارات والمخائل وهو الظن الغالب وتسميته
علما للايذان بانه جار مجرى العلم فى وجوب العمل به فلا ترجعوهن الى الكفار اى الى ازواجهن الكفرة لقوله تعالى
لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن فانه تعليل للنهى عن رجعهن اليهم والتكرير اما لتاكيد الحرمة او لان الاول
لبيان زوال النكاح الاول والثانى لبيان امتناع النكاح الجديد وآتوهم ما انفقوا اى واعطوا ازواجهن
مثل ما دفعوا اليهن من المهور وذلك ان صلح الحديبية كان على ان من جاءنا منكم رددناه فجاءت سبيعة
بنت الحارث الاسلمية مسلمة والنبى عليه السلام بالحديبية فاقبل زوجها مسافر المخزومى وقيل صيفى بن
الراهب فقال يا محمد اردد على امراتى فانك قد شرطت ان ترد علينا من اتاك منا فنزلت لبيان ان
الشرط انما كان فى الرجال دون النساء فاستحلفها رسول الله عليه السلام فحلفت فاعطى زوجها ما انفق
وتزوجها عمر رض ولا جناح عليكم ان تنكحوهن فان اسلامهن حال بينهن وبين ازواجهن الكفار اذا آتيتموهن
اجورهن شرط ايتاء المهر فى نكاحهن ايذانا بان ما اعطى ازواجهن لا يقوم مقام المهر ولا تمسكوا بعصم الكوافر
جمع عصمة وهى ما يعتصم به من عقد وعصم سبب اى لا يكن بينكم وبين المشركات عصمة ولا علقة زوجية قال
ابن عباس من كانت له امراة كافرة بمكة فلا يعتدن بها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها
منه وعن النخعى هى المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وعن مجاهد امرهم بطلاق الباقيات مع الكفار ومفارقتهن
وقرئ ولا تمسكوا بالتشديد ولا تمسكوا بحذف احدى التائين من تتمسكوا واسئلوا ما انفقتم من مهور
نسائكم اللاحقات بالكفار وليسئلوا ما انفقوا من مهور ازواجهم المهاجرات ذلكم الذى ذكر حكم الله
وقوله تعالى يحكم بينكم كلام مستانف او حال من حكم الله على حذف الضمير اى يحكمه الله او جعل الحكم حاكما على
المبالغة والله عليم حكيم يشرع ما يقتضيه الحكمة البالغة روى انه لما نزلت الآية ادى المؤمنون ما امروا
به من مهور المهاجرات الى ازواجهن المشركين وابى المشركون ان يؤدوا شيئا من مهور الكوافر الى ازواجهن
المسلمين فنزل قوله تعالى وان فاتكم اى سبقكم وانفلت منكم شىء من ازواجكم الى الكفار اى احد من ازواجكم
وقد قرئ كذلك وايقاع شىء موقعه للتحقير والاشباع فى التعميم او شىء من مهور ازواجكم فعاقبتم اى
فجاءت عقبتكم اى نوبتكم من اداء المهر شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من اداء هؤلاء مهور نساء
اولئك تارة واداء اولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب فى الركوب وغيره
فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا من مهر المهاجرات التى تزوجتموها ولا تؤتوه
زوجها الكافر وقيل معناه ان فاتكم فاصبتم من الكفار عقبى هى الغنيمة فآتوا بدل الفائت من الغنيمة
وقرئ فاعقبتم وفعقبتم بالتشديد وفعقبتم بالتخفيف وفتح القاف وبكسرها قيل جميع من لحق بالمشركين
من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة ام الحكم بنت ابى سفيان وفاطمة بنت امية وبروع بنت
وعبدة بنت عبد العزى وهند بنت ابى جهل وكلثوم بنت جرول واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون

فان الايمان به تعالى يقتضي التقوى منه تعالى يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك اي مبايعات لك اي
قاصدات للمبايعة نزلت يوم الفتح فانه عليه السلم لما فرغ عن بيعة الرجال شرع في بيعة النساء على ان يشركن
بالله شيئا اي شيئا من الاشياء او شيئا من الاشراك ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن اريد به وأد البنات
وقرئ ولا يقتلن بالتشديد ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن كانت المرأة تلتقط المولود فتقول
لزوجها هو ولدي منك كنى عنه بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها لان بطنها الذي تحمله فيه بين يديها ومخرجه
بين رجليها ولا يعصينك في معروف اي فيما تأمرهن به من معروف وتنهاهن عنه عن منكر والتقييد بالمعروف مع
ان الرسول عليه السلم لا يأمر الا به للتنبيه على انه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق وتخصيص الامور المعدودة بالذكر
في حقهن لكثرة وقوعها فيما بينهن مع اختصاص بعضها بهن فبايعهن اي على ما ذكر وما لم يذكر لوضوح امره وظهور
اصالته في المبايعة من الصلوة والزكوة وساير اركان الدين وشعاير الاسلام وتقييد مبايعتهن بما ذكر من مجيئهن
لحثهن على المسارعة اليها مع كمال الرغبة فيها من غير دعوة لهن اليها واستغفر لهن الله زيادة على ما في ضمن المبايعة
فانها عبارة عن ضمان الثواب من قبله عليه السلم بمقابلة الوفاء بالامور المذكورة من قبلهن ان الله غفور رحيم اي مبالغ
في المغفرة والرحمة فيغفر لهن ويرحمهن اذا وفين بما بايعن عليه واختلف في كيفية مبايعته عليه السلم لهن يومئذ
فروي انه عليه السلم لما فرغ من بيعة الرجال جلس على الصفا ومعه عمر اسفل منه فجعل عليه السلم يشترط عليهن البيعة وعمر
يصافحهن وروي انه كلف امرأة وقفت على الصفا فبايعتهن وقيل دعى بقدح من ماء فغمس منه يده ثم
غمسن ايديهن وروي انه عليه السلم بايعهن وبين يديه وايديهن ثوب قطري والاظهر الاشهر ما قالت عائشة
رضي الله عنها ما اخذ رسول الله على النساء قط الا بما امر الله تعالى وما مست كف رسول الله كف امرأة قط
وكان يقول اذا اخذ عليهن قد بايعتكن كلاما وكان المؤمنات اذا هاجرن الى رسول الله صلعم يمتحنهن بقول الله
عز وجل يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات الى اخر الاية فاذا اقررن بذلك من قولهن قال لهن انطلقن فقد بايعتكن
يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم هم عامة الكفرة وقيل اليهود لما روي انها نزلت في بعض
فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم قد يئسوا من الآخرة لكفرهم بها او لعلمهم بانه
لا خلاق لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت في التوراة المؤيد بالآيات كما يئس الكفار من اصحاب القبور
اي كما يئس منها الذين ماتوا منهم لانهم وقفوا على حقيقة الحال وشاهدوا حرمانهم من نعيمها المقيم وابتلاءهم
بعذابها الاليم والمراد وصفهم بكمال اليأس منها وقيل المعنى كما يئسوا من موتاهم ان يبعثوا ويرجعوا الى الدنيا
احياء والاظهار في موقع الاضمار للاشعار بعلة يأسهم عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيمة

سورة الصف

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم الكلام فيه كالذي مر في نظيره يا ايها الذين آمنوا لم تقولون
ما لا تفعلون روي ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله تعالى لبذلنا فيه اموالنا
وانفسنا فلما نزله الجهاد كرهوه فنزلت وما قيل من ان النازل قوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون
في سبيله صفا بين الاختلال وروي انهم قالوا يا رسول الله لو نعلم احب الاعمال الى الله تعالى لسارعنا اليه

اليه فنزلت هل ادلكم على تجارة الى قوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم فولوا يوم احد وفيه
التزام ان ترتيب الآيات الكريمة ليس على ترتيب النزول وقيل لما اخبر الله تعالى بثواب شهداء بدر
قالت الصحابة اللهم اشهد لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد فنزلت وقيل انها
نزلت فيمن يتمدح كاذبا حيث كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل وطعنت وهكذا وقيل كان رجل قد آذى
المسلمين يوم بدر ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله آخر فنزلت في المنتحل وقيل نزلت في المنافقين
ونداؤهم بالايمان تهكم بهم وبايمانهم وليس بذاك كما ستعرفه ولم مركبة من اللام الجارة وما الاستفهامية
قد حذفت الفها تخفيفا لكثرة استعمالهما معا كما في عم وفيم ونظائرهما معناها لاي شيء تقولون تفعل ما لا
تفعلون من الخير والمعروف على ان مدار التعيير والتوبيخ في الحقيقة عدم فعلهم وانما وجها الى قولهم تنبيها
على تضاعف معصيتهم ببيان ان المنكر ليس ترك الموعود فقط بل الوعد به ايضا وقد كانوا يحسبونه معروفا
ولو قيل لم لا تفعلون ما تقولون لفهم منه ان المنكر هو ترك الموعود كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون
ما لا تفعلون بيان لغاية قبح ما فعلوه وفرط سماجته وكبر من فرط باب نعم وبئس فيه ضمير مبهم مفسر بالنكرة
بعده وان تقولوا هو المخصوص بالذم وقيل قصد فيه التعجب من غير لفظه واسند الى ان تقولوا ونصب مقتا
على تفسيره دلالة على ان قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه كبر عند من يحقر دونه كل عظيم وقوله تعالى ان الله يحب
الذين يقاتلون في سبيله صفا بيان لما هو مرضي عنده تعالى بعد بيان ما هو ممقوت عنده وهذا صريح في ان ما قالوه عبارة
عن الوعد بالقتال لا عما تقوله المتمدح لو انتحله المنتحل او ادعاه المنافق وان مناط التعيير والتوبيخ هو اخلافهم
لا وعدهم كما اشير اليه وقرئ يقاتلون بفتح التاء ويقتلون وصفا مصدر وقع موقع الفاعل او المفعول
ونصبه على الحالية من فاعل يقاتلون اي صافين انفسهم او مصفوفين وقوله تعالى كانهم بنيان مرصوص
حال من المستكن في الحال الاولى اي مشبهين في تراصهم من غير فرجة وخلل ببنيان رص بعضه الى بعض ورصف
حتى صار شيئا واحدا وقوله تعالى واذ قال موسى لقومه كلام مستانف مقرر لما قبله من شناعة ترك القتال
واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلعم بطريق التلوين اي واذكر لهؤلاء المعرضين عن
القتال وقت قول موسى لبني اسرائيل حين ندبهم الى قتال الجبابرة بقوله يا قوم ادخلوا الارض المقدسة
التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين فلم يمتثلوا بامره وعصوه اشد عصيان حيث
قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وان لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون الى قوله تعالى
فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون واصروا على ذلك وآذوه كل الاذية يا قوم لم تؤذونني
اي بالمخالفة والعصيان فيما امرتكم به وقوله تعالى وقد تعلمون اني رسول الله اليكم جملة حالية مؤكدة لانكار
الايذاء ونفي سببه وقد لتحقيق العلم وصيغة المضارع للدلالة على استمراره اي والحال انكم تعلمون علما
قطعيا مستمرا بمشاهدة ما ظهر بيدي من المعجزات القاهرة التي معظمها اهلاك عدوكم وانجاؤكم من
ملكته اني رسول الله اليكم لارشدكم الى خير الدنيا والآخرة ومن قضية علمكم بذلك ان تبالغوا في تعظيمي
وتسارعوا الى طاعتي فلما زاغوا اي اصروا على الزيغ عن الحق الذي جاء به موسى عليه السلم واستمروا
عليه ازاغ الله قلوبهم اي صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب لصرف اختيارهم نحو الغي والضلال
وقوله تعالى والله لا يهدي القوم الفاسقين اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله من الازاغة ومؤذن

بعلته اي لا يهدي القوم الخارجين عن الطاعة ومنهاج الحق المصرين على الغواية هداية موصلة الى
البغية لا هداية موصلة الى ما يوصل اليها فانها شاملة للكل والمراد بهم اما المذكورون خاصة والاظهار في
موقع الاضمار لذمهم بالفسق وتعليل عدم الهداية به او جنس الفاسقين وهم داخلون في حكمهم دخولا
اوليا واياما كان فوصفهم بالفسق ناظرا الى ما في قوله تعالى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين وقوله تعالى
فلا تأس على القوم الفاسقين هذا هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم ويرتضيه الذوق السليم واما
ما قيل بصدد بيان اسباب الاذية من انهم كانوا يؤذونه عليه السلم بانواع الاذى من انتقاصه
وعيبه في نفسه وجحود اياته وعصيانه فيما تعود اليهم منافعه وعبادتهم البقر وطلبهم رؤية الله جهرة والتكذيب
الذي هو تضييع حق الله وحقه فمما لا تعلق له بالمقام وقوله تعالى واذ قال عيسى بن مريم اما معطوف على اذ
الاولى معمول لعاملها واما معمول لمضمر معطوف على عاملها يا بني اسرائيل ناداهم بذلك استمالة لقلوبهم
الى تصديقه في قوله اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التورية فان تصديقه عليه السلم اياها من
اقوى الدواعي الى تصديقهم اياه وقوله تعالى ومبشرا برسول يأتي من بعدي معطوف على مصدقا
داع الى تصديقه عليه السلم مثله من حيث ان البشارة به واقعة في التورية والعامل فيهما ما في الرسول من معنى
الارسال لا الجار فانه صلة للرسول والصلات بمعزل من تضمن معنى الفعل وعليه يدور العمل اي ارسلت
اليكم حال كوني مصدقا لما تقدمني من التورية ومبشرا بمن يأتي من بعدي من رسول اسمه احمد اي محمد عليه السلم
يريد ان ديني التصديق بكتب الله وانبيائه جميعا ممن تقدم وتأخر وقرئ من بعدي بفتح الياء فلما جاءهم
بالبينات اي بالمعجزات الظاهرة قالوا هذا سحر مبين مشيرين الى ما جاء به او اليه عليه السلم وتسميته
سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة من قرأ هذا ساحر ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى
الاسلام اي اي الناس اشد ظلما ممن يدعى الى الاسلام الذي يوصله الى سعادة الدارين فيضع موضع
الاجابة الافتراء على الله عز وجل بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده الى الحق هذا سحر اي هو اظلم من كل ظالم
وان لم يتعرض ظاهر الكلام لنفي المساوي وقد مر بيانه غير مرة وقرئ يدعى يقال دعاه وادعاه مثل لمسه
والتمسه والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يرشدهم الى ما فيه فلاحهم لعدم توجههم اليه يريدون ليطفئوا
نور الله اي يريدون ان يطفئوا دينه او كتابه او حجته النيرة واللام مزيدة لما فيها من معنى الارادة تأكيدا
لها كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة تأكيدا لها في لا ابا لك او يريدون الافتراء ليطفئوا نور الله بافواههم
بطعنهم فيه مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه والله متم نوره اي مبلغه الى غايته
بنشره في الآفاق واعلائه وقرئ متم نوره بلا اضافة ولو كره الكافرون اي ارغاما لهم والجملة في حيز
الحال على ما بين مرارا هو الذي ارسل رسوله بالهدى بالقرآن او بالمعجزة ودين الحق والملة الحنيفية
ليظهره على الدين كله ليعليه على جميع الاديان المخالفة له ولقد انجز الله عز وجل وعده حيث جعله بحيث
لم يبق دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام ولو كره المشركون ذلك وقرئ هو الذي
ارسل نبيه يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم وقرئ تنجيكم بالتشديد وقوله تعالى
تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم استيناف وقع جوابا عما نشأ
مما قبله كأنهم قالوا كيف نعمل او ماذا نصنع فقيل تؤمنون بالله الخ وهو خبر في موضع الامر جيء به للايذان

للايذان بوجوب الامتثال فكأنه قد وقع فأخبر بوقوعه ويؤيده قراءة من قرأ آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا وقرئ
تؤمنوا وتجاهدوا على اضمار لام الامر ذلكم اشارة الى ما ذكر من الايمان والجهاد بقسميه وما فيه من معنى البعد
لما مر سره غير مرة خير لكم على الاطلاق او من اموالكم وانفسكم ان كنتم تعلمون اي ان كنتم من اهل العلم فان
الجهلة لا يعتد بافعالهم او ان كنتم تعلمون انه خير لكم كان خيرا لكم حينئذ لانكم اذا علمتم ذلك واعتقدتموه احببتم
الايمان والجهاد فوق ما تحبون انفسكم واموالكم فتخلصون وتفلحون يغفر لكم ذنوبكم جواب للامر المدلول عليه
بلفظ الخبر او لشرط او استفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا او هل تقبلون ان ادلكم يغفر لكم
وجعله جوابا لهل ادلكم بعيد لان مجرد الدلالة لا يوجب المغفرة ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن
طيبة في جنات عدن اي ما ذكر من المغفرة وادخال الجنات الموصوفة بما ذكر من الاوصاف الجليلة الفوز
العظيم الذي لا فوز وراءه واخرى ولكم الى هذه النعم العظيمة نعمة اخرى عاجلة تحبونها وترغبون فيها وفيه
تعريض بانهم يؤثرون العاجل على الآجل وقيل اخرى منصوبة باضمار يعطكم او تحبون او مبتدأ خبره نصر من الله
وهو على الاول بدل او بيان وعلى تقدير النصب خبر مبتدأ محذوف وفتح قريب اي جاعل عطف على نصر على
الوجوه المذكورة وقرئ نصرا وفتحا قريبا على الاختصاص او على المصدر اي تنصرون نصرا ويفتح لكم فتحا
او على البدلية من اخرى على تقدير نصبها اي يعطكم نعمة اخرى نصرا وفتحا وبشر المؤمنين عطف على محذوف
مثل قل يا ايها الذين آمنوا وبشر او على تؤمنون فانه في معنى آمنوا قيل آمنوا وجاهدوا ايها المؤمنون وبشرهم
يا ايها الرسول بما وعدتهم على ذلك عاجلا وآجلا يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله وقرئ انصارا
لله بلا اضافة لان المعنى كونوا بعض انصار الله وقرئ كونوا انتم انصار الله كما قال عيسى بن مريم
للحواريين من انصاري الى الله اي من جندي متوجها الى نصرة الله كما يقتضيه قوله تعالى قال الحواريون نحن انصار الله
والاضافة الاولى اضافة احد المتشاركين الى الآخر لما بينهما من الاختصاص والثانية اضافة الفاعل
الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى اي كونوا انصار الله كما كان الحواريون انصاره حين قال لهم عيسى من
انصاري الى الله او قل لهم كونوا كما قال عيسى للحواريين والحواريون اصفياؤه وهم اول من آمن به
وكانوا اثني عشر رجلا فآمنت طائفة من بني اسرائيل اي بعيسى واطاعوه فيما امرهم به من نصرة
الدين وكفرت طائفة اخرى به وقاتلوهم فايدنا الذين آمنوا على عدوهم اي قويناهم بالحجة او بالسيف
وذلك بعد رفع عيسى عم فاصبحوا ظاهرين غالبين عن النبي عليه السلم من قرأ سورة الصف كان
عيسى مصليا مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيمة رفيقه

يسبح لله ما في السموات وما في الارض تسبيحا مستمرا الملك القدوس العزيز الحكيم وقد قرئ
الصفات الاربع بالرفع على المدح هو الذي بعث في الاميين اي في العرب لان اكثرهم لا يكتبون ولا
يقرؤن قيل بدئت الكتابة بالطائف اخذوها من اهل الحيرة وهم من اهل الانبار رسولا منهم
اي كائنا من جملتهم اميا مثلهم يتلو عليهم آياته مع كونه اميا مثلهم لم يعهد منه قراءة ولا تعلم ويزكيهم
صفة اخرى لرسولا معطوفة على يتلو اي يحملهم على ما يصيرون به ازكياء من خبائث الاعمال والعقائد

وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ صفة اخرى لرسولا مترتبة فى الوجود على التلاوة والمراد بتطهيرهما التزكية التى
هى عبارة عن تكميل النفس بحسب قوتها العلمية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم
المترتب على التلاوة للايذان بان كلا من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعى
ترتيب الوجود لتبادر الى الفهم كون كل النعم نعمة واحدة كما مر فى سورة البقرة وهو السر فى التعبير عن
القرآن تارة بالقرآن واخرى بالكتاب والحكمة رمزا الى انه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح فيه
شمول الحكمة لما فى تضاعيف الاحاديث النبوية من الاحكام والشرايع وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ
مُبِينٍ من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة افتقارهم الى من يرشدهم وازاحة لما عسى
ان يتوهم من تعلقه عليه السلم من الغير وان هى المخففة واللام هى الفارقة وَآخَرِينَ مِنْهُمْ عطف على
الاميين او على المنصوب فى يعلمهم اى يعلمهم وَيُعَلِّمُ آخرين منهم اى من الاميين وهم الذين جاءوا بعد
الصحابة الى يوم الدين فان دعوته عليه السلم وتعليمه يعم الجميع لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ صفة لآخرين اى لم يلحقوا بهم
بعد وسيلحقون وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ المبالغ فى العزة والحكمة ولذلك مكن رجلا اميا من ذلك الامر
العظيم واصطفاه من بين كافة البشر ذَلِكَ الذى امتاز به من بين سائر الافراد فَضْلُ اللَّهِ واحسانه
يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ تفضلا وعطية وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ الذى يستحقر دونه نعم الدنيا والنعيم
الآخرة مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ اى علموها وكلفوا العمل بها ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا اى لم يعملوا بما فى تضاعيفها
من الآيات التى من جملتها الآيات الناطقة بنبوة رسول الله عليه السلم كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا
اى كتبا من العلم يتعب بحملها ولا ينتفع بها ويحمل اما حال والعامل فيها معنى المثل او صفة للحمار اذ ليس المراد به
معينا فهو فى حكم النكرة كما فى قول من قال ولقد امر على اللئيم يسبنى بئس مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ
اللَّهِ اى بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا آيات الله على ان التمييز محذوف والفاعل المفسر به
مستتر ومثل القوم هو المخصوص بالذم والموصول صفة للقوم او بئس مثل القوم مثل الذين كذبوا الخ على
ان مثل القوم فاعل بئس والمخصوص بالذم الموصول بحذف المضاف او بئس مثل القوم المكذبين مثل
هو لاء على ان الموصول صفة القوم والمخصوص بالذم محذوف وهم اليهود الذين كذبوا بما فى التوراة
من الآيات الشاهدة بصحة نبوة محمد صلعم وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ الواضعين التكذيب فى موضع
التصديق او الظالمين لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا اى تهودوا
إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ كانوا اخص ابناء الله واحباؤه ويدعون ان
الدار الآخرة لهم عند الله خالصة ويقولون لن يدخل الجنة الا من كان هودا فامر رسول الله صلعم بان يقول
لهم اظهارا لكذبهم ان زعمتم ذلك فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ اى فتمنوا من الله ان يميتكم وينقلكم من دار البلية
الى دار الكرامة إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اى ان كنتم فى زعمكم واثقين بانه
حق فتمنوا الموت فان من ايقن بانه من اهل الجنة احب ان يتخلص اليها من هذه الدار التى هى قرارة
الاكدار وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا اخبار بما سيكون منهم والباء فى قوله تعالى بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ متعلقة بما يدل عليه
النفى اى بما يكون التمنى بسبب ما علموا من الكفر والمعاصى الموجبة لدخول النار ولما كانت اليد من بين
جوارح الانسان مناط عامة افاعيله عبر بها تارة عن النفس واخرى عن القدرة وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ

اى بهم وايثار الاظهار على الاضمار لذمهم والتسجيل عليهم بانهم ظالمون فى كل ما يأتون وما يذرون من
الامور التى من جملتها ادعاء ما هم عنه بمعزل والجملة تذييل لما قبلها مقررة لمضمونه اى عليم بهم وبما صدر عنهم من
فنون الظلم والمعاصى المفضية الى اقبح العذاب وبما سيكون منهم من الاحتراز عما يودى الى ذلك فوقع
الامر كما ذكر فلم يتمن منهم موته احد كما يعرب عنه قوله تعالى قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فان ذلك
انما يقال لهم بعد ظهور فرارهم من التمنى وقد قال عليه السلم لو تمنوا الموت من ساعتهم وهذه احدى المعجزات اى
ان الموت الذى تفرون منه ولا تجسرون على ان تتمنوه مخافة ان تؤخذوا بوبال كفركم فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ البتة من غير
صارف يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وقرئ بدونها وقرئ
تفرون منه ملاقيكم ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الذى لا تخفى عليه خافية فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
من الكفر والمعاصى بان يجازيكم بها يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ للصلوة اى فعل النداء لها اى اذن لها مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ
بيان للاذان ونفسير لها وقيل من بمعنى فى كما فى قوله تعالى اروني ماذا خلقوا من الارض اى فى الارض وانما سميت جمعة
لاجتماع الناس فيه للصلوة وقيل اول من سماها جمعة كعب بن لوى وكانت العرب تسميه العروبة
وقيل ان الانصار قالوا قبل الهجرة لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة ايام وللنصارى كذلك فهلموا فلنجعل
لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله فيه ونصلى فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة
فاجتمعوا الى سعد بن زرارة فصلى بهم ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فانزل الله تعالى
آية الجمعة فهى اول جمعة كانت فى الاسلام واما اول جمعة جمعها رسول الله صلعم فهى انه لما قدم المدينة مهاجرا
نزل قباء على بنى عمرو بن عوف واقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس واسس مسجدهم
ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فادركته صلوة الجمعة فى بنى سالم بن عوف فى بطن وادلهم فخطب وصلى الجمعة
فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ اى امشوا وقصدوا الى الخطبة والصلوة وَذَرُوا الْبَيْعَ واتركوا المعاملة ذَلِكُمْ
اى السعى الى ذكر الله وترك البيع خَيْرٌ لَكُمْ من مباشرتها فان نفع الآخرة اجل وابقى إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ اى
الخير والشر الحقيقيين او ان كنتم اهل العلم فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ اى ادّيت وفرغ منها فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ
لاقامة مصالحكم وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ اى الربح فالامر للاطلاق بعد الحظر وعن ابن عباس لم يومروا بطلب
شئ من الدنيا انما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة اخ فى الله وعن الحسن وسعيد بن المسيب
طلب العلم وقيل صلوة التطوع وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ذكرا كثيرا او زمانا كثيرا ولا تخصوا ذكره تعالى بالصلوة
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ كى تفوزوا بخيرى الدارين وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفضوا إِلَيْهَا روى ان اهل المدينة اصابهم
جوع وغلا شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبى عليه السلم يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه
خشية ان يسبقوا اليه فما بقى معه عليه السلم الا اثنا عشر وقيل احد عشر وقيل اثنى عشر وقيل اربعون فقال عليه السلم
والذى نفسى محمد بيده لو خرجوا اجمعا لاضرم الله عليهم الوادى نارا وكانوا اذا اقبلت العير استقبلوها
بالطبل والتصفيق وهو المراد باللهو وتخصيص التجارة برجع الضمير لانها المقصودة اولان الانفضاض
للتجارة مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان مذموما فما ظنك بالانفضاض الى اللهو وهو مذموم فى نفسه
وقيل تقديره اذا راوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا اليه فحذف الثانى لدلالة الاول عليه وقرئ
اليها وتركوك قائما اى على المنبر قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ من الثواب خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ فان ذلك نفع محقق مخلد

بخلاف ما فيها من التمتع الموتهم والله خير الرازقين فاليه استعوا ومنه اطلبوا الرزق عن النبي عليه السلم
من قرأ سورة الجمعة اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم يأتها في امصار المسلمين والله اعلم

وقال آية المنافق ثلث
وان صام وصلى و
زعم انه مسلم اذا
حدث كذب واذا وعد
اخلف واذا اؤتمن خان
از مصابيح

اذا جاءك المنافقون اي حضروا مجلسك قالوا نشهد انك لرسول الله مؤكدين كلامهم بان واللام للايذان
بان شهادتهم هذه صادرة عن صميم قلوبهم وخلوص اعتقادهم وو فور رغبتهم ونشاطهم وقوله تعالى والله يعلم
انك لرسوله اعتراض مقرر لمنطوق كلامهم وبسط بينه وبين قوله تعالى والله يشهد انك المنافقين لكاذبون
تحقيقا وتعيينا لما نيط به التكذيب من انهم قالوه عن اعتقاد كما اشير اليه واماطة من اول الامر لما عسى يتوهم من
توجه التكذيب الى منطوق كلامهم اي والله يشهد انهم لكاذبون فيما ضمنوا مقالتهم من انها صادرة عن اعتقاد
وطمانينة قلب والاظهار في موقع الاضمار لذمهم والاشعار بعلة الحكم واتخذوا ايمانهم الفاجرة التي من جملتها
ما حكي عنهم جنة اي وقاية مما يتوجه اليهم من المواخذة بالقتل والسبي او غير ذلك واتخاذها جنة عبارة عن اعدادهم
وتهيئتهم لها وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا عن المواخذة لا عن استعمالها بالفعل فان ذلك متاخر عن
المواخذة المسوقة بوقوع الجناية واتخاذ الجنة لابد ان يكون قبل المواخذة وعن سببها ايضا كما يفصح عنه
الفاء في قوله تعالى فصدوا عن سبيل الله اي صدوا من اراد الدخول في الاسلام بانه عليه السلم ليس برسول وعن
ايراد الانفاق في سبيل الله بالنهي عنه كما سيحكى عنهم ولا ريب في ان هذا الصد منهم متقدم على حلفهم بالفعل
وقرئ ايمانهم اي ما اظهروه على السنتهم فاتخاذه جنة عبارة عن استعماله بالفعل فانه وقاية دون دمائهم واموالهم
معنى قوله تعالى فصدوا حينئذ فاستقم واعلى ما كانوا عليه من الصدود والاعراض عن سبيله تعالى انهم ساء ما كانوا
يعملون من النفاق والصد وفي ساء معنى التعجب وتعظيم امرهم عند السامعين ذلك اشارة الى ما تقدم
من القول الشنيع عليهم انهم اسوء الناس اعمالا او الى ما وصف من حالهم في النفاق والكذب والاستتار
بالايمان الصوري وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لما قرر مرارا من الاشعار ببعد منزلته في الشر
بانهم اي بسبب انهم آمنوا اي نطقوا بكلمة الشهادة كسائر من يدخل في الاسلام ثم كفروا اي ظهر كفرهم باشواهد
منهم من شواهد الكفر ودلايله او نطقوا بالايمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم فطبع على قلوبهم
حتى تمرنوا على الكفر واطمأنوا به وقرئ على البناء للفاعل وقرئ وطبع الله فهم لا يفقهون حقيقة الايمان ولا يعرفون
حقيته اصلا واذا رايتهم تعجبك اجسامهم لفخامتها وبروكة منظرهم لصباحة وجوههم وان يقولوا تسمع لقولهم لفصاحتهم
وذلاقة السنتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن ابي جسيما فصيحا حضر مجلس رسول الله صلعم في نفر من اشباههم
وهم رؤساء المدينة وكان عليه السلم ومن معه يعجبون بهيأتهم وكلامهم وقيل الخطاب لكل احد
ممن يصلح للخطاب ويوجد قراءة يسمع على البناء للمفعول وقوله تعالى كانهم خشب مسندة في حيز الرفع
على انه خبر مبتدا محذوف او كلام مستانف لا محل له شبهوا في جلوسهم في مجالس رسول الله عليه السلم
مستندين فيها بخشب منصوبة مسندة الى الحايط في كونهم اشباحا خالية من العلم والخير وقرئ خشب
على انه جمع خشبة كبدن جمع بدنة وقيل هو جمع خشب وهي الخشبة التي وعوجوفها اي فسد شبهوا
بها في تفاهتهم وفساد بواطنهم وقرئ حشب كمدرة ومدر يحسبون كل صيحة عليهم اي واقعة عليهم

عليهم ضارة لهم لجبنهم واستقرار الرعب في قلوبهم وقيل كانوا على وجل من ان ينزل الله فيهم ما يهتك
اسرارهم ويبيح دماءهم واموالهم هم العدو اي هم الكاملون في العداوة والراسخون فيها فان اعدى
الاعادي العدو المكاشر الذي يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوي والجملة مستانفة وجعلها
مفعولا ثانيا للحسبان مما لا يساعده النظم الكريم اصلا فان الفاء في قوله تعالى فاحذرهم لترتيب الامر
بالحذر على كونهم اعدى الاعادي قاتلهم الله دعاء عليهم وطلب من ذاته تعالى ان يلعنهم ويخزيهم او تعليم
للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك وقوله تعالى انى يؤفكون تعجيب من حالهم اي كيف يصرفون عن الحق الى
ما هم عليه من الكفر والضلال واذا قيل لهم عند ظهور خباياهم بطريق النصيحة تعالوا يستغفر لكم رسول الله
لووا رؤسهم اي عطفوها استكبارا ورايتهم يصدون يعرضون عن القائل او عن الاستغفار وهم مستكبرون
مستكبرون عن ذلك سواء عليهم استغفرت لهم كما اذا جاؤك معتذرين من جناياتهم وقرئ استغفرت
بحذف حرف الاستفهام ثقة بدلالة ام عليه وقرئ آستغفرت بالمد على الاستفهام للتقرير بتعليق
همزة الوصل الفعال ام لم تستغفر لهم كما اذا اصروا على قبايحهم واستكبروا عن الاعتذار والاستغفار
لن يغفر الله لهم ابدا لاصرارهم على الفسق ورسوخهم في الكفر ان الله لا يهدي القوم الفاسقين
الكاملين في الفسق الخارجين عن دايرة الاستصلاح المنهمكين في الكفر والنفاق والمراد اما هم باعيانهم
والاظهار في موقع الاضمار ليبان غلوهم في الفسق او الجنس وهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا
وقوله تعالى هم الذين يقولون اي للانصار لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا يعنون فقراء المهاجرين
استيناف جار مجرى التعليل لفسقهم او لعدم مغفرته تعالى لهم وقرئ حتى ينفضوا من انفض القوم اذا
فنيت ازوادهم وحقيقته حان لهم ان ينفضوا ازوادهم وقوله تعالى ولله خزاين السموات والارض
رد وابطال لما زعموا من ان عدم انفاقهم يؤدي الى انفضاض الفقراء من حوله عليه السلم بيان ان خزاين
الارزاق بيده تعالى خاصة يعطي من يشاء ويمنع من يشاء ولكن المنافقين لا يفقهون ذلك لجهلهم بالله
تعالى وبشونه ولذلك يقولون من مقالات الكفر ما يقولون يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز
منها الاذل روى ان جهجاه بن سعيد اجير عمر رض نازع سنانا الجهني حليف ابن ابي واقتتلا فصرخ
جهجاه يا للمهاجرين وسنان يا للانصار فاعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فاشتكى
الى ابن ابي فقال للانصار لا تنفقوا الخ والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز
نفسه وبالاذل جانب المؤمنين واسناد القول المذكور الى المنافقين لرضاهم به فرد عليهم وكذبهم
بقوله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين اي ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه من رسوله والمؤمنين
لا لغيرهم ولكن المنافقين لا يعلمون من فرط جهلهم وغرورهم فيهذون ما يهذون روى ان عبد الله
ابن ابي لما اراد ان يدخل المدينة اعترضه ابنه عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان مخلصا وقال لئن لم تقر
لله ورسوله بالعزة لاضربن عنقك فلما راى منه الجد قال اشهد ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين
فقال النبي عليه السلم لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا
اولادكم عن ذكر الله اي لا يشغلكم الاهتمام بتدبير امورها والاعتناء بمصالحها والتمتع بها عن الاشتغال
بذكره عز وجل من الصلوة وساير العبادات المذكرة للمعبود والمراد نهيهم عن التلهي بها وتوجيه

النهي اليها للمبالغة كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الخ ومن يفعل ذلك اي التلهي بالدنيا من الدين
فاولئك هم الخاسرون اي الكاملون في الخسران حيث باعوا النعيم الباقي بالحيز الفاني واتقوا
مما رزقناكم اي بعض ما اعطيناكم تفضلا من غير ان يكون حصوله من جهتكم ادخارا للاخرة من قبل ان يأتي
احدكم الموت بان يشاهد دلايله ويعاين امارته ومخايله وتقديم المفعول على الفاعل لمامر مرارا من
الاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر فيقول عند تيقنه بحلوله رب لولا اخرتني اي امهلتني الى اجل قريب
اي امد قصير فاصدق بالنصب على جواب التمني وقرئ فاتصدق واكن من الصالحين بالجزم عطفا على محل فاصدق
كانه قيل ان اخرتني اصدق واكن وقرئ واكون بالنصب عطفا على لفظ وقرئ واكون بالرفع اي وانا اكون
عدة منه بالصلاح ولن يؤخر الله نفسا اي ولن يمهلها اذا جاء اجلها اي آخر عمرها او انتهى ان اريد بالاجل الزمان
الممتد من اول العمر الى آخره والله خبير بما تعملون فمجازكم عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر فسارعوا
في الخيرات واستعدوا لما هو آت وقرئ يعملون بالياء التحتانية عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق والله اعلم

يسبح لله ما في السموات وما في الارض اي تنزهه سبحانه جميع ما فيهما من المخلوقات عما لا يليق بجناب كبريائه
تنزيها ملتبسا بلسان الحال او المقال له الملك وله الحمد لا لغيره اذ هو المبدئ لكل شئ وهو القائم به والمنعم عليه وهو المولى للاصول
النعم وفروعها واما ملك غيره فاستعارة من جنابه وحمد غيره اعتدادا بان نعمة الله جرت على يده وهو على كل
شئ قدير لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل سواء هو الذي خلقكم خلقا بديعا حاويا لجميع مبادي الكمالات
العلمية والعملية ومع ذلك منكم كافر اي فبعضكم او فبعض منكم مختار للكفر كاسب له على خلاف ما تستدعيه
خلقته ومنكم مؤمن مختار للايمان كاسب له حسبما يقتضيه خلقته وكان الواجب عليكم جميعا ان تكونوا مختارين للايمان
شاكرين لنعمة الخلق والايجاد وما يتبع عليها من سائر النعم فما فعلتم ذلك مع تمام تمكنكم منه بل تشعبتم شعبا وتفرقتم
فرقا وتقديم الكفر لانه الاغلب فيما بينهم والانسب بمقام التوبيخ وحمله على معنى فمنكم كافر مقدر كفره موجبة اليه
ما تحمله عليه ومنكم مؤمن مقدر ايمانه موفق لما يدعوه اليه مما لا يلائم المقام والله بما تعملون بصير فيجازيكم بذلك فاختاروا
منه ما يجديكم من الايمان والطاعة واياكم ما يرديكم من الكفر والعصيان خلق السموات والارض بالحق بالحكمة
البالغة المتضمنة للمصالح الدينية والدنيوية وصوركم فاحسن صوركم حيث برأكم في احسن تقويم واودع
فيكم من القوى والمشاعر الظاهرة والباطنة ما يحيط بها جميع الكمالات البارزة والكامنة وزينكم بصفوة
صفات مصنوعاته وخصكم بخلاصة نص مبدعاته وجعلكم انموذج جميع مخلوقاته في هذه النشأة واليه المصير
في النشأة الاخرى لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فاحسنوا سرايركم باستعمال تلك القوى والمشاعر
فيما خلقت له يعلم ما في السموات والارض من الامور الكلية والجزئية والاحوال الجلية والخفية ويعلم
ما تسرون وما تعلنون اي ما تسرونه فيما بينكم وما تظهرونه من الامور والتصريح به مع اندراجه فيما قبله
لانه الذي يدور عليه الجزاء ففيه تاكيد للوعد والوعيد وتشديد لهما وقوله تعالى والله عليم بذات الصدور اعتراض
تذييلي مقرر لما قبله من شمول علمه تعالى لسرهم وعلنهم اي هو محيط بجميع المضمرات المستكنة في صدور الناس حيث

بحيث لا تغادر منها اصلا فكيف يخفى عليه ما يسرونه وما يعلنونه واظهار الجلالة للاشعار بعلة الحكم وتاكيد
استقلال الجملة بقبل وتقديم تقرير القدرة على تقرير العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته بالذات وعلى
علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء الم ياتكم ايها الكفرة نبؤا الذين كفروا من قبل فذاقوا
كقوم نوح ومن بعدهم من الامم المصرة على الكفر فذاقوا وبال امرهم عطف على كفروا والوبال الثقل والشدة
المترتبة على امر من الامور وامرهم كفرهم عبر عنه بذلك للايذان بانه امر هايل وجناية عظيمة اي الم ياتكم خبر الذين
كفروا من قبل فذاقوا من غير مهلة ما يستتبعه كفرهم في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب اليم لا يقادر قدره ذلك
اي ما ذكر من العذاب الذي ذاقوه في الدنيا وما سيذوقونه في الاخرة بانه كانت تاتيهم
رسلهم بالبينات اي بالمعجزات الظاهرة فقالوا عطف على كانت ابشر يهدوننا اي قال كل قوم من المذكورين
في حق رسولهم الذي اتاهم بالمعجزات منكرين لكون الرسول من جنس البشر متعجبين من ذلك ابشر يهدينا كما قالت ثمود
ابشرا منا واحدا نتبعه وقد اجمل في الحكاية فاسند القول الى جميع الاقوام واريد بالبشر الجنس فوصف بالجمع كما
اجمل الخطاب والامر في قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فكفروا اي بالرسل وتولوا
عن التدبر فيما اتوا به من البينات وعن الايمان بهم واستغنى الله اي اظهر استغناءه عن ايمانهم وطاعتهم
حيث اهلكهم وقطع دابرهم ولولا غناه تعالى عنها لما فعل ذلك والله غني عن العالمين فضلا عن ايمانهم وطاعتهم حميد
يحمده كل مخلوق بلسان الحال او مستحق للحمد بذاته وان لم يحمده حامد زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا الزعم ادعاء
العلم يتعدى الى مفعولين وقد قام مقامهما ان المخففة مع ما في حيزه والمراد بالموصول كفار مكة اي زعموا ان لن
يبعثوا بعد موتهم ابدا قل رد اعليهم وابطال لزعمهم باثبات ما نفوه بلى اي تبعثون وقوله تعالى وربي
لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم اي لتحاسبن وتجزون باعمالكم جملة مستقلة داخلة تحت الامر واردة لتاكيد ما افادته
كلمة بلى من اثبات البعث وبيان تحقق امر آخر متفرع عليه منوط به فيه تاكيد لتحقق البعث بوجهين وذلك اي ما ذكر
من البعث والجزاء على الله يسير لتحقق القدرة التامة وقبول المادة والفاء في قوله تعالى فآمنوا فصيحة مفصحة عن شرط
قد حذف ثقة بغاية ظهوره اي اذا كان الامر كذلك فآمنوا بالله ورسوله محمد صلعم والنور الذي انزلنا وهو القرآن
فانه بما جازه بين بنفسه مبين لغيره كما ان النور كذلك والالتفات الى نون العظمة لابراز كمال العناية بامر الانزال
والله بما تعملون من الامتثال بالامر وعدمه خبير مجازكم عليه والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من الامر موجب
للامتثال به بالوعد والوعيد والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وتاكيد استقلال الجملة يوم يجمعكم ظرف
لتنبؤن وقيل لخبير لما فيه من معنى الوعيد كانه قيل والله مجازيكم ومعاقبكم يوم يجمعكم او مفعول لاذكر وقرئ نجمعكم
بنون العظمة ليوم الجمع يوم يجمع فيه الاولون والآخرون اي للاجل ما فيه من الحساب والجزاء ذلك يوم التغابن
اي يوم غبن بعض الناس بعضا بنزول السعداء منازل الاشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس وفي الحديث
ما من عبد يدخل الجنة الا ارى مقعده من النار لو اساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا ارى مقعده
من الجنة لو احسن ليزداد حسرة وتخصيص التغابن بذلك اليوم للايذان بان التغابن في الحقيقة هو الذي يقع فيه
لا ما يقع في امور الدنيا ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر اي عملا صالحا يكفر الله عز وجل وقرئ بنون العظمة
عنه سيئاته يوم القيمة ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وقرئ ندخله بالنون ذلك اي ما ذكر
من تكفير السيئات وادخال الجنات الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه لانطوائه على النجاة من اعظم المكاره والظفر

يا اولي الالباب والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير
اي النار كما بينت الآيتين الكريمتين بيان لكيفية التعاقب ما اصاب من مصيبة من المصايب الدينوية الا باذن الله
اي بتقديره وارادته كما نهايذ انتهاء متوجهة الى الانسان موقعة على اذنه تعالى ومن يؤمن بالله يهد قلبه عند
اصابتها للثبات والاسترجاع وقيل يهد قلبه حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه
وقيل يهد قلبه اي يلطف به ويشرحه لازدياد الطاعة والخير وقرئ يهد قلبه على البناء للمفعول ورفع قلبه وقرئ
بنصبه على نهج سفه نفسه وقرئ يهدأ قلبه بالهمزة اي يسكن والله بكل شئ من الاشياء التي من جملتها القلوب
واحوالها عليم فيعلم ايمان المؤمن ويهدي قلبه الى ما ذكر واطيعوا الله واطيعوا الرسول كرر الامر للتاكيد والايذان
بالفرق بين الطاعتين في الكيفية وتوضيح مورد التولي في قوله تعالى فان توليتم اي عن اطاعة الرسول وقوله تعالى
فانما على رسولنا البلاغ المبين تعليل للجواب المحذوف اي فلا باس عليه اذ ما عليه الا التبليغ
المبين وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه واظهار الرسول مضافا الى نون العظمة في مقام اضماره لتشريفه عليه السلم
والاشعار بمدار الحكم الذي هو كون وظيفة عليه السلم محض البلاغ ولزيادة تشنيع التولي عنه الله لا اله الا هو
جملة من مبتدا وخبر اي هو المستحق للمعبودية لا غير وفي اضمار خبر لا مثل في الوجود او يصح ان يوجد خلاف للنحاة
معروف وعلى الله اي عليه تعالى خاصة دون غيره لا استقلالا ولا اشتراكا فليتوكل المؤمنون واظهار الجلالة
في موقع الاضمار للاشعار بعلة التوكل والامر به فان الالوهية مقتضية للتبتل اليه تعالى بالكلية وقطع التعلق عما
سواه بالمرة يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم يشغلونكم عن طاعة الله تعالى ويخاصمونكم في
امور الدين او الدنيا فاحذروهم الضمير للعدو فانه يطلق على الجمع كقوله تعالى لما انه عدو لي او للازواج والاولاد
جميعا فالمامور به على الاول الحذر عن الكل وعلى الثاني الحذر عن البعض لان منهم من ليس بعدو واما الحذر عن مجموع
الفريقين لاشتمالهم على العدو وان تعفوا عن ذنوبهم القابلة للعفو بان تكون متعلقة بامور الدنيا او بامور الدين
لكن مقارنة للتوبة وتصفحوا بترك التثريب في التعبير وتغفروا باخفائها وتمهيد عذرها فان الله غفور رحيم يعاملكم
بمثل ما علمتم وتفضل عليكم وقيل ان ناسا من المؤمنين ارادوا الهجرة عن مكة فثبطهم ازواجهم واولادهم
وقالوا اتنظلمون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك وراوا المهاجرين الاولين قد فقهوا
في الدين ارادوا ان يعاقبوا ازواجهم واولادهم فزين لهم العفو فغضبوا عليهم وقالوا لئن جمعنا الله في دار
الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا سمعوهم الخير تحثوا على ان يعفوا عنهم ويبروا اليهم البر والصلة انما اموالكم
واولادكم فتنة بلاء ومحنة يوقعونكم في الاثم من حيث لا تحتسبون والله عنده اجر عظيم لمن اثر محبة الله
تعالى وطاعته على محبة الاموال والاولاد والسعي في تدبير مصالحهم فاتقوا الله ما استطعتم اي ابذلوا
في تقواه جهدكم وطاقتكم واسمعوا مواعظه واطيعوا اوامره وانفقوا مما رزقكم في الوجوه التي امركم
بالانفاق فيها خالصا لوجهه خيرا لانفسكم اي ائتوا خيرا لانفسكم وافعلوا ما هو خير لها وانتصاب خيرا
للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان لكون الامور المذكورة خيرا لانفسهم ويجوز ان يكون صفة لمصدر محذوف
اي انفاقا خيرا او خبر الكان مقدرا جوابا للاوامر اي يكن خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك
هم المفلحون الفائزون بكل مرام ان تقرضوا الله بصرف اموالكم الى المصارف التي عينها قرضا حسنا
مقرونا بالاخلاص وطيب النفس يضاعفه لكم بالواحد عشرة الى سبعمائة واكثر وقرئ يضعفه لكم

ويغفر لكم بيركة الانفاق ما فرط منكم من بعض الذنوب والله شكور يعطي الجزيل بمقابلة
القدر القليل حليم لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه خافية
العزيز الحكيم المبالغ في القدرة والحكمة عن ابي عبد الله عليه السلم من قرء سورة التغابن رفع عنه موت الفجاة

يا ايها النبي اذا طلقتم النساء تخصيص النداء به صلى الله عليه وسلم مع عموم الخطاب
لامته ايضا للتشريف عليه السلم واظهار جلالة منصبه وتحقيق انه المخاطب حقيقة ودخولهم في
الخطاب بطريق استتباع ايا هم وتغليبه عليهم لا لان نداءه كندائهم فان ذلك الاعتبار
لو كان في حيز الرعاية كان الخطاب هو الاحق به لشمول حكمه للكل قطعا والمعنى اذا اردتم
تطليقهن وعزمتم عليه كما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فطلقوهن لعدتهن اي مستقبلات لها
كقولك اتيته لليلة خلت من شهر كذا فان المراة اذا طلقت في طهر يعقبه القرء الاول من اقرائها
فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد ان يطلقن في طهر لم يقع فيه جماع ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن
وهذا احسن الطلاق وادخله في السنة واحصوا العدة واضبطوها واكملوها ثلثة اقراء
كوامل واتقوا الله ربكم في تطويل العدة عليهن والاضرار بهن وفي وصفه تعالى بربوبيته لهم تاكيد
للامر ومبالغة في ايجاب الاتقاء لا تخرجوهن من بيوتهن من مساكنهن عند الفراق الى ان تنقضي
عدتهن واضافتها اليهن وهي لازواجهن لتاكيد النهي بيان كمال استحقاقهن لسكناها كانها
املاكهن ولا يخرجن ولياذن منكم فان الاذن بالخروج في حكم الاخراج وقيل لا يخرجن باستيناء
منهن اما اذا اتفقا على الخروج جاز اذ الحق لا يعدوهما الا ان ياتين بفاحشة مبينة استثناء من
الاول قيل هي الزنا فيخرجن لاقامة الحد عليهن وقيل الا ان يبذون على الازواج فيحل اخراجهن
ويؤيده قراءة الا ان يفحشن عليكم او من الثاني للمبالغة في النهي عن الخروج بيان ان خروجها
فاحشة وتلك اشارة الى ما ذكر من الاحكام وما في اسم الاشارة من معنى البعد مع قرب
العهد بالمشار اليه للايذان ببعلو درجتها وبعد منزلتها حدود الله التي عينها لعباده ومن يتعد
حدود الله اي حدوده المذكورة بان اخل بشئ منها على ان الاظهار في حيز الاضمار لتهويل امر
التعدي والاشعار بعلة الحكم في قوله تعالى فقد ظلم نفسه اي اضر بها وتغيير الظلم بتعريضها
للعقاب يابآءه قوله تعالى لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا فانه استيناف مسوق
لتعليل مضمون الشرطية وقد قالوا ان الامر الذي يحدثه الله تعالى ان يقلب قلبه عما فعله بالتعدي
الى خلافه فلابد ان يكون الظلم عبارة عن ضرر دنيوي يلحقه بسبب تعديه ولا يمكن تداركه او عن
مطلق الضرر الشامل للدنيوي والاخروي ويخص التعليل بالدنيوي لكون احتراز الناس منه
اشد واهتمامهم بدفعه اقوى وقوله تعالى لا تدري خطاب للمتعدي بطريق الالتفات لمزيد الاهتمام
بالزجر عن التعدي لا للنبي عليه السلم كما توهم فالمعنى ومن يتعد حدود الله فقد اضر بنفسه فانك لا تدري
ايها المتعدي عاقبة الامر لعل الله يحدث في قلبك بعد ذلك الذي فعلت من التعدي امرا يقتضي

المعنى ج

خلاف ما فعلته فيبدل ببغضها محبة وبالاعراض عنها اقبالا اليها ولا يتسنى تلافيه برجعة او استيناف نكاح
فاذا بلغن اجلهن شارفن آخر عدتهن فامسكوهن فراجعوهن بمعروف بحسن معاشرة وانفاق لائق
او فارقوهن بمعروف بايفاء الحق واتقاء الضرار بان يراجعها ثم يطلقها تطويلا للعدة واشهدوا ذوي عدل منكم
عند الرجعة والفرقة قطعا للتنازع وهذا امر ندب كما في قوله تعالى واشهدوا اذا تبايعتم ويروى عن الشافعي
انه للوجوب في الرجعة واقيموا الشهادة لله ايها الشهود عند الحاجة خالصا لوجهه تعالى ذلكم اشارة الى الحث
على الاشهاد والاقامة او على جميع ما في الآية يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر اذ هو المنتفع به والمقصود
تذكيره وقوله تعالى ومن يتق الله الخ جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من وجوب مراعاة حدود الله تعالى بالوعد
على الاتقاء عن تعديها كما ان ما تقدم من قوله تعالى ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه مؤكد له بالوعيد على تعديها فالمعنى
ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط في الاشهاد وغيره من الامور يجعل له مخرجا
مما عسى يقع في شان الازواج من الغموم والوقوع في المضايق ويكفر عنه ما يعتريه من الكروب ويرزقه من حيث
لا يحتسب اي من وجه لا يخطره بباله ولا يحتسبه ويجوز ان يكون كلاما جيء به على نهج الاستطراد عند ذكر قوله تعالى
ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله الخ فالمعنى ومن يتق الله في كل ما ياتي وما يذر يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم
الدنيا والآخرة فيندرج فيه ما نحن فيه اندراجا اوليا عن النبي عليه السلام انه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا
ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيمة وقال عليه السلام اني لاعلم آية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله
فما زال يقرأها ويعيدها وروي ان عوف بن مالك الاشجعي اسر المشركون ابنه سالما فاتى رسول الله عليه السلام
فقال اسر ابني وشكى اليه الفاقة فقال عليه السلام اتق الله واكثر قول لا حول ولا قوة الا بالله العظيم ففعل فبينا هو
في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو فاستاقها فنزلت ومن يتوكل على الله فهو حسبه
اي كافيه في جميع اموره ان الله بالغ امره بالاضافة اي منفذ امره وقرئ بتنوين بالغ ونصب امره اي يبلغ ما يريده
لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب وقرئ برفع امره على انه مبتدأ وبالغ خبر مقدم والجملة خبر ان او بالغ خبر ان وامره
مرتفع به على الفاعلية اي نافذ امره وقرئ بالغا امره على انه حال وخبر ان قوله تعالى قد جعل الله لكل شيء قدرا
اي تقديرا او توقيتا او مقدارا وهو بيان لوجوب التوكل عليه تعالى وتفويض الامر اليه لانه اذا علم ان كل شيء من
الرزق وغيره لا يكون الا بتقديره لا يبقى الا التسليم للقدر والتوكل على الله تعالى واللائي يئسن من المحيض من
نسائكم لكبرهن وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين ان ارتبتم اي شككتم وجهلتم كيف عدتهن
فعدتهن ثلثة اشهر واللائي لم يحضن بعد لصغرهن اي فعدتهن ايضا كذلك فحذف ثقة بدلالة ما قبله
عليه واولات الاحمال اجلهن اي منتهى عدتهن ان يضعن حملهن سواكن مطلقات او متوفى عنهن ازواجهن وقد
نسخ به عموم قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا لتراخي
نزوله عن ذلك لما هو المشهور من قول ابن مسعود رض من شاء باهلته ان سورة النساء القصرى نزلت بعد
التي في سورة البقرة وقد صح ان سبيعة بنت الحارث الاسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت
ذلك لرسول الله عليه السلام فقال لها قد حللت فتزوجي ومن يتق الله في شان احكامه ومراعاة حقوقها يجعل له من امره يسرا
اي يسهل عليه امره ويوفقه للخير ذلك اشارة الى ما ذكر من الاحكام وما فيه من معنى البعد مع قرب قرب العهد
بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الفضل وافراد الكاف مع ان الخطاب للجمع كما يفصح عنه قوله تعالى امر الله

انزله اليكم لما انها لمجرد الفرق بين الحاضر والمنقضي لا لتعيين خصوصية المخاطبين وقد مر في قوله تعالى ذلك يوعظ به
من كان يؤمن بالله من سورة البقرة ومن يتق الله بالمحافظة على احكامه يكفر عنه سيئاته فان الحسنات يذهبن
السيئات ويعظم له اجرا بالمضاعفة وقوله تعالى اسكنوهن من حيث سكنتم استيناف وقع جوابا عن
سؤال نشأ مما قبله من الحث على التقوى كانه قيل كيف نعمل بالتقوى في شان المعتدات فقيل اسكنوهن
مسكنا من حيث سكنتم اي بعض مكان سكناكم وقوله تعالى من وجدكم اي من وسعكم اي مما تطيقونه عطف بيان
لقوله من حيث سكنتم وتفسير له ولا تضاروهن اي في السكنى لتضيقوا عليهن وتلجئوهن الى الخروج وان كن اي
المطلقات اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فيخرجن من العدة اما المتوفى عنهن ازواجهن
فلا نفقة لها فان ارضعن لكن بعد ذلك فآتوهن اجورهن على الارضاع وائتمروا بينكم بمعروف اي
تشاوروا وحقيقته ليامر بعضكم بعضا بجميل في الارضاع والاجر ولا يكن من الاب مماكسة ولا من الام معا
شرة
وان تعاسرتم اي تضايقتم فسترضع له اخرى اي فستوجد ولا تعوز مرضعة اخرى وفيه معاتبة للام على المعاسرة
لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله وان قل اي لينفق كل واحد من الموسر والمعسر
ما يبلغه وسعه لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها جل او قل فانه تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها وفيه تطييب
لقلب المعسر وترغيب له في بذل مجهوده وقد اكد ذلك بالوعد حيث قيل سيجعل الله بعد عسر يسرا اي
عاجلا او آجلا وكاين من قرية اي كثير من اهل قرية عتت اي اعرضت عن امر ربها ورسله بالعتو والتمرد
والعناد فحاسبناها حسابا شديدا بالاستقصاء والتنقير والمناقشة في كل نقير وقطمير وعذبناها عذابا
نكرا اي منكرا عظيما وقرئ نكرا والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير عنهما بلفظ الماضي للدلالة على تحققهما
كما في قوله تعالى ونادى اصحاب الجنة فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا هائلا لا خسر وراءه
اعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا كانه قيل اعد الله لهم هذا العذاب فاتقوا الله
يا اولي الالباب ويجوز ان يراد بالحساب استقصاء ذنوبهم واثباتها في صحائف الحفظة وبالعذاب ما اصابهم
عاجلا وقد جوز ان يكون عتت وما عطف عليه صفة صفة للقرية واعد الله لهم جوابا لقوله تعالى الذين آمنوا منصوب
باضمار اعني بيانا للمنادى او عطف بيان له او نعت وفي ابداله منه ضعف لتعذر حلوله محله قد انزل الله اليكم
ذكرا هو جبريل عليه السلام سمي به لكثرة ذكره او لنزوله بالذكر الذي هو القرآن كما ينبئ عنه ابدال قوله تعالى رسولا
منه او لانه مذكور في السموات وفي الامم او اريد بالذكر الشرف كما في قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك كانه
في نفسه شرف اما لانه شرف للمنزل عليه واما لانه ذو مجد وشرف عند الله تعالى كقوله عند ذي العرش مكين
او هو النبي عليه السلام وعليه الاكثر عبر عنه بالذكر لمواظبته على تلاوة القرآن او تبليغه والتذكير به وعبر عن ارساله
بالانزال بطريق الترشيح او لانه مسبب عن انزال الوحي اليه وابدل منه رسولا للبيان او هو القرآن ورسولا
منصوب بمقدر مثل ارسل او بذكرا على اعمال المصدر المنون او بدل منه على انه بمعنى الرسالة وقوله تعالى
يتلو عليكم آيات الله مبينات نعت لرسولا وآيات الله القرآن ومبينات حال منها اي حال
كونها مبينات لكم ما تحتاجون اليه من الاحكام وقرئ مبينات اي بينها الله تعالى لقوله قد بينا لكم الآيات
واللام في قوله تعالى ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات بيتلوا او بانزل وفاعل يخرج على الاول ضمير الرسول
عليه السلام او ضمير الجلالة والموصول عبارة عن المؤمنين بعد انزاله اي ليحصل لهم الرسول او الله عز وعلا

ماهم عليه الآن من الايمان والعمل الصالح او ليخرج من علم ان قدر انه سيؤمن من الظلمات الى النور من الضلالة الى
الهدى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا حسبما بين في تضاعيف ما انزل من الايات المبينات يدخله جنات
تجري من تحتها الانهار وقرئ ندخله بالنون وقوله تعالى خالدين فيها ابدا حال من مفعول يدخله والجمع باعتبار معنى
من كما ان الافراد في الضماير الثلثة باعتبار لفظها وقوله تعالى قد احسن الله له رزقا حال اخرى منه او من الضمير
في خالدين بطريق التداخل وافراد ضمير له قد مر وجهه وفيه معنى التعجب والتعظيم لما رزقه الله المؤمنين من الثواب
الله الذي خلق سبع سموات مبتدا وخبر ومن الارض مثلهن اي خلق من الارض مثلهن في العدد وقرئ مثلهن
بالرفع على انه مبتدا ومن الارض خبره واختلف في كيفية طبقات الارض قالوا الجمهور على انها سبع ارضين
طباقا بعضها فوق بعض بين كل ارض وارض مسافة كما بين السماء والارض وفي كل ارض سكان من خلق الله
تعالى وقال الضحاك مطبقة بعضها فوق بعض من غير فتوق بخلاف السموات قال القرطبي والاول اصح لان
الاخبار دالة عليه كما روى البخاري وغيره من ان كعبا حلف بالذي فلق البحر لموسى ان صهيبا حدثه ان النبي
عليه السلم لم ير قرية يريد دخولها قال حين يراها اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين
السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما اذرين نسالك خير هذه القرية وخير اهلها
ونعوذ بك من شرها وشر اهلها وشر من فيها وعن ابن عباس رض ان نافع بن الازرق ساله تحت
الارضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال اما ملئكة او جن قال الماوردي وعلى هذا تختص دعوة الاسلام
باهل الارض العليا دون من عداهم وان كان فيهن من يعقل من خلق وفي مشاهدتهم السماء واستمدادهم
الضوء منها قولان احدهما انهم يشاهدون السماء من كل جانب من ارضهم ويستمدون الضياء منها والثاني
انهم لا يشاهدون السماء وان الله تعالى خلق لهم ضياء يشاهدونه وحكى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس
انها سبع ارضين متفرقة بالبحار وتظل الجميع السماء يتنزل الامر بينهن اي يجري امره وقضاؤه بينهن وينفذ
ملكه فيهن وعن قتادة في كل سماء وفي كل ارض خلق من خلقه وامر من امره وقضاء من قضائه وقيل ما هو
يدبر فيهن من عجايب تدبيره وقرئ ينزل الامر لتعلموا ان الله على كل شيء قدير متعلق بخلق او بيتنزل او
بمضمر يعمهما اي فعل ذلك لتعلموا ان من قدر على ذلك قادر على كل شيء وان الله قد احاط بكل شيء علما لاستحالة
صدور الافاعيل المذكورة ممن ليس كذلك ويجوز ان يكون العامل في اللام بيان ما ذكر من الخلق وتنزل الامر
اي اوحى ذلك وبينه لتعلموا بما ذكر من الامور التي تشاهدونها والتي تتلقونها من الوحي من عجايب
المصنوعات انه لا يخرج عن قدرته وعلمه شيء ما اصلا وقرئ ليعلموا عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة تحريم

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك روي ان النبي عليه السلم خلا بمارية في يوم عائشة وعلمت بذلك
حفصة فقال لها اكتمي علي فقد حرمت مارية على نفسي وابشرك ان ابا بكر وعمر رض يملكان بعدي امر امتي
فاخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها في يوم حفصة فارضاها بذلك واستكتمها
فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه فنزل جبريل عليه السلم فقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها لمن نسائك في

في الجنة وروي انه عليه السلم شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا
نشم منك ريح المغافير وكان رسول الله عليه السلم يكره التفل فحرم العسل فنزلت فمعناه لم تحرم ما احل
الله لك من ملك اليمين او من العسل تبتغي مرضات ازواجك اما تفسير لتحرم او حال من فاعله او استيناف
ببيان ما دعاه اليه موذن بعدم صلاحيته لذلك والله غفور مبالغ في الغفران قد غفر لك هذه الزلة رحيم
قد رحمك ولم يواخذك به وانما عاتبك محاماة على عصمتك قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم اي شرع لكم
تحليلها وهو حل ما عقده بالكفارة او بالاستثناء متصلا حتى لا يحنث والاول هو المراد هنا والله مولاكم
سيدكم ومتولي اموركم وهو العليم بما يصلحكم فيشرعه لكم الحكيم المتقن في افعاله واحكامه فلا يامركم
ولا ينهاكم الا حسب ما يقتضيه الحكمة واذ اسر النبي الى بعض ازواجه هي حفصة حديثا اي حديث
تحريم مارية او العسل او امر الخلافة فلما نبأت به اي اخبرت حفصة عائشة بالحديث وافشته اليها
وقرئ انبأت به واظهره الله عليه اي اطلع الله تعالى النبي عليه السلم على افشاء حفصة عرف اي النبي عم
حفصة بعضه بعض الحديث الذي افشته قيل هو حديث الامامة روي انه عليه السلم قال لها
الم اقل لك اكتمي علي قالت والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله تعالى بها اياها
واعرض عن بعض اي عن تعريف بعض تكرما قيل هو حديث مارية فلما نبأها به اي اخبر النبي عليه السلم
حفصة بما عرفه من الحديث قالت من انبأك هذا اي افشاها للحديث قال نبأني العليم الخبير الذي
عليه خافية ان تتوبا الى الله خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات للمبالغة في العتاب فقد صغت
قلوبكما الفاء للتعليل كما في قولك اعبد ربك فالعبادة حق اي فقد وجد منكما ما يوجد التوبة من ميل قلوبكما
عما يجب عليكما من مخالصة رسول الله صلعم وحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وقرئ فقد زاغت
وان تظاهرا عليه باسقاط احدى التائين وقرئ على الاصل وبتشديد الظاء وتظهرا اي ان تتعاونا
عليه بما يسوءه من الافراط في الغيرة وافشاء سره فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين
اي فلن يعدم من يظاهره فان الله هو ناصره وجبريل هو رئيس الكروبيين قرينه ومن صلح من المؤمنين
اتباعه واعوانه قال ابن عباس اراد بصالح المؤمنين ابا بكر وعمر رض وقد روي مرفوعا الى النبي عليه السلم
وبه قال عكرمة ومقاتل وهو اللائق بتوسيطه بين جبريل والملئكة عليهم السلم فانه جمع بين الظهير المعنوي و
الظهير الصوري كيف لا وان جبريل ظهير له عليهما السلم يؤيده بالتاييدات الالهية وهما وزيراه
وظهيراه في تدبير امور الرسالة وتمشية احكامها الظاهرة ولان بيان مظاهرتهما له عليه السلم اشد
تاثيرا في قلوب بنتيهما وتوهينا لامرهما فكان حقيقا بالتقديم بخلاف ما اذا اريد به جنس الصالحين
كما هو المشهور والملئكة مع تكاثر عددهم وامتلاء السموات من جموعهم بعد ذلك قيل اي بعد نصرة
الله عز وجل وناموسه الاعظم وصالح المؤمنين ظهير اي فوج مظاهر له كانهم يد واحدة على من يعاديه
فماذا يفيد تظاهر امراتين على من هؤلاء ظهراؤه وما ينبئ عنه قوله تعالى بعد ذلك من فضل نصرتهم على
نصرة غيرهم من حيث ان نصرة الكل نصرة الله عز وجل وان نصرته تعالى بهم وبمظاهرتهم افضل من ساير
وجوه نصرته هذا ما قالوا ولعل الانسب ان يجعل ذلك اشارة الى مظاهرة صالح المؤمنين خاصة
ويكون بيان بعدية مظاهرة الملئكة تداركا لما يوهمه الترتيب الذكري من افضلية المقدم فكانه قيل

بعد ذكر مظاهرة صالح المؤمنين وساير الملئكة بعد ذلك ظهير له عليه السلم ايذانا بعلو رتبة مظاهرتهم
وبعد منزلتها وجبرا لفصلها عن مظاهرة جبريل عليه السلم عسى ربه ان طلقكن ان يبدله اى يعطيه عليه السلم
بدلكن ازواجا خيرا منكن على التغليب او تعميم الخطاب وليس فيه ما يدل على انه عليه السلم لم يطلق حفصة
وان فى النساء خيرا منهن فان تعليق طلاق الكل لا ينافى تطليق واحدة وما علق بما لم يقع لا يجب وقوعه
وقرئ ان يبدله بالتشديد مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات او منقادات مصدقات
قانتات مصليات او مواظبات على الطاعة تائبات من الذنوب عابدات متعبدات او متذللات
لامر الرسول صلعم سائحات صائمات سمى الصائم سائحا لانه يسيح فى النهار بلا زاد او مهاجرات
وقرئ سيحات ثيبات وابكارا وسط بينهما العاطف لتنافيهما يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم
بترك المعاصى وفعل الطاعات واهليكم بان تاخذوهم بما تاخذون به انفسكم وقرئ اهلوكم عطفا على
واوقوا فيكون انفسكم عبارة عن انفس الكل على تغليب المخاطبين اى قوا انتم واهلوكم انفسكم نارا
وقودها الناس والحجارة اى نار تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب وامر المؤمنين باتقاء هذه النار المعدة
للكافرين كما نص عليه فى سورة البقرة للمبالغة فى التحذير عليها ملئكة اى تلى امرها وتعذيب اهلها
وهم الزبانية غلاظ شداد غلاظ الاقوال شداد الافعال او غلاظ الخلق شداد الخلق اقوياء على
الافعال الشديدة لا يعصون الله ما امرهم اى امره على انه بدل اشتمال من الله او فيما امرهم به على نزع
الخافض اى لا يمتنعون من قبول الامر ويلتزمونه ويفعلون ما يؤمرون اى ويؤدون ما يؤمرون به من غير
تثاقل ولا توان وقوله تعالى يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم مقول لقول قد حذف ثقة بدلالة
الحال عليه اى يقال لهم ذلك عند ادخال الملئكة اياهم النار حسبما امروا به انما تجزون ما كنتم تعملون
فى الدنيا من الكفر والمعاصى بعد ما نهيتم عنهما اشد النهى وامرتم بالايمان والطاعة فلا عذر لكم قطعا
يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا اى بالغة فى النصح وصفت التوبة بذلك على الاسناد
المجازى وهو وصف التائبين وهو ان ينصحوا بالتوبة انفسهم فياتوا بها على طريقتها وذلك ان يتوبوا
عن القبائح لقبحها نادمين عليها مغتمين اشد الاغتمام لارتكابها عازمين على انهم لا يعودون فى قبيح
من القبائح موطنين انفسهم على ذلك بحيث لا يلويهم عنه صارف اصلا عن على رض ان التوبة
يجمعها ستة اشياء على الماضى من الذنوب الندامة وللفرايض الاعادة ورد المظالم واستحلال
الخصوم وان تعزم على ان لا تعود وان تذيب نفسك فى طاعة الله تعالى كما ربيتها فى المعصية و
ان تذيقها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعاصى وعن شهر بن حوشب الا يعود ولو حز بالسيف
واحرق بالنار وقيل نصوحا من نصاحة الثوب اى توبة ترفو خروقك فى دينك وترم خللك
وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح اذا خلص من الشمع ويجوز ان يراد توبة تنصح الناس ان
تدعوهم الى مثلها لظهور اثرها فى صاحبها واستعماله الجد والعزيمة فى العمل بمقتضياتها وقرئ توبا
نصوحا وقرئ نصوحا وهو مصدر نصح فان النصح والنصوح كالشكر والشكور اى ذات نصوح
او تنصح نصوحا او توبوا لنصح انفسكم على انه مفعول له عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات
تجرى من تحتها الانهار ورود صيغة الاطماع للجرى على سنن الكبرياء والاشعار بانه تفضل والتوبة

والتوبة غير موجبة له وان العبد ينبغى ان يكون بين خوف ورجاء وان بالغ فى اقامة وظايف
العبادة يوم لا يخزى الله النبى ظرف ليدخلكم والذين آمنوا معه عطف على النبى وفيه تعريض
بمن اخزاهم الله تعالى من اهل الكفر والفسوق واستحماد الى المؤمنين على انه عصمهم من مثل
حالهم وقيل هو مبتدا خبره قوله تعالى نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم اى على الصراط وهو
على الاول استيناف او حال وكذا قوله تعالى يقولون الخ وعلى الثانى خبر آخر للموصول اى يقولون
اذا طفى نور المنافقين ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شىء قدير وقيل يدعون تقربا الى الله مع
تمام نورهم وقيل يتفاوت انوارهم بحسب اعمالهم فيسالون اتمامه تفضلا وقيل السابقون الى الجنة يمرون مثل
البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفا واولئك الذين يقولون ربنا اتمم لنا نورنا يا ايها النبى جاهد الكفار
بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم واستعمل الخشونة على الفريقين فيما تجاهدهما من القتال والمحاجة ومأويهم جهنم
سيرون فيها عذابا غليظا وبئس المصير اى جهنم او مصيرهم ضرب الله مثلا للذين كفروا ضرب المثل فى امثال هذه المواقع
عبارة عن ايراد حالة غريبة ليعرف بها حالة اخرى مشاكلة لها فى الغرابة اى جعل الله مثلا لحال هؤلاء الكفرة حالا او
مآلا على ان مثلا مفعول ثان لضرب واللام متعلقة به وقوله تعالى امرأة نوح وامرأة لوط اى حالهما مفعوله الاول اخر
عنه ليتصل به ما هو شرح وتفسير لحالهما ويتضح بذلك حال هؤلاء فقوله تعالى كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين
بيان لحالهما الداعية لهما الى الخير والصلاح اى كانتا فى عصمة نبيين عظيمى الشان متمكنين من تحصيل خير الدنيا والآخرة
وحيازة سعادتيهما وقوله تعالى فخانتاهما بيان لما صدر عنهما من الجناية العظيمة مع تحقق ما ينفيها من صحبة النبى اى
خانتاهما بالكفر والنفاق وهذا تصوير لحالهما المحاكية لحال هؤلاء الكفرة فى خيانتهم لرسول الله صلعم بالكفر والعصيان
مع تمكنهم التام من الايمان والطاعة وقوله تعالى فلم يغنيا الخ بيان لما ادى اليه جنايتهما اى فلم يغن النبيان عنهما
بحق الزواج من الله اى من عذابه تعالى شيئا اى شيئا من الاغناء وقيل لهما عند موتهما او يوم القيمة ادخلا النار
مع الداخلين اى مع ساير الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة
فرعون اى جعل حالهما مثلا لحال المؤمنين فى ان وصلة الكفرة لا تضرهم حيث كانت فى الدنيا تحت اعداء الله
وهى فى اعلا غرف الجنة وقوله تعالى اذ قالت ظرف لمحذوف اشير اليه اى ضرب الله مثلا للمؤمنين حالها اذ قالت
رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة قريبا من رحمتك او فى اعلا درجات المقربين روى انها لما قالت ذلك اريت بيتها
فى الجنة من درة وانتزع روحها ونجنى من فرعون وعمله اى من نفسه الخبيثة وعمله السيئ ونجنى من القوم الظالمين
من القبط التابعين له فى الظلم ومريم ابنة عمران عطف على امرأة فرعون تسلية للارامل اى وضرب مثلا للذين
آمنوا خالصا وما اوتيت من كرامة الدنيا والارض والاصطفاء على نساء العالمين مع كون قومها كفارا التى
احصنت فرجها فنفخنا فيه وقرئ فيها اى فى مريم من روحنا من روح خلقناه بلا توسط اصل وصدقت بكلمات ربها
بصحف المنزلة او بما اوحى الى انبيائه وكتبه وبجميع كتبه المنزلة وقرئ بكلمة الله وكتابه اى بعيسى وبالكتاب المنزل
اليه وهو الانجيل وكانت من القانتين اى من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والاشعار بان طاعتها لم تقصر
من طاعات الرجال حتى عدت من جملتهم او من نسلهم لانها من اعقاب هرون اخى موسى عليهما السلم وعن النبى عم
كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد
وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على ساير الطعام وعن النبى صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة التحريم آتاه الله تعالى توبة نصوحا

تبارك الذي بيده الملك البركة النماء والزيادة حيثية كانت او عقلية وكثرة الخير وده وامده ايضا ونسبتها
الى الله عز وجل على المعنى الاول وهو الاليق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه في ذاته وصفاته وافعاله وصيغة
التفاعل للمبالغة في ذلك فان ما لا يتصور نسبته اليه تعالى من الصنع كالتكبر ونحوه وانما نسب اليه سبحانه باعتبار
غاياتها وعلى الثاني باعتبار كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته من فنون الخيرات والصيغ يجوز ان تكون لافادة
نماء تلك الخيرات وازديادها شيئا فشيئا وآنا فآنا بحسب حدوثها او حدوث متعلقاتها ولاستقلالها
بالدلالة على غاية الكمال وابنائها على نهاية التعظيم لم يجز استعمالها في حق غيره سبحانه ولا استعمال غيرها من الصيغ
في حقه تبارك وتعالى واسنادها الى الموصول للاستتباع دماني حيز الصلة على تحقق مضمونها واليد مجاز من القدرة
التامة والاستيلاء الكامل اي تعالى وتعاظم بالذات عن كل ما سواه ذاتا وصفة وفعلا الذي بقبضة قدرته
التصرف الكلي في كل الامور وهو على كل شيء من الاشياء قدير مبالغ في القدرة عليه يتصرف فيه حسبما تقتضيه
مشيئته المبنية على الحكم البالغة والجملة معطوفة على الصلة مقررة لمضمونها مفيدة لجريان احكام ملكه تعالى في جلايل
الامور ودقايقها وقوله تعالى الذي خلق الموت والحيوة شروع في تفصيل بعض احكام الملك واثار القدرة وبيان
ابتنائها على قوانين الحكم والمصالح واستتباعها لغايات جليلة والموصول بدل من الموصول الاول داخل معه
في حكم الشهادة بتعاليه تعالى والموت عند اصحابنا صفة وجودية مضادة للحيوة واما ما روي عن ابن عباس من انه
تعالى خلق الموت في صورة كبش املح لا يمر بشيء ولا يجد ريحه شيء الا مات وخلق الحيوة في صورة فرس بلقاء لا تمر بشيء
ولا يجد ريحها شيء الا حيي فكلام وارد على منهاج التمثيل والتصوير وقيل هو بعدم الحيوة فمعنى خلقه حينئذ تقديره او
ازالة الحيوة وايا ما كان فالاقرب ان المراد به الموت الطاري وبالحيوة ما قبله وما بعده لظهور مداريتهما لما ينطق به
قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا فان استدعاء ملاحظتهما لاحسان العمل مما لا ريب فيه مع ان نفس العمل لا يتحقق
بدون الحيوة الدنيوية وتقديم الموت لكونه ادعى الى احسان العمل والام متعلقة بخلق اي خلق موتكم وحيوتكم
على ان الالف واللام عوض عن المضاف اليه ليعاملكم معاملة من يختبركم ايكم احسن عملا فيجازيكم على مراتب
متفاوتة حسب تفاوت طبقات علومكم واعمالكم فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره صلحاء ايكم احسن عقلا
واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله فان كلا من القلب والعالب عملا خاصا به كما ان الاول اشرف من
الثاني كذلك الحال في عمله كيف لا والاعمال بدون معرفة الله عز وجل الواجبة على العباد اثر ذبي اثير واغاطرتها
النظري التفكر في بدايع صنع الله تعالى والتدبر في اياته المنصوبة في الانفس والآفاق وقد روي عنه عليه السلام
انه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في ام
الله عز وجل الذي هو عمل القلب ضرورة ان احدا لا يقدر على ان يعمل بجوارحه كل يوم مثل عمل اهل الارض وتعليق
فعل البلوى اي تعيينه بحرف الاستفهام لا التعليق المشهور الذي يقتضي عدم ايراد المفعول اصلا اختصاصه
بافعال القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر ونظايره ولذلك اجري مجراه بطريق التمثيل وقيل
بطريق الاستعارة التبعية وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل لهم باعتبار اعمالهم المنقسمة الى
الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط للايذان بان المراد بالذات والمقصد الاصلي من الابتلاء
هو ظهور كمال احسان المحسنين مع تحقق اصل الايمان والطاعة في الباقين ايضا لكمال تقاضد الموجبات له

وامّا الاعراض عن ذلك فبمعزل من الاندراج تحت الوقوع فضلا عن الانتظام في سلك الغاية للافعال
الالهية وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ولا ترتيب وفيه من الترغيب في الترقي الى
معارج العلوم ومدارج الطاعات والزجر عن مباشرة نقائضها ما لا يخفى وهو العزيز الغالب الذي لا يعوقه
من اساءة العمل الغفور لمن تاب منهم الذي خلق سبع سموات قيل هو نعت للعزيز الغفور او بيان او بدل
والاوجه انه نصب او رفع على المدح متعلق بالموصولين السابقين معنى وان كان منقطعا عنهما اعرابا كما
تفصيله في قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب من سورة البقرة منتظم معهما في سلك الشهادة بتعاليه
سبحانه ومع الموصول الثاني في كونه مدارا للبلوى كما نطق به قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة
ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا وقوله تعالى طباقا صفة لسبع سموات اي مطابقة على انه
مصدر طابقت النعل اذا خصفتها وصف به المفعول او مصدر مؤكد لمحذوف هو صفتها اي طوبقت
طباقا وقوله تعالى ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت صفة اخرى لسبع سموات وضع فيها خلق الرحمن
موضع الضمير للتعظيم والاشعار بعلة الحكم وبانه تعالى خلقها بقدرته القاهرة رحمة وتفضلا وبان في ابدائها
نعما جليلة او استيناف والخطاب للرسول صلعم او لكل احد ممن يصلح للخطاب ومن لتاكيد النفي اي
ما ترى فيه شيئا من تفاوت اي اختلاف وعدم تناسب من التفوت فان كلا من المتفاوتين يفوت منه
بعض ما في الآخر وقرئ من تفوت ومعناهما واحد وقوله تعالى فارجع البصر هل ترى من فطور متعلق به على
معنى التسبيب حيث اجرا ولا بانه لا تفاوت في خلقه ثم قيل فارجع البصر حتى يتضح لك ذلك
بالمعاينة ولا يبقى عندك شبهة ما والفطور الشقوق والصدوع جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر
ثم ارجع البصر كرتين اي رجعتين اخريين في ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما في لبيك
وسعديك اي رجعة بعد رجعة وان كثرت ينقلب اليك البصر خاسئا اي بعيدا مما رمى ومن اصابة ما التمسه
من العيب والخلل كانه يطرد عن ذلك طردا بالصغار والقماءة وهو حسير اي كليل لطول المعاودة وكثرة
المراجعة وقوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بيان لكون خلق السموات في غاية الحسن والبهاء اثر بيان
خلوها عن شايبة العصور وتصدير الجملة بالقسم لابراز كمال الاعتناء بمضمونها اي وبالله لقد زينا
اقرب السموات الى الارض بمصابيح اي بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج من السيارات والثوابت
ترى اي كان كلها مركوزة فيها مع ان بعضها في سايرها وما ذاك الا لان كلا منها واحدة منها
مخلوقة على نمط رايق بحار في فنه الابكار وطراز فايق يبهم في دركه الانظار وجعلناها رجوما للشياطين
وجعلنا لها فايدة اخرى هي رجم اعدائكم بانقضاض الشهب المقتبسة من نار الكواكب وقيل معناه
جعلنا كواكبها رجوما بالغيب لشياطين الانس وهم المنجمون ولا يساعده المقام والرجوم جمع رجم بالفتح
وهو ما يرجم به واعتدنا لهم في الآخرة عذاب السعير بعد الاحراق في الدنيا بالشهب وللذين كفروا بربهم من
الشياطين وغيرهم عذاب جهنم وقرئ بالنصب على انه عطف على عذاب السعير وللذين على لهم وبئس
المصير اي جهنم اذا القوا فيها سمعوا لها اي لجهنم وهو متعلق بمحذوف وقع حالا من قوله تعالى شهيقا لانه في
الاصل صفته فلما قدمت صارت حالا اي سمعوا كائنا لها شهيقا اي صوتا كصوت الحمير وحسبهما
المنكر الفظيع قالوا الشهيق في الصدر والزفير في الحلق وهي تفور اي والحال انها تغلي بهم غليان المرجل

بما فيه وجعل الشهيق لأهلها منهم ومن طرح فيها قبلهم كما في قوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق يرد قوله تعالى
تكاد تميز اي تتميز وتتفرق من الغيظ اي من شدة الغضب عليهم فانه صريح في انه من آثار الغضب
عليهم كما في قوله تعالى سمعوا لها تغيظا وزفيرا فان هو من شهيق الباكي من شدة ما يقاسونه من العذاب
الاليم والجملة اما حال من فاعل تفور او خبر آخر وقوله تعالى كلما ألقي فيها فوج استيناف مسوق لبيان حال
أهلها بعد بيان حال نفسها وقيل حال من ضمير ها اي كلما ألقي فيها جماعة من الكفرة سألهم خزنتها بطريق
التوبيخ والتقريع ليزدادوا عذابا فوق عذاب وحسرة على حسرة ألم يأتكم نذير يتلو عليكم آيات ربكم وتنذرونكم
لقاء يومكم هذا كما وقع في سورة الزمر ويعرب عنه جوابهم ايضا قالوا اعترافا بانه تعالى قد انزاح عللهم بالكلية
بلى قد جاءنا نذير جامعين بين حرف الجواب ونفس الجملة المجاب بها مبالغة في الاعتراف بمجيء
النذير وتحسرا على ما فاتهم من الاستعادة في تصديقهم وتمهيد البيان ما وقع منهم من التفريط تندما وتو
اغتماما على ذلك اي قال كل فوج من تلك الافواج قد جاءنا نذير اي واحد حقيقة او حكما كانبياء بني اسرائيل
فانهم في حكم نذير واحد فانذرنا وتلا علينا ما نزل الله تعالى عليه من آياته فكذبنا ذلك النذير في كونه نذيرا
من جهته تعالى وقلنا في حق ما تلاه من الآيات افراطا في التكذيب وتماديا في النكير ما نزل الله على احد
من شيء من الاشياء فضلا عن تنزيل الآيات عليكم ان انتم اي ما انتم في ادعاء انه تعالى تنزل عليكم
آيات تنذرونا بما فيها الا في ضلال كبير بعيد عن الحق والصواب وجمع ضمير الخطاب مع ان مخاطب
كل فوج نذيره لتغليظ على امثاله مبالغة في التكذيب وتماديا في التضليل كما ينبئ عنه تعميم المنزل مع ترك ذكر
المنزل عليه فانه ملوح بعمومه حتما واما اقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل فامر تحقيقي يصار اليه بعد
ما ارتكبوه من الجناية لامساغ لاعتباره من جهتهم ولا لاد راجه تحت عبارتهم كيف لا وهو منوط بملاحظة
اجماع النذر على ما لا يختلف من الشرايع والاحكام باختلاف العصور والاعوام واين هم من ذلك
وقد حال الجريض دون القريض هذا اذا جعل ما ذكر حكاية عن كل واحد من الافواج واما اذا جعل حكاية
عن الكل فالنذير اما بمعنى الجمع لانه فعيل او مصدر مقدر بمضاف عام اي اهل نذير او منعوت به
فيتفق كل طرفي الخطاب في الجهة ومن اعتبر الجهة باحد الوجوه الثلثة على التقدير الاول ولم يخص
اعتبارها بالتقدير الاخير فقد اشتبه عليه الشؤون واختلط به الظنون وقد جوز ان يكون الخطاب من كلام
الخزنة للكفار على ارادة القول على ان مرادهم بالضلال ما كانوا عليه في الدنيا او بلاكم او عقاب ضلالهم
تسمية له باسم سببه وان يكون من كلام الرسل للكفرة وقد حكوه للخزنة فتامل وكن على الحق المبين وقالوا
ايضا معترفين بانهم لم يكونوا ممن يسمع او يعقل لو كنا نسمع كلاما او نعقل شيئا ما كنا في اصحاب السعير
اي في عدادهم ومن اتباعهم وهم الشياطين لقوله تعالى واعتدنا لهم عذاب السعير كان الخزنة قالوا لهم في معرض
التوبيخ الم تسمعوا آيات ربكم ولم تعقلوا معانيها حتى لا تكذبوا بها فاجابوا بذلك فاعترفوا بذنبهم
الذي هو كفرهم وتكذيبهم بآيات الله ورسله فسحقا بسكون الحاء وقرئ بضمها مصدر مؤكد اما لفعل
متعد من المزيد بحذف الزوائد كما في قعدك الله اي فاسحقهم الله اي ابعدهم من رحمته سحقا اي اسحقا
او لفعل مترتب على ذلك الفعل اي فاسحقهم الله فسحقوا اي بعدوا سحقا اي بعدا كما في قول من قال دعته
دهريا بن مروان لم يدع من المال الا مسحتا او مجلف اي لم يدع فلم يبق الا مسحتا او مجلفا وعلى هذين الوجهين

الوجهين قوله تعالى وانبتها نباتا حسنا واللام في قوله تعالى لاصحاب السعير للبيان كما في هيت لك ونحوه
والمراد بهم الشياطين والداخلون في عدادهم بطريق التغليب ان الذين يخشون ربهم بالغيب
اي يخافون عذابه غائبا عنهم او غائبين عنه او عن اعين الناس او بما في منهم وهو قلوبهم لهم مغفرة
عظيمة لذنوبهم واجر كبير لا يقادر قدره واسروا قولكم او اجهروا به بيان لتساوي السر والجهر
بالنسبة اليه تعالى كما في قوله تعالى سواء منكم من اسر القول ومن جهر به قال ابن عباس نزلت في المشركين
كانوا ينالون من النبي صلعم فيوحى اليه عليه السلم فعال بعضهم لبعض اسروا قولكم كيلا يسمع رب محمد فقيل
لهم اسروا ذلك او اجهروا به فان الله يعلمه وتقديم السر على الجهر للايذان باقتضاهم ووقوع ما يخدرونه
من اول الامر والمبالغة في بيان شمول علمه المحيط بجميع المعلومات كان علمه تعالى بما يسرونه اقدم منه
بما يجهرون به مع كونهما في الحقيقة على السوية فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود
كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى او لان مرتبة السر متقدمة على مرتبة الجهر اذ ما من شيء يجهر به الا وهو
او مباديه مضمر في القلب يتعلق به الاسرار غالبا فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته
الثانية وقوله تعالى انه عليم بذات الصدور تعليل لما قبله وتقرير له وفي صيغة الفعيل وتخلية الصدور
بلام الاستغراق ووصف الضمائر بصاحبيتها من الجزالة ما لا غاية وراءه كانه قيل انه مبالغ في
الاحاطة بمضمرات جميع الناس واسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تكاد تفارقها اصلا
فكيف يخفى عليه ما تسرونه وتجهرون به ويجوز ان يراد بذات الصدور القلوب التي في الصدور
والمعنى انه عليم بالقلوب واحوالها فلا يخفى عليه سر من اسرارها وقوله تعالى الا يعلم من خلق
انكار ونفي لعدم احاطة علمه تعالى بالمضمر والمظهر اي الا يعلم السر والجهر من اوجد بموجب حكمته
جميع الاشياء التي هما من جملتها وقوله تعالى وهو اللطيف الخبير حال من فاعل يعلم مؤكدة للانكار
والنفي اي الا يعلم ذلك والحال انه المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن ويجوز ان يكون من خلق مفعولا
والمعنى الا يعلم الله من خلقه والحال انه بهذه المثابة من شمول العلم ولا مساغ لاخلاء العلم
عن المفعول باجرائه مجرى يعطي ويمنع على معنى الا يكون عالما من خلق لان الخلق لا يتاتى بدون العلم
لخلو الحال حينئذ عن الافادة لان نظم الكلام حينئذ الا يكون عالما وهو مبالغ في العلم هو الذي
جعل لكم الارض ذلولا ليتنة يسهل عليكم السلوك فيها وتقديم لكم على مفعولي الجعل مع ان حقه
التاخر عنها للاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر فان مآحة التقديم اذا اخر لا سيما عند كون
المقدم مما يدل على كون المؤخر من منافع المخاطبين تبقى النفس مترقبة لورود فيتمكن لديها عند
ذكره فضل تمكن والفاء في قوله تعالى فامشوا في مناكبها لترتيب الجعل المذكور اي فاسلكوا في
جوانبها واجبالها وهو مثل لغرط التذليل فان منكب البعير ارق اعضائه وابنائها عن ان يطاه
الراكب بقدمه فاذا جعل الارض في الذل بحيث يتاتى المشي في مناكبها لم يبق منها شيء لم تتذلل
وكلوا من رزقه والتمسوا من نعم الله والله النشور اي المرجع بعد البعث لا الى غيره
فبالغوا في شكر نعمه والآية امنتم من في السماء اي الملائكة الموكلين بتدبير هذا العالم والله
سبحانه على تاويل من في السماء امره وقضاؤه او على زعم العرب حيث كانوا يرون عن

الامر على ص

انه تعالى في السماء اي أأمنتم من تزعمون انه في السماء وهو متعال عن المكان ان يخسف بكم الارض بعد ما
جعلها لكم ذلولا تمشون في مناكبها وتاكلون من رزقه لكفرانكم تلك النعمة اي يقلبها ملتبسة بكم فيغيبكم فيها كما
فعل بقارون وهو بدل اشتمال من من وقيل هو على حذف الجار اي من ان يخسف فاذا هي تمور اي تضطرب
ذهابا ومجيئا على خلاف ما كانت عليه من الذل والاطمينان ام امنتم من في السماء اضراب عن التهديد بما ذكر
وانتقال الى التهديد بوجه آخر اي بل أأمنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا اي حجارة من السماء كما
ارسلها على قوم لوط واصحاب الفيل وقيل ريحا فيها حجارة وحصباء كانها تقلع الحصباء لشدتها وقوتها
وقيل هي سحاب فيها حجارة فستعلمون عن قريب البتة كيف نذير اي انذاري عند مشاهدتكم للمنذر به
ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ وقرئ فسيعلمون بالياء ولقد كذب الذين من قبلهم من قبل كفار مكة من كفار
الامم السالفة كقوم نوح وعاد واضرابهم والالتفات الى الغيبة لابراز الاعراض عنهم فكيف كان نكير اي
انكاري عليهم بانزال العذاب اي كان على غاية الهول والفظاعة وهذا هو مورد التاكيد القسمي لا تكذيبهم
فقط وفيه من المبالغة في تسلية رسول الله صلعم وتشديد التهديد لقومه ما لا يخفى اولم يروا اي اغفلوا
ولم ينظروا الى الطير فوقهم صافات باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطتها
صففن قوادمها صفا ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن حينا فحينا للاستظهار به على
التحرك وهو السر في ايثار يقبضن الدال على تجدد القبض تارة بعد تارة على قابضات ما يمسكهن في
الجو عند الصف والقبض على خلاف مقتضى الطبع الا الرحمن الواسع رحمته كل شيء بان براهن
على اشكال وخصايص وهيأهن للجري في الهواء والجملة مستانفة او حال من الضمير في يقبضن انه
بكل شيء بصير يعلم كيفية ابداع المبدعات وتدبير المصنوعات وقوله تعالى امن هذا الذي هو جند لكم
ينصركم من دون الرحمن تبكيت لهم بنفي ان يكون لهم ناصر غير الله تعالى كما يلوح به التعرض لعنوان الرحمانية
ويعضده قوله تعالى ما يمسكهن الا الرحمن او ناصر من عذابه تعالى كما هو الانسب بما سياتي في قوله تعالى ان امسك رزقه
كقوله تعالى ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا في المعنيين معا خلا ان الاستفهام هناك متوجه الى نفس المانع
وتحققه وههنا الى تعيين الناصر لتبكيتهم باظهار عجزهم عن تعيينه وام منقطعة مقدرة ببل المفيدة للانتقال
من توبيخهم على ترك التامل فيما يشاهدونه من احوال الطير المنبئة عن تعاجيب آثار قدرة الله عز وجل الى
التبكيت بما ذكر والالتفات للتشديد في ذلك ولا سبيل الى تقدير الهمزة معها لان ما بعدها من الاستفهامية
وهي مبتدا وهذا خبره والموصول مع صلته صفته كما في قوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده وايثار هذا لتحقير
المشار اليه وينصركم صفة لجند باعتبار لفظه ومن دون الرحمن على الوجه الاول اما حال من فاعل ينصركم
او نعت لمصدره وعلى الثاني متعلق بينصركم كما في قوله تعالى من ينصرني من الله فالمعنى بل من هذا الحقير الذي
هو في زعمكم جند لكم ينصركم متجاوزا نصر الرحمن او ينصركم نصرا كائنا من دون نصره تعالى او ينصركم من عذاب
كائن من عند الله عز وجل وتوهم ان ام معادلة لقوله تعالى اولم يروا الخ مع القول بان من استفهامية
مما لا تقريب له اصلا وقوله تعالى ان الكافرون الا في غرور اعتراض مقرر لما قبله ناع عليهم ما هم فيه من غاية
الضلال اي ما هم في زعمهم انهم محفوظون من النوايب بحفظ آلهتهم لا بحفظه تعالى فقط او ان آلهتهم تحفظهم
من باس الله الا في غرور عظيم وضلال فاحش من جهة الشيطان ليس لهم في ذلك شيء يعتد به في الجملة والالتفات

والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء حالهم للاعراض عنهم وبيان قبايحهم لغيرهم والاظهار في موقع الاضمار
لذمهم بالكفر وتعليل غرورهم به والكلام في قوله تعالى امن هذا الذي يرزقكم ان امسك اي الله عز وجل رزقه
بامساك المطر وساير مباديه كالذي مر تفصيله خلي ان قوله تعالى بل لجوا في عتو ونفور مبني عن مقدر يستدعيه
المقام كانه قيل اثر تمام التبكيت والتعجيز لم يتاثروا بذلك ولم يذعنوا للحق بل لجوا وتمادوا في عتو اي عناد
واستكبار وطغيان ونفور اي شراد عن الحق وقوله تعالى افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى الخ مثل ضرب
للمشرك والموحد توضيحا لحالهما وتحقيقا لشان مذهبيهما والفاء لترتيب ذلك على ما ظهر من سوء حالهم
وخروجهم في مهاوي الغرور وركوبهم متن عشواء العتو والنفور وعدم اهتدائهم في مسلك المحاجة
الى جهة يتوهم فيها رشد في الجملة فان تقدم الهمزة عليها صورة انما هو لاقتضائها الصدارة
واما بحسب المعنى فالامر بالعكس كما هو المشهور حتى لو كان مكان الهمزة هل لقيل فهل من يمشي
مكبا الخ والمكب الساقط على وجهه يقال اكب خر على وجهه وحقيقته صار ذا كب ودخل في الكب
كاقشع الغمام اي صار ذا قشع والمعنى افمن يمشي وهو يعثر في كل ساعة ويخر على وجهه في
كل خطوة لتوعر طريقه واختلال قواه اهدى الى المقصد الذي يؤمه امن يمشي سويا اي قايما
سالما من الخبط والعثار على صراط مستقيم مستوي الاجزاء لا عوج فيه ولا انحراف
وقيل خبر من الثانية محذوف لدلالة خبر الاولى عليه ولا حاجة الى ذلك فان الثانية معطوفة
على الاولى عطف المفرد على المفرد كقولك ازيد افضل ام عمرو وقيل اريد بالمكب الاعمى
وبالسوي البصير وقيل من يمشي مكبا هو الذي يحشر على وجهه الى النار ومن يمشي سويا الذي يحشر
على قدميه الى الجنة قل هو الذي انشاكم انشاء بديعا وجعل لكم السمع لتسمعوا آيات الله وتمتثلوا
بما فيها من الاوامر والنواهي وتتعظوا بمواعظها والابصار لتنظروا بها الى الآيات التكوينية الشاهدة
بشؤون الله عز وجل والافئدة لتتفكروا فيها فيما تسمعونه وتشاهدونه من الآيات التنزيلية والتكوينية
وترتقوا في معارج الايمان والطاعة قليلا ما تشكرون اي باستعمالها فيما خلقت لاجله من الامور
المذكورة وقليلا اما نعت لمحذوف وما مزيدة لتاكيد القلة اي شكرا قليلا او زمانا قليلا تشكرون
وقيل القلة عبارة عن العدم قل هو الذي ذراكم في الارض اي خلقكم وكثركم فيها لا غيره واليه
تحشرون للجزاء لا الى غيره اشتراكا او استقلالا فابنوا اموركم على ذلك ويقولون من فرط
عتوهم وعنادهم متى هذا الوعد اي الحشر الموعود كما ينبئ عنه قوله تعالى واليه تحشرون ان كنتم
صادقين يخاطبون به النبي عليه السلام والمؤمنين حيث كانوا مشاركين له عليه السلام في الوعد وتلاوة الآيات
المتضمنة له وجواب الشرط محذوف اي ان كنتم صادقين فيما تخبرونه من مجيء الساعة والحشر فبينوا
وقته قل انما العلم اي العلم بوقته عند الله عز وجل لا يطلع عليه غيره كقوله تعالى قل انما علمها عند ربي
وانما انا نذير مبين انذركم وقوع الموعود لا محالة واما العلم بوقت وقوعه فليس من وظايف
الانذار والفاء في قوله تعالى فلما راوه فصيحة معربة عن تقدير جملتين وترتيب الشرطية
عليهما كانه قيل وقد اتاهم الموعود فراوه فلما راوه الخ كما مر تحقيقه في قوله تعالى فلما راه
مستقرا عنده الا ان المقدر هناك امر واقع مترتب على ما قبله بالفاء وههنا امر منزل

منزلة الواقع وارد على طريقة الاستيناف وقوله تعالى زلفة حال من مفعول راوا اما تقدير المضاف
اى ذا زلفة وقرب او على انه مصدر بمعنى الفاعل او مزلفا او على انه مصدر نعت به مبالغة
او ظرف اى راوه فى مكان ذى زلفة سيئت وجوه الذين كفروا بان غشيتها الكآبة ورهقها
القتر والذلة ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بالكفر وتعليل المساءة به وقيل توبيخا لهم
وتشديدا لعذابهم هذا الذى كنتم به تدعون اى تطلبونه فى الدنيا وتستعجلونه انكارا واستهزاء
على انه تفتعلون من الدعاء وقيل هو من الدعوى اى تدعون ان لا بعث ولا حشر وقرئ
تدعون هذا وقد روى عن مجاهد ان الموعود عذاب يوم بدر وهو بعيد قل ارايتم اخبرونى
ان اهلكنى الله اى اماتنى والتعبير عنه بالاهلاك لما كانوا يدعون عليه عليه السلم وعلى المؤمنين
بالهلاك ومن معى من المؤمنين او رحمنا بتاخير اجالنا فحن فى جوار رحمة مترقبون لاحدى الحسنيين
فمن يجير الكافرين من عذاب اليم اى لا ينجيكم منه احد منا او بقينا ووضع الكافرين موضع ضميرهم
للتسجيل عليهم بالكفر وتعليل بغى الالجاء به قل هو الرحمن اى الذى ادعوكم الى عبادته مولى النعم كلها
آمنا به وحده لما علمنا ان كل ما سواه فاما نعمة او منعم عليه وعليه توكلنا لا على غيره اصلا لعلمنا بانه
ما عداه كاينا ما كان بمعزل من النفع والضر فستعلمون عن قريب البتة من هو فى ضلال مبين
منا ومنكم وقرئ فسيعلمون بالياء التحتانية قل ارايتم اى اخبرونى ان اصبح ماؤكم غورا
اى غايرا فى الارض بالكلية وقيل بحيث لا تناله الدلاء وهو مصدر وصف به فمن ياتيكم بماء
معين جار او ظاهر سهل المأخذ عن النبى عم من قرا سورة الملك فكانما احيى ليلة القدر والله اعلم

ن بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر وبالفتح لالتقاء الساكنين ويجوز ان يكون الفتح باضمار حرف
القسم فى موضع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر وان يكون ذلك نصبا باضمار اذكر لافتحا كما كان
فى فاتحة سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتانيث على انه علم للسورة ثم ان جعل
اسما للحرف مسرودا على نمط التعديد للتحدى باحد الطريقين المذكورين فى موقعه او اسما للسورة
منصوبا على الوجه المذكور او مرفوعا على انه خبر لمبتدا محذوف فالوا وفى قوله تعالى والقلم للقسم
وان جعل معتمدا به فهى للعطف عليه وايا ما كان فان اريد به قلم اللوح والكرام الكاتبين
فاستحقاقه للاعظام بالاقسام به ظاهر وان اريد به الجنس فاستحقاقه لما فى ايدى الناس
لذلك لكثرة منافعه ولو لم يكن له مزية سوى كونه آلة لتحرير كتب الله عز وجل لكفى به فضلا موجبا
لتعظيمه وقرئ بادغام النون وما يسطرون الضمير لاصحاب القلم المدلول عليهم بذكره وقيل للقلم
على ان المراد به اصحابه كانه قيل واصحاب القلم ومسطوراتهم على ان ما موصولة او وسطرهم
على انها مصدرية وقيل للقلم نفسه باسناد الفعل الى الآلة واجرائه مجرى العقلاء لقيامهم
مقامهم وقيل المراد بالقلم ما خط اللوح خاصة والجمع للتعظيم وقوله تعالى ما انت بنعمة ربك
بمجنون جواب القسم والباء متعلقة بمضمر هو حال من الضمير فى خبر ما والعامل فيها معنى النفى كانه

كانه قيل انت برئ من الجنون طلبا لنعمة الله التى هى النبوة والرياسة العامة والتعرض لوصف
الربوبية المبنية عن التبليغ الى معارج الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه السلم لتشريفه والايذان بانه
تعالى يتم نعمته عليه ويبلغه من العلو الى غاية لا غاية ورآء والمراد تنزيهه عليه السلم عما كانوا ينسبونه اليه من الجنون
حسدا وعداوة ومكابرة مع جزمهم بانه عليه السلم فى غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات الدانية
من حصافة العقل ورزانة الراى وان لك بمقابلة مقاساتك الوان الشدايد من جهتهم وتحملك لاعباء
الرسالة لاجرا لا ثوابا عظيما لا يقادر قدره غير ممنون مع عظمه كقوله تعالى عطاء غير مجذوذ او غير ممنون عليك
من جهة الناس فانه عطاؤه تعالى بلا توسط وانك لعلى خلق عظيم لا يدرك كنهه احد من الخلق ولذلك
تحمل من جهتهم ما لا يكاد يحتمله البشر وسئلت عائشة رضى الله عنها عن خلقه عليه السلم فقالت كان خلقه
القرآن الست تقرا القرآن قد افلح المؤمنون والجملتان معطوفتان على جواب القسم فستبصر
ويبصرون قال ابن عباس فستعلم ويعلمون يوم القيمة حين يتبين المحق من المبطل وقيل فستبصر
ويبصرون فى الدنيا بظهور عاقبة امرهم بغلبة الاسلام واستيلائك عليهم بالقتل والنهب وصيرورتك
مهيبا معظما فى قلوب العالمين وكونهم اذلة صاغرين قال مقاتل هذا وعيد بعذاب يوم بدر بايكم المفتون
اى ايكم الذى فتن بالجنون والباء مزيدة او بايكم الجنون على ان المفتون مصدر كالمعقول والمجلود او
باى الفريقين منكم المجنون ابفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين او فى ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم
وهو تعريض بابى جهل ابن هشام والوليد بن المغيرة وغيرهما كقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب
الاشر وقوله تعالى ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله تعليل لما ينبئ عنه ما قبله من ظهور جنونهم بحيث لا يخفى
على احد وتاكيد لما فيه من الوعد والوعيد اى هو اعلم بمن ضل عن سبيله تعالى الموصى الى سعادة الدارين
وبهائم فى تيه الضلال متوجها الى ما يفضيه الى الشقاوة الابدية وهذا هو المجنون الذى لا يفوق بين النفع
والضر بل يحسب الضر نفعا فيوثره والنفع ضرا فيجره وهو اعلم بالمهتدين الى سبيله الفايزين بكل
مطلوب الناجين عن كل محذور وهم العقلاء المراجيح فيجزى كلا من الفريقين حسبما يستحقه من العقاب
والثواب واعادة هو اعلم لزيادة التقرير والفاء فى قوله تعالى فلا تطع المكذبين لترتيب النهى على ما
ينبئ عنه ما قبله من ابتداء الله عليه السلم وضلالهم او على جميع ما فصل من اول السورة وهذا تهييج والهاب
للتصميم على معاصاتهم اى دم على ما انت عليه من عدم طاعتهم وتصلب فى ذلك او نهى عن مداهنتهم
ومدارتهم باظهار خلاف ما فى ضميره عليه السلم استجلابا لقلوبهم لا عن طاعتهم حقيقة كما ينبئ عنه قوله تعالى
ودوا لو تدهن فانه تعليل للنهى او للانتهاء وما معتبر عنها بالطاعة للمبالغة فى الزجر والتنفير اى
احبوا لو تلاينهم وتسامحهم فى بعض الامور فيدهنون اى فهم يدهنون حينئذ او فهم الان يدهنون
طمعا فى ادهانك وقيل هو عطف على تدهن داخل فى حيز لو والمعنى ودوا لو يدهنون عقيب
ادهانك وياباه ما سياتى من بدئهم بالادهان على ان ادهانهم امر محقق لا يناسب ادخاله تحت
التمنى واما كان فالمعتبر فى جانبهم حقيقة الادهان الذى هو اظهار الملاينة واضمار خلافها واما فى
جانبه عليه السلم فالمعتبر بالنسبة الى وداداتهم هو اظهار الملاينة فقط واما اضمار خلافها فليس فى حيز
الاعتبار بل هم فى غاية الكراهة له واغا اعتباره بالنسبة اليه عليه السلم وفى بعض المصاحف فيدهنوا على

انه جواب التمنّي المفهوم من ودّوا وان مابعده حكاية لودادتهم وقيل على انه عطف على تدهن بناءً على
ان لو بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا لودّوا
كانه قيل ودّوا ان تدهن فيدهنوا وقيل لو على حيتيتها وجوابها محذوف وكذا مفعول ودّوا اى وددوا
ادبانك لو تدهن فيدهنون لسرّوا بذلك ولا تطع كل حلاف كثير الحلف فى الحق والباطل تعليم
هذا الوصف على سائر الاوصاف الزاجرة عن الطاعة لكونه ادخل فى الزجر مهين حقير الراى والتدبير
همّاز عياب طعّان مشاء بنميم مفرّق نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم
فان النميم والنميمة السعاية مناع للخير اى يخيل اومناع للناس من الخير الذى هو الايمان والطاعة والانفاق
معتد متجاوز فى الظلم اثيم كثير الآثام عتل جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلظه بعد ذلك بعد ما
عدّ من مثالبه زنيم دعى ماخوذ من الزنمة وهى الهنة من جلد الماعزة تقطع فتتلى متدلية فى حلقها وفى قوله
بعد ذلك دلالة على ان دعوته اشدّ معابة واقبح فبائحه قيل هو الوليد بن المغيرة فانه كان دعيّا فى
قريش وليس من نسبهم ادعاه المغيرة بعد ثمانى عشرة من مولده وقيل هو الاخنس بن شريق اصله من
ثقيف وعداوته فى زهرة ان كان ذا مال وبنين متعلق بقوله تعالى لا تطع اى لا تطع من هذه مثالبه لان كان
متمولا مستظهرا بالبنين وقوله تعالى اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين استيناف جار مجرى التعليل
للنهى وقيل متعلق بمادل عليه الجملة الشرطية من معنى الجحود والتكذيب لا بجواب الشرط لان ما بعد الشرط
لا يعمل فيما قبله كانه قيل لكونه مستظهرا بالمال والبنين كذب بآياتنا وفى اذا دليل على انه حدث تكذيبه كونه
ذا مال وبنين من غير ان يكون لسائر قبائحه دخل فى ذلك وقرئ ان كان على معنى الا ان كان ذا مال كذبت
بها او اتطبعه لان كان ذا مال وقرئ ان كان بالكسر والشرط للنحى طبا اى لا تطع كل حلاف شارطا
يساره لان اطاعة الكافر لغناه بمنزلة اشتراطه غناه فى الطاعة سنسمه على الخرطوم بالكى على
اكرم مواضعه لغاية اهانته واذلاله قيل اصاب الف الوليد جراحة يوم بدر فبقيت علامتها وقيل
معناه نسمه يوم القيمة بعلامة مشوهة تعلم بها عن سائر الكفرة انا بلوناهم اى اهل مكة بالقحط بدعوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم كما بلونا اصحاب الجنة وهم قوم من اهل الصلوة كانت لابيهم بهذه الجنة دون
صنعاء بفرسخين فكان ياخذ منها قوت سنته ويتصدق بالباقى وكان ينادى الفقراء وقت الصرام ويترك لهم
ما اخطاه المنجل وما فى اسفل الاكداس وما اخطاه القطاف من العنب وما بقى على البساط الذى يبسط
تحت النخلة اذا صرمت فكان يجتمع لهم شئ كثير فلما مات ابوهم قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق
علينا الامر فحلفوا فيما بينهم وذلك قوله تعالى اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ليقطعنها داخلين فى الصباح ولا
يستثنون اى لا يقولون ان شاء الله وتسميته استثناء مع انه شرط من حيث ان مؤداه مؤدى
الاستثناء فان قولك لاخرجن ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله بمعنى واحد ولا يستثنون
حصة المساكين كما كان يفعله ابوهم والجملة مستانفة فطاف عليها اى على الجنة طائف بلاء او نار
وقرئ طيف من ربك مبتدئ من جهته تعالى وهم نائمون غافلون عما جرت به المقادير فاصبحت كالصرم
كالبستان الذى صرمت ثماره بحيث لم يبق فيها شئ فعيل بمعنى مفعول وقيل كالليل اى احترقت فاسودت
وقيل كالنهار اى يبست وابيضت سميا بذلك لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه وقيل الصريم الرماد

الرماد فتنادوا اى نادى بعضهم بعضا مصبحين داخلين فى الصباح ان اغدوا اى اغدوا على ان
ان مفسّرة او بان اغدوا على انها مصدرية اى اخرجوا اغدوة على حرثكم بساتينكم وصيغتكم وتعديته
الغدو بعلى لتضمينه معنى الاقبال او الاستيلاء ان كنتم صارمين قاصدين للصرم فانطلقوا وهم يتخافتون
اى يتشاورون فيما بينهم بطريق المخافتة وخفى وخفت وخفد ملاشتهافى معنى الكتم ومنه الخفر والخفاش
ان لا يدخلنها اى الجنة اليوم عليكم مسكين ان مفسّرة لما فى التخافت من معنى القول وقرئ بطرحها
على اضمار القول والمراد نهى المسكين عن الدخول المبالغة فى النهى عن تمكينه من الدخول كقولهم
لا ارينك ههنا وغدوا على حرد قادرين اى على فقر لاغير من حاردت السنة اذا لم يكن فيها مطر وحاردت
الابل اذا امسعت درّا والمعنى انهم ارادوا ان يتفقدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على تعهم
فغدوا الحال لا يقدرون فيها الا على النكد والحرمان وذلك انهم طلبوا حرمان المساكين فعجلوا الحرمان والمسكنة
او وغدوا على محاورة جنتهم وذهاب خيرها قادرين بدل كونهم قادرين على اصابة خيرها ومنافعها اى غدوا
حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع وقيل الحرد والحرد وقد قرئ بذلك اى
لم يقدروا الا على حنق بعضهم لبعض لقوله تعالى يعضون وقيل الحرد القصد والسرعة اى غدوا قاصدين
الى جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم على صرامها وقيل هو علم للجنة فلما رأوها قالوا فى بديهة رؤيتهم انا
لضالون اى طريق جنتنا وما هى بها بل نحن محرومون قالوه بعد ما تاملوا ووقفوا على حقيقة الامر مضربين
عن قولهم الاول اى لسنا ضالين بل نحن محرومون حرمنا خيرها بجنايتنا على انفسنا قال اوسطهم اى رايا
اوسنا الم اقل لكم لولا تسبحون لولا تذكرون الله تعالى وتتوبون اليه من خبث نيتكم وقد كان قال لهم
حين عزموا على ذلك اذكروا الله وتوبوا اليه عن هذه العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا الى حسم شرها
قبل حلول النقمة فعصوه فغير هم كما ينبئ عنه قوله تعالى قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين وقيل المراد بالتسبيح
الاستثناء لاشتراكهما فى التعظيم او لانه تنزيه له تعالى عن ان يجرى فى ملكه ما لا يشاؤه فاقبل بعضهم على
بعض يتلاومون اى يلوم بعضهم بعضا فان منهم من اشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من
سكت ورأى ان لا فائدة فى التلاوم قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين متجاوزين حدود الله عسى ربنا ان يبدلنا
وقرئ بالتشديد اى يعطينا بدلها مبالغة فى التوبة والاعتراف بالخطيئة خيرا منها انا الى ربنا راغبون
راجون العفو طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة او لتضمنها معنى الرجوع عن مجاهرة تابوا فابدلوا
خيرا منها وروى انهم تعاقدوا وقالوا ان ابدلنا الله خيرا منها لنصنعن كما صنع ابونا فعوا الله تعالى
وتضرعوا اليه فابدلهم الله الجنة من ليلتهم فاصبحوا فيها كالصريم فلما رأوها قالوا ان الله اخذ علينا لنا ان يتقبل توبتنا
المحرقة فيجعلها بمرعى من ارض الشام ويأخذ من الشام جنة فيجعلها مكانها وقال ابن مسعود رضى الله عنه ان
القوم لما اخلصوا وعرف الله منهم الصدق ابدلهم جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا
وقال ابو خالد اليمانى دخلت تلك الجنة فرايت كل عنقود منها كالرجل الاسود القائم وسئل قتادة
عن اصحاب الجنة انهم من اهل الجنة ام من اهل النار فقال لقد كلفتنى تعبا وعن الحسن قول اصحاب
الجنة انا الى ربنا راغبون لا ادرى ايلتا كان ذلك منهم او على حد ما يكون من المشركين اذا اصابتهم
الشدة فتوقف فى امرهم والاكثرون على انهم تابوا واخلصوا حكاه القشيرى كذلك العذاب

جملة من مبتدأ وخبر مقدم لافادة القصر والالف واللام للعهد اي مثل الذي بلونا به اهل مكة واصحاب
الجملة عذاب الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر اعظم واشد لو كانوا يعلمون انه اكبر لاحترزوا عما يؤديهم
اليه ان للمتقين اي من الكفر والمعاصي عند ربهم اي في الآخرة او في جوار القدس جنات النعيم جنات
ليس فيها الا التنعم الخالص عن شائبة ما ينغصه من الكدورات وخوف الزوال كما عليه نعيم الدنيا وقوله تعالى
افنجعل المسلمين كالمجرمين تقرير لما قبله من فوز المتقين بجنات النعيم ورد لما يقوله الكفرة عند
سماعهم بحديث الآخرة وما وعد الله المسلمين فيها فانهم كانوا يقولون ان صح انا نبعث كما يزعم محمد
ومن معه لم يكن حالنا وحالهم الا مثل ما هي في الدنيا والا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا واقصى امرهم
ان يساوونا والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر تقتضيه المقام اي الحيف في الحكم فنجعل
المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم بطريق الالتفات لتاكيد الرد وتشديده ما لكم كيف تحكمون تعجيبا
من حكمهم واستبعادا له وايذانا بانه لا يصدر عن عاقل ام لكم كتاب نازل من السماء فيه تدرسون
اي تقرؤن ان لكم فيه لما تخيرون اي ما تتخيرونه وتشتهونه واصله ان لكم بالفتح لانه مدروس فلما
جيء باللام كسرت ويجوز ان يكون حكاية للمدروس كما هو قوله تعالى وتركنا عليه في الآخرين سلام
على نوح في العالمين وتخير الشيء واختاره اخذ خيره ام لكم ايمان علينا اي عهود مؤكدة بالايمان
بالغة متناهية في التوكيد وقرئت بالنصب على الحال والعامل فيها احد الظرفين الى يوم القيمة
متعلق بالمقدر في لكم اي ثابتة لكم الى يوم القيمة لا تخرج عن عهدتها حتى نحكمكم يومئذ ونعطيكم ما
تحكمون او ببالغة اي ايمان تبلغ ذلك اليوم وتنتهي اليه وافرة لم يبطل منها يمين ان لكم لما تحكمون
جواب القسم لان معنى ام لكم علينا ايمان ام اقسمنا لكم سلهم تلوين للخطاب وتوجيه له
الى رسول الله صلعم باسقاطهم عن رتبة الخطاب اي سلهم مبكتا لهم ايهم بذلك الحكم الخارج
عن العقول زعيم اي قائم يتصدى لتصحيحه ام لهم شركاء يشاركونهم في هذا القول ويذهبون
مذهبهم فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين في دعواهم اذ لا اقل من التقليد وقد نبه في
هذه الآيات الكريمة على ان ليس لهم شيء يتوهم ان يتشبثوا به حتى التقليد الذي لا يفلح من تشبث
بذيله وقيل المعنى او لهم شركاء يجعلونهم مثل المسلمين في الآخرة يوم يكشف عن ساق اي يوم
يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل في ذلك واصله تشمير المخدرات عن سوقهن
في الهرب قال حاتم اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها وان شمرت من ساقها الحرب
شمرا وقيل ساق الشيء اصله الشيء الذي به قوامه كساق الشجر وساق الانسان اي يوم
يكشف عن الامر فتظهر حقائق الامور واصولها بحيث تصير عيانا وتنكيره للتهويل او التعظيم
وقرئ تكشف بالتاء على البناء للفاعل والمفعول والفعل للساعة او الحال وقرئ نكشف
بالنون وتكشف بالتاء المضمومة وكسر الشين من اكشف الامر اي دخل في الكشف وناصب الظرف
فليأتوا او مضمر مقدم اي اذكر يوم الخ او مؤخر اي يوم يكشف عن ساق الخ يكون من الاهوال وعظائم
الاحوال ما لا يبلغه الوصف ويدعون الى السجود توبيخا وتعنيفا على تركهم اياه في الدنيا وتحسيرا لهم
على تفريطهم في ذلك فلا يستطيعون لزوال القدرة عليه وفيه دلالة على انهم يقصدون السجود فلا يتأتى

وكان صناديد قريش يسرون وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها واذا سمعوا بحديث الآخرة آه كشاف

يتأتى منهم ذلك عن ابن مسعود رض تعقم اصلابهم اي ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثني عند الرفع والخفض
وفي الحديث وتبقى اصلابهم طبقا واحدا اي فقارة واحدة خاشعة ابصارهم حال من مرفوع يدعون
على ان ابصارهم مرتفع به على الفاعلية ونسبة الخشوع الى الابصار لظهور اثره فيها ترهقهم تلحقهم وتغشاهم
ذلة شديدة وقد كانوا يدعون الى السجود في الدنيا والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير او لان
المراد به الصلوة او ما فيها من السجود والدعوة دعوة التكليف وهم سالمون متمكنون منه اقوى تمكن
اي فلا يجيبون اليه ويأبونه وانما ترك ذلك ثقة بظهوره فذرني ومن يكذب بهذا الحديث اي كله
الي فاني اكفيك امره اي حسبك في الايقاع به والانتقام منه ان تكل امره الي وتخلي بيني وبينه
فاني عالم بما يستحقه من العذاب ومطيق له والفاء لترتيب الامر على ما قبلها من احوالهم المحكية اي واذا
كان حالهم في الآخرة كذلك فذرني ومن يكذب بالقرآن وتوكل علي في الانتقام منه وقوله تعالى سنستدرجهم
استيناف مسوق لبيان كيفية التعذيب المستفاد من الامر السابق اجمالا والضمير لمن والجمع
باعتبار معناها كما ان الافراد في يكذب باعتبار لفظها اي سنستنزلهم الى العذاب درجة فدرجة
بالاحسان وادامة الصحة وازدياد النعمة من حيث لا يعلمون انه استدراج وهو الانعام عليهم
بل يزعمون انه ايثار لهم وتفضيل على المؤمنين مع انه سبب لهلاكهم واملي لهم وامهلهم ليزدادوا
اثما وهم يزعمون ان ذلك لارادة الخير بهم ان كيدي متين لا يوقف عليه ولا يدفع بشيء وتسمية ذلك
كيدا لكونه في صورة الكيد ام تسألهم على الابلاغ والارشاد اجرا دنيويا فهم لاجل ذلك من مغرم
اي غرامة مالية مثقلون مكلفون حملا ثقيلا فيعرضون عنك ام عندهم الغيب اي اللوح او المغيبات
فهم يكتبون منه ما يحكمون ويستغنون به عن علمك فاصبر لحكم ربك وهو امهالهم وتاخير نصرتك عليهم ولا تكن
كصاحب الحوت اي يونس عليه السلام اذ نادى في بطن الحوت وهو مكظوم مملوء غيظا والجملة حال من ضمير نادى
وعليها يدور النهي لا على النداء فانه امر مستحسن ولذلك لم يذكر المنادى واذ منصوب بمضاف
اي لا يكن حالك كحاله وقت ندائه اي لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه
لولا ان تداركه نعمة من ربه وقرئ رحمة وهو توفيقه للتوبة وقبولها منه وحسن تذكير الفعل للفصل
بالضمير وقرئ تداركته وتداركه اي تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لو كان يقال فيه تتداركه لنبذ بالعراء
بالارض الخالية من الاشجار وهو مذموم مليم مطرود من الرحمة والكرامة وهو حال من مرفوع نبذ عليها
يعتمد جواب لولا لانها هي المنتفية لا النبذ بالعراء كما مر في الحال الاولى والجملة الشرطية استيناف وارد
لبيان كون المنهي عنه امرا محذورا مستتبعا للغائلة وقوله تعالى فاجتباه ربه عطف على مقدر اي فتداركته
نعمة من ربه فاجتباه بان رد اليه الوحي وارسله الى مائة الف او يزيدون وقيل استنباه ان
صح انه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة فجعله من الصالحين من الكاملين في الصلاح بان عصمه من ان يفعل
فعلا يكون تركه اولى روي انها نزلت باحد حين هم رسول الله عليه السلام ان يدعو على المنهزمين من المؤمنين
وقيل حين اراد يدعو على ثقيف وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم وقرئ ليزلقونك بفتح الياء من
زلقه بمعنى ازلقه ويزهقونك وان هي المخففة واللام دليلها والمعنى انهم من شدة عداوتهم
لك ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك فيرمونك من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني اي

لو امكنه بنظره الصرع لفعله او انهم يكادون يصيبونك بالعين اذ قد روي انه كان في بني اسد عيانون فاراد
بعضهم ان يعين رسول الله صلعم فنزلت وفي الحديث ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر
ولعله من خصايص بعض النفوس وعن الحسن دواء الاصابة بالعين ان تقرأ هذه الآية لما سمعوا الذكر اي وقت
سماعهم بالقرآن على ان لما ظرفية منصوبة بيزلقونك وذلك لاشتداد بغضهم وحسدهم عند سماعه
ويقولون لغاية حيرتهم في امره عليه السلم ونهاية جهلهم بما في تضاعيف القرآن من تعاجيب الحكم وبدايع العلوم
المحجوبة عن العقول المنغمسة باحكام الطبايع ولتنفير الناس عنه انه لمجنون وحيث كان مدار حكمهم الباطل
ما سمعوه منه عليه السلم رد ذلك ببيان علو شانه وسطوع برهانه فقيل وما هو الا ذكر للعالمين على انه حال
من فاعل يقولون مفيدة لغاية بطلان قولهم وتعجيب السامعين من جراءتهم على تفوه تلك العظيمة اي يقولون
ذلك والحال انه ذكر للعالمين اي تذكير وبيان لجميع ما يحتاجون اليه من امور دينهم فاين من انزل عليه
ذلك وهو مطلع على اسراره طرا ومحيط بجميع حقايقه خبرا مما قالوا وقيل معناه شرف وفضل لقوله تعالى
وانه لذكر لك ولقومك وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكونه تذكرا وشرفا للعالمين لا
ريب فيه عن رسول الله عليه السلم من قرأ سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله اخلاقهم

الحاقة اي الساعة او الحالة الثابتة الوقوع الواجبة المجي لا محالة او التي تحق فيها الامور اي تعرف على الحقيقة
من حقه يحقه اذا عرف حقيقته جعل الفعل لها مجازا وهو لما فيها من الامور او لمن فيها من اولي العلم واياما كان
فحذف الموصوف للايذان بكمال ظهور اتصافه بهذه الصفة وجريانها مجرى الاسم وارتفاعها على الابتداء
خبرها ما الحاقة على ان ما مبتدأ ثان والحاقة خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول والاصل ما هي اي اي شيء هي في
حالها وصفتها فان ما قد يطلب بها الصفة والحال فوضع الظاهر موضع المضمر تاكيدا لهولها هذا ما ذكروه
في اعراب هذه الجملة ونظائرها وقد سبق في سورة الواقعة ان مقتضى التحقيق ان يكون ما الاستفهامية
خبرا لما بعدها فان مناط الافادة بيان ان الحاقة امر بديع وخطب فظيع كما يفيده مبتدأ وكون
الحاقة خبرا وقوله تعالى وما ادراك اي واي شيء اعلمك ما الحاقة تاكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة
علوم المخلوقات على معنى ان عظم شانها ومدى هولها وشدتها بحيث لا تكاد تبلغه دراية احد ولا وهمه
وكيفما قدرت حالها فهي اعظم من ذلك واعظم فلا يتسنى الاعلام وما في حيز الرفع على الابتداء وادراك
خبره ولا مساغ ههنا للعكس وما الحاقة جملة من مبتدأ وخبر على الوجه الذي عرفته محلها النصب على
اسقاط الخافض لا ادري يتعدى الى المفعول الثاني بالباء كما في تعالى ولا ادراكم به فلما وقعت جملة الاستفهام
معلقة له كانت في موضع المفعول الثاني والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها من الجملة الواقعة خبرا لقوله
تعالى الحاقة مؤكدة لهولها كما مر كذبت ثمود وعاد بالقارعة اي بالحالة التي تقرع الناس بفنون الاقراع
والاهوال والسماء بالانشقاق والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس
والانكدار ووضعها موضع ضمير الحاقة للدلالة على معنى القرع فيها تشديدا لهولها والجملة استيناف
مسوق لاعلام بعض احوال الحاقة له عليه السلم اثر تقرير انه ما ادراه عليه السلم بها احد كما في قوله تعالى

تعالى وما ادراك ما هيه نار حامية ونظائره خلا ان المبين هناك نفس المسؤول عنها وههنا حال من احوالها
كما في قوله تعالى وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر فكما ان المبين هناك ليس نفس ليلة القدر
بل فضلها وشرفها كذلك المبين ههنا هول الحاقة وعظم شانها وكونها بحيث يحق اهلاك من يكذب بها
كانه قيل وما ادراك ما الحاقة كذبت بها ثمود وعاد فاهلكوا فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية اي بالواقعة
المجاوزة للحد وهي الصيحة او الرجفة واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اي شديدة الصوت لها صرصرة
او شديدة البرد تحرق ببردها عاتية شديدة العصف كانها عتت على خزانها فلم يتمكنوا من ضبطها
او على عاد فلم يقدروا على ردها وقوله تعالى سخرها عليهم الخ استيناف جيء به بيانا لكيفية اهلاكهم
بالريح اي سلطها الله عليهم بقدرته القاهرة سبع ليال وثمانية ايام حسوما اي متتابعات جمع حاسم
كشهود جمع شاهد من حسمت الدابة اذا تابعت بين كيها او نحسات حسمت كل خير واستاصلته
او قاطعات قطعت دابر القوم ويجوز ان يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا او على المصدر
لفعله المقدر حالا اي تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وهي كانت ايام العجوز من صبيحة اربعاء
الى غروب الاربعاء الآخر وانما سميت عجوزا لان عجوزا من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح
في اليوم الثامن فاهلكتها وقيل هي ايام العجز وهي آخر الشتاء واسماؤها الصن والصنبر والوبر
والامر والمؤتمر والمعلل ومطفئ الجمر وقيل مكفئ الظعن فترى القوم اي ان كنت حاضرا حينئذ
فيها في مهابها او في تلك الليالي والايام صرعى موتى جمع صريع كانهم اعجاز نخل اي اصول نخل خاوية
متاكلة الاجواف فهل ترى لهم من باقية اي بقية او نفس باقية او بقاء على انها مصدر كالكاذبة
والطاغية وجاء فرعون ومن قبله اي ومن تقدمه وقرئ ومن قبله اي ومن عنده من اتباعه ويؤيده انه
قرئ ومن معه والمؤتفكات اي قرى قوم لوط اي اهلها بالخاطئة بالخطاء او بالفعلة او الافعال
ذات الخطاء التي من جملتها تكذيب البعث والقيمة فعصوا رسول ربهم اي فعصى كل امة رسولها
حين نهوهم عما كانوا يتعاطونه من القبايح فاخذهم اي الله عز وجل اخذة رابية اي زايدة في الشدة
كما زادت قبايحهم في القبح من ربا الشيء اذا زاد انا لما طغى الماء بسبب اصرار قوم نوح على فنون الكفر
والمعاصي ومبالغتهم في تكذيبه عليه السلم فيما اوحي اليه من الاحكام التي من جملتها احوال القيمة حملناكم اي في
اصلاب آبائكم في الجارية اي في سفينة نوح عليه السلم والمراد بحملهم فيما رفعهم فوق الماء الى انقضاء
ايام الطوفان لا مجرد رفعهم الى السفينة كما يعرب عنه كلمة في فانها ليست بصلة للحمل بل متعلقة بمحذوف
هو حال من مفعوله اي رفعناكم فوق الماء وحفظناكم حال كونكم في السفينة الجارية بامرنا وحفظنا وفيه تنبيه
على ان مدار نجاتهم محض عصمته تعالى انما السفينة سبب صوري لنجعلها اي لنجعل الفعلة التي هي عبارة
عن انجاء المؤمنين واغراق الكافرين لكم تذكرة عبرة ودلالة على كمال قدرة الصانع وحكمته وقوة
قهره وسعة رحمته وتعيها اي تحفظها والوعي ان تحفظ الشيء في نفسك والايعاء ان تحفظه في غير نفسك
من وعاء وقرئ تعيها بسكون العين تشبيها له بكتف اذن واعية اي اذن من شانها ان تحفظ ما يجب
حفظه بتذكره واشاعته والتفكر فيه ولا تضيعه بترك العمل به والتنكير للدلالة على قلتها وان من هذا شانه مع قلته
يتسبب لنجاة الجم الغفير وادامة نسلهم وقرئ اذن بالتخفيف فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة شروع في بيان نفس الحاقة

وكيفية

ووقوعها اثر بيان عظم شانها باهلاك مكذبيها وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر لتقييده وحسن تذكيره
للفصل وقرئ نفخة واحدة بالنصب على اسناد الفعل الى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الاولى التي عندها خراب
العالم وحملت الارض والجبال اي قلعت ورفعت من اماكنها بمجرد القدرة الالهية او بتوسط الزلزلة
او الريح العاصفة فدكتا دكة واحدة اي فضربت الجملتان اثر رفعهما بعضها ببعض ضربة واحدة حتى تندق
وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا وقيل فبسطتا بسطة واحدة فصارتا قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا
ولا امتا من قولهم اندك السنام اذا تفرش وبعير ادك وناقة دكاء ومنه الدكان فيومئذ فحينئذ
وقعت الواقعة اي قامة القيمة وانشقت السماء لنزول الملائكة فهي اي السماء يومئذ واهية ضعيفة
مسترخية بعد ما كانت محكمة والملك اي الخلق المعروف بالملك على ارجائها اي جوانبها جمع رجا بالقصر
اي تنشق السماء التي هي مساكنهم فيلجاون الى اكنافها وحافاتها ويحمل عرش ربك فوقهم فوق الملائكة
الذين هم على الارجاء او فوق الثمانية يومئذ ثمانية من الملائكة عن النبي عليه السلام هم اليوم اربعة فاذا كان
يوم القيمة ايدهم الله تعالى باربعة آخرين فيكونون ثمانية وروي ثمانية املاك ارجلهم في تخوم الارض السابعة
والعرش فوق رؤسهم وهم مطرقون مسبحون وقيل بعضهم على صورة الانسان وبعضهم على صورة الاسد
وبعضهم على صورة الثور وبعضهم على صورة النسر وروي ثمانية املاك في خلق الاوعال ما بين اظلافها
الى ركبها مسيرة سبعين عاما وعن شهر بن حوشب اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك
الحمد على عفوك بعد قدرتك واربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك
وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله تعالى ويجوز ان يكون الثمانية من الروح او من خلق آخر
وقيل هو تمثيل لعظمته تعالى بما يشاهد من احوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العام لكونها
اقصى ما يتصور من العظمة والجلال والا فشؤونه سبحانه اجل من كل ما يحيط به فلك العبارة والاشارة
يومئذ تعرضون اي تسالون وتحاسبون عبر عنه بذلك تشبيها له بعرض السلطان العسكر لتعرف
احوالهم وروي ان في يوم القيمة ثلث عرضات فاما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ واما الثالثة
ففيها تنشر الكتب فياخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك بشماله وهذا وان كان بعد النفخة الثانية لكن
لما كان اليوم اسما لزمان متسع يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وادخال اهل
الجنة الجنة واهل النار النار صح جعله ظرفا للكل لا تخفى منكم خافية حال من مرفوع تعرضون اي
تعرضون غير خاف عليه تعالى سر من اسراركم قبل ذلك ايضا وانما العرض لافشاء الحال والمبالغة
في العدل او غير خاف يومئذ على الناس كقوله تعالى يوم تبلى السرائر وقرئ يخفى بالياء التحتانية فاما من
اوتي كتابه بيمينه تفصيل لاحكام العرض فيقول تبجحا وابتهاجا هاؤم اقرؤا كتابيه اسم لخذ وفيه
ثلاث لغات اجودهن ها يا رجل وها يا امراة وهاؤما يا رجلان او امراتان وهاؤم يا رجال وهاؤن
يا نسوة ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤا لانه اقرب العاملين ولانه لو كان مفعول هاؤم لقيل
اقراوه اذ الاولى اضماره حيث امكن والهاء فيه وفي حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت
في الوقف وتسقط في الوصل واستحب اثباتها لثباتها في الامام اني ظننت اني ملاق حسابيه
اي علمت ولعل التعبير عنه بالظن للاشعار بانه لا يقدح في الاعتقاد ما يهجس في النفس من الخطرات التي

التي لا ينفك عنها العلوم النظرية غالبا فهو في عيشة راضية ذات رضا على النسبة بالصيغة كما يقال
دارع في النسبة بالحرب او جعل الفعل لها مجازا وهو لصاحبها وذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة
مقرونة بالتعظيم في جنة عالية مرتفعة المكان لانها في السماء او الدرجات او الابنية والاشجار قطوفها
جمع قطف وهو ما يجتنى بسرعة والقطف بالفتح مصدر دانية يتناولها القاعد كلوا واشربوا باضمار
القوم والجمع باعتبار المعنى هنيئا اكلا وشربا هنيئا او هنيتم هنيئا بما اسلفتم بمقابلة ما قدمتم
من الاعمال الصالحة في الايام الخالية اي الماضية في الدنيا وعن مجاهد ايام الصيام وروي يقول الله
تعالى يا اوليائي طالما نظرت اليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاشربة وغارت اعينكم وخمصت
بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم وكلوا واشربوا الآية واما من اوتي كتابه بشماله ورأى ما فيه من قبائح
الاعمال فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه لما شاهد من سوء العاقبة يا ليتها يا ليت
الموتة التي متها كانت القاضية اي القاطعة لامري ولم ابعث بعدها ولم الق ما القى فضمير ليتها
للموتة ويجوز ان يكون لما شاهده من الحالة اي يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت علي لما
علم انه وجدها امر من الموت فتمناه عندها وقد جوز ان يكون للحيوة الدنيا اي يا ليت الحيوة الدنيا كانت
الموتة ولم اخلق حيا ما اغنى عني ماليه مالي من المال والاتباع على ان ما نافية والمفعول محذوف او
استفهامية للانكار اي اي شيء اغنى عني ما كان لي من اليسار هلك عني سلطانيه اي ملكي وتسلطي على
الناس او حجتي التي كنت احتج بها في الدنيا او تسلطي على القوى والآلات فعجزت عن استعمالها في
العبادات خذوه حكاية لما يقوله الله تعالى يومئذ لخزنة النار فغلوه اي شدوه بالاغلال ثم الجحيم صلوه
اي لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظيمة ليكون الجزاء على وفق المعصية حيث كان يتعظم على الناس
ثم في سلسلة ذرعها اي طولها سبعون ذراعا فاسلكوه فادخلوه فيها بان تلفوها على جسده
فهو فيما بينها مرهق لا يستطيع حركة ما وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على الاختصاص و
والاهتمام بذكر الوان ما يعذب به وثم لتفاوت ما بين الغل والتصلية وما بينها وبين السلك في
السلسلة في الشدة انه كان لا يؤمن بالله العظيم تعليل بطريق الاستيناف التحقيقي ووصفه تعالى
بالعظم للايذان بانه المستحق للعظمة فحسب فمن نسبها الى نفسه استحق اعظم العقوبات ولا يحض
على طعام المسكين ولا يحث على بذل طعامه او على اطعامه فضلا ان يبذل من ماله وقيل ذكر الحض
للتنبيه على ان تارك الحض بهذه المنزلة فما ظنك بتارك الفعل وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون
بالفروع في حق المواخذة قالوا تخصيص الامرين بالذكر لما ان اقبح العقايد الكفر واشنع الرذايل
البخل وقسوة القلب فليس له اليوم ههنا حميم اي قريب يحميه ويدفع عنه ويحزن عليه لان اولياءه
يتحامونه ويفرون منه ولا طعام الا من غسلين اي من غسالة اهل النار وصديدهم فعلين من الغسل
لا ياكله الا الخاطئون اصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب من الخطاء المقابل للصواب
دون المقابل للعمد عن ابن عباس انهم المشركون وقرئ الخاطيون بابدال الهمزة ياء وقرئ بطرحها وقد جوز
ان يراد بهم الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله فلا اقسم اي فاقسم على ان لا مزيدة للتاكيد
واما حمله على معنى نفي الاقسام لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق فيرده تعيين المقسم به بقوله تعالى بما تبصرون

وما لا تبصرون كما مر في سورة الواقعة اى اقسم بالمشاهدات والمغيبات وقيل بالدنيا والآخرة
وقيل بالاجسام والارواح والانس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة
والاول منتظم للكل انه اى القرآن لقول رسول يبلغه عن الله تعالى فان الرسول لا يقول عن نفسه
كريم على الله تعالى وهو النبي او جبريل عليهما السلام وما هو بقول شاعر كما تزعمون تارة قليلا ما تؤمنون
ايمانا قليلا تؤمنون ولا بقول كاهن كما تدعون تلك تارة اخرى قليلا ما تذكرون اى تذكرا قليلا
اوزما قليلا تتذكرون على ان القلة بمعنى النفي اى لا تؤمنون ولا تتذكرون اصلا قيل وذكر الايمان
مع نفي الشاعرية والتذكر مع نفي الكاهنية للاشعار بعدم مشابهة القرآن الشعر امر بين لا ينكره
الا معاند بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف على تذكر احواله عليه السلم ومعاني القرآن المنافية
لطريقة الكهنة ومعاني اقوالهم وآيات خبيرة بان ذلك ايضا مما لا يتوقف على تأمل قطعا وقرئ بالياء
فيهما تنزيل من رب العالمين نزله على لسان جبريل عليه السلم ولو تقول علينا بعض الاقاويل
سمي الافتراء تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا لها كاثافة جمع اعفولة من
المعقول كالاضاحيك لاخذنا منه باليمين بيمينه ثم لقطعنا منه الوتين اى نياط قلبه بضرب
عنقه وهو تصوير لاهلاكه بافظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو ان يأخذ القتال بيمينه
ويلخبه بالسيف ويضرب عنقه وقيل اليمين بمعنى القوة قال قائلهم اذا ما رايته رفعت لمجد
تلقاها عرابة باليمين فما منكم ايها الناس من احد عنه عن القتل او المقتول حاجزين وارادة وصف
لاحد فانه عام وانه اى القرآن لتذكرة للمتقين لانهم المنتفعون به وانا لنعلم ان منكم مكذبين
فنجازيهم على تكذيبهم وانه لحسرة على الكافرين عند مشاهدتهم لثواب المؤمنين وانه لحق اليقين
الذي لا يحوم حوله ريب مما فسبح باسم ربك العظيم اى فنزهه بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرزايا
بالتعقل عليه شكرا على ما اوحى اليك عن النبي عليه السلم من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله تعالى حسابا يسيرا

سأل سائل اى دعى داع بعذاب واقع اى استدعاه وطلبه وهو النضر بن الحارث حيث
قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا
بعذاب اليم وقيل ابو جهل حيث قال اسقط علينا كسفا من السماء وقيل هو الحارث بن
النعمان الفهري وذلك انه لما بلغه قول رسول الله عليه السلم في علي رضي الله عنه من كنت مولاه
فعلي مولاه قال اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فامطر علينا حجارة من السماء فما لبث حتى رماه الله
تعالى بحجر وقع على دماغه فخرج من اسفله فذلك من ساعته وقيل هو الرسول عليه السلم استعجل
عذابهم وقرئ سال وهو اما من السؤال على لغة قريش فالمعنى ما مر او من السيلان ويؤيده انه
قرئ سال سيل اى اندفع واد بعذاب واقع وصيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه اما في الدنيا
وهو عذاب يوم بدر فان النضر قتل يومئذ صبرا او قدر حال الفهري واما في الآخرة فهو عذاب
النار للكافرين صفة اخرى لعذاب اى كائن للكافرين او صلة لواقع او متعلق بسال او دع للكافرين

للكافرين بعذاب واقع وقوله تعالى ليس له دافع صفة اخرى لعذاب او حال منه لتخصصه بالصفة او بالعمل او من الضمير
في للكافرين على تقدير كونه صفة لعذاب او استيناف من الله متعلق بواقع او بدافع اى ليس له دافع من جهتهم
ذي المعارج ذي المصاعد التي يصعد فيها الملائكة بالاوامر والنواهي او هي عبارة عن السموات
المترتبة بعضها فوق بعض تعرج الملائكة والروح اى جبريل عليه السلم افرد بالذكر لتميزه وفضله وقيل الروح
خلق هم حفظة على الملائكة كما ان الملائكة حفظة على الناس اليه الى عرشه تعالى والى حيث تهبط منه اوامره تعالى
وقيل هو من قبيل قول ابرهيم عليه السلم اني ذاهب الى ربي اى الى حيث امرني به في يوم كان مقداره خمسين الف سنة
مما يعده الناس وهو بيان لغاية ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على منهاج التمثيل والتخييل والمعنى
انها من الارتفاع بحيث لو قدر قطعها في زمان لكان ذلك الزمان مقدار خمسين الف سنة من سني
الدنيا وقيل معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه تعالى في يوم كان مقداره مقدار خمسين الف سنة
اى يقطعون في يوم ما يقطعه الانسان في خمسين الف سنة لو فرض ذلك وقيل في يوم متعلق بواقع
وقيل بسال على تقدير كونه من السيلان فالمراد به يوم القيمة واستطالته اما لانه كذلك في الحقيقة
او لشدته على الكفار او لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات وايا ما كان فذلك في حق الكافر واما في حق
المؤمن فلما روي ابو سعيد الخدري رض انه قيل لرسول الله عليه السلم ما اطول هذا اليوم فقال والذي نفسي
بيده انه ليخف على المؤمن حتى انه يكون اخف من صلوة مكتوبة يصليها في الدنيا وقوله تعالى فاصبر صبرا جميلا
متعلق بسال لان السؤال كان عن استهزاء وتعنت وتكذيب بالوحي وذلك مما يضجره عليه السلم او
كان عن تبجح واستطالة للنضر او بسأل سائل او سال سيل فمعناه جاء العذاب لقرب وقوعه فقد
شارفت الانتقام انهم يرونه اى العذاب الواقع او يوم القيمة على تقدير تعلق في يوم بواقع بعيدا اى
يستحيلون بطريق الاحالة فلذلك يسألون به ونراه قريبا هينا في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر
على ان القرب والبعد معتبران بالنسبة الى الامكان والجملة تعليل للامر بالصبر وقوله تعالى يوم تكون السماء
كالمهل متعلق بقريبا اى يكون ولا يتعذر في ذلك اليوم او بمضمر دل عليه واقع او بمضمر مؤخر اى يوم تكون
السماء كالمهل يكون من الاحوال والاهوال ما لا يوصف او بدل من في يوم على تقدير تعلقه بواقع هذا ما قالوا
ولعل الاقرب ان قوله تعالى سأل سائل حكاية لسوالهم المعهود على طريقة قوله تعالى يسألونك عن الساعة
وقوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد ونحوهما اذ هو المعهود بالوقوع على الكافرين لا ما ادعى به النضر او ابو جهل
او الفهري فالسؤال بمعناه والباء بمعنى عن كما في قوله تعالى فاسأل به خبيرا وقوله تعالى ليس له دافع الخ استئناف
مسوق لبيان وقوع المسؤل عنه لا محالة وقوله تعالى فاصبر صبرا جميلا مترتب عليه وقوله تعالى انهم يرونه بعيدا
ونراه قريبا تعليل للامر بالصبر كما ذكر وقوله تعالى يوم تكون الخ متعلق بليس له دافع او بما يدل هو عليه اى يقع
يوم تكون السماء كالمهل وهو ما اذيب على مهل من الفلزات وقيل دردي الزيت وتكون الجبال كالعهن
كالصوف المصبوغ الوانا لاختلاف الوان الجبال منها حمر وبيض وغرابيب سود فاذا بست
وطيرت في الجو اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح ولا يسأل حميم حميما اى لا يسأل قريب قريبا من
احواله ولا يكلمه لابتلاء كل منهم بما يشغله عن ذلك وقرئ على البناء للمفعول اى لا يطلب من حميم حميمه
او لا يسأل منه حال يبصرونهم اى يبصر الاحماء الاحماء فلا يخفون عليهم وما يمنعهم من التساؤل الا اشتغالهم

سنة

بحال افهم وقيل ما يغنى عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسوادِه والاول ادخل فى التهويل وجمع الضمير لعموم الحميم وقرئ يبصرونهم والجملة استيناف يَوَدُّ المجرم اى يتمنى الكافر وقيل كل مذنب وقوله لو يفتدى من عذاب يومئذ اى العذاب الذى ابتلوا به يومئذ ببنيه فصاحبته واخيه حكاية لودادهم ولو فى معنى التمنى وقيل هى بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب ينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا ليود والتقدير يود افتداءه ببنيه الخ والجملة استيناف لبيان ان اشتغال كل مجرم بنفسه بلغ الى حيث يتمنى ان يفتدى بأقرب الناس اليه واعلقهم بقلبه فضلا ان يهتم بحاله ويسأل عنها وقرئ يومئذ ما لفتح على البناء للاضافة الى غير متمكن وبتنوين عذاب ونصب يومئذ وانتصابه بعذاب لانه فى معنى تعذيب وفصيلته اى عشيرته التى فصل عنهم التى تؤويه اى تضمه فى النسب او عند الشدايد وَمَن فِى الأَرْضِ جَمِيعًا من الثقلين او الخلايق ومن للتغليب ثُمَّ يُنجِيهِ عطف على يفتدى اى يود لو يفتدى ثم لو ينجيه الافتداء وثم لاستبعاد الانجاء يعنى يتمنى لو كان هؤلاء جميعا تحت يده وبذلهم فى فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وبهيهات كَلَّا ردع للمجرم عن الودادة وتصحيح بامتناع الانجاء بالافتداء وضمير انها اما للنار المدلول عليها بذكر العذاب او هو مبهم تترجم عنه الخبر الذى هو قوله تعالى لَظَى وهى علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ نصبت على الاختصاص او حال مؤكدة والشوى الاطراف او جمع شواة وهى جلد الراس وقرئ نزاعة بالرفع على انه خبر بعد خبر ان او هو الخبر ولظى بدل من الضمير او الضمير للقصة ولظى مبتدأ ونزاعة خبره تَدْعُو اى تجذب وتحضر وقيل تدعو وتقول لهم الى يا كافر يا منافق وقيل تدعو انفسها المنافقين والكافرين بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب وقيل تدعو تهلك وقيل تدعو بأيتها مَنْ أَدْبَرَ اى عن الحق وَتَوَلَّىٰ اعرض عن الطاعة وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ اى جمع المال فجعله فى وعاء وكنزه ولم يؤد زكوته وحقوقه وتشاغل به عن الدين وزهى باقتنائه حرصا وتاصيلا انَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا الهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير وقد فسرته احسن تفسير قوله تعالى إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ اى الفقر او المرض ونحوهما جَزُوعًا اى مبالغا فى الجزع مكثرا منه وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ اى السعة والصحة مَنُوعًا مبالغا فى المنع والامساك والاوصاف الثلثة احوال مقدرة او محققة لانها طبايع جبل الانسان عليها واذا الاولى ظرف لجزوعا والثانية لمنوعا إِلَّا الْمُصَلِّينَ استثناء للمتصفين بالنعوت الجليلة الآتية من المطبوعين على العتايج الماضية لابنائهم عن الاسترسال فى طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الاجل العاجل على خلاف العتايج المذكورة التى هى من الامهات فى حب العاجل وقصر النظر عليه الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ لا يشغلهم عنها شاغل وَالَّذِينَ فِى أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ اى نصيب معين يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله تعالى واشفاقا على الناس من الزكوة المفروضة والصدقات الموظفة لِّلسَّائِلِ الذى يسأله وَالْمَحْرُومِ الذى لا يسأل فيظن انه غنى فيحرم وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ اى باعمالهم حيث يتعبون انفسهم فى الطاعات البدنية والمالية طمعا فى المثوبة الاخروية بحيث يستدل بذلك على تصديقهم بيوم الجزاء وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ يعنون على انفسهم مع ما لهم من الاعمال الفاضلة استقصارا لها واستعظاما لما عند الله عز وجل كقوله تعالى وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون وقوله تعالى ان عذاب ربهم

ربهم غير مأمون اعتراض موذن بانه لا ينبغى لاحد ان يامن من عذاب الله تعالى وان بالغ فى الطاعة وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ سلف تفسيره فى سورة المؤمنين فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ اى طلب لفقه وراء ذلك وراء ما ذكر من الازواج والمملوكات فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ المتعدون لحدود الله تعالى وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ لا يخلون بشئ من حقوقها وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ اى يعتقون لها بالعدل احيانا لحقوق الناس وتخصيصها بالذكر مع اندراجها فى الامانات لانها فضلها وقرئ لامانتهم وبشهادتهم على ارادة الجنس وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ اى يراعون شرائطها ويكملون فرايضها وسننها ومستحباتها واداءها وتكرير ذكر الصلوة ووصفهم بها اولا وآخرا باعتبارين للدلالة على فضلها واناطتها على ساير الطاعات وتكرير الموصولات لتنزيل اختلاف الصفات منزلة اختلاف الذوات كما فى قوله من قال الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتايب فى المزدحم ايذانا بان كل واحد من الاوصاف المذكورة نعت جليل على حياله له شان خطير مستتبع لاحكام حقيق بان يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل شئ منها تتمة للاحد أُولَٰئِكَ اشارة الى الموصوفين بما ذكر من الصفات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليهم للايذان بعلو شانهم وبعد منزلتهم فى الفضل وهو مبتدأ خبره فِى جَنَّاتٍ اى مستقرون فى جنات لا يقادر قدرها ولا يدرك كنهها وقوله تعالى مُّكْرَمُونَ خبر آخر او هو الخبر وفى جنات متعلق به قدم عليه لمراعاة الفواصل او بمضمر هو حال من الضمير فى الخبر اى مكرمون كائنين فى جنات فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ حَوْلَكَ مُهْطِعِينَ مسرعين نحوك ماديى اعناقهم اليك مقبلين بابصارهم عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ اى فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة من العزو كان كل فرقة تعتزى الى غير من يعتزى اليه الاخرى كان المشركون يحلقون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا ويستهزؤن بكلامه عليه السلام ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد عليه السلام فلندخلنها قبلهم فنزلت أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ بلا ايمان كَلَّا ردع لهم من ذلك المطمع الفارغ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ قيل هو تعليل للردع والمعنى انا خلقناهم من اجل ما يعلمون كما فى قول الاعشى الزمعت من ال ليلى ابتكارا وشطت على ذى هوى ان تزارا وهو تكميل النفس بالايمان والطاعة فمن لم يستكملها بذلك فهو بمعزل من ان تبوأ مبوأ الكاملين فمن اين لهم ان يطمعوا فى دخول الجنة وهم مكبون على الكفر والعصوق وانكار البعث وقيل معناه انا خلقناهم مما يعلمون من نطفة مذرة فمن اين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم وقيل انهم مخلوقون من نطفة قذرة لا تناسب عالم القدس فمتى لم تستكمل الايمان والطاعة ولم تتخلق بالاخلاق الملكية لم تستعد دخولها ولا يخفى ما فى الكل من التحمل والاقرب انه كلام مستانف قد سيق تمهيدا لما بعده من بيان قدرته تعالى على ان يهلكهم لكفرهم بالبعث والجزاء واستهزائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما نزل عليه من الوحى وادعائهم دخول الجنة بطريق السخرية وينشئ بدلهم قوما آخرين فان قدرته تعالى على ما يعلمون من النشأة الاولى حجة بينة على قدرته تعالى على ذلك كما يفصح عنه الفاء الفصيحة فى قوله تعالى فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ والمعنى اذا كان الامر كما ذكر من انا خلقناهم مما يعلمون فاقسم برب المشارق والمغارب إِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ اى نهلكهم بالمرة جميعا تقتضيه جنايتهم ونأتى بدلهم بخلق آخرين ليسوا على صفتهم وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ بمغلوبين

مخلوقون

ان اردنا ذلك لكن مشيتنا المبنية على الحكم البالغة اقتضت تاخير عقوباتهم فذرهم وشانهم يخوضوا في باطلهم الردي
من جملة ما حكي عنهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون هو يوم البعث عند النفخة الثانية لا يوم النفخة
الاولى كما توهم فان قوله تعالى يوم يخرجون من الاجداث بدل من يومهم وقرئ يخرجون على البناء للمفعول من الاخراج سراعا
وهو كل ما نصب فصد من دون الله تعالى وقرئ بسكون الصاد وبفتح النون وسكون الصاد ايضا نصب يوفضون يسرعون
خاشعة ابصارهم وصفت ابصارهم بالخشوع مع انه وصف الكل لغاية ظهور اثاره فيها ترهقهم ذلة تغشاهم ذلة
شديدة ذلك اليوم الذي ذكر ما يقع فيه من الاحوال الهائلة اليوم الذي كانوا يوعدون في الدنيا عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة سأل سائل اعطاه الله تعالى ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والله اعلم

حال من ضمير يخرجون
اي مسرعين كانهم الى
نصب

انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك اي بان انذرهم على ان ان مصدرية حذف منها الجار واوصل
اليها الفعل فان حذف مع ان وان مطرد وجعلت صلتها امرا كما في قوله تعالى وان اقم وجهك لان مدار وصلها
بصيغ الافعال دلالتها على المصدر وذلك لا يختلف بالخبرية والانشائية ووجوب كون الصلة جملة خبرية في
الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف الا بالجمل الخبرية وليس الموصول الحرفي
كذلك وحيث استوى الخبر والانشاء في الدلالة على المصدر استويا في صحة الوصل بهما فتح ذا عند ذلك
كل منهما عن المعنى الخاص بصيغته فبقي الحدث المجرد عن معنى الامر والنهي والمضي والاستقبال كانه قيل
ارسلناه بان قلنا له انذر اي ارسلناه بالامر بالانذار ويجوز ان تكون ان مفسرة لما في الارسال من معنى
القول فلا يكون للجملة محل من الاعراب وعلى الاول محلها النصب عند سيبويه والفراء والجر عند الخليل والكسائي
هو المعروف وقرئ انذر بغير ان على ارادة القول من قبل ان ياتيهم عذاب اليم عاجل او آجل لئلا يبقى لهم
عذر ما اصلا قال استيناف مبني على سؤال نشاء من حكاية ارساله بالوجه المذكور كانه قيل فماذا فعل عليه السلام
فقيل قال لهم يا قوم اني لكم نذير مبين منذر موضح لحقيقة الامر وقوله تعالى ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون متعلق
بنذير على الوجهين المذكورين يغفر لكم من ذنوبكم اي بعض ذنوبكم وهو ما سلف في الجاهلية فان الاسلام يجبه
ويؤخركم الى اجل مسمى هو الامد الاقصى الذي قدره الله تعالى لهم بشرط الايمان والطاعة وارآء ما قدره لهم
على تقدير بقائهم على الكفر والعصيان فان وصف الاجل بالمسمى وتعليق تاخيرهم اليه بالايمان والطاعة
صريح في ان لهم اجلا آخر لا يجاوزونه ان لم يؤمنوا وهو المراد بقوله تعالى ان اجل الله اي ما قدر لكم على تقدير بقائكم على
الكفر اذا جاء وانتم على ما انتم عليه من الكفر لا يؤخر فبادروا الى الايمان والطاعة قبل مجيئه حتى لا يتحقق شرطه
الذي هو بقاؤكم على الكفر فلا يجيء ويتحقق شرط التاخير الى الاجل المسمى فتوخروا اليه ويجوز ان يراد بوقت
اتيان العذاب المذكور في قوله تعالى من قبل ان ياتيهم عذاب اليم فانه اجل موقت له حتما وحمله على الاجل
الاطول مما لا يساعده المقام كيف لا والجملة تعليل للامر بالعبادة المستتبعة للمغفرة والتاخير الى الاجل
المسمى فلا بد ان يكون المنفي عند مجيء الاجل هو التاخير الموعود فكيف يتصور ان يكون ما فرض مجيئه هو
الاجل المسمى لو كنتم تعلمون اي لو كنتم تعلمون شيئا لسارعتم الى ما امركم به قال اي نوح عليه السلم
مناجيا ربه وحاكيا له تعالى وهو اعلم بحاله ما جرى بينه وبين قومه من القيل والقال في تلك المدد الطوال بعد بذل

بذل في الدعوة غاية المجهود وجاوز في الانذار كل حد معهود وضاقت عليه الحيل وعيت به العلل رب
اني دعوت قومي الى الايمان والطاعة ليلا ونهارا اي دائما من غير فتور ولا توان فلم يزدهم دعائي
الا فرارا اما دعوتهم اليه واسند الزيادة الى الدعاء لسببيته لها كما في قوله تعالى فزادتهم ايمانا وانى
كلما دعوتهم اي الى الايمان لتغفر لهم بسببه جعلوا اصابعهم في اذانهم اي سدوا اسماعهم من
استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم اي بالغوا في التغطي بها كانهم طلبوا ان تغشاهم ثيابهم او
تغشيهم لئلا ينظروه كراهة النظر اليه او لئلا يعرفهم فيدعوهم واصروا اي اكبوا على الكفر والمعاصي
مستعار من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها واستكبروا من ابتاعي وطاعتي
استكبارا شديدا ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا اي دعوتهم
تارة بعد تارة ومرة عقب مرة على وجوه متخالفة واساليب متفاوتة وثم لتفاوت الوجوه
فان الجهار اشد من الاسرار والجمع بينهما اعلط من الافراد لتراخي بعضها من بعض وجهارا
منصوب بدعوتهم على المصدر لانه احد نوعي الدعاء او اريد بدعوتهم جاهرتهم او هو صفة لمصدر
اي دعوتهم دعاء جهارا اي مجاهرا به او مصدر في موضع الحال اي مجاهرا فقلت استغفروا ربكم
بالتوبة عن الكفر والمعاصي انه كان غفارا للتائبين كانهم تعللوا وقالوا ان كنا على الحق فكيف نتركه
وان كنا على الباطل فكيف يقبلنا بعد ما عكفنا عليه وبرهة طويلة فامرهم بما يمحي ما سلف منهم من المعاصي
ويجلب اليهم المنافع ولذلك وعدهم بما هو واقع في قلوبهم واحب اليهم من العوائد العاجلة
وقيل لما كذبوه بعد تكرير الدعوة حبس الله تعالى عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة
وقيل سبعين سنة فوعدهم انهم ان آمنوا ان يرزقهم الله تعالى الخصب ويدفع عنهم ما كانوا فيه
يرسل السماء عليكم مدرارا اي كثير الدرور والمراد بالسماء المظلة او السحاب ويمددكم باموال
وبنين ويجعل لكم جنات بساتين ويجعل لكم فيها انهارا جارية مالكم لا ترجون لله وقارا الخطاب
لان يكون لهم سبب ما في عدم رجائهم لله تعالى وقارا على ان الرجاء بمعنى الاعتقاد ولا ترجون حال من ضمير
المخاطبين والعامل فيها معنى الاستقرار في لكم على ان الانكار متوجه الى السبب فقط مع تحقق مضمون
الجملة الحالية للايهام معا كما في قوله تعالى ومالي لا اعبد الذي فطرني ولله متعلق بمضمر وقع حالا من وقارا
ولو تاخر لكان صفة له اي اي سبب حصل لكم حال كونكم غير معتقدين لله تعالى عظمة موجبة لتعظيمه
بالايمان به والطاعة له وقد خلقكم اطوارا اي والحال انكم على حالي منافية لما انتم عليه بالكلية وهي
انكم تعلمون انه تعالى خلقكم تارات عناصر ثم اغذية ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما
ولحوما ثم انشاكم خلقا آخر فان التقصير في توقير من هذه شئونه في القدرة القاهرة والاحسان
التام مع العلم بها مما لا يكاد يصدر عن العاقل هذا وقد قيل الرجاء بمعنى الامل اي مالكم لا تاملون
له تعالى توقيرا اي تعظيما لمن عبده واطاعه ولا تكونون على حال تاملون فيها تعظيم الله تعالى اياكم في دار
الثواب ولله بيان للموقر ولو تاخر لكان صلة للوقار والاول هو الذي يستدعيه الجزالة التنزيلية
فان اللائق بحال الكفرة الاستبعاد ان لا يعتقدوا وقار الله تعالى وعظمته مع مشاهدتهم لآثار ما ذكر
الموجبة للاعتقاد حتما واما عدم رجائهم لتعظيم الله اياهم في دار الثواب فليس في حيز الاستبعاد

مها

والانكار مع ان في جعل الوقار بمعنى التوقير من التعسف في قوله ولله بيان للوقر ولو تاخر لكان صلة للوقار من النقيض ما لا يخفى فان كونه بيانا للوقر يقتضي ان يكون التوقير صادرا عنه تعالى والوقار وصفا له تعالى وقيل مالكم لا تخافون لله عظمة وقدرة على احدكم بالعقوبة اى اى عذر لكم في ترك الخوف منه تعالى وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس مالكم لا تخشون لله عقابا ولا ترجون منه ثوابا وعن مجاهد والضحاك مالكم لا تبالون لله عظمة قال قطرب هي لغة حجازية يقولون لم ارج اى لم ابال وقوله تعالى **الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا** اى متطابقة بعضها فوق بعض **وجعل القمر فيهن نورا** اى منورا لوجه الارض في ظلمة الليل ونسبته الى الكل مع انه في السماء الدنيا لما انها محاطة بسائر السموات فما فيها يكون في الكل ولان كل واحدة منها شفافة كالزجاج ماورا ما يرى الكل كانها سماء واحدة ومن ضرورة ذلك ان يكون ما في واحدة منها كانها سماء واحدة ومن ضرورة ذلك ان يكون ما في واحدة منها كانه في الكل **وجعل الشمس سراجا** يزيل ظلمة الليل ويبصر اهل الدنيا في ضوئها وجه الارض ويشاهدون الافاق كما يبصر اهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره وليس القمر بهذه المثابة انما نكر نور في الجملة **والله انبتكم من الارض** اى انشاكم منها فاستعير الانبات للانشاء لكونه ادل على الحدوث والتكون من الارض وفاتا اما مصدر مؤكد لانبتكم بحذف الزوائد ويسمى اسم مصدر او ما يترتب عليه من فعله اى انبتكم من الارض فنبتم نباتا ويجوز ان يكون الاصل انبتكم من الارض انباتا فنبتم نباتا فيحذف من الجملة الاولى المصدر ومن الثانية الفعل اكتفاء في كل منهما بما ذكر في الاخرى كما مر في قوله تعالى ام تريدون ان تسالوا رسولكم كما سئل موسى من قبل وقوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله **ثم يعيدكم فيها** بالموت عند موتكم وبحركم منها عند البعث والحشر **اخراجا** محققا لا ريب فيه **والله جعل لكم الارض بساطا** تتقلبون عليها تقلبكم على بسطكم في بيوتكم وتوسيط لكم بين الحال ومفعوليه مع ان حقه التاخر لمزيد الاهتمام بيان كون المجعول من منافعهم والتشويق الى المؤخر فان النفس عند تاخر ما حقه التقديم لما سيما عند كون المقدم ملوحا بكونه من المناضع تبقى متشرفة له فتتمكن عند وروده لها فضل تمكن **لتسلكوا منها سبلا فجاجا** اى طرقا واسعة جمع فج وهو الطريق الواسع وقيل هو المسلك بين الجبلين ومن متعلقة بما قبلها لما فيه من معنى الاتخاذ او بمضمر هو حال من سبلا اى كائنة من الارض ولو تاخر لكان صفة لها **قال نوح** اعيد لفظ قال كما مر لطول العهد بحكاية مناجاته لربه اى قال مناجيا له تعالى **رب انهم عصوني** اى تمردوا على عصياني فيما امرتهم به مع مبالغتي في ارشادهم بالعظة والتذكير **واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا** اى واستمروا على اتباع رؤسائهم الذين ابطرتهم اموالهم وغرتهم اولادهم فصار ذلك سببا لزيادة خسرانهم في الآخرة فصار الموا اسوة لهم في الخسار ونفي وصفهم بذلك لتعار باتهم انما لم يتبعوا لوجاهتهم الحاصلة لهم بسبب الاموال والاولاد بل لما شاهدوا ما فيهم من مشتهى مصححة للاتباع في الجملة وقرئ ولده بالضم والسكون على انه لغة كالحزن او جمع كاسد وسقف عطف على صلة من والجمع

والجمع باعتبار معنا كما ان الافراد في الضمائر الاول باعتبار لفظها **مكرا كبارا** اى كبيرا في الغاية وقوى بالتخفيف والاول ابلغ منه وهو ابلغ من الكبير وذلك احتيالهم في الدين وصدهم للناس عنه وتحريشهم لهم على اذية نوح عليه السلم **وقالوا لا تذرن آلهتكم** اى لا تتركوا اعبادتها على الاطلاق الى عبادة رب نوح **ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا** اى ولا تذرن عبادة هؤلاء خصوها بالذكر مع اندراجها فيما سبق لانها كانت اكبر اصنامهم واعظمها عندهم وقد انتقلت هذه الاصنام عنهم الى العرب فكان ودّ لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقيل هي اسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهما السلم وقيل من اولاد آدم ماتوا فقال ابليس لمن بعدهم لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون اليهم وتتبركون بهم ففعلوا فلما ماتوا قال لمن بعدهم انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم وقيل كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امراة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر وقرئ وُدًّا بضم الواو ويَغوثا ويَعوقا للتناسب ومنع صرفها للعجمة والعلمية **وقد اضلوا** اى الرؤساء **كثيرا** خلقا كثيرا او الاصنام كقوله تعالى رب انهن اضللن كثيرا من الناس **ولا تزد الظالمين الا ضلالا** لا عطف على قوله تعالى رب انهم عصوني على حكاية نوح بعد قال وبعد الواو النائبة عنه اى قال رب انهم عصوني وقال ولا تزد الظالمين الا ضلالا ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم المفرط وتعليل الدعاء عليهم به والمطلوب هو الضلال في تنشية مكرهم ومصالح دنياهم او الضياع والهلاك كما في قوله تعالى ان المجرمين في ضلل وسعر ويؤيده ما سياتي من دعائه عليه السلم **مما خطيئاتهم** اى من اجل خطيئاتهم ومامزيدة بين الجار والمجرور للتوكيد والتفخيم ومن لم يقل بزيادتها جعلها نكرة وجعل خطيئاتهم بدلا منها وقرئ مما خطاياهم ومن خطيئاتهم اى بسبب خطيئاتهم المعدودة وغيرها من خطاياهم **اغرقوا** بالطوفان لا بسبب آخر **فادخلوا نارا** المراد اما عذاب القبر فهو عقيب الاغراق وان كانوا في الماء عن الضحاك انهم كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب وعذاب جهنم والتعقيب لتنزيله منزلة المتعقب لاغراقهم لاقترابه وتحققه لامحالة وتنكير النار اما لتعظيمها وتهويلها او لانه تعالى اعدلهم على حسب خطاياتهم نوعا من النار **فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا** اى لم يجد احد منهم واحدا من الانصار وفيه تعريض بالحاذهم الهتهم من دون الله تعالى وبانها غير قادرة على نصرهم وتهكم بهم **وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا** عطف على نظيره السابق وقوله تعالى مما خطيئاتهم الخ اعتراض وسط بين دعائه عليه السلم للايذان من اول الامر بان ما اصابهم من الاغراق والاحراق لم يصبهم الا لاجل خطيئاتهم التي عدد ها نوح عليه السلم واشار الى استحقاقهم الاهلاك لاجلها لانها حكاية لنفس الاغراق والاحراق على طريقة حكاية ما جرى بينه وبينهم من الاحوال والاقوال والا لاخر عن حكاية دعائه هذا وديارا من الاسماء المستغرقة في النفي العام يقال ما بالدار ديار او ديور كقيام وقيوم اى احد وهو فيعال من الدور او من الدار اصله ديوار قد فعل به ما فعل بصيد لا فعال والا لكان دوارا **انك ان تذرهم** عليها كلا او بعضا **يضلوا عبادك** عن طريق الحق **ولا يلدوا الا فاجرا كفارا**

روى انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الداعي للمؤمنين والمؤمنات يغفر له
بعدد كل مؤمن في الارض حي او ميت ويرد عليه مثل الذي دعى لهم كل مؤمن في الارض
وعن انس رضي الله عنه عن النبي عليه السلام انه قال ان الداعي للمؤمنين والمؤمنات يقام مقاما
يوم القيمة فيثني الله تعالى عليه في الاولين والاخرى خيرا بدعائه لهم فيوجره مثل اجورهم اجمعين
ولا ينقص من اجورهم شيء فيأمر الاولين والاخرين فيشفعون له كما في التيسير

اي الا من سيفجر ويكفر فوصفهم بما يصيرون اليه وكانه اعتذار مما عسى يرد عليه من ان الدعاء بالاستيصال
مع احتمال ان يكون من اخلافهم من يؤمن منهم وانما قاله لاستحكام علمه بما يكون منهم ومن اعقابهم بعد
ما جربهم واستقرأ احوالهم قريبا من الف سنة رب اغفر لي ولوالدي ابوه متوشلخ وامه
شمخا بنت انوش كانا مؤمنين وقيل هما آدم وحوا وقرئ ولوالدي يريد ساما وحاما ولمن
دخل بيتي اي منزلي وقيل مسجدي وقيل سفينتي مؤمنا بهذا القيد خرجت امرأته وابنه كنعان
ولكن لم يجزم بخروجه الا بعد ما قيل له انه ليس من اهلك وقد مر تفصيله في سورة هود وللمؤمنين والمؤمنات
عمهم بالدعاء اثر ما خص به من يتصل به نسبا ودينا ولا تزد الظالمين الا تبارا اي هلاكا قيل
غرق معهم صبيانهم ايضا لكن لا على وجه العقاب لهم بل لتشديد عذاب آبائهم وامهاتهم بارادة
هلاك اطفالهم الذين كانوا اعز عليهم من انفسهم قال عليه السلام يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون
مصادر شتى وعن الحسن انه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فاهلكهم بغير عذاب وقيل اعقم
الله تعالى ارحام نسائهم وايبس اصلاب آبائهم قبل الطوفان باربعين او سبعين سنة
فلم يكن معهم صبي حين غرقوا عن النبي عم من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام

قل اوحي الي وقرئ اوحي اصله وحي وقد قرئ كذلك من وحى اليه فقلبت الواو المضمومة همزة كاعد
واوزن في وعد ووزن انه بالفتح لانه فاعل اوحي والضمير للشان استمع اي القرآن كما ذكر
في الاحقاف وقد حذف لدلالة ما بعده عليه نفر من الجن النفر ما بين الثلاثة والعشرة والجن
اجسام عاقلة خفية يغلب عليهم النارية او الهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل
هي النفوس البشرية المفارقة عن ابدانها وفيه دلالة على انه عليه السلام لم يشعر بهم وباستماعهم ولم
يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم في بعض اوقات قراءته فسمعوها فاخبره الله تعالى بذلك وقد مر ما فيه
من التفصيل في الاحقاف فقالوا لقومهم عند رجوعهم اليهم انا سمعنا قرآنا كتابا مقروا عجبا بديعا
مباينا لكلام الناس في حسن النظم ودقة المعنى وهو مصدر وصف به للمبالغة يهدي الى الرشد
الى الحق والصواب فآمنا به اي بذلك القرآن ولن نشرك بربنا احدا حسبما نطق به ما فيه
من دلائل التوحيد وانه تعالى جد ربنا بالفتح قالوا هو وما بعده من الجمل المصدرة بان في احد
عشر موضعا عطف على محل الجار والمجرور في فآمنا به كانه قيل فصدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا
اي ارتفع عظمته من جد فلان في عيني اي عظم تمكنه او سلطانه او غناه على انه مستعار من الجد الذي
هو البخت والمعنى وصفه بالاستغناء عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه او لغناه وقرئ
بالكسر وكذا الجمل المذكورة عطفا على المحكي بعد القول وهو الاظهر لوضوح اندراج كلها تحت القول
واما اندراج الجمل الآتية تحت الايمان والتصديق كما يقتضيه العطف على محل الجار والمجرور ففيه
اشكال كما ستحيط به خبرا وقوله تعالى ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لحكم تعالى جده وقرئ جدا ربنا
على التمييز وجد ربنا بالكسر اي صدق ربوبيته وحق الهيبة عن اتخاذ الصاحبة والولد وذلك انهم

غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو ابلغ من طار بمنزلة استنفر من نفر ويطعمون الطعام
على حبه اي كائنين على حب الطعام والحاجة اليه كما في قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
او على حب الاطعام بان يكون ذلك بطيب النفس او كائنين على حب الله تعالى او اطعاما كائنا على
حبه تعالى وهو الانسب لما سيأتي من قوله لوجه الله مسكينا ويتيما واسيرا اي اسير كان فانه صلى الله
عليه وسلم كان يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه او اسيرا مؤمنا فيدخل فيه
المملوك والمسجون وقد سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الغريم اسيرا فقال غريمك اسيرك فاحسن
الى اسيرك انما نطعمكم لوجه الله على ارادة قول هو في موقع الحال من فاعل يطعمون اي قائلين ذلك
بلسان الحال او بلسان المقال ازاحة لتوهم المن المبطل للصدقة وتوقع المكافات المنقصة
للاجر وعن الصديقة رضي الله عنها انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسأل الرسول
ما قالوا فاذا ذكر دعاءهم دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله تعالى
لا نريد منكم جزاء ولا شكورا اي شكرا وهو تقرير وتأكيد لما قبله انا نخاف من ربنا يوما اي عذاب
يوم عبوسا يعبس فيه الوجوه او يشبه الاسد العبوس في الشدة والضراوة قمطريرا شديد
العبوس فلذلك نفعل بكم ما نفعل رجاء ان يقينا ربنا بذلك شره وقيل هو تعليل لعدم
ارادة الجزاء والشكر اي انا نخاف عقاب الله تعالى ان اردناهما فوقاهم الله شر ذلك
اليوم بسبب خوفهم وتحفظهم عنه ولقاهم نضرة وسرورا اي اعطاهم بدل عبوس الفجار
وحزنهم نضرة في الوجوه وسرورا في القلوب وجزاهم بما صبروا بصبرهم على مشاق الطاعات
ومهاجرة هوى النفس في اجتناب المحرمات وايثار الاهوال جنة بستانا يأكلون منه
ما شاؤا وحريرا يلبسونه ويتزينون به وعن ابن عباس ان الحسن والحسين رضي الله عنهم
مرضا فعادهما النبي عليه السلام في ناس معه فقالوا لعلي رضي الله عنه لو نذرت على ولدك
فنذر علي وفاطمة رضي الله عنهما وفضة جارية لهما ان برآ مما بهما ان يصوموا ثلاثة ايام فشفيا
وما معهما شيء فاستقرض علي من شمعون الخيبري ثلاث اصوع من شعير فطحنت فاطمة
صاعا واختبزت خمسة اقراص على عددهم فوضعوها بين ايديهم ليفطروا به فوقف
عليهم سائل فقال السلام عليكم اهل بيت محمد انا مسكين من مساكين المسلمين اطعموني
اطعمكم الله تعالى من موائد الجنة فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا
ووضعوا الطعام بين ايديهم وقف عليهم يتيم فآثروه ثم وقف عليهم في الثالثة اسير ففعلوا
مثل ذلك فلما اصبحوا اخذ علي بيد الحسن والحسين رضي الله عنهم فاقبلوا الى النبي صلى الله
عليه وسلم فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال عليه السلام ما اشد ما يسوءني
ما ارى بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها
فساءه ذلك فنزل جبريل عليه السلام وقال خذها يا محمد هنأك الله في اهل بيتك فاقرأه السورة متكئين
فيها على الارائك حال من هم في جزائهم والعامل فيها جزاء وقيل صفة لجنة من غير ابراز الضمير
والارائك في السرر في الحجال وقوله تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا اما حال ثانية من الضمير

قيل ان الجنة تشتاق
اربعة نفر صائمي رمضان
وتالي القرآن وحافظ
ومطعم الجيعان
ثم انه تعالى لما ذكر اصناف من
مواساتهم وهم ثلثة احدهم المسكين
وهو العاجز عن الكسب والثاني
وهو الذي مات كاسبه وهو
والثالث الاسير وهو المأخوذ
فلا يملك لنفسه نصرا ولا حيلة
لا نريد منكم جزاء مكافاة و
ولا ان تثنوا علينا بذلك
وعن النبي عليه السلام قال
السخاء شجرة في الجنة
اغصانها متدليات
من اخذ بغصن منها قاده
الى الجنة والبخل
في النار اغصانها متدليات
في الدنيا من اخذ بغصن
قاده ذلك الغصن الى
روضة العلماء

او من المستكن في متكئين والمعنى انه يمر عليهم هواء معتدل لا حار محم ولا بارد موذ وقيل
الزمهرير القمر في لغة طي والمعنى ان هواها مضيء بذاته لا يحتاج الى شمس ولا قمر ودانية عليهم
ظلالها عطف على ما قبلها حال مثلها او صفة لمحذوف معطوف على جنة اي وجنة اخرى دانية
عليهم ظلالها على انهم وعدوا جنتين كما في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئ دانية
بالرفع على انه خبر لظلالها والجملة في حيز الحال والمعنى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا والحال
ان ظلالها دانية قالوا معناه ان ظلال اشجار الجنة قريبة من الابرار مظلة عليهم زيادة
في نعيمهم على معنى انه لو كان هناك شمس موذية لكانت اشجارها مظلة عليهم مع انه لا شمس
ثمة ولا قمر وذللت قطوفها تذليلا اي سخرت ثمارها لمتناوليها وسهل اخذها من الذل
وهو ضد الصعوبة والجملة حال من دانية اي تدنو ظلالها عليهم مذللة لهم قطوفها او معطوفة
على دانية اي دانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها وتقدير رفع دانية فهي جملة فعلية معطوفة
على جملة اسمية ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب الكوب الكوز العظيم الذي لا اذن له
ولا عروة كانت قواريرا قوارير من فضة اي تكونت جامعة بين صفا الزجاجة وشفيفها
ولين الفضة وبياضها والجملة صفة الاكواب وقرئ بتنوين قوارير الثاني ايضا وقرئا بغير
تنوين وقرئ الثاني بالرفع على هي قوارير قدروها تقديرا صفة لقوارير ومعنى تقديرهم لها انهم
قدروها في انفسهم وارادوا ان تكون على مقادير واشكال معينة موافقة لشهواتهم فجاءت
حسبما قدروها او قدروها باعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها وقيل الضمير للطائفين بها
المدلول عليهم بقوله ويطاف عليهم فالمعنى قدروا شرابها على قدر اشتهائهم وقرئ قدروها
على البناء للمفعول اي جعلوا قادرين لها كما شاؤا من قدر منقولا من قدرت الشيء ويسقون
فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا اي ما يشبه الزنجبيل في الطعم وكان الشراب الممزوج
به اطيب ما تستطيبه العرب والذ ما تلتذ به عينا بدل من زنجبيلا وقيل تمزج كاسهم
بالزنجبيل بعينه او يخلق الله طعمه فيها فعينا حينئذ بدل من كاسا كانه قيل ويسقون فيها
كاسا كاس عين او نصب على الاختصاص فيها تسمى سلسبيلا لسلاسة انحدارها في الحلق
وسهولة مساغها يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة
الباء والمراد بيان انها في طعم الزنجبيل وليس فيها لذعه بل نقيض اللذع الذي هو السلاسة
ويطوف عليهم ولدان مخلدون اي دائمون على ما هم عليه من الطراوة والبهاء اذا رايتهم
حسبتهم لؤلؤا منثورا لحسنهم وصفاء الوانهم واشراق وجوههم وانبثاثهم في مجالسهم
ومنازلهم وانعكاس اشعة بعضهم الى بعض واذا رايت ثمة ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر
ولا منوي بل معناه ان بصرك اينما وقع في الجنة رايت نعيما وملكا كبيرا اي هنيئا واسعا
وفي الحديث ادنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه
وقيل لا زوال له وقيل اذا ارادوا شيئا كان وقيل يسلم عليكم الملائكة ويستاذنون
عليهم عاليهم ثياب سندس خضر قيل عاليهم ظرف على انه خبر مقدم وثياب مبتدأ مؤخر

مؤخر والجملة صفة اخرى لولدان كانه قيل يطوف عليهم ولدان فوقهم ثياب الخ وقيل حال
من ضمير عليهم او حسبتهم اي يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب الخ او حسبتهم لؤلؤا
منثورا عاليا لهم ثياب الخ وقرئ عاليهم بالرفع على انه مبتدأ خبره ثياب اي ما يعلوهم من
لباسهم ثياب سندس وقرئ خضر بالجر حملا على سندس بالمعنى لكونه اسم جنس واستبرق
بالرفع عطفا على ثياب وقرئ برفع الاول وجر الثاني وقرئ بالعكس وقرئ بجرهما واستبرق
بوصل الهمزة والفتح على انه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب وحلوا اساور
من فضة عطف على يطوف عليهم ولا ينافيه قوله تعالى اساور من ذهب لامكان الجمع والمعاقبة
والتبعيض فان حلي اهل الجنة يختلف حسب اختلاف اعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء كما عملوه
بايديهم حليا وانوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة او حال من ضمير عاليهم باضمار
قد وعلى هذا يجوز ان يكون هذا للخدم وذاك للمخدومين وسقاهم ربهم شرابا طهورا هو نوع اخر يفوق
النوعين السالفين كما يرشد اليه اسناد سقيه الى رب العالمين ووصفه بالطهورية فانه يطهر
شاربه عن دنس الميل الى الملاذ الحسية والركون الى ما سوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا
بلقائه باقيا ببقائه وهي الغاية القاصية من منازل الصديقين ولذلك ختم بها مقالة ثواب
الابرار ان هذا على اضمار القول اي يقال لهم ان هذا الذي ذكر من فنون الكرامات كان لكم جزاء
بمقابلة اعمالكم الحسنة وكان سعيكم مشكورا مرضيا مقبولا مقابلا بالثواب انا نحن نزلنا عليك
القرآن تنزيلا اي مفرقا منجما لحكم بالغة مقتضية له لا غيرنا كما يعرب عنه تكرير الضمير مع ان فاصبر
لحكم ربك بتاخير نصرك على الكفار فان له عاقبة حميدة ولا تطع منهم اثما او كفورا اي كل واحد
من مرتكب الاثم الداعي لك اليه ومن الغالي في الكفر الداعي اليه واو للدلالة على انهما سيان في
استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار ما يدعونه اليه فان ترتب النهي على الوصفين
مشعر بعليتهما له فلا بد ان يكون النهي عن الاطاعة في الاثم والكفر لا فيما ليس باثم ولا كفر وقيل
الاثم عتبة فانه كان ركابا للمآثم متعاطيا لانواع الفسوق والكفور الوليد فانه كان غاليا في الكفر
شديد الشكيمة في العتو واذكر اسم ربك بكرة واصيلا وداوم على ذكره في جميع الاوقات
او دم على صلوة الفجر والظهر والعصر فان الاصيل ينتظمهما ومن الليل فاسجد له وبعض الليل
فصل له ولعله صلوة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما في صلوة الليل من مزيد كلفة وخلوص
وسبحه ليلا طويلا وتهجد له قطعا من الليل طويلا ان هؤلاء الكفرة يحبون العاجلة وينهمكون
في لذاتها الفانية ويذرون وراءهم اي امامهم لا يستعدون او ينبذون وراء ظهورهم يوما ثقيلا
لا يعبأون به ووصفه بالثقل لتشبيه شدته وهوله بثقل شيء قادح باهظ لحامله بطريق الاستعارة
وهو كالتعليل لما امر به ونهى عنه نحن خلقناهم لا غيرنا وشددنا اسرهم اي احكمنا ربط
مفاصلهم بالاعصاب واذا شئنا بدلنا امثالهم بعد اهلاكهم تبديلا بديعا لا ريب فيه
هو البعث كما ينبئ عنه كلمة اذا او بدلنا غيرهم ممن يطيع كقوله تعالى يستبدل قوما غيركم واذا
للدلالة على تحقق القدرة وقوة الداعية ان هذه تذكرة اشارة الى السورة او الآيات القريبة

فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا اى فمن شاء ان يتخذ اليه تعالى سبيلا اى وسيلة توصله الى ثوابه تخذه
اى تقرب اليه بالعمل بما فى تضاعيفها وقوله تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله تحقيق للحق بيان
ان مجرد مشيتهم غير كافية فى اتخاذ السبيل كما هو المفهوم من ظاهر الشرطية اى وما تشاؤن اتخاذ
السبيل والا تقدرون على تحصيله فى وقت من الاوقات الا وقت مشية الله تعالى تحصيله لكم اذ لا دخل
لمشية العبد الا فى الكسب واما التاثير والخلق لمشية الله عز وجل وقرئ يشاؤن بالياء وقرئ الا
ما يشاء الله وقوله تعالى ان الله كان عليما حكيما بيان لكون مشيته تعالى مبنية على اساس العلم والحكمة
والمعنى انه تعالى مبالغ فى العلم والحكمة فيعلم ما يستأهله كل احد فلا يشاء لهم الا ما يستدعيه علمه و
يقتضيه حكمته وقوله تعالى يدخل من يشاء فى رحمته بيان لاحكام مشيته المترتبة على علمه وحكمته اى يدخل
فى رحمة من يشاء ان يدخله فيها وهو الذى يصرف مشيته نحو اتخاذ السبيل اليه تعالى حيث يوفقه للايمان
الى دخول الجنة من الايمان والطاعة والظالمين وهم الذين صرفوا مشيتهم الى خلاف ما ذكر اعد لهم
عذابا اليما اى متناهيا فى الايلام قال الزجاج نصب الظالمين لان ما قبله منصوب اى
يدخل من يشاء فى رحمته ويعذب الظالمين ويكون اعد لهم تفسير لهذا المضمر وقرئ بالرفع
على الابتداء عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل اتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا

والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات
ذكرا اقسام من الله عز وجل بطوائف من الملائكة ارسلهن باوامره فعصفن فى مضيهن
عصف الرياح مسارعة فى الامتثال بالامر وبطوائف اخرى نشرن اجنحتهن فى الجو عند
انحطاطهن بالوحى او نشرن الشرايع فى الاقطار او نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل باوحين
ففرقن بين الحق والباطل فالقين ذكرا الى الانبياء عذرا للمحقين او نذرا للمبطلين ولعل تقديم
نشر الشرايع ونشر النفوس والفرق على الالقاء للايذان بكونها غاية للالقاء حقيقة بالاعتناء بها
او للاشعار بان كلا من الاوصاف المذكورة مستقل بالدلالة على استحقاق الطوائف الموصوفة
بها للتفخيم والاجلال بالاقسام بهن ولوحى بها على ترتيب الوقوع لربما فهم ان مجموع الالقاء و
النشر والفرق هو الموجب لما ذكر من الاستحقاق او اقسام بارياح عذاب ارسلهن فعصفن
وبارياح رحمة نشرن السحاب فى الجو ففرقن بينه كقوله تعالى ويجعله كسفا او بسحائب نشرن المواد
ففرقن كل صنف منها عن سائر الاصناف بالشكل واللون وسائر الخواص او ففرقن بين من يشكر
الله تعالى وبين من يكفر به فالقين ذكرا اما عذرا للمعذرين الى الله تعالى بتوبتهم واستغفارهم عند
مشاهدتهم لآثار رحمته فى الغيث ويشكرونها واما انذارا للذين يكفرونها وينسبونها الى الانواء
واسناد الالقاء الذكر اليهن لكونهن سببا فى حصوله اذ اشكرت النعمة بهن او كفرت او اقسام
بآيات القرآن المرسلة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعصفن سائر الكتب بالنسخ ونشرن
آثار الهدى فى مشارق الارض ومغاربها وفرقن بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق فى اكناف العالمين

العالمين والعرف اما نقيض النكر وانتصابه على العلة اى ارسلن للاحسان والمعروف
فان ارسال ملائكة العذاب معروف للانبياء عليهم السلام والمؤمنين او بمعنى المتابعة من عرف
الفرس وانتصابه على الحالية والعذر والنذر مصدران من عذر اذا محى الاساءة ومن انذر
اذا خوف وانتصابه على البدلية من ذكرا او على العلية وقرئا بالتثقيل انما توعدون لواقع
جواب للقسم اى ان الذى توعدونه من مجئ القيمة كائن لا محالة فاذا النجوم طمست محيت
ومحقت او ذهب بنورها واذا السماء فرجت صدعت وفتحت فكانت ابوابا واذا
الجبال نسفت جعلت كالكثيب الذى ينسف بالمنسف ونحوه وبست الجبال بسا وقيل
اخذت من مقار بها بسرعة من البسيسة الشئ اذا اختطفته وقرئ طمست وفرجت
ونسفت مشددة واذا الرسل اقتت اى عين لهم الوقت الذى يحضرون فيه للشهادة
على امهم وذلك عند مجيئه حضوره اذ لا يتعين لهم قبله او بلغوا الميقات الذى كانوا
ينتظرونه وقرئ وقتت على الاصل وبالتخفيف فيهما لاى يوم اجلت مقدر يقول
هو جواب لاذا فى قوله تعالى واذا الرسل اقتت او حال من مرفوع اقتت اى
يقال لاى يوم اخرت الامور المتعلقة بالرسل والمراد تعظيم ذلك اليوم والتعجيب
من هوله وقوله تعالى ليوم الفصل بيان ليوم التاجيل وهو اليوم الذى يفصل فيه
من الخلائق وما ادراك ما يوم الفصل ما مبتدأ وادراك جزء اى اى شئ جعلك
دارئا ما هو فوضع موضع الضمير يوم الفصل لزيادة تقطيع وتهويل على ان ما خبر يوم
الفصل مبتدأ لا بالعكس كما اختاره سيبويه لان محط الفائدة بيان كون يوم
الفصل امرا بديعا هائلا لا يقادر قدره ولا يكتنه كنهه كما يفيده جعله خبرا به لا بيان كون امر يوم
من الامور يوم الفصل كما يفيده عكسه ويل يومئذ للمكذبين اى فى ذلك اليوم
الهائل وويل فى الاصل مصدر منصوب سادا مسد فعله لكن عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات
الهلاك ودوامه للمدعو عليه ويومئذ ظرفه او صفته الم نهلك الاولين كقوم نوح وعاد وثمود
لتكذيبهم به وقرئ نهلك بفتح النون من هلكه بمعنى اهلكه ثم نتبعهم الآخرين بالرفع على ثم نحن نتبعهم
الآخرين من نظرائهم السالكين لمسلكهم فى الكفر والتكذيب وهو وعيد للكفار بمكة وقرئ ثم سنتبعهم
وقرئ نتبعهم بالجزم عطفا على نهلك فيكون المراد بالآخرين المتاخرين هلاكا من المذكورين كقوم لوط
وشعيب وموسى عليهم السلام كذلك مثل ذلك الفعل الفظيع نفعل بالمجرمين اى نستأنا جارية على
ذلك ويل يومئذ اى يوم اذ اهلكنا هم للمكذبين بآيات الله تعالى وانبيائه وليس فيه تكرير
لما ان الويل الاول لعذاب الآخرة وهذا العذاب الدنيا الم نخلقكم اى الم نقدركم من ماء
مهين اى من نطفة قذرة مهينة فجعلناه فى قرار مكين هو الرحم الى قدر معلوم الى مقدار معلوم
من الوقت قدره الله تعالى للولادة تسعة اشهر او اقل منها او اكثر فقدرنا اى فقدرناه وقد
قرئ مشددا او فقدرنا على ذلك او على الاعادة الم نجعل الارض كفاتا الكفات اسم ما يكفت
اى يضم ويجمع من كفت الشئ اذا ضمه وجمعه كالصيام والجماع لما يصام ويجمع اى الم نجعلها كفاتا

ادركته وبه ادركته وبه ادركته وادراكا وادراكا وادراكا
بالتشديد فيهما الكاف ورد
للمكذبين بعد ذكرنا على ذلك
٤٤

تكفت احياء كثيرة على ظهرها وامواتا غير محصورة في بطنها وقيل هو مصدر نعت به للمبالغة
وقيل جمع كافت كصائم وصيام او كفت وهو الوعاء اجرى على الارض باعتبار بقاعها وقيل
تنكير احياء وامواتا لان احياء الانس وامواتهم بعض الاحياء والاموات وقيل انتصابهما على
الحالية من محذوف اي كفاتا تكفتكم احياء وامواتا وجعلنا فيها رواسي اي جبالا ثوابت شامخات
طوالا شواهق ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث في غير العقلاء مطرد كداجن ودواجن واشهر
معلومات وتنكيرها للتفخيم او للاشعار بان فيها ما لم يعرف واسقيناكم ماء فراتا بان خلقنا فيها
انهارا ومنابع ويل يومئذ للمكذبين بامثال هذه النعم العظيمة انطلقوا اي يقال لهم يومئذ للتوبيخ
والتقريع انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون في الدنيا من العذاب انطلقوا خصوصا الى ظل اي ظل
دخان جهنم كقوله تعالى وظل من يحموم وقرئ انطلقوا على لفظ الماضي اخبارا بعد الامر عن علمهم بموجبه
لاضطرارهم اليه طوعا او كرها ذي ثلث شعب يتشعب لعظمه ثلاث شعب كما هو شان الدخان
العظيم تراه يتفرق ذوائب وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب
من دخانها ثلاث شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون في ظل العرش وقيل خصوصية
الثلاث اما لان حجاب النفس عن انوار القدس الحس والخيال والوهم او لان المؤدي الى هذا
العذاب هو القوة الوهمية الشيطانية الحالة في الدماغ والقوة الغضبية السبعية التي عن
يمين القلب والقوة الشهوية البهيمية التي عن يساره ولذلك قيل تقف شعبة فوق الكافر وشعبة
عن يمينه وشعبة عن يساره لا ظليل تهكم بهم او رد لما اوهمه لفظ الظل ولا يغني من اللهب اي غير مغن
لهم من حر اللهب شيئا انها ترمي بشرر كالقصر اي كل شررة كالقصر من القصور في عظمها وقيل
هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة نحو جمر وجمرة وقرئ كالقصر بفتحتين وهي اعناق الابل او
اعناق النخل نحو شجرة وشجر وقرئ كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وقرئ كالقصر جمع قصرة
كانها جمالة قيل هو جمع جمل والتاء لتانيث الجمع يقال جمل وجمال وجمالة وقيل اسم جمع كالحجارة
صفر فان الشرار لما فيه من النارية يكون اصفر وقيل سود لان سواد الابل يضرب الى الصفرة
والاول تشبيه في العظم وهذا في اللون والكثرة والتتابع والاختلاط والحركة وقرئ جمالات
جمع جمال او جمالة وقرئ جمالات جمع جمالة وقد قرئ بها وهي الحبل العظيم من حبال السفن وقلوس
الجسور والتشبيه في امتداده والتفافه ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون اشارة
الى وقت دخولهم النار اي هذا يوم لا ينطقون فيه بشيء لما ان السؤال والجواب والحساب قد
انقضت قبل ذلك ويوم القيمة طويل له مواطن ومواقيت ينطقون في وقت دون وقت فعبر
عن كل وقت بيوم او لا ينطقون بشيء ينفعهم فان ذلك كلا نطق وقرئ بنصب اليوم اي هذا الذي
فصل واقع يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون عطف على يؤذن منتظم في سلك النفي اي
لا يكون لهم اذن واعتذار متعقب له من غير ان يجعل الاعتذار مسببا عن الاذن كما لو نصب
ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل بين الحق والباطل والمحق والمبطل جمعناكم خطاب
لامة محمد عليه السلم والاولين من الامم وهذا تقرير وبيان للفصل فان كان لكم كيد فكيدون فان جميع

جميع من كنتم تقلدونهم وتعتذرون بهم حاضرون وهذا تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين في الدنيا واظهار لعجزهم
ويل يومئذ للمكذبين حيث ظهر ان لا حيلة لهم في الخلاص من العذاب ان المتقين من الكفر والتكذيب
في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون اي مستقرون في فنون الترفه وانواع التنعم كلوا واشربوا هنيئا
بما كنتم تعملون مقدر بقول هو حال من ضمير المتقين في الخبر اي مقولا لهم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملونه
في الدنيا من الاعمال الصالحة انا كذلك الجزاء العظيم نجزي المحسنين اي في عقايدهم واعمالهم جزاء ادنى
منه ويل يومئذ للمكذبين حيث نال اعداهم هذا الثواب الجزيل وهم بقوا في العذاب المخلد الوبيل
كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون مقدر بقول هو حال من المكذبين اي الويل ثابت لهم مقولا لهم ذلك
تذكيرا لهم بحالهم في الدنيا وبما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع الفاني عن قريب على النعيم الخالد وعلل
ذلك باجرامهم دلالة على ان كل مجرم ماله هذا وقيل هو كلام مستانف خوطب به المكذبون في الدنيا
بعد بيان مآل حالهم وقرر ذلك بقوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين لزيادة التوبيخ والتقريع واذا قيل
لهم اركعوا اي اطيعوا الله واخشعوا وتواضعوا له بقبول وحيه واتباع دينه وارفضوا هذا الاستكبار
والنخوة لا يركعون لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على ما هم عليه من الاستكبار وقيل
اذا امروا بالصلوة او بالركوع لا يفعلون اذ روي انه نزل حين امر رسول الله عليه السلم ثقيفا
فقالوا لا نجبي فانها مسبة علينا فقال عليه السلم لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود وقيل هو يوم
القيمة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون ويل يومئذ للمكذبين وفيه دلالة على ان الكفار
مخاطبون بالفروع في حق المواخذة فباي حديث بعده اي بعد القرآن الناطق باحاديث
الدارين واخبار النشأتين على نمط بديع معجز مؤسس على حجج قاطعة وبراهين ساطعة يؤمنون
اذا لم يؤمنوا به وقرئ تؤمنون على الخطاب عن رسول الله صلعم من قرأ سورة والمرسلات كتب له انه ليس من المشركين

عم اصله عما فحذف منه الالف اما فرقا بين ما الاستفهامية وغيرها او قصدا للخفة لكثرة استعمالها
وقرئ على الاصل وما فيها من الابهام للايذان بفخامة شان المسؤول عنه وهوله وخروجه عن حدود
الاجناس المعهودة اي عن اي شيء عظيم الشان يتساءلون اي اهل مكة وكانوا يتساءلون عن
البعث فيما بينهم ويخوضون فيه انكارا واستهزاء لكن لا على طريقة التساؤل عن حقيقته ومسماه
بل عن وقوعه الذي هو حال من احواله ووصف من اوصافه فان ما وان وضعت لطلب حقايق
الاشياء ومسميات اسمائها كما في قولك ما الملك وما الروح لكنها قد يطلب بها الصفة
والحال تقول ما زيد فيقال عالم او طبيب وقيل كانوا يسألون عنه الرسول عليه السلم والمؤمنين
استهزاء كقولهم يتداعونهم اي يدعونهم وتحقيقه ان صيغة التفاعل في الافعال المتعدية موضوعة
لافادة صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلا ومفعولا معا
لكنه يرفع باسناد الفعل اليه ترجيحا لجانب فاعليته ويحال بمفعوليته على دلالة العقل كما في قولك
تراءى القوم اي رأى كل واحد منهم الآخر وقد تجرد عن المعنى الثاني فيراد بها مجرد صدور الفعل عن

المتعدد عاريا عن اعتبار وقوعه عليه فيذكر للفعل حينئذ مفعول متعدد كما في المثال المذكور او واحد كما
في قولك تراوا الهلال وقد يحذف لظهوره كما فيما نحن فيه فالمعنى عن اي شيء يسأل هؤلاء القوم
الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وربما تجرد عن صدور الفعل عن المتعدد ايضا فيراد بها تعدده
باعتبار تعدد متعلقه مع وحدة الفاعل كما في قوله تعالى فبأي آلاء ربك تتمارى وقوله تعالى عن النبأ العظيم
بيان لشأن المسؤول عنه اثر تفخيمه بابهام امره وتوجيه اذهان السامعين نحوه وتنزيلهم منزلة
المستفهمين فان ايراده على طريقة الاستفهام من علام الغيوب للتنبيه على انه لانقطاع قرينه
وانعدام نظيره خارج عن دائرة علوم الخلق خليق بان يعتنى بمعرفته ويسأل عنه كانه قيل عن اي
شيء يتساءلون هل اخبركم به ثم قيل بطريق الجواب عن النبأ العظيم على منهاج قوله تعالى لمن الملك
اليوم لله الواحد القهار فعن متعلقة بما يدل عليه المذكور من مضمر حقه ان يقدر بعدها مسارعة
الى البيان ومراعاة لترتيب السؤال هذا هو التحقيق بالجزالة التنزيلية وقد قيل هي متعلقة بالمذكور
وعم متعلق بمضمر مفسر به وايد ذلك بانه قرئ عمه والاظهر انه مبني على اجراء الوصل مجرى الوقف
وقيل عن الاولى للتعليل كانه قيل لم يتساءلون عن النبأ العظيم وقيل قبل عن الثانية استفهام
مضمر كانه قيل عم يتساءلون اعن النبأ العظيم والنبأ الخبر الذي له شأن وخطر وقد وصف
بقوله تعالى الذي هم فيه مختلفون بعد وصفه بالعظيم تأكيدا لخطره اثر تأكيد واشعارا بمدار التساؤل
عنه وفيه متعلق بمختلفون قدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل وجعل الصلة جملة اسمية للدلالة على الثبات
اي هم راسخون في الاختلاف فيه فمن جازم باستحالته يقول ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى
وما يهلكنا الا الدهر وما نحن بمبعوثين وشاك يقول ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن
بمستيقنين وقيل منهم من ينكر المعادين معا كهؤلاء ومنهم من ينكر المعاد الجسماني فقط كجمهور النصارى
وقد حمل الاختلاف على الاختلاف في كيفية الانكار فمنهم من ينكره لانكاره الصانع المختار ومنهم
من ينكره بناء على استحالة اعادة المعدوم بعينه وحمله على الاختلاف بالنفي والاثبات بناء على
تعميم التساؤل لفريقي المسلمين والكافرين على ان سؤال الاولين ليزدادوا خشية واستعدادا
وسؤال الآخرين ليزدادوا كفرا وعنادا وقوله تعالى كلا سيعلمون فانه صريح في ان المراد اختلاف
الجاهلين والمنكرين له اذ عليه يدور الردع والوعيد لا على خلاف المؤمنين لهم وتخصيصهما بالكفرة
بناء على تخصيص ضمير سيعلمون بهم مع عموم الضميرين السابقين للكل مما ينبغي تنزيه التنزيل عن امثاله
هذا ما ادى اليه جليل النظر والذي يقتضيه التحقيق ويستدعيه النظر الدقيق ان يحمل اختلافهم على مخالفتهم
للنبي عليه السلام بان يعتبر في الاختلاف محض صدور الفعل عن المتعدد حسبما ذكر في التساؤل فان الافتعال
والتفاعل صيغتان متآخيتان كالاستباق والتسابق والانتضال والتناضل الى غير ذلك
يجري في كل منهما ما يجري في الاخرى لا على مخالفة بعضهم لبعض من الجانبين لان الكل وان استحق
الردع والوعيد لكن استحقاق كل جانب لهما ليس لمخالفته للجانب الآخر اذ لا حقية في شيء منهما حتى
يستحق من يخالفه المؤاخذة بل لمخالفته له عليه السلام فكلا ردع لهم عن التساؤل والاختلاف بالمعنيين
المذكورين وسيعلمون وعيد لهم بطريق الاستئناف وتعليل للردع والسين للتقريب والتأكيد وليس

مفعوله ما ينبئ عنه المقام من وقوع ما يتساءلون عنه ووقوع ما يختلفون فيه كما في قوله تعالى واقسموا
بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت الى قوله تعالى ليبين لهم الذي اختلفوا فيه الآية فان ذلك عار
عن صريح الوعيد بل هو عبارة عما يلاقونه من فنون الدواهي والعقوبات والتعبير عن لقائها بالعلم
لوقوعه في معرض التساؤل والاختلاف والمعنى ليرتدعوا عما هم عليه فانهم سيعلمون عما قليل حقيقة
الحال اذا حل بهم العذاب والنكال وقوله تعالى ثم كلا سيعلمون تكرير للردع والوعيد للمبالغة في
التأكيد والتشديد وثم للدلالة على ان الوعيد الثاني ابلغ واشد وقيل الاول عند النزع والثاني
في القيمة وقيل الاول للبعث والثاني للجزاء وقرئ ستعلمون بالتاء على نهج الالتفات الى
الخطاب الموافق لما بعده من الخطابات تشديدا للردع والوعيد لا على تقدير قل لهم كما توهم فان فيه
من الاخلال بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى وقوله تعالى الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا الخ
استئناف مسوق لتحقيق النبأ المتساءل عنه بتعداد بعض الشواهد الناطقة بحقيته اثر ما نبه عليها
بما ذكر من الردع والوعيد ومن ههنا اتضح ان المتساءل عنه هو البعث لا القرآن او نبوة النبي عليه السلام
كما قيل والهمزة للتقرير والالتفات الى الخطاب على القراءة المشهورة للمبالغة في الالزام والتبكيت
والمهاد البساط والفراش وقرئ مهدا على تشبيهها بمهد الصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية
للممهود بالمصدر وجعل الجبال اوتادا لها ارساؤها بها كما يرسى البيت بالاوتاد وخلقناكم عطف
على المضارع المنفي بلم داخل في حكمه فانه في قوة اما جعلنا الخ او على ما يقتضيه الانكار التقريري فانه في قوة
ان يقال قد جعلنا الخ ازواجا اصنافا ذكرا وانثى يسكن كل من الصنفين الى الآخر وينتظم امر المعاشرة
والمعاش ويتسنى التناسل وجعلنا نومكم سباتا اي موتا فانه احد التوفيين لما بينهما من المشاركة
التامة في انقطاع احكام الحيوة وعليه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل وقوله تعالى الله يتوفى الانفس
حين موتها والتي لم تمت في منامها وقيل قطعا عن الاحساس والحركة لاراحة القوى الحيوانية وازاحة
كلالها والاول هو اللائق بالمقام كما ستعرفه وجعلنا الليل اي الذي فيه يقع النوم غالبا لباسا
يستركم بظلامه كما يستركم اللباس ولعل المراد به ما يستتر به عند النوم من اللحاف ونحوه فان شبه
الليل به اكمل واعتباره في تحقيق المقصد ادخل فهو جعل الليل محلا للنوم الذي جعل موتا كما جعل
النهار محلا لليقظة المعبر عنها بالحيوة في قوله تعالى وجعلنا النهار معاشا اي وقت حيوة تبعثون
فيه من نومكم الذي هو اخو الموت كما في قوله تعالى وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا
وجعل النهار نشورا وجعل كون الليل لباسا عبارة عن ستره عن العيون لمن اراد هربا من
عدو او بياتا له او نحو ذلك مما لا مناسبة له بالمقام وكذا جعل النهار وقت التقلب في تحصيل المعايش
والحوائج وبنينا فوقكم سبعا شدادا اي سبع سموات قوية الخلق محكمة البناء لا يؤثر فيها مر
وكر العصور والتعبير عن خلقها بالبناء مبني على تنزيلها منزلة القباب المضروبة على الخلق وتقديم الظرف
على المفعول ليس لمراعاة الفواصل فقط بل للتشويق اليه فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة
له فاذا ورد عليها تمكن عندها فضل تمكن وجعلنا سراجا وهاجا هذا الجعل بمعنى الانشاء والابداع
كالخلق خلا انه مختص بالانشاء التكويني وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما في الآية الكريمة وللتشريعي

ايضا كما في قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة الخ وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وايا ما كان فيه ابتداء
عن ملابسة معموله بشئ آخر بان يكون فيه او له او منه او نحو ذلك ملابسة مصححة لان يتوسط بينهما
شئ من الظروف لغوا كان او مستقرا لكن لا على ان يكون عمدة في الكلام بل قيدا فيه كما في قوله تعالى
وجعل بينهما برزخا وقوله تعالى وجعل فيها رواسي وقوله تعالى واجعل لنا من لدنك وليا الآية فان كلا من
من هذه الظروف اما متعلق بنفس الجعل او بمحذوف وقع حالا من مفعوله تقدمت عليه لكونه نكرة واما
كان هو مبتدئة الكلام حتى اذا اقتضى الحال وقوعه عمدة فيه يكون الجعل متعديا الى اثنين هو ثانيهما كما في
قوله تعالى يجعلون اصابعهم في آذانهم وربما يشتبه الامر فيظن انه عمدة فيه وهو في الحقيقة قيد باحد
الوجهين كما سلف في قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة والوهاج الوقاد المتلألئ من وهجت
النار اذا اضأت او البالغ في الحرارة من الوهج والمراد به الشمس والتعبير عنها بالسراج من روادف
التعبير عن خلق السموات بالبناء وانزلنا من المعصرات هي السحايب اذا اعصرت اي شارفت
ان تعصرها الرياح فتمطر كما في احصد الزرع اذا حان له ان يحصد ومنه اعصرت الجارية اذا دنت
ان تحيض او الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب وقرئ بالمعصرات ووجهه ذلك ان الانزال
حيث كان من المعصرات سواء اريد به السحاب او الرياح فقد كان بها كما يقال اعطاه من يده وبيده
وقد فسرت المعصرات بالرياح ذوات الاعاصير ووجه ان الرياح هي التي تنشئ السحاب
وتدرّ اخلافه فصلحت ان تجعل مبدأ للانزال ماء ثجاجا اي منصبا بكثرة يقال ثج الماء اي سال
بكثرة وثجه اي اساله ومنه قوله عليه السلام افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب
دماء الهدي وقرئ ثجاجا بالجاء بعد الجيم قالوا مثاجح الماء مصابه لنخرج به بذلك الماء حبا يعني
كالحنطة والشعير ونحوهما ونباتا يعتلف كالتبن والحشيش وتقديم الحب مع تاخره عن النبات
في الاخراج لاصالته وشرفه لان غالبه غذاء الانسان وجنات الجنة في الاصل هي المرة من مصدر جنه
اذا ستره تطلق على النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه قال زهير بن ابي سلمى كان عيني
في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا وعلى الارض ذات الشجر قال الفراء الجنة ما فيه النخيل
والكروس ما فيه الكرم والاول هو المراد وقوله تعالى الفافا اي ملتفة تداخل بعضها في بعض قالوا
لا واحد له كالاوزاع والاخياف وقيل الواحد لف كلن واكمان او لفيف كشريف واشراف
وقيل هو جمع لف جمع لفاء كخضر وخضراء وقيل جمع ملتفة بحذف الزوايد واعلم ان
فيما ذكر من افعاله عز وجل دلالة على صحة البعث وحقيقته من وجوه ثلثة الاول باعتبار قدرته
تعالى فان من قدر على انشاء هذه الافعال البديعة من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه كان على الاعادة
اقدر واقوى الثاني باعتبار علمه وحكمته فان من ابدع هذه المصنوعات على نمط رائع مستتبع
لغايات جليلة ومنافع جميلة عايدة الى الخلق يستحيل ان يفنيها بالكلية ولا يجعل لها عاقبة باقية
والثالث باعتبار نفس الفعل فان اليقظة بعد النوم انموذج للبعث بعد الموت يشاهدونها
كل يوم وكذا اخراج الحب والنبات من الارض الميتة يعاينونه كل حين كانه قيل الم تفعل هذه
الافعال الآفاقية والانفسية الدالة بفنون الدلالات على حقية البعث الموجبة للايمان به فالكم تخوضون فيه

فيه الانكار والتقرير تتساءلون عنه استهزاء وقوله تعالى ان يوم الفصل كان ميقاتا شروع في بيان سر تاخير
ما يتساءلون عنه ويستعجلون به قائلين متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ووضع تفصيل كيفية وقوعه وما
سيلقونه عند ذلك من فنون العذاب جميعا جزاء به الوعيد اجمالا اي ان يوم فصل الله عز وعلا بين
الخلايق كان في علمه وتقديره ميقاتا وميعادا لبعث الاولين والآخرين وما يترتب عليه من الجزاء
ثوابا وعقابا لا يكاد يتخطاه بالتقدم والتاخر وقيل حدا توقت به الدنيا وتنتهي عنده او حدا
للخلائق ينتهون اليه ولا ريب في انهما بمعزل من التعريب الذي اشير اليه على ان الدنيا تنتهي عند النفخة
الاولى وقوله تعالى يوم ينفخ في الصور اي نفخة ثانية بدل من يوم الفصل او عطف بيان له مفيد لزيادة
تفخيمه وتهويله ولا ضير في تاخر الفصل عن النفخ فانه زمان ممتد يقع في مبدائه النفخة وفي بقيته الفصل
ومباديه وآثاره والصور هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام عن ابي هريرة رضي الله عنه
ان رسول الله عليه السلام قال لما فرغ الله تعالى من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه
اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص بصره الى العرش متى يؤمر بالنفخ فيه فيومر به فينفخ فيه نفخة لا تبقي
عند هائي الحيوة غير من شاء الله وذلك قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في
الارض الا من شاء الله ثم يومر باخرى فينفخ نفخة لا تبقي معها ميت الا بعث وقام وذلك
قوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون والفاء في قوله تعالى فتاتون فصيحة تفصح عن جملة
قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها واذانا بغاية سرعة الاتيان كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك
البحر فانفلق اي فتبعثون من قبوركم فتاتون الى الموقف عقيب ذلك من غير لبث اصلا افواجا
اي امما كل امة مع امامها كما في قوله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم او زمرا او جماعات مختلفة
الاحوال متباينة الاوضاع حسب اختلاف اعمالهم وتباينها عن معاذ رضي الله عنه انه سال رسول
الله عليه السلم فقال عليه السلم يا معاذ سالت عن امر عظيم من الامور ثم ارسل عينيه وقال حشر عشرة
اصناف من امتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون ارجلهم
فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عمي وبعضهم صم بكم وبعضهم يمضغون السنتهم فهي مدلاة
على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم
مصلبون على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم يلبسون جبابا سابغة من قطران
لازقة بجلودهم فاما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس واما الذين على صورة الخنازير
فاهل السحت واما المنكسون على وجوههم فاكلة الربا واما العمي فالذين يجورون في الحكم واما
الصم البكم فالمعجبون باعمالهم واما الذين يمضغون السنتهم فالعلماء الذين خالفت اقوالهم
اعمالهم واما الذين قطعت ايديهم وارجلهم فهم الذين يؤذون جيرانهم واما المصلبون على جذوع
من نار فالسعاة بالناس الى السلطان واما الذين هم اشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون
الشهوات واللذات ومنع واجب الله تعالى في اموالهم واما الذين يلبسون الجباب فاهل الكبر
والفخر والخيلاء وفتحت السماء عطف على نفخ وصيغة الماضي للدلالة على التحقق وقرئ فتحت
بالتشديد وهو الانسب بقوله تعالى فكانت ابوابا اي كثرت ابوابها لمفتح لنزول الملائكة زرافات

معا وحتى صارت كانها ليست الا ابوابا مفتحة كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا كان كلها عيون متفجرة
وهو المراد بقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وهو الغمام الذى ذكره فى قوله تعالى هل ينظرون الا
ان ياتيهم الله اى امره وباسه فى ظلل من الغمام والملائكة وقيل الابواب الطرق والمسالك
اى تكشط فينفتح مكانها وتصير طرقا لا يسد بها شئ وسيرت الجبال اى فى الجو على هيئاتها بعد
فلعها من مقارها كما يعرب عنه قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب اى ترى
راى العين ساكنة فى اماكنها والحال انها تمر مر السحاب التى تسيرها الرياح سيرا حثيثا
وذلك ان الاجرام العظام اذا تحركت تحركا ما لا تكاد تتبين حركتها وان كانت
فى غاية السرعة لا سيما من بعيد وعليه قول من قال بارع عن مثل الطود تحسب انهم وقوف
لجاج والركاب تهملج وقد اوجز فى هذا التشبيه تشبيه حال الجبال بحال السحاب فى تخلخل
الاجزاء وانتفاشها كما ينطق به قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش يبدل الله تعالى الارض
ويغير هيئاتها ويسير الجبال عن تلك الهيئة الهائلة عند حشر الخلائق بعد النفخة الثانية ليشاهدوها
ثم يغير تلك الهواء وذلك قوله تعالى فكانت سرابا اى فصارت بعد تسييرها مثل السراب
كقوله تعالى وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا اى غبارا منتشرا وهى وان اندكت
وانصدعت عند النفخة الاولى لكن تسييرها وتسويتها بالارض انما يكونان بعد النفخة الثانية
كما نطق به قوله تعالى ويسالونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى
فيها عوجا ولا امتا يومئذ يتبعون الداعى وقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات
وبرزوا لله الواحد القهار فان اتباع الداعى الذى هو اسرافيل عليه السلم وبروز الخلق لله تعالى
لا يكون الا بعد النفخة الثانية ان جهنم كانت مرصادا شروع فى تفصيل احكام الفصل الذى
اجمل اليه اليوم اثر بيان هوله ووجه تقديم بيان حال الكفار غنى عن البيان والمرصاد
اسم للمكان الذى يرصد فيه كالمضمار الذى هو اسم للمكان الذى يضمر فيه الخيل والمنهاج
اسم للمكان الذى ينهج فيه اى انها كانت بحكم الله تعالى وقضائه موضع رصد يرصد فيه
خزنة النار الكفار ليعذبوهم فيها للطاغين متعلق بمضمر هو اما نعت لمرصادا اى كائنا
للطاغين وقوله تعالى مآبا بدل منه اى مرجعا يرجعون اليه لا محالة واما حال من مآبا قدمت
عليه لكونه نكرة ولو تاخرت لكانت صفة له وقد جوز ان يتعلق بنفس مآبا على انها مرصاد للفئة
مآب للكافرين خاصة ولا يخفى بعده فان المتبادر من كونها مرصادا للطائفة كونهم معدين
بها وقد قيل انها مرصاد لاهل الجنة يرصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لان مجازهم
عليها وهى مآب للطاغين وقيل المرصاد صيغة مبالغة من الرصد والمعنى انها مجدة
فى ترصد الكفار لئلا يشذ منهم احد وقرئ ان بالفتح على تعليل قيام الساعة بانها مرصاد
للطاغين لا بينين فيها حال مقدرة من المستكن فى للطاغين وقرئ لبيثين وقوله تعالى احقابا
ظرف للبثهم اى دهورا متتابعة كلما مضى حقب تبعه حقب آخر الى غير نهاية فان الحقب
لا يكاد يستعمل الا حيث يراد تتابع الازمنة وتواليها فليس فيه ما يدل على تناهى تلك الاحقاب

الاحساب والمراد بالحقب ثمانون سنة او سبعون الف سنة وقوله تعالى لا يذوقون فيها
بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا جملة مبتدأة اخبر عنهم بانهم لا يذوقون فيها شيئا ما
من برد وروح ينفس عنهم حر النار ولا من شراب يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها
فيها حميما وغساقا وقرئ البرد وقرئ غساقا بالتخفيف وكلاهما ما يسيل من صديدهم
جزاء اى جوزوا بذلك جزاء وفاقا اوفاق لاعمالهم او نفس الوفاق مبالغة
او وافقها وفاقا وقرئ وفاقا على انه فعال من وفقه كذا اى لائقه انهم كانوا لا يرجون
حسابا تعليل لاستحقاقهم الجزاء المذكور اى كانوا لا يخافون ان يحاسبوا باعمالهم
وكذبوا بآياتنا الناطقة بذلك كذابا اى تكذيبا مفرطا ولذلك كانوا مصرين على
الكفر وفجورهم المعاصى وفعال من باب فعل شايع فيما بين الفصحاء وقرئ بالتخفيف وهو مصدر كذب
قال صدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه والانتصاب اما بفعله المدلول عليه بكذبوا اى وكذبوا
بآياتنا فكذبوا كذابا او اما بنفس كذبوا فان كل من يكذب باطل فهو كاذب
وقرئ كذابا وهو جمع كاذب فانتصابه على الحالية اى كذبوا بآياتنا كاذبين وقد يكون الكذاب
بمعنى الواحد البليغ فى الكذب فيجعل صفة لمصدر كذبوا تكذيبا كذابا مفرطا وكل شئ من الاشياء
التى من جملتها اعمالهم وانتصابه بمضمر يفسره احصيناه اى حفظناه وضبطناه وقرئ بالرفع
على الابتداء كتابا مصدر مؤكد لاحصيناه لان الاحصاء والكتبة من واد واحد او لفعله المقدر
او حال بمعنى مكتوبا فى اللوح او فى صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله تعالى فذوقوا فلن نزيدكم
الا عذابا مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات وفى الالتفات المبنى عن التشديد فى
التهديد وابراد لن المفيدة لكون ترك الزيادة من قبيل ما لا يدخل تحت الصحة من الدلالة
على تبالغ الغضب ما لا يخفى وقد روى عن النبى عليه السلم ان هذه الآية اشد ما فى القرآن على اهل
النار ان للمتقين مفازا شروع فى بيان محاسن احوال المؤمنين اثر بيان سوء احوال الكفرة
اى ان للذين يتقون الكفر وسائر قبايح اعمال الكفرة فوزا وظفرا بمبتغياتهم او موضع فوز وقيل
نجاة مما فيه اولئك او موضع نجاة وقوله تعالى حدائق واعنابا اى بساتين فيها انواع الاشجار
المثمرة وكرر ما بدل من مفازا وكواعب اى نساء فلكت ثديهن وهن النواهد اترابا اى لدات
وكاسا دهاقا اى مترعة يقال ادهق الحوض اى ملاه لا يسمعون فيها اى فى الجنة وقيل فى الكاس
لغوا ولا كذابا اى لا ينطقون بلغو ولا يكذب بعضهم بعضا وقرئ كذابا بالتخفيف اى لا يكذبه
او لا يكاذبه جزاء من ربك مصدر مؤكد منصوب بمعنى ان للمتقين مفازا فانه فى قوة ان يقال
جازى المتقين بمفاز جزاء كائنا من ربك والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال
شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضميره عليه السلم مزيد تشريف له عليه السلم عطاء اى تفضلا واحسانا
منه تعالى اذ لا يجب عليه شئ وهو بدل من جزاء حسابا صفة لعطاء بمعنى كافيا على انه مصدر اقيم مقام
الوصف او بليغ فيه من احسبه الشئ اذا كفاه حتى قال حسبى وقيل على حسب اعمالهم وقرئ حسانا
بالتشديد على انه بمعنى المحسب كالدراك بمعنى المدرك رب السموات والارض وما بينهما بدل من ربك

وقوله تعالى الرحمن صفة له وقيل صفة للاول وايا ما كان ففي ذكر ربوبيته تعالى للكل ورحمته الواسعة اشعار
بمدار الجزاء وقوله تعالى لا يملكون منه خطابا استيناف مقرر لما افاده الربوبية العامة من غاية العظمة
والكبرياء واستقلاله تعالى بما ذكر من الجزاء والعطاء من غير ان يكون لاحد قدرة عليه وقرئ برفعهما
فقيل على انهما خبران لمبتدا مضمر وقيل الثاني نعت للاول وقيل الاول مبتدا والثاني خبره ولا
يملكون خبر آخر او هو الخبر والرحمن صفة للاول وقيل لا يملكون حال لازمة وقيل الاول مبتدا والرحمن
مبتدا ثان ولا يملكون خبره والجملة خبر للاول وحصل الربط بتكرير المبتدا بمعناه على راي من يقول
به والاوجه ان يكون كلاهما مرفوعا على المدح او يكون الثاني نعتا للاول ولا يملكون استينافا على
حاله ففيه ما ذكر من الاشعار بمدار الجزاء والعطاء كما في البدلية لما ان المرفوع او المنصوب مدحا تابع
لما قبله معنى وان كان منقطعا عنه اعرابا كما فصل في قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب من سورة البقرة
وقرئ بجر الاول على البدلية ورفع الثاني على الابتداء والخبر ما بعده او على انه خبر لمبتدا مضمر وما
بعده استيناف او خبر ثان او حال وضمير لا يملكون لاهل السموات والارض اي لا يملكون ان
يخاطبوه تعالى من تلقاء انفسهم كما ينبئ عنه لفظ الملك خطابا ما في شيء ما والمراد نفي قدرتهم على ان
يخاطبوه تعالى بشيء من نقص العذاب او زيادة الثواب من غير اذنه على ابلغ وجه واكده وقيل
ليس في ايديهم مما يخاطب الله به ويامر به في امر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف
الملاك فيزيدون فيه او ينقصون منه يوم يقوم الروح والملائكة صفا قيل الروح خلق اعظم من
الملائكة واشرف منهم واقرب من رب العالمين وقيل هو ملك ما خلق الله عز وجل بعد العرش
خلقا اعظم منه عن ابن عباس انه اذا كان يوم القيمة قام هو وحده صفا والملائكة كلهم صفا وعنه
عن النبي عليه السلم انه قال الروح جند من جنود الله ليسوا ملائكة لهم رؤس وايد وارجل ياكلون الطعام
ثم قرأ يوم يقوم الروح الآية وهذا قول ابي صالح ومجاهد قالوا ما ينزل من السماء ملك الا ومعه واحد
منهم نقله البغوي وقيل هم اشراف الملائكة وقيل هم الحفظة على الملائكة وقيل جبريل عليه السلم
وصفا حال اي مصطفين قيل هما صفان الروح صف واحدا او متعددا والملائكة صف
وقيل صفوف وهو الاوفق لقوله تعالى والملك صفا صفا وقيل يقوم الكل صفا واحدا ويوم ظرف
لقوله تعالى لا يتكلمون وقوله تعالى الا من اذن له الرحمن وقال صوابا بدل من ضمير لا يتكلمون العائد الى
اهل السموات والارض الذين من جملتهم الروح والملائكة وذكر قيامهم واصطفافهم لتحقيق عظمة
سلطانه وكبرياء ربوبيته وتهويل يوم البعث الذي عليه مدار الكلام من مطلع السورة الكريمة الى
مقطعها والجملة استيناف مقرر لمضمون قوله تعالى لا يملكون الخ ومؤكد له على معنى ان اهل السموات
والارض اذا لم يقدروا يومئذ ان يتكلموا بشيء من جنس الكلام الا من اذن الله تعالى له منهم في التكلم
وقال ذلك المأذون له قولا صوابا اي حقا فكيف يملكون خطاب رب العزة مع كونه اخص من
مطلق الكلام واعز منه مرامًا لا على معنى ان الروح والملائكة مع كونهم افضل الخلائق واقربهم
من الله تعالى اذا لم يقدروا ان يتكلموا بما هو صواب من الشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه
غيرهم كما قيل فانه مؤسس على قاعدة الاعتزال فمن سلكه مع تجويزه ان يكون يوم ظرف ليملكون فقد

اشتبه عليه الشؤون واختلط به الظنون وقيل الا من اذن الخ منصوب على اصل الاستثناء والمعنى
لا يتكلمون الا في حق شخص اذن له الرحمن وقال ذلك الشخص صوابا اي حقا هو التوحيد واظهار الرحمن
في موقع الاضمار للايذان بان مناط الاذن هو الرحمة البالغة لا ان احدا يستحقه عليه سبحانه وتعالى ذلك
اشارة الى يوم قيامهم على الوجه المذكور وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان
بعلو درجته وبعد منزلته في الهول والفخامة ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده اي ذلك اليوم
العظيم الذي يقوم فيه الروح والملائكة مصطفين غير قادرين هم وغيرهم على التكلم من الهيبة والجلال
اليوم الحق اي الثابت المتحقق لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء في قوله تعالى
فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا فصيحة تفصح عن شرط محذوف ومفعول المشية محذوف لوقوعها شرطا
وكون مفعولها مضمون الجزاء وانتفاء الغرابة في تعلقه حسب القاعدة المستمرة والى ربه متعلق
بما قدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل كانه قيل واذا كان الامر كما ذكر من تحقق اليوم المذكور لا محالة
فمن شاء ان يتخذ مرجعا الى ثواب ربه الذي ذكر شانه العظيم ففعل ذلك بالايمان والطاعة وقال
قتادة مآبا اي سبيلا وتعلق الجار به لما فيه من معنى الافضاء والايصال كما مر في قوله تعالى من استطاع
اليه سبيلا انا انذرناكم اي بما ذكر في السورة من الآيات الناطقة بالبعث وبما بعده من الدواهي
او بها وبساير القوارع الواردة في القرآن عذابا قريبا هو عذاب الآخرة وقربه لتحقق اتيانه حتما ولانه
قريب بالنسبة اليه تعالى وان راوه بعيدا ويسرونه قريبا لقوله يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها
وعن قتادة هي عقوبة الدنيا لانه اقرب العذابين وعن مقاتل هو قتل قريش يوم بدر وياباه
قوله تعالى يوم ينظر المرء ما قدمت يداه فانه اما بدل من عذابا او ظرف لمضمر هو صفة له اي عذابا
كائنا يوم ينظر المرء اي يشاهد ما قدمه من خير او شر على ان ما موصولة منصوبة بينظر والعائد محذوف
اي ينظر اي شيء قدمت يداه على انها استفهامية منصوبة بقدمت وقيل المرء عبارة عن الكافر
وما في قوله تعالى ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم قيل معنى
تمنيه ليتني كنت ترابا في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او ليتني كنت ترابا في هذا اليوم فلم ابعث
وقيل يحشر الله تعالى الحيوان فيقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وقيل الكافر ابليس
يرى آدم وولده وثوابهم فيتمنى ان يكون الشيء الذي احتقره حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عم يتساءلون سقاه الله برد الشراب يوم القيمة

والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا
اقسام من الله عز وجل بطوائف الملائكة الذين ينزعون الارواح من الاجساد على الاطلاق كما قاله
ابن عباس ومجاهد او ارواح الملائكة الكفرة كما قاله علي وابن مسعود رضي الله عنهما وسعيد بن جبير
ومسروق وينشطونها اي يخرجونها من الاجساد من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها ويسبحون في اخراجها
سبح الغواص الذي يخرج من البحر ما يخرج فيسبقون بارواح الكفر الى النار وبارواح المؤمنين الى الجنة

فيدبرون امر عقابها وثوابها بان يهيئوها لادراك ما اعد لها من الآلام واللذات والعطف مع
اتحاد الكل بتنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي كما في قوله تعالى الى الملك القوم وابن الهمام وليث
الكتائب في المزدحم للاشعار بان كل واحد من الاوصاف المعدودة من معظمات الامور حقيق
بان يكون على حياله مناطا لاستحقاق موصوفه للاجلال والاعظام بالاقسام به من غير انضمام الاوصاف
الاخر اليه والفاء في الاخيرين للدلالة على ترتبهما على ما قبلهما بغير مهلة يا لهف زيابة للحارث الصالح
فالغانم فالآيب وغرقا مصدر موكد بحذف الزوايد اي اغراقا في النزع حيث تنزعها من اقاصي
الاجساد قال ابن مسعود تنزع روح الكافر من جسده من تحت كل شعرة من تحت الاظافير واصول
القدمين ثم تغرقها في جسده ثم تنزعها حتى اذا كادت تخرج تردها في جسده فهذا عملها بالكفار
وقيل يرى الكافر نفسه في وقت النزع كانها تغرق وانتصاب نشطا وسبحا وسبقا ايضا
على المصدرية واما امرا فمفعول للمدبرات وتنكيره للتهويل والتفخيم ويجوز ان يراد بالسابحات وما بعدها
طوائف من الملائكة يسبحون في مضيهم اي يسرعون فيه فيسبقون الى ما امروا به من الامور الدنيوية
والاخروية والمقسم عليه محذوف تعويلا على اشارة ما قبله من المقسم به اليه ودلالة ما بعده من احوال
القيمة عليه وهو لتبعثن فان الاقسام بمن يتولى نزع الارواح ويقوم بتدبير امورها يلوح بكون المقسم
عليه من قبيل تلك الامور لا محالة وفيه من الجزالة ما لا يخفى وقد جوز ان يكون اقساما بالنجوم التي تنزع
من المشرق الى المغرب غرقا في النزع بان تقطع الفلك حتى تنحط في اقصى الغرب وتنشط من برج الى
برج اي تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد وتسبح في الفلك فيسبق بعضها بعضا فتدبر امرا نيط
بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وتبين مواقيت العبادات وحيث كانت حركاتها من المشرق
الى المغرب قسرية وحركاتها من برج الى برج ملايمة عبر عن الاولى بالنزع وعن الثانية بالنشط او بانفس
الغزاة او ايديهم التي تنزع القسي باغراق السهام وينشطون بالهم للوحي ويسبحون في البر والبحر فيسبقون
الى حرب العدو فيدبرون امرها او بخيلهم التي تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها
لانها عراب وتخرج من دار الاسلام الى دار الحرب وتسبح في جريها فتسبق الى الغاية فتدبر امر الظفر
والغلبة واسناد التدبير اليها لانها من اسبابه هذا والذي يليق بشان التنزيل هو الاول وقوله تعالى
يوم ترجف الراجفة منصوب بالجواب المضمر والمراد بالراجفة الواقعة التي ترجف عندها الاجرام
الساكنة التي تتحرك حركة شديدة وتتزلزل زلزلة عظيمة كالارض والجبال وهي النفخة الاولى وقيل
الرجفة الارض والجبال لقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال وقوله تعالى تتبعها الرادفة اي الواقعة
التي تردف الاولى وهي النفخة الثانية حال من الراجفة مصححة لوقوع اليوم ظرفا للبعث اي لتبعثن
يوم النفخة الاولى حال كون النفخة الثانية تابعة لها لا قبل ذلك فانه عبارة عن الزمان الممتد الذي
يقع فيه النفختان وبينهما اربعون سنة واعتبار امتداده مع ان البعث لا يكون الا عند النفخة الثانية
لتهويل اليوم ببيان كونه موقعا لداهيتين عظيمتين لا يبقى عند وقوع الاولى حي الا مات ولا عند وقوع
الثانية ميت الا بعث وقام ووجه اضافته الى الاولى ظاهر وقيل يوم ترجف منصوب باذكر فتكون الجملة
استينافا مقررا لمضمون الجواب المضمر كانه قيل لرسول الله عليه السلام اذكر لهم يوم النفختين فانه وقت بعثهم

بعثهم وقيل هو منصوب بما دل عليه قوله تعالى قلوب يومئذ واجفة اي يوم ترجف وجفت القلوب
قيل قلوب مبتداء ويومئذ متعلق بواجفة وهي صفة لقلوب مسوغة لوقوعه مبتداء وقوله تعالى ابصارها
اي ابصار اصحابها خاشعة جملة من مبتداء وخبر وقعت خبرا لقلوب وقد مر ان حق الصفة ان
تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع حتى قالوا ان الصفات قبل العلم بها اخبار والا
بعد العلم بها صفات فحيث كان ثبوت الوجيف للقلوب وثبوت الخشوع لابصار اصحابها
سواء في المعرفة والجهالة كان جعل الاول عنوانا للموضوع مسلم الثبوت مفروغا عنه وجعل الثاني
مخبرا به مقصود الافادة تحكما بحتا على ان الوجيف الذي هو عبارة عن شدة اضطراب القلب
وقلقله من الخوف والوجل اشد من خشوع البصر واهول فجعل اهون الشرين عمدة واشدهما
فضلة مما لا عهد له في الكلام وايضا فتخصيص الخشوع بقلوب موصوفة بصفة معينة غير مشعرة
بالعموم والشمول تهوين للخطب في موقع التهويل فالوجه ان يقال تنكير قلوب يقوم مقام الوصف
المخصص سواء حمل على التنويع كما قيل وان لم يذكر النوع المقابل فان المعنى فنسحب عليه او على التكثير
كما في شر اهر ذا ناب فان التفخيم كما يكون بالكيفية يكون بالكمية ايضا كانه قيل قلوب كثيرة يوم اذ تقع
النفختين واجفة اي شديدة الاضطراب قال ابن عباس خائفة وجلة وقال السدي زايلة عن اماكنها
كما في قوله تعالى اذ القلوب لدى الحناجر وقوله تعالى يقولون ائنا لمردودون في الحافرة حكاية لما ينكره المنكرون
من البعث المكذبون بالآيات الناطقة به اثر بيان وقوعه بطريق التوكيد القسمي وذكر مقدماته الهائلة
وما يعرض عند وقوعها للقلوب والابصار اي يقولون اذا قيل لهم انكم تبعثون منكرين له متعجبين منه ائنا لمردودون
بعد موتنا في الحافرة اي في الحالة الاولى يعنون الحيوة من قولهم رجع فلان في حافرته اي طريقته التي جاء فيها
فحفرها اي اثر فيها بمشيته وتسميتها حافرة مع انها محفورة كقوله تعالى عيشة راضية اي منسوبة الى
الحفر والرضى او كقولهم نهاره صائم على تشبيه القابل بالفاعل وقرئ في الحفرة وهي بمعنى المحفورة وقوله تعالى
ائذا كنا عظاما نخرة تاكيد لانكار الرد ونفيه بنسبته الى حالة منافية له والعامل في اذا مضمر يدل عليه
مردودون اي ائذا كنا عظاما بالية نرد ونبعث مع كونها ابعد شيء من الحيوة وقرئ اذا كنا على
الخبر او اسقاط حرف الانكار وناخرة من نخر العظم فهو نخر وناخر وهو البالي الاجوف الذي يمر به الريح
فيسمع له نخير قالوا حكاية لكفر آخر لهم متفرع على كفرهم السابق ولعل توسيط قالوا بينهما للايذان
بان صدور هذا الكفر عنهم ليس بطريق الاطراد والاستمرار مثل كفرهم السابق المستمر صدوره عنهم
في كافة اوقاتهم حسبما ينبئ عنه حكايته بصيغة المضارع اي قالوا بطريق الاستهزاء مشيرين الى ما انكروه
من الردة في الحافرة مشعرين بغاية بعدها من الوقوع تلك اذن كرة خاسرة اي ذات خسران او خاسرة
اصحابها اي ان صحت فنحن اذن خاسرون لتكذيبنا بها وقوله تعالى فانما هي زجرة واحدة تعليل لمقدر
يقتضيه انكارهم لاحياء العظام النخرة الذي عبروا عنها بالكرة فان مداره لما كان استصعابهم اياها
رد عليهم ذلك فقيل لا يستصعبوها فانما هي صيحة واحدة اي حاصلة بصيحة واحدة وهي النفخة الثانية
عبر عنها بها تنبيها على كمال اتصالها بها كانها عينها وقيل هي راجع الى الرادفة فقوله تعالى فاذا هم بالساهرة
حينئذ بيان لترتب الكرة على الزجرة مفاجأة اي فاذا هم احياء على وجه الارض بعد ما كانوا امواتا في

جوفها وعلى الاول بيان لحضورهم الموقف عقيب الكرة التي عبر عنها بالزجرة والساهرة الارض البيضاء
المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفي ضدها نائمة وقيل
لان سالكها لا ينام خوف الهلكة وقيل اسم لجهنم وقال الراغب هي وجه الارض وقيل هي ارض القيمة
وروى الضحاك عن ابن عباس ان الساهرة ارض من فضة لم يعص الله تعالى عليها قط خلقها حينئذ وقيل
هي ارض يجددها الله عز وجل يوم القيمة وقيل هي اسم الارض السابعة ياتي بها الله تعالى فيحاسب
الخلايق عليها وذلك حين تبدل الارض غير الارض وقال الثوري الساهرة ارض الشام وقال
وهب بن منبه هي بيت المقدس وقيل الساهرة بمعنى الصحراء على شفير جهنم وقوله تعالى هل اتاك
حديث موسى كلام مستانف وارد لتسلية رسول الله صلعم من تكذيب قومه بانه يصيبهم مثل ما اصاب من
كان اقوى منهم واعظم ومعنى هل اتاك ان اعتبر هذا اول ما اتاه عليه السلم ترغيب له في استماع حديثه كانه
قيل هل اتاك حديثه انا اخبرك به وان اعتبر اتيانه قبل هذا وهو المتبادر من الايجاز في الاقتصاص اليس
قد اتاك حديثه وقوله تعالى اذ ناداه ربه بالواد المقدس ظرف للحديث لا للاتيان لاختلاف وقتيهما
طوى بضم الطاء غير منون وقرئ منونا وقرئ بالكسر منونا وغير منون فمن نونه اوله بالمكان دون البقعة
وقيل هو كثنى مصدر لنادى او المقدس اناداه نداءين او المقدس مرة بعد اخرى اذهب
الى فرعون على ارادة القول وقيل هو تفسير للنداء اي ناداه اذهب وقيل هو على حذف ان المفسرة
ويدل عليه قراءة عبد الله ان اذهب لان في النداء معنى القول انه طغى تعليل للامر او لوجوب الامتثال
به فقل بعد ما اتيته هل لك رغبة وتوجه الى ان تزكى بحذف احدى التائين من تتزكى اي تتطهر من دنس
الكفر والطغيان وقرئ تزكى بالتشديد واهديك الى ربك وارشدك الى معرفته عز وجل فتعرفه فتخشى
اذ الخشية لا تكون الا بعد معرفته تعالى قال عز وجل انما يخشى الله من عباده العلماء وجعل الخشية غاية للهداية
لانها ملاك الامر من خشي الله تعالى اتى منه كل خير ومن امن اجترا على كل شر امر النبي عليه السلم بان يخاطبه بالاستفهام
الذي معناه العرض ليستدعيه بالتلطف في القول ويستنزله بالمداراة من عتوه وهذا ضرب تفصيل
لقوله تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى فالفاء في قوله تعالى فاراه الاية الكبرى فصيحة تفصح عن جمل
قد طويت تعويلا على تفصيلها في السور الاخرى فانه عليه السلم ما اراه اياها عقيب هذا الامر بل بعد ما جرى
بينه وبين الله تعالى ما جرى من الاستدعاء والاجابة وغيرهما من المراجعات وبعد ما جرى بينه وبين فرعون
ما جرى من المحاورات الى ان قال كنت جئت باية فات بها ان كنت من الصادقين والاراءة اما بمعنى
التبصير او التعريف فان اللعين حين ابصرها عرفها وادعاء سخريتها انما كان اراءة منه واظهارا للتجلد ونسبتها
اليه عليه السلم بالنظر الى الظاهر كما ان نسبتها الى نون العظمة في قوله تعالى ولقد اريناه اياتنا بالنظر الى
الحقيقة والمراد بالاية الكبرى قلب العصا حية وهو قول ابن عباس فانها كانت المقدمة والاصل
والاخرى كالتبع لها او هما جميعا وهو قول مجاهد فانهما كالاية الواحدة وقد عبر عنهما بصيغة الجمع حيث
قيل اذهب انت واخوك باياتي باعتبار ما في تضاعيفها من بدايع الامور التي كل منها اية بينة لقوم
يعقلون كما مر تفصيله في سورة طه ولا مساغ لحملها على مجموع معجزاته فان ما عدى هاتين الايتين من الايات
التسع انما ظهرت على يده عليه السلم بعد ما غلب السحرة على مهل في نحو من عشرين سنة كما مر في سورة الاعراف

ولا ريب في ان هذا مطلع القصة وامر السحرة مترقب بعد فكذب بموسى عليه السلم او سمى معجزته سحرا وعصى
الله عز وجل بالتمرد بعد ما علم صحة الامر ووجوب الطاعة اشد عصيان واقبحه حيث اجترا على انكار وجود
رب العالمين راسا وكان اللعين وقومه مامورين بعبادته عز وعلا وترك العظيمة التي كان يدعيها
الطاغية ويقبلها منه فئة الباغية لا بارسال بني اسرائيل من الاسر والقسر فقط ثم ادبر اي تولى عن الطاعة
او انصرف عن المجالس يسعى اي يجتهد في معارضة الاية او اريد ثم اقبل اي انشا يسعى فوضع موضعه
ادبر تحاشيا عن وصفه بالاقبال وقيل ادبر هاربا من الثعبان فانه روي انه عليه السلم لما القى العصا
انقلبت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلا على
سور القصر فتوجه نحو فرعون فهرب واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة
وعشرون الفا من قومه وقيل انها انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو
فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون انشدك بالذي ارسلك الا اخذته فاخذه
فعاد عصا ويا باه ان ذلك كان قبل الاصرار على التكذيب والعصيان والتصدي للمعارضة كما يعرب عنه
قوله تعالى فحشر اي فجمع السحرة لقوله فارسل فرعون في المداين حاشرين وقوله فتولى فرعون فجمع كيده اي ما
يكاد به من السحرة والاتهم وقيل جنوده ويجوز ان يراد جمع الناس فنادى في المجمع بنفسه او
بواسطة المنادي فقال انا ربكم الاعلى قيل قام فيهم خطيبا فقال تلك العظيمة فاخذه الله نكال الاخرة
والاولى النكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم وهو التعذيب الذي ينكل من راه او سمعه ويمنعه
من تعاطي ما يفضي اليه ومحله النصب على انه مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله كانه قيل نكل الله نكال
الاخرة والاولى وهو الاحراق في الاخرة والاغراق في الدنيا وقيل مصدر لاخذ اي اخذه الله اخذ
نكال الخ وقيل مفعول له اي اخذه الله لاجل نكال الخ وقيل نصب على نزع الخافض اي اخذ بنكال الاخرة
والاولى واضافته الى الدارين باعتبار وقوع نفس الاخذ فيهما فان ذلك لا يتصور في الاخرة بل في الدنيا
فان العقوبة الاخروية تنكل من سمعها وتمنعه من تعاطي ما يؤدي اليها لا محالة وقيل المراد بالاخرة والاولى
قوله انا ربكم الاعلى وقوله ما علمت لكم من اله غيري قيل بين الكلمتين اربعون سنة فالاضافة اضافة المسبب
الى السبب ان في ذلك اي فيما ذكر من قصة فرعون وما فعل وما فعل به لعبرة عظيمة لمن يخشى اي لمن
من شانه ان يخشى وهو من من شانه المعرفة ءانتم اشد خلقا خطاب لاهل مكة المنكرين للبعث
بناء على صعوبته في زعمهم بطريق التوبيخ والتبكيت بعد ما بين كمال سهولته بالنسبة الى قدرة الله عز وجل
بقوله تعالى فانما هي زجرة واحدة اي اخلقكم بعد موتكم اشد اي اشق واصعب في تقديركم ام السماء
اي ام خلق السماء على عظمها وانطوائها على تعاجيب البدايع التي تحار العقول عن ملاحظة ادناها
كقوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقوله تعالى اوليس الذي خلق السموات
والارض بقادر على ان يخلق مثلهم وقوله تعالى بناها الخ بيان وتفصيل لكيفية خلقها المستفاد من قوله
ام السماء وفي عدم ذكر الفاعل فيه وفيما عطف عليه من التنبيه على تعينه وتفخيم شانه عز وجل ما لا يخفى
وقوله تعالى رفع سمكها بيان للبناء اي جعل مقدار ارتفاعها من الارض وذهابها الى سمت العلو مديدا
رفيعا مسيرة خمسمائة عام فسواها فعدلها مستوية ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور او فتممها

بما علم انها تتم به من الكواكب والتداوير وغيرها مما لا يعلمه الا الخلاق العليم من قولهم سوى امر فلان اذا اصلحه
واغطش ليلها اى جعله مظلما يقال غطش الليل واغطشه الله تعالى كما يقال ظلم واظلمه وقد مر هذا
فى قوله تعالى واذا اظلم عليهم قاموا ويقال ايضا اغطش الليل كما يقال اظلم واخرج ضحاها اى
ابرز نهارها عبر عنه بالضحى لانه اشرف اوقاته واطيبها فكان احق بالذكر فى مقام الامتنان وهو السر
فى تاخير ذكره عن ذكر الليل وفى التعبير عن احداثه بالاخراج فان اضافة النور بعد الظلمة اتم فى الانعام واكمل
فى الاحسان واضافة الليل والضحى الى السماء لدوران حدوثهما على حركتها ويجوز ان يكون اضافة الضحى اليها
بواسطة الشمس اى ابرز ضوء شمسها والتعبير عنه بالضحى لانه وقت قيام سلطانها وكمال اشراقها
والارض بعد ذلك دحاها اى بسطها ومهدها لسكنى اهلها وتقلبهم فى اقطارها وانتصاب الارض
بمضمر يفسره دحاها اخرج منها ماءها بان فجر منها عيونا واجرى انهارا ومرعاها اى رعيها وهو فى الاصل
موضع الرعى وقيل هو مصدر ميمى بمعنى المفعول وتجريد الجملة على العاطف اما لانها بيان وتفسير لدحاها
وتكملة له فان السكنى لا يتاتى بمجرد البسط والتمهيد بل لا بد من تسوية امر المعاش من الماكل والمشرب حتما
واما لانها حال من فاعله باضمار قد عند الجمهور او بدونه عند الكوفيين والاخفش كما فى قوله تعالى او جاؤكم
حصرت صدورهم والجبال منصوب بمضمر يفسره ارساها اى اثبتها واثبت بها الارض ان تميد باهلها
وهذا تحقيق للحق وتنبيه على ان الرسوب المنسوب اليها فى مواضع كثيرة من التنزيل بالتعبير عنها بالرواسى
ليس من مقتضيات ذواتها بل هو بارسائه عز وجل ولولاه لما ثبتت فى انفسها فضلا عن اثباتها للارض
وقرئ والارض والجبال بالرفع على الابتداء ولعل تقديم اخراج الماء والمرعى ذكرا مع تقدم الارساء
عليه وجودا وشدة تعلقه بالدحو لابراز كمال الاعتناء بامر الماكل والمشرب مع ما فيه من دفع توهم رجوع
ضميرى الماء والمرعى الى الجبال وهذا كما ترى يدل بظاهره على تاخر دحو الارض عن خلق السماء وما فيها
كما يروى عن الحسن من انه تعالى خلق الارض فى موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليه دخان ملتزق
بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر فى موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى
كانتا رتقا ففتقناهما الآية وقد مر فى سورة حم السجدة ان قوله تعالى قل ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض
فى يومين الى قوله ثم استوى الى السماء وهى دخان الآية ان حمل ما فيه من الخلق وما عطف عليه من الافعال
الثلاثة على معانيها الظاهرة لا على تقديرها فهو وما فى سورة البقرة من قوله تعالى هو الذى خلق لكم ما فى
الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات يدلان على تقدم خلق الارض وما فيها على
خلق السماء وما فيها وعليه اطباق اكثر اهل التفسير وقد روى ان العرش كان قبل خلق السموات
والارض على الماء ثم انه تعالى احدث فى الماء اضطرابا فازبد فارتفع منه دخان فاما الزبد فبقى على وجه
الماء فخلق فيه اليبوسة فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها ارضين واما الدخان فارتفع وعلا
فخلق منه السموات وروى انه تعالى خلق جرم الارض يوم الاحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق ما فيها
يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء وخلق السموات وما فيهن يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق آدم عليه السلام
فى آخر ساعة منه وهى الساعة التى تقوم فيها القيمة فالاقرب كما قيل تاويل هذه الآية بان يجعل ذلك
اشارة الى ذكر ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا الى انفسها ويحمل بعدية الدحو

الدحو عنها على البعدية فى الذكر كما هو المعهود فى السنة العرب والعجم لا فى الوجود لما عرفت من ان انتصاب
الارض بمضمر مقدم قد حذف على شريطة التفسير لا بما ذكر بعده ليفيد القصر وتعين البعدية فى الوجود و
فايدة تاخيره فى الذكر اما التنبيه على انه قاصر فى الدلالة على القدرة القاهرة بالنسبة الى احوال السماء واما
الاشعار بانه ادخل فى الالزام لما ان المنافع المنوطة بما فى الارض اكثر وتعلق مصالح الناس بذلك اظهر واحاطتهم
بتفاصيل احواله اكمل وليس ما روى عن الحسن نصا فى تاخر دحو الارض عن خلق السماء فان بسط الارض معطوف على
اصعاد الدخان وخلق السماء بالواو التى هى بمعزل من الدلالة على الترتيب هذا على تقدير حمل ما ذكر فى آيات
سورة السجدة من الخلق وما عطف عليه من الافعال الثلثة على معانيها الظاهرة واما اذا حملت على تقديرها
فلا دلالة فيها الا على تقدم تقدير الارض وما فيها على ايجاد السماء كما لا دلالة على الترتيب اصلا اذا حملت كلمة
ثم فيها وفيما فى سورة البقرة على التراخى فى الرتبة وقوله تعالى متاعا لكم ولانعامكم اما مفعول له اى فعل
ذلك تمتيعا لكم ولانعامكم لان فايدة ما ذكر من البسط والتمهيد واخراج الماء والمرعى واصلة اليهم ولانعامهم
فان المراد بالمرعى ما يعم ما ياكله الانسان وغيره بناء على استعارة الرعى لتناول الماكول على الاطلاق
كاستعارة المرسن للانف وقيل مصدر مؤكد لفعله المضمر اى متعكم بذلك متاعا او مصدر من غير
لفظه فان قوله تعالى اخرج منها ماءها ومرعاها فى معنى متع بذلك وقوله تعالى فاذا جاءت الطامة الكبرى
اى الداهية العظمى الذى تطم على ساير الطامات اى تعلوا وتغلبها وهى القيمة او النفخة الثانية
وقيل هى الساعة التى يساق فيها الخلايق الى محشرهم وقيل التى يساق فيها اهل الجنة الى الجنة
واهل النار الى النار شروع فى بيان احوال معادهم اثر بيان احوال معاشهم بقوله تعالى متاعا لكم الخ
والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها عما قليل كما ينبئ عنه لفظ المتاع يوم يتذكر الانسان ما سعى
قيل هو بدل من اذا جاءت والاظهر انه منصوب باعنى ما قيل تفسيرا للطامة الكبرى فان الابدال
منها بالظرف المحض مما يوهن تعلقها بالجواب ويجوز ان يكون بدلا من الطامة الكبرى مفتوحا لاضافته
الى الفعل على راى الكوفيين اى يتذكر فيه كل احد ما عمله من خير او شر بان يشاهده مدونا فى صحيفة
عمله وقد كان نسيه من فرط الغفلة وطول الامد كقوله تعالى احصاه الله ونسوه ويجوز ان تكون مصدرية
وبرزت الجحيم عطف على جاءت اى اظهرت اظهارا بينا لا يخفى على احد لمن يرى كاينا من كان يروى
انه يكشف عنها فتتلظى فيراها كل ذى بصر وقرئ وبرزت بالتخفيف ولمن راى ولمن ترى على ان
فيه ضمير الجحيم كما فى قوله تعالى اذا راتهم من مكان بعيد او على انه خطاب لرسول الله عليه السلام اى لمن تراه من الكفار وقوله تعالى
فاما من طغى الخ جواب فاذا جاءت على طريقة قوله تعالى فاما ياتينكم منى هدى الآية وقيل هو تفصيل
للجواب المحذوف تقديره انقسم الرؤن قسمين فاما من الخ والذى يستدعيه فخامة التنزيل ويقتضيه
مقام التهويل ان الجواب المحذوف كان من عظايم الشؤون ما لم يشاهده العيون كما مر فى قوله يوم
يجمع الله الرسل فاما من عتى وتمرد عن الطاعة وجاوز الحد فى العصيان وآثر الحيوة الدنيا الفانية
التى هى على جناح الفوات فانهمك فيما متع به فيها ولم يستعد للحيوة الآخرة الابدية بالايمان والطاعة
فان الجحيم الذى ذكر شانها هى المأوى اى هى ماواه واللام سادة مسد الاضافة للعلم بان
صاحب المأوى هو الطاغى كما فى قولك غض الطرف ودخول اللام فى المأوى والظرف للتعريف لانهما

معروفان وهي اما ضمير فصل او مبتدأ وقيل نزلت الآية في النضر وابيه الحارث المشهورين في
العلو والطغيان واما من خاف مقام ربه اي مقامه بين يدي مالك امره يوم الطامة الكبرى
يوم يتذكر الانسان ما سعى ونهى النفس عن الهوى عن الميل اليه بحكم الجبلة البشرية ولم يعتد بمتاع
الحيوة الدنيا وزهرتها ولم يغتر بزخارفها وزينتها علما منه بوخامة عاقبتها فان الجنة هي المأوى
له لا غيرها وقيل نزلت الآيتان في ابي عزير بن عمير ومصعب ابن عمير رضي الله عنه وقد قتل مصعب
اخاه عزيرا يوم احد ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استشهد رضي الله عنه هذا وقد قيل
جواب اذا ما يدل عليه وقوله تعالى يوم يتذكر الخ اي فاذا جاءت الطامة الكبرى يتذكر الانسان ما سعى
على طريقة قوله تعالى علمت نفس ما احضرت وقوله علمت نفس ما قدمت واخرت فيكون قوله تعالى وبرزت
الجحيم عطفا عليه وصيغة الماضي للدلالة على التحقق او حالا من الانسان باضمار قد او بدونه على اختلاف
الرأيين ولمن يرى مغن عن العائد وقوله تعالى فاما من طغى الخ تفصيلا لحال الانسان الذي يتذكر ما سعى
وتقسيما له بحسب اعماله الى القسمين المذكورين يسألونك عن الساعة ايان مرساها متى ارساؤها اي
اقامتها يريدون متى يقيمها الله تعالى ويثبتها ويكونها وقيل ايان منتهاها ومستقرها كما ان
مرسى السفينة حيث ينتهي اليه وتستقر فيه وقوله تعالى فيم انت من ذكراها انكار ورد لسؤال
المشركين عنها اي في اي شيء انت من ان تذكر لهم وقتها وتعلمهم به حتى يسألونك بيانها كقوله تعالى
يسألونك كأنك حفي عنها اي ما انت من ذكراها لهم وتبيين وقتها في شيء لان ذلك وقوع علمك به
وانى لك ذلك وهو مما استأثر بعلمه علام الغيوب ومن قال بصدد التعليل فان ذكرها لا يزيدهم
الا غيا فقد نأى عن الحق وقيل فيم انكار لسؤالهم وما بعده من الاستيناف تعليل للانكار وبيان
لبطلان السؤال اي فيم هذا السؤال ثم ابتدئ فقيل انت من ذكراها اي ارسالك وانت خاتم
الانبياء المبعوث في نسم الساعة علامة من علامتها ودليل يدلهم على العلم بوقوعها عن قريب
فحسبهم هذه المرتبة من العلم فمعنى قوله تعالى الى ربك منتهاها على هذا الوجه اليه تعالى يرجع منتهى
علمها اي علمها بكنهها وتفاصيل امرها ووقت وقوعها لا الى احد غيره وانما وظيفتهم ان يعلموا
باقترابها ومشارفتها وقد حصل لكم ذلك بمبعثك فما معنى سؤالهم عنها بعد ذلك واما على الوجه
الاول فمعناه اليه تعالى انتهاء علمها ليس لاحد منه شيء ما كائنا من كان فلاي شيء يسألونك عنها
انما انت منذر من يخشاها على الوجه الاول تقرير لما قبلها من قوله فيم انت من ذكراها وتحقيق
لما هو المراد منه وبيان لوظيفته عليه السلام في ذلك الشأن فان انكار كونه عليه السلام في شيء من ذكراها مما يوهم
بظاهره ان ليس له عليه السلام ان يذكرها بوجه من الوجوه فازيح ذلك ببيان ان المتقي منه عليه السلام
ذكرها لهم بتعيين وقتها حسبما كانوا يسألونه عنها فالمعنى انما انت منذر من يخشاها وظيفتك
الامتثال بما امرت به من بيان اقترابها وتفصيل ما فيها من فنون الاهوال كما تحيط به خبرا لا تعيين
وقتها الذي لم يفوض اليك فما لهم يسألونك عما ليس من وظائفك بيانه وعلى الوجه الثاني هو
تقرير لقوله تعالى انت من ذكراها ببيان ان ارساله عليه السلام وهو خاتم الانبياء عليهم السلام منذر
بمجيء الساعة كما ينطق به قوله عليه السلام بعثت انا والساعة كهاتين ان كادت تسبقني وقرئ منذر

انهم لما سمعوا القرآن ووفقوا للتوحيد والايمان تنبهوا للخطأ فيما اعتقده كفرة الجن من تشبيه الله
تعالى بخلقه في اتخاذ الصاحبة والولد فاستعظموه ونزهوه تعالى عنه وانه كان يقول سفيهنا
اي ابليس او مردة الجن على الله شططا اي قولا ذا شطط اي بعد عن القصد ومجاوزة
للحد او هو شطط في نفسه لفرط بعده عن الحق وهو نسبة الصاحبة والولد اليه تعالى وتعلق الا
والتصديق بهذا القول ليس باعتبار نفسه فانهم كانوا عالمين بقول سفهائهم من قبل ايضا
بل باعتبار كونه شططا كأنه قيل وصدقنا ان ما كان يقوله سفيهنا في حقه تعالى كان شططا
واما تعلقهما بقوله تعالى وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا فغير ظاهر وهو
اعتذارهم عن تقليدهم لسفيههم اي كنا نظن انه لن يكذب على الله تعالى احد ابدا ولذلك
اتبعنا قوله وكذبا مصدر مؤكد لتقول لانه نوع من القول او وصف لمصدره المحذوف اي
قولا كذبا اي مكذوبا فيه وقرئ لن تقول بحذف احدى التائين فكذبا مصدر مؤكد له لان الكذب
هو التقول وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن كان الرجل من العرب
اذا امسى في واد قفر وخاف على نفسه يقول اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه
يريد الجن وكبيرهم فاذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الانس والجن وذلك قوله تعالى
فزادوهم اي زاد الرجال العائذون رهقا اي تكبرا وعتوا او فزاد الجن العائذين غيا بان
اضلوهم حتى استعاذوا بهم وانهم ظنوا اي الانس كما ظننتم ايها الجن على انه كلام بعضهم لبعض
ان لن يبعث الله احدا وقيل المعنى ان الجن ظنوا كما ظننتم ايها الكفرة الخ فتكون هذه الآية
وما قبلها من جملة الكلام الموحى به والاقرب انهما كذلك على كل تقدير عطفا على انه استمع اذ
لا معنى لادراجهما تحت ما ذكر من الايمان والتصديق وكذا قوله تعالى وانا لمسنا السماء وما
بعده من الجمل المصدرة بانا ينبغي ان تكون معطوفة على ذلك على ان الموحى عين عبارة الجن
بطريق الحكاية كأنه قيل قل اوحي الي كيت وكيت وهذه العبارات اي طلبنا بلوغ السماء
او خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه
وتطلبه فوجدناها ملئت حرسا اي حراسا اسم جمع كخدم مفردا للفظ ولذلك قيل
شديدا قويا وهم الملائكة يمنعونهم عنها وشهبا جمع شهاب وهي الشعلة المقتبسة من
نار الكواكب وانا كنا نقعد قبل هذا منها من السماء مقاعد للسمع خالية عن الحرس و
الشهب او صالحة للترصد والاستماع وللسمع متعلق بنقعد اي لاجل السمع او بمضمر هو صفة
لمقاعد اي مقاعد كائنة للسمع فمن يستمع الآن في مقعد من المقاعد يجد له شهابا رصدا اي
شهابا راصدا له ولاجله يصده عن الاستماع بالرجم او ذوي شهاب راصدين له على انه
اسم مفرد في معنى الجمع كالحرس قيل حدث هذا عند مبعث النبي عليه السلام والصحيح انه
كان قبل البعث ايضا لكنه كثر الرجم بعد البعثة وزاد زيادة حتى تنبه لها الانس والجن
ومنع الاستراق اصلا فقالوا ما هذا الا لامر اراده الله تعالى باهل الارض وذلك قولهم
وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض بحراسة السماء ام اراد بهم ربهم رشدا اي خيرا

وَنِسْبَةُ الْخَيْرِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى دُونَ الشَّرِّ مِنَ الْآدَابِ الشَّرِيفَةِ الْقُرْآنِيَّةِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَتَطَايُرُهُ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ اي الموصوفون بصلاح الحال فى شان انفسهم وفى معاملتهم مع غيرهم المائلون الى الخير والصلاح حسبما يقتضيه الفطرة السليمة لا الى الشر والفساد كما هو مقتضى النفوس الشريرة وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ اى قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون فى صلاح الحال على الوجه المذكور لافى الايمان والتقوى كما توهم فان هذا بيان لحالهم قبل استماع القرآن كما يعرب عنه قوله تعالى كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا واما حالهم بعد استماعه فيشير اليه بقوله تعالى وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ الى قوله وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ اى كنا قبل هذا ذوى طرائق اى مذاهب او مثل طرائق فى اختلاف الاحوال او كانت طرايقنا طرايق قددا اى متفرقة مختلفة جمع قدة من قد كالقطعة من قطع وَأَنَّا ظَنَنَّا اى علمنا الآن أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ اى ان الشان لن نعجز الله تعالى كائنين فِي الْأَرْضِ اينما كنا من اقطارها وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا هاربين منها الى السماء او لن نعجزه فى الارض ان اراد بنا امرا او لن نعجزه هربا بان طلبنا وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ اى القرآن الذى هو الهدى بعينه آمَنَّا بِهِ من غير تلعثم وتردد فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ وبما انزله فَلَا يَخَافُ نَقْصًا اى نقصانا فى الجزاء وَلَا رَهَقًا ولا ان يرهقه ذلة او جزاء بخس ولا رهقا فلم يجز احدا حقا ولا رهقا ظلم احد فلا يخاف جزاءه فيه دلالة على ان من حق بالله ان يجتنب المظالم وقرئ فلا يخف والاول ادل على تحقيق نجاة المؤمن واختصاصها به وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ الجائرون عن طريق الحق الذى هو الايمان والطاعة فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ اشارة الى من اسلم والجمع باعتبار المعنى تَحَرَّوْا تَوَخَّوْا رَشَدًا اعظيما يبلغهم الى دار الثواب وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ الجائرون عن سنن الاسلام فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا توقد بهم كما توقد بفزة الانس وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا اى ان محققة من الثقيلة والجملة معطوفة قطعا على انه استمع والمعنى واوحى الى ان الشان لو استقام الجن او الانس او كلاهما عَلَى الطَّرِيقَةِ التى هى ملة الاسلام لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا اى لوسعنا عليهم الرزق وخصص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانه اصل المعاش والسعة ولغزارة وجوده بين العرب وقيل لو استقام الجن على الطريقة المثلى اى لو ثبت ابوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله تعالى وطاعته ولم يتكبر عن السجود لادم عليه السلم ولم يكفر وتبعه ولده فى الاسلام لانعمنا عليهم ووسعنا رزقهم لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ لنختبرهم كيف يشكرون وقيل معناه انه لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القرآن لوسعنا عليهم الرزق استدراجا لنوقعهم فى الفتنة ونعذبهم فى كفران النعمة وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ عن عبادته او عن موعظته او وحيه يَسْلُكْهُ يدخله عَذَابًا صَعَدًا اى شاقا صعبا يعلو المعذب ويغلبه على انه مصدر وصف به مبالغة وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ عطف على قوله فقد انه استمع اى واوحى الى ان المساجد مختصة بالله تعالى وقيل معناه ولان المساجد لله فَلَا تَدْعُوا اى لا تعبدوا فيها مَعَ اللَّهِ أَحَدًا غيره وقيل المراد بالمساجد المسجد الحرام والجمع لان كل ناحية منه مسجد له قبلة مخصوصة او لانه قبلة المساجد وقيل الارض كلها

من آمن صح

كلها لانها جعلت مسجدا للنبى عليه السلم وقيل مواضع السجود وعلى ان المراد نهى السجود لغير الله تعالى وقيل اعضاء السجود السبعة وقيل السجدات على انه جمع المصدر الميمى وَأَنَّهُ من جملة الموحى اى واوحى الى ان الشان لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ اى النبى عليه السلم وايراده بلفظ العبد للاشعار بما هو المقتضى لقيامه وعبادته وللتواضع لانه واقع موقع كلامه عن نفسه يَدْعُوهُ حال من فاعل قام اى يعبده وذلك قيامه لصلوة الفجر بنخلة كما مر تفصيله فى الاحقاف كَادُوا اى الجن يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا متراكمين من ازدحامهم عليه تعجبا مما شاهدوا من عبادته وسمعوا من قرائته واقتداء اصحابه قياما وركوعا وسجودا لانهم رأوا اما لم يروا مثله وسمعوا اما لم يسمعوا بنظيره وقيل معناه لما قام عليه السلم يعبد الله وحده مخالفا للمشركين كادوا المشركون يزدحمون عليه متراكمين واللبد جمع لبدة وهى ما تلبد بعضه على بعض ومنه لبدة الاسد وقرئ لبدا جمع لبدة وهى بمعنى اللبدة ولبدا جمع لابد كساجد وسجدا او لبد بالضم جمع لبود كصبور وصبور وعن قتادة تلبدت الانس والجن على هذا الامر ليطفؤه فانى الله الا ان يظهره على من ناواه قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو اى اعبد رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ بربى فى العبادة أَحَدًا فيشرك بى بدعة ولا مستكثر يوجب التعجب او الاطباق على عداوتى وقرئ قال على انه حكاية لقوله عليه السلم للمتراكمين عليه والاول هو الاظهر والاوفق لقوله قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا كانه اريد لا املك ضرا ولا نفعا ولا غيا ولا رشدا فترك من كلى المتقابلين ما ذكر فى الآخر قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ ان اراد بى سوءا وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ملجأ ومعدلا وهذا بيان لوجه عليه السلم عن شؤون نفسه بعد بيان عجزه عن شؤون غيره وقوله تعالى إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ استثناء من قوله لا املك فان التبليغ ارشاد ونفع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفى الاستطاعة او من ملتحدا اى لن اجد من دونه منجا الا ان ابلغ عنه ما ارسلنى به وقيل الامر كلبة من ان الشرطية ولا النافية ومعناه ان لا ابلغ بلاغا من الله والجواب محذوف لدلالة ما قبله عليه وَرِسَالَاتِهِ عطف على بلاغا ومن الله صفته لاصلته اى لا املك لكم الا تبليغا كائنا منه تعالى ورسالاته التى ارسلنى بها وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فى الامر بالتوحيد اذ الكلام فيه فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ وقرئ بفتح الهمزة على تحقيق او مجازاته ان له نار جهنم خَالِدِينَ فِيهَا فى النار او فى جهنم والجمع باعتبار المعنى أَبَدًا بلا نهاية وقوله تعالى حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ غاية لمحذوف يدل عليه الحال من استضعاف الكفار لانصاره عليه السلم واستقلالهم لعدده كانه قيل لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا رأوا ما يوعدون من فنون العذاب فى الآخرة فَسَيَعْلَمُونَ حينئذ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا وحمل ما يوعدون على ما راوه يوم بدر يأباه قوله تعالى قُلْ إِنْ أَدْرِي اى ما أدرى أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا فانه رد لما قاله المشركون عند سماعهم ذلك متى يكون ذلك الموعود انكارا له واستهزاء به فقيل قل انه كائن لا محالة واما وقته فما ادرى متى يكون عَالِمُ الْغَيْبِ بالرفع قيل هو بدل من ربى او بيان له ويأباه الفاء فى قوله تعالى فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا اذ يكون النظم حينئذ ام يجعل له عالم الغيب امدا فلا يظهر عليه احدا وفيه من الاختلال ما لا يخفى فهو خبر مبتدإ محذوف اى هو عالم الغيب والجملة استيناف مقرر لما قبله من عدم الدراية

والفاء لترتيب عدم الاظهار على تعزوه تعالى بعلم الغيب على الاطلاق اى فلا يطلع على غيبه اطلاعا
كاملا ينكشف به جلية الحال انكشافا تاما موجبا لعين اليقين احدا من خلقه **إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ**
مِن رَّسُولٍ اى الا رسولا ارتضاه لاظهاره على بعض غيوبه المتعلقة برسالته كما يعرب عنه بيان
من ارتضى بالرسول تعلقا ما لكونه من مبادى رسالته بان يكون معجزة دالة على صحتها واما لكونه
من اركانها فاحكامها كعامة التكاليف الشرعية التى امر بها المكلفون وكيفيات اعمالهم واجرتها
المترتبة عليها فى الآخرة وما تتوقف هى عليه من احوال الآخرة التى من جملتها قيام الساعة
والبعث وغير ذلك من الامور الغيبية التى بيانها من وظائف الرسالة واما ما لا يتعلق
بها على احد الوجهين من الغيوب التى من جملتها وقت قيام الساعة فلا يظهر عليه احدا ابدا على ان
بيان وقته محل بالحكمة التشريعية التى عليها يدور فلك الرسالة وليس فيما يدل على نفى كرامات
الاولياء المتعلقة بالكشف فان اختصاص الغاية الفاضية من مراتب الكشف بالرسل لا يستلزم
عدم حصول مرتبة ما من تلك المراتب لغيرهم اصلا ولا يدعى احد لاحد من الاولياء ما فى رتبة الرسل
عليهم السلام من الكشف الكامل الحاصل بالوحى الصريح وقوله تعالى **فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ**
خَلْفِهِ رَصَدًا تقرير وتحقيق للاظهار المستفاد من الاستثناء وبيان لكيفيته اى فانه تعالى يسلك
من جميع جوانب الرسول عند اظهاره على غيبه حرسا من الملئكة يحرسونه من تعرض الشياطين
لما اظهره عليه من الغيوب المتعلقة برسالته وقوله تعالى **لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ**
متعلق بيسلك غاية له من حيث انه مترتب على الابلاغ المترتب عليه اذ المراد بالعلم المتعلق
بالابلاغ الموجود بالفعل وان مخففة من الثقيلة واسمها الذى هو ضمير الشان محذوف والجملة خبرها
ورسالات ربهم عبارة عن الغيب الذى اريد اظهار المرتضى عليه والجمع باعتبار تعدد افراده
وضمير المؤنث للرصد فالمعنى انه تعالى يسلكهم من جميع جوانب المرتضى ليعلم ان الشان قد ابلغوه
رسالات ربهم سالمة عن الاختطاف والتخليط علما مستتبعا للجزاء وهو ان يعلمه موجودا
حاصلا بالفعل كما فى قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين والغاية فى الحقيقة هو الابلاغ والجهاد وايراد
علمه تعالى لابراز اعتنائه بامرهما والاشعار بترتيب الجزاء عليهما والمبالغة فى الحث عليهما
والتحذير عن التفريط فيهما واما من ارتضى والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فى الضميرين
السابقين باعتبار لفظها فالمعنى ليعلم انه قد ابلغ الرسل الموحى اليهم رسالات ربهم الى امهم
كما هى من غير اختطاف ولا تخليط بعدما ابلغها الرصد اليهم لذلك وقوله تعالى **وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ**
اى بما عند الرصد او الرسل عليهم السلام حال من فاعل يسلك باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور
جئ بها لتحقيق استغنائه تعالى فى العلم بالابلاغ عما ذكر من سلك الرصد على الوجه المذكور
اى يسلكهم بين يديه ومن خلفه ليترتب عليه علمه تعالى بما ذكر والحال انه تعالى قد احاط بما لديهم
من الاحوال جميعا **وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ** مما كان ومما سيكون **عَدَدًا** اى فردا فردا وهو تمييز منقول
من المفعول به كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا والاصل احصى عدد كل شئ وقيل هو حال اى
معدودا محصورا او مصدر بمعنى احصاء وايا ما كان فهو تبيان ان علمه تعالى بالاشياء ليس على

على وجه كلى اجمالى بل على وجه جزئى تفصيلى فان الاحصاء تقدير ادبه الاحاطة الاجمالية كما فى قوله تعالى
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها اى لا تقدروا على حصرها اجمالا فضلا عن التفصيل وذلك لان اصل
الاحصاء ان الحاسب اذا بلغ عقدا معينا من عقود الاعداد كالعشرة والمائة والالف وضع حصاة
ليحفظ بها مكية ذلك العقد فبنى على ذلك حسابه هذا واما ما قيل من ان قوله تعالى واحاط بما لديهم
الخ معطوف على مقدر يدل عليه قوله تعالى ليعلم كانه قيل قد علم ذلك واحاط بما لديهم الخ فمعزل من السداد
عن البنى عليه الكلم من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جنى صدق محمدا وكذب به عتق رقبة

يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ اى المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها فادغم التاء فى الزاى وقد قرئ على الاصل
وقرئ المزمل من زمله مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل قيل خوطب به النبى عليه الكلم تهجينا لما كان عليه
من الحالة حيث كان عليه الكلم متلففا بقطيفة مستعدا للنوم كما يفعله من لا يهمه امر ولا يعنيه
شان فامر بان يترك التزمل الى التشمر للعبادة والبجوء الى التهجد وقيل دخل عليه الكلم على خديجة
وقد جئث فرقا اول ما اتاه جبريل عليها اللم وبوادره ترعد فقال زملونى فحسب انه عرض له
فيما هو على ذلك اذ ناداه جبريل فقال يا ايها المزمل فيكون تخصيص وصف التزمل بالخطاب
للملاطفة والتانيس كما فى قوله عليه السلم لعلى رضى الله عنه حين غاضب فاطمة رضى الله عنها فاتاه
وهو نايم وقد لصق بجنبه التراب قم يا ابا تراب ملاطفة له واشعارا بانه غير عاتب عليه
وقيل المعنى يا ايها الذى زمل امرا عظيما هو امر النبوة اى حمله والزمل وازدمله اى احتمله
فالتعرض للوصف حينئذ للاشعار بعلية للقيام او للامر به فان تحميله عليه الكلم للاعباء النبوة
مما يوجب الاجتهاد فى العبادة **قُمِ اللَّيْلَ** اى قم الى الصلاة وانتصاب الليل على الظرفية وقيل
القيام مستعار للصلوة ومعنى قم صل وقرئ بضم الميم وفتحها **إِلَّا قَلِيلًا** استثناء من الليل و
قوله تعالى **نِّصْفَهُ** بدل من الليل الباقى بعد الثنيا بدل الكل اى قم نصفه والتعبير عن النصف
المخير بالقليل لاظهار كمال الاعتداد بشان الجزء المقارن للقيام والايذان بفضله وكون
القيام فيه بمنزلة القيام فى اكثره فى كثرة الثواب واعتبار قلته بالنسبة الى الكل مع عراه
عن الفايدة خلاف الظاهر **أَوِ انقُصْ مِنْهُ** اى انقص القيام من النصف المقارن له فى
الصورة الاولى **قَلِيلًا** اى نقصا قليلا او مقدارا قليلا بحيث لا يخط الى نطف النصف **أَوْ زِدْ**
عَلَيْهِ اى زد القيام على النصف المقارن له فالمعنى تخييره عليه الكلم بين ان يقوم نصفه او اقل
منه او اكثر وقيل قوله نصفه بدل من قليلا والتخيير بحاله وليس بسديد اما اولا فلان التحقيق
بالاستثناء الذى يبنى عنه الابدال هو الجزء الباقى بعد الثنيا المقارن للقيام لا الجزء المخرج
العارى عنه واما ثانيا فلان نقص القيام وزيادته انما يعتبران بالقياس الى معياره الذى
هو النصف المقارن له فلو جعل نصفه بدلا من قليلا لزم اعتبار نقص القيام وزيادته بالقياس
الى ما هو عار عنه بالكلية والاعتذار بتساوى النصفين مع كونه تحكما ظاهرا اعتراف بان الحق هو

الاول وقيل نصفه بدل من الليل والا قليلا استثناء من النصف والضمير فيه وعليه للنصف والمعنى
التخيير بين امرين بين ان يقوم اقل من نصف الليل على البتات وبين ان يختار احد الامرين وهما النقصان
من النصف والزيادة عليه وقيل الضمير ان للاول من النصف كانه قيل قم اقل من نصفه او قم انقص من ذلك
الاقل او ازيد منه قليلا وقيل والذي يليق بحرمة التنزيل هو الاول والله اعلم بمافي كتابه الجليل ورتل القرآن
في اثناء ما ذكر من القيام اي اقرأه على تؤدة وتبيين حروف ترتيلا بليغا بحيث يتمكن السامع من عدها
ثغر رتل ورتل اذا كان مفلجا انا سنلقي عليك اي سنوحي اليك والقاء الالقاء عليه لقوله تعالى
قولا ثقيلا وهو القرآن العظيم المنطوي على كتاليف شاقة ثقيلة على المكلفين لاسيما على الرسول عليه السلم
فانه مامور بتحملها وتحميلها للامة والجملة اعتراض بين الامر وتعليله لتسهيل ما كلفه عليه السلم من القيام وصل
معنى كونه ثقيلا انه رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه او ثقيل على المتامل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية
للسر وتجريد للنظر او ثقيل في الميزان او على الكفار والفجار او ثقيل تلقيه عن ابن عباس كان اذا نزل
عليه الوحي ثقل عليه وتربد جلده وعن عائشة رضي الله عنها رايته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد
فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا ان ناشئة الليل اي ان النفس التي تنشاء من مضجعها الى العبادة
اي تنهض من نشاز من مكانه اذا نهض او ان قيام الليل على ان الناشئة مصدر من نشاء كالعافية
وان العبادة التي تنشاء بالليل اي تحدث او ان ساعات الليل فانها تحدث واحدة بعد واحدة
او ساعاتها الاول من نشاء اذا ابتداء هي اشد وطئا اي هي من حاصة اشد ثبات قدم او كلفة فلابد
من الاعتناء بالقيام وقرئ وطاء اي اشد مواطاة يواطئ قلبها لسانها ان اريد بها النفس او
يواطئ فيها قلب القائم لسانه ان اريد بها القيام او العبادة او الساعات او اشد موافقة
لما يراد من الخشوع والاخلاص واقوم قيلا واشد مقالا واثبت قراءة لحضور العقل وقلة الاصوات
ان لك في النهار سبحا طويلا اي تقلبا وتصرفا في مهماتك واشتغالا بشواغلك فلا تستطيع
ان تتفرغ للعبادة فعليك بمهاني الليل وهذا بيان للداعي وقرئ سبخا اي تغرق قلب
بالشواغل مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه واذكر اسم ربك ودم
على ذكره تهليلا وتسبيحا وتحميدا اي في اي وجه كان من تسبيح وتهليل وتحميد وصلوة وقراءة ودراسة علم
وتبتل اليه اي وانقطع اليه بجامع الهمة واستغراق العزيمة في مراقبته وحيث لم يكن ذلك الا
بتجريد نفسه عليه اللم عن العوايق الصادة عن مراقبة الله تعالى وقطع العلايق عما سواه قيل تبتيلا
مكان تبتلا مع مافيه من رعاية الفواصل رب المشرق والمغرب مرفوع على المدح وقيل على الابتداء
خبره لا اله الا هو وقرئ بالجر على انه بدل من ربك وقيل على اضمار حرف القسم جوابه لا اله الا هو
والفاء في قوله تعالى فاتخذه وكيلا لترتيب الامر الموجب على اختصاص الالوهية والربوبية به تعالى
واصبر على ما يقولون مما لا خير فيه من الخرافات واهجرهم هجرا جميلا بان تجانبهم وتداريهم ولا
تكافيهم وكل امورهم الى ربهم كما يعرب عنه قوله تعالى وذرني والمكذبين اي دعني واياهم وكل امرهم
الي فاني اكفيكهم اولي النعمة ارباب التنعم وهو صناديد قريش ومهلهم قليلا زمانا قليلا ان لدينا
انكالا جمع نكل وهو القيد الثقيل والجملة تعليل للامر اي ان لدينا امورا مضادة لتنعمهم وجحيما وطعاما

وعصة ينشب في الحلقوم ولا يكاد يساغ كالضريع والزقوم وعذابا اليما ونوعا آخر من العذاب موجعا
لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه كل ذلك معد لهم ومرصد وقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال اي
تضطرب وتتزلزل ظرف للاستقرار الذي تعلق به لدينا وقيل متعلق بمضمر هو صفة لعذابا اي عذابا
واقعا يوم ترجف وكانت الجبال مع صلابتها وارتفاعها كثيبا رملا مجتمعا من كثب الشيء اذا
جمعه كانه فعيل بمعنى مفعول مهيلا منثورا من هيل هيلا اذا نثر واميل انا ارسلنا اليكم يا اهل
مكة رسولا شاهدا عليكم يشهد يوم القيمة بما صدر عنكم من الكفر والعصيان كما ارسلنا الى فرعون
رسولا هو موسى عليه اللم وعدم تعيينه لعدم دخله في التشبيه فعصى فرعون الرسول الذي ارسلنا
اليه ومحل الكاف النصب على انها صفة لمصدر محذوف اي انا ارسلنا اليكم رسولا فعصيتموه
كما يعرب عنه قوله تعالى شاهدا عليكم ارسالا كائنا كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصاه وقوله تعالى فاخذناه
اخذا وبيلا خارج من التشبيه جيء به للتنبيه على انه سيحيق بهؤلاء ما حاق باولئك والوبيل
الثقيل الغليظ من قولهم كلا وبيل اي وخيم لا يستمرئ لثقله والوبيل العصا الضخمة فكيف تتقون
اي كيف تتقون انفسكم ان كفرتم اي بقيتم على الكفر يوما اي عذاب يوم يجعل الولدان من شدة
هوله وفظاعة ما فيه من الدواهي شيبا شيوخا جمع اشيب اما حقيقة او تمثيلا واصله ان
الهموم والاحزان اذا تفاقمت على المرء ضعفت قواه واسرع فيه الشيب وقد جوز ان يكون
ذلك وصفا لليوم بالطول وليس بذاك السماء منفطر به اي منشق وقرئ منفطر اي متشقق و
التذكير لاجرائه على موصوف مذكر اي شيء منفطر عبر عنها بذلك للتنبيه على انه تبدلت حقيقتها وزال
عنها اسمها ورسمها ولم يبق منها الا ما يعبر عنها بالشيء وقيل لتاويل السماء بالسقف وقيل هو
من باب النسب اي ذات انفطار والباء في قوله تعالى به مثلها في فطرت العود بالقدوم كان وعده
مفعولا الضمير لله عز وجل والمصدر مضاف الى فاعله او لليوم وهو مضاف الى مفعوله ان هذه
اشارة الى الآيات المنطوية على القوارع المذكورة تذكرة موعظة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا
بالتقرب اليه بالايمان والطاعة فانه المنهاج الموصل الى مرضاته ان ربك يعلم انك تقوم
ادنى من ثلثي الليل اي اقل منهما استعير له الادنى لما ان المسافة بين الشيئين اذا دنت
قل ما بينهما من الاحياز ونصفه وثلثه بالنصب عطفا على ادنى وقرئ بالجر عطفا على ثلثي الليل
وطائفة من الذين معك اي ويقوم معك طائفة من اصحابك والله يقدر الليل والنهار
وحده لا يقدر على تقديرهما احد اصلا فان تقديم الاسم الجليل مبتدا وبناء تقدير عليه موجب
للاختصاص قطعا كما يعرب عنه قوله تعالى علم ان لن تحصوه اي علم ان الشان لن تقدروا على تقدير
الاوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات ابدا فتاب عليكم بالترخيص في ترك القيام
المقدر ورفع التبعة عنكم في تركه فاقرؤا ما تيسر من القرآن فصلوا ما تيسر لكم من صلوة الليل عبر
عن الصلوة بالقراءة كما عبر عنها بسائر اركانها قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم
القيام به فنسخ ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس وقيل هي قراءة القرآن بعينها قالوا من قرأ
مائة اية من القرآن في ليلة لم يحاجه وقيل من قرأ مائة اية كتب من القانتين وقيل خمسين اية

عِلْمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ استيناف مبين لحكمة أخرى داعية الى الترخيص والتخفيف وآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يسافرون فيها للتجارة يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وهو الربح وقدم لتقدم ابتغاء الفضل لتحصيل العلم وآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ واذا كان الامر كما ذكر وتعاضدت الدواعي الى الترخيص فَاقْرَءُوا مِنْهُ من غير تحمل المشاق وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ اى المفروضة وَآتُوا الزَّكَاةَ الواجبة وقيل هي زكوة الفطر اذ لم يكن بمكة زكوة ومن فسرها بالزكوة المفروضة جعل اخر السورة مدنيا وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا اريد به الانفاقات في سبل الخيرات او اداء الزكوة على احسن الوجوه وانفعها للفقراء وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ اى خير كان مما ذكر ومما لم يذكر تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا من الذي يؤخرونه الى الوصية عند الموت وخيرا ثاني مفعولي تجدوا وهو تاكيد او فصل وان لم يتعين معرفتين فان افعل من في حكم المعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرئ هو خير على الابتداء والخبر وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ لذنوبكم فان الانسان قلما يخلو من تفريط إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ عن التبتل عم من قرأ سورة المزمل رفع الله تعالى عنه العسر في الدنيا والآخرة

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ اى المتدثر وهو لابس الدثار وهو ما يلبس فوق الشعار الذي يلي الجسد قيل هي اول سورة نزلت روي عن جابر رض عن النبي عليه السلم انه قال كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يميني ويساري فلم ار شيئا فنظرت فوقي فاذا به قاعد على عرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثروني وثروني فنزل جبريل وقال يا ايها المدثر اقرأ الى قوله ما لم يعلم فحزن رسول الله عليه السلم وجعل يعلو شواهق الجبال فاتاه جبريل عليه السلم وقال انك نبي الله فرجع الى خديجة فقال دثروني وصبوا علي ماء باردا فنزل يا ايها المدثر وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه متفكرا كما يعلم بفعل المغموم فامر ان لا يدع انذارهم وان اسمعوه واذوه وقيل كان نايما متدثرا وقيل المراد المتدثر بلباس النبوة والمعارف الالهية وقيل المدثر على صيغة اسم المفعول من دثره اى الذي دثر هذا الامر العظيم وعصب به وفي حرف ابي المنذر يا ايها المتدثر على الاصل قُمْ اى من مضجعك او قم قيام عزم وتصميم فَأَنْذِرْ اى افعل الانذار واحدثه وقيل انذر قومك كقوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين او جميع الناس حسما ينبئ عنه قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ واخصص ربك بالتكبير وهو وصفه تعالى بالكبرياء اعتقادا وقولا ويروى انه لما نزل قال رسول الله الله اكبر فكبرت خديجة وعرفت وايقنت انه الوحي وقد يحمل على تكبير الصلوة والفاء لمعنى الشرط كانه قيل ما كان اي اتى شيء حدث فلا تدع تكبيره او للدلالة على ان المقصود الاولي من الامر بالقيام لله تكبيره وتنزيهه من الشرك فان اول ما يجب معرفة الصانع جل جلاله ثم تنزيهه عما لا يليق بجنابه وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ مما ليس بطاهر فانه في الصلوة واولى واجب في غيرها وذلك بصيانتها وحفظها عن النجاسات وغسلها بعد تلطخها

تلطخها وبتقصيرها ايضا فان طولها يؤدي الى جر الذيول على القاذورات وهو اول ما امر به عليه السلم من رفض العادات المذمومة وقيل امر بتطهير النفس مما يستقذر من الافعال ويستهجن من الاحوال يقال فلان طاهر الذيل والاردان اذا وصفوه بالنقاء من المعايب ومداني الاخلاق وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ اى واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يودي اليه من الماثم وقرئ بكسر الراء وهما لغتان كالذكر والذكر وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ولا تعط مستكثرا اى رائيا لما تعطيه كثيرا او طالبا للكثير على انه نهي عن الاستغزار وهو ان يهب شيئا وهو يطمع ان يتعوض من الموهوب له اكثر مما اعطاه وهو جايز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته فانهى اما للتحريم وهو خاص برسول الله عليه السلم لان الله تعالى اختار له اشرف الاخلاق واحسن الآداب او للتنزيه للكل وقرئ تستكثر بالسكون اعتبارا لحال الوقف او ابدالا من تمنن كانه قيل ولا تمنن ولا تستكثر على انه من المن الذي في قوله تعالى مَنًّا وَلَا أَذًى لان من من بما يعطي يستكثره ويعتد به وقرئ بالنصب باضمار ان مع ابقاء عملها كقول من قال الا ايهذا الزاجري احضر الوغا وقد قرئ باثباتها ويجوز في قراءة الرفع ان يحذف ان ويبطل عملها كما روي احضر الوغا بالرفع وَلِرَبِّكَ اى لوجهه تعالى او لامره فَاصْبِرْ فاستعمل الصبر وقيل على اذية المشركين وقيل على اداء الفرايض فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ اى نفخ في الصور وهو فاعول من النقر بمعنى التصويت واصله النقع الذي هو سبب الصوت والفاء للسببية كانه قيل اصبر على اذاهم وتلقى عاقبته صبر عليه والعامل في اذا ما دل عليه قوله تعالى فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ فان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة الى وقت النقر وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الهول والفظاعة ومحله الرفع على الابتداء ويومئذ بدل منه مبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن والخبر يوم عسير وقيل يومئذ ظرف للجزاء اذ التقدير وذلك الوقت وقوع يوم عسير وعلى متعلقة بعسير وقيل بمحذوف هو صفة لعسير او حال من المستكن فيه وقوله تعالى غَيْرُ يَسِيرٍ تاكيد لعسره عليهم مشعر بيسره على المؤمنين واختلف في ان المراد به يوم النفخة الاولى او الثانية والحق انها الثانية اذ هي التي تختص عسرها بالكافرين واما النفخة الاولى فحكمها الذي هو الاصعاق يعم البر والفاجر على انها مختصة بمن كان حيا عند وقوعها وقد جاء في الاخبار ان في الصور ثقبا بعدد الارواح كلها وانها تجمع في تلك الثقب في النفخة الثانية فتخرج عند النفخ من كل ثقبة روح الى الجسد الذي نزعت منه فيعود الجسد حيا باذن الله تعالى ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا حال اما من الياء اى ذرني وحدي معه فاني اكفيكه في الانتقام منه او من التاء اى خلقته وحدي لم يشركني في خلقه احد او من العايد المحذوف اى ومن خلقته وحيدا فريدا لا مال له ولا ولد وقيل نزلت في الوليد ابن المغيرة المخزومي وكان يلقب في قومه بالوحيد فهو تهكم وليقبه وصف له عن الغرض الذي يومئ نه من مدحه الى جهة ذمه بكونه وحيدا من المال والولد او وحيدا من ابيه لانه كان زنيما كما مر او وحيدا في الشرارة وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا مبسوطا

كثيرا او ممدا بالماء من مد النهر ومده نهرا آخر قيل كان له الضرع والزرع والتجارة وعن
ابن عباس هو ما كان له بين مكة والطايف من صنوف الاموال وقيل كان له بالطايف
بستان لا ينقطع ثماره صيفا وشتاء وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير كان له الف
دينار وقال قتادة ستة الاف دينار وقال سفيان الثوري اربعة الاف دينار وقال الثوري
ايضا الف الف دينار وبنين شهودا حضورا معه بمكة يتمتع بمشاهدتهم لا يفارقونه للتصرف
في عمل او تجارة لكونهم مكفيين لوفور نعمهم وكثرة خدمهم او حضورا في الاندية والمحافل لوجاهتهم و
اعتبارهم قيل كان له عشرة بنين وقيل ثلثة عشر وقيل سبعة كلهم رجال الوليد بن الوليد
وخالد وعمارة وهشام والعاص والعيص وعبد شمس اسلم منهم ثلثة خالد وهشام وعمارة
ومهدت له تمهيدا وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة شمس ثم يطمع
ان ازيد على ما اوتيه وهو استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه اما لانه لا مزيد على ما اوتي سعة
او كثرة او لانه مناف لما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم وقيل انه كان يقول ان كان محمد
صادقا فما خلقت الجنة الا لي كلا ردع وزجر له عن طمعه الفارغ له وقطع لرجائه الخايب وقوله
تعالى انه كان لآياتنا عنيدا تعليل لذلك على وجه الاستيناف التحقيقي فان معاندة آيات المنعم
مع وضوحها وكفران نعمته مع سبوغها مما يوجب حرمانه بالكلية وانما اوتي ما اوتي استدراجا قيل
ما زال بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله حتى هلك سارهقه صعودا سأغشيه بدل تا طمعه
من الزيادة او اكتنفه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من العذاب الصعب الذي لا يطاق وعن
النبي عليه السلم يكلف ان يصعد عقبة في النار كلما وضع يده عليها ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع
رجله ذابت فاذا رفعها عادت وعنه عليه السلم الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا
ثم يهوى فيه كذلك ابدا انه فكر وقدر تعليل للوعيد واستحقاق له او بيان لعناده لآياته تعالى اى
فكر ماذا يقول في شان القرآن وقدر في نفسه ما يقوله فقتل كيف قدر تعجيب من تقديره واصابته
فيه الغرض الذي كاد ينتجه قومه الله اوثنا عليه بطريق الاستهزاء به او حكاية لما كرروه من
قولهم قتل كيف قدر تهكما بهم وباعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله ومعنى قولهم قتله الله ما اشجعه
واخزاه الله ما اشعره الاشعار بان قد بلغ من الشجاعة والشعر مبلغا حقيقا بان يدعو عليه حاسده
بذلك روي ان الوليد قال لبني مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس
ولا من كلام الجن ان له لطلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه
ليعلو وما يعلى فقالت قريش صبأ والله الوليد والله لتصبأن قريش كلهم فقال ابن اخيه ابو جهل
انا اكفيكموه فقعد عنده حزينا وكلمه بما احماه فقام فاتاهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رايتموه
يخنق وتقولون انه كاهن فهل رايتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رايتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون
انه كذاب فهل جربتم عليه شيا من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو فكر فقال ما هو الا ساحر
ما رايتموه يفرق بين الرجل واهله وولده وموالية وما الذي يقوله الا سحر يا ثره عن اهل بابل فارتج
النادي فرحا وتفرقوا معجبين بقوله متعجبين منه ثم قتل كيف قدر تكرير للمبالغة وثم للدلالة على ان

ان الثانية ابلغ من الاولى وفيما بعد على اصلها من التراخي الزماني ثم نظر اى في القرآن مرة بعد مرة
ثم عبس قطب وجهه لما لم يجد فيه مطعنا ولم يدر ما يقول وقيل نظر في وجوه الناس ثم قطب
وجهه وقيل نظر الى رسول الله عليه السلم ثم قطب في وجهه وبسر ابتاع لعبس ثم ادبر عن الحق او عن
رسول الله عليه السلم واستكبر عن اتباعه فقال ان هذا الا سحر يؤثر يروى ويتعلم والفاء للدلالة
على ان هذه الكلمة لما خطرت بباله تفوه بها من غير تلعثم وتلبث وقوله تعالى ان هذا الا قول البشر
تاكيد لما قبله ولذلك خلي عن العاطف سأصليه سقر بدل من سارهقه صعودا وما ادراك ما
سقر اى شيء اعلمك ما سقر على ان ما الاولى مبتدا وادراك خبره وما الثانية خبر لانها المفيدة لما قصد
افادته من التهويل والتفظيع وسقر مبتدا اى اى شيء هو في وصفها لما مر مرارا من ان ما قد يطلب
بها الوصف وان كان الغالب ان يطلب بها الاسم والحقيقة وقوله تعالى لا تبقي ولا تذر بيان لوصفها
وحالها والانجاز للوعد الضمني الذي يلوح به وما ادراك وما سقر وقيل حال من سقر وليس بذاك
اى لا تبقي شيئا يلقى فيها الا اهلكته واذا اهلك لم تذرها هالكا حتى يعاد او لا تبقي على شيء ولا تدعه
من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة لواحة للبشر مغيرة لاعالي الجلد مسودة لها قيل
فلفح الجلد لفحة فتدعه اشد سوادا من الليل وقيل تلوح للناس كقوله تعالى ثم لترونها عين
اليقين وقرئ لواحة بالنصب على الاختصاص للتهويل عليها تسعة عشر اى ملكا او صنفا او صفا
او نقيبا من الملئكة يلون امرها ويتسلطون على اهلها وقرئ بسكون عين عشر حذرا من توالي
الحركات فيما هو في حكم اسم واحد وقرئ تسعة اعشر جمع عشير مثل يمين وايمن وما جعلنا
اصحاب النار اى المدبرين لامرها القايمين بتعذيب اهلها الا ملئكة لنخالفوا جنس المعذبين
فلا يرقوا لهم ولا يستروحوا اليهم ولانهم اقوى الخلق واقومهم بحق الله عز وجل وبالغضب له تعالى
واشدهم باسا عن النبي عليه السلم لاحدهم مثل قوة الثقلين يسوق احدهم الامة وعلى رقبته جبل
فيرمي بهم في النار ويرمي بالجبل عليهم وروي انه لما نزل عليها تسعة عشر قال ابو جهل لقريش اليجمع كل
عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فقال ابو الاشد اسيد بن كلدة الجمحي وكان شديد البطش
انا اكفيكم سبعة عشر فاكفوني انتم اثنين فنزلت اى ما جعلناهم رجالا من جنسكم وما جعلنا
عدتهم الا فتنة للذين كفروا اى ما جعلنا عددهم الا العدد الذي تسبب لافتتانهم وهو
التسعة عشر فعبر بما لا تر عن المؤثر تنبيها على التلازم بينهما وليس المراد مجرد جعل عددهم
ذلك العدد المعين في نفس الامر بل جعلهم آية القرآن ايضا كذلك وهو الحكم بان عليها تسعة عشر
اذ بذلك يتحقق افتتانهم باستقلالهم له واستبعادهم لتولي هذا العدد القليل لتعذيب اكثر
الثقلين واستهزائهم به حسبما ذكر وعليه يدور ما سياتي من استيقان اهل الكتاب ازدياد
ايمانهم قالوا المخصص لهذا العدد ان اختلاف النفوس البشرية في النظر والعمل بحسب القوى
الحيوانية الاثنى عشرة والطبيعية السبع او ان جهنم سبع دركات ست منها لاصناف
الكفرة وكل صنف يعذب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل انواعا من العذاب بنا سبها وعلى
كل نوع ملك او صنف او صف يتولاه وواحدة لعصاة الامة يعذبون فيها بترك العمل نوعا ما بسبب

ويتولاه واحد او ان الساعات اربع وعشرون خمسة منها مصروفة للصلوات الخمس فيبقى
تسعة عشر قد تصرف الى ما يواخذ به بانواع من العذاب يتولاها الزبانية ليستيقن الذين اوتوا
الكتاب متعلق بالجعل على المعنى المذكور اى ليكتسبوا اليقين بنبوته صلى الله عليه وسلم وصدق القرآن
لما شاهدوا ما فيه موافقا لما فى كتابهم ويزداد الذين آمنوا ايمانا اى يزداد ايمانهم كيفية بما راوا
من تسليم اهل الكتاب وتصديقهم انه كذلك او كمية بانضمام ايمانهم بذلك الى ايمانهم بسائر ما انزل
ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون تاكيد لما قبله من الاستيقان وازدياد الايمان ونفى
لما قد يعترى المستيقن من شبهة ما وانما لم ينظم المؤمنون فى سلك اهل الكتاب فى نفى الارتياب حيث
لم يقل ولا يرتابوا للتنبيه على تباين النفيين حالا فان انتفاء الارتياب من اهل الكتاب مقارن لما ينافيه
من الجحود ومن المؤمنين مقارن لما يقتضيه من الايمان وكم بينهما والتعبير عنهم باسم الفاعل بعد ذكرهم بالموصول
والصلة الفعلية المنبئة عن الحدوث للايذان بثباتهم على الايمان بعد ازدياده ورسوخهم فى ذلك
وليقول الذين فى قلوبهم مرض شك او نفاق فيكون اخبارا بما سيكون فى المدينة بعد الهجرة والكافرون
المصرون على التكذيب ماذا اراد الله بهذا مثلا اى اى شئ اراد بهذا العدد المستغرب استغراب
المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا انه مثل مضروب وافراد قولهم هذا بالتعليل مع كونه من باب فتنتهم
للاشعار باستقلاله فى الشناعة كذلك يضل الله من يشاء ذلك اشارة الى ما قبله من معنى الاضلال
والهداية ومحل الكاف فى الاصل النصب على انها صفة لمصدر محذوف واصل التقدير يضل الله من
يشاء ويهدى من يشاء اضلالا وهداية كائنين مثل ما ذكر من الاضلال والهداية فحذف المصدر
واقيم وصفه مقامه ثم قدم على الفعل لافادة القصر فصار النظم مثل ذلك الاضلال وتلك الهداية
يضل الله من يشاء اضلاله لصرف اختياره الى جانب الضلال عند مشاهدته لآيات الله الناطقة
بالحق ويهدى من يشاء هدايته لصرف اختياره عند مشاهدة تلك الآيات الى جانب الهدى لا اضلالا
وهداية ادنى منهما وما يعلم جنود ربك اى جموع خلقه التى من جملتها الملائكة المذكورون الا هو اذ لا سبيل
لاحد الى حصر الممكنات والوقوف على حقايقها وصفاتها ولو اجمالا فضلا عن الاطلاع على تفاصيل احوالها
من كم وكيف ونسبة وما هى اى سقر او عدة خزنتها او الآيات الناطقة باحوالها الا ذكرى للبشر
اى تذكرة لهم كلا ردع لمن انكرها او انكار ونفى لان يكون لهم تذكرة والقمر والليل اذا دبر وقرئ اذا
دبر بمعنى ادبر كقبل بمعنى اقبل ومنه قولهم صاروا كامس الدابر وقيل هو من دبر الليل النهار اذا خلفه
والصبح اذا اسفر اى اضاء وانكشف انها لاحدى الكبر جواب للقسم او تعليل لكلا والقسم معترض
للتوكيد والكبر جمع الكبرى جعلت الف التانيث كتائها فكما جمعت فعلى على فعل جمعت فعلى عليها
ونظيرها القواصع فى جمع القاصعاء كانها جمع قاصعة اى لاحدى البلايا او لاحدى الدواهى الكبر
على معنى ان البلايا الكبرى والدواهى الكبر كثيرة وهذه واحدة فى العظم لا نظيرة لها نذيرا للبشر تمييز اى
لاحدى الكبر انذارا او حال مما دلت عليه الجملة اى كبرت منذرة وقرئ نذير بالرفع على انه خبر بعد خبر
لان او لمبتدا محذوف لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر بدل من للبشر اى نذيرا لمن شاء منكم ان يسبق
الى الخير فيهديه الله تعالى او لم يشاء ذلك فيضله وقيل لمن شاء خبر وان يتقدم او يتاخر مبتدا فيكون فى

فى معنى قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر كل نفس بما كسبت رهينة مرهونة عند الله تعالى بكسبها
والرهينة اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم لا صفة والا لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول
لا يدخله التاء الا اصحاب اليمين فانهم فاكون رقابهم بما احسنوا من اعمالهم كما يفك الراهن رهنه
باداء الدين وقيل هم الملائكة وقيل الاطفال وقيل هم الذين سبقت لهم من الله تعالى الحسنى
وقيل الذين كانوا عن يمين آدم عليه السلام يوم الميثاق وقيل الذين يعطون كتبهم بايمانهم فى جنات
لا يكتنه كنهها ولا يدرك وصفها وهو خبر لمبتدا محذوف والجملة استيناف وقع جوابا عن سؤال
نشا مما قبله من استثناء اصحاب اليمين كانه قيل ما بالهم فقيل هم فى جنات وقيل حال من اصحاب
اليمين وقيل من ضميرهم فى قوله تعالى يتساءلون وقيل ظرف للتساؤل وليس المراد بتساؤلهم ان يسال
بعضهم بعضا على ان يكون كل واحد منهم سائلا ومسؤولا معا بل صدور السؤال عنهم مجردا عن وقوعه عليهم
فان صيغة التفاعل وان وضعت فى الاصل للدلالة على صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه معا
بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلا ومفعولا معا كما فى قولك تراءى القوم اى راى كل واحد منهم
الآخر لكنها قد تجرد عن المعنى الثانى ويقصد بها الدلالة على الاول فقط فيذكر للفعل حينئذ مفعول
كما فى قولك تراءوا الهلال فمعنى يتساءلون عن المجرمين يسالونهم عن احوالهم وقد حذف المسؤول
لكونه عين المسؤول عنه وقوله تعالى ما سلككم فى سقر مقدر بقول هو حال من فاعل يتساءلون اى يسالونهم
قائلين اى شئ ادخلكم فيها فتامل ودع عنك ما تكلف فيه المتكلفون قالوا اى المجرمون مجيبين
للسائلين لم نك من المصلين للصلوات الواجبة ولم نك نطعم المسكين على معنى استمرار
نفى الاطعام لا على نفى استمرار الاطعام كما مر مرارا وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع فى
حق المواخذة وكنا نخوض مع الخائضين اى نشرع فى الباطل مع الشارعين فيه وكنا نكذب
بيوم الدين اى بيوم الجزاء اضافوه الى الجزاء مع ان فيه من الدواهى والاهوال ما لا غاية له لانه
ادهاها واهولها وانهم ملابسوه وقد مضت بقية الدواهى وتاخير جناياتهم هذه مع كونها اعظم
من الكل لتفخيمها كانهم قالوا وكنا بعد ذلك كله مكذبين بيوم الدين ولبيان كون تكذيبهم به مقارنا
لساير جناياتهم المعدودة مستمرا الى آخر عمرهم حسبما نطق به قولهم حتى اتانا اليقين اى الموت
ومقدماته فما تنفعهم شفاعة الشافعين لو شفعوا لهم جميعا والفاء فى قوله تعالى فما لهم عن التذكرة
معرضين لترتيب انكار اعراضهم عن القرآن بغير سبب على ما قبلها من موجبات الاقبال عليه
والاتعاظ به من سوء حال المكذبين ومعرضين حال من الضمير فى الجار الواقع خبرا لما الاستفهامية
وعن متعلقة به اى فاذا كان حال المكذبين به على ما ذكر فاى شئ حصل لهم معرضين عن القرآن مع
تعاضد موجبات الاقبال عليه وتاخذ الدواعى الى الايمان به وقوله تعالى كانهم حمر مستنفرة حال من المستكن
فى معرضين بطريق التداخل اى مشبهين بحمر نافرة فرت من قسورة اى من اسد فعولة من القسر
وهو القهر والغلبة وقيل هى جماعة الرواة الذين يتصيدونها شبهوا فى اعراضهم عن القرآن
واستماع ما فيه من المواعظ وشدادهم عنه بحمر جدت فى نفارها مما افزعها وفيه من ذمهم وتهجين
حالهم ما لا يخفى وقوله تعالى بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة عطف على مقدر يقتضيه المقام

كانه قيل لا يكتفون بتلك التذكرة ولا يرضون بها بل يريد كل واحد منهم ان يؤتى قراطيس تنشر
وتقرأ وذلك انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تأتي كل واحد منا بكتب من
السماء عنوانها من رب العالمين الى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك كما قالوا لن نؤمن لرقيك
حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقرئ صحفا منشرة بسكون الحاء والنون كلا ردع لهم عن تلك
الجراءة بل لا يخافون الآخرة فلذلك يعرضون عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف كلا ردع
عن اعراضهم انه اي القرآن تذكرة واي تذكرة فمن شاء ان يذكره ذكره وجاز بسببه
سعادة الدارين وما يذكرون بمجرد مشيتهم للذكر كما هو المفهوم من ظاهر قوله تعالى فمن شاء ذكره
اذ لا تأثير لمشية العبد وارادته في افعاله وقوله تعالى الا ان يشاء الله استثناء مفرغ من اعم
العلل او من اعم الاحوال او وما يذكرون بعلة من العلل او في حال من الاحوال الا بان يشاء الله او حال
ان يشاء الله ذلك وهذا تصريح بان افعال العباد بمشية الله عز وجل وقرئ تذكرون على الخطاب
التفاتا وقرئ بهما مشددا هو اهل التقوى اي حقيق بان يتقى عقابه ويؤمن به ويطاع واهل
المغفرة حقيق بان يغفر لمن آمن به واطاعه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة المدثر اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد عليه السلم وكذب به

لا اقسم بيوم القيمة ادخال لا النافية على فعل القسم شائع وفائدتها توكيد القسم قالوا انها
صلة مثلها في قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب وقيل هي للنفي لكن لا لنفي نفس الاقسام بل لنفي
ما ينبئ هو عنه من اعظام المقسم به وتفخيمه كان معنى لا اقسم بكذا لا اعظمه باقسامي به حق اعظامه
فانه حقيق باكثر من ذلك واكثر واما ما قيل من ان المعنى نفي الاقسام لوضوح الامر فقد عرفت
ما فيه في قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وقيل ان لا نفي ورد لكلام معهود قبل القسم كانهم انكروا
البعث فقيل لا اي ليس الامر كذلك ثم قيل اقسم بيوم القيمة كقولك لا والله ان البعث
حق واياما كان ففي الاقسام على تحقق البعث بيوم القيمة من الجزالة ما لا مزيد عليه وقد مر تفصيله
في سورة يس وسورة الزخرف ولا اقسم بالنفس اللوامة اي بالنفس المتقية التي تلوم النفوس
يومئذ على تقصيرهن في التقوى ففيه طرف من البراعة التي في القسم السابق او بالنفس التي لا تزال
تلوم نفسها وان اجتهدت في الطاعات او بالنفس المطمئنة اللائمة للنفس الامارة وقيل
بالجنس لما روي انه عليه السلم قال ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيمة ان
عملت خيرا قالت كيف لم ازدد وان عملت شرا قالت ليتني كنت قصرت ولا يخفى ضعفه
فان هذا القدر من اللوم لا يكون مدارا للاعظام بالاقسام وان صدر عن النفس المؤمنة المسيئة
فكيف من الكافرة المندرجة تحت الجنس وقيل بنفس آدم عليه السلم فانها لا تزال تتلوم على فعلها
الذي خرجت به من الجنة وجواب القسم ما دل عليه قوله تعالى ايحسب الانسان الن نجمع عظامه وهو
ليبعثن والمراد بالانسان الجنس والهمزة لانكار الواقع واستقباحه وان مخففة من الثقيلة وضمير

ضمير الشان الذي هو اسمها محذوف اي ايحسب ان الشان لن نجمع عظامه فان ذلك حسبان باطل
فانا نجمعها بعد تشتتها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعد ما سفتها الرياح وطيرتها في
اقطار الارض والقتها في البحار وقيل ان عدي بن ابي ربيعة ختن الاخنس بن شريق وهما
اللذان كان النبي عليه السلم يقول فيهما اللهم اكفني جاري السوء قال لرسول الله عليه السلم يا محمد
حدثني عن يوم القيمة متى يكون وكيف امره فاخبره رسول الله عليه السلم فقال لو عاينت ذلك اليوم
لم اصدقك او يجمع الله هذه العظام بلى اي نجمعها حال كوننا قادرين على ان نسوي بنانه اي نجمع
سلامياته ونضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام او على ان نسوي
اصابعه التي هي اطرافه وآخر ما يتم به خلقه وقرئ قادرون اي نحن قادرون بل يريد الانسان ليفجر
امامه عطف على ايحسب اما على انه استفهام مثله اضرب عن التوبيخ بذلك الى التوبيخ بهذا او على انه
ايجاب انتقل اليه عن الاستفهام اي بل يريد ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الاوقات وما يستقبله
من الزمان لا يرعوي عنه يسأل ايان يوم القيمة اي متى يكون استبعادا او استهزاء فاذا برق
البصر اي تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرئ بفتح الراء وهي لغة
او من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرئ بلق اي انفتح وانفرج وخسف القمر اي ذهب
ضوءه وقرئ على البناء للمفعول وجمع الشمس والقمر بان يطلعهما الله تعالى من المغرب وقيل جمعا
في ذهاب الضوء وقيل يجمعان اسودين مكورين كانهما ثوران عقيران في النار وتذكير الفعل لتقدمه
وتغليب المعطوف يقول الانسان يومئذ اي يوم اذ يقع هذه الامور اين المفر اي الفرار يأسا
منه وقرئ بالكسر اي موضع الفرار وقد جوز ان يكون هو ايضا مصدرا كالمرجع كلا ردع من طلب المفر
وتمنيه وزر لا ملجأ مستعار من الجبل وقيل كل ما التجأت اليه وتخلصت به فهو وزرك الى ربك
يومئذ المستقر اي اليه وحده استقرار العباد او الى حكمه استقرار امرهم او الى مشيته موضع
قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار ينبؤ الانسان يومئذ اي يخبر كل امرئ برا كان او فاجرا
عند وزن الاعمال بما قدم اي عمل من عمل خيرا كان او شرا فيثاب بالاول ويعاقب بالثاني واخر
اي لم يعمل خيرا كان او شرا فيعاقب بالاول ويثاب بالثاني او بما قدم من حسنة او سيئة وبما اخر
من سنة حسنة او سيئة فعمل بها بعده او بما قدم من مال تصدق به في حياته وبما اخر فخلفه
او وقفه او اوصى به او باول عمله وآخره بل الانسان على نفسه بصيرة اي حجة بينة على نفسه
شاهدة بما صدر عنه من الاعمال السيئة كما يعرب عنه كلمة على وما سيأتي من الجملة الحالية وصفت
بالبصارة مجازا كما وصفت الآيات بالابصار في قوله تعالى فلما جاءتهم آياتنا مبصرة او عين بصيرة
او التاء للمبالغة ومعنى بل الترقي اي ينبؤ الانسان باعماله بل هو يومئذ عالم بتفاصيل احواله شاهد
على نفسه لان جوارحه تنطق بذلك وقوله تعالى ولو القى معاذيره اي ولو جاء بكل معذرة يمكن ان
يتعذر بها عن نفسه حال من المستكن في بصيرة او من مرفوع ينبؤ اي هو بصيرة على نفسه تشهد عليه
جوارحه وتقبل شهادتها ولو اعتذر بكل معذرة او ينبؤ باعماله ولو اعتذر الخ والمعاذير اسم جمع
للمعذرة كالمناكير اسم جمع للمنكر وقيل هو جمع معذار وهو الستر اي ولو ارخى ستوره كان رسول الله

صلى الله عليه وسلم اذا لقن الوحي نازع جبريل عليه السلم القراءة ولم يصبر الى ان يتمها مسارعة الى الحفظ
وخوفا من ان يتفلت منه فامر عليه السلم بان يستنصت له ملقيا اليه قلبه وسمعه حتى يقضي اليه
الوحي ثم يقفيه بالدراسة الى ان يرسخ فيه فقيل لا تحرك به اي بالقرآن لسانك عند القاء الوحي
لتعجل به اي لتاخذه على عجلة مخافة ان ينفلت منك ان علينا جمعه في صدرك بحيث لا يذهب
عليك شيء من معانيه وقرآنه اي اثبات قراءته في لسانك فاذا قرأناه اي اتممنا قراءته عليك
بلسان جبريل عليه السلم واسناد القراءة الى نون العظمة للمبالغة في ايجاب التأني فاتبع قرآنه فكن
مقفيا له ولا تراسله ثم ان علينا بيانه اي بيان ما اشكل عليك من معانيه واحكامه كلا ردع له
عليه السلم عن عادة العجلة وترغيب له في الاناة واكد ذلك بقوله تعالى بل تحبون العاجلة وتذرون
الآخرة على تعميم الخطاب للكل اي بل انتم يا بني آدم لما خلقتم من عجل وجبلتم عليه تعجلون في كل شيء
ولذلك تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقيل كلا ردع للانسان عن الاغترار بالعاجل فيكون
جمع الضمير في الفعلين باعتبار معنى الجنس ويؤيده قراءة الفعلين على صيغة الغيبة وجوه يومئذ
ناضرة اي وجوه كثيرة وهي وجوه المؤمنين المخلصين يوم اذ تقوم القيمة بهية متهللة يشاهد
عليها نضرة النعيم على ان وجوه مبتدأ وناضرة خبره ويومئذ منصوب بناضرة وناظرة في قوله تعالى
الى ربها ناظرة خبر ثان للمبتدأ او نعت لناضرة والى ربها متعلقة بناظرة وصحة وقوع النكرة
مبتدأ لان المقام مقام تفصيل لا على ان ناظرة صفة لوجوه والخبر ناظرة كما قيل لما هو المشهور من ان
حق الصفة ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع وحيث لم يكن ثبوت النضرة
للوجوه كذلك فحقه ان يخبر به ومعنى كونها ناظرة الى ربها انها تراه تعالى مستغرقة في مطالعة جماله بحيث
تغفل عما سواه وتشاهده تعالى بلا كيف ولا على جهة وليس هذا في جميع الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره
وقيل منتظرة انعامه ورد بان الانتظار لا يسند الى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وان
المستعمل بمعناه لا يتعدى بالى ووجوه يومئذ باسرة شديدة العبوس وهي وجوه الكفرة
تظن يتوقع اربابها ان يفعل بها فاقرة داهية عظيمة تقصم فقار الظهر كلا ردع عن ايثار
العاجلة على الآخرة اي ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا لما بين ايديكم من الموت الذي ينقطع
عنده ما بينكم وبين العاجلة من العلاقة اذا بلغت التراقي اي بلغت النفس اعالي
الصدر وهي العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال وقيل من راق اي قال من حضر
صاحبها من يرقيه وينجيه مما هو فيه من الرقية وقيل هو من كلام ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه
ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب من الرقي وظن انه الفراق وايقن المحتضر ان ما نزل به
الفراق من الدنيا ونعيمها والتفت الساق بالساق والتفت ساقه بساقه والتوت
عليها عند قلق الموت وقيل هما شدة فراق الدنيا وشدة اقبال الآخرة وقيل هما ساقاه
حين تلفان في اكفانه الى ربك يومئذ المساق اي الى الله والى حكمه يساق لا الى غيره فلا صدق
ما يجب تصديقه من الرسول عليه السلم والقرآن الذي نزل عليه او فلا صدق ماله ولا زكاه ولا
صلى ما فرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور في قوله ايحسب الانسان وفيه دلالة على ان

ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة كما مر ولكن كذب ما ذكر من الرسول والقرآن
وتولى عن الطاعة ثم ذهب الى اهله يتمطى يتبختر افتخارا بذلك من المط فان المتبختر يمد
خطاه فيكون اصله يتمطط او من المطا وهو الظهر فانه يلويه اولى لك فاولى اي ويل
لك واصله اولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما في ردف لكم او اولى لك الهلاك وقيل
هو افعل من الويل بعد القلب كادنى من دون او فعلى من آل يؤول بمعنى عقباك النار ثم اولى
لك فاولى اي يتكرر عليه ذلك مرة بعد اخرى ايحسب الانسان ان يترك سدى اي يخلى
مهملا فلا يكلف ولا يجزى وقيل ان يترك في قبره فلا يبعث وقوله تعالى الم يك نطفة من مني
يمنى الخ استيناف وارد لابطال الحسبان المذكور فان مداره لما كان استبعادهم للاعادة
استدل على تحققها ببدء الخلق ثم كان علقة اي بقدرة الله تعالى لقوله ثم جعلنا النطفة علقة
فخلق اي فقدر بان جعلها مضغة مخلقة فسوى فعدل وكمل نشأته فجعل منه من الانشاء
الزوجين اي الصنفين الذكر والانثى بدل من الزوجين اليس ذلك العظيم الشان الذي
انشأ هذا الانشاء البديع بقادر على ان يحيي الموتى وهو اهون من البدء وفي قياس العقل روي
ان النبي عم كان اذا قرأها قال سبحانك بلى وعنه عم من قرأ سورة القيمة شهدت له انا وجبريل يوم القيمة انه

كان مؤمنا بيوم القيمة

هل اتى استفهام تقرير وتقريب فان هل بمعنى قد والاصل اهل اتى على الانسان قبل زمان قريب
حين من الدهر اي طائفة محدودة كائنة من الزمن الممتد لم يكن شيئا مذكورا بل كان شيئا
منسيا غير مذكور بالانسانية اصلا كالعنصر والنطفة وغير ذلك والجملة المنفية حال من الانسان
اي غير مذكور او صفة اخرى لحين على حذف العائد الى الموصوف اي لم يكن فيه شيئا مذكورا والمراد
بالانسان الجنس فالاظهار في قوله انا خلقنا الانسان من نطفة لزيادة التقرير او آدم عليه السلم
وهو المروي عن ابن عباس وقتادة والثوري وعكرمة والشعبي قال ابن عباس في رواية ابي صالح
عنه مرت به اربعون سنة قبل ان ينفخ فيه الروح وهو ملقى بين مكة والطائف وفي رواية
الضحاك عنه انه خلق من طين فاقام اربعين سنة ثم من حماء مسنون فاقام اربعين سنة
ثم من صلصال فاقام اربعين سنة فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح وحكى
الماوردي عن ابن عباس ان الحين المذكور ههنا هو الزمن الطويل الممتد الذي لا يعرف
مقداره فيكون الاول اشارة الى خلقه عليه السلم وهذا بيانا لخلق بنيه امشاج اخلاط جمع مشج
او مشيج من مشجت الشيء اذا خلطته وصف النطفة به لما ان المراد بها مجموع المائين ولكل
منهما اوصاف مختلفة من اللون والرقة والغلظ وخواص متباينة فان ماء الرجل ابيض
غليظ فيه قوة العقد وماء المرأة اصفر رقيق فيه قوة الانعقاد يخلق منهما الولد فما كان
من عصب وعظم وقوة فمن ماء الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة قال القرطبي
وقد روي هذا مرفوعا وقيل مفرد كاعشار واكياش وقيل امشاج الوان واطوار فان النطفة

حكى ان هرون الرشيد خرج حاجا فلقى الهبلول فسلم عليه ورد فقال هارون نحن اليك بالاشواق قال لكنى لم
اشتق اليك فقال هرون عظنى قال يهبلول انكم تنقلون من القصور الى القبور ولا يرون احدا ينتقل من القبر
الى القصر فاى موعظة ابلغ من هذا فقال الرشيد زدنى قال يهبلول من رزقه الله مالا وجمالا فانفق فى ماله
وعف فى جماله كتب فى ديوان الابرار فصوص التفاسير

تغيير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة وقوله تعالى بنشئكم حال من فاعل خلقناكم اى مريدين ابتلاءكم بالتكليف
فجعلناكم احياء او ناقلين لكم من حال الى حال على طريقة الاستعارة كما روى عن ابن عباس تصرفكم فى بطن امه
نطفة ثم علقة الخ فجعلناه سميعا بصيرا ليتمكن من استماع الآيات التنزيلية ومشاهدة الآيات
التكوينية فهو كالمسبب من الابتلاء فلذلك عطف على الخلق المقيد به بالفاء ورتب عليه قوله تعالى
انا هديناه السبيل بانزال الآيات ونصب الدلائل اما شاكرا واما كفورا حال من مفعول هديناه
اى مكناه واقدرناه على سلوك الطريق الموصل الى البغية فى حالتيه جميعا او للتفصيل او التقسيم
اى هديناه الى ما يوصل اليها فى حاليه جميعا او معنوما اليها بعضهم شاكر بالاهتداء والاخذ فيه
وبعضهم كفور بالاعراض عنه وقيل من السبيل اى عرفناه السبيل شاكرا او كفورا على وصف السبيل
بوصف سالكه مجازا او قرئ اما بالفتح على حذف الجواب اى اما شاكرا فتوفيقنا واما كفورا
فبسوء اختياره لا يحر واجبارنا من قبله واريد الكفور لمراعاة الفواصل والاشعار بان الانسان
قلما يخلو من كفران ما واما المؤاخذ عليه الكفور فانا اعتدنا للكافرين من افراد الانسان الذى هذا
السبيل سلاسل يجاء بها يقادون واغلالا يجاء بها يقيدون وسعيرا يجاء بها يحرقون وتقديم وعيدهم مع ما فيه
للجمع بينها فى الذكر كما فى قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم الآية
ولان الانذار اهم وانفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين احسن على ان فى وصفهم تفصيلا
ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم وقرئ سلاسلا للتناسب ان الابرار شروع فى بيان حسن حال الذاكرين اثر بيان سوء حال الكافرين وايرادهم البتة بعنوان الابرار للاشعار بما استحقوا به
ذلك من الكرامة السنية والابرار جمع بر او بار كرب وارباب وشاهد وشهاد وقيل هو من
البر خلاف العقوق اى يطيعه وقيل من يمتثل بامره تعالى وقيل من يوفى حق الله تعالى ويوفى بالنذر وعن
الحسن البر من لا يؤذى الذر يشربون من كاس هى الزجاجة اذا كانت فيها خمر وتطلق على نفس
الخمر ايضا فمن على الاول ابتدائية وعلى الثانى تبعيضية او بيانية كان مزاجها اى ما تمزج به كافورا
اى ماء كافور وهو اسم عين فى الجنة ماؤها فى بياض الكافور ورائحته وبرده والجملة صفة كاس وقوله تعالى
عينا بدل من كافورا وعن قتادة تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك وقيل تخلق فيها رائحة الكافور
فياضة وبرده فكانها مزجت بالكافور فعينا على هذين القولين بدل من محل من كاس على تقدير مضاف
اى يشربون خمرا خمر عين او نصب على الاختصاص وقوله تعالى يشرب بها عباد الله صفة عينا اى
يشربون بها الخمر لكونها ممزوجة بها وقيل ضمن يشرب معنى يلتذ وقيل الباء بمعنى من وقيل
زايدة ويعضده قراءة ابن ابى عبلة يشربها عباد الله وقيل الضمير للكاس والمعنى يشربون العين
بتلك الكاس يفجرونها تفجيرا اى يجرونها حيثما شاؤا من منازلهم اجراء سهلا لا يمتنع عليهم بل يجرى
جريا بقوة وانداع والجملة صفة اخرى لعينا وقوله تعالى يوفون بالنذر استيناف مسوق
لبيان ما لاجله رزقوا ما ذكر من النعيم مشعر على نوع تفصيل لما ينبئ عنه اسم الابرار اجمالا كانه
قيل ماذا يفعلون حتى نالوا تلك الرتبة العالية فقيل يوفون بما اوجبوه على انفسهم فكيف
بما اوجبه الله تعالى عليهم ويخافون يوما كان شره عذابه مستطيرا فاشيا منتشرا فى الاقطار غاية
محذوف والتقدير كانوا يوفون بالنذر والنذر فى عرف الشرع مختص بان يقول العبد على كذا وكذا من الصدقة وسائر
ما يتقرب به من الطاعة او يعلق ذلك بامر يلتمسه من الله تعالى مثل ان يقول ان شفى مريضى او رزقنى غائبى فعلى كذا والايفاء بالشئ
بعنوان

على كرم الله وجهه تلثمائة اية من القرآن صواعق

الفذ الله ايجون برعبادق عهنه يه الملق والى

منذرا بالتنوين وهو الاصل والاضافة تخفيف صالح للحال والاستقبال فاذا اريد الماضى تعينت
الاضافة وتخصيص الانذار بمن يحشى مع عموم الدعوة لانه المنتفع به وقوله تعالى كانهم يوم يرونها
لم يلبثوا الا عشية او ضحاها اما تقرير وتاكيد لما ينبئ عنه الانذار من سرعة مجئ المنذر به لا سيما
على الوجه الثانى اى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الانذار بها الا عشية يوم واحد او ضحاه فلما
ترك اليوم اضيف ضحاه الى عشيته واثر ذلك اما لاجل وجوه فى سوالهم فانهم كانوا يسالون
عنها بطريق الاستبطاء مستعجلين بها او ان كان على نهج الاستهزاء به ويقولون متى هذا الوعد
ان كنتم صادقين فالمعنى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الوعيد بها الا عشية او ضحاها او اعتبار
كون اللبث فى الدنيا او فى القبور لا يقتضيه المقام وانما الذى يقتضيه اعتبار كونه بعد الانذار
او بعد الوعيد تحقيقا للانذار ردا لاستبطائهم والجملة على الاول حال من الموصول فانه
على تقدير رى الاضافة وعدها معمول للمنذر كانه قيل لم يلبثوا الا ساعة من النهار حال من ضمير
المفعول فى يحشرهم اى يحشرهم مشتبهين بمن لم يلبث فى الدنيا الا ساعة خلا ان الشبه بينهما
فى الاحوال الظاهرة من الزى والهيئة وفيما نحن فيه فى الاعتقاد كانه قيل ننذرهم مشتبهين
يوم يرونها فى الاعتقاد بمن لم يلبث بعد الانذار بها الا تلك المدة اليسيرة وعلى التامتين لا محل
من الاعراب عن النبى عليه السلام من قرأ سورة النازعات كان ممن حبسه الله عز وجل يوم القيمة حتى يدخل الجنة قدر

عبس وتولى ان جاءه الاعمى روى ان ابن ام مكتوم واسمه عبد الله بن شريح بن مالك ابن
ابى ربيعة الفهرى وام مكتوم اسم امه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش
عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس ابن عبد المطلب واميه ابن خلف والوليد
ابن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم فقال له يا رسول الله اقرئنى
وعلمنى مما علمك الله وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلعم قطعه لكلامه
وعبس واعرض عنه فرلت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول اذا راه مرحبا بمن
عاتبنى فيه ربى ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ عبس بالتشديد
للمبالغة وان جاءه علة لتولى او عبس على اختلاف الرائين اى لان جاءه الاعمى والتعرض
بعنوان عماه اما لتمهيد عذره فى الاقدام على قطع كلامه عليه السلم بالقوم والايذان باستحقاقه
بالرفق والرأفة واما لزيادة الانكار كانه قيل تولى لكونه اعمى كما ان الالتفات فى قوله تعالى
وما يدريك لذلك فان المشافهة ادخل فى تشديد العتاب اى واى شئ يجعلك دريا
بحاله حتى تعرض عنه وقوله تعالى لعله يزكى استيناف وارد لبيان ما يلوح به ما قبله فانه مع
ما له شانا منافيا للاعراض عنه خارجا عن دراية الغير وادرايه موذن بانه تعالى يريد ان يزكيه
او لعله يتطهر بما يقتبس منك من اوامر الاوزار بالكلية وكلمة لعل مع تحقق الترجى واردة
على سنن الكبرياء او على اعتبار معتقد المترجى بالنسبة اليه عليه السلم للتنبيه على ان الاعراض عنه عند كونه

استعاره

مرجو التزكي مما لا يجوز فكيف اذا كان مقطوعا بالتزكي كما في قولك لعلك ستندم على ما فعلت
وفيه اشارة الى ان من تصدى لتزكيتهم من الكفرة لا يرجى منهم التزكي والتذكر اصلا وقوله تعالى
او يذكى عطف على يزكى داخل معه في حكم الترجي وقوله تعالى فتنفعه الذكرى بالنصب على جواب
لعل وقرئ بالرفع عطف على يذكى اي او يتذكر فتنفعه موعظتك ان لم يبلغ درجة التزكي التام
وقيل الضمير في لعله للكافر فالمعنى انك طمعت في ان يتزكى او يتذكر فتقربه الذكرى الى قول الحق
ولذلك توليت عن الاعمى وما يدريك ان ذلك مرجو الوقوع اما من استغنى اي عن الايمان
وعما عندك من العلوم والمعارف التي ينطوي عليها القرآن فانت له تصدى اي تتصدى
وتتعرض بالاقبال عليه والارشاده واستصلاحه وفيه مزيد تنفير له عليه السلام عن مصاحبتهم فان
الاقبال على المدبر ليس من شيم الكرام وقرئ تصدى بادغام التاء في الصاد وقرئ تصدى
بضم التاء اي تعرض ومعناه يدعوك الى التصدي له داع من الحرص والتهالك على اسلامه
وما عليك الا يزكى وليس عليك باس في ان لا تتزكى بالاسلام حتى تهتم بامره وتعرض
عمن اسلم والجملة حال من ضمير تصدى وقيل ما استفهامية للانكار اي اي شيء في ان لا تتزكى
وما له النفي ايضا واما من جاءك يسعى اي حال كونه مسرعا طالبا لما عندك من احكام الرشد
وخصال الخير وهو يخشى اي الله تعالى وقيل يخشى اذية الكفار في اتيانك وقيل يخشى الكبوة
ان لم يكن معه قائده والجملة حال من فاعل يسعى كما انه حال من فاعل جاءك فانت عنه تلهى تتشاغل
يقال لهى عنه والتهى وتلهى وتلهى اي يلهيك شان الصناديد وفي تقديم ضميره عليه السلام على الفعلين
تنبيه على ان مناط الانكار خصوصيته عليه السلام اي مثلك خصوصا لا ينبغي ان يتصدى للمستغني ويتلهى
عن الفقير الطالب للخير وتقديم له وعنه للتعريض باهتمامه عليه السلام بمضمونهما روي انه عليه السلام ما عبس
بعد ذلك في وجه فقير قط ولا تصدى لغني كلا ردع له عليه السلام عما عوتب عليه من التصدي لمن
استغنى عما دعاه اليه من الايمان والطاعة وما يوجبهما من القرآن الكريم مبالغا في الاهتمام بامره
متهالكا على اسلامه معرضا بسبب ذلك عن ارشاد من يسترشده وقوله تعالى انها تذكرة اي
موعظة يجب ان يتعظ بها ويعمل بموجبها تعليل للردع عما ذكر ببيان علو رتبة القرآن العظيم
الذي استغنى عنه من تصدى له وتحقيق ان شانه ان يكون موعظة حقيقة بالاتعاظ بها فمن
رغب فيها اتعظ بها كما نطق به قوله تعالى فمن شاء ذكره اي حفظه واتعظ به ومن رغب عنها
كما فعله المستغني فلا حاجة الى الاهتمام بامره فالضميران للقرآن وتانيث الاول لتانيث
خبره وقيل الاول للسورة او للآيات السابقة والثاني للتذكرة والتذكير لانها في معنى
الذكر والوعظ وليس بذاك فان السورة والآيات وان كانت متصفة بما سياتي من الصفات
الشريفة لكنها ليست من القى على من استغنى عنه واستحق بسبب ذلك ما سياتي من الدعاء
عليه والتعجب من كفره المفرط لنزولها بعد الحادثة واما من جوز رجوعهما الى العتاب المذكور
فقد اخطأ واساء الادب وخبط خبطا يقضي منه التعجب فتامل وكن على الحق المبين وقوله تعالى
في صحف متعلق بمضمر هو صفة لتذكرة وما بينهما اعتراض جيء به للترغيب فيها والحث على حفظها

هتمام

حفظها اي كائنة في صحف منتسخة من اللوح او خبر ثان لان مكرمة عند الله عز وجل مرفوعة اي في
السماء السابعة او مرفوعة المقدار والذكر مطهرة منزهة عن مساس ايدي الشياطين بايدي
سفرة اي كتبة من الملائكة ينسخون الكتب في اللوح على انه جمع سافر من السفر وهو الكتب وقيل
بايدي رسل من الملائكة يسفرون بالوحي بينه تعالى وبين الانبياء على انه جمع سفير من السفارة وحملهم
على الانبياء عليهم السلام بعيد فان وظيفتهم التلقي من الوحي لا الكتب منه وارشاد الامة بالامر والنهي
وتعليم الشرائع والاحكام لا مجرد السفارة اليهم وكذا حملهم على القراء لقراءتهم الاسفار او على
اصحابه عليه السلام وقد قالوا هذه اللفظة مختصة بالملائكة لا تكاد تطلق على غيرهم وان جاز الاطلاق
بحسب اللغة والباء متعلقة بمطهرة قال القفال لما لم يمسها الا الملائكة المطهرون اضيف
التطهر اليها لطهارة من يمسها وقال القرطبي ان المراد بما في قوله تعالى لا يمسه الا المطهرون هؤلاء
السفرة الكرام البررة كرام عند الله عز وجل او متعطفين على المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون لهم
بررة اتقياء وقيل مطيعين لله تعالى من قولهم فلان يبر خالقه اي يطيعه وقيل صادقين
من بر في يمينه قتل الانسان دعاء عليه باشنع الدعوات وقوله تعالى ما اكفره تعجب من افراطه
في الكفران وبيان لاستحقاقه للدعاء عليه والمراد اما من استغنى عن القرآن الكريم الذي ذكرت
نعوته الجليلة الموجبة للاقبال عليه والايمان به واما الجنس باعتبار انتظامه له ولامثاله من
افراده لا باعتبار جميع افراده وفيه مع قصر متنه وتقارب قطريه من الانباء عن سخط
ومذمة بالغة ما لا غاية وراءه وقوله تعالى من اي شيء خلقه شروع في بيان افراطه في الكفران
بتفصيل ما افاض عليه من مبدأ فطرته الى منتهى عمره من فنون النعم الموجبة لقضاء حقها بالشكر
والطاعة مع اخلاله بذلك وفي الاستفهام من مبدأ خلقه ثم بيانه بقوله تعالى من نطفة خلقه
تحقير له اي من اي شيء حقير مهين خلقه من نطفة مذرة خلقه فقدره فهيأه لما يصلح له ويليق له
من الاعضاء والاشكال او فقدره اطوارا الى ان تم خلقه وقوله تعالى ثم السبيل يسره منصوب
بمضمر يفسره الظاهر اي ثم سهل مخرجه من البطن بان فتح فم الرحم والهمه ان ينتكس او يسر له
سبيل الخير والشر ومكنه من السلوك فيهما وتعريف السبيل باللام دون الاضافة للاشعار بعمومه
ثم اماته فاقبره اي جعله ذا قبر يواري فيه تكرمة له ولم يدعه مطروحا على وجه الارض جزرا للسباع
والطير كساير الحيوان يقال قبر الميت اذا دفنه واقبره اذا امر بدفنه او مكن منه وعد الاماتة
من النعم لانها وصلة في الجملة الى الحيوة الابدية والنعيم المقيم ثم اذا شاء انشره اي اذا شاء
انشاره انشره على القاعدة المستمرة في حذف مفعول المشية وفي تعليق الانشاء بمشيته
تعالى ايذان بان وقته غير متعين بل هو تابع لها وقرئ نشره كلا ردع للانسان عما هو عليه وقوله تعالى
لما يقض ما امره بيان لسبب الردع اي لم يقض بعد من لدن آدم عليه السلام الى هذه الغاية
مع طول المدى وامتدادها ما امره الله تعالى باسره اذ لا يخلو احد عن تقصير ما كذا قالوا وهكذا
نقل عن مجاهد وقتادة ولا ريب في ان مساق الآيات الكريمة لبيان غاية عظم جناية الانسان
وتحقيق كفرانه المفرط المستوجب للسخط العظيم وظاهر ان ذلك لا يتحقق بهذا القدر من نوع

تقصير لايخلوعنه احد من افراده كيف لا وقد قال صلى الله عليه وسلم شيبتني سورة هود لما فيها من قوله
تعالى فاستقم كما امرت فالوجه ان يحمل عدم القضاء على عموم النفي لا على نفي العموم اما على ان
المحكوم عليه هو المستغني او هو الجنس لكن لا على الاطلاق بل على ان مصداق الحكم بعدم القضاء
بعض افراده وقد اسند الى الكل كما في قوله تعالى ان الانسان لظلوم كفار للاشباع في اللوم بحكم
المجانسة على طريقة قولهم بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم واما على ان مصداقه الكل من حيث
هو كل بطريق رفع الايجاب الكلي لا بقض جميع افراده ما امره به اخل به بعضها
بالكفر والعصيان مع ان مقتضى ما فصل من فنون النعماء الشاملة للكل ان لا تختلف عنه احد اصلا
هذا وقد قيل كلا بمعنى حقا فيتعلق بما بعده اى حقا لم يعمل بما امره به وقوله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه
شروع في تعداد النعم المتعلقة بيقائه بعد تفصيل النعم المتعلقة بحدوثه اى فلينظر الى طعامه
الذي عليه يدور امر معاشه كيف دبرناه وقوله تعالى انا صببنا الماء اى الغيث بدل اشتمال
من طعامه لان الماء سبب لحدوث الطعام فهو مشتمل عليه وقرئ انا على الاستيناف وقرئ
انى بالامالة اى كيف صببناه انا اى صببناه صبا عجيبا ثم شققنا الارض اى بالنبات شقا
بديعا لايقادر قدره من النبات صغرا او كبرا وشكلا وهيئة وحمل شقها على ما بالكرات
يجعل اسناده الى نون العظمة من قبيل اسناد الفعل الى سببه بايراده كلمة ثم والفاء في قوله
فانبتنا فيها حبا فان الشق بالمعنى المذكور لا ترتب بينه وبين الامطار اصلا ولا بينه
وبين انبات الحب بلا مهلة فان المراد بالنبات ما نبت من الارض الى ان تكامل النمو
وبعقد الحب فان انشقاق الارض بالنبات لا يزال يتزايد ويتسع الى تلك المرتبة على ان
مساق النظم الكريم لبيان النعم الفايضة من جنابه تعالى على وجه بديع خارج عن العادات
المعهودة كما ينبئ عنه تاكيد الفعلين بالمصدرين فتوسيط فعل المنعم عليه في حصول تلك النعم مخل
بالمرام وقوله تعالى وعنبا عطف على حبا وليس من لوازم العطف ان يقيد المعطوف بجميع ما قيد به
المعطوف عليه فلا ضير في خلو انبات العنب عن شق الارض وقضبا اى رطبة سميت بمصدر
قضبته اى قطعته مبالغة كانها لتكرر قطعها وتكثرة نفس القطع وزيتونا ونخلا الكلام فيهما
وفي اشباهها كما في العنب وحدايق غلبا اى عظاما وصف به الحدايق لتكاثفها وكثرة اشجارها
او لانها ذات اشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب وفاكهة وابا اى مرعى من ابه اذا
اتمه اى قصده لانه يؤم ويقتصد او من اب كذا اذا تهيأ له لانه متهيئ للرعي او فاكهة يابسة توبت
للشتاء وعن الصديق رضي الله عنه انه سئل عن الاب فقال اى سماء تظلني واى ارض تقلني اذا قلت
في كتاب الله ما لا علم لي به وعن عمر رضي الله عنه قرأ هذه الاية فقال كل هذا قد عرفناه فما الاب ثم رفض
عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن ام عمر ان لا تدري ما الاب
ثم قال ابتعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه متاعا لكم ولانعامكم اما مفعول له اى
فعل ذلك تمتيعا لكم ولمواشيكم فان بعض النعم المعدودة طعام لهم وبعضها علف لدوابهم
والالتفات لتسجيل الامتنان واما مصدر مؤكد لفعله المضمر بحذف الزوايد اى متعكم بذلك

تلك فتمتعتم متاعا اى تمتعا كما مر غير مرة او مصدر من غير لفظ فان ما ذكر من الافعال الثلثة
في معنى التمتيع فاذا جاءت الطامة شروع في بيان احوال ما معادهم اثر بيان مبادي خلقهم
ومعاشهم والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها من فنون النعم عن قريب كما يشعر لفظ
المتاع بسرعة زوالها وقرب اضمحلالها والصاخة هي الداهية العظيمة التي يصخ لها
الخلايق اى يصمون لها من صخ الحديد اذا اصاخ له واستمع وصفت بها النفخة الثانية
لان الناس يصمون بها وقيل هي الصيحة التي تصخ الاذان اى تصمها لشدتها ووصفها
وقيل هي ماخوذة من صخ بالحجر اى صكه وقوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه وامه
وابيه وصاحبته وبنيه اما منصوب باعني تفسير للصاخة او بدل منها مبني على الفتح
بالاضافة اذ الفعل على راى الكوفيين وقيل بدل من اذا جاءت كما مر في قوله تعالى
يوم تبدل الارض الخ اى يعرض عنهم ولا يصاحبهم ولا يسال عن حالهم كما في الدنيا لاشتغاله بحال
نفسه واما تعليل ذلك بعلمه بانهم لا يغنون عنه شيئا او بالحذر من مطالبتهم بالتبعات
فياباه قوله تعالى لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه فانه استيناف وارد لبيان
سبب الفرار اى لكل واحد من المذكورين شغل شاغل وخطب هايل يكفيه في الاهتمام
به واما الفرار حذرا من مطالبتهم او بعضا لهم كما يروى عن ابن عباس انه يفر قابيل من هابيل
ويفر البني عليه السلم من امه ويفر ابراهيم عليه السلم من ابيه ونوح عليه السلم من ابنه ولوط عليه السلم من امراته فليس من قبيل هذا الفرار وكذا ما يروى ان الرجل يفر من اصحابه
واقربايه لئلا يروه على ما هو عليه من سوء الحال وقرئ يعنيه بالياء المفتوحة والعين المهملة اى
يهمه من عناه الامر اذا اهمه اى اوقعه في الهم ومنه من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه
لا من عناه اذا قصده كما قيل وقوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة بيان لحال ام المذكورين وافتسا
الى السعداء والاشقياء بعد ذكر وقوعهم في داهية دهياء وان كانت نكرة لكونها
في حيز التنويع ومسفرة خبره ويومئذ متعلق به اى مضيئة متهللة من اسفر الصبح اذا اضاء وعن
ابن عباس ان ذلك من قيام الليل وفي الحديث من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن
الضحاك من آثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت في سبيل الله ضاحكة مستبشرة بما شاهدت
من النعيم المقيم والبهجة الدايمة ووجوه يومئذ عليها غبرة اى غبار وكدورة ترهقها اى
تعلوها وتغشاها قترة اى سواد وظلمة اولئك اشارة الى اصحاب تلك الوجوه وما فيه
من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في سوء الحال اى اولئك الموصوفون بسواد الوجه وغبرته
هم الكفرة الفجرة الجامعون بين الكفر والفجور فلذلك جمع الله عز وجل الاسوداد وجوههم الغبرة عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة عبس جاء يوم القيمة وجهه ضاحك مستبشرة

اذا الشمس كورت اى لفت من كورت العمامة اذا لففتها على ان المراد بذلك ما رفعها

وازالتها من مقرها فان الثوب اذا اريد رفعه يلف لفا ويطوى ونحوه قوله تعالى يوم نطوى
السماء وما تالف ضونها المنبسط فى الآفاق المنتشر فى الاقطار على انه عبارة عن ازالتها
والذهاب بها بحكم استلزام زوال اللازم لزوال الملزوم او الفيت عن فلكها كما وصفت
النجوم بالانكدار من طعنه فكوره اذا القاه على الارض وعن ابى صالح كورت نكست وعن ابن
عباس تكويرها ادخالها فى العرش ومدار التركيب على الارادة والجمع وارتفاع الشمس على
انه فاعل لفعل مضمر يفسره المذكور وعند البعض على الابتداء وازا النجوم انكدرت اى تناثرت
وقيل تناثرت وتساقطت روى عن ابن عباس انه لا يبقى يومئذ نجم الا سقط فى الارض وعنه
ان النجوم قناديل معلقة بين السماء والارض بسلاسل من نور فاذا مات من فى السموات
ومن فى الارض تساقطت من ايديهم وقيل انكدارها اطماس نورها ويروى الشمس
والنجوم تطرح فى جهنم ليراها من عبدها كما قال تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم
وازا الجبال سيرت اى عن اماكنها بالرجفة الحاصلة لاتى الجو فان ذلك بعد النفخة الثانية
وازا العشار جمع عشراء وهى الناقة التى اتى على حملها عشرة اشهر وهو اسمها الى ان تضع
لتمام السنة وهى انفس ما يكون عند اهلها واعزها عليهم عطلت تركت مهملة لاشتغال
اهلها بانفسهم وقيل العشار السحاب فان العرب تشبهها بالحامل ومنه قوله تعالى
فالحاملات وقرا وتعطيلها عدم امطارها وقرئ عطلت بالتخفيف وازا الوحوش حشرت
اى جمعت من كل جانب وقيل بعثت للقصاص قال قتادة يحشر كل شئ حتى الذباب للقصاص
فاذا قضى بينها رودت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبنى ادم واعجاب بصورته كالطاوس
ونحوه وقرئ حشرت بالتشديد وازا البحار سجرت اى احميت او ملئت فصير بعضها الى
بعض حتى يعود بحرا واحدا من سجر التنور اذا ملاءه بالحطب ليحميه وقيل ملئت نيرانا تضطرم
لتعذيب اهل النار وعن الحسن يذهب ماؤها حتى لا يبقى فيها قطرة وقرئ سجرت بالتخفيف
وازا النفوس زوجت اى قرنت باجسادها او قرنت كل نفس بشكلها او بكتابتها
او باعمالها او نفوس المؤمنين بالحور ونفس الكفرة بالشياطين وازا الموؤدة اى المدفونة
وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق او لحوق العار بهم من اجلهن قيل كان الرجل
اذا ولدت له بنت البسها جبة من صوف او شعر حتى اذا بلغت ست سنين ذهب بها الى
الصحراء وقد حفر لها حفرة فالقيها فيها وقيل كانت الحامل اذا اقربت حفرت حفرة فتمخضت
على رأس الحفرة فاذا ولدت ابنة رمت بها وان ولدت ابنا جسته سئلت باى ذنب
قتلت توجيه السؤال اليها لتسليتها واظهار كمال الغيظ والسخط لوائدها واسقاطها
عن درجة الخطاب والمبالغة فى تبكيتها كما فى قوله تعالى ءانت قلت للناس اتخذونى وامى
الهين وقرئ سألت اى خاصمت او سالت الله تعالى او قاتلها وانما قيل قتلت لما ان الكلام
اخبار عنها لا حكاية لما خوطبت به حين سئلت ليقال قتلت على الخطاب ولا حكاية لكلامها حين
سالت ليقال قتلت عن الحكاية عن نفسها وقد قرئ كذلك وبالتشديد ايضا وعن ابن عباس انه

سئل عن اطفال المشركين فقال لا يعذبون واحتج بهذه الآية وازا الصحف نشرت
اى صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر عند الحساب عن النبى عليه السلام انه قال
يحشر الناس حفاة عراة فقالت ام سلمة فكيف بالنساء فقال شغل الناس يا ام
سلمة قالت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل وقيل
نشرت اى فرقت بين اصحابها عن مرثد بن وداعة اذا كان يوم القيمة تطايرت الصحف
من تحت العرش فيقع صحيفة المؤمن فى يده فى جنة عالية ويقع صحيفة الكافر فى يده فى سموم
وحميم اى مكتوب فيها ذلك وهى صحف غير صحف الاعمال وازا السماء كشطت قلعت
وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشئ المستور به وقرئ قشطت
واعقاب الكاف والقاف بمعنى كالكافور والقافور وازا الجحيم سعرت اى
اوقدت ايقادا شديدا قيل سعرها غضب الله عز وجل وخطايا بنى آدم وقرئ سعرت
بالتخفيف وازا الجنة ازلفت اى قربت من المتقين كقوله تعالى وازلفت الجنة للمتقين غير
بعيد وهذه اثنتا عشرة عشرة خصلة ست منها فى الدنيا اى فيما بين المتقين غير
النفختين وهن من اول السورة الى قوله وازا البحار سجرت على ان المراد بحشر الوحوش جمعها من كل
ناحية لا بعضها للقصاص وست فى الآخرة اى بعد النفخة الثانية وقوله تعالى علمت
نفس ما احضرت جواب ازا على ان المراد بها زمان واحد ممتد يسع ما فى سياقها وسياق
ما عطف عليها من الخصال مبدأه النفخة الاولى ومنتهاه فصل القضاء بين الخلايق لكن
لا بمعنى انها تعلم ما تعلم فى كل جزء من اجزاء ذلك الوقت المديد او عند وقوع رابية من
تلك الروابى بل عند نشر الصحف الآتية لما كان بعض تلك الروابى من مباديه وبعضها
من روادفه نسب علمها بذلك الى زمان وقوع كلها تهويلا للخطب وتعظيما للحال والمراد
بما احضرت اعمالها من الخير والشر ويحضرها اما حضور صحايفها كما يعرب عنه نشرها واما حضور
انفسها على ما قالوا من ان الاعمال الظاهرة فى هذه النشأة بصور عرضية تبرز فى هذه النشأة
الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها فى الحسن والقبح على هيئة مخصوصة وهيئة معينة حتى ان
الذنوب والمعاصى تتجسم هنالك وتتصور بصورة النار وعلى ذلك يحمل قوله تعالى وان جهنم
لمحيطة بالكافرين وقوله تعالى ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وكذا قوله
عليه السلم فى حق من يشرب من انية الذهب والفضة انما يجرجر فى بطنه نار جهنم ولا بعد فى ذلك
الا يرى ان العلم يظهر فى عالم المثال على صورة اللبن كما لا يخفى على له خبرة باحوال الحضرات
الخمس وقد روى عن ابن عباس انه يؤتى بالاعمال الصالحة على صورة حسنة وبالاعمال السيئة
على صور قبيحة فتوضع فى الميزان واما ما كان فاسدا وحضورها الى النفس مع انها تحضر
بامر الله تعالى عز وجل كما ينطق به قوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الآية لانها لما علمتها
فى الدنيا كانتها احضرتها فى الموقف ومعنى علمها بها حينئذ انها شاهدتها على ما هى عليها فى الحقيقة
فان كانت صالحة تشاهدها على صور احسن مما كانت تشاهدها عليه فى الدنيا لان الطاعات

لا تخلو اعيانها عن نوع مشقة وان كانت سيئة تشاهدها على خلاف ما كانت تشاهدها عليه
لانها كانت مزينة لها موافقة لهواها وتنكير النفس المفيد لثبوت العلم المذكور لفرد من النفوس
او لبعض منها للايذان بان ثبوته لجميع افرادها قاطبة من الظهور والوضوح بحيث لا يكاد يحوم
حوله شائبة اشتباه قطعا يعرفه كل احد ولو حمي بعبارة تدل على خلافه وللاشارة الى ان تلك النفوس
العالمة بما ذكر تو فرت افرادها وتكثر اعدادها مما يستقل الى جناب الكبرياء الذي اشير اليه ببعض
بدايع شؤونه المنبئة عن عظم سلطانه واما ما قيل من ان هذا من قبيل عكس كلامهم الذي يقصدون
به الافراط فيما يعكس عنه وتمثيله بقوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وبقول من
قال ترك الوزن منصفا آنا ملة وبقول من قال حين سئل عن عدد فرسانه رب فارس عندي
وعنده المغاب قاصدا بذلك التمادي في تكثير فرسانه واظهار براعته من التزيد وانه ممن يقلل
كثيرا ما عنده فضلا عن ان يتزيد فمن لوائح النظر الجليل لما ان الكلام المعكوس عنه فيما ذكر من الامثلة
مما يقبل الافراط والتمادي فيه فانه في الاول كثيرا ما يود وفي الثاني كثيرا ما اترك وفي الثالث
كثير من الفرسان وكل واحد من ذلك قابل للافراط والمبالغة فيه لعدم انحصار مراتب الكثرة
وقد قصد بعكسه ما ذكر من التمادي في التكثير جريا فضل واتم فيما نحن فيه فالكلام الذي عكس عنه
علمت كل نفس ما احضرت كما صرح به القايل وليس فيه امكان التكثير حتى يقصد بعكسه المبالغة
والتمادي فيه واما الذي يمكن فيه من المبالغة ما ذكرناه فتامل ويجوز ان يكون ذلك للاشعار
بانه اذا علمت حينئذ نفس من النفوس ما احضرت وجب على كل نفس اصلاح عملها مخافة
ان تكون من تلك التي علمت ما احضرت فكيف وكل نفس تعلم على طريقة قولك لمن تنصحه
لعلك ستندم علي ما فعلت وربما ندم الانسان على ما فعل فانك لا تقصد بذلك ان تندمه
مرجو الوجود لا متيقن به او ما در الوقوع بل تريد ان الوقوع العاقل يجب عليه ان يجتنب اوانا
يرجى منه الندم او قلما يقع فيه فكيف به اذا كان قطعي الوجود كثير الوقوع فلا اقسم بالخنس
اي بالكواكب الرواجع من جنس اذا تاخر وهي ما عدى الشمس من الدراري الخمسة وهي برام
وزحل وعطارد والزهرة والمشتري وصفت بقوله تعالى الجوار الكنس لانها تجري مع الشمس
والقمر وترجع حتى تختفي تحت ضوء الشمس فتحتوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوئها
من كنس الوحش اذا دخل كناسه وهو بيته الذي يتخذه من اغصان الشجر وقيل هي جميع الكواكب
تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل اي تطلع في اماكنها كالوحش في كنسها
والليل اذا عسعس اي ادبر ظلامه او اقبل فانه من الاضداد وكذلك سعسع قال
الزجاج اجمع المفسرون على ان معنى عسعس ادبر وعليه قول العجاج حتى اذا الصبح لها
تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا وقيل هي لغة قريش خاصة وقيل معنى اقبل ظلامه
او فيه لقوله تعالى والصبح اذا تنفس لانه اول النهار وقيل ادباره اقرب من تنفس الصبح
انه اي القرآن الكريم الناطق بما ذكر من الدواهي المهايلة لقول رسول كريم هو جبريل عليه السلم
قاله من جهة الله عز وجل ذي قوة شديدة كقوله تعالى شديد القوى وقيل المراد القوة في اداء

اذا السماء انفطرت
فجنكه سما الله تعالى لنا
خوفند ز منشق اوله

واذا الكواكب انتثرت
ويلدز لريره دوكيلوب طاغيلم

واذا البحار فجرت ودريالر بري
بر لريره اجي دريالر طتلو لريره
قاريشه وارالرندي برزخ كيدوب

جميع متحد اوله واذا القبور
بعثرت وقبورديكي ترابه
قلب اولنوب موج طشره

جيقاريلم علمت نفس
ما قدمت واخرت اولوقتده
صيدوغي نفوس ايتديكي عمل وكرك
واكر كي بيلور

اداء طاعة الله تعالى وترك الاخلال بها من اول الخلق الى آخر زمان التكليف عند ذي العرش
مكين ذي مكانة رفيعة عند الله عز وجل عندية الكرام وتشريف لا عندية مكان مطاع فمما يعين
ملئكة المقربين يصدرون عن امره ويرجعون الى ريه ثم امين على الوحي وثم طرف لما قبله وقيل
لما بعده وقرئ ثم تعظيما لوصف الامانة وتفضيلا لها على سائر الاوصاف وما صاحبكم هو رسول
الله صلى الله عليه وسلم تحولن كما بهتته الكفرة والتعرض لعنوان المصاحبة للتلويح باحاطتهم
بتفاصيل احواله عليه السلم خبرا وعلما بنزاهته عما نسبوه اليه بالكلية وقد استدل به على فضل جبريل
عليها السلام للتباين البين بين وصفيهما وهو ضعيف اذ المقصود رد قول الكفرة في حقه
عليه السلام اما يعلمه بشرا افترى على الله كذبا ام به جنة لا تعداد فضائلهما والموازنة بينهما
ولقد راه اي وبالله لقد رأى رسول الله صلى الله عليه جبريل عليهما السلام بالافق المبين بمطلع
الشمس الاعلى وما هو اي رسول الله صلى الله عليه وسلم على الغيب على ما يخبره من الوحي اليه وغيره
من الغيوب بظنين اي ببخيل لا يبخل بالوحي ولا يقصر في التبليغ والتعليم وقرئ بضنين اي يتهم
من الظنة وهي التهمة وما هو بقول شيطان رجيم اي قول بعض المسترقة للسمع وهي نفي لقولهم
انه كهانة وسحر فاين تذهبون استضلال لهم فيما يسلكونه في امر القرآن والفاء لترتيب ما بعدها
على ما قبلها من ظهور انه وحي مبين وليس مما يقولون في شيء كما تقول لمن ترك الجادة بعد ظهور ما هذا
الطريق الواضح فاين تذهب ان هو ما هو الا ذكر للعالمين موعظة وتذكير لهم وقوله تعالى
لمن شاء منكم بدل من العالمين باعادة الجار وقوله تعالى ان يستقيم مفعول شاء منكم الاستقامة
تتحرى الحق وملازمة الصواب وابداله من العالمين لانهم المنتفعون بالتذكير وما تشاءون اي الاستقامة
مشيئة متبعة لها في وقت من الاوقات الا ان يشاء الله اي الا وقت ان يشاء الله تعالى
تلك المشيئة اي المستتبعة للاقامة فان مشيتكم لا تستتبعها بدون مشيته الله تعالى لها رب العالمين مالك الخلق
وميرتهم اجمعين عن رسول الله صلعم من قرأ سورة التكوير اعاذه الله تعالى ان يفضحه حين تنشر صحيفته

اذا السماء انفطرت اي انشقت لنزول الملكة كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملكة
تنزيلا وقوله تعالى وفتحت السماء فكانت ابوابا والكلام في ارتفاع السماء كما مر في ارتفاع السماء
كما مر في ارتفاع الشمس واذا الكواكب انتثرت اي تساقطت متفرقة واذا البحار فجرت فتح بعضها
الى بعض فاختلط العذب بالاجاج وزال ما بينهما من البرزخ الحاجز وصارت البحار بحارا واحدا
وروي ان الارض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن وقيل
ان مياه البحار الان راكدة مجتمعة فاذا فجرت تفرقت وذهبت وقرئ فجرت بالتخفيف
مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل ايضا بمعنى بغت من البحور نظرا الى قوله تعالى لا يبغيان واذا القبور
بعثرت اي قلب ترابها واخرج موتاها وتنظيره بخبر لغطا ومعنى وهما مكانان من البعث
والبحث مع راء ضمت اليهما وقوله تعالى علمت نفس ما قدمت واخرت جواب اذا لكن لا على

انها تعلم عند البعث بل عند نشر الصحف لما عرفت من ان المراد بها زمان واحد مبدوه النفخة الاولى ومنتهاه الفصل بين الخلايق لا ازمنة متعددة حسب تعدد كلمة اذا واذا كررت لتهويل ما في حيزها من الدواهي والكلام فيه كالذي مر تفصيله في نظيره ومعنى ما قدم واخر ما اسلف من عمل خيرا وشرا واخر من سنة حسنة او سيئة يعمل بها بعده قاله ابن عباس وابن مسعود وعن ابن عباس ايضا ما قدم من معصية واخر من طاعة وهو قول قتادة وقيل ما قدم من فرض واخر من فرض وقيل اول عمله واخره ومعنى علمها بها علمها التفصيلي حسبما ذكر فيما مر

يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم يا ان معنى شيء الانسان ما غرك بربك الكريم اى اى شيء خدعك وجرأك على عصيانه وقد علمت ما بين يديك من الدواهي التامة والعرائل الطامة وما سيكون حينئذ من مشاهدة اعمالك كلها والتعرض لعنوان كرمه تعالى للايذان بانه ليس مما يصلح ان يكون مدار الاغترار حسبما يهوية الشيطان ويقول له افعل ما شئت فان ربك كريم قد تفضل عليك في الدنيا وسيفعل مثله في الآخرة فانه قياس عقيم ومثبتة باطلة بل هو مما يوجب المبالغة في الاقبال على الايمان والطاعة والاجتناب عن ومحض كرم اقتضى انعمه كما ان ظالمي الكفرة والعصيان كانه قيل ما جملك على عصيان ربك الموصوف بالصفات الزاجرة عنه الداعية الى خلافه وقوله تعالى الذي خلقك فسويك فعدلك صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة لكرم منهة على ان من قدر على ذلك بدأ قدر عليه اعادة والتسوية جعل الاعضاء سوية سليمة معدة لما منها وعدلها عدل بعضها ببعض بحيث اعتدلت ولم تتفاوت او صرفها عن خلقة غير عدلة لها وقرئ فعدلك بالتشديد اى صيرك معتدل الامتناسب الخلق من غير تفاوت فيه في اى صورة ما شاء ركبك اى ركبك في اى صورة شاءها من الصور المختلفة ومامزيدة وشاء صفة لصورة اى ركبك في اى صورة شاءها واختارها لك من الصور العجيبة الحسنة كقوله لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم واعلم ان يعطف الجملة على ما قبلها لانها بيان لعدلك كلا ردع عن الاغترار بكرمه تعالى وتثبيط عن التجاوز لما يقتضيه من المعاصي مع كونه موجبا للشكر والطاعة وقوله تعالى بل تكذبون بالدين اضراب عن جملة مقدرة ينساق اليها الكلام كانه قيل بعد الردع بطريق الاعراض وانتم لا ترتدعون عن ذلك بل تجترؤن على اعظم من ذلك حيث تكذبون بالجزاء والبعث رأسا او بدون الاسلام الذي هما من جملة احكامه فلا تصدقون هؤلاء سوء الاولا جوابا ولا قبولا ولا اعتقادا وقيل كانه قيل انكم لا تستقيمون على ما توجبه نعمي اعتراف انكم بل تكذبون بالدين ولا تشكرونها بما يجب عليكم وارشادي لكم بل تكذبون الخ وقال المقاتل ليس الامر كما يقولون من انه لا بعث بلكه اكم اعتراه سبب اصلا الله تعالى به وبعثه اياكم اولا ولمجازاته حاسبا وجزايه مكذبين بذلك وان عليكم حافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون حال بوكه اعمالكم مكتوبة ملايكة عند الله كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون لكنهم يا زيد يعلمون ما تفعلون خير وشر وان الفجار لفي جحيم وفاجر لرنا رجيمه در

ان الابرار لفي نعيم صالحر جنته ونعيمه در

يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغائبين كه در اول نار دوزخ يوم جزاهم

وما ادريك ما يوم الدين ثم ما ادريك ما يوم الدين يوم جزاية عظيم الشان ايكه بوم سكاكيم بلدرس اى كور ما يخه اتديكني بيلور وكلمين يوهه اول وراية اليه ادراك اولنماز يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله اول كونه نفس كامل منتفتن هيچ بر شيئه مالك اولمز زيرا اول كونده قهر وغلبه اليه محكم ناخذ الحق الله جل شانه يه لايعدر

من الثواب والعقاب وفي تكرير اليوم والجحيم من التفخيم والتهويل ما لا يخفى وقوله تعالى يصلونها اما حال للجحيم او استيناف مبني على سوال نشاء من تهويلها كانه قيل ما حالهم فيها فقيل يقاسون حرها يوم الدين يوم الجزاء الذي كانوا به يكذبون وما هم عنها بغائبين طرفة عين فان المراد دوام نفي الغيبة لا نفي دوام الغيبة لما مر مرارا من ان الجملة الاسمية المنفية قد يراد بها استمرار النفي لا نفي الاستمرار باعتبار ما تفيده من الدوام والثبات بعد النفي لا قبله وقيل معناه وما كانوا غايبين عنها قبل ذلك بالكلية بل كانوا يجدون سمومها في قبورهم حسما قال النبي عليه السلم القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران وقوله تعالى وما ادريك ما يوم الدين ثم ما ادريك ما يوم الدين تفخيم لشان يوم الدين الذي يكذبون به اثر تفخيم وتهويل لامره بعد تهويل بيان انه خارج عن دايرة دراية الخلق على صورة تصوروه فهو فوقها وكيفما تخيلوه فهم اعظم ذلك واعظم اى واى شيء جعلك ادريا ما يوم الدين على ما الاستفهامية جنس ليوم الدين لا بالعكس كما هو راى سيبويه لما مر من ان مدار الافادة هو الخبر لا المبتدا ولا ريب في ان مناط افادة الهول والفخامة هناهو ما ليوم الدين اى اى شيء عجيب هو في الهول والفظاعة لما مر غير مرة ان كلمة ما قد يطلب بها الوصف وان كانت موضوعة لطلب الحقيقة وشرح الاسم يقال ما زيد فيقال في الجواب كاتب او طبيب وفي اظهار يوم الدين في موقع الاضمار تاكيد لهوله وفخامته وقوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله بيان اجمالي لشان يوم الدين اثر ابهامه وبيان خروجه عن علم الخلق بطريق الجاز الوعد فان نفي ادراكهم مشعر بالوعد الكريم بالادراء قال ابن عباس كل ما في القرآن من قوله تعالى ما ادراك فقد اداراه وكل ما فيه من قوله وما يدريك فقد طوى عنه ويوم مرفوع على انه خبر مبتدا محذوف وحركة الفتح لاضافته الى غير متمكن كانه قيل هو يوم لا يملك فيه نفس من النفوس لنفس من النفوس شيئا من الاشياء الخ او منصوب باضمار اذكر يوم لا تملك نفس الخ فانه يدريكه ما هو وقيل باضمار يدانون وليس بذاك فانه عار من افادة ما يعيده ما قبله كما ان ابدا له من يوم الدين على قراءة الرفع كذلك بل الحق حينئذ الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف والله تعالى اعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الانفطار كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة

ويل للمطففين قيل الويل شدة الشر وقيل العذاب الاليم وقيل هو واد في جهنم يهوي فيه الكفار اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره وقيل واديا ما كان فهو مبتدا وان كان نكرة لوقوعه في موقع الدعاء والتطفيف التبخس في الكيل والوزن لان ما يبخس شيء طفيف حقير وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكان اهلها من اخبث الناس كيلا فانزلت فحسنوا الكيل وقيل قدمها وبه رجل يعرف بابي جهينة ومعه صاعان يكيل

باحدهما ويكتال بالآخر وقيل كان اهل المدينة تجارا يطففون وكانت بياعاتهم المنابذة
والملامسة والمخاطرة فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليهم وقال خمس
بخمس ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا
فشى فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشى فيهم الموت ولا طففوا الكيل
الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر وقوله
تعالى الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون الخ صفة كاشفة للمطففين شارحة
لكيفية تطفيفهم الذي استحقوا به الذم والدعاء بالويل اي اذا اكتالوا من الناس مكيلهم
بحكم الشراء ونحوه ياخذونه وافيا وافرا وتبديل كلمة على بمن لتضمين الاكتيال معنى الاستيلاء
او للاشارة الى انه اكتيال مضر بهم لكن لا على اعتبار الضرر في حيز الشرط الذي يتضمنه
كلمة اذا لاخلاله بالمعنى بل في نفس الامر بموجب الجواب فان المراد بالاستيفاء ليس اخذ
الحق وافيا من غير نقص بل مجرد الاخذ الوافي الوافر حسبما ارادوا باي وجه تيسر من وجوه
وكانوا يفعلونه بكبس المكيل وتحريك المكيال والاحتيال في ملئه واما ما قيل من ان ذلك
للدلالة على ان اكتيالهم لما لهم على الناس فمع اقتضائه لعدم شمول الحكم لاكتيالهم قبل ان يكون
لهم على الناس شيء بطريق الشراء ونحوه مع ان الشائع فيما بينهم يقتضي ان يكون معنى الاستيفاء
آخذ ما لهم عليهم وافيا من غير نقص اذ هو المتبادر منه عند الاطلاق في معرض الحق فلا يكون مدارا
لذمهم والدعاء عليهم وحمل ما لهم عليهم على معنى ما سيكون لهم عليهم مع كونه بعيدا جدا مما لا يجدي
نفعا فان اعتبار كون المكيل لهم حالا كان او مآلا لا يستدعي كون الاستيفاء بالمعنى المذكور حتما
وهكذا حال ما نقل عن الفراء من ان من وعلى تعتقبان في هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت
عليك فكانه قال اخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك فكقوله استوفيت منك فتامل وقد جوز
ان يكون على متعلقة بيستوفون ويكون تقديمها على الفعل لافادة الخصوصية اي يستوفون على الناس
خاصة فاما انفسهم فيستوفون لها وانت خبير بان القصر بتقديم الجار والمجرور انما يكون فيما يكون
تعلق الفعل بغير المجرور ايضا حسب تعلقه به فيقصد بالتقديم قصره عليه بطريق القلب او الافراد
او التعيين حسبما يقتضيه المقام ولا ريب في ان الاستيفاء الذي هو عبارة عن الاخذ الوافي مما لا يتصور
ان يكون على انفسهم حتى يقصد بتقديم الجار والمجرور قصره على الناس على ان الحديث واقع في الفعل
لا فيما وقع عليه فتدبر والضمير البارز في قوله تعالى واذا كالوهم او وزنوهم للناس اي اذا كالوا
لهم او وزنوا لهم للبيع ونحوه يخسرون اي ينقصون يقال خسر الميزان واخسره فحذف الجار واوصل
الفعل كما في قوله ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا اي جنيت لك وجعل البارز تاكيدا للمستكن مما
لا يليق بجزالة التنزيل ولعل ذلك الكيل والوزن في صورة الاخسار والاقتصار على الاكتيال
في صورة الاستيفاء لما انهم لم يكونوا متمكنين من الاحتيال عند الاتزان تمكنهم منه عند الكيل
والوزن وعدم التعرض للمكيل والموزون في الصورتين لان مساق الكلام لبيان سوء معاملتهم
في الاخذ والاعطاء لا في خصوصية الماخوذ والمعطى وقوله تعالى الا يظن اولئك انهم مبعوثون استئناف

استئناف وارد لتهويل ما ارتكبوه من التطفيف والتعجيب من اجترائهم عليه واولئك اشارة للمطففين
ووضعه موضع ضميرهم للاشعار بمناط الحكم الذي هو وصفهم فان الاشارة الى الشيء متعرضة له من
حيث اتصافه بوصفه واما الضمير فلا يتعرض لوصفه والايذان بانهم ممتازون بذلك الوصف
القبيح عن ساير الناس اكمل امتياز نازلون منزلة الامور المشار اليها اشارة حسية وما فيه
من معنى البعد للاشعار ببعد درجتهم في الشرارة والفساد اي الا يظن اولئك الموصوفون بذلك
الوصف الشنيع الهائل انهم مبعوثون ليوم عظيم لا يقادر قدر عظمه وعظم ما فيه ومحاسبون فيه على
مقدار الذرة والخردلة فان من يظن ذلك وان كان ظنا ضعيفا متاخما للشك والوهم لا يكاد
يتجاسر على امثال هاتيك القبائح فكيف بمن تيقنه وقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين
اي لحكمه وقضائه منصوب باضمار اعني وقيل بمبعوثون او مرفوع المحل خبر المبتدا مضمر او مجرور
بدلا من يوم عظيم مبني على الفتح لاضافته الى الفعل وان كان مضارعا كما هو راي الكوفيين ويؤيد
الاخيرين القراءة بالرفع وبالجر وفي هذا الانكار والتعجيب وايراد الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام
الناس فيه كافة لله تعالى خاضعين ووصفه تعالى برؤية العالمين من البيان البليغ لعظم الذنب
وتفاقم الاثر في التطفيف وامثاله ما لا يخفى كلا ردع عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث
والحساب وقوله تعالى ان كتاب الفجار لفي سجين الخ تعليل للردع او وجوب الارتداع بطريق
التحقيق وسجين علم لكتاب جامع هو ديوان الشر دون فيه اعمال الشياطين واعمال الكفرة
والفسقة من الثقلين منقول من وصف كحاتم واصله فعيل من السجن وهو الحبس والتضييق
لانه سبب الحبس والتضييق في جهنم او لانه مطروح كما قيل تحت الارض السابعة في مكان
مظلم وحش وهو مسكن ابليس وذريته فالمعنى ان كتاب الفجار الذين من جملتهم المطففون
اي ما يكتب من اعمالهم او كتابة اعمالهم لدى ذلك الكتاب المدون فيه قبائح اعمال المذكورين
وقوله تعالى وما ادريك ما سجين تهويل لامره اي هو بحيث لا يبلغه دراية احد وقوله تعالى كتاب
مرقوم اي مسطر بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه وقيل هو اسم المكان والتقدير
ما كتاب السجين او محل كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين متصل بقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب
العالمين وما بينهما اعتراض وقوله تعالى الذين يكذبون بيوم الدين اما مجرور على انه صفة ذامة
للمكذبين او بدل منه او مرفوع او منصوب على الذم وما يكذب به الا كل معتد اي متجاوز عن حدود
النظر والاعتبار غال في التقليد حتى استقصر قدرة الله تعالى وعلمه عن الاعادة مع مشاهدته
للبدء اثيم اي منهمك في الشهوات المخدجة الفانية بحيث شغلته عما وراءها من اللذات التامة
الباقية وحملته على انكارها اذا تتلى عليه آياتنا الناطقة بذلك قال من فرط جهله واعراضه عن
الحق الذي لا محيد عنه اساطير الاولين اي هي حكايات الاولين وقال الكلبي المراد بالمعتدي
الاثيم هو الوليد بن المغيرة وقيل النضر بن الحارث وقيل عام لكل من اتصف بالاوصاف
المذكورة وقرئ اذا يتلى بتذكير الفعل وقرئ ائذا تتلى على الاماء استفهام الانكاري كلا ردع للمعتدي
الاثيم عن ذلك القول الباطل وتكذيب له فيه وقوله تعالى بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون بيان لما

كلا ايمدي كيل ووزنده نقص دن وبعث حسابه غفلتدن ارتداع ايدك

كلا ايمدي بو قولدن ارتداع ايدك

ادى بهم الى التفوه بتلك العظيمة اى ليس فى آياتنا ما يصح ان يقال فى شانها مثل هذه
المقالات الباطلة بل ركب قلوبهم وغلب عليها ما كانوا يكسبونها من الكفر والمعاصى
حتى صارت كالصداء فى المرآة فحال ذلك بينهم وبين معرفة الحق كما قال صلى الله
عليه وسلم ان العبد كلما اذنب ذنبا فى قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه ولذلك
قالوا ما قالوا والرين الصداء يقال ران عليه الذنب وغان عليه رينا
وغينا ويقال ران فيه النوم اى رسخ فيه وقرئ بادغام اللام فى الراء كلا
ردع وزجر عن الكسب الرائن انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فلا يكادون
يرونه بخلاف المؤمنين وقيل هو تمثيل لاهانتهم باهانة من يحجب عن الدخول
على الملوك وعن ابن عباس رض وقتادة وابن ابى مليكة محجوبون عن رحمته وعن ابن كيسان
عن كرامته ثم انهم لصالوا الجحيم اى داخلوا النار وثم لتراخى الرتبة فان صلى الجحيم اشد من
الاهانة والحرمان من الرحمة والكرامة ثم يقال لهم توبيخا وتقريعا من جهة الزبانية هذا الذى كنتم به
تكذبون فذوقوا عذابه كلا ردع عما كانوا عليه بعد ردع وزجر وقوله تعالى ان كتاب الابرار
لفى عليين استيناف مسوق لبيان محل كتاب الابرار بعد بيان سوء حال الفجار متصلا
ببيان سوء حال كتابهم وفيه تاكيد للردع ووجوب الارتداع وكتابهم ما كتب من اعمالهم
وعليون علم لديوان الخير الذى دون فيه كل ما علمته الملئكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع
على على فعيل من العلو سمى بذلك اما لانه سبب الارتفاع الى عالى الدرجات فى الجنة واما لانه مرفوع
فى السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما له وتعظيما والكلام فى قوله تعالى وما ادراك
ما عليون كتاب مرقوم كما فى نظيره وقوله تعالى يشهده المقربون صفة اخرى لكتاب اى يحضرونه
ويحفظونه او يشهدون بما فيه يوم القيمة ان الابرار لفى نعيم شروع فى بيان محاسن احوالهم
اثر بيان حال كتابهم على طريقة ما مر فى شان الفجار على الارائك اى على الاسرة فى الحجال ولا يكاد
تطلق الارائكة على السرير عندهم الا عند كونه فى الحجلة ينظرون اى الى ما شاؤا مد اعينهم اليه
من رغائب مناظر الجنة والى ما اولاهم الله عز وجل من النعمة والكرامة والى اعدائهم يعذبون
فى النار وما يحجب الحجال ابصارهم عن الادراك تعرف فى وجوههم نضرة النعيم اى بهجة التنعم
وماءه ونقه والخطاب لكل احد ممن له حظ من الخطاب للايذان بان ما لهم من آثار النعمة
واحكام البهجة بحيث لا يختص برؤية راء دون راء يسقون من رحيق شراب خالص
لا غش فيه مختوم ختامه مسك اى مختوم اوانيه واكوابه بالمسك مكان الطين ولعله
تمثيل لكمال نفاسته وقيل ختامه مسك اى مقطعه رائحة مسك وقرئ خاتمه بفتح التاء وكسرها
اى ما ختم به ويقطع وفى ذلك اشارة الى الرحيق وهو الانسب لما بعده او الى ما ذكر من
احوالهم وما فيه من معنى البعد للاشعار اما بعلو رتبته وبعد منزلته او لكونه فى الجنة اى فى ذلك
خاصة دون غيره فليتنافس المتنافسون اى فليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله
تعالى وقيل فليعمل العاملون لقوله تعالى لمثل هذا فليعمل العاملون فليستبق المستبقون واصل

كلا ايمدى ذنب كسبندن ارتداع ايدك كه اول قلوبكز اوزره غالب اولميه

كلا ايمدى تكذيبدن ارتداع ايدك

التنافس التغالب فى الشئ النفيس واصله من النفس لعزتها قال الواحدى نفست الشئ انفسه
نفاسة والتنافس تفاعل منه كان كل واحد من الشخصين يريد ان يستاثر به وقال البغوى واصله
من الشئ النفيس الذى يحرص عليه نفوس الناس ويريده كل احد لنفسه وينفس به على غيره اى يضن به
ومزاجه من تسنيم عطف على ختامه صفة اخرى لرحيق مثله وما بينهما اعتراض مقرر لنفاسته اى
ما يمزج به ذلك الرحيق من ماء تسنيم على ان من بيانية او تبعيضية او من نفسه على انها ابتدائية
والتسنيم علم لعين بعينها سميت به اما لانها ارفع شراب فى الجنة واما لانها تاتيهم من فوق
روى انها تجرى فى الهواء متسنمة فتنصب فى اوانيهم عينا نصب على الاختصاص وجوز ان يكون
حالا من تسنيم مع كونه جامدا لاتصافه بقوله تعالى يشرب بها المقربون فانهم يشربونها صرفا وتمزج
لسائر اهل الجنة فالباء مزيدة او بمعنى من وقوله تعالى ان الذين اجرموا الخ حكاية لبعض قبائح
مشركى قريش جئ بها تمهيدا لذكر بعض احوال الابرار فى الجنة كانوا فى الدنيا من الذين آمنوا
يضحكون اى يستهزؤن بفقرائهم كعمار وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين
وتقديم الجار والمجرور اما للقصر اشعارا بغاية شناعة ما فعلوا اى كانوا من الذين آمنوا يضحكون
مع ظهور عدم استحقاقهم لذلك على منهاج قوله تعالى افى الله شك او لمراعاة الفواصل واذا
مروا اى فقراء المؤمنين بهم بالمشركين وهم فى اذيتهم وهو الاظهر وان جاز العكس ايضا
يتغامزون اى يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم واذا انقلبوا من مجالسهم الى اهليهم
انقلبوا فكهين ملتذين بذكرهم بالسوء والسخرية منهم وفيه اشارة الى انهم كانوا لا يفعلون
ذلك بمرأى من المارين بهم ويكتفون حينئذ بالتغامز وقرئ فاكهين قيل هما بمعنى وقيل فكهين اسرين
وقيل فرحين وفاكهين متفكهين وقيل ناعمين وقيل مازحين واذا راوهم اينما كانوا قالوا ان
هؤلاء لضالون اى نسبوا المسلمين ممن راوهم ومن غيرهم الى الضلال بطريق التاكيد وما ارسلوا
عليهم على المسلمين حافظين حال من واو قالوا اى قالوا ذلك والحال انهم ما ارسلوا من جهة
الله تعالى موكلين بهم يحفظون عليهم احوالهم ويهيمنون على اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم وهذا تهكم
بهم واشعار بان ما اجترؤا عليه من القول من وظايف ما ارسل من جهته تعالى وقد جوز ان يكون
ذلك من جملة قول المجرمين كانهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما ارسلوا علينا حافظين انكارا
لصدهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام وانما قيل عليهم نقلا له بالمعنى كما فى قولك حلف
ليفعلن لا بالعبارة كما فى قولك حلف لافعلن فاليوم الذين آمنوا اى المعهودون من الفقراء
من الكفار اى من المعهودين وهو الاظهر وان امكن التعميم من الجانبين يضحكون حين يرونهم اذلاء
مغلوبين قد غشيهم فنون الهوان والصغار بعد العزة والكبر ورهقهم الوان العذاب بعد التنعم
والترفه وتقديم الجار والمجرور للقصر تحقيقا للمقابلة اى فاليوم هم من الكفار يضحكون لا الكفار
منهم كما كانوا يفعلون فى الدنيا وقوله تعالى على الارائك ينظرون حال من فاعل يضحكون اى يضحكون
منهم ناظرين اليهم والى ما فيهم من سوء الحال وقيل يفتح للكفار باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها
فاذا وصلوا اليها اغلق دونهم يفعل بهم ذلك مرارا او يضحك المؤمنون منهم ويأباه قوله تعالى

هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون فانه صريح في ان ضحك المؤمنين منهم جزاء لضحكهم منهم
في الدنيا فلا بد من المجانسة والمشاكلة حتما والتثويب والاثابة المجازاة وقرئ
بادغام اللام في الثاء وعنه عليه السلم من قرأ سورة المطففين سقاه الله يوم القيمة من الرحيق المختوم

سورة انشقاق بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انشقت
قچنكه سماء رب تعالينك
هيبتندن منشق اوله

اذا السماء انشقت اي بالغمام كما في قوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن علي رضي الله
عنه تنشق من المجرة واذنت لربها واستمعت اي انقادت واذعنت لتاثير قدرته تعالى
حين تعلقت ارادته بانشقاقها انقيادا لمامور المطاوع اذا ورد عليه امر الآمر المطاع والتعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة اليها للاشعار بعلة الحكم وهذه الجملة ونظيرتها الآتية بمنزلة
قوله تعالى اتيناه طائعين في الانباء عن كون ما نسب الى السماء والارض من الانشقاق والمد
وغيرهما جاريا على مقتضى الحكمة كما اشير اليه فيما سلف وحقت اي جعلت حقيقة بالاستماع
والانقياد ولكن لا بعد ان لم تكن كذلك في نفسها وحد ذاتها من قولهم هو محقوق بكذا وحقيق به والمعنى
انقادت لربها وهي حقيقة بذلك لكن لا على ان المراد خصوصية ذاتها من بين ساير المقدورات
بل خصوصية القدرة القاهرة الربانية التي يتأتى لها كل مقدور ولا يتخلف عنها امر من الامور
فحق الجملة ان تكون اعتراضا مقررا لما قبلها لا معطوفة عليها واذا الارض مدت اي بسطت
بازالة جبالها واكامها عن مقارها وتسويتها بحيث صارت قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا
امتا او زيدت سعة وبسطة من مده بمعنى اهداه اي زاده والقت ما فيها اي رمت ما في جوفها
من الموتى والكنوز كقوله تعالى واخرجت الارض اثقالها وتخلت عما فيها غاية الخلو حتى لم يبق
فيها شيء منه كانها تكلفت في ذلك اقصى جهدها واذنت لربها في الالقاء والتخلي وحقت اي هي
حقيقة بذلك اي شانها ذلك بالنسبة الى القدرة الربانية وتكرير كلمة اذا مع اتحاد الافعال
المنسوبة الى السماء والارض وقوعا في الوقت الممتد الذي هو مدلولها قد مر سره فيما مر يا ايها
الانسان انك كادح الى ربك كدحا اي جاهد ومجد الى الموت وما بعده من الاحوال التي
مثلت باللقاء مبالغ في ذلك فان الكدح جهد النفس في العمل والكد فيه بحيث يؤثر فيها من كدح
جلده اذا خدشه فملاقيه اي فملاق له عقيب ذلك لا محالة من غير صارف يلويك عنه وقوله تعالى
فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا الخ قيل جواب اذا كما في قوله تعالى
فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله تعالى يا ايها الانسان الخ
اعتراض وقيل هو محذوف للتهويل والايماء الى قصور العبارة عن بيانه او للتعويل على دلالة ما مر
في سورة التكوير والانفطار عليه وقيل هو ما دل عليه قوله تعالى يا ايها الانسان الخ تقديره لاقى الانسان
كدحه وقيل هو قوله تعالى فملاقيه وما قبله اعتراض وقيل هو يا ايها الانسان الخ باضمار القول ومعنى
يسيرا سهلا لا مناقشة فيه ولا اعتراض وعن الصديقة رضي الله عنها هو ان يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه
وينقلب الى اهله مسرورا اي عشيرته المؤمنين او فريق المؤمنين مبتهجا بحاله قائلا هاؤم اقرؤا كتابيه

وقيل الى اهله في الجنة من الحور والغلمان واما من اوتي كتابه وراء ظهره اي يؤتاه بشماله
من وراء ظهره قيل تغل يمناه الى عنقه ويجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله وقيل تخلع
يده اليسرى من وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا اي يتمنى الثبور وهو الهلاك ويدعوه يا ثبوراه تعال
فانه اوانك واني له ذلك ويصلى سعيرا اي يدخلها وقرئ يصلى كقوله وتصلية جحيم وقرئ يصلى كما في
قوله تعالى ونصليه جهنم انه كان في اهله فيما بين اهله وعشيرته في الدنيا مسرورا مترفا بطرا مستبشرا
كديدن الفجار الذين لا يهمهم ولا يخطر ببالهم امور الآخرة ولا يتفكرون في العواقب ولم يكن
حزينا متفكرا في حاله وماله كسنة الصلحاء والمتقين والجملة استيناف ببيان علة ما قبلها وقوله
انه ظن ان لن يحور تعليل لسروره في الدنيا اي ظن ان لن يرجع الى الله تعالى تكذيبا للمعاد وان
مخففة من ان سادة مع ما في حيزها مسد مفعولي الظن او احدهما على الخلاف المعروف بلى ايجاب
لما بعد لن وقوله تعالى ان ربه كان به بصيرا تحقيق وتعليل له اي بلى ليحورن البتة ان ربه الذي خلقه
كان به وباعماله الموجبة للجزاء بصيرا بحيث لا تخفى منها خافية فلا بد من رجعه وحسابه وجزائه عليها
حتما وقيل نزلت الآيتان في ابي سلمة بن عبد الاشهل واخيه الاسود فلا اقسم بالشفق هي
الحمرة التي تشاهد في افق المغرب بعد الغروب او البياض الذي يليها سمي به لرقته ومنه الشفقة
التي هي عبارة عن رقة القلب والليل وما وسق وما جمع وضم يقال وسقه فاتسق واستوسق
اي جمعه فاجتمع وما عبارة عما يجتمع بالليل ويأوي الى مكانه من الدواب وغيرها والقمر اذا اتسق اي
اجتمع وتم بدرا ليلة اربع عشرة لتركبن طبقا عن طبق اي لتلاقن حالا بعد حال كل واحدة منها
مطابقة لاختها في الشدة والفظاعة وقيل الطبق جمع طبقة وهي المرتبة وهو الاوفق للركوب المنبئ عن
الاعتلاء والمعنى لتركبن احوالا بعد احوال هي طبقات في الشدة بعضها ارفع من بعض وهي الموت وما بعده
من مواطن القيمة ودواهيها وقرئ لتركبن بالافراد على خطاب الانسان باعتبار اللفظ لا باعتبار شموله
لافراده كالقراءة الاولى وقرئ بكسر الباء على خطاب النفس وليركبن بالياء اي ليركن الانسان ومحل
عن طبق النصب على انه صفة لطبقا اي طبقا مجاوزا لطبق او حال من الضمير في لتركبن اي لتركبن
طبقا مجاوزين او مجاوزا او مجاوزة على حسب القراءة والفاء في قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون لترتيب
ما بعدها من الانكار والتعجيب على ما قبلها من احوال يوم القيمة واهوالها الموجبة للايمان والسجود اي
اذا كان حالهم يوم القيمة كما ذكر فاي شيء لهم حال كونهم غير مؤمنين اي اي شيء يمنعهم من الايمان مع
تعاضد موجباته وقوله تعالى واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون جملة شرطية محلها النصب على
الحالية نسقا على ما قبلها اي فاي مانع لهم حال عدم سجودهم وخضوعهم واستكانتهم عند قراءة
القرآن وقيل قرأ النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من
المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم وتصفر فنزلت وبه احتج ابو حنيفة رح على وجوب
السجدة وعن ابن عباس ليس في المفصل سجدة وعن ابي هريرة انه سجد فيها وقال والله ما سجدت
الا بعد ان رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها وعن انس صليت خلف ابي بكر وعمر
وعثمان رضي الله عنهم فسجدوا وعن الحسن هي غير واجبة بل الذين كفروا يكذبون بالقرآن الناطق

بما ذكر من احوال القيمة واهوالها مع تحقق موجبات تصديقه ولذلك لا يخضعون عند تلاوته والله اعلم
بما يوعون بما يضمرون في قلوبهم ويجمعون في صدورهم من الكفر والحسد والبغي والبغضاء او بما
يجمعون في صحفهم من اعمال السوء ويدخرون لانفسهم من انواع العذاب علما فعليا فبشرهم بعذاب
اليم لان علمه تعالى بذلك على الوجه المذكور موجب لتعذيبهم حتما الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
استثناء منقطع ان جعل الموصول عبارة عن المؤمنين كافة ومتصل ان اريد به من آمن منهم بعد
ذلك وقوله تعالى لهم اجر غير ممنون اي غير مقطوع او ممنون به عليهم استيناف مقرر لما افاده الاستثناء
من انتفاء العذاب عنهم ومبين لكيفيته ومقارنته للثواب العظيم عن رسول الله صلعم من قرأ
سورة انشقت اعاذه الله تعالى ان يعطيه كتابه وراء ظهره

والسماء ذات البروج هي البروج الاثني عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات
ويكون فيها الثوابت او منازل القمر او عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها او ابواب
السماء فان النوازل تخرج منها واصل التركيب للظهور واليوم الموعود اي يوم القيمة وشاهد
ومشهود اي ومن يشهد في ذلك اليوم من الخلايق وما يحضر فيه من العجايب وتنكيرهما للايهام في
الوصف اي وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما او للمبالغة في الكثرة وقيل الشاهد محمد عليه السلم
والمشهود يوم القيمة وقيل عيسى عليه السلم وامته لقوله تعالى وكنت عليهم شهيدا الخ وقيل امة محمد
وساير الامم وقيل يوم التروية ويوم عرفة وقيل يوم عرفة ويوم الجمعة وقيل الحجر الاسود
والحجيج وقيل الايام والليالي وبنو آدم وعن الحسن ما من يوم الا وينادي اني يوم جديد
واني على ما يعمل في شهيد فاغتنمني فلو غابت شمسي لم تدركني الى يوم القيمة وقيل الحفظة وبنو آدم
وقيل الانبياء ومحمد عليهم السلم قتل اصحاب الاخدود قيل هو جواب القسم على حذف اللام
منه للطول والاصل لقتل كما في قول من قال حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا فما ان من حديث
ولا صال وقيل تقديره لقد قتل وايا ما كان فالجملة خبرية والاظهر انها دعائية دالة على
الجواب كانه قيل اقسم بهذه الاشياء انهم اي كفار مكة ملعونون كما لعن اصحاب الاخدود
لما ان السورة وردت لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الايمان وتصبيرهم على اذية الكفرة
وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الايمان وصبرهم على ذلك حتى يأتسوا بهم ويصبروا
على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا ان هؤلاء عند الله عز وجل بمنزلة اولئك المعذبين ملعونون
مثلهم احقاء بان يقال فيهم ما قيل فيهم وقرئ قتل بالتشديد والاخدود الخد في الارض
وهو الشق ونحوهما بناء ومعنى الحق والاحقوق روي عن النبي عليه السلم انه كان لبعض الملوك
ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب فسمع منه فرأى في طريقه
ذات يوم دابة قد حبست الناس قيل كانت الدابة اسدا فاخذ حجرا فقال اللهم ان كان
الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها فكان الغلام بعد ذلك يبرئ الاكمه والابرص

والابرص ويشفي من الادواء وعمي جليس للملك فابرأه فابصره الملك فقال من رد عليك بصرك
فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه
فقد بالمنشار وابى الغلام فذهب به الى الجبل ليطرح من ذروته فدعى فرجف بالقوم فطاحوا ونجا
فذهب به الى قرقور فلجوا به ليغرقوه فدعى فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك
لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد وتصلبني على جذع وتاخذ سهما من كنانتي وتقول باسم الله
رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس آمنا برب الغلام
فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فامر باخاديد في افواه السكك واوقدت فيها النيران فمن
لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست فقال الصبي يا اماه اصبري فانك
على الحق فاقتحمت وقيل قال لها قعي ولا تنافقي ما هي الا غميضة فصبرت قيل اخرج الغلام من
قبره في خلافة عمر بن الخطاب رض واصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل وعن علي رض ان بعض ملوك
المجوس وقع على اخته وهو سكران فلما صحى ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج ان تخطب بالناس
فتقول ان الله قد احل نكاح الاخوات ثم تخطبهم بعد ذلك ان الله حرمه فلم يقبلوا منه فقالت له
ابسط فيهم السوط ففعل فلم يقبلوا فقالت ابسط فيهم السيف ففعل فلم يقبلوا فامر بالمخاديد وايقاد
النار وطرح من ابى فيها فهم الذين ارادهم الله تعالى بقوله قتل اصحاب الاخدود وقيل وقع
الى نجران رجل ممن كان على دين عيسى عليه السلم فدعاهم فاجابوه فسال اليهم ذو نواس اليهودي بجنود
من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فابوا فاحرق منهم اثني عشر الفا في الاخاديد وقيل سبعين الفا وذكر
ان طول الاخدود اربعون ذراعا وعرضه اثني عشر ذراعا النار بدل اشتمال من الاخدود ذات
الوقود وصف لها بغاية العظم وارتفاع اللهب وكثرة ما يوجبه من الحطب وابدان الناس
وقرئ الوقود بالضم وقوله تعالى اذ هم عليها قعود ظرف لقتل اي لعنوا حين احدقوا بالنار قاعدين
حولها في مكان مشرف عليها من حافات الاخدود كما في قوله وبات على النار الندى والمحلق
وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود اي يشهد بعضهم لبعض عند الملك بان احدا لم يقصر فيما امر به
او انهم شهود يشهد وربما فعلوا بالمؤمنين يوم القيمة يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وقيل على
بمعنى مع والمعنى وهم مع ما يفعلون بالمؤمنين من العذاب حضور لا يرقون لهم لغاية قسوة قلوبهم
هذا هو الذي يستدعيه النظم الكريم وينطق به الروايات المشهورة وقد روي ان الجبابرة لما
القوا المؤمنين في النار وهم قعود حولها علقت بهم النار فاحرقتهم ونجى الله عز وجل المؤمنين منها
سالمين والى هذا القول ذهب الربيع بن انس والواحدي وعلى ذلك حملا قوله تعالى ولهم عذاب
الحريق وما نقموا منهم اي ما انكروا منهم وما عابوا الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد استثناء
مفصح عن براءتهم عما يعاب وينكر بالكلية على منهاج قوله ولا عيب فيهم غير ان ضيوفهم تلام بنيان
الاحبة والوطن ووصفه تعالى بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه وحميدا منعما يرجى ثوابه وتاكيد ذلك
بقوله تعالى الذي له ملك السموات والارض للاشعار بمناط ايمانهم وقوله تعالى والله على كل شيء
شهيد وعد لهم ووعيد شديد لمعذبيهم فان علمه تعالى بجميع الاشياء التي من جملتها اعمال الفريقين

يستدعي توفير جزاء كل منهما حتما إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات اي محنوهم في
عنه والمراد بهم اما اصحاب الاخدود خاصة وبالمفتونين المطروحون في الاخدود وا
يلوهم في ذلك بالاذية والتعذيب على الاطلاق وهم داخلون في جملتهم دخولا اوليا ثم لم يتوبوا
اي عن كفرهم وفتنتهم فان ما ذكر من الفتنة في الدين لا يتصور من غير الكافر قطعا وقوله تعالى
فلهم عذاب جهنم جملة وقعت خبرا لان او الخبر لهم وعذاب مرتفع به على الفاعلية وهو الاحسن
والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط ولا ضمير في نسخة بان وان خالفه الاخفش والمعنى لهم في الآخرة
عذاب جهنم بسبب كفرهم ولهم عذاب الحريق وهي نار اخرى عظيمة بسبب فتنتهم للمؤمنين
إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات على الاطلاق من المفتونين وغيرهم لهم بسبب ما ذكر من
الايمان والعمل الصالح جنات تجري من تحتها الانهار ان اريد بالجنات الاشجار فجريان الانهار
من تحتها ظاهر وان اريد بها الارض المشتملة عليها فالتحتية باعتبار جريها الظاهر فان اشجارها
ساترة لساحتها كما يعرب عنه اسم الجنة وقد مر بيانه مرارا ذلك اشارة اما الى الجنات الموصوفة
والتذكير لتاويلها بما ذكر للاشعار بان مدار الحكم عنوانها الذي يتنافس فيها المتنافسون فان اسم
الاشارة معترض لذات المشار اليه من حيث اتصافه بالاوصاف المذكورة لا لذاته فقط كما هو شان
الضمير فاذا اشير الى الجنات من حيث ذكرها فقد اعتبر معها عنوانها المذكور حتما واما الى ما يفيده قوله تعالى
لهم جنات الخ من حيازتهم لها فان حصولها لهم مستلزم لحيازتهم لها قطعا واياما كان فما فيه من
معنى البعد للايذان بعلو درجته وبعد منزلته في الفضل والشرف ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده
اي ذلك المذكور العظيم الشان الفوز الكبير الذي يصغر عنده الدنيا وما فيها من فنون الرغائب
بحذافيرها والفوز النجاة من الشر والظفر بالخير فعلى الاول هو مصدر اطلق على المفعول مبالغة وعلى
الثاني مصدر على حاله إن بطش ربك لشديد استيناف خوطب به النبي عليه السلام ايذانا بان لكفار
قومه نصيبا موفورا من مضمونه كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
والبطش الاخذ بعنف وحيث وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة
واخذه اياهم بالعذاب والانتقام فقوله تعالى وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه
اليم شديد اي هو يبدئ الخلق وهو يعيده من غير دخل لاحد في شيء منهما ففيه مزيد تقرير
لشدة بطشه او هو يبدئ البطش بالكفرة في الدنيا ويعيده في الآخرة لمن تاب وآمن
المحب لمن اطاع خالقه وقيل المراد بالعرش الملك اي ذو السلطنة القاهرة وقرئ
ذي العرش على انه صفة ربك العظيم في ذاته وصفاته فانه واجب الوجود تام القدرة كامل الحكمة
وقرئ بالجر على انه صفة لربك وللعرش ومجده علوه وعظمته بحيث لا يتخلف عن ارادته
مراد من افعاله تعالى وافعال غيره وهو خبر مبتدا محذوف وقوله تعالى استيناف
مقرر لشدة بطشه تعالى بالظلمة العصاة والكفرة العتاة وكونه فعالا لما يريد متضمن لتسليته صلى الله
عليه وسلم بالاشعار بانه سيصيب قومه ما اصاب الجنود بدل من الجنود لان المراد بفرعون
وقومه المحاط وقوله تعالى رد لكفرهم وابطال لتكذيبهم وتحقيق

للحق اي ليس الامر كما قالوا بل هو كتاب شريف عالي الطبقة فيما بين الكتب الالهية في النظم والمعنى
قرآن مجيد بالاضافة اي قرآن رب مجيد في لوح محفوظ اي من التحريف وهو وصول الشياطين
اليه وقرئ محفوظ بالرفع على انه صفة قرآن وقرئ في لوح وهو الهوى اي ما فوق السماء السابعة التي فيه
اللوح عن النبي عليه السلام من قرأ سورة البروج اعطاه الله تعالى بعدد كل جمعة وعرفة تكون في الدنيا عشر حسنات

والسماء والطارق الطارق في الاصل اسم فاعل من طرق طرقا وطروقا اذا جاء ليلا قال الماوردي
اصل الطرق الدق ومنه سميت المطرقة وانما سمي قاصد الليل طارقا لاحتياجه الى طريق الباب
غالبا ثم اتسع في كل ما ظهر بالليل كائنا ما كان ثم اسبغ في التوسع حتى اطلق على الصور الخيالية البادية
بالليل قال طرق الخيال ولا كليلة مذبح سدكا بارجلنا ولم يتعرج والمراد ههنا الكوكب البادي
بالليل اما على انه اسم جنس او كوكب معهود وقيل الطارق النجم الذي يقال له كوكب الصبح وقوله تعالى
وما ادراك ما الطارق تنويه بشانه اثر تفخيمه بالاقسام به وتنبيه على ان رفعة قدره بحيث لا ينالها
ادراك الحلو فلا بد من تلقيها من الخلاق العليم فما الاولى مبتدا وادراك خبره والثانية خبر والطارق
مبتدا حسبما بين في نظائره اي واي شيء اعلمك ما الطارق وقوله تعالى النجم الثاقب خبر مبتدا
محذوف والجملة استيناف وقع جوابا عن استفهام نشأ مما قبله كانه قيل ما هو فقيل هو النجم
المضيء في الغاية كانه يثقب الظلام او الافلاك بضوئه وينفذ فيها والمراد به اما الجنس فان لكل كوكب
ضوءا ثاقبا لا محالة واما كوكب معهود فقيل هو زحل وقيل هو ثريا وقيل هو الجدي وقيل النجم
الثاقب نجم في السماء السابعة لا يسكنها غيره فاذا اخذت النجوم امكنتها من السماء هبط فكان معها
ثم يرجع الى مكانه من السماء السابعة وهو زحل فهو طارق حين ينزل وحين يصعد وفي ايراده عند
الاقسام به بوصف مشترك بينه وبين غيره ثم الاشارة الى ان ذلك الوصف غير كاشف عن كنه امره
وان ذلك مما لا يبلغه افكار الخلائق ثم تفسيره بالنجم الثاقب من تفخيم شانه واجلال محله ما لا يخفى
وقوله تعالى إن كل نفس لما عليها حافظ جواب للقسم وما بينهما اعتراض جيء به لما ذكر من تاكيد فخامة
المقسم به المستتبع لتاكيد مضمون الجملة المقسم عليها وان نافية ولما بمعنى الا اي ما كل نفس الا عليها
حافظ مهين رقيب وهو الله عز وجل كما في قوله تعالى وكان الله على كل شيء رقيبا وقيل هو من يحفظ
عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر كما في قوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما الآية وقوله تعالى
ويرسل عليكم حفظة وقوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه وقرئ لما مخففة على ان
ان مخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشان محذوف واللام هي الفارقة وما مزيدة اي
ان الشان كل نفس لعليها حافظ والفاء في قوله تعالى فلينظر الانسان مم خلق للتنبيه على ان
ما بين من ان كل نفس عليها حافظ يحصي عليها كل ما يصدر عنها من قول وفعل مستوجب على الانسان
ان يتفكر في مبدا فطرته حق التفكر حتى يتضح له ان من قدر على انشائه من مواد لم تشم رائحة الحيوة
قط فهو قادر على اعادته بل اقدر على قياس العقل فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ما ينفعه يومئذ ويجديه

وَلا على على حفظ ما يريده وقوله تعالى خلق من ماء دافق استيناف وقع جوابا عن استفهام مقدر كانه
قيل ثم خلق فقيل خلق من ماء ذي دفق وهو حث فيه دفع وسيلان لسرعة والمراد به المتزج من
الماءين في الرحم كما ينبئ عنه قوله تعالى يخرج من بين الصلب والترائب اى صلب الرجل وترائب المراة
وهي عظام صدرها قالوا ان النطفة تتولد من فضل المهضم الرابع وينفصل عن جميع الاعضاء حتى
تستعد لان تتولد منها مثل تلك الاعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها ببعض عند البيضتين فالدماغ
اعظم الاعضاء معونة في توليدها ولذلك شبهه ويورث الاذاط في الجماع الضعف فيه وله
خليفة هي الجماع وهو في الصلب وشعب كثيرة نازلة الى الترائب وهما اقرب الى اوعية المني
فلذلك خصا بالذكر وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة هي صالب
الهاء الضمير للخالق تعالى فان قوله خلق يدل عليه اى ان ذلك الذي خلقه ابتداء مما ذكر على رجعه
اى اعادته بعد موته لقادر بين القدرة يوم تبلى السرائر اى تعرف وتتصفح ما استتر في
القلوب من العقايد والنيات وغيرها وما اخفي من الاعمال ويتميز بين ما طاب منها وخبث وهو
ظرف لرجعه فما له اى الانسان من قوة في نفسه يمتنع بها ولا ناصر ينتصر به والسماء ذات الرجع
الرجع اى المطر سمي به رجعا لان العرب كانوا يزعمون ان السحاب يحمل الماء من بحار الارض
ثم يرجعه الى الارض واراد بذلك التكرير ليرجع ولذلك سموه اوبا اولان الله تعالى يرجعه حينا
فحينا والارض ذات الصدع هو ما يتصدع عنها لارض من النبات او مصدر من المبني للمفعول
وهو تشققها بالنبات لا بالعيون كما قيل فان وصف السماء والارض عند الاقسام بهما على حقيقة
القرآن الناطق بالبعث بما ذكر من الوصفين للايماء الى انهما في انفسهما من شواهده وهو السر في التعبير
عنه وعن المطر بالرجع وذلك في تشقق الارض بالنبات المحاكي للنشور حسبما ذكر في مواقع من التنزيل
لانى تشققها بالعيون انه اى القرآن الذي من جملته ما تلى من الآيات الناطقة بمبدأ حال الانسان ومعاده
لقول فصل اى فاصل بين الحق والباطل مبالغ في ذلك كانه نفس الفصل وما هو بالهزل ليس في شيء من
شائبة هزل بل كله جد محض لا هوادة فيه فمن حقه ان يهتدى به الغواة وتخضع له رقاب العتاة انهم
اى اهل مكة يكيدون في ابطال امره واطفاء نوره كيدا بما يغني به قدرتهم واكيد كيدا اى افاجئهم
بكيد متين لا يمكن رده حيث استدرجهم من حيث لا يعلمون فمهل الكافرين اى لا تشتغل بالانتقام
منهم ولا تبغ عليهم بالهلاك ولا تستعجل به والقاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان الاخبار بتولية تعالى
لكيدهم بالذات مما يوجب امهالهم وترك التصدي لمكايدتهم قطعا وقوله تعالى امهلهم بدل من مهل
وقوله تعالى رويدا اما مصدر مؤكد لمعنى العامل او نعت لمصدره المحذوف اى امهلهم امهالا رويدا
اى قريبا كما قاله ابن عباس او قليلا كما قاله قتادة قال ابو عبيدة هو في الاصل تصغير رود وهو مشي
كانها تمثل تمشي على رود اى مهل وقيل تصغير ارواد مصدر اراد وقد بالترخيم وله في الاستعمال وجهان
احدهما كونه اسم فعل نحو رويد زيدا او كونه حالا نحو سار القوم رويدا اى متمهلين وفي ايراد البدل
بصيغة لا تحتمل التكثير وتقييده برويدا على احد الوجهين المذكورين من تسلية رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتسكين قلبه ما لا يخفى وعنه عليه السلم من قرأ سورة الطارق اعطاه الله بكل نجم في السماء عشر حسنات

سبح اسم ربك الاعلى اى نزه اسمه تعالى عن الالحاد فيه بالتاويلات الزائغة وعن اطلاقه
على غيره بوجه يشعر بشركة ما فيه وعن ذكره لا على وجه الاعظام والاجلال والاعلى اما صفة للرب
وهو الاظهر او للاسم وقرئ سبحان ربي الاعلى وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم
قال عليه السلم اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون
في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت الذي خلق فسوى صفة اخرى للرب على الوجه
الاول او منصوب على المدح على النداء لما يلزم الفصل بين الموصوف والصفة بصفة غيره اى خلق
كل شيء فسوى خلقه بان جعل له ما به يتاتى كماله ويتسنى معاشه وقوله تعالى والذي قدر اما صفة
اخرى للرب كالموصول الاول او معطوف عليه وكذا حال ما بعده اى قدر اجناس الاشياء وانواعها
واصنافها ومقاديرها وصفاتها وافعالها واجالها فهدى اى وجه كلا واحد منها الى ما يصدر عنه
ويتاتى له طبعا واختيارا او سخره لما خلق له كخلق الفول والانعام ونصب الدلايل وانزال
الايات ولو تتبعت احوال النباتات والحيوانات لرايت في كل منها ما يحار فيه العقول وروي
ان الاقرع اذا بلغت الف سنة عميت وقد الهمها الله تعالى ان تمسح عينها بورق الرازيانج الغض فترد
حينئذ اليها بصرها فربما كانت عند عروض العمى لها في برية بينها وبين الريف مسافة طويلة فتطويها
حتى تهجم في بعض الساعتين على شجرة الرازيانج لا تخطيها فتحك عينها بورقها وترجع باصرة باذن الله
عز وجل ويروى ان المسماح لا يكون له وبر وانما يخرج فصلات ما يأكله من فمه حيث فيض الله تعالى طائرا
قدر غذاه من دابة او غيرها فاذا راى المسماح يفتح فمه يدخل الطائر فياكل ما فيه وقد خلق الله تعالى من فوق
منقاره ومن تحته قرنين لئلا يطبق عليه المسماح فمه هذا وانما فوض هدايته سبحانه وتعالى للانسان
من حيث الجسمية ومن حيث الحيوانية فمما لا يحيط به فلك العبارة والتحرير ولا يعلمه الا العليم
الخبير والذي اخرج المرعى اى انبت ما يرعاه الدواب عضا طريا يعرف فجعله بعد ذلك
غثاء اى يابسا هشيما اسود وقيل احوى حال من المرعى اى اخرجه احوى من شدة الخضرة
والرى فجعله غثاء بعد ذلك وقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى بيان لهدايته تعالى الخاصة برسوله
صلى الله عليه وسلم اثر بيان هدايته العامة لكافة مخلوقاته وهي هدايته عليه السلم لتلقي الوحي وحفظ
القرآن الذي هو هدى للعالمين وتوفيقه عليه السلم لهداية الناس اجمعين والسين اما للتاكيد
وانما لان المراد اقراء ما اوحي اليه الان وما سيوحى اليه بعد ذلك فهو وعد كريم باستمرار الوحي
في ضمن الوعد بالاقراء اى سنقرئك كل ما يوحى اليك الان وفيما بعد على لسان جبريل عليه السلام
او سنجعلك قاريا بالهام القراءة فلا تنسى اصلا من قوة الحفظ والاتقان مع انك امي لا تدري
ما الكتاب وما القراءة ليكون ذلك اية اخرى لك مع ما في ضمن ما تقرؤه من الايات
البينات من حيث الاعجاز ومن حيث الاخبار بالمغيبات وقيل فلا تنسى نهي والالف لمراعاة
الفاصلة كما في قوله تعالى واضلونا السبيلا وقوله تعالى الا ما شاء الله استثناء مفرغ من اعم المفاعيل

زائد بانه دیدکاری اوت اصلی

اى لا تنسا ما تقرؤه شيئا من الاشياء الا ما شاء الله ان تنساه ابدا بان نسخ تلاوته والالتفات
الى الاسم الجليل لتربية المهابة والايذان بدوران المشية على عنوان الالوهية المستتبعة لسائر
الصفات وقيل المراد به النسيان فى الجملة على القلة والندرة كما روى انه صلى الله عليه وسلم
اسقط اية فى قراءته فى الصلوة فحسب ابى انها نسخت فسأله فقال عليه السلم نسيتها وقيل نفى
النسيان راسا فان القلة قد تستعمل فى النفى فالمراد حينئذ بالنسيان النسيان بالكلية اذ هو
المنفى راسا لا ما قد ينسى ثم يذكر انه يعلم الجهر وما يخفى تعليل لما قبله اى يعلم ما ظهر وما بطن من
التى من جملتها ما اوحى اليك فينسى ما شاء انساه ويبقى محفوظا ما يشاء ابقاءه لما نيط بكل منهما
من مصالح دينكم ونيسرك لليسرى عطف على نقرؤك كما ينبئ عنه الالتفات الى الحكاية وما بينهما اعتراض
وارد لما ذكر من التعليل وتعليق التيسير به عليه السلم مع ان الشايع تعليقه بالامور المسخرة للفاعل
كما فى قوله تعالى ويسر لى امرى للايذان بقوة تمكينه عليه السلم من اليسرى والتصرف فيها بحيث صار
ذلك ملكة راسخة له كانه عليه السلم جبل عليها كما فى قوله عليه السلم اعملوا فكل ميسر لما خلق له اى
يوفقك توفيقا مستمرا للطريقة اليسرى فى كل باب من ابواب الدين علما وتعليما واهتداء وهداية
فيندرج فيه تيسير تلقى الوحى والاحاطة بما فيه من احكام الشريعة السمحة والنواميس الالهية مما يتعلق
بتكميل نفسه عليه السلم وتكميل غيره كما يفصح عنه الفاء فى قوله تعالى فذكر ان نفعت الذكرى اى فذكر
الناس حسبما يسرناك له بما يوحى اليك واهدهم الى ما فى تضاعيفه من احكام الشرعية كما كنت
تفعله لا بعد ما استتب لك الامر كما قيل وتقييد التذكير بنفع الذكرى لما ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم طال ما كان يذكرهم ويستفرغ فيه غاية المجهود ويتجاوز فى الجد كل حد معهود
حرصا على ايمانهم وما كان يزيد ذلك لبعضهم الا كفرا وعنادا فامر عليه السلم بان يخص التذكير بمواد
النفع فى الجملة بان يكون من يذكره كلا او بعضا ممن يرجى منه التذكر ولا يتعب نفسه فى تذكير من
لا يورثه التذكير الا عتوا وكفورا من المطبوع على قلوبهم كما فى قوله فذكر بالقرآن من يخاف وعيد وقوله
واعرض عمن تولى عن ذكرنا وقيل هو ذم للمكذبين واخبار عن حالهم واستبعاد لتاثير التذكير
فيهم وتسجيل عليهم بالطبع على قلوبهم كقولك للواعظ عظ المكاسين ان سمعوا منك قصدا الى انه مما لا
يكون والاول انسب لقوله تعالى سيذكر من يخشى اى سيتذكر بتذكرك من من شانه ان يخشى الله
تعالى حق خشيته او من يخشى الله فى الجملة فيزداد ذلك بالتذكير فيتفكر فى امر ما تذكر به على حقيقته فيؤمن
به وقيل ان بمعنى اذا كما فى قوله تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين اى اذ كنتم وقيل هى بمعنى ما اى
فذكر ما نفعت الذكرى فانها لا تخلو عن نفع بكل حال وقيل هناك محذوف فالتقدير ان نفعت
الذكرى وان لم تنفع كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر قاله الفراء والنحاس والجرجانى والزهراوى
ويتجنبها اى الذكرى الاشقى من الكفرة لتوغله فى عداوة النبى عليه السلم وقيل نزلت فى
الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة الذى يصلى النار الكبرى اى الطبقة السفلى من طبقات النار
وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا لقوله عليه السلم ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم
ثم لا يموت فيها اى حتى يستريح ولا يحيى حياة تنفعه وثم للتراخى فى مراتب الشدة لان التردد

المتردد بين الموت والحيوة افظع من الصلى قد افلح اى نجا من المكروه وظفر بما يرجوه من تزكى
اى طهر من الكفر والمعاصى بتذكره واتعاظه بالذكرى او تكثر من التقوى والخشية من الزكاء وهو
النماء وقيل تطهر للصلوة وقيل تزكى تفعل من الزكوة وكلمة قد لما ان عند الاخبار بسوء حال
المتجنب عن الذكرى فى الاخرة يتوقع السامع الاخبار بحسن حال المتذكر فيها وينتظره وذكر
اسم ربه بقلبه ولسانه فصلى اقام الصلوات الخمس كقوله تعالى اقم الصلوة لذكرى اى كبر تكبيرة
الافتتاح فصلى وقيل تزكى اى تصدق صدقة الفطر وذكر اسم ربه اى كبر يوم العيد فصلى اى
صلوته بل تؤثرون الحيوة الدنيا اضراب عن مقدر يساق اليه الكلام كانه قيل اثر بيان ما يؤدى الى
الفلاح لا تفعلون ذلك بل تؤثرون اللذات العاجلة الفانية فتسعون لتحصيلها والخطاب اما
للكفرة فالمراد بايثار الحيوة الدنيا هو الرضا والاطمينان بها والاعراض عن الاخرة بالكلية
كما فى قوله تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها الاية او للكل فالمراد
بايثارها ما هو اعم مما ذكر وما لا يخلو عنه الناس غالبا من ترجيح جانب الدنيا على الاخرة فى السعى
وترتيب المبادى والالتفات على الاول لتشديد التوبيخ وعلى الثانى كذلك فى حق الكفرة
ولتشديد العتاب فى حق المسلمين وقرئ يؤثرون بالياء وقوله تعالى والاخرة خير وابقى حال من
فاعل تؤثرون مؤكدة للتوبيخ والعتاب اى تؤثرونها على الاخرة والحال ان الاخرة خير فى نفسها
لما ان نعيمها مع كونه فى غاية ما يكون من اللذة خالص عن شائبة الغائلة ابدى لا انصرام له وعدم
التعرض لبيان تكدر نعيم الدنيا بالمنغصات وانقطاعه عما قليل لغاية ظهوره ان هذا اشارة الى ما ذكر
من قوله تعالى قد افلح من تزكى وقيل الى ما فى السورة جميعا لفى الصحف الاولى اى ثابت فيها معناه
صحف ابرهيم وموسى بدل من الصحف الاولى وفى ايهامها ووصفها بالقدم ثم بيانها وتفسيرها
من تفخيم شانها ما لا يخفى روى ان جميع ما انزل الله عز وجل من كتاب مائة واربعة كتب انزل على ادم
عشر صحف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلثين صحيفة وعلى ابرهيم عشر صحايف عليهم السلم
والتوراة والانجيل والزبور والفرقان عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعلى
اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله على ابرهيم وموسى ومحمد عليهم الصلوة والسلم

هل اتاك حديث الغاشية قيل هل بمعنى قد كما فى قوله تعالى هل اتى على الانسان الاية قال قطرب
اى قد جاءك يا محمد حديث الغاشية وليس بذاك بل هو استفهام اريد به التعجيب مما فى حيزه
والتشويق الى استماعه والاشعار بانه من الاحاديث البديعة التى حقها ان يتناقلها الرواة
التى تغشى الناس بشدايدها وتكتنفهم باهوالها وهى القيمة من قوله تعالى يوم يغشاهم العذاب
الخ وقيل هى النار من قوله تعالى وتغشى وجوههم النار وقوله تعالى ومن فوقهم غواش والاول هو الحق
فان ما سيروى من حديثها ليس مختصا بالنار واهلها بالناطق باحوال اهل الجنة ايضا وقوله تعالى
وجوه يومئذ خاشعة الى قوله مبثوثة استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الاستفهام التشويقى

كانه قيل من جهته عليه السلم ما اتاني حديثها ما هو فقيل وجوه يومئذ اي يوم اذ غشيت ذليلة قال
ابن عباس لم يكن اتاه عليه السلم حديثها فاخبره عليه السلم عنها فقال وجوه يومئذ الخ فوجوه مبتداء
ولا باس بتنكيرها لانها في موضع التنويع وخاشعة خبره وقوله تعالى عاملة ناصبة خبران اخران
لوجوه اذ المراد بها اصحابها اي تعمل اعمالا شاقة تتعب فيها وهي حر السلاسل والاغلال
والخوض في النار خوض الابل في الوحل والصعود والهبوط في تلال النار ووهادها وقيل عملت
في الدنيا اعمال السوء والتذت بها فهي يومئذ في نصب منها وقيل عملت ونصبت في اعمال
لا يجدي عليها في الآخرة وقوله تعالى تصلى اي تدخل نارا حامية اي متناهية في الحر خبر آخر لوجوه
قيل هو الخبر وما قبله صفات لوجوه وقد مر غير مرة ان الصفة حقها ان تكون معلومة الانتساب
الى الموصوف عند السامع قبل جعلها صفة له ولا ريب في ان صلي النار وما قبله من الخشوع والعمل
والنصب امور متساوية في الانتساب الى الوجوه معرفة وجهالة فجعل بعضها عنوانا للموضوع قيل
مفروغا عنه غير مقصود الافادة وبعضها مناط للافادة تحكم بحت ويجوز ان يكون هذا وما بعده
من الجملتين استينافا مبنيا لتفاصيل احوالها تسقى من عين آنية اي متناهية في الحر كما في قوله
وبين حميم آن ليس لهم طعام الا من ضريع بيان لطعامهم اثر بيان شرابهم والضريع يبيس
الشبرق وهو شوك ترعاه الابل ما دام رطبا واذا يبس نحامته وهو سم قاتل وقيل هي شجرة نارية
تشبه الضريع وقال ابن كيسان هو طعام يضرعون عنده ويذلون ويتضرعون الى الله تعالى طلبا للخلاص
منه فسمي بذلك وهذا طعام لبعض اهل النار والزقوم والغسلين لآخرين لا يسمن ولا يغني من جوع
اي ليس من شانه الاسمان والاشباع كما هو شان طعام الدنيا وانما هو شيء يضطرون الى اكله
من ان يكون له دفع لضرورتهم لكن لا على ان لهم استعدادا للشبع والسمن الا انه لا يفيدهم شيئا
منهما بل على انه لا استعداد من جهتهم ولا افادة من جهة طعامهم وتحقيق ذلك جوعهم وعطشهم ليسا
من قبيل ما هو المعهود منهما في هذه النشأة من حالة عارضة للانسان عند استدعاء الطبيعة لبدل
ما يتحلل من البدن مشوقة له الى المطعوم والمشروب بحيث يلتذ بهما عند الاكل والشرب و
يستغني بهما عن غيرهما عند استقرارهما في المعدة ويستفيد منهما قوة وسمنا عند انهضامهما
بل جوعهم عبارة عن اضطرارهم عند انضرام النار في احشائهم الى ادخال شيء كثيف يملؤها
ويخرج ما فيها من اللهب واما ان يكون لهم شوق الى مطعوم ما او التذاذ به عند الاكل والاستغناء
به عن الغير او استفادة قوة فهيهات وكذا عطشهم عبارة عن اضطرارهم عند اكل الضريع
والتهابه في بطونهم الى شيء مائع بارد يطفؤه من غير ان يكون لهم التذاذ بشربه او استفادة قوة
به في الجملة وهو المعنى بما روي انه تعالى يسلط عليهم الجوع بحيث يضطرهم الى اكل الضريع فاذا
اكلوا يسلط عليهم العطش فيضطرهم الى شرب الحميم فيشوي وجوههم ويقطع امعاءهم وتنكير
الجوع للتحقير اي لا يغني عن جوع ما وتاخير نفي الاغناء منه لمراعاة الفواصل والتوسل به الى
التصريح بنفي كلا الامرين اذ لو قدم لما احتيج الى ذكر نفي الاسمان ضرورة استلزام نفي الاغناء
عن الجوع اياه بخلاف العكس ولذلك كرر لا لتاكيد النفي وقوله تعالى وجوه يومئذ ناعمة شروع في رواية

رواية حديث اهل الجنة وتقديم حكاية حال اهل النار لانه ادخل في تهويل الغاشية وتفخيم حديثها ولان
حكاية حسن حال اهل الجنة بعد حكاية سوء حال اهل النار مما يزيد المحكي حسنا وبهجة والكلام في اعراب
الجملة كالذي مر في نظيرتها وانما لم تعطف عليها ايذانا بكمال تباين مضمونيهما ومعنى ناعمة ذات
بهجة وحسن كقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم او متنعمة لسعيها راضية اي لعملها
التي عملته في دار الدنيا حيث شاهدت ثمرته في جنة عالية مرتفعة المحل او علية المقدار لا تسمع
اي انت او الوجوه فيها لاغية لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو فان كلام اهل الجنة كله
اذكار وحكم وقرئ لا تسمع على البناء للمفعول بالياء والتاء ورفع لاغية فيها عين جارية
اي عيون كثيرة تجري مياهها كقوله تعالى علمت نفس فيها سرر مرفوعة رفيعة السمك او
المقدار واكواب جمع كوب وهو اناء لا عروة له موضوعة اي بين ايديهم ونمارق
وسائد جمع نمرقة بالفتح والضم مصفوفة بعضها الى بعض وزرابي اي بسط فاخرة
جمع زربية مبثوثة اي مبسوطة افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت استيناف
مسوق لتقرير ما فصل من حديث الغاشية وما هو مبني عليه من البعث الذي هم فيه
مختلفون بالاستشهاد عليه بما لا يستطيعون انكاره والهمزة للانكار والتوبيخ
والفاء للعطف على مقدر تقتضيه المقام وكلمة كيف منصوبة بما بعدها كما في قوله تعالى
كيف تكفرون بالله معلقة لفعل النظر والجملة في حيز الجر على انها بدل اشتمال من الابل
اي ينكرون ما ذكر من البعث واحكامه ويستبعدون وقوعه من قدرة الله عز وجل فلا ينظرون
الى الابل التي هي نصب اعينهم يستعملونها كل حين الى انها كيف خلقت خلقا بديعا معدولا
به عن سنن خلقة سائر انواع الحيوانات في عظم جثتها وشدة قوتها وعجيب
هيئتها اللائقة بتاتي ما يصدر عنها من الافاعيل الشاقة كالنوء بالاوقال الثقيلة
وجر الاثقال القادحة الى الاقطار النازحة وفي صبرها على الجوع والعطش حتى ان ظماءها لتبلغ
العشر فصاعدا واكتفائها باليسير ورعيها لكل ما يتيسر من شوك وشجر وغير ذلك مما لا يكاد يرعاه
سائر البهائم وفي انقيادها مع ذلك الانسان في الحركة والسكون والبروك والنهوض حيث يستعملها
في ذلك كيفما يشاء ويقتادها بقطارها كل صغير وكبير والى السماء التي يشاهدونها كل لحظة بالليل
والنهار كيف رفعت رفع سحيق المدى بلا عماد ولا مساك بحيث لا يناله الفهم والادراك والى الجبال
التي ينزلون في اقطارها وينتفعون بمياهها واشجارها كيف نصبت نصبا رصينا فهي راسخة
لا تميل ولا تميد والى الارض التي يضربون فيها ويتقلبون عليها كيف سطحت سطحا بتوطئة
وتمهيد وتسوية وتوطيد حسبما يقتضيه صلاح امور ما عليه من الخلائق وقرئ سطحت مشددا
وقراءة الافعال الاربعة على بناء الفاعل للمتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعنى افلا ينظرون
نظر التدبر والاعتبار الى كيفية خلق هذه المخلوقات الشاهدة بحقية البعث والنشور ليرجعوا
عما هم عليه من الانكار والنفور ويسمعوا انذارك ويستعدوا للقائه بالايمان والطاعة والفاء
في قوله تعالى فذكر لترتيب الامر بالتذكير على ما ينبئ عنه الانكار السابق من عدم النظر اي فاقتصر على

التذكير ولا تلح عليهم ولا يهمنك انهم لا ينظرون ولا يتذكرون وقوله تعالى انما انت مذكر تعليل للامر
وقوله تعالى لست عليهم بمسيطر تقرير له وتحقيق لمعنى الانذار اى لست بمتسلط عليهم تجبرهم على ما
تريد كقوله تعالى وما انت عليهم بجبار وقرئ بالسين على الاصل وبالاشمام وقرئ بفتح الطاء قيل
هى لغة بنى تميم فان سيطر عندهم متعد ومنه قولهم تسيطر وقوله تعالى الا من تولى وكفر استثناء
منقطع اى لكن من تولى منهم فان لله تعالى الولاية والقهر فيعذبه الله العذاب الاكبر الذى هو
عذاب جهنم وقيل استثناء متصل من قوله تعالى فذكر اى فذكر الا من انقطع طمعك من ايمانه
وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض ويعضد الاول انه قرئ الا على التنبيه وقوله تعالى
ان الينا ايابهم تعليل لتعذيبه تعالى بالعذاب الاكبر اى ان الينا رجوعهم بالموت والبعث
لا الى احد سوانا لا استقلالا ولا اشتراكا وجمع الضمير فيه وفيما بعده باعتبار معنى من كما ان
افراده فيما سبق باعتبار لفظها وقرئ ايابهم على انه فيعال مصدر فيعل من الاياب او فعال
من اوب كسفار من فسر ثم قيل ايوابا كديوان فى دوان ثم قلبت الواو ياء فادغمت الياء الاولى
فى الثانية ثم ان علينا حسابهم فى المحشر لا على غيرنا وثم للتراخى فى الرتبة لا فى الزمان فان ترتب
الزمانى بين ايابهم وحسابهم لا بين كون ايابهم اليه تعالى وحسابهم عليه تعالى فانهما امران مستمران
وفى تصدير الجملتين بان وتقديم خبرها وعطف الثانية على الاولى بكلمة ثم المفيدة لبعد منزلة الحساب
فى الشدة من الانباء عن غاية السخط الموجب لتشديد العذاب ما لا يخفى عن النبى عم من قرأ سورة الغاشية يحاسبه الله حسابا يسيرا

والفجر اقسم سبحانه بالفجر كما اقسم بالصبح حيث قال والصبح اذا تنفس وقيل المراد به صلوته وليال
عشر هن عشر ذى الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة او النحر او العشر الاواخر من رمضان وتنكيرها
للتفخيم وقرئ وليال عشر بالاضافة على ان المراد بالعشر الايام والشفع والوتر اى الاشياء
كلها شفعها ووترها او شفع هذه الليالى ووترها وقد روى ان النبى عليه السلم فسرهما بيوم النحر
ويوم عرفة ولقد كثرت فيهما الاقوال والله تعالى اعلم بحقيقة الحال وقرئ بكسر الواو وهما لغتان
كالحبر والحبر وقيل الوتر بالفتح فى العدد وبالكسر فى الرحل وقرئ والوتر بفتح الواو وكسر التاء
والليل اذا يسر اى يمضى قوله تعالى والليل اذا ادبر والليل اذا عسعس والتقييد لما فيه من وضوح
الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة او يسرى فيه من قولهم صلى المقام اى صلى فيه وحذف الياء
اكتفاء بالكسر وقرئ باثباتها على الاطلاق وبحذفها فى الموقف خاصة وقرئ يسر بالتنوين كما قرئ
والفجر والوتر وهو التنوين الذى يقع بدلا من حرف الاطلاق هل فى ذلك قسم الخ تحقيق وتقرير
لفخامة شان المقسم بها وكونها امورا جليلة حقيقة بالاعظام والاجلال عند ارباب العقول
وتنبيه على ان الاقسام بها امر معتد به خليق بان يؤكد به الاخبار على طريقة قوله تعالى وانه لقسم لو
تعلمون عظيم وذلك اشارة اما الى الامور المقسم بها والتذكير بتاويل ما ذكر كما مر تحقيقه او الى
الاقسام بها وايا ما كان فما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته فى الشرف

الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد اى الم تعلم يا محمد علما يوازى العيان فى الايقان وهو استفهام تقرير مدارك

شرف والفضل اى هل فيما ذكر من الاشياء قسم اى مقسم به لذى حجر يراد حقيقا بان يقسم به اجلالا
اجلالا وتعظيما والمراد تحقيق ان الكل كذلك وانما اوثرت هذه الطريقة هضما للحق وايذانا
بظهور الامر او هل فى اقسامى بتلك الاشياء اقسام لذى حجر مقبول عنده يعتد به ويفعل مثله ويؤكد
به المقسم عليه والحجر العقل لانه يحجر صاحبه اى يمنعه من التهافت فيما لا ينبغى كما سمى عقلا ونهية لانه
يعقل وينهى وحصاة ايضا من الاحصاء وهو الضبط قال الفراء يقال انه لذو حجر اذ كان قاهر النفس
ضابطا لها والمقسم عليه محذوف وهو يعذبن كما ينبئ عنه قوله عز وجل الم تر كيف فعل ربك بعاد
الخ فانه استشهاد بعلمه عليه السلم بما يدل عليه من تعذيب عاد واضرابهم المشركين لقوله عليه السلم فى
الطغيان والفساد على طريقة قوله تعالى الم تر الى الذى حاج ابرهيم فى ربه الآية وقوله تعالى الم تر انهم فى كل
واد يهيمون كانه قيل الم تعلم علما يقينا كيف عذب ربك عادا ونظايرهم فيعذب هؤلاء ايضا
لاشتراكهم فيما يوجبه من الكفر والمعاصى والمراد بعاد اولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلم
وقوم هود عليه السلم سموا باسم ابيهم كما سمى بنوا هاشم هاشما وقد قيل لاوايلهم عاد الاولى ولاواخرهم
عاد الاخيرة قال عماد الدين بن كثير كلما ورد فى القرآن خبر عاد الاولى الا ما فى سورة الاحقاف وقوله تعالى
ارم عطف بيان لعاد للايذان بانهم عاد الاولى بتقدير مضاف اى سبط ارم او اهل ارم على ما قيل
من ان ارم اسم بلدتهم او ارضهم التى كانوا فيها ويؤيده القراءة بالاضافة وايا ما كان فامتناع صرفها
للتعريف والتانيث وقرئ ارم باسكان الراء كما قرئ بورقكم ذات العماد صفة لارم اى ذات
القدود الطوال على تشبيه قاماتهم بالاعمدة ومنه قولهم رجل عمد وعمدان اذا كان طويلا او ذات
الخيام والاعمدة حيث كانوا بدويين اهل عمد او ذات البناء الرفيع او ذات الاساطين على ان ارم
اسم بلدتهم وقرئ ارم ذات العماد بالاضافة ارم الى ذات العماد والارم العلم اى بعاد اهل اعلام ذات
العماد على انها اسم بلدتهم وقرئ ارم ذات العماد اى جعلها الله تعالى رميما بدل من فعل ربك وقيل هى
جملة دعائية اعترضت بين الموصوف والصفة وروى انه كان لعاد ابنان شديد وشداد فملكا
وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابنى مثلها
فبنى ارم فى بعض صحارى عدن فى ثلاث مائة سنة وهى مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة
واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار المطردة ولما تم بناؤها
سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء فهلكوا
وعن عبد الله بن قلابة انه خرج فى طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثمه وبلغ خبره معاوية فاستحضره
فقص عليه فبعث الى كعب فساله فقال هى ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك
احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج فى طلب ابل له ثم التفت الى ابن قلابة فقال هذا والله
ذلك الرجل التى لم يخلق مثلها فى البلاد صفة اخرى لارم اى لم يخلق مثلهم فى عظم الاجرام والقوة حيث
كان طول الرجل منهم اربعمائة ذراع وكان ياتى الصخرة العظيمة فيحملها ويلقيها على الحى فيهلكهم او لم يخلق
مثل مدينة شداد فى جميع بلاد الدنيا وقرئ لم يخلق على اسناده الى الله تعالى وثمود عطف على عاد وهى قبيلة
مشهورة سميت باسم جدهم ثمود اخى جديس وهما ابنا عابر بن ارم بن سام بن نوح عليه السلم وكانوا

الم تر كيف فعل ربك يعنى الم تعلم ويقال الم تخبر كيف فى اللفظ لفظ الاستفهام والمراد به التقرير يعنى قد اتاك خبر عاد ارم ذات العماد يعنى كيف عاقب ربك قوم عاد وارم اسم عاد

فارم عطف بيان لعاد وايذان بانهم عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الاخير وقيل ارم اسم بلدتهم

وكان عمر شداد تسعمائة سنة

عَرَبًا مِنَ الْعَارِبَةِ يَسْكُنُونَ الْحِجْرَ بَيْنَ الْحِجَازِ وَتَبُوكَ وَكَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ كَعَادٍ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ
أَيْ قَطَعُوا صُخُورَ الْجِبَالِ فَاتَّخَذُوا فِيهَا بُيُوتًا نَحَتُوهَا مِنَ الصَّخْرِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا قِيلَ بِهِمْ أَوْ
مِنْ تَحْتِ الْجِبَالِ وَالصَّخُورِ وَالرِّخَامِ وَقَدْ بَنَوْا الْعَاوَ سَبْعَمِائَةِ مَدِينَةٍ كُلَّهَا مِنَ الْحِجَارَةِ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ
وُصِفَ بِذَلِكَ لِكَثْرَةِ جُنُودِهِ وَخِيَامِهِمُ الَّتِي يَضْرِبُونَهَا فِي مَنَازِلِهِمْ أَوْ لِتَعْذِيبِهِ بِالْأَوْتَادِ الَّذِينَ طَغَوْا فِي
الْبِلَادِ أَمَّا مَجْرُورٌ عَلَى أَنَّهُ صِفَةٌ لِلْمَذْكُورِينَ أَوْ مَنْصُوبٌ أَوْ مَرْفُوعٌ عَلَى الذَّمِّ أَيْ طَغَى كُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فِي بِلَادِهِمْ وَكَذَا
الْكَلَامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ أَيْ بِالْكُفْرِ وَسَائِرِ الْمَعَاصِي فَصَبَّ عَلَيْهِمْ أَيِ انْزَلَ إِنْزَالَ الْأَشْدِيدَا
عَلَى كُلِّ طَائِفَةٍ مِنْ أُولَئِكَ الطَّوَائِفِ عُقُوبَاتٍ مَا فَعَلَتْ مِنَ الطُّغْيَانِ وَالْفَسَادِ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ
أَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ لَا يُدْرَكُ غَايَتُهُ وَهُوَ عِبَارَةٌ عَمَّا حَلَّ بِكُلٍّ مِنْهُمْ مِنْ فُنُونِ الْعَذَابِ الَّتِي شُرِحَتْ فِي سَائِرِ
الصُّحُفِ الْكَرِيمَةِ وَتَسْمِيَتُهُ سَوْطًا لِلْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ ذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا أَعَدَّ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ بِمَنْزِلَةِ السَّوْطِ عِنْدَ
السَّيْفِ وَالتَّعْبِيرُ عَنْ إِنْزَالِهِ بِالصَّبِّ لِلْإِيذَانِ بِكَثْرَتِهِ وَاسْتِمْرَارِهِ وَتَتَابُعِهِ فَإِنَّهُ عِبَارَةٌ عَنْ إِرَاقَةِ شَيْءٍ مَائِعٍ أَوْ
جَارٍ مَجْرَاهُ فِي السَّيَلَانِ كَالرَّمْلِ وَالْحُبُوبِ وَإِفْرَاغِهِ بِشِدَّةٍ وَكَثْرَةٍ وَاسْتِمْرَارٍ وَنِسْبَتُهُ إِلَى السَّوْطِ مَعَ أَنَّهُ
لَيْسَ مِنْ ذَلِكَ الْقَبِيلِ بِاعْتِبَارِ تَشْبِيهِهِ فِي نُزُولِهِ الْمُتَتَابِعِ الْمُتَدَارَكِ عَلَى الْمَضْرُوبِ بِقِطْعَاتِ الشَّيْءِ الْمَصْبُوبِ
وَقِيلَ السَّوْطُ خَلْطُ الشَّيْءِ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ فَالْمَعْنَى مَا خَلَطَ لَهُمْ مِنْ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ وَقُرِئَ بِالنَّصْبِ وَالشِّدَّةِ
أَيْضًا لِأَنَّ السَّوْطَ يُطْلَقُ عَلَى كُلِّ مِنْهُمَا لُغَةً فَلَا حَاجَةَ حِينَئِذٍ لِتَشْبِيهِهِ بِالْمَصْبُوبِ إِلَى اعْتِبَارِ تَكَرُّرِ تَعَلُّقِهِ بِالْمُعَذَّبِ كَمَا فِي
الْمَعْنَى الْأَوَّلِ فَإِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي مِمَّا يَقْبَلُ الِاسْتِمْرَارَ فِي نَفْسِهِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ
تَعْلِيلٌ لِمَا قَبْلَهُ وَإِيذَانٌ بِأَنَّ كُفَّارَ قَوْمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيُصِيبُهُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ الْمَذْكُورِينَ مِنَ الْعَذَابِ
كَمَا يَنْبِئُ عَنْهُ التَّعَرُّضُ لِعُنْوَانِ الرُّبُوبِيَّةِ مَعَ الْإِضَافَةِ إِلَى ضَمِيرِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقِيلَ هُوَ جَوَابُ الْقَسَمِ وَمَا بَيْنَهُمَا اعْتِرَاضٌ
وَالْمِرْصَادُ الْمَكَانُ يَتَرَقَّبُ فِيهِ الرَّصَدُ مَفْعَالٌ مِنَ الرَّصْدِ كَالْمِيقَاتِ مِنَ الْوَقْتِ وَهَذَا تَمْثِيلٌ لِإِرْصَادِهِ تَعَالَى
بِالْعُصَاةِ وَأَنَّهُمْ لَا يَفُوتُونَهُ وَقَوْلُهُ تَعَالَى فَأَمَّا الْإِنْسَانُ الْخَ مُتَّصِلٌ بِمَا قَبْلَهُ كَأَنَّهُ قِيلَ إِنَّهُ تَعَالَى بِصَدَدِ مُرَاقَبَةِ
أَحْوَالِ عِبَادِهِ وَمُجَازَاتِهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ خَيْرًا وَشَرًّا فَأَمَّا الْإِنْسَانُ فَلَا يَهُمُّهُ ذَلِكَ وَإِنَّمَا مَطْمَحُ أَنْظَارِهِ وَمَرْصَدُ أَفْكَارِهِ
الدُّنْيَا وَلِذَا يَقُولُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ أَيْ عَامَلَهُ مُعَامَلَةَ مَنْ يَبْتَلِيهِ بِالْعَيْشِ وَالْيَسَارِ وَالْفَاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى
فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ تَفْسِيرِيَّةٌ فَإِنَّ الْإِكْرَامَ وَالتَّنْعِيمَ عَيْنُ الِابْتِلَاءِ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ أَيْ فَضَّلَنِي
بِمَا أَعْطَانِي مِنَ الْجَاهِ وَالْمَالِ حَسْبَمَا كُنْتُ أَسْتَحِقُّهُ وَلَا يَخْطُرُ بِبَالِهِ أَنَّهُ تَفَضُّلٌ تَفَضَّلَ عَلَيْهِ لِيَبْلُوَهُ
أَأَشْكُرُ أَمْ يَكْفُرُ وَهُوَ خَبَرٌ لِلْمُبْتَدَإِ الَّذِي هُوَ الْإِنْسَانُ وَالْفَاءُ فِي مَا فِي حَيِّزِهَا إِمَّا مِنْ مَعْنَى الشَّرْطِ
وَالظَّرْفُ الْمُتَوَسِّطُ عَلَى نِيَّةِ التَّأْخِيرِ كَأَنَّهُ قِيلَ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ وَقْتَ
ابْتِلَائِهِ بِالْإِنْعَامِ وَإِنَّمَا تَقَدَّمَ لِلْإِيذَانِ مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ بِأَنَّ الْإِكْرَامَ وَالتَّنْعِيمَ بِطَرِيقِ الِابْتِلَاءِ
لِيَتَّضِحَ اخْتِلَالُ قَوْلِهِ الْمَحْكِيِّ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ أَيْ وَأَمَّا هُوَ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ
رِزْقَهُ حَسْبَمَا يَقْتَضِيهِ الْمَشِيئَةُ الْمَبْنِيَّةُ عَلَى الْحِكَمِ الْبَالِغَةِ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ وَلَا يَخْطُرُ بِبَالِهِ
لِيَبْلُوَهُ أَيَصْبِرُ أَمْ يَجْزَعُ مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْإِهَانَةِ فِي شَيْءٍ بَلِ التَّقْدِيرُ قَدْ يُؤَدِّي إِلَى كَرَامَةِ الدَّارَيْنِ وَالتَّوْسِعَةُ
قَدْ تُفْضِي إِلَى خِسْرَانِهِمَا وَقُرِئَ قَدَرَ بِالتَّشْدِيدِ وَقُرِئَ أَكْرَمَنِ وَأَهَانَنِ بِإِثْبَاتِ الْيَاءِ وَأَكْرَمَنِ وَأَهَانَنِ
بِسُكُونِ النُّونِ فِي الْوَقْفِ كَلَّا رَدْعٌ لِلْإِنْسَانِ عَنْ مَقَالَتِهِ الْمَحْكِيَّةِ وَتَكْذِيبٌ لَهُ فِيهَا فِي كِلْتَا الْحَالَتَيْنِ قَالَ ابْنُ

ابن عباس المعنى لم ابتله بالغنى لكرامته علي ولم ابتله بالفقر لهوانه علي بل ذلك لمحض القضاء والقدر
وحمل الردع والتكذيب على قوله الآخر بعيد وقوله تعالى بل لا تكرمون اليتيم انتقال من بيان سوء اقواله
الى بيان سوء افعاله والالتفات الى الخطاب للايذان باقتضاء ملاحظة جنايته السابقة لمشافهته
بالتوبيخ تشديد التوبيخ وتأكيدا الى التشنيع والجمع باعتبار معنى الانسان اذ المراد هو الجنس اي
بل لكم احوال اشد شرا مما ذكر وادل على تهالكم على المال حيث يكرمكم الله تعالى بكثرة المال فلا تودون
ما يلزمكم فيه من اكرام اليتيم بالمبرة به وقرئ لا يكرمون ولا تحاضون بحذف احدى التائين من تتحاضون
اي لا يحض بعضكم بعضا على طعام المسكين اي على اطعامه وقرئ تحاضون من المحاضة وقرئ يحاضون
بالياء والتاء وتأكلون التراث اي الميراث واصله وارث اكلا لما اي ذا لم اي جمع بين الحرام
والحلال فانهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون انصباءهم او يأكلون ما جمعه المورث
من حلال وحرام غالبين بذلك وتحبون المال حبا جما كثيرا مع حرص وشره وقرئ ويحبون بالياء كلا
ردع لهم عن ذلك وقوله تعالى إذا دكت الأرض دكا دكا الخ استئناف جئ به بطريق الوعيد تعليلا للارتداع
اي اذا دكت الارض دكا متتابعا حتى انكسر وذهب كل ما على وجهها من جبال وابنية وقصور حتى
زلزلت وصارت هباء منبثا وقيل الدك حط المرتفع بالبسط والتسوية فالمعنى اذا سويت
تسوية بعد تسوية ولم يبق على وجهها شئ حتى صارت كالصخرة الملساء وايا ما كان فهو عبارة عما عرض
لها عند النفخة الثانية وجاء ربك اي ظهر ايات قدرته وآثار قهره مثل ذلك مما يظهر عند حضور السلطان
من احكام هيبة وسياسة وقيل جاء امره وقضاؤه على حذف المضاف للتهويل والملك صفا صفا
اي مصطفين او ذوي صفوف فانه تنزل يومئذ ملئكة كل سماء فيصطفون صفا اي مصطفين بعد صف
بحسب منازلهم ومراتبهم محدقين بالجن والانس وجئ يومئذ بجهنم كقوله تعالى وبرزت الجحيم قال
ابن مسعود ومقاتل تقاد جهنم بسبعين الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها
حتى تنصب عن يسار العرش لها تغيظ وزفير وقد رواه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود مرفوعا
يومئذ بدل من اذا دكت والعامل فيهما قوله تعالى يتذكر الانسان اي يتذكر ما فرط فيه
تفاصيله بمشاهدة آثاره واحكامها وبمعاينة عينه على ان الاعمال تتجسم في النشأة الآخرة
فيرى كل من الحسنات والسيئات بإزائها سببها من الصور الحسنة والقبيحة او يتعظ وقوله تعالى
وأنى له الذكرى اعتراض جئ به لتحقيق انه ليس يتذكر حقيقة لعراقته عن الحدوي بعدم وفوحه
في اوانه وانى خبر مقدم والذكرى مبتدأ وله متعلق بما تعلق به الخبر اي ومن اين يكون له
الذكرى وقد فات اوانها وقيل وقيل هناك مضاف محذوف اي وانى له منفعة الذكرى
والاستدلال به على عدم وجوب قبول التوبة في دار التكليف مما لا وجه له على ان تذكره ليس من
التوبة في شئ فانه عالم بانها انما تكون في الدنيا كما يعرب عنه قوله تعالى يقول يا ليتني قدمت لحياتي
وهو بدل اشتمال من يتذكر او استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ منه كأنه قيل ماذا يقول
عند تذكره فقيل يقول يا ليتني عملت لاجل حياتي هذه او وقت حياتي في الدنيا اعمالا صالحة انتفع
بها اليوم وليس في هذا التمني شائبة دلالة على استقلال العبد بفعله وانما الذي يدل عليه ذلك اعتقاد

يحاضون

كونه متمكنا من تقديم الاعمال الصالحة واما ان ذلك بمحض قدرته او بخلق الله تعالى عند صرف قدرته
الكاسبة اليه فكلا واما ما قيل من ان المحجور قد يتمنى ان كان ممكنا منه فربما يوهم ان من صرف
قدرته الى احدى طرفي الفعل يعتقد انه محجور من الطرف الآخر وليس كذلك بل كل احد جازم بانه
لو صرف قدرته الى اي طرف كان من افعاله الاختيارية لحصل وعلى هذا يدور فلك التكليف والزام
الحجة فيومئذ اي يوم اذ يكون ما ذكر من الاحوال والاقوال لا يعذب عذابه احد ولا يوثق
وثاقه احد الها لله تعالى اي لا يتولى عذاب الله تعالى ووثاقه احد سواه اذ الامر كله له او للانسان
اي لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقرئ الفعلان على البناء للمفعول والضمير للانسان
ايضا وقيل المراد به ابي بن خلف اي لا يعذب احد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والاغلال
مثل وثاقه لتناهيه في الكفر والعناد وقيل لا يحمل عذاب الانسان احد كقوله تعالى ولا تزر وازرة
وزر اخرى وقوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة حكاية لاحوال من اطمأن بذكر الله عز وجل وطاعته
اثر حكاية احوال من اطمأن بالدنيا وصفت بالاطمئنان لانها تترقى في معارج الاسباب والمسببات
الى المبدأ المؤثر بالذات فتستقر دون معرفته وتستغني به في وجودها وساير شؤونها عن غيرها
بالكلية وقيل هي النفس المؤمنة المطمئنة الى الحق الواصلة الى ثلج اليقين بحيث لا يخالجها
شك ما وقيل هي الامنة المطمئنة اي يقول الله تعالى ذلك بالذات كما كلم موسى عليه السلام او على لسان
الملك عند تمام حساب الناس وهو الاظهر وقيل عند البعث وقيل عند الموت ارجعي الى ربك
اي الى موعده او الى امره راضية بما اوتيت من النعيم المقيم مرضية عند الله عز وجل فادخلي في عبادي
في زمرة عبادي الصالحين المختصين بي وادخلي جنتي معهم او انتظمي في سلك المقربين واستضيئي
بانوارهم فان الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة وقيل المراد بالنفس الروح والمعنى فادخلي
اجساد عبادي التي فارقت عنها وادخلي دار ثوابي وهذا يؤيد كون الخطاب عند البعث وقرئ فادخلي
في عبادي وقرئ في جسد عبدي وقيل نزلت في حمزة ابن عبد المطلب وقيل في حبيب بن عبدي رضي الله عنهما والظاهر العموم
عن النبي عم من قرأ سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قرأها في ساير الايام كانت له نورا يوم القيمة

لا اقسم بهذا البلد اقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما عطف عليه على ان الانسان خلق ممنوا بمقاساة
الشدايد ومعاناة المشاق واعترض بين القسم وجوابه بقوله تعالى وانت حل بهذا البلد اما
لتشريفه صلى الله عليه وسلم بجعل حلوله به مناطا لاعظامه بالاقسام او للتنبيه من اول الامر على تحقق
مضمون الجواب بذكر بعض مواد المكابدة على نهج براعة الاستهلال وبيان انه عليه السلام مع جلالة قدره
وعظم حرمته قد استحلوه في هذا البلد الحرام وتعرضوا له بما لا خير فيه وهموا بما نالوا عن شر جميل يحرمون
ان يقتلوا بها صيدا او يعضدوا بها شجرة ويستحلون اخراجك وقتلك او تسليته عليه السلام بالوعد
بالوعد بفتحه على معنى وانت حل به في المستقبل كما في قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون تضع فيه ما تريد
من القتل والاسر وقد كان كذلك حيث احل له عليه السلام مكة وفتحها عليه وما فتحت على احد قبله ولا احلت له فاحل

عليه السلام فيها ما شاء وحرم ما شاء قتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما
وحرم دار ابي سفيان ثم قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى ان تقوم
الساعة لم تحل لاحد قبلي ولن تحل لاحد بعدي ولم تحل لي الا الساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى
خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لقيوننا
وقبورنا وبيوتنا فقال عليه السلام الا الاذخر ووالد عطف على هذا البلد والمراد به ابرهيم وقوله تعالى
وما ولد اسمعيل والنبي صلوات الله تعالى عليهم حسبما ينبئ عنه المعطوف عليه فانه حرم ابرهيم ومنشأ
اسمعيل ومسقط راس رسول الله عليهم السلام والتعبير عنهما بما دون من للتفخيم والتعظيم كتنكير والد وايرادهم
بعنوان الولاد ترشيح لمضمون الجواب وايماء الى انه متحقق في حالتي الوالدية والولدية وقيل آدم
عليه السلام ونسله وهو انسب لمضمون الجواب من حيث شموله للكل الا ان التفخيم المستفاد من كلمة
ما لا بد فيه من اعتبار التغليب وقيل كل والد وولده لقد خلقنا الانسان في كبد اي تعب ومشقة
فانه لا يزال يقاسي فنون الشدايد من وقت نفخ الروح الى حين نزعها وما رواه يقال كبد الرجل
كبدا اذا وجعت كبده واصل كبده اذا اصاب كبده ثم اتسع فيه حتى استعمل في كل نصب ومشقة
ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبده بمعنى اهلكه وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان
يكابده من كفار قريش قريش والضمير في قوله تعالى ايحسب لبعضهم الذي كان عليه السلام يكاد منهم ما يكابد
كالوليد بن المغيرة واضرابه وقيل هو الاسد بن كلدة الجمحي وكان شديد القوة مغترا بقوته وكان
يبسط له الاديم العكاظي فيقوم عليه ويقول من ازالني عنه فله كذا فيجذبه عشرة فيتقطع قطعا ولا تزل
قدماه اي ايظن هذا القوي المارد المتضعف للمؤمنين ان لن يقدر عليه احد ان مخففة من ان واسمها
الذي هو ضمير الشان محذوف اي ايحسب انه لن يقدر على الانتقام منه احد يقول اهلكت مالا لبدا
يريد كثرة ما انفقه فيما اكل اهل الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالي ومفاخر ايحسب ان لم يره احد
حين كان ينفق وانه تعالى لا يسأل عنه ولا يجازيه عليه الم نجعل له عينين يبصر بهما ولسانا يترجم به عن
ضمايره وشفتين يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب وغيرها وهديناه النجدين
اي طريقي الخير والشر او الثديين واصل النجد المكان المرتفع فلا اقتحم العقبة اي فلم يشكر تلك
النعم الجليلة بالاعمال الصالحة وعبر عنها بالعقبة التي هي الطريق في الجبل لصعوبة سلوكها وقوله تعالى
وما ادراك ما العقبة اي اي شيء اعلمك ما اقتحام العقبة لزيادة تقريرها وكونها عند الله تعالى
بمكانة رفيعة فك رقبة اي هو اعتاق رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة اي مجاعة يتيما ذا مقربة
اي قرابة او مسكينا ذا متربة اي افتقار وحيث كان المراد باقتحام العقبة هذه الامور حسن
دخول لا على الماضي فانها لا تكاد تقع الا مكررة اذ المعنى فلا فك رقبة ولا اطعم يتيما او مسكينا والمسغبة
والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب من النسب وترب اذا افتقر وقرئ فك رقبة
او اطعم على الابدال من اقتحم ثم كان من الذين آمنوا عطف على المنفي بلا وثم للدلالة على تراخي رتبة
الايمان ورفعة محله لاشتراط جميع الاعمال الصالحة به وتواصوا بالصبر عطف على آمنوا اي اوصى
بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله تعالى وتواصوا بالمرحمة بالرحمة على عباده او بموجبات رحمته من الخيرات

اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز صلته وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار اليه للايذان ببعد درجتهم فى الشرف والفضل اى اولئك الموصوفون بالنعوت الجليلة المذكورة اصحاب الميمنة اى اليمن او اليمن والذين كفروا بآياتنا بما نصبناه دليلا على الحق من كتاب وحجة او بالقرآن هم اصحاب المشئمة اى الشمال او الشوم عليهم نار مؤصدة مطبقة من اصدت الباب اذا اطبقته واغلقته. وقرئ موصدة بغير همزة من اوصدته عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله تعالى الامان من عقبة يوم القيمة

والشمس وضحاها اى ضوءها اذا اشرقت وقام سلطانها وقيل الضوء ارتفاع النهار وهو الضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكاد ينتصف والقمر اذا تلاها بان طلع بعد غروبها وقيل اذا تلا طلوعه طلوعها وقيل اذا تلاها فى الاستدارة وكمال النور والنهار اذا جلاها اى جلا الشمس فانها تتجلى عند انبساط النهار كانه جلاها مع انها التى تبسط او جلا الظلمة او الدنيا او الارض وان لم يجر لها ذكر للعلم بها والليل اذا يغشاها اى الشمس فيغطى ضوءها او الافاق او الارض وحيث كانت الواوات العاطفة نوائب للواو الاولى القسمية القائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما معانى فوكلك اقسم بالله حقق ان يعلق عمل الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكرا خالدا والسماء وما بناها اى ومن بناها واثار ما على من لارادة الوصفية تفخيما كانه قيل والقادر العظيم الشان الذى بناها وجعلها مصدرية محل بالنظم الكريم وكذا الكلام فى قوله تعالى والارض وما طحاها اى بسطها من كل جانب كدحاها ونفس وما سواها اى انشاها وابدعها مستعدة لكمالاتها والتنكير للتفخيم على ان المراد نفس آدم عليه السلم او للتكثير وهو الانسب للجواب فالهمها فجورها وتقواها اى افهمها اياهما وعرفها حالهما من الحسن والقبح وما يؤدى اليه كل منهما ومكنها من اختيار ايتهما شاءت وتقديم الفجور لمراعاة الفواصل قد افلح من زكاها اى فاز كل مطلوب ونجى من كل مكروه من انماها واعلاها بالتقوى وهو جواب القسم وحذف اللام لطول الكلام وتكريرها فى قوله تعالى وقد خاب من دساها لابراز الاعتناء بتحقيق مضمونه والايذان بتعلق القسم به ايضا اصالة اى خسر من نقصها واخفاها بالفجور واصل دسى دسس كتقضى وتقضض وقيل هو كلام تابع لقوله تعالى فالهمها فجورها وتقواها بطريق الاستطراد وانما الجواب ما خذ تعويلا على دلالة قوله تعالى كذبت ثمود بطغواها عليه كانه قيل ليدمدمن الله تعالى على كفار مكة كما دمدم على ثمود لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قدم على دساها والطغوى بالفتح الطغيان والباء للسببية اى فعلت التكذيب بسبب طغيانها كما طغى بجرأة على الله تعالى او صلة للتكذيب اى كذبت بما اوعدت به من العذاب فى الطغوى كقوله تعالى فاهلكوا بالطاغية وقرئ بطغواها بضم الطاء اى حين قام اشقى ثمود وهو قدار ابن سالف او هو ومن تصدى معه لعقر الناقة من الاشقياء فان افعل التفضيل اذا اضيف يصلح

وهو ايضا مصدر كالرجعى اذ ابلغت اشقاها منصوب بكذبت او بالطغوى صح

للفواصل. روى ان الوحى تاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اياما فقال الكفار اودع محمدا ربه وقلاه فنزلت ردا عليهم وتبشيرا له عليه السلم بالكرامة الحاصلة والمترقبة كما يشعر به ايراد اسم الرب المبنى عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه السلم وحيث تضمن ما سبق من نفى التوديع والقلا انه تعالى يواصله بالوحى والكرامة فى الدنيا بشره عليه السلم بان ما سنوتيه فى الاخرة اجل واعظم من ذلك فقيل وللاخرة خير لك من الاولى لما انها باقية صافية من الشوايب على الاطلاق وهذه فانية مشوبة بالمضار وما اوتى عليه السلم من شرف النبوة وان كان مما لا يعادله شرف ولا يدانيه فضل لكنه لا يخلو فى الدنيا من بعض العوارض القادحة فى تمشية الاحكام مع انه عند ما عد له عليه السلم فى الاخرة من السبق والتقدم على كافة الانبياء والرسل يوم الجمع يوم يقوم الناس لرب العالمين وكون امته شهداء على سائر الامم ورفع درجات المؤمنين واعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من الكرامات السنية التى لا يحيط بها العبارة بمنزلة بعض المبادى بالنسبة الى المطالب وقيل المراد بالاخرة عاقبة امره عليه السلم اى لنهايته امره خير من بدايته لا يزال يترايد قوة ويتصاعد رفعة وقوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى عدة كريمة شاملة لما اعطاه الله تعالى فى الدنيا من كمال النفس وعلوم الاولين والاخرين وظهور الامر واعلاء الدين بالفتوح الواقعة فى عصره عليه السلم وفى ايام خلفائه الراشدين وغيرهم من الملوك الاسلامية وفشو الدعوة فى مشارق الارض ومغاربها ولما ادخر له من الكرامات التى لا يعلمها الا الله عز وجل وقد انبأ ابن عباس عن شمة منها حيث قال له عليه السلم فى الجنة الف قصر من لؤلؤ ابيض ترابه المسك فى اللام للابتداء دخلت الجملة الخبرية تاكيد مضمون الجملة والمبتدا محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك الخ لا للقسم لانها لا تدخل على المضارع الا مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على ان الاعطاء كائن لا محالة وان ترخى لحكمة وقيل هى للقسم وقاعدة التلازم بينها وبين نون التاكيد قد استثنى النحاة منها صورتين احداهما ان يفصل بينها وبين الفعل بحرف التنفيس كهذه الآية وكقوله والله لسوف اعطيك والثانية ان يفصل بينها بعوض الفعل كقوله تعالى الا الى الله تحشرون وقد قال ابو على الفارسى ليست هذه اللام هى التى فى قولك ان زيدا القائم بل هى التى فى قولك لقومة ونابت سوف عن احدى نونى التاكيد فكانه قيل وليعطينك وكذلك اللام فى قوله تعالى وللاخرة الخ وقوله تعالى الم يجدك يتيما فاوى تعديد لما افاض عليه عليه السلم من اول امره الى ذلك الوقت من فنون النعماء العظام ليستشهد بالحاضر الموجود على المترقب الموعود فيطمئن قلبه وينشرح صدره والهمزة للانكار النفى وتقرير المنفى على ابلغ وجه كانه قيل قد وجدك الخ والوجود بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثانى وقيل بمعنى المصادفة ويتيما حال من مفعوله روى ان اباه مات وهو جنين قد اتت عليه ستة اشهر وماتت امه وهو ابن ثمان سنين وكفله عمه ابو طالب وعطفه الله تعالى عليه فاحسن تربيته وذلك ايواؤه وقرئ فاوى وهو اما من آواه بمعنى آواه او من اوى له اذا رحمه وقوله تعالى ووجدك ضالا عطف على ما يقتضيه

الانكار السابق كما اشير اليه او الى المضارع المنفي بلم داخل في حكمه كانه قيل اما وجدك يتيما فاوى وجدك
غافلا عن الشرايع التي لا يهتدي اليها العقول كما في قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب وقيل ضل
في صباه في بعض شعاب مكة فرده ابو جهل الى عبد المطلب وقيل ضل مرة اخرى وطلبوه فلم يجدوه
فطاف عبد المطلب بالكعبة سبعا وتضرع الى الله تعالى فسمعوا مناديا ينادي من السماء يا معشر الناس
لا تضجوا فان لمحمد ربا لا يخذله ولا يضيعه وان محمدا بوادي تهامة عند شجر السمر فسار عبد المطلب
وورقة بن نوفل فاذا النبي عليه السلم قايم تحت شجرة يلعب بالاغصان والاوراق وقيل
اضلته مرضعته حليمة عند باب مكة حين فطمته وجاءت به لترده على عبد المطلب وقيل ضل في بلاد
الشام حين خرج به ابو طالب يروى ان ابليس اخذ بزمام ناقته في ليلة ظلماء فعدل به عن الطريق
فجاء جبريل عليه السلم فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى ارض الهند ورده الى القافلة فهدى فهداك
الى مناهج الشرايع المنطوية في تضاعيف ما اوحى اليك من الكتاب المبين وعلمك ما لم تكن تعلم
او ازال ضلالك عن جدك وعمك ووجدك عائلا اي فقيرا وقرئ عيلا وقرئ عديما فاغنى فاغناك
بمال خديجة او بما حصل لك من ربح التجارة او بما افاء عليك من الغنايم قال عليه السلم جعل رزقي تحت
ظل رمحي وقيل قنعك واغنى قلبك فاما اليتيم فلا تقهر فلا تغلبه على ماله وقال مجاهد لا تحتقر وقرئ
فلا تكهر اي فلا تعبس في وجهه واما السائل فلا تنهر فلا تزجر ولا تغلظ له القول بل رده ردا جميلا
قال ابرهيم بن ادهم نعم القول السؤال يحملون زادنا الى الآخرة وقال ابرهيم النخعي السايل يريد الآخرة
يجيء الى باب احدكم فيقول اتبعثون الى اهليكم بشيء وقيل المراد بالسائل ههنا الذي يسال عن الدين
واما بنعمة ربك فحدث بشكرها واشاعتها واظهار آثارها واحكامها اريد بها ما افاضه الله
تعالى عليه عليه السلم من فنون النعم التي من جملتها النعم المعدودة الموجودة والموعودة والمعنى انك كنت
يتيما وضالا وعائلا فاواك الله وهداك واغناك فمهما يكون من شيء فلا تنس حقوق نعمة الله تعالى
عليك في هذه الثلث واقتد بالله تعالى واحسن كما احسن الله اليك فتعطف على اليتيم فآوه وترحم
على السايل وتفقده بمعروفك ولا تزجره عن بابك وحدث بنعمة الله كلها وحيث كان معظمها نعمة
النبوة فقد اندرج تحت الامر من هدايته عليه السلم للضلال وتعليمه للشرايع والاحكام حسبما هداه الله تع وعلمه من الكتاب
والحكمة عن النبي عم من قرأ سورة والضحى جعله الله فيمن يرضى لمحمد ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله بعدد كل سائل ويتيم

الم نشرح لك صدرك لما كان الصدر محلا لاحوال النفس ومخزنا لسرايرها من العلوم والادراكات
والملكات والارادات وغيرها عبر بشرحه عن توسيع دايرة تصرفاتها بتاييدها بالقوة القدسية
وتحليتها بالكمالات الانسية اي الم نفسحه حتى حوى عالمي الغيب والشهادة وجمع بين ملكتي الاستفادة
والافادة فما صدك الملابسة بالعلايق الجسمانية عن اقتباس انوار الملكات الروحانية وما عاقك التعلق
بمصالح الخلق عن الاستغراق في شؤون الحق وقيل اريد به ما روي ان جبريل اتى رسول الله صلعم
في صباه او يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه ايمانا وعلما ولعله تمثيل لما ذكر او انموذج جثماني

مما سيظهر له عليه السلم من الكمال الروحاني والتعبير عن ثبوت الشرح بالاستفهام الانكاري عن انتفائه
للايذان بان ثبوته من الظهور بحيث لا يقدر احد على ان يجيب عنه بغير بلى وزيادة الجار والمجرور مع
توسيطه بين الفعل ومفعوله للايذان من اول الامر بان الشرح من منافعه عليه السلم ومصالحه مسارعة
الى ادخال المسرة في قلبه عليه السلم وتشويقا الى ما يعقبه ليتمكن عنده وقت وروده فضل تمكن وقوله تعالى
ووضعنا عنك وزرك عطف على ما اشير اليه من مدلول الجملة السابقة كانه قيل قد شرحنا صدرك
ووضعنا الخ وعنك متعلق بوضعنا وتقديمه على المفعول الصريح مع ان حقه التاخر عنه لما مر آنفا من القصد
الى تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر ولما ان في وصفه نوع طول فتاخير الجار والمجرور عنه مخل بتجاوب
اطراف النظم اي حططنا عنك عباك الثقيل الذي انقض ظهرك اي حمله على النقيض وهو صوت
الانتقاض والانفكاك كما يسمع من الرجل المتداعي الى الانتقاض من ثقل الحمل مثل به حاله عليه السلم
مما كان يثقل عليه ويغمه من فرطاته قبل النبوة او من عدم احاطته بتفاصيل الاحكام والشرايع او من
تهالكه على اسلام المعاندين من قومه وتلهفه ووضعه عنه مغفرته وتعليم الشرايع او تمهيد عذره بعد ان
بلغ وبالغ وقرئ وحططنا وحللنا مكان وضعنا وقرئ وحللنا عنك وقرك ورفعنا لك ذكرك
بعنوان النبوة واحكامها اي رفع حيث قرن اسمه باسم الله تعالى في كلمة الشهادة والاذان والاقامة
وجعل طاعته طاعته تعالى وصلى عليه هو وملائكته وامر المؤمنين بالصلوة عليه وسمى رسول الله ونبي الله
والكلام في العطف وزيادة لك كالذي سلف وقوله تعالى فان مع العسر يسرا تقرير لما قبله ووعد
كريم بتيسير كل عسير عليه السلم وللمؤمنين كانه قيل خولناك ما خولناك من جلايل النعم فكن على ثقة بفضل
الله تعالى ولطفه فان مع العسر يسرا كثيرا وفي كلمة مع اشعار بغاية سرعة مجيء اليسر كانه مقارن للعسر ان مع
العسر يسرا تكرير للتاكيد او عدة مستانفة بان العسر مشفوع بيسر آخره كثواب الآخرة كقولك
ان للصايم فرحة ان للصايم فرحة اي فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله عليه السلم
لن يغلب عسر يسرين فان المعرف اذا اعيد يكون الثاني عين الاول سواء كان معهودا او جنسا واما
المنكر فيحتمل ان يراد بالثاني فرد مغاير لما اريد بالاول فاذا فرغت اي من التبليغ وقيل من الغزو
فانصب فاجتهد في العبادة واتعب شكرا لما اوليناك من النعم السالفة ووعدناك من الآلاء
الآنفة وقيل فاذا فرغت من صلاتك فاجتهد في الدعاء وقيل اذا فرغت من دنياك فانصب
في صلوتك والى ربك وحده فارغب بالسؤال ولا تسأل غيره فانه القادر على اسعافه لا غيره وقرئ
فرغب اي فرغب الناس الى طلب ما عنده عن النبي عم من قرأ سورة الم نشرح لك فكانما جاءني وانا مغتم ففرج عني

والتين والزيتون هما هذا التين وهذا الزيتون خصهما الله سبحانه من بين الثمار بالاقسام
بهما لاختصاصهما بخواص جليلة فان التين فاكهة طيبة لا فضل له وغذاء لطيف سريع الهضم
ودواء كثير النفع يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما في المثانة من الرمل
ويسمن البدن ويفتح سدد الكبد والطحال وروى ابو ذر رض انه اهدى للنبي عليه السلم

سئل من بتين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت
هذا لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وعن علي
موسى الرضى التين يزيل كهة الغم ويطول الشعر وهو امان من الفالج واما الزيتون فهو
فاكهة واد ام ودواء ولو لم يكن له سوى اختصاصه بدهن كثير المنافع مع حصوله في بقاع
لا دهينة فيها لكفى به فضلا وشجرته هي الشجرة المباركة المشهود لها في التنزيل ومر معاذ
ابن جبل رضي الله عنه بشجرة الزيتون فاخذ منها قضيبا واستاك به وقال سمعت
النبي عليه اللام يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب
بالحفرة وسمعته يقول هو سواكي وسواك الانبياء قبلي وقيل هما جبلان من الارض
المقدسة يقال لهما بالسريانية طورسينا وطورزيتا لانهما منبتا التين والزيتون
وقيل التين جبال مابين حلوان وهمذان والزيتون جبال الشام لانهما منابتهما
كانه قيل ومنابت التين والزيتون وقال قتادة التين الجبل الذي عليه دمشق و
الزيتون الذي عليه بيت المقدس وقال عكرمة وابن زيد التين دمشق والزيتون
بيت المقدس وهو اختيار الطبري وقال محمد بن كعب التين مسجد اصحاب الكهف
والزيتون مسجد ايليا وعن ابن عباس التين مسجد نوح عليه اللام الذي بناه على الجودي
والزيتون مسجد بيت المقدس وقال الضحاك التين مسجد اكرام الزيتون المسجد الاقصا
والصحيح هو الاول قال ابن عباس هو بيتكم الذي تاكلون وزيتونكم الذي تعصرون منه
الزيت وبه قال مجاهد وعكرمة وابرهيم النخعي وعطا وجابر بن زيد ومقاتل والكلبي وطور
سنين هو الجبل الذي ناجى عليه موسى ربه وسينين وسينا علمان للموضع الذي هو فيه
وكذلك اضيف اليهما وسينون يكسرون في جواز الاعراب بالواو والياء والاقرار على
على الياء وتحريك النون بالحركات الاعرابية وهذا البلد الامين اي الامن من امن
الرجل امانة فهو امين وهو مكة شرفها الله تعالى وامانتها ان تحفظ من دخلها كما يحفظ الامن
ما يؤتمن عليه ويجوز ان يكون فعيلا بمعنى مفعول من امنه لانه الغوائل كما وصف بالامن
في قوله تعالى حرما امنا بمعنى ذي امن ووجه الاقسام بها تلك البقاع المباركة
المشحونة ببركات الدنيا والدين غنى عن الشرح والتبيين لقد خلقنا الانسان اي
جنس الانسان في احسن تقويم اي كائنا في الحسن ما يكون من التقويم والتعديل صورة
ومعنى حيث براه الله تعالى مستوى القامة متناسب الاعضاء متصفا بالحيوة
والعلم والقدرة والارادة والتكلم والسمع والبصر وغير ذلك من الصفات التي هي
النمودجات من الصفات السبحانية وآثارها وقد عبر بعض العلماء عن ذلك
بقوله خلق ادم على صورته وفي رواية على صورة الرحمن وبني عليه تحقيق معنى قوله من عرف
نفسه فقد عرف ربه وقال ان النفس الانسانية مجردة ليست حالة في البدن ولا خارجة
عنه متعلقة به تعلق التدبير والتصرف يستعمله كيف ما شاءت فاذا ارادت فعلا من

من الافاعيل الجسمانية يلقيه الى ما في القلوب من الروح الحيواني الذي هو اعدل الارواح واصفاها واقربها
منها واتاها مناسبة الى عالم المجردات القار روحانيا وهو يلقيه بواسطة ما في الشرايين من الارواح
الى الدماغ الذي هو منبت الاعصاب التي فيها القوى المحركة للانسان فعند ذلك يتحرك من الاعضاء ما
يليق بذلك الفعل من مبادية البعيدة والقريبة فيصدر ذلك بهذه الطريقة ممن عرف نفسه على هذه الكيفية
من صفاتها وافعالها تسنى له ان يترقى الى معارج معرفة رب العزة عز سلطانه ويطلع على انه سبحانه
منزه عن كونه داخلا في العالم او خارجا منه يفعل فيه ما يشاء ويحكم ما يريد بواسطة ما ربته فيه من
الملئكة الذين يستدل على شؤونهم بما ذكر من الارواح والقوى المترتبة في عالم الانسان الذي هو
نسخة للعالم الاكبر والموذج منه وقوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين اي جعلناه من اهل النار الذين
هم اقبح من كل قبيح واسفل من كل سافل لعدم جريانه على موجب ما خلقناه عليه من الصفات التي
لو عمل بمقتضاها كان في اعلا عليين وقيل رددناه الى ارذل العمر وهو الهرم بعد الشباب والضعف
بعد القوة كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق وايا ما كان فاسفل سافلين اما حال من المفعول اي
رددناه مكانا اسفل سافلين والاول اظهر وقرئ اسفل السافلين وقوله تعالى الا الذين امنوا
وعملوا الصالحات على الاول استثناء متصل من ضمير رددناه فانه في معنى الجمع وعلى الثاني منقطع
اي لكن الذين كانوا صالحين من الهرمى فلهم اجر غير ممنون غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء
الله بالشيخوخة والهرم وعلى مقاسات المشاق والقيام بالعبادة على تحاذل نهوضهم او غير
ممنون به عليهم وهذه الجملة على الاول مقررة لما يفيده الاستثناء من خروج المؤمنين عن حكم الرد وبنية
كيفية حالهم والخطاب في قوله تعالى فما يكذبك بعد بالدين للرسول عليه اللام اي فاي شئ يكذبك دلالة او
نطقا بالجزاء بعد ظهور هذه الدلايل الناطقة به وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للانسان على طريقة
الالتفات لتشديد التوبيخ والتبكيت اي فما يجعلك كاذبا بسبب الدين والاكار به بعد هذا الدليل
والمعنى ان خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتحويله من حال الى حال كاملا ونقصانا من اوضح
الدلايل على قدرة الله عز وجل على البعث والجزاء فاي شئ يفركك بعد هذا الدليل القاطع الى ان تكون
كاذبا بسبب تكذيبه ايها الانسان اليس الله باحكم الحاكمين اي ليس الذي فعل ما فعل ذكر باحكم
الحاكمين صنعا وتدبيرا حتى يتوهم عدم الاعادة والجزاء وحيث استحال عدم كونه احكم الحاكمين يعين
الاعادة والجزاء فالجملة تقرير لما قبله وقيل الحكم بمعنى القضاء وعيد للكفار وانه يحكم عليهم بما يستحقونه
من العذاب عن النبي عليه اللام انه كان اذا قرأ بلى وانا على ذلك من الشاهدين وعنه ع من قرأ سورة والتين اعطاه الله
الخصلتين العافية واليقين ما دام في دار الدنيا واذا مات اعطاه الله من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة

اقرأ اي ما يوحى اليك فان الامر بالقراءة يقتضي المقروء قطعا وحيث لم يعين وجب ان يكون ذلك ما
يتصل بالامر حتما سواء كانت السورة اول ما نزل اولا والاقرب ان هذا الى قوله تعالى ما لم يعلم اول ما
نزل عليه عليه اللام كما ينطق به حديث الزهري المشهور وقوله تعالى باسم ربك متعلق بمضمر هو حال من ضمير

الفاعل اى اقرأ ملتبسًا باسمه تعالى اى مبتدئا به لتحقق مقارنته لجميع الاجزاء المقروءة والتعرض بعنوان الربوبية
المنشئة عن التربية والتبليغ الى الكمال اللائق شيأ فشيأ مع الاضافة الى ضميره عليه الكم للاشعار بتبليغه
عليه الكم الى الغاية القاصية من الكمالات البشرية بانزال الوحى المتواتر ووصف الرب بقوله تعالى الذى خلق
لتذكير اول النعماء الغايضة عليه منه تعالى والتنبيه على من قدر على خلق الانسان على ما هو عليه من الحيوة وما يتبعها
من الكمالات العلمية والعملية من مادة لم تشم رائحة الحق فضلا عن سائر الكمالات قادر على تعليم القراءة الا
العالم المتكلم اى الذى انشأ الحق واستأثر به او خلق كل شئ وقوله تعالى خلق الانسان على الاول تخصيص الخلق
الانسان بالذكر من بين سائر المخلوقات لاستقلاله ببدايع الصنع والتدبير وعلى الثانى افراد الانسان من
بين سائر المخلوقات بالبيان وتفخيم لشانه اذ هو اشرف فهم واليه التنزل وهو المامور بالقراءة ويجوز ان يراد
بالاول ايضا خلق الانسان ويقصد تجريده عن المفعول الابهام ثم التفسير روما لتفخيم فطرته وقوله تعالى
من علق اى دم جامد لبيان كمال قدرته تعالى باظهار ما بين حالته الاولى والاخرة من التباين البين وايراده
بلفظ الجمع بناء على الانسان فى معنى الجمع لمراعاة الفواصل ولعله هو السر فى تخصيصه بالذكر من بين سائر الاطوار
الغرة الانسانية مع كون النطفة والتراب ادل منه على كمال القدرة لكونها ابعد منه بالنسبة الى الانسانية ولما كان
خلق الانسان اول النعم الغايضة عليه منه تعالى واقدم الدلايل الدالة على وجوده عز وجل وكمال قدرته وعلمه و
حكمته وصف ذاته تعالى بذلك اولا ليستشهد عليه الكم به على تمكينه تعالى له من القراءة ثم كرر الامر بقوله تعالى اقرأ
اى افعل ما امرت به تاكيدا للايجاب وتمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى وربك الاكرم الخ فانه
كلام مستانف وارد لازاحة ما بنيته عليه الكم من العذر بقوله ما انا بقارئ يريد ان القراءة
شان من يكتب ويقرأ وانا امى فقيل له وربك الذى امرك بالقراءة مبتدئا باسمه هو الاكرم
الذى علم بالقلم اى علم ما علم بواسطة القلم لغيره فكما علم القارئ بواسطة الكتابة والقلم
يعلمك بدونها وقوله تعالى علم الانسان ما لم يعلم بدل اشتمال من علم بالقلم اى علمه به وبدونه
من الامور الكلية والجزئية والجلية والخفية ما لم يخطر بباله وفى حذف المفعول اولا وايراده بعنوان
عدم المعلومية ثانيا من الدلالة على كمال قدرته تعالى وكمال كرمه والاشعار بانه تعالى يعلمه من
العلوم ما لا يحيط به العقول ما لا يخفى كلا ردع لمن كفر بنعمة الله تعالى بطغيانه وان لم يسبق
ذكره للمبالغة فى الزجر وقوله تعالى ان الانسان ليطغى اى ليجاوز الحد ويستكبر على ربه
بيان للمردوع والمردوع عنه قيل هذا الى اخر السورة نزل فى ابى جهل بعد زمان وهو
الظاهر وقوله تعالى ان رآه استغنى مفعول له اى ليطغى لان رأى نفسه مستغنيا على ان استغنى
مفعول ثان لرآى لانه بمعنى علم ولذلك ساغ كون فاعله ومفعوله ضميرى واحد كما فى علمتنى
وان جوزه بعضهم فى الرؤية البصرية ايضا وجعل من ذلك قول عائشة رضى الله عنها لقد رأيتنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لنا طعام الا الاسودان وتعليل طغيانه برؤيته لانفس الاستغناء
كما يئ قوله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض للايذان بان مدار طغيانه زعمه
الفاسد رد ان ابا جهل قال لرسول الله صلعم انزعم ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال
مكة ذهبا وفضة لعلنا ناخذ منها فنطغى فنزع دينا ونتبع دينك فنزل جبريل عليه الكم فقال ان شئت

شئت فعلنا فلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا باصحاب المايدة فكف رسول الله صلعم
عن الدعاء ابقاء عليهم وقوله تعالى ان الى ربك الرجعى تهديد للطاغى وتحذير له من عاقبة الطغيان
والالتفات للتشديد فى التهديد والرجعى مصدر بمعنى الرجوع كالبشرى وتقديم الجار والمجرور
عليه لقصره عليه اى ان الى مالكك امرك رجوع الكل بالموت والبعث لا الى غيره استقلالا او
اشتراكا فستراى حينئذ عاقبة طغيانك فى قوله تعالى ارايت الذى ينهى عبدا اذا صلى تقبيح وتشنيع
لحاله وتعجيب منها وايذان بانها من الشناعة والغرابة بحيث يجب ان يرا ما كل من يتاتى منه
الرؤية ويقضى منها العجب روى ان ابا جهل قال فى ملاء من طغاة قريش لئن رايت محمدا
يصلى لاطان عنقه فراه عليه الكم فى الصلوة فجاءه ثم نكص على عقبيه فقالوا ما لك قال ان بينى وبينه
لخندقا من نار وهولا واجنحة فقال عليه الكم لو دنا منى لاختطفته الملايكة عضوا عضوا فانزلت
وتاكيد التعجيب منه والرؤية ههنا بصرية واما فى قوله تعالى ارايت ان كان على الهدى او امر بالتقوى
وفى قوله تعالى ارايت ان كذب وتولى فقلبية معناه اخبرنى فان الرؤية لما كانت سببا للاخبار
عن الرويات اجرى الاستفهام عنها مجرى الاستخبار عن متعلقها والخطاب لكل من صلح للخطاب
ونظم الامر والتكذيب والتولى فى سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه ليس باعتبار انفس
الافعال المذكورة ومن حيث صدورها عن الفاعل فان ذلك ليس فى حيز التردد اصلا باعتبار اوصافها
التى هى كونها امرا بالتقوى وتكذيبا وتوليا كما فى قوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به والمفعول
الاول للارايت محذوف وهو ضمير يعود الى الموصول او اسم اشارة يشار به اليه ومفعوله الثانى
سد مسدة الجملة الشرطية بجوابها المحذوف فان المفعول الثانى للارايت لا يكون الا جملة استفهامية
او فيها معنى الاستفهام والمعنى اخبرونى فى ذلك الناهى ان كان على الهدى فيما ينهى عنه من عبادة الله تعالى او امر
بالتقوى فيما يامر به من عبادة الاوثان كما يعتقده او مكذبا بالحق معرضا عن الصواب كما تقول لمن يرى
يعلم بان الله يرى اى يطلع على احواله فيجازيه بها حتى اجرأ على ما فعل واما وزر التكذيب والتولى
بشرطية مستقلة مقرونة بالجواب مصدرة باستخبار مستانف ولم يعطف فى سلك الشرط الاول
بعطفهما على كان للايذان باستقلالهما بالوقوع فى نفس الامر وباستتباع الوعيد الذى ينطق به الجواب
واما القسم الاول فامر مستحيل قد ذكر فى حيز الشرط لتوسيع الدايرة وهو السر فى تجريد الشرطية الاولى
عن الجواب والاجالة به على جواب الثانية هذا وقد قيل ارايت الاول بمعنى اخبرنى مفعوله الاول
الموصول ومفعوله الثانى الشرطية الاولى بجوابها المحذوف لدلالة جواب الشرطية الثانية عليه وارايت
فى الموضعين تكرير للتاكيد ومعناه اخبرنى عمن ينهى بعض عباد الله عن صلوته ان كان ذلك الناهى على
طريقة سديدة فيما ينهى من عبادة الله تعالى او كان امرا بالمعروف والتقوى فيما يامر به من الاوثان
كما يعتقده وكذلك ان كان على التكذيب للحق والتولى عن الدين الصحيح كما تقول لمن الم يعلم بان الله
يرى ويطلع على احواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك فتامل وقيل المعنى ارايت الذى
ينهى عبدا يصلى والمنهى على الهدى امر بالتقوى والناهى مكذب متول فما اعجب من ذا وقيل الخطاب
الشائع للكفار فانه تعالى كالحاكم الذى حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والاخرى اخرى وكانه قال يا كافرا خبرنى

ان كان صلوته هدى ودعاؤه الى الله تعالى امر بالتقوى تنهاه وقيل هو امية بن خلف كان ينهى سلمان
عن الصلوة كلا ردع للناهي اللعين وخسوء له واللام في قوله تعالى لئن لم ينته موطئة للقسم اي
والله لئن لم ينته عما هو عليه ولم ينزجر لنسفعا بالناصية لناخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار
والسفع القبض على الشيء وجذبه بعنف وشدة وقرئ لنسفعن بالنون المشددة وقرئ لاسفعن
وكتبته في المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفاء بلام العهد عن الاضافة لظهور ان المراد ناصيته
المذكور ناصية كاذبة خاطئة بدل من الناصية وانما جاز ابدالها عن المعرفة وهي نكرة لوصفها وقرئت
بالرفع على هي ناصية وبالنصب كلاهما على الذم والشتم ووصفها بالكذب والخطاء على الاسناد
المجازي وهما لصاحبها وفيه من الجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب خاطئ فليدع ناديه اي اهل
ناديه ليعينوه هو المجلس الذي ينتدي فيه القوم اي يجتمعون روي ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو يصلي فقال الم انهك فاغلظ له رسول الله صلعم فقال اتهددني وانا اكثر اهل الوادي ناديا
فنزلت سندع الزبانية ليجروه الى النار والزبانية الشرطة الواحدة زبنية كعفرية من الزبن
وهو الدفع وقيل زبني وكانه نسب الى الزبن ثم غير كامسي واصلها زباني فقيل زبانية بتعويض
التاء عن الياء والمراد ملئكة العذاب عن النبي عليه السلم لو دعى ناديه لاخذته الزبانية عيانا كلا ردع بعد
ردع وزجر اثر زجر لا تطعه اي دم على ما انت عليه من معاصاته واسجد وواظب على سجودك
وصلوتك غير مكترث به واقترب وتقرب بذلك الى ربك وفي الحديث اقرب ما يكون العبد الى ربه
اذا سجد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق اعطي من الاجر كانما قرأ المفصل كله

انا انزلناه في ليلة القدر تنويه بشان القرآن الكريم واجلال لمحله باضماره المؤذن بغاية نباهته
المغنية عن التصريح به كانه حاضر في جميع الاذهان وباسناد انزاله الى نون العظمة المنبئ عن كمال العناية
به وبتفخيم وقت انزاله بقوله تعالى وما ادراك ما ليلة القدر لما فيه من الدلالة على ان علو قدرها خارج عن
دايرة دراية الخلق لا يدريها ولا يدريها الا علام الغيوب كما يشعر به قوله تعالى ليلة القدر خير من الف
شهر فانه بيان اجمالي لشانها اثر تشويقه عليه السلم الى درايتها فان ذلك معرب عن الوعد بادرائها
وقد مر بيان كيفية اعراب الجملتين وفي اظهار ليلة القدر في الموضعين من تاكيد التفخيم ما لا يخفى
والمراد بانزاله فيها اما انزال كله الى السماء الدنيا كما روي انه انزل جملة واحدة في ليلة القدر من
اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا واملاه جبريل عليه السلم على السفرة ثم كان ينزله على النبي عليه السلم نجوما في
ثلث وعشرين سنة واما ابتداء انزاله فيها كما نقل عن الشعبي وقيل المعنى انزلناه في شان ليلة
القدر وفضلها كما في قول عمر رضي الله عنه خشيت ان ينزل في قرآن وقول عائشة رضي الله عنها لانا احقر
في نفسي من ان ينزل في قرآن فالانسب ان يجعل الضمير للسورة التي هي جزء من القرآن لا للكل واختلفوا
في وقتها فاكثرهم في شهر رمضان في العشر الاواخر في اوتارها واكثر الاقوال انها السابعة منها ولعل
السر في اخفائها تعريض من يريدها للثواب الكثير باحياء الليالي الكثيرة رجاء لموافقتها وتسميتها

بذلك اما لتقدير الامور وقضائها فيها لقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم او لخطرها وشرفها على سائر
الليالي وتخصيص الالف بالذكر اما للتكثير او لما روي انه عليه السلم ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح
في سبيل الله الف شهر فعجب المؤمنون منه وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي
وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله تعالى الف شهر فاعطوا ليلة ان احيوها كانوا
احق بان يسموا عابدين من اولئك العباد وقيل ارى النبي عليه السلم اعمار الامم كافة فاستقصر
اعمار امته فخاف الا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر فاعطاه الله ليلة القدر وجعلها
خيرا من الف شهر لساير الامم وقيل كان ملك سليمان خمسمائة شهر وملك ذي القرنين خمس مائة
شهر فجعل الله تعالى العمل في هذه الليلة لمن ادركها خيرا من ملكهما وقوله تعالى تنزل الملئكة والروح
فيها استيناف مبين لمناط فضلها على تلك المدة المتطاولة وقد سبق في سورة الانبياء ما قيل
في شان الروح على التفصيل وقيل هم خلق من الملئكة لا يراهم الملئكة الا تلك الليلة اي تنزل الملئكة
والروح في تلك الليلة من كل سماء الى الارض او الى السماء الدنيا باذن ربهم متعلق بتنزل او بمحذوف
هو حال من فاعله اي ملتبسين باذن ربهم اي بامره من كل امر اي من اجل كل امر قضاه الله عز وجل
لتلك السنة الى قابل كقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم وقرئ من كل امري اي من اجل كل انسان قيل لا يقولون
فيها مؤمنا ولا مؤمنة الا سلموا عليه سلام هي اي ما هي الا سلامة اي لا يقدر الله فيها الا السلامة والخير
واما في غيرها فيقضي سلامة وبلاء او ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين حتى مطلع الفجر
اي وقت طلوعه وقرئ بالكسر على انه مصدر كالمرج او اسم زمان على غير قياس كالمشرق وحتى متعلق
بتنزل على انها غاية لحكم التنزل اي لمكثهم في محل تنزلهم او لنفس تنزلهم بان لا ينقطع تنزلهم فوجا بعد فوج
الى طلوع الفجر وقيل متعلقة بسلام بناء على ان الفصل بين المصدر ومعموله بالمبتدا مغتفر
في الجار عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر اعطي من الاجر كمن صام رمضان واحيى ليلة القدر

لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب اي اليهود والنصارى وايرادهم بذلك العنوان للاشعار بعلة
ما نسب اليهم من الوعد باتباع الحق فان مناط ذلك وجدانهم له في كتابهم وايراد الصلة فعلا
لما ان كفرهم حادث بعد انبيائهم والمشركين اي عبدة الاصنام وقرئ والمشركون عطف على
الموصول منفكين اي عما كانوا عليه من الوعد باتباع الحق والايمان بالرسول المبعوث في آخر
الزمان والعزم على انجازه وهذا الوعد من اهل الكتاب مما لا ريب فيه حتى انهم كانوا يستفتحون
ويقولون اللهم افتح علينا وانصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان ويقولون لاعدائهم من المشركين
قد اضل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم واما من المشركين فلعله قد
وقع من متاخريهم بعد ما شاع ذلك من اهل الكتاب واعتقدوا صحته بما شاهدوا من نصرتهم
على اسلافهم كما يشهد به انهم كانوا يسالونهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هل هو المذكور في كتابهم
وكانوا يغرونهم بتغيير نعوته عليه السلم وانفكاك الشيء من الشيء ان يزايله بعد التحامه كالعظم اذا انفك

من مفصله وفيه اشارة الى كمال وكادة وعدهم اى لم يكونوا مفارقين للوعد المذكور بل كانوا مجمعين
عليه عازمين على انجازه حتى تاتيهم البينة التى كانوا قد جعلوا اتيانها ميقاتا لاجتماع الكلمة
والاتفاق على الحق فجعلوه ميقاتا للانفكاك والافتراق واخلاف الوعد والتعبير عن اتيانها
بصيغة المضارع باعتبار حال المحكى لا باعتبار حال الحكاية كما فى قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين
اى تلت وقوله من رسول بدل من البينة عبر عنه عليه الكلم بالبينة للايذان بغاية ظهور امره وكونه
ذلك الموعود فى الكتابين وقوله تعالى من الله متعلق بمضمر هو صفة لرسول مؤكد لما افاده التنوين
من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اى رسول واى رسول كائن منه تعالى وقوله تعالى يتلو صفة
اخرى له او حال من الضمير فى متعلق الجار صحفا مطهرة اى منزهة من الباطل لا يأتيه من بين يديه
ولا من خلفه ومن ان يمسه غير المطهرون ونسبة تلاوتها اليه عليه الكلم من حيث انه تلاوة ما فيها
بمنزلة تلاوتها وقوله تعالى فيها كتب قيمة صفة لصحفا او حال من ضميرها فى مطهرة ويجوز ان يكون
الصفة والحال الجار والمجرور فقط وكتب مرتفعا به على الفاعلية ومعنى قيمة مستقيمة ناطقة
بالحق والصواب فى قوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الخ كلام مسوق لغاية تشنيع
اهل الكتاب فاضحة وتغليظ جنايتهم ببيان ان ما نسب اليهم من الانفكاك لم يكن لاشتباه ما
فى الامر بل كان بعد وضوح الحق وتبين الحق وانقطاع الاعذار بالكلية وهو السر فى وصفهم
باتيان الكتاب المبنى عن كمال تمكنهم من مطالعته والاحاطة بما فى تضاعيفه من الاحكام والاخبار
التى من جملتها نعوت النبى عليه الكلم بعد ذكر فيما سبق بما هو جار مجرى اسم الجنس للطائفتين ولما كان
هؤلاء المشركون باعتبار اتفاقهم على الراى المذكور فى حكم فريق واحد عبر عما صدر عنهم عقيب الافتراق
عند الاخبار بوقوعه بالانفكاك وعند بيان كيفيته ووقوعه بالتفرق اعتبار الاستقلال كل من فريقى اهل
الكتاب وايذانا بان انفكاكهم عن الراى المذكور ليس بطريق الاتفاق على راى آخر بل بطريق الاختلاف
القديم وقوله تعالى الا من بعد ما جاءتهم البينة استثناء مفرغ من اعم الاوقات اى وما تفرقوا فى وقت
من الاوقات الا من بعد ما جاءتهم الحجة الواضحة الدالة على ان رسول الله عليه الكلم هو الموعود من
كتابهم دلالة جلية لا ريب فيها كقوله تعالى وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم
وقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله جملة حالية مفيدة لغاية قبح ما فعلوا اى والحال انهم ما
امروا بامر ما فى كتابهم الا لاجل ان يعبدوا الله وقيل اللام بمعنى ان اى الا بان يعبدوا الله
ويعضده قراءة الا ان يعبدوا الله مخلصين له الدين اى جاعلين دينهم خالصا له تعالى او جاعلين
انفسهم خالصة له فى الدين حنفاء مائلين عن جميع العقايد الزائغة الى الاسلام ويقيموا الصلوة
ويؤتوا الزكوة ان اريد بهما ما فى شريعتهم من الصلوة والزكوة فالامر ظاهر وان اريد ما فى شريعتنا
فمعنى امرهم بهما فى الكتابين ان امرهم باتباع شريعتنا امر لهم بجميع احكامها التى هما من جملتها وذلك
اشارة الى ما ذكر من عبادة الله تعالى بالاخلاص واقامة الصلوة وايتاء الزكوة وما فيه من معنى
البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته ودين القيمة اى دين الملة القيمة وقرئ الدين القيمة على تاويل
الدين بالملة هذا لو قد قيل قوله تعالى لم يكن الذين كفروا الى قوله كتب قيمة حكاية لما كانوا يقولونه قبل بعثة

بعثة عليه الكلم من انهم لا ينفكون من دينهم الى مبعثه ويعدون ان ينفكوا منه حينئذ وتتفقوا على الحق وقوله
وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الخ بيان لاخلافهم الوعد وتعكيسهم الامر بجعلهم ما هو سبب
لانفكاكهم من دينهم الباطل حسبما وعدوه سببا لبناتهم عليه وعدم انفكاكهم عنه ومثل ذلك بان
يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لا انفك مما انا فيه حتى استغنى فيستغنى فيزداد فسقا فيقول لو لم
اتمكن منكما عن الفسق حتى توسر وما عكفت على الفسق الا بعد اليسار وانت خبير بان هذا انما يتاتى
بعد الثبات والتى على تقدير ان يراد بالتفرق تفرقهم عن الحق بان يقال التفرق عن الحق مستلزم
للثبات على الباطل فكانه قيل وما اجمعوا على دينهم الا من بعد ما جاءتهم البينة واما على تقدير
ان يراد به تفرقهم فرقا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ومنهم من عرف وعاند كما جوزه العقايل والفاضل
ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم بيان لحال الفريقين فى الآخرة بعد بيان
حالهم فى الدنيا وذكر المشركين لتلايتوهم اختصاص الحكم باهل الكتاب حسب اختصاص مشاهدة
شوايب البنوة فى الكتاب بهم ومعنى كونهم فيها انهم يقرون اليها يوم القيمة وايراد الجملة الاسمية
للايذان بتحقق مضمونها لا محالة او انهم فيها الان اما على تنزيل ملابستهم لما يؤديها منزلة ملابستهم لها
واما على ان ما هم فيه من الكفر والمعاصى عين النار الا انها ظهرت فى هذه النشاة بصورة مضيفة
وستخلعها فى النشاة الآخرة وتظهر بصورتها الحقيقية كما مر فى قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين
فى سورة الاعراف خالدين فيها حال من المستكن فى الخبر واشتراك الفريقين فى دخول دار العذاب
بطريق الخلود لا ينافى تفاوت عذابهم فى الكيفية فان جهنم دركات وعذابها الوان اولئك اشارة
اليهم باعتبار اتصافهم بما هم فيه من القبايح المذكورة وما فيه من معنى البعد للاشعار بغاية بعد منزلتهم
فى الشر اى اولئك البعداء المذكورون هم شر البرية شر الخليقة اى اعمالا وهو الموافق لما سياتى فى حق
المؤمنين فيكون فى حيز التعليل لخلودهم فى النار او شرهم مقاما ومصيرا فيكون تاكيدا للغطاء حالهم
وقرئ بالهمز على الاصل ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات بيان لمحاسن احوال المؤمنين اثر
بيان سوء حال الكفرة جريا على السنة القرآنية من شفع الترهيب بالترغيب اولئك المنعوتون
بما هو فى الغاية القاصية من الشرف والفضيلة من الايمان والطاعة هم خير البرية وقرئ خيار
البرية وهو جمع خير كجيد وجياد جزاؤهم بمقابلة ما لهم من الايمان والطاعات عند ربهم جنات
عدن تجرى من تحتها الانهار ان اريد بالجنات الاشجار الملتفة الاغصان كما هو الظاهر فجريان
الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها مجموع الارض وما عليها فهو باعتبار الجزء الظاهر وايا ما كان
فالمراد جريانها بغزارة واخدود خالدين فيها ابدا متنعمين بفنون النعم الجسمانية والروحانية وفى تقديم
مدحهم بخيرية البرية وذكر الجزاء الموذن بكون ما منحوه فى مقابلة ما وصفوا به وبيان كونه من عنده
تعالى والتعرض لعنوان الربوبية المبنية عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم
وجمع الجنات وتقييدها بالاضافة وبما يزيدها نعيما وتاكيد الخلود بالابد من الدلالة على غاية حسن
حالهم ما لا يخفى رضى الله عنهم استيناف مبين لما يتفضل عليهم زيادة على ما ذكر من اخرية اعمالهم
ورضوا عنه حيث بلغوا من المطالب قاصيتها وملكوا من المآرب ناصيتها وانجح لهم ما لا عين رات

ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذلك اى ما ذكر من الجزاء والرضوان لمن خشى ربه فان
الخشية التى من خصايص العلماء بشؤون الله عز وجل مناط لجميع الكمالات العلمية والعملية
المستتبعة للسعادة الدينية والدنيوية والتعرض بعنوان الربوبية المعربة عن المالكية والتربية للاشعار
بعلة الخشية والتحذير من الاغترار بالتربية عن النبى عم من قرأ سورة لم يكن كان يوم القيمة مع خير البرية مساء ومقيلا

اذا زلزلت الارض اى حركت تحريكا عنيفا متكررا متداركا زلزالها اى الزلزال المخصوص بها
على مقتضى المشية الالهية المبنية على الحكم البالغة وهو الزلزال الشديد الذى لا غاية وراءه
او زلزالها العجيب الذى لا يقادر قدره او زلزالها الداخل فى حيز الامكان وقرئ بفتح الزاى وهو
اسم وليس فى الابنية فعال بالفتح الا فى المضاعف وقولهم ناقة خزعال نادر وقد قيل الزلزال
بالفتح ايضا مصدر كالوسواس والجرجار والقلقال وذلك عند النفخة الثانية وقوله عز وجل
واخرجت الارض اثقالها اى ما فى جوفها من الاموات والدفاين جمع ثقل وهو متاع البيت
واظهار الارض فى موقع الاضمار لزيادة التقرير او للايماء الى تبدل الارض غير الارض او لان
اخراج الاثقال حال بعض اجزائها وقال الانسان اى كل فرد من افراده لما يدهمهم من
الطامة التامة ويبهرهم من الداهية العامة ما لها زلزلت هذه المرتبة الشديدة من الزلزال
واخرجت ما فيها من الاثقال استعظاما لما شاهدوه من الامر الهايل وقد سيرت الجبال فى
الجو وصيرت هباء وقيل هو قول الكافر اذا لم يكن مؤمنا بالبعث والاظهر هو الاول
على ان المؤمن يقوله بطريق الاستعظام والكافر بطريق التعجب يومئذ بدل من اذا وقوله
تحدث اخبارها عامل فيهما ويجوز ان يكون اذا منتصبا بمضمر اى يوم اذ زلزلت الارض
تحدث الخلق اخبارها اما بلسان الحال حيث تدل دلالة ظاهرة على ما لاجله زلزالها و
اخرج اثقالها واما بلسان المقال حيث ينطقها الله تعالى فتخبر بما عمل عليها من خير وشر وروى عن النبى
عليه السلم انها تشهد على كل احد بما على ظهرها وقرئ تنبئ اخبارها وقرئ تنبئ من الانباء بان ربك
اوحى لها اى تحدث اخبارها بسبب ايحاء ربك لها وامره اياها بالتحديث على احد الوجهين
ويجوز ان يكون بدلا من اخبارها كانه قيل تحدث باخبارها بان ربك اوحى لها لان التحديث
يستعمل بالباء وبدونها واوحى لها بمعنى اوحى اليها يومئذ اى يوم اذ يقع ما ذكر يصدر الناس
من قبورهم الى موقف الحساب اشتاتا متفرقين بحسب طبقاتهم بيض الوجوه آمنين
وسود الوجوه فزعين كما مر فى قوله تعالى فتأتون افواجا قيل يصدرون عن الموقف اشتاتا
ذات اليمين الى الجنة وذات الشمال الى النار ليروا اعمالهم اى اجزية اعمالهم خيرا كان
او شرا وقرئ ليروا بالفتح وقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال
ذرة شرا يره لتفصيل ليروا وقرئ يره والذرة النملة الصغيرة وقيل ما يرى فى شعاع
الشمس من الهباء وايا ما كان فمعنى رؤية ما يعادلها من خير وشر اما مشاهدة جزائه فمن الاولى

بالسعداء والثانية بالاشقياء كيف لا وحسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات
المؤمن المجتنب عن الكباير معفوة وما قيل من ان حسنة الكافر تؤثر فى نقص العقاب
يرده قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا واما مشاهدة نفسه من غير
ان يعتبر معه الجزاء ولا عدمه بل يفوض كل منهما الى ساير الدلايل الناطقة بعفو صغاير
المؤمن المجتنب عن الكباير واثباته بجميع حسناته وبحبوط حسنات الكافر ومعاقبته
بجميع معاصيه فالمعنى ما روى عن ابن عباس ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيرا
او شرا الا اراه الله تعالى اياه اما المؤمن فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته واما الكافر فيرد حسناته
تحسرا ويعاقبه بسيئاته عن النبى عليه السلم من قرأ سورة اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله

الكافر صح

والعاديات اقسم سبحانه بخيل الغزاة التى تعدو نحو العدو وقوله تعالى ضبحا مصدر
منصوب اما بفعله المحذوف الواقع حالا منها اى تضبح ضبحا وهو صوت انفاسها
عند عدوها او بالعاديات فان العدو مستلزم للضبح كانه قيل والضابحات
او حال على انه مصدر بمعنى الفاعل اى ضابحات والموريات قدحا الايراء اخراج
النار والقدح الصك يقال قدح فاورى اى فالتى تورى النار من حوافرها وانتصاب
قدحا كانتصاب ضبحا على الوجوه الثلثة فالمغيرات اسند الاغارة التى هى مباغتة
العدو للنهب او القتل او الاسر اليها لئلا يشعر بهم العدو ويهجمون عليهم صباحا ليروا
ما يأتون وما يذرون وقوله تعالى فاثرن به عطف على الفعل الذى دل عليه اسم الفاعل اذ
المعنى واللاتى عدون فاورين فاغرن فاثرن به اى فهيجن بذلك الوقت نقعا اى غبارا
وتخصيص اثارته بالصبح لانه لا يثور او لا يظهر ثورانه بالليل وبهذا ظهر ان الايراء الذى
يظهر فى النهار واقع فى الليل ولله در شان التنزيل وقيل النقع الصياح والجلبة وقرئ
فاثرن بالتشديد بمعنى فاظهرن به غبارا لان التاثير فيه معنى الاظهار فوسطن به اى
توسطن بذلك الوقت او توسطن متلبسات بالنقع جمعا من جموع الاعداء
والفاءات للدلالة على ترتب ما بعد كل منها على ما قبلها كما فى قوله يا لهف زيابة للحارث
الصايح فالغانم فالآيب فان توسط الجمع مترتب على الاثارة المترتبة على الاغارة
المترتبة على الايراء المترتب على العدو وقوله تعالى ان الانسان لربه لكنود اى
لكفور من كند النعمة كنود جواب القسم والمراد بالانسان بعض افراده روى ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى اناس من بنى كنانة سرية واستعمل عليها
المنذر بن عمرو الانصارى وكان احد النقباء فابطأ عليه عليه السلم خبرها شهرا
فقال المنافقون انهم قتلوا فنزلت السورة اخبارا للنبى صلى الله عليه وسلم بسلامتها
وبشارة له باغارتها على القوم ونعيا على المرجفين فى حقهم ما هم فيه من الكنود وفى تخصيص

ضبحات سكردركن بورنى ونفسى اوتمكه ديرلر

قدح چاقمق ايله آتش چاقمق

صبحا عند الصبح صح

يغما اغارة يغمالمق وسرعتله كتمك

هيج صجره مق وتوزمق

خيل الغزاة بالاقسام بها من البراعة ما لا مزيد عليه كانه قيل وخيل الغزاة التي فعلت كيت
وكيت وقد ارجف هؤلاء في حق اربابها ما ارجفوا انهم مبالغون في الكفران وانه على ذلك اي
وان الانسان على كنوده لشهيد يشهد على نفسه بالكنود لظهور اثره عليه وانه لحب الخير اي
المال كما في قوله تعالى ان ترك خيرا لشديد اي قوي مطيق مجد في طلبه وتحصيله متهالك عليه يقال هو
شديد لهذا الامر وقوي له اذا كان مطيقا له ضابطا وقيل الشديد البخيل اي لانه لاجل حب
المال وثقل انفاقه عليه لبخيل ممسك ولعل وصفه بهذا الوصف القبيح بعد وصفه بالكنود للايماء
الى ان من جملة الامور الداعية للمنافقين الى النفاق حب المال لانهم بما يظهرون من الايمان يعرضون
اموالهم ويحوزون من الغنائم نصيبا وقوله تعالى افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور الخ تهديد ووعيد
والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي ايفعل ما يفعل من القبائح او الا يلاحظ
فلا يعلم حاله اذا بعث من في القبور من الموتى وايراد ما لكونهم اذ ذاك بمعزل من رتبة العقلاء وقرئ
بحثر وبحث وبحثر وبحث على بنائهما للفاعل وحصل اي جمع محصلا اي ميز خيره من شره وقرئ حصل
مبنيا للفاعل وحصل مخففا ما في الصدور من الاسرار الخفية التي من جملتها ما يخفيه المنافقون من الكفر
والمعاصي فضلا عن الاعمال الجلية ان ربهم اي المبعوثين كنى عنهم بعد الاحياء الثاني بضمير العقلاء بعد ما
عبر عنهم قيل ذلك بما بناء على تفاوتهم في الحالتين كما فعل نظيره بعد الاحياء الاول حيث التفت
الى الخطاب في قوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار الاية بعد قوله ثم سواه ونفخ فيه من روحه ايذانا
بصلاحيتهم للخطاب بعد نفخ الروح وبعدمها قبله كما اشير اليه هناك بهم بذواتهم وصفاتهم واحوالهم
بتفاصيلها يومئذ يوم اذ يكون ما ذكر من بعث ما في القبور وتحصيل ما في الصدور لخبير اي عالم بظواهر
ما عملوا وبواطنه علما موجبا للجزاء متصلا به كما ينبئ عنه تقييد بذلك اليوم والا فمطلق علمه سبحانه محيط
بما كان وما سيكون وقوله تعالى بهم ويومئذ متعلقان بخبير قدما عليه لمراعاة الفواصل واللام غير مانعة
من ذلك وقرأ ابن السماك ان ربهم بهم يومئذ خبير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
والعاديات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بمزدلفة وشهد جمعا

القارعة الفزع هو الضرب بشدة واعتماد بحيث يحصل منه صوت شديد وهي القيمة التي مبدؤها
النفخة الاولى ومنتهاها فصل القضاء بين الخلائق كما مر في سورة التكوير سميت بها لانها تقرع القلوب
والاسماع بفنون الافزاع والاهوال وتخرج جميع الاجرام العلوية والسفلية من حال الى حال السماء
بالانشقاق والانفطار والشمس والنجوم بالتكوير والانكدار والانتثار والارض والجبال بالدك
والنسف وهي مبتدأ خبره قوله تعالى ما القارعة على ان ما الاستفهامية خبر والقارعة مبتدأ لا بالعكس
لما مر غير مرة ان محط الافادة هو الخبر لا المبتدأ ولا ريب في ان مدار افادة الهول والفخامة ههنا
هو كلمة ما لا القارعة اي اي شيء عجيب هي في الفخامة والفظاعة وقد وضع الظاهر موضع الضمير تاكيدا
للتهويل وقوله تعالى وما ادراك ما القارعة تاكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم الخلق

الخ [illegible] ان عظم شانها ومداشرتها بحيث لا تكاد تناله دراية احد حتى يدرك بها وما في حيز الرفع
على الابتداء وادراك هو الخبر ولا سبيل الى العكس ههنا وما القارعة جملة كما مر محلها النصب على نزع
الخافض لان ادرى يتعدى الى المفعول الثاني بالباء كما في قوله تعالى ولا ادراكم به فلما وقعت الجملة
الاستفهامية معلقة له كانت في موقع المفعول الثاني له والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها من الجملة
الواقعة خبرا للمبتدأ الاول اي واي شيء اعلمك ما شان القارعة ولما كان هذا منبئا عن الوعد الكريم
باعلامها انجز ذلك بقوله تعالى يوم يكون الناس كالفراش المبثوث على ان يوم مرفوع على انه خبر
مبتدأ محذوف وحركته الفتح لاضافته الى الفعل وان كان مضارعا كما هو رأي الكوفيين اي هي
يوم يكون الناس فيه الفراش المبثوث في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والاضطراب والتطاير
الى الداعي كتطاير الفراش الى النار او منصوب باضمار اذكر كانه قيل بعد تفخيم امر القارعة وتشويقه
عليه السلام الى معرفتها اذكر يوم يكون الناس الخ فانه يدريك ما هي هذا وقد قيل انه ظرف ناصبه مضمر
يدل عليه القارعة اي تقرع يوم يكون الخ وقيل تقديره ستاتيكم القارعة يوم يكون الخ وتكون الجبال
كالعهن المنفوش اي كالصوف الملون بالالوان المختلفة المندوف في تفرق اجزائها وتطايرها
في الجو حسبما نطق به قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وكلا الامرين من آثار
القارعة بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق يبدل الله عز وجل الارض غير الارض ويغير هيئاتها ويسير
الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيئة الهائلة ليشاهدها اهل المحشر وهي وان اندكت وتصدعت
عند النفخة الاولى لكن تسييرها وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية كما ينطق به قوله تعالى
ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا
امتا يومئذ يتبعون الداعي وقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات
وبرزوا لله الواحد القهار فان اتباع الداعي الذي هو اسرافيل عليه السلام وبروز الخلق
لله سبحانه لا يكون الا بعد البعث قطعا وقد مر تمام الكلام في سورة النمل وقوله تعالى
فاما من ثقلت موازينه الخ بيان اجمالي لتحزب الناس الى حزبين وتنبيه على
كيفية الاحوال الحاصلة بكل منهما اثر بيان الاحوال الشاملة للكل والموازين اما جمع
الموزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله كما قاله الفراء او جمع ميزان قال
ابن عباس انه ميزان له لسان وكفتان لا يوزن فيه الا الاعمال قالوا توضع فيه صحائف
الاعمال فينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة وقيل الوزن عبارة
عن القضاء السوي والحكم العادل وبه قال مجاهد والاعمش والضحاك واختاره كثير
من المتاخرين قالوا ان الميزان لا يتوصل به الى معرفة مقادير الاجسام فكيف يمكن
ان يعرف به مقادير الاعمال التي هي اعراض مقتضية وقيل ان الاعمال الظاهرة
في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في
الحسن والقبح وقد روي عن ابن عباس انه يؤتى بالاعمال الصالحة على صور حسنة
وبالاعمال السيئة على صور قبيحة فتوضع في الميزان اي فمن ترجحت مقادير حسناته

فهو في عيشة راضية اي ذات رضى واما من خفت موازينه بان لم يكن لها حسنة
يعتد بها او ترجحت سيئاته على حسناته فامه اي فماواه هاوية هي من اسماء
النار سميت بها لغاية عمقها وبعد مهواها روي ان اهل النار يهوي فيها سبعين
خريفا وقيل انها اسم للباب الاسفل منها وعبر عن الماوى بالام لان اهلها يأوون
اليها كما يأوي الولد الى امه وعن قتادة وعكرمة والكلبي المعنى فام رأسه هاوية
في قعر جهنم لانه يطرح فيها منكوسا هو الموافق لقوله تعالى وما ادراك ما هيه نار حامية
فانه تقرير لها بعد ابهامها والاشعار بخروجها عن العهود المعهودة للتفخيم والتهويل وهي
ضمير الهاوية والهاء للسكت واذا وصل القارئ حذفها وقيل حقه الا يدرج لئلا يسقطها
الادراج لانها ثابتة في المصحف وقد اجيز اثباتها مع الوصل عن النبي صلى
الله عليه وسلم من قرأ سورة القارعة ثقل الله تعالى بها ميزانه يوم القيمة

الهاكم التكاثر اي شغلكم التغالب في الكثرة والتفاخر بها روي ان بني عبد مناف وبني
سهم تفاخروا وتعادوا وتكاثروا بالسادة والاشراف في الاسلام فقال كل من الفريقين
نحن اكثر منكم سيدا واعز عزيزا واعظمهم نفرا فكثرهم بنوا عبد مناف فقال بنوا سهم ان
البغي افنانا في الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرهم بنوا سهم والمعنى انكم تكاثرتم
بالاحياء حتى زرتم المقابر اي حتى اذا استوعبتم عددهم صرتم الى التفاخر والتكاثر بالاموات
فعبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة القبور تهكما بهم وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا
قبر فلان وهذا قبر فلان يفتخرون بذلك وقيل المعنى الهاكم التكاثر بالاموال والاولاد ان
متم وقبرتم مضيعين اعماركم في طلب الدنيا معرضين عما يهمكم من السعي لاخراكم فيكون زيارة
القبور عبارة عن الموت وقرئ أألهاكم على الاستفهام التقريري كلا ردع وتنبيه على ان
العاقل ينبغي الا يكون معظم همه مقصورا على الدنيا فان عاقبة ذلك وخيمة سوف تعلمون
سوء مغبة ما انتم عليه اذا عاينتم عاقبته ثم كلا سوف تعلمون تكرير للتاكيد وثم للدلالة
على ان الثاني ابلغ من الاول والاول عند الموت او في القبر والثاني عند النشور
كلا لو تعلمون علم اليقين اي لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين اي كعلمكم ما تستيقنونه
لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتهويل وقوله تعالى لترون الجحيم جواب
قسم مضمر اكد به الوعيد وشدد به التهديد واوضح به ما انذروه بعد ابهامه تفخيما
ثم لترونها تكرير للتاكيد او الاولى اذا رأتهم من مكان بعيد والثانية اذا اوردوها
او المراد بالاولى المعرفة وبالثانية المشاهدة والمعاينة عين اليقين اي الرؤية التي هي
نفس اليقين فان علم المشاهدة اقصى مراتب اليقين ثم لتسألن يومئذ عن النعيم
اي عن النعيم الذي الهاكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه فان الخطاب مخصوص بمن

بمن عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش الا ليأكل الطيب ويلبس اللين ويقطع اوقاته
باللهو والطرب لا يعبأ بالعلم والعلم ولا يحمل نفسه مشاقهما فان من تمتع بنعمة الله تعالى
وتقوى بها على طاعته وكان ناهضا بالشكر فهو من ذلك بمعزل بعيد وقيل الآية مخصوصة
بالكفار عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التكاثر لم يحاسبه الله
الذي انعم به عليه في دار الدنيا واعطي من الاجر كانما قرأ الف آية

والعصر اقسم سبحانه بصلوة العصر لفضلها الباهر او بالعشي الذي هو ما بين الزوال والغروب
كما اقسم بالضحى او بعصر النبوة لظهور فضله على سائر الاعصار او بالدهر لانطوائه على تعاجيب
الامور القارة ان الانسان لفي خسر اي خسران في متاجرهم ومساعيهم وصرف اعمارهم في
مباغيهم والتعريف للجنس والتنكير للتفخيم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فانهم في تجارة
لن تبور حيث باعوا الخسيس واشتروا الباقي النفيس واستبدلوا الباقيات الصالحات بالغاديات
الرائحات فيا لها من صفقة ما اربحها وهذا بيان لتكميلهم لانفسهم وقوله تعالى وتواصوا بالحق
الخ بيان لتكميلهم لغيرهم اي وصى بعضهم بعضا بالامر الثابت الذي لا سبيل الى انكاره ولا زوال
في الدارين لمحاسن آثاره وهو الخير كله من الايمان بالله عز وجل واتباع كتبه ورسله في كل عقد وعمل
وتواصوا بالصبر اي عن المعاصي التي تشتاق اليها النفس بحكم الجبلة البشرية وعلى الطاعات التي
يشق عليها اداؤها او على ما يتلوا لله عز وجل عباده وتخصيص هذا التواصي بالذكر مع اندراجه
تحت التواصي بالحق لابراز كمال الاعتناء به او لان الاول عبارة عن رتبة العبادة التي هي فعل
ما يرضى به الله تعالى والثاني عن رتبة العبودية التي هي الرضى بما فعل الله تعالى فان المراد بالصبر ليس مجرد
حبس النفس عما تتوق اليه من فعل وترك بل هو تلقي ما ورد منه تعالى بالجميل والرضى به ظاهرا وباطنا عن رسول الله
عليه السلام من قرأ سورة العصر غفر الله له وكان ممن توصى بالحق وتواصى بالصبر

ويل مبتدأ خبره لكل همزة لمزة وساغ الابتداء به مع كونه نكرة لانه دعاء عليهم بالهلكة او بشدة
الشر والهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللزم شاعا في الكسر من اعراض الناس والطعن فيهم
وبناء فعلة للدلالة على ان ذلك منه عادة مستمرة قد ضري بها وكذلك اللعنة والضحكة
وقرئ لكل همزة لمزة بسكون الميم وهو المسخرة التي يأتي بالاضاحيك فيضحك منه ويستهزأ
به وقيل نزلت في الاخنس بن شريق فانه كان ضاريا بالغيبة والوقيعة وقيل في امية بن
خلف وقيل في الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله عليه السلام وغضه من جنابه الرفيع
واختصاص السبب لا يستدعي خصوص الوعيد بهم بل كل من اتصف بوصفهم القبيح فله ذنوب
منه مثل ذنوبهم الذي جمع مالا بدل من كل او منصوب او مرفوع على الذم وقرئ جمع بالتشديد

للتكثير وتكثيرا مالا للتفخيم والتكثير الموافق لقوله تعالى وَعَدَّدَهُ وقيل معنى عدده جعله عُدّة لنوائب الدهر وقرئ وعدده اى جمع المال وضبط عدده او جمع ماله وعُدده الذين ينصرونه من قولك فلان ذو عدد وعُدد اذا كان له عدد وافر من الانصار والاعوان وقيل هو فعل ماض بنيت الادغام يحسب ان ماله اخلده اى يعمل عمل من يظن ان ماله يبقيه حيا والاظهار فى موضع الاضمار لزيادة التقرير وقيل طول المال املهُ ومناهُ الاماني حتى اصبح لغوط غفلته وطول املهِ يحسب ان المال تركه خالدا فى الدنيا لا يموت وقيل هو تعريض بالعمل الصالح والزهد فى الدنيا وانه هو الذى اخلد صاحبه فى الحيوة الابدية والنعيم المقيم فاما المال فليس بخالد ولا مخلد وروى ان الاخنس كان له اربعة آلاف دينار وقيل عشرة آلاف والجملة مستانفة او حال من فاعل جمع كلا ردع لهُ عن ذلك الحسبان الباطل وقوله تعالى لَيُنْبَذَنَّ جواب قسم مقدر والجملة استيناف مبين لعلة الردع اى والله ليطرحن بسبب تعاطيه للافعال المذكورة فِي الْحُطَمَةِ اى فى النار التى شانها ان تحطم وتكسر كل ما يلقى فيها كما ان شانه كسر اعراض الناس وجمع المال وقوله

وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ لتهويل امرها ببيان انها لیست من الامور التى تنالها عقول الخلق وقوله تعالى نَارُ اللَّهِ خبر مبتداء محذوف والجملة بيان لشان المسئول عنها اى هى نار الله الْمُوقَدَةُ بامر الله عز سلطانه وفى اضافتها اليه سبحانه ووصفها بالايقاد من تهويل امرها ما لا مزيد عليه الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ اى تقلوا وسائط القلوب وتغشاها وتخصيصها بالذكر لما ان المفؤاد ألطف ما فى الجسد واشده تألما بالنار وفى اذى يمسه اولانه محل العقايد الزايغة والنيات الخبيثة ومنشأ الاعمال السيئة إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ اى مطبقة من اوصدت الباب وآصدته اى اطبقته فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ اما حال من الضمير المجرور فى عليهم اى كائنين فى عمد ممددة اى موثقين فيها مثل المقاطر التى يقطر فيها اللصوص او خبر مبتداء مضمر اى هم فى عمد او صفة لموصدة قاله ابو البقاء اى كائنة فى عمد ممددة بان توصد عليهم الابواب وتمدد على الابواب العمد استيثاقا فى استيثاق اللهم اجرنا منها يا خير مجار وروى فى عمد بضمتين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قراء سورة الهمزة اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه

كلا اول خلق باطلاد ايذاء ارتداع الكون

ليعبدن فى الحطمة والله اول طبقات نار دوزخ حطيم براغيلور

نار الله الموقدة

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ أَصْحَابِ الْفِيلِ الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والهمزة لتقرير رويته عليه السلام بانكار عدمها وكيف معلقة لفعل الرؤية منصوبة بما بعدها والرؤية علمية اى الم تعلم علما رصينا متاخما للمشاهدة والعبارة باستماع الاخبار المتواترة ومعاينة الآثار الظاهرة وتعلق الرؤية بكيفية فعله عز وجل لا بنفسه بان يقال الم ما فعل ربك لما لتهويل الحادثة والايذان بوقوعها على كيفية هائلة وهيئة عجيبة دالة على عظيم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته وعزة بيته وشرف رسوله صلى الله عليه وسلم فان ذلك من الارهاصات كما روى ان القصة فى السنة التى ولد فيها النبى صلى الله عليه وسلم وتفصيلها ان ابرهة ابن الصباح

لعمل اسرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشى بنى بصنعاء كنيسة وسماها القليس وارادان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك وقيل اججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج مع الحبشة ومعه فيل له اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنى عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل الف فيل وقيل كان معه وحده فلما بلغ المغمس خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فابى وعباه جيشه وقدم الفيل فكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى غيره من الجهات هرول فارسل الله طيرا سودا او قيل خضرا وقيل بيضا مع كل طاير حجر فى منقاره وحجران فى رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة فكان الحجر يقع على راس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه فروا وهلكوا فى كل طريق ومنهل وروى ابرهة فتساقطت انامله وارابه ومات اصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره ابو يكسوم والطاير يحلق عليه فوقه حتى بلغ النجاشى فقص عليه القصة فلما انتهاء وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وقيل ان ابرهة اخذ لعبد المطلب مائتى بعير فخرج اليه فى شانها فلما راه ابرهة عظم فى عينه وكان رجلا وسيما جسيما وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذى يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رؤس الجبال فنزل ابرهة عن سريره وجلس على بساطه واجلسه معه على سريره ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فلما ذكر حاجته قال يسقط من عيني حيث جئت لاهدم البيت الذى هو دينك ودين ابائك وعصمتكم وشرفكم فى قديم الدهر لاتكلمنى فيه الهك عنه فانى قد اخذت لك فقال عبد المطلب انا رب الابل وان للبيت ربا يحميه ثم رجع واتى باب الكعبة فاخذ بحلقة ومعه نفر من قريش يدعون الله عز وجل فالتفت وهو يدعو فاذا هو بطير من نحو اليمن فقال والله ان لهذه الطير غريبة ما هى بارض ولا تهامة فارسل حلقة الباب ثم انطلق مع اصحابه ينتظرون ماذا يفعل ابرهة فارسل الله تعالى عليهم الطير فكان ما كان وقيل كان ابرهة جد النجاشى الذى كان فى زمن النبى عليه السلام وعن عايشة رضى الله عنها رايت قاعد الفيل وسايسه اعميين مقعدين يستطعمان وقرئ اَلَمْ تَرَ بسكون الراء للجد فى اخفاء اثر الجازم وقوله تعالى اَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ الخ بيان اجمالى لما فعل الله تعالى بهم والهمزة للتقرير كما سبق وكذلك عطف على الجملة المنفية ما بعدها كانه قيل قد جعل كيدهم فى تعطيل الكعبة وتخريبها تضييع وابطال بان دمرهم اشنع تدمير وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ اى جماعات جمع ابالة وهى الجرمة الكبيرة شهت بها الجماعة من الكبر فى نفسها وقيل ابابيل مثل عباديد وشماطيط لا واحد لها تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ صفة لطيرا وروى يرميهم بالتذكير لان الطير اسم جمع تاينه باعتبار المعنى مِنْ سِجِّيلٍ من طين

متحجر معرب سنك كل وقيل كانه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار كما ان سجينا علم للديوان
الذي يكتب فيه اعمالهم كانه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه من الاسجال
وهو الارسال فجعلهم كعصف ماكول كورق زرع وقع فيه الاكال وهو ان ياكله الدود او اكل
حبه فبقي صفرا منه او كتبن اكلته الدواب وراثته اشير اليه باحوال احواله عن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفيل اعفاه الله تعالى ايام حياته من الخسف والمسخ

لايلاف قريش متعلق بقوله تعالى فليعبدوا والفاء لما في الكلام من معنى الشرط اذ المعنى ان نعم
الله تعالى عليهم غير محصورة فان لم يعبدوه لساير نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الجليلة وقيل بمضمر
تقديره فعلنا ما فعلنا من اهلاك اصحاب الفيل لايلاف الخ وقيل تقديره اعجبوا لايلاف الخ
وقيل بما قبله من قوله تعالى فجعلهم كعصف ماكول ويؤيده انهما في مصحف ابي سورة واحدة بلا فصل
والمعنى اهلك من قصدهم من الحبشة ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوا لهم زيادة تهيب ويحترموهم
فضل احترام حتى ينتظم لهم الامن في رحلتهم فلا يجترئ عليهم احد وكانت لقريش رحلتان يرحلون في
الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون وكانوا في رحلتهم آمنين لانهم اهل حرم الله
تعالى وولاة بيته العزيز فلا يتعرض لهم والناس بين متخطف ومنهوب والايلاف من قولك الفت
المكان ايلافا اذا الفته وقرئ لالاف قريش اي لمؤالفتهم وقيل يقال الفته الفا والافا وقرئ
لالف قريش وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن
ولا تطاق الا بالنار والتصغير للتعظيم وقيل من القرش وهو الكسب لانهم كانوا كسابين بتجاراتهم
وضربهم في البلاد وقوله تعالى ايلافهم رحلة الشتاء والصيف بدل من الاول ورحلة مفعول لايلافهم
وافرادها مع ان المراد رحلتي الشتاء والصيف لامر الباس وفي اطلاق الايلاف عن المفعول اولا
وابدال هذا منه تفخيم لامره وتذكير لعظم النعمة فيه وقرئ ليالف قريش الفهم رحلة الشتاء والصيف
وقرئ رحلة بالضم وهي الجهة التي يرحل اليها فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم بسبب تينك
الرحلتين اللتين تمكنوا منهما بواسطة كونهم من جيرانه من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وقيل اريد به
القحط الذي اكلوا فيه الجيف والعظام وآمنهم من خوف عظيم لا يقادر قدره وهو خوف اصحاب
الفيل او خوف التخطف في بلدهم ومسايرهم وقيل خوف الجذام فلا يصيبهم في بلدهم عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة قريش اعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

ارايت الذي يكذب بالدين استفهام اريد به تشويق السامع الى معرفة من سيق له الكلام
والتعجيب منه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لكل عاقل والرؤية بمعنى المعرفة وقرئ
ارايتك بزيادة حرف الخطاب والفاء في قوله تعالى فذلك الذي يدع اليتيم جواب شرط محذوف

محذوف على ان ذلك مبتدا والموصول خبره والمعنى هل عرفت الذي يكذب بالجزاء او بالاسلام
ان لم تعرفه او ان اردت ان تعرفه فهو الذي يدفع اليتيم دفعا عنيفا ويزجره زجرا قبيحا ووضع اسم
الاشارة المتعرض لوصف المشار اليه موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم والتنبيه بما فيه من معنى البعد
على بعد منزلته في الشر والفساد وقيل هو ابو جهل كان وصيا ليتيم فاتاه عريانا يساله من مال نفسه
فدفعه دفعا شنيعا وقيل ابو سفيان نحر جزورا فساله يتيم لحما فقرعه بعصاه وقيل هو الوليد بن
المغيرة وقيل هو العاص بن وايل السهمي وقيل هو رجل بخيل من المنافقين وقيل الموصول على عمومه
وقرئ يدع اليتيم اي يتركه ويجفوه ولا يحض اي اهله وغيرهم من الموسرين على طعام المسكين واذا
كان حال من ترك حث غيره على ما ذكر فما ظنك بحال من ترك ذلك من القدرة عليه الفاء في قوله تعالى
فويل الخ اما لربط ما بعدها بشرط محذوف كانه قيل اذا كان ما ذكر من عدم المبالاة باليتيم والمسكين
من دلايل التكذيب بالدين وموجبات الذم والتوبيخ فويل للمصلين الذين الذين هم عن صلوتهم
ساهون غافلون غير مبالين بها الذين يراؤن اي يرون الناس اعمالهم ليروهم ويمنعون الماعون
اي الزكوة او ما يتعاور عادة فان عدم المبالاة باليتيم والمسكين حيث كان كما ذكر فعدم المبالاة
بالصلوة التي هي عماد الدين والرياء الذي هو شعبة من الكفر ومنع الزكوة التي هي قنطرة الاسلام وسوء
المعاملة مع الخلق احق بذلك واما لترتيب الدعاء عليهم بالويل على ما ذكر من قبايحهم ووضع المصلين موضع ضميرهم
ليتوسل بذلك الى بيان ان لهم قبايح اخر غير ما ذكر عن النبي عليه السلام من قرا سورة الدين غفر له ان كان للزكوة موديا

انا اعطيناك وقرئ انطيناك الكوثر اي الخير المفرط الكثرة من شرف النبوة الجامعة لخيري الدارين
والرياسة العامة المستتبعة لسعادة الدنيا والدين فوعل من الكثرة وقيل هو نهر في الجنة
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قراها فقال اتدرون ما الكوثر انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه
خير كثير وروي في صفته انه احلى من العسل واشد بياضا من اللبن وابرد من الثلج والين من
الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من الفضة عدد نجوم السماء وروي لا يظماء من شرب منه
ابدا اول وارديه فقراء المهاجرين الدنسوا الثياب الشعث الروس الذين لا يزوجون
المنعمات ولا يفتح لهم ابواب السدد يموت احدهم وحاجته تتلجلج في صدره لو اقسم على
الله لابره وعن ابن عباس انه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير فان ناسا يقولون
هو نهر في الجنة فقال هو من الخير الكثير وقيل هو حوض فيها وقيل هو اولاده واتباعه او
علماء امته او القرآن الحاوي لخير الدنيا والدين والفاء في قوله تعالى فصل لربك وانحر لترتيب
ما بعدها على ما قبلها فان اعطاءه تعالى اياه عليه السلام ما ذكر من العطية التي لم يعطها ولن
يعطها احدا من العالمين مستوجب للمامور به اي استيجاب اي فدم على الصلوة لربك الذي
افاض عليك هذه النعمة الجليلة التي لا يضاهيها نعمة خالصا لوجهه خلاف الساهين
عنها المرائين فيها اداء لحقوق شكرها فان الصلوة جامعة لجميع اقسام الشكر وانحر البدن

التى هى خيار اموال العرب باسمه تعالى وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون
وعن عطية هى صلوة النحر بمعنى وقيل صلوة العيد والتضحية وقيل هى جنس
الصلوة والنحر وضع اليمين على الشمال وقيل هو ان يرفع يديه فى التكبير الى نحره هو المروى
عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس استقبل القبلة بنحرك وهو قول الفراء والكلبى
وابى الاحوص ان شانئك اى مبغضك كائنا من كان هو الابتر الذى لاعقب له حيث
لايبقى منه نسل ولاحسن ذكر واما انت فبقى ذريتك وحسن حيتك واثار فضلك الى يوم
القيمة ولك فى الاخرة مالايندرج تحت البيان وقيل نزلت فى العاص بن وايل واياما كان فلا ريب فى
عموم الحكم عن النبى صلعم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر فى الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد فى يوم النح

قل يا ايها الكافرون هم كفرة مخصوصون قد علم الله تعالى انه لايأتى منهم الايمان ابدا روى ان
رهطا من عقلة قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك
تعبد الهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله ان اشرك بالله غيره فقالوا فاستلم
بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش
فقام على رؤسهم فقرأها عليهم فايسوا لا اعبد ما تعبدون اى فيما يستقبل لان لا لا تدخل على ما
الا على مضارع فى معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على المضارع فى معنى الحال والمعنى
لا افعل فى المستقبل ما تطلبونه منى من عبادة الهتكم ولا انتم عابدون ما اعبد اى ولا انتم
فاعلون فيه ما اطلب منكم عبادة الهى ولا انا عابد ما عبدتم اى وما كنت عابدا فيما سلف
ما عبدتم فيه اى ان لم يتهد منى عبادة صنم فى الجاهلية فكيف يرجى منى فى الاسلام ولا انتم
عابدون ما اعبد اى وما عبدتم فى وقت من الاوقات ما انا على عبادته وقيل ما تان الجملتان
لنفى العبادة حالا كما ان الاوليين لنفيها استقبالا او انما يقل ما عبدت ليوافق ما عبدتم
لانهم كانوا موسومين قبل البعثة بعبادة الاصنام وهو عليه الصلوة والسلام لم يكن حينئذ
موسوما بعبادة الله تعالى واثر ما فى اعبد على من لان المراد هو الوصف كانه قيل ما اعبد من
المعبود العظيم الشان الذى لايقادر قدر عظمته وقيل ان ما مصدرية اى لا اعبد عبادتكم ولا
تعبدون عبادتى وقيل الاولان بمعنى الذى والاخريان مصدريتان وقيل قوله تعالى ولا انا
عابد تم تاكيد لقوله تعالى لا اعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد ثانيا تاكيد لمثله
المذكور اولا وقوله تعالى لكم دينكم تقرير لقوله تعالى لا اعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا انا عابد
ما عبدتم كما ان قوله تعالى ولى دين تقرير لقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد والمعنى ان دينكم الذى
هو الاشراك مقصور على الحصول لكم لايتجاوزه الى الحصول لى ايضا كما تطمعون فيه فلا تعلقوا
به اما نيكم الفارغة فان ذلك من المحالات وان دينى الذى هو التوحيد مقصور على الحصول لى
لايتجاوزه الى الحصول لكم ايضا لانكم علقتموه بالمحال الذى هو التوحيد عبادتى للهتكم او اسلامى

استلمى ايانا ولان ما وعدتموه عين الاشراك وحيث كان منى قولهم نعبد الهتنا سنة ونعبد الهك سنة
على شركة الفريقين فى كلتى العبادتين كان القصر المستفاد من تقديم المسند قصر افراد حتما ويجوز ان يكون
هذا تقريرا لقوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم اى ولى دينى لا دينكم كما هو فى قوله تعالى ولكم ما كسبتم وقيل
المعنى الى نبى مبعوث اليكم لادعوكم الى الحق والنجاة فاذا لم تقبلوا منى ولم تتبعونى فدعونى
كفافا ولا تدعونى الى الشرك فنزل عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكافرون كانما
قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشيطان وبرئ من الشرك وتعافى من الفزع الاكبر

اذا جاء نصر الله اى اعانته تعالى واظهاره اياك على عدوك والفتح اى فتح مكة وقيل جنس
نصر الله ومطلق الفتح فان فتح مكة لما كان مفتاح الفتوح ومناطها كما ان نفسها ام القرى و
امامها جعل مجيئه بمنزلة مجئ سائر الفتوح وعلق به امره عليه الصلوة والسلام بالتسبيح والحمد
والتعبير عن حصول النصر والفتح بالمجئ للايذان بانهما متوجهان نحوه عليه اللم وانهما على جناح الوصول
اليه عليه اللم عن قريب روى انها نزلت قبل الفتح وعليه الاكثر وقيل فى ايام التشريق بمنى فى
حجة الوداع فكلمة اذا حينئذ باعتبار ان بعض ما فى حيزها اعنى رؤية دخول الناس الخ غير منقض
بعد وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان ومع النبى صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف
من المهاجرين والانصار وطوائف العرب واقام بها خمس عشرة ليلة وحين دخلها وقف على
باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده
ثم قال يا اهل مكة ما ترون انى فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء
فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الله تعالى امكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيأ ولذلك
سمى اهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الاسلام ثم خرج الى هوازن ورأيت الناس اى ابصرتهم او علمتهم
يدخلون فى دين الله اى ملة الاسلام التى لا دين يضاف اليه تعالى غيرها والجملة على الاول حال من الناس
وعلى الثانى مفعول ثان لرأيت وقوله تعالى افواجا حال من فاعل يدخلون اى يدخلون فيه جماعات كثيفة
كاهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب وكانوا قبل ذلك يدخلون فيه واحدا واحدا
واثنين اثنين روى انه عليه الصلوة والسلام لما فتح مكة اقتتلت العرب بعضها على بعض فقالوا
اذا ظفر باهل الحرم فلن يقاومه احد وقد كان الله تعالى اخارهم من اصحاب الفيل وعن كل من ارادهم
فكانوا يدخلون فى دين الاسلام افواجا من غير قتال وقرئ فتح الله والنصر وقرئ يدخلون
على البناء للمفعول فسبح بحمد ربك فقل سبحان الله حامدا له اى فتعجب لتيسير الله تعالى
ما لم يخطر ببال احد من ان يغلب احد على اهل حرمه المحترم او احمده على جميع صنعه بدا على الروح
الاولى ظاهر واما على الثانية فلعله عليه الصلوة والسلام امر بان يداوم على ذلك استعظاما
لنعمة لا باحداث التعجب لما ذكر فانه انما يناسب حالة الفتح او فاذكره مستجابا حامدا زيادة فى
عبادته والثناء عليه لزيادة انعامه عليك او فصل له حامدا على نعمه روى انه لما فتح باب الكعبة

صلى صلوة الضحى ثماني ركعات او فنزهه عما يقوله الظلمة حامدا له على ان صدق وعده او فاثن
الله تعالى بصفات الجلال حامدا له على صفات الاكرام واستغفره هضما لنفسك واستقصارا
لعملك واستعظاما لحقوق الله تعالى واستدراكا لما فرط منك من ترك الاولى عن عائشة رضي الله تعالى
عنها انه كان عليه السلام يكثر قبل موته سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليك وعنه
عليه الصلوة والسلام اني لاستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة وروي انه لما قرأها النبي صلى الله
عليه وسلم على اصحابه استبشروا وبكى العباس رضي الله عنه فقال عليه الصلوة والسلام ما يبكيك
يا عم نعيت اليك نفسك قال عليه السلام انها لكما تقول فلم ير عليه السلام بعد ذلك ضاحكا مستبشرا
وقيل ان ابن عباس هو الذي قال ذلك فقال عليه السلام لقد اوتي هذا الغلام علما كثيرا وبعد ذلك
للدلالة على تمام امر الدعوة وتكامل امر الدين كقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم وروي انه لما نزلت
خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان عبدا خيره الله بين الدنيا وبين لقائه فاختار
لقاء الله تعالى فعلم ابو بكر رضي الله عنه فقال فديناك بانفسنا وابائنا واولادنا وعنه عليه
السلام انه دعى فاطمة رضي الله عنها فقال يا بنتاه انه نعيت الي نفسي فبكت فقال لا تبكي فانك
اول اهل لحوقا بي وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان هذه السورة تسمى سورة التوديع وقيل
هو امر بالاستغفار لامته انه كان توابا متدخلق المكلفين اي مبالغا في قبول توبتهم فليكن كل تائب
مستغفر متوقعا للقبول عن النبي عليه السلام من قرأ سورة النصر اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة

تبت اي هلكت يدا ابي لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب وايثار التباب على الهلاك
واسناده الى يديه لما روي انه لما نزل وانذر عشيرتك الاقربين وقى رسول الله صلى الله
عليه وسلم الصفا وجمع اقاربه فانذرهم فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا واخذ
حجرا ليرميه عليه السلام به وتب اي وهلك كله وقيل المراد بالاول هلاك جملته كقوله تعالى
ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة ومعنى تب وكان ذلك وحصل كقول من قال جزاني جزاه
الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل ويؤيده قراءة من قرأ وقد
تب وقيل الاول اخبار عن هلاك عمله لان الاعمال تزاول غالبا بالايدي والثاني
اخبار عن هلاك نفسه وقيل كلاهما دعاء عليه بالهلاك وقيل الاول دعاء والثاني
اخبار وذكر كنيته للتعريض بكونه جهنميا ولا اشتهاره بها ولكراهة ذكر اسمه القبيح
وقرئ ابو لهب كما قيل علي بن ابو طالب وقرئ ابو لهب بسكون الهاء ما اغنى عنه
ماله وما كسب اي لم يغن عنه حين حل به التباب على ان ما نافية او اي شيء اغنى عنه
على انها استفهامية في معنى الانكار منصوبة بما بعدها اصل ماله وما كسب به من الارباح
والنتائج والمنافع والوجاهة والاتباع او ماله الموروث من ابيه والذي كسبه بنفسه
او عمله الخبيث الذي هو كيده في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم او عمله الذي ظن انه منه على

على شيء كقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وعن ابن عباس ما كسب
ولده وروي انه كان يقول ابن اخي حقا فانا افدي منه نفسي بمالي وولدي فاستخلص منه
وقد خاب مرجاه وما حصل ما تمناه فافترس ولده عتبة اسد في طريق الشام بين العير
المكتنفة به وقد كان صلى الله عليه وسلم دعى عليه وقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وهلك
نفسه بالعدسة بعد وقعة بدر لسبع ليال فاجتنبه اهله مخافة العدوى وكانت قريش تتقيها
كالطاعون فبقي ثلاثا حتى انتن ثم استاجروا بعض السودان فاجتنبوه ودفنوه فكان
الامر كما اخبر به القرآن سيصلى بفتح الياء وقرئ بضمها وفتح اللام بالتخفيف والتشديد
والسين لتاكيد الوعيد وتشديده اي سيدخل لا محالة بعد هذا العذاب العاجل في الآخرة
نارا ذات لهب اي نارا عظيمة ذات اشتعال وتوقد وهي نار جهنم وليس هذا نصا
في انه لا يؤمن ابدا حتى يلزم من تكليفه الايمان بالقرآن ان يكون مكلفا بان يؤمن بانه لا يؤمن ابدا
فيكون مامورا بالجمع بين النقيضين كما هو المشهور فان صلى النار غير مختص بالكفار فيجوز ان
يفهم ابو لهب من هذا ان دخوله النار لفسقه ومعاصيه لا لكفره فلا اضطرار الى الجواب
المشهور من ان ما كلفه هو الايمان بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم اجمالا لا الايمان
بتفاصيل ما نطق به القرآن حتى يلزم ان يكلف الايمان بعد ايمانه المستمر وامرأته
عطف على المستكن في سيصلى لمكان الفصل بالمفعول وهي ام جميل بنت حرب اخت
ابي سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنثرها بالليل في
طريق النبي صلى الله عليه وسلم وكان عليه السلام يطؤه كما يطؤ الحرير وقيل كانت
تمشي بالنميمة ويقال لمن يمشي بالنمائم ويفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم اي
يتوقد بينهم النائرة حمالة الحطب بالنصب على الشتم والذم وقيل على
الحالية بناء على ان الاضافة غير حقيقية اذ المراد انها تحمل يوم القيمة حزمة من حطب
جهنم كالزقوم والضريع وعن قتادة انها مع كثرة مالها كانت تحمل الحطب على
ظهرها لشدة بخلها فعيرت بالبخل فانصب حينئذ على الشتم حتما وقرئ بالرفع على
انه خبر وامرأته مبتدأ وقرئ حمالة للحطب بالتنوين نصبا ورفعا وقرئ مريئة
بالتصغير للتحقير في جيدها حبل من مسد جملة من [illegible] مبتدأ مؤخر والجملة
حالية وقيل الظرف خبر لامرأته وحبل مرتفع به على [illegible] وقيل هو حال
من امرأته على تقدير عطفها على ضمير سيصلى وحبل فاعل كما ذكر والمسد [illegible]
من الحبال فتلا شديدا من ليف المقل وقيل من اي ليف كان [illegible]
لحاء شجر باليمن [illegible] من جلود الابل واوبارها والمعنى [illegible]
مسد من الحبال [illegible] تحمل تلك الحزمة من [illegible]
الحطابون تخسيسا بحالها وتصويرا لها بصورة [illegible]
ذلك ويتمعض وهما في بيت [illegible]

تاتی کل یوم باربالۃ من حنک فنظر جما علی طریق المسلمین فبینما ہی ذات یوم لیلۃ حاملۃ حمۃ
اعیت فتعمدت علی حجر لتستریح فخذ بھا الملک من خلفھا فاختنقت بحبلھا فمن
النبی صلی اللہ علیہ وسلم من قرا السورۃ بنت رجوت الا یجمع بینہ وبین ابی لھب فی دار واحدۃ

واعلم ان فی قولہ ھو اشارۃ الی ان اول الموجودات ھو واخرھا ھو لان الیھا من اقصی الخلق ومنتھا المخارج والعود من اول المخارج فافھم

قُلْ ھُوَ اللّٰہُ اَحَدٌ الضمیر للشان ومدار وضعہ موضعہ مع عدم سبق ذکرہ الایذان
بانہ من الشھرۃ والنباھۃ بحیث یستحضرہ کل احد والیہ یشیر کل مشیر والیہ یعود کل
ضمیر کما ینبئ عنہ اسمہ الذی اصلہ العقد اطلق علی المعقول مبالغۃ ومحلہ الرفع
علی الابتداء خبرہ الجملۃ بعدہ ولا حاجۃ الی الرابط لانہا عین الشان الذی عبر عنہ
بالضمیر والسر فی تصدیر الجملۃ بہ التنبیہ من اول الامر علی فخامۃ مضمونہا وجلالۃ
خبرہا مع ما فیہ من زیادۃ تحقیق وتقریر فان الضمیر لا یفہم منہ من اول الامر الا
مبہم لہ خطر جلیل یشیق الذہن مترقبا لما امامہ مما یفسرہ ویزیل ابہامہ فیتمکن عند ورودہ
لہ فضل تمکن وہمزۃ احد مبدلۃ من الواو واصلہ وحد لا ہمزۃ ما یلازم النفی ویراد
بہ العموم کما فی قولہ تعالی فما منکم من احد عنہ حاجزین وما فی قولہ علیہ السلام ما اجلت لاحد سود الروس غیرکم فانہا اصلیۃ وقال مکی اصل احد واحد فابدلت الواو ہمزۃ
فاجتمع الفان لان الہمزۃ تشبہ الالف فحذفت احدیہما تخفیفا وقال ثعلب ان
احدا لا یبنی علیہ العدد ابتداء فلا یقال احد واثنان کما یقال واحد واثنان ولا یقال
رجل احد کما یقال رجل واحد ولذلک اختص بہ تعالی او ہو لما سئل عنہ ای الذی سألتم
عنہ ہو اللہ اذ روی ان قریشا قالوا صف لنا ربک الذی تدعونا الیہ وانسبہ
فنزلت فالضمیر مبتداء واللہ خبرہ واحد بدل منہ او خبر ثان او خبر مبتداء محذوف
وقرئ ہو اللہ احد بغیر قل وقرئ اللہ احد بغیر قل ہو وقرئ قل ہو الواحد وقولہ تعالی
اَللّٰہُ الصَّمَدُ مبتداء وخبر والصمد فعل بمعنی مفعول من صمدہ الیہ اذا قصدہ ای ہو
السید المصمود الیہ فی الحوائج المستغنی بذاتہ وکل ما عداہ محتاج الیہ فی جمیع جہاتہ
وقیل الصمد الدائم الباقی الذی لم یزل ولا یزال وقیل الذی یفعل ما یشاء
ولا یعتریہ لعلہم بصمدیتہ بخلاف احدیتہ وتکریر الاسم الجلیل للاشعار
بذلک فہو بمنزل من استحقاق الالوہیۃ عز وجل المستتبعۃ لکافۃ
الوجوہ تنزیہہ عن شایبۃ العدد والترکب بوجہ من الوجوہ
سائر صمدیتہ المقتضیۃ لاستغنائہ الذاتی عما
او تفانیہا وسایر احوالہا تحقیقا

علی صیغۃ الماضی ای لم یصدر عنہ ولد لانہ لا یجانسہ شیء لیمکن ان یکون مجنسہ صاحبۃ فیتوالدا کما ینطق
بہ قولہ تعالی انی یکون لہ ولد ولم تکن لہ صاحبۃ ولا یفتقر الی ما یعینہ او یخلفہ لاستحالۃ الحاجۃ والفناء
وَلَمْ یُوْلَدْ ای لم یصدر عن شیء لاستحالۃ نسبۃ العدم الیہ سابقا او لاحقا والتصریح بہ مع
کونہم معترفین بمضمونہ لتقریر ما قبلہ وتحقیقہ بالاشارۃ الی انہما متلازمان اذ المعہود ان ما یلد
یولد وما لا فلا ومن قضیۃ الاعتراف بانہ لم یولد الاعتراف بانہ لا یلد فہو قریب من عطف
لا یستقدمون علی لا یستاخرون کما مر تحقیقہ وَلَمْ یَکُنْ لَّہٗ کُفُوًا اَحَدٌ ای لم یکافئہ احد ولم یماثلہ
ولم یشاکلہ من صاحبۃ وغیرہا وله صلۃ لکفوا قدمت علیہ مع انہا حقہا التاخر عنہ للاہتمام
بمالالۃ المقصود ونفی المکافاۃ عن ذاتہ تعالی وقد جوز ان یکون خبرا لا صلۃ ویکون کفوا حالا من احد
ولیس بذاک واما تاخیر اسم کان فلمراعاۃ الفواصل ووجوب الوصل بین ہذہ الجمل غنی عن البیان
وقرئ بضم الکاف والفاء مع تسہیل الہمزۃ وبضم الکاف وکسرہا مع سکون الفاء ہذا ولا
نطول السورۃ الکریمۃ مع تقارب قطریہا علی اشتمالہا المعارف الالہیۃ والرد علی من الحد فیہا
وردت فی الحدیث الصحیح انہا تعدل ثلث القرآن فان مقاصدہ منحصرۃ فی بیان العقاید والاحکام
والقصص ومن عدہا بکلمۃ اعتبر المقصود بالذات منہ روی عن النبی صلی اللہ علیہ وسلم انہ قال
اُسِّسَتِ السَّمٰوٰتُ السَّبْعُ وَالْاَرَضُوْنَ السَّبْعُ علی قل ہو اللہ احد ای ما خلقت الا لتکون دلائل
علی توحید اللہ ومعرفۃ صفاتہ التی نطقت بہا ہذہ السورۃ وعنہ علیہ السلام شیع رجلا
یقرا قل ہو اللہ احد فقال وجبت فقیل وما وجبت یا رسول اللہ قال وجبت لہ الجنۃ

قُلْ اَعُوْذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ الفلق الصبح کالفرق لانہ یفلق عنہ اللیل ویفرق فعل بمعنی مفعول فان
کل واحد من المخلوق والمفلوق عنہ معمول وقیل ہو ما انفلق من عموہ وقیل ہو کل ما یفلقہ اللہ تعالی
کالارض عن النبات والجبال عن العیون والسحاب عن الامطار والحب والنوی عما یخرج منہما
وغیر ذلک وفی تعلیق العیاذ باسم الرب المضاف الی الفلق المبنی عن النور عقیب الظلمۃ
والسعۃ بعد الضیق والفتق بعد الرتق عدۃ کریمۃ یا عاذۃ العائذ مما یعوذ منہ والجائہ منہ
وتقویۃ لرجائہ بتذکیر بعض نظایرہ ومزید ترغیب لہ فی الجد والاعتناء بقرب باب الالتجاء
الیہ تعالی واما الاشعار بان من قدر ان یزیل ظلمۃ اللیل من ہذا العالم قدر ان یزیل عن العا
کما قیل فلا اذ لا ریب للعائذ فی قدرۃ تعالی علی ذلک حتی یحتاج الی التبیہ علیہا
ای من شر ما خلقہ من الثقلین وغیرہم کایا ما کان من ذوات الطبایع
لجمیع الشرور فمن توہم ان الاستعاذۃ ہہنا من المضار
س بصدد الاستعاذۃ ثم جعل عمومہا مدار الا
لیہ لاختصاصہ بعالم الخلق المو
الامر فہو خبر محض

قل اعوذ برب الفلق یا محمد وقل لکم
ن صبحک ربی جل شانہ برد استعاذہ
ایدہ ربہ من کل مکلہ لیلک وحشتین
کید ردی ویا خلق جہنم بر قوی سیرکم
اول اجلد وعفت انف
اہل نار فزیادا

تخصيص لبعض الشرور بالذكر مع اندراجه فيما قبله لزيادة مساس الحاجة الى الاستعاذة منه
لكثرة وقوعه ولان تعيين المستعاذ منه اول على الاغتناء بالاستعاذة واوفى بالاعاذة
اى ومن شر ليل معتكر ظلامه من قوله تعالى الى غسق الليل واصل الغسق الامتلاء يقال
غسقت العين اذا امتلأت دمعا وقيل هو السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه
وغسق العين سيلان دمعها واضافة الشر الى الليل للملابسة له لحدوث فيه وتنكيره لعموم
شمول الشر لجميع افراده ولا لكل اجزائه وتقييده بقوله تعالى اذا وقب اى دخل ظلامه
فى كل شئ لان حدوثه فيه اكثر والتحرز منه اصعب واعسر ولذلك قيل الليل اخفى للويل وقيل
الغاسق هو القمر اذا امتلأ ووقوبه دخوله فى الخسوف واسوداده كما روى عن عائشة
رضى الله عنها انها قالت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فاشار الى القمر فقال تعوذى
بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب وقيل التعبير عن القمر بالغاسق لان جرمه مظلم انما
يستنير بضوء الشمس ووقبه المحاق فى آخر الشهر والمجنون يعدونه نحسا ولذلك لا يشتغل
النجارة بالنسج المورث للتمريض الآفى ذلك الوقت قيل هو المناسب لسبب النزول وقيل
الغاسق الثريا ووقوبها سقوطها لانها اذا سقطت كثر الامراض والطواعين وقيل هو كل
شر يعتري الانسان ووقوبه بهجومه ومن شر النفاثات فى العقد اى ومن شر النفوس او النساء
السواحر اللاتى يعقدن عقدا فى خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وقيل بدون
ريق وقرئ النافثات كما قرئ النفثات بغير الف وتعريفها اما للعهد او للاشعار بشمول
الشر لجميع افرادهن وتخصيصه بالذكر لما روى ابن عباس وعائشة رضى الله عنهم
انه كان غلام فى اليهود يخدم النبى صلى الله عليه وسلم وكان عذه اسنانا من مشط عليه السلام
فاعطاها اليهود فسحروه عليه السلام فمرض فاتاه جبريل بالمعوذتين واخبره بموضع
السحر وبمن سحره فارسل عليه السلام عليا كرم الله وجهه والزبير وعمارا رضى الله عنهم فنزحوا ماء البئر
فكان نخاعة الحناء ثم رفعوا راعونة البئر وهى الصخرة التى توضع فى اسفل البئر فاخرجوا
من تحتها الكتان ومعها وتر قد عقد فيه احدى عشرة عقدة مغروزة بالابر فجاؤا
بها النبى صلى الله عليه وسلم فجعل يقرأ المعوذتين عليها فكان كلما قرأ آية انحلت
عقدة ووجد عليه السلم خفة حتى انحلت العقدة الاخيرة عند تمام السورة فقام
عليه السلام كانما انشط من عقال فقالوا يا رسول الله افلا نقتل الخبيث فقال اما انا
فقد عافانى الله عز وجل واكره ان اثير على الناس شرا فامرت عائشة ما غضب
ما سلم غضبا ينتقم لنفسه قط الا ان تكون شيئا هو لله تعالى
وقيل المراد بالنفث فى العقد ابطال عزايم الرجال بالحيل
عقدة نفث الريق ليسهل حلها ومن شر حاسد اذا حسد
من الحسد وعمل مقتضاه بترتيب مقدمات الشر ومبادى

بالمحسود قولا او فعلا والتقييد بذلك لما ان ضرر الحسد قليلا ما يتحقق بالحاسد لا غير
عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ المعوذتين فكانما قرأ الكتب التى انزلها الله

قل اعوذ وقرئ فى السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام برب الناس
اى مالك امورهم ومربيهم بافاضة ما يصلحهم ودفع ما يضرهم وقوله تعالى ملك الناس
عطف بيان جئ به لبيان ان تربيته تعالى اياهم ليست بطريق تربية
سائر الملاك لمماليكهم بل بطريق الملك الكامل والتصرف
الكلى والسلطان القاهر وكذا قوله تعالى اله الناس فانه لبيان ان ملكه تعالى
ليس بمجرد الاستيلاء عليهم والقيام بتدبير امورياستهم والتولى لتربيتهم
مبادى حفظهم وحمايتهم كما هو قضارى امر المملوك بل هو بطريق المعبودية الموسومة
على الالوهية المقتضية للقدرة التامة على التصرف الكلى فيهم احياء واماتة
وايجادا واعداما وتخصيص الاضافة بالناس مع انتظام جميع العالمين فى سلك
ربوبيته وملكوته والوهيته للارشاد الى منهاج الاستعاذة المرضية عنده تعالى
الحقيقة بالاعاذة فان توسل العايذ بربته وانتسابه اليه تعالى بالربوبية والمملوكية
والعبودية فى ضمن جنس هو فرد من افراده من دواعى مزيد الرحمة والرافة
وامره تعالى بذلك من دلايل الوعد الكريم بالاعاذة لامحالة ولان المستعاذ منه
شر الشيطان المعروف بعداوتهم فى التعرض على انتظامهم فى سلك عبوديته تعالى
وملكوته رمز الى ابجائهم من ملكة الشيطان وتسليطه عليهم بما ينطق به قوله تعالى
ان عبادى ليس لك عليهم سلطان فمن جعل مدار تخصيص الاضافة مجرد كون الاول
من المضار المختصة بالنفوس البشرية فقد قصر فى توفية المقام حقه واما جعل
المستعاذ منه فيما سبق المضار البدنية فقد عرفت حاله وتكرير المضاف اليه لمزيد
الكشف والتقرير والتشريف بالاضافة من شر الوسواس هو اسم بمعنى
الوسوسة وهى الصوت الخفى كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر
والمراد به الشيطان سمى بفعله مبالغة كانه نفس الوسوسة الخناس الذى عادته
ان يخنس اى تاخر اذا ذكر الانسان ربه الذى يوسوس فى صدور الناس
اذا غفلوا عن ذكر الله تعالى ومحل الموصول اما الجر على الوصف واما الرفع او
النصب على الذم من الجنة والناس بيان للذى يوسوس على انه ضربان جنى
وانسى كما قال عز وجل شياطين الانس والجن او متعلق بوسوس اى يوسوس
فى صدورهم من جهة الجن ومن جهة الناس وقد جوز ان يكون بيانا للناس على انه يطلق
على الجن ايضا حسب اطلاق النفر والرجال عليهم ولا تعويل عليه واقرب منه ان يراد

بالناس الناسي ويجعل سقوط الياء كسقوطها في قوله يوم يدع الداعي ثم يبين بالجنة والناس فان
كل فرد من افراد الفريقين مبتلى بنسيان حق الله تعالى الا من تداركه شوافع عصمته وتناوله
واسع رحمته عصمنا الله تعالى من الغفلة عن ذكره ووفقنا لاداء حقوق شكره
قال العبد الذليل متضرعا الى ربه الجليل اللهم يا ولي العصمة والارشاد
وهادي الغواة الى سنن الرشاد بارئ البرية مالك الرقاب عليك توكلي واليك متاب
انت المغيث لكل حائر ملهوف والمجير من كل هائل مخوف الوذ بحرمك المامون من غوائل ريب
المنون والتجاء الى حرزك الحريز واوي الى ركنك العزيز واسالك من خزاين ترك
المخزون في تكامن سترك المكنون حين ما جرى به قلم التكوين من امور الدنيا والدين واعوذ
بك من فنون الفتن والشرور لاسيما الاطمينان بدار الغرور والاغترار بنعيمها وزهرتها
والافتتان بزخارفها وزينتها فاعذني بحمايتك واعني بعنايتك وافض علي من شوارق
الانوار الربانية وبوارق الآثار السبحانية ما يخلصني من العوايق الظلمانية ويجردني
من العلايق الجسمانية وهذب نفسي الابية من دنس الطبايع والاخلاق ونور
قلبي القاسي بلوامع الاشراق ليستعد للعثور على ساير الانس ويتهيأ للحضور
في حظاير القدس ويثبتني على منهاج الحق والهدى وارشدني الى مسلك البر
والتقى واجعل اعز مرامي ابتغاء رضاك واشرف ايامي يوم لقاك يوم
يقوم الناس لرب العالمين فريقا فريقا واحشرني مع الذين انعمت عليهم من
النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا
كتب المؤلف مد الله تعالى ظلاله وختم بالصالحات اعماله
ومتع العالم بطول بقائه في آخر نسخة الاصل اتفق الفراغ من
تسويد هاتيك الاوراق بتوفيق الله عز سلطانه
ليلة الجمعة
حامدا الله رب العالمين ومصليا
على سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه
وعلى ساير الانبياء والمرسلين
والملائكة المقربين اجمعين
وسلم تسليما كثيرا
فبالله الا ما عوت بنية لكاتبه بالعفو فهو مثقل
فان الذي تدعو رحيم بخلقه
كريم حليم ليس بالعفو يبخل

SÜLEYMANİYE KÜTÜPHANESİ
Esad ef.
65